كتاب
تهذيب الأسرار

تأليف

عبد الملك بن محمد إبراهيم النيسابوري الخركوشي

المتوفى (٤٠٧ هجرية - ١٠١٦ م)

تحقيق

بسام محمد بارود

٢٦٠
خ ر ت هـ
الخركوشي، أبوسعد عبد الملك بن محمد،...-٤٠٧هـ
تهذيب الأسرار / تاليف عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الخركوشي؛ تحقيق وتعليق:بسام محمد بارود.- أبوظبي : المجمع الثقافي، ١٩٩٩م.
٥٦٦ص .
يشتمل على إرجاعات بيبلوجرافية
التصوف الإسلامي

المجمع الثقافي - ١٩٩٩م
أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة-ص.ب ٢٣٨٠-هاتف : ٢١٥٣٠٠
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

حقوق الترجمة الى اللغة العربية محفوظة بالاتفاق مع الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين المباركين، وصحابته الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

فإن الحديث عن التصوف والصوفية من الأحاديث الشائكة والشائقة في آن واحد، ذلك أنه ما من علم من العلوم إلا واتفق أئمته ـ أو جلهم ـ على رسم حدوده، وبيان معالم خارطته، وترسيم دروبه، إلا هذا العلم!!! فإن المرء يحار حين يمسك كتب التصوف على اختلاف مشاربها، وتنوع مذاهبها وطرقها، يجد نفسه أمام كمٍّ هائل من التعريفات، والتفريعات، والمصطلحات، والأحكام و... الخ، وربما يتضاد بعضها مع بعض، ويتناقض أحياناً تناقضاً بيِّناً، والحق: أنه بالنظر إلى الهدف الأسمى، من التصوف أو علم السلوك، نجد أنه لا تناقض في ذلك إلا بظاهر الألفاظ، أما الهدف فواحد، وهو الوصول إلى معرفة الله سبحانه، والوصول إليه عبر تزكية النفس وتهذيبها، بتخليتها من كل خلق ذميم، وتحليتها بكل خلق حميد.

هذا هو الهدف الأعلى، أما الطرق إلى ذلك فكثيرة تكاد تكون على عدد أنفاس الخلائق ـ كما قيل ـ، ولا مبالغة في هذا، بل ليس هذا من تعدد السبل المذموم الذي يحتج بعض من لا فهم له بقوله تعالى: **﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾**، وإنما هو من باب تعدد (الأدوية) التي يصفها الطبيب للوصول إلى الشفاء التام. وإنما الشيخ والمربي في هذه الحالة كالطبيب، فهو طبيب القلوب والنفوس لتستقيم على أمر الله تعالى، وتصحَّ من الأمراض والعيوب فتنخرط في سلك من أتى الله بقلب سليم. ولك أن تقول: إن هذا التعدد كتعدد المدارس ـ مدارس التربية والتعليم ـ، حيث لكل معلم طريقته، ولكل أستاذ أسلوبه في تحقيق الغاية التي نصب نفسه لها. فمن منا يخلو من الأمراض المعنوية ـ أو القلبية ـ كالحسد، والبغض، والحقد، والطمع، والرياء، والنفاق، والغضب، والتكالب على

الشهوات، وحب السمعة، واللهاث نحو الشهرة... وإلخ، من تلك الأمراض المستعصية التي أودت بنا إلى ما نحن فيه في أيام الناس هذه من البعد عن الله، وعن شريعة الله، بل عن أدنى درجات الإيمان ـ وهي إماطة الأذى عن الطريق ـ؟.

وحتى لا أبعد في الكلام، وأطوف في فراغ لا نهاية له، أجدني ملزماً أن أختصر ـ في رأيي ـ هذا الداء بنقطتين يتشعب منهما كل الأمراض التي ذكرت وما لم أذكر.

أولى النقطتين: الجفاف، وأقصد به الجفاف الروحي والإيماني الذي تحوّل الإنسان بسببه ـ أي بسبب هذا الجفاف ـ إلى آلة صماء، أو حجر صلد.

ثاني النقطتين: انفصام الشخصية لدى أصحاب الإيمان ـ أو الإسلام ـ الملتزمين بظواهر الشرع دون الالتفات إلى معالجة أمراض القلوب التي لا يخلو منها إنسان كما قدمنا.

وهذان المرضان أحلاهما مر، وكلاهما من الأمراض المستعصية التي يصعب علاجها إلا على يد طبيب ماهر، متمرس.

أما الجفاف: فهو جفاف الإيمان، وخواء القلب من أي معنى من المعاني الروحية، وتحول الإنسان إلى قبضة من تراب ـ كما هو في نظر الماديين في عالم اليوم ـ من هذه التربة خرج، وعليها يدرج، إلى أن تنتهي أيامه ليعود كما لم يكن ـ وصلى الله وبارك ـ كما يقولون في الأمثال. لا غاية له، ولا هدف، ولا حياة أخرى وراء هذه الحياة التي نعيشها!!!. فلا فرق بينه وبين القرد أو السلحفاة أو الشجرة التي يساكنها على وجه الأرض، إنما هو كتلة من اللحم والدم، والأعصاب، والغدد، والأجهزة المختلفة التي ركب منها، ليعمل ثم يأكل ثم يبول ثم يتناسل ثم يموت...! لتطوى صفحة حياته إلى غير رجعة!.

بل إن أحدهم أدخل الإنسان في المختبر وخرج بالنتائج التالية:

إذا جئنا بإنسان زنته مائة وأربعون رطلاً، وغلغلنا النظر في تكوينه وجدنا بدنه يحتوي على المواد التالية:

قدر من الدهن يكفي لصنع (٧) قطع من الصابون.

قدر من الكربون يكفي لصنع (٧) أقلام رصاص.

قدر من الفوسفور يكفي لصنع رؤوس (١٢٠) عود ثقاب.

قدر من ملح المغنسيوم يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات.

قدر من الحديد يمكن عمل مسمار متوسط الحجم.

قدر من الجير يكفي لتبييض بيت للدجاج.

قدر من الكبريت يطهر جلد كلب واحد من البراغيث التي تسكن شعره.

قدر من الماء يملأ برميلاً سعته عشرة جالونات.

وهذه المواد تشترى من الأسواق بمبلغ يساوي ستين قرشاً مصرياً!!![1].

تلك إذاً قيمة الإنسان المادية، لا روح هنالك، ولا نفحة علوية، يختص بها هذا الكائن الذي كرمه الله تعالى بقوله: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾**[2].

يقول أحد ملاحدة العرب المعاصرين: هل نحن فكرة أكثر من كون الحشرات فكرة؟ نحن لا نساوي أكثر من أنفسنا، وكذلك الحشرات، ونحن لا نريد إلا أن نحقق أنفسنا، وكذلك أيضاً الحشرات؟! والفرق بيننا وبين الحشرات هو فرق التفوق فقط، وفرق التفوق بيننا وبين أرقى حيوان، لا يفوق كثيراً فرق التفوق بين أدنى حشرة وأرقى حيوان!. ماذا تفقد، أو يفقد الكون أو تفقد الشمس والقمر بفقدنا أنفسنا؟!

وليس ما ذهب إليه دارون وفرويد وأمثالهما من الماديين ـ وأذنابهما من الماديين العرب ـ بأفضل من هذه النظرة إلى الإنسان. إنه عندهم أخو الحشرات، وصنو القرود! إنهم لا يبصرون فيه إلا القشرة والغلاف، ولا يعرفون فيه إلا الطين والحمأ المسنون، فهو مخلوق من طبيعته الانجذاب إلى أسفل، وليس الرقي إلى أعلى. من طبيعته الهبوط إلى الأرض، وليس الارتفاع إلى السماء. هو ـ بعبارة موجزة ـ حيوان متطور! ترقى من طور إلى طور حتى بلغ ما هو عليه، فالحيوانية في الإنسان قشره ولبه، ولحمته وسداه!!!.

فأي إيحاء للنفس الإنسانية أسوأ من هذا الإيحاء أثراً؟ أن يرى الإنسان نفسه مخلوقاً هابطاً... حيواناً.. طيناً ولحماً!!! إنه لا يَسْتغرب من نفسه الانحدار والتلوث، والإسفاف، ولا يستنكف من القذارة والأوحال أن يتمرغ فيها، ويتلطخ بها، بل المستغرب منه ـ عند هؤلاء الحيوانات أو الحشرات كما أطلقوا هم على أنفسهم ـ أن يتعفف ويتطهر، وأن يحيا نظيفاً مستعلياً على الشهوات، والمطامع المادية باذلاً النفس والمال في سبيل الحق، ابتغاء رضوان الله تعالى.

ما أعظم الفرق بين رجلين: يعيش أحدهما وهو يعتقد في نفسه أنه مجرد حيوان أو حشرة من فصيلة راقية، ليس له قبل حياته جذور، وليس له بعد موته امتداد، وليس له في

---

(١) انظر في هذا ما كتبه العلامة الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه (نظرات في القرآن).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

حياته صلة بالوجود الكبير أكثر من صلة القرود به. ويعيش الآخر وهو يعتقد أنه خليفة الله في الأرض، ونائبه في إقامة الحق وإفاضة الخير، وإشاعة الجمال في هذا الكون! ويشعر أن الكون كله في خدمته، والملائكة الكرام في حراسته، وأن رب الوجود في معيته، وأنه من فصيلة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن وجوده لا ينتهي بالموت، وداره لا تنتهي بالقبر، فإنما خلق للخلود وللأبد الذي لا ينقطع ولا يزول.

إن النظرة المادية التافهة للإنسان أنتجت له شعورين مختلفين:

أولهما: شعور الإنسان بالتفاهة والضياع ونظرته إلى نفسه نظرة حيوانية بحتة.

والثاني: شعور الغرور والكبر، ذلك الشعور الذي ينتهي إلى حد تأليه نفسه حين يُسقِط وجود الإله الحق من اعتباره، ويتصرف وكأنه إله لا يُسأَل عما يفعل، كما زعم جوليان هكسلي حين قال: إن الإنسان في العالم الحديث أصبح هو الله المنشيء المريد!![١]

ونتيجة لهذا الجفاف الذي ذكرناه، حلت الكوارث في عالم اليوم أو ما يسمى بالعالم المتمدن؛ فأي كارثة أفظع من خلو القلوب من الإيمان، وتفشي التفسخ المريع في شتى جوانب المجتمع، وتلون المجتمع بشتى ألوان الانحلال من شذوذ جنسي، وتفشي الدعارة، وشرب الخمور، واغتصاب الأطفال، وتفشي السرقة، وسيطرة الجريمة المنظمة وغير المنظمة، والحكم بقانون الغاب!!!، وبأي مقياس ومن خلال أي زاوية نجد الإحصاءات مرعبة، وأثرها باد في حياة تلك البلاد على مختلف مستوياتها الاجتماعية، ففي أمريكا نجد من بين كل ستة أولاد ولداً يساق إلى محاكم الأحداث لاقترافه جريمة أو جرائم، وذلك قبل أن يبلغ سنه الثامنة عشرة من عمره. وفي كثير من المناطق المأهولة العامرة هناك يلزم أكثر من نصف السكان منازلهم بعد غروب الشمس خوفاً من تعرضهم لأي اعتداء أثناء تجوالهم أو مرورهم بسياراتهم، والثلث ينخلع رعباً عندما يشاهد وجهاً غير مألوف في الحي. ونسبة الجرائم تشطح رأسياً سنة بعد أخرى... إلى غير ذلك مما لا تتسع له هذه الصفحات القليلة[٢].

---

(١) انظر كتاب (الإنسان في العالم الحديث) ترجمة حسن خطاب صفحة ٢٢٤.

(٢) انظر للتوسع كتاب الإيمان والحياة للعلامة الشيخ يوسف القرضاوي نقلاً عنه، وعن الشهاب اللبنانية العدد ١٦ من السنة الأولى ١٥/ ٩/ ١٩٦٧ م. عن مجلة تايم الأمريكية ٢٤/ ٣/ ١٩٦٧ م. (الإيمان والحياة ـ مواضع متعددة).

هذا ما يتعلق بالجفاف، أما النقطة الأخرى أو المرض الآخر الذي حل بعالمنا فهو انفصام الشخصية، وهنا أقصد به مجتمع المسلمين اليوم، وانقسم الناس فيه إلى قسمين؛ قسم جعل الدين وراء ظهره، وتنصل من كل ما يربطه بالإسلام، ولم يبق معه من دينه إلا ما سماه به والداه من أسماء المسلمين، وهذا إن لم يتداركه الله برحمته ويعود إلى دينه، فنهايته لا تبشر بخير، ولا تفترق عن نهاية أهل الجفاف إن لم يكن صار منهم وفيهم.

وأما القسم الآخر فهم المترسمون برسوم الإسلام، لا يعرفون منها إلا ظاهرها، ـ وأكثرنا ذلك الرجل ـ ترى أحدهم ـ أو أحدنا ـ يصوم، ويصلي، ويزكي، وربما يحج، ويصلي الجماعات، وقلبه مشحون بالغل، والحقد، والحسد، والكبر، والعجب، والرياء، وحب المحمدة والثناء، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، يتكلم عن الصدق مثلاً ـ وهو أول الكاذبين.

كاذب مع الله تعالى: في الوفاء بما عاهده عليه من صدق الإيمان، والتوكل عليه وحده في كل شان، واللجوء إليه في كل أمر من أموره، واعتقاد أنه وحده النافع الضار، الخالق المدبر، لا أحد سواه.

كاذب مع رسوله ﷺ: في محبته، واتباع سنته، متنكباً طريقته، ضارباً بسنته عرض الحائط، مبغضاً لأهل بيته.

كاذب في صلاته: إذا وقف يصلي لا يجد نفسه يطيق الخشوع للحظة من اللحظات، كأن الصلاة عنده فسحة للتفكير في كل شيء إلا الصلاة، فمن أين يأتي الخشوع؟! تراه لا يجد حل مشكلاته إلا إذا وقف في صلاته، يقوم ويركع ركعات جوفاء خالية من أي روح أو معنى، ولعله لا يدري كم صلى، ومع من صلى، وماذا قرأ الإمام؟ فأي صدق هذا؟ أليس هذا هو الكذب بعينه؟.

كاذب في زكاته: فأكثرنا يجد في الزكاة مغرماً وعبئاً ثقيلاً لا يدري كيف التخلص منه، فيتفنن في إيجاد الطرق التي تسقط عنه الزكاة، ويتعلم من الحيل (الشرعية) ما يدفع به عنه فرض الزكاة، ناسياً حق الله تعالى وحق الفقير.

والكثير منا كذلك لا يعرف الإخلاصُ إلى قلبه طريقاً في دفع زكاته، فيدفعها مباهاة أمام الناس، وفضيحة للفقراء والمساكين، وربما دفعها من المال الحرام... إلخ.

فأي صدق هذا؟!!!

كاذب في صيامه: فلا يعرف من صيامه إلا الجوع والعطش، أما فضيلة ليالي رمضان، وقيام ليالي رمضان، فحدث عنها ولا حرج ـ خاصة في أيامنا النحسات هذه ـ إذ انقلب

رمضان تراثاً، ولياليه فناً، وأنساً، تقف دون وصفها ليالي ألف ليلة وليلة، ومن منا ليس في بيته (الرائي) الذي ينقل ليالي الأنس - عبر محطات الفضاء - من هنا وهناك، تلك الليالي التي جعلت من حلقات الذكر والعبادة تراثاً يعرض أمام مجالس الاختلاط في تلك (الخيام) الرمضانية المحشوة بالسافرات من كل جنس ولون!!!.

ترى هل هذا هو الصدق في رمضان مع رمضان، ومع ليالي رمضان؟ يا حسرة على العباد!! أي صدق هذا؟؟؟

كاذب في حجه: إذ انقلب الحج تجارة، وطلباً للصيت والشهرة، وفرصة لزيادة الألقاب، ليقال له (الحاج فلان) ليس إلا، فلا هو صادق في نيته، ولا صادق في صرف ماله الحلال في سبيل حجه، ولا صادق في وقوفه بعرفة، ولا صادق في طوافه، ولا يعود من ذلك كله إلا بلقب (الحاج) وقول رب العالمين سبحانه: (لا لبيك ولا سعديك) فالمال حرام، والملبس حرام، والمركب حرام، وكل حركة من الحركات خالية من أي مظهر من مظاهر الصدق والإخلاص لله تعالى، فأي صدق هذا؟؟؟

وإذا ما ذهبت أعدد مظاهر الكذب في حياتنا مع الله ومع أنفسنا ومع من حولنا يكاد الكلام لا ينتهي.

لهذا كله كان لا بد من عودة إلى الله تعالى بالصدق، ولا بد قبل هذا من معرفته سبحانه حق معرفته، بالعلم، وصحبة الصالحين الصادقين، والتربية على أيدي المخلصين من أهل الله الذين تربوا في مدرسة الصدق، مدرسة سيدنا محمد ﷺ، ومدرسة الصحابة رضي الله عنهم، ومدرسة التابعين وتابعيهم من أهل الله العارفين، الذين عاشوا لله، وبالله، ومع الله، وفي الله، عرفوا حقيقة الدنيا، فجعلوها مزرعة للآخرة، عمروها بالطاعات، وراضوا نفوسهم وجنبوها المخالفات، امتثلوا قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾.

والصادقون الذين أمر الله تعالى بمصاحبتهم دلنا عليها في آيات أخرى؛ منها: قوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾. وقال تعالى: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس وأولئك هم**

المتقون﴾. وقال تعالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**. وقال تعالى: **﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾**.

فالصادقون: مؤمنون، موقنون، مصلون، مزكون، متقون، صابرون، وافون بالعهود، منتظرون أن يقتلوا في سبيل الله تعالى، وهؤلاء هم أهل التربية، وهؤلاء شيوخ التربية، الذين عرفوا أدواء النفوس، وأمراض القلوب فبادروا بعلاجها، والخلاص منها، وكانوا مصابيح الطريق لكل مريد.

وانظر معي إلى ما يقوله ابن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى عنه ونفعنا به، انظر إليه ماذا يقول في حكمه في شأن الصحبة:

(لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله، ربما كنت مسيئاً فأراك الإحسانَ منك صحبتُك إلى من هو أسوأ حالاً منك) (ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عنه نفسه)؟ (من رأيته مجيباً عن كل ما سئل، ومعبراً عن كل ما شهد، وذاكراً كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) (تسبق أنوارُ الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير)، (كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز)، (من أُذِنَ له في التعبير فُهِمَتْ في مسامع الخلق عبارته، وجُلِيَت إليهم إشارته)، (ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يُؤذَنْ لك فيها بالإظهار)، (عباراتهم إما لفيضانِ وجْدٍ، أو لقصد هدايةِ مريد، فالأول حال السالكين، والثاني حال أرباب المُكْنة والمحقِّقين، والعبارة قوت لعائلة المستمعين، وليس لك إلا ما أنت له آكل)، (ربما عبَّر عن المقام من استشرف عليه، وربما عبَّر عنه من وصل إليه وذلك يلتبس إلا على صاحب البصيرة).

تلك إذاً ضرورة وجود المربي، وأهمية الشيخ، والمرقي.

يقول أحد العارفين: (لولا المربي ما عرفت ربي). وعن بعض العارفين أيضاً: (لولا المرَقِّي ما عرفتُ رِقِّي - أي عبوديتي -).

ولعل كتابنا هذا نفحة من تلك النفحات الطيبة، المخلصة، التي جمعت من كلام أهل الصدق - المؤيد بالكتاب والسنة، ما ينير الدرب، ويضيء الطريق نحو مدارج السالكين إلى رب العالمين؛ فمؤلفه شيخ شيوخ التربية في وقته، وإمام العارفين في زمانه، فهو المدرسة التي خرَّجت الكثير من الشيوخ والمربين الذين أضاءت شمسهم ظلمات الأيام على مدى الأزمان.

وكم كنت أشعر وأنا أقرأ في هذا الكتاب (تهذيب الأسرار) كم كنت أشم فيه نَفَسَ صاحب الرسالة ـ أي الإمام القشيري ـ الذي وضع في رسالته خلاصة مذهب أهل التصوف، وكنت أحار في الرأي، وأقول هل هذا الكتاب مرجع الرسالة القشيرية أم هو يساويه أم يفوقه؟ وما أثلج صدري بالجواب إلا الإمام الذهبي في معلمته (سير أعلام النبلاء) حين ترجم للإمام الخركوشي النيسابوري: مؤلف هذا الكتاب العظيم، حين ترجم له وذكر أن من تلاميذه ـ أي تلاميذ الخركوشي ـ أعاظم الأئمة أولهم الإمام القشيري صاحب الرسالة، ثم الإمام البيهقي صاحب دلائل النبوة، وغيرهم كثير، ذكرتهم في ترجمته اللاحقة.

لذلك كم أسعدني الدهر بتوفيق الله تعالى لي أن عثرت على هذا الكنز الذي لا يعرف قدره إلا من عرف قدر موضوعه، كم سعدت بخدمته وأنا أقدمه إلى كل باحث عن ظلال العارفين ليتفيأها ويعيش في دوحتها، ويتنسم رياحينها المعطرة بنفحات الكتاب والسنة المطهرة، مقتبساً من أنوار هؤلاء السادة ما ينير الدرب وينعش الروح في سيرها إلى الله تعالى، ويتزود من تلك الأنوار ما يقوي عزائمه لمواصلة السير على درب الصادقين.

نسأله سبحانه أن يجعلنا معهم، ومنهم، وفي قلوبهم، وأن يفيض علينا من أنوارهم، وأسرارهم، ويمدنا بمددهم، وينفعنا ببركاتهم، وأن يجمعنا معهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فإننا وإن لم نعمل بعملهم ـ ولا نطيق ذلك إلا بتوفيق الله سبحانه ـ فإننا والله نحبهم وليس لنا ومعنا إلا حبهم، ومن أحب قوماً حُشِرَ معهم، فاللهم اشهد أننا نحبهم فلا تحرمنا فضلك في مرافقتهم في الدنيا والآخرة مع سيد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه يا نعم المولى ونعم النصير وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، ورحم الله عبداً قال: آمين.

وكتبه
راجي عفو مولاه الودود
بسام محمد بارود

١٤/ محرم/ ١٤١٩
أبو ظبي ١٠/ ٥/ ١٩٩٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو العارف بالله تعالى، الواعظ القدوة، شيخ الإسلام، الزاهد، الفقيه عبد الملك بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب، أبو سعد بن أبي عثمان الواعظ النيسابوري ـ المعروف بالخركوشي ـ نسبة إلى خركوش ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وضم الكاف، آخره معجمة، سكة بنيسابور، نسب إليها كثير من أهل العلم، منهم هذا الإمام القدوة، ولم أر من ذكر تاريخ ولادته ـ إلا أن كل من ترجم له ذكر سنة وفاته سنة ٤٠٧ هجرية = ١٠١٦ ميلادية، فهو من علماء القرن الرابع الهجري يوم أن كان التصوف عملاً.

تفقه في حداثة السن، وتزهَّد، وجالس الزهاد والمتجردين إلى الله، إلى أن جعله الله خلفاً لجماعة من تقدمه من العبَّاد المجتهدين، والزهاد القانعين.

سمِعَ بنيسابور: أبا محمد يحيى بن منصور القاضي، وأبا عمر بن نجيد، وأبا علي الرفاء الهروي، وأبا أحمد محمد بن محمد بن الحسن الماسرجسي.

وسمِعَ بالعراق: ـ بعد التسعين والثلاثمائة ـ، ثم خرج إلى الحجاز، وجاور حرم الله وأمنه مكة، وصحب بها العُبَّاد والصالحين وسمع الحديث من أهلها، والواردين عليها. ثم انصرف إلى وطنه بنيسابور، وقد أنجز له الله تعالى موعوده على لسان رسوله ﷺ: (في حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فينادي جبريل بذلك في السماء، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض). فلزم منزله ومجلسه، وبذل النفس والمال، والجاه، للمستورين من الغرباء، والفقراء المنقطع بهم، حتى صار الفقراء في مجالسه كالأمراء ـ كما قيل عن مجلس سفيان الثوري رضي الله عنه ـ، قد وفقه الله تعالى لعمارة المساجد والحياض، والقناطر، والدروب، وكسوة الفقراء العراة؛ من الغرباء والبلدية، وبنى داراً للمرضى، ووقف أوقافاً عليها، بعد أن خربت الدور القديمة لهم بنيسابور، ووكل جماعة من أصحابه المستورين

بتمريضهم، وحمل مياههم إلى الأطباء، وشراء الأدوية، وبنى في سكته مدرسة ووضع فيها خزانة للكتب.

وذكر ابن عساكر أنه أخبَرهُ الثقةُ أن الله تعالى ذِكْرُهُ قد شفَىٰ جماعة من هؤلاء المرضى فكساهم، وزودهم إلى الرجوع إلى أوطانهم.

تآليفه:

صنف رضي الله عنه في علوم الشريعة، ودلائل النبوة، وفي سير العبَّاد والزُّهاد، منها كتاب: «تفسير القرآن الكبير» ـ ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، وله أيضاً كتاب «الزهد». وكتاب «دلائل النبوة» وكتاب «البشارة والنذارة» في تفسير الأحلام، وكتاب «سير العباد والزهاد» و«شرف المصطفى» في ثمانية أجزاء وغيرها من علوم الشريعة. وألف كتباً نسخها جماعة من أهل الحديث، وسمعوها منه، وسارت تلك المصنفات في بلاد المسلمين تاريخاً لنيسابور، وعلمائها الماضين منهم والباقين.

وحدَّث عنه: الحاكم ـ وهو أكبر منه ـ، والحسن بن محمد الخلال، وعبد العزيز الأزجي، وأبو القاسم التنوخي، وأبو القاسم القشيري، وعلي بن محمد الحنائي، وأبو علي الأهوازي، والحافظ أبو بكر البيهقي، وأبو الحسين بن المهتدي بالله، وأبو صالح المؤذِّن، وأبو بكر بن خلف، وأحمد بن علي بن خلف الشيرازي وخلق كثير غيرهم.

قال الخطيب في تاريخه: كان ثقة ورعاً، وكان ممن وُضِعَ له القبول في الأرض. وقال السبكي في طبقاته: وكان فقيهاً زاهداً من أئمة الدين وأعلام المؤمنين، ترتجى الرحمة بذكره.

قال أبو الفضل محمد بن عبيد الله الصرَّام الزاهد: رأيت الأستاذ الزاهد أبا سعد، حضر مصلَّىً بنيسابور للاستسقاء في أيام أمسك المطر فيها، وبدا القحط، وكان الناس يتضرعون ويبكون، فصلى صلاة الاستسقاء على رأس الملأ، ودعا في الاستسقاء، وسمعته يصيح ويقول:

إليك جئنا وأنت جئتَ بنا	وليس ربٌّ سواك يُغنينا
بابك رحبٌ فناؤه كرَمٌ	تُؤوي إلى بابك المساكينا

ثم يدعو، ويقول: اللهم اسقنا. قال: فما أتم كلامه ثلاثاً، حتى سقينا كأفواه القرب.

وروى الثقة: أنه دخل على الإمام سهل الصعلوكي يوماً وكان عليه قميص غليظ دنس، فقال له الإمام: أيها الأستاذ، إن هذا الملبوس غليظ خشن، فقال: أيها الشيخ، ولكنه من

الحلال، فقال: أيها الأستاذ، إنه دنس، فقال: أيها الشيخ، إنه مما تصح فيه الصلاة. فسكت الشيخ.

قال عنه الحاكم: إنه الواعظ الزاهد ابن الزاهد، وإنه تفقه في حداثة سنه، وتزهَّد، وجالس الزهَّاد والمجردين، إلى أن جعله الله خلف الجماعة، ممن تقدمه من العباد المجتهدين، والزهاد القانعين. ولم أر أجمع منه علماً، وزهداً، وتواضعاً، وإرشاداً إلى الله ـ زاده الله توفيقاً، وأسعدنا بأيامه.

وقال ابن عساكر: كان يعمل القلانس، ويأمر ببيعها بحيث لا يُدْرَىٰ أنها من صنعته، ويأكل من كسب يده.

وفاته:

توفي رضي الله عنه سنة سبع وأربعمائة من الهجرة = ١٠١٦ ميلادية.

مخطوطة تهذيب الأسرار ـ موضوع كتابنا ـ:

تعتبر هذه المخطوطة التي بين أيدينا من أقدم المخطوطات في العالم نسخاً لهذا الكتاب حيث أن تاريخ نسخها يعود إلى القرن السادس الهجري، وتم تحديد تاريخ نسخها بالضبط كتابة في آخرها ـ كما ذكر الناسخ بقوله:

«وافق الفراغ منه لثمان خلون من ربيع الأول سنة ثمان وستمائة».

ولم أعثر فيما لدي من مصادر عن نسخ أخرى لهذه المخطوطة إلا نسخة ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ـ النسخة العربية ـ ذكر أنها موجودة في المكتبة الملكية في برلين. وبالرجوع إلى فهارس المكتبة الملكية في برلين تبين أنها أحدث من نسختنا هذه بمائتي سنة فنسختنا أقدم منها بل أقدم نسخة على وجه الأرض والحمد لله على ذلك، وقد بذلت جهداً في الحصول على نسخة المكتبة الملكية في برلين إلا أن عقبات كأداء حالت دون الحصول عليها.

أما النسخة التي اعتمدت عليها وهي نسخة دار الكتب الوطنية في المجمع الثقافي في أبو ظبي فهي نسخة جيدة جداً من حيث الخط، ومن حيث النظافة ويبدو أن حفظها كان جيداً رغم مرور السنوات الطوال عليها، إلا أنها لم تخل من بعض البقع في بعض أوراقها، وكذلك بعض التعفنات.. ولكن ذلك لم يؤثر على الكتابة إلا في جملتين اثنتين فقط على طول الكتاب وعرضه.

وقد كتبت هذه النسخة بخط جيد ومشكول وواضح، ودقيق جداً، حيث وجد في كل صفحة ثلاثة وخمسون سطراً، في كل سطر حوالَى خمس وعشرين كلمة. أما مقاسها: ٣٢ × ٢١سم، ٢٦ × ١٥ سم.

رقم تسجيلها في قسم المخطوطات في دار الكتب الوطنية في المجمع الثقافي: خ ١١٦٣.

ولم أعثر على هذا الكتاب مطبوعاً ولا محققاً، إلى أن وفقني الله في خدمة العلم وأهله في قسم المخطوطات المذكور فعثرت على هذه النسخة النفيسة فاستخرت الله ودعوته أن يوفقني للعمل على إبرازها إلى النور رغبة في النصح لي ولأحبابي المسلمين.

فاللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك مما لا نعلمه، ورحم الله عبداً قرأ الفاتحة هدية إلى جناب الحبيب الأعظم ﷺ وإلى أهل الله العارفين أينما كانوا وحيثما حلت أرواحهم، نفعنا الله بهم في الدارين وحشرنا في زمرتهم وعلى طريقتهم مع سيد المرسلين ﷺ، وجعل علمنا علماً نافعاً، يكون نوراً لنا في حشرنا ونشرنا وعلى الصراط إلى أن نلقى الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين.

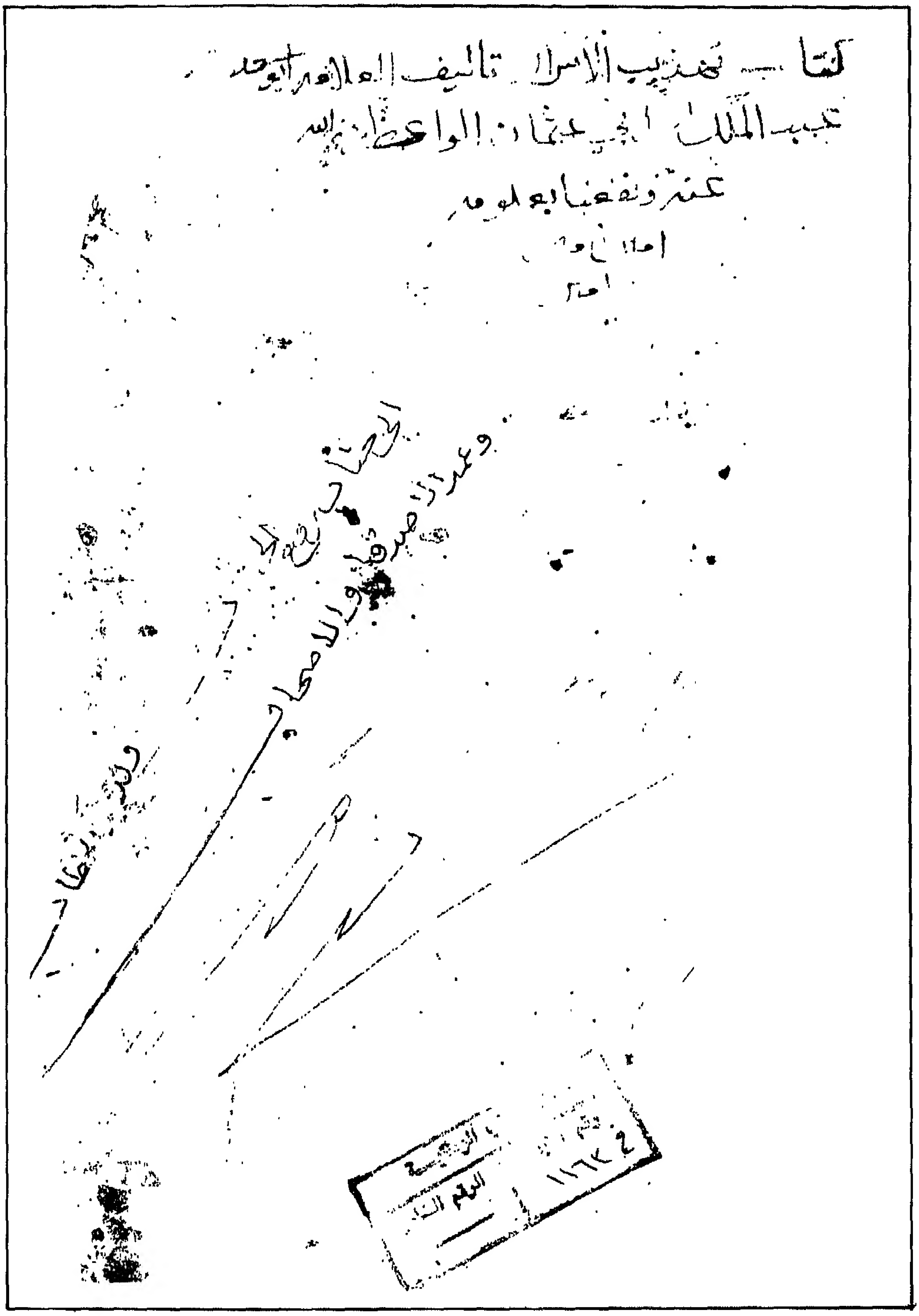
كتاب تهذيب الأسرار تأليف الإمام أبو سعد
عبد الملك ابن أبي عثمان الواعظ رضي الله
عنه ونفعنا بعلومه

راموز الورقة ١/آ «عنوان المخطوط»

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وتمم بالخير

قال عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ رضي الله عنه

باب اختلاف أهل الصفوة في معنى التصوف وأقاويل مشايخ الصوفية فيه

راموز الورقة ١/ ب «بداية المخطوط»

باب في ذكر بعض ما بلغني من رؤيا أهل الصفوة

راموز الورقة ٤٣/ب «آخر المخطوط»

راموز الورقة الأخيرة من المخطوط (٤٤/آ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رب يسر برحمتك

مقدمة المؤلف

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي لا تَحْسُنُ الأَشْيَاءُ إلاَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَوَّلُهَا، وَلاَ تَسْتَقِيمُ الأُمُورُ إلاَّ أَنْ يكونَ هُوَ مُدَبرهَا، الذِي اصْطَفَى صفوةً مِنْ خَلْقِهِ وخَصّهُم بحقَائِقِ مَعْرِفَتِهِ، وابتدَأهم بالمكنونِ مِنْ ذَخَائِرِ كَرَامَتِهِ، وَألْبَسَهُمْ لِبَاسَ وِلاَيَتِهِ، وَكَسَاهُمْ حُلَلَ كَرَامَتِهِ، وَالصلاةُ عَلَى شمسِ الأَنبِيَاءِ وَقمرِ الأَصْفِيَاءِ، وَسِرَاجِ الأَوْلِيَاءِ، عينِ القلادَةِ وَقطبِ الشريعة، نبيهِ المصطفى وَرَسُولِهِ المجْتَبَى، مُحَمّد سَيِّدِ البَشَرِ، عَدَدَ النُجُوم وَالحَرَكَاتِ وَالسُكُونِ، وَقطرِ المطرِ، وَوَرَقِ الشجرِ، وَأجزاء الرمْلِ والمَطَرْ، وَعلَىٰ آلِهِ الطَّيبينَ الطاهِرِينَ وأَصْحَابِهِ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَتِهِ أَجْمَعِين.

قال عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ رضي الله عنه: أمَّا بَعْدُ، فَإن شيخاً مِنْ أَرْبَابِ هذه القصة التمس مني أن أخرج لهُ صدْراً مِنْ مذهَبِ أَهْلِ التصوفِ، وَاخْتِلاَفِهِمْ في حقيقةِ هذا الاسم، وآدَابِهِمْ، وَسِيرِهِمْ في أَقْوَالِهِمْ وَافْعَالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِمْ في سِيَاحَتِهِمْ وَمُصَاحَبتِهِمْ، وَمَعَاشَرتِهم وَأحوالِهم، وَمَلْبَسِهِمْ وَمَأَكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمُشْتَق كُلِّ فِعْلٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آيَةٍ مُحْكَمَةٍ، أو سُنَّةٍ مَأثُورَةٍ، أَوْ حِكَايَةٍ عَنِ السلفِ مَرْويه، فلم يتقدَّرْ لِي ذَلِكَ، إلى أَنْ توفَّىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ الشيخَ، وَكَانَتْ مَسْأَلَتُهُ تصحَبُنِي وَلَمْ تَزَلْ فِي خَلَدِي، فَلَمَا جَدَّدْتُ العَزِيمَةَ لإِنْشَاءِ ذَلِكَ وَتَأليفهِ حكى لي بعضُ أصحابي أنه رأى ذلك الشيخَ في منامِهِ في أجمل هَيْئَةٍ وأحسنِ زَي قَاصِداً زيارتي، فزادني رؤياه رَغبةً في ذلك، وَتقدرَتْ لي استخارةُ اللَّهِ تعالَى في جَمْعِ بعضِ مَا انْتَهىٰ إليَّ مِنْ أَخْبَارِهِمْ على حَدِ الاختصارِ والإيجازِ، والاقتصارِ فِي ذَلِكَ على مَا هُوَ أَقْرَبُ إلى الأفهام، وَأَدْنَىٰ إِلى عُقُولِ الْعَوَامِ؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ «أمرتُ أنْ أكلم الناس عَلى قَدْرِ عُقُولِهِمْ»[(١)].

---

(١) قال في المقاصد: عزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم) قال وسنده ضعيف جداً. ورواه في الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز بلفظ (أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم) انظر الكشف (١٩٦/١).

قال عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ ـ رضي الله عنه ورحمه: هَذَا مَعَ تَجَاوُزِي عَنْ ذِكْرِ أقاوِيلهم فِي الشَّطْحِ، وَمَا حُكِيَ عَنْهُمْ في حَالِ السُّكْرِ فَقَدْ حُكِيَ عنْ بعضهم أن. . .[1] له نشطحُ عَنِ العِلْمِ، ويشبه أَنْ يكونَ ذَلِكَ مِنْ كَلاَمِهِمْ في غَير حَالِ الصحْوِ، وَقَالُوهُ فِي غلبةِ الأحوالِ عليهم، كَمَا رُوِيَ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «قوموا إلى سيدكم». فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنه: سيدُنَا اللَّهُ[2]. وَكَمَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قال لها النبي ﷺ: «قد أنزل الله تعالى بَرَائَتَكِ» فقلتُ: بحمدِ الله لا بِحَمدِكَ. فقال النبي ﷺ: «عَرَفْتِ الحمدَ لأهلِهِ»[3]. في أشباهٍ لِذَلِكَ يَطُوْلُ الكِتَابُ بِذِكْرِهَا، وَاللَّهَ أسأل أَنْ يُوفِقَنَا وَجَمِيعَ المسلمين لما يُحِبُّ وَيَرْضَى، ويُجَنِّبَنَا عَمّا يسخطُ وَيَكْرَهُ وَيَأبىٰ، ويعيننا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَيُعِيذَنَا مِنَ الْعَذَابِ الألِيْمِ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرجيم، ويؤتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وَيَقِيْنَا عَذَابَ النار، وَعَذَابَ القَبرِ، وَيَحْشُرَنا في زُمْرَةِ الأَبْرَارِ، وَيدخلنا الجنة دَار القرارِ، إنه الرحيم الغفار.

(١) كلمة مطموسة.

(٢) حديث (قوموا إلى سيدكم) رواه الشيخان عن أبي سعيد مرفوعاً، والمراد بـ(سيدكم) سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته وفيه دليل على طلب القيام لأهل الفضل ونحوهم على سبيل الإكرام، وقد ألف الإمام النووي رسالة في ذلك أجاد فيها.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٦٠).

باب اختلاف أهل الصفوة
في معنى التصوف وأقاويل مشايخ الصوفية فيه

أخبرنا: أبو عَبْدِ اللَّهِ محمد بن أحْمَدَ بن مُوْسَى الشيرَازِي بمكَّةَ، قال: أخبرَنَا الإمام الزاهدُ أبو سعدٍ، قال: أخبرنا أبو الحسن زيدُ بن عَبْدِ اللَّهِ البلوطي ـ بالأكْوَاخِ مِنْ أرضِ الأردُنِ ـ قال: حَدَّثَنَا أبو إسماعيل إبْرَاهِيمُ بنُ حَاتِمِ البَلُوطِي، قَالَ: حَدثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرحمٰنِ، قَالَ: حَدثَنَا أحمدُ بنُ عَطَاءِ الْهُجَيمِيُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عمرو، عَنْ إسحقَ بن نُوحٍ، عَنْ مَكحُولٍ، عَن أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ صَوْتَ أَهْلِ الصُوفِ يَدْعونَ فلم يُؤمِّنْ عَلى دعائِهِمْ كُتِبَ مِنَ الغَافِلِينَ»(١).

وعن عبد الواحد بن زيد قال: «الصوفية: القائمون بعقولهم على هُمُومِهِمْ، العَاكِفُونَ عليهَا بقلوبهم، المعتصمون بالله من شر نُفُوسِهِمْ.

وَعَنْ إبرَاهيم بن أدهَم قَالَ: التّصَوفُ: عُلُوُّ الهِمَمِ عَمّا تَنَافَسَتْ فيهِ الأُمَمْ، مَخَافَةَ أَنْ تَزِلَّ القدمُ، وَالزُهْدُ فِيمَا أحل الله تعالى لا فيما حَرّمَ».

وَقَالَ سَرِيّ السقطيُ: «الصُوفِي هُو الذي لا يُطفىء نورُ مَعْرِفَتِهِ نُورَ وَرَعِهِ، وَلاَ يَتَكَلمُ بِبَاطِنٍ مِنَ العِلْمِ، ينقضُهُ عليه ظَاهِرُ العلمِ، وَلاَ تحمِلُهُ الكَرامَاتُ عَلى هَتْكِ اسْتَارِ المحَارِمِ».

وفي رِوَايةِ البَصْري عَنْ سَرِي السَّقَطِيْ قَالَ: «الصُوفِي أميرٌ وَالفَقِير مُؤتَمَرٌ، وَالصُوفي قَاض وَالفَقير مقْضي عليه، والصوفي مَطلوبٌ وَالفقير طَالِبٌ، وَالصُوْفِي مُرَادٌ وَالفقير مُرِيْدٌ، وَالصُوْفِي بحر وَالفقير نَهْرٌ».

وقال سريُ السقطِيُ أيضاً، مثَل الصُوفي مَثَلُ الشَمسِ تَطلعُ على كُل شيء، والأرْضِ يَطؤهَا كُل شَيءٍ وَالماءِ يَشْرَبُ مِنْهُ كُلُ شَيءٍ، وَالنار يستضيء بِهَا كُل شَيءٍ».

وعَنْ ابن حمزةَ أنه سُئِلَ عَن التصوف، فقَالَ: «الصُوْفِي الصّادِقُ له علامَةٌ، وَالصُوْفِي الكَاذِبُ لَهُ علامَةٌ؛ فعلامَةُ الصادِقِ أنْ يذلَ بعد العِز، وَأن يفتقر بعد الغنى، ويختَفِي بعد الظهور، وعَلاَمَةُ الكَاذِبِ بخلاَفِ هَذَا».

وعَنْ أبي جعفرِ القصّار أستاذُ الجُنَيْدِ قَالَ: «التَّصَوُّف خُلُقٌ كَرِيمٌ، ظَهَرَ في زَمانٍ كَرِيمٍ، عَلَى رَجُلٍ كريم، مَعَ قومٍ كِرَامٍ».

وعن مَعْروفِ الكرخي قال: «التصوفُ الأخذُ بالحقَائِقِ، وَالكَلاَمُ في الدّقَائِق، وَالإياسُ

---

(١) لم أجده فيما لدي من مصادر.

مما فِي أيْديْ الخَلائِقِ».

وَقَالَ الجُنيد[1]: «الصوفي لاَ يشتغل بالأغْيَار[2] عَنِ اللَّهِ عَزّ وَجَلّ».

وعَنْ أَحْمد بنِ حَنبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أنه قيل لَهُ: إنّ هَؤلاَءِ الصُوْفية جَلَسُوا في المسَاجِدِ على التَوكُل بغير علم، فَقَالَ: الْعِلْمُ أقعدَهُمْ في المَسَاجِدِ. قيل: إن همتهم كِسْرَةٌ، قَالَ: لاَ أَعْلَمُ أقواماً عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أكبرَهِمَة مِنْ قومٍ همتهم كسرةٌ. قيل: إنهم يقومونَ ويرقُصُون فَقال دَعوهم يفرحونَ مَعَ اللّه سَاعَةً.

وقال ذَو النُونِ وَقَدْ سُئِل عَنْ التصوف، أهو مشتق أوْ لقبٌ؟ فَقَالَ: قيل في صَفَويةٍ فستَرُوا ذَلِكَ الصفاء بالصُوْفِيَةِ عَلى ستِرِ العملِ وَكِتْمَانِهِ عَمَّا يُوجِبُ الرِيَاء. وَقَالَ بعضهُم: معَاشرة الصُوفية سَهلة لينة يحتملك ويحتمل تخلقاً بأخلاق الله عزّ وجل.

وعن بشر بن الحارث قال: الصوفيّة لم يُعْرَفُوا إلاّ بِهِ، وَلَمْ يُكْرَمُوا إلاّ من أَجْلِهِ، ولَيَظْهَرَنَّ هَذَا المَذْهَبُ حَتَّى لا يَكُونَ الدينُ إلاّ للَّهِ عَزَّ وَجَلْ.

وعن حَمْدُون القصار ـ قَالَ: اصحبِ الصوفية، فَإن للقبْحِ عِنْدَهُمْ وُجوهَاً مِنَ المَعاذِيرِ، وَلَيْس للإِحْسَانِ عِنْدَهُمْ كَبِيرُ مَوْقِعٍ يُعَظِّمُونَكَ بِهِ.

وقَالَ أَبُو سَعِيدِ الخرَّاز: التَصَوُّفَ التمكينُ مِنَ الوَقْتِ. وَسُئِلَ الخَرَّازُ عَنِ التصوفِ فَقَالَ: مَا ظَنَّك بِأَقْوَامٍ أعطوا حتى بُسطُوا ومُنِعُوا حَتَّى فُقِدُوا، ثم نُودُوا مِنْ أسرَارِ قريبةٍ ألا فَابكُوْا عَلَيْنا.

وَقَالَ الجنيدُ: التصوفُ ترك الاخْتِيَارِ. وَقَالَ أيضاً: التصوفُ عُنوةٌ لا صلحَ فِيْهَا. وَقَالَ أيضاً: المُتَصوفَة هُمُ القَائِمُونَ مَعَ اللّه تَعَالَىٰ مِنْ حَيْثُ لاَ يعلمه إلا الله. وقال أيضاً: أَهْلُ التصوف أهلُ بيتٍ وَاحِدٍ لا يدخُلُ فيهم غيرهم. وقال أيضاً: التصوفُ ذِكر مع اجتماعٍ، وَوَجْدٌ مع استماعٍ، وَعَملٌ مع اتبَاعٍ.

وَقَالَ أيضاً: الصُوْفِي صِفَتُهُ ثَلاَثٌ؛ كَالأرْضِ يَطَؤهَا البَرُ وَالفَاجِرُ، وَكَالسحَابِ يُظلُّ كُلّ شَيْءٍ، وَكَالقَطْرِ يسقِى مَا يُحِبُ وَمَا لا يحب.

---

(١) الجنيد بن محمد أبو القاسم الخزاز، كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له القواريري، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق، وكان فقيهاً، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وصحب سرياً السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما كثير، وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة، توفي رضي الله عنه في آخر ساعة من يوم الجمعة سنة ٢٩٧هـ.

(٢) الأغيار: كل ما سوى الله عز وجل.

وَقَال أيضاً: مثل الصُوفِيِّ كمثل الأرض يُطرَح عليها كلُّ قبيح، وَلاَ يخْرجُ مِنْهَا إلا كلُ مليح. وَقَالَ أيضاً: الصُوْفِيُ مَنْ يكُونُ قلبه قلبَ إبراهيم الخليل عليه السلام، سليماً مِنْ حُبِّ الدُنيَا، مؤتمراً لأمرِ الله عزَ وجَلّ، وَيَكونُ تسليمه تسليم إسْمٰعِيل نبي الله، ويَكُونُ حزنه حزنَ دَاودَ نبي الله وَيَكُونُ فقره فقر عيسَى عليهِ السلاَمُ، وَيَكونُ صبره صبر أيوبَ، وَشوقهُ شوْقَ مُوْسَىٰ عليهِ السلام عند المُنَاجَاتِ، صلواتُ اللّهِ عليهم أجمعين، وَيَكُونُ إخلاصُهُ إخلاصَ نبينا محمدِ المصطفى ﷺ. وَقَالَ أيضاً: إذا رَأيتَ الصُوفِي يعني بظاهره فَاعلم أن باطنَهُ خَرَابَ! وَرُوِيَ عنه أنه قَالَ: التصوفُ مبني على ثمانِ خِصَالِ، السخاء، وَالرضا، وَالصبرُ، وَالإشارَةُ، وَالغربة، وَلبْس الصوف، وَالسِيَاحَةُ، وَالفقر. فَالسخاء لِإبرَاهيمَ، وَالرِضَا لإسحقَ، وَالصبرُ لأَيُوبَ، والإشارَةُ لِزَكَرِيَا، وَالغرْبَةُ ليحيَى، وَلُبْسُ الصوفِ لِمُوسَىٰ، وَالسِيَاحَةُ لعيسَى، وَالفَقْرُ لنبينَا محمدٍ ﷺ.

وعَنْ أبي جعفرِ النَيْسَابُوريِّ الصُوْفِي قَالَ: مَنْ هَذِهِ أحواله وَأَخْلاَقُهُ فقد أخَذَ العفو، وَأمرَ بالعرفِ، وَأعرضَ عن الجَاهِلينَ[1].

وَسئل أبو عثمان الحيري مَن الصُوْفِي؟ قَالَ مَا قَالَ اللّه تعالَى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[2]. وقال: الصُوْفِي لاَ يعجب بعملهِ، لأن مَنْ أعجب بعملهِ فقد استخف نعم رَبِهِ.

وعنْ أبي يَزيدِ البسطَامِي لما سُئلَ عنِ التصوفِ، فَقَالَ بلسَانِ الشريعةِ، أم بلسَان الحقيقةِ، أمْ بِلَسَانِ الحقِ؟ فَقَالَ القَائِلُ: مَا معنى الألسنَة الثلاثة؟ فقالَ: أما بِلسانِ الشريعةِ فتصفيه القلْبِ مِنَ الكُدُورةِ، وَاستعمال الخُلُق مَعَ الخليقة، واتباع الرسوْلِ في جميع الشريعةِ. وأما بلسَانِ الحقيقةِ، فعدمُ الجنايات بَلْ عدمُ الحَيَاةِ وَجميع الشياتِ، وَالانعِتَاقُ مِنْ رقِ الشهواتِ، والخُرُوجُ مِنْ عين الشُبُهَاتِ، وَمَحو أحْكَامِ الصفَاتِ، وَتركُ جميع المألُوفَاتِ، والاكتفَاء بخالقِ السمواتِ. وَأمّا بلسَانِ الحقِ: فإنّ الحقَّ اصطفى الصُوفية بصفاته عنْ صِفَاتِهِمْ فصَافَاهُمْ فَسُمُوا صُوْفِيةً.

وعنْ أبي يزيدِ البَسْطَامِي قَالَ: إن الحقَ اصْطفَى الصُوْفِية بصفاتِهِ عَنْ صفاتهم فَصَافَاهُمْ

---

(١) عملاً بقوله تعالى لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

(٢) قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فسموا صُوفيةً.

وَقَالَ أيضاً: التَّصَوُفُ هُوَ طَرْحُ النَفْسِ فِي العُبُودِيةْ، وتعليقُ القلبِ بالرُبُوبِيةْ، واستعمالُ الأخلاق السنيةْ، والنظَرُ إلى الله سبحانَهُ بالكليَةِ.

وعَنْ سهل بن عبد اللَّهِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قال: الصُوْفي من كَانَ دَمُهُ هَدْراً، وَمُلْكُهُ مُباحاً، وَلَم يَرَ الأَشْيَاء إلاَّ من اللَّهُ تَعَالَىٰ، وتسبيحُه الرحمةُ لجميع خلقِ اللَّهِ.

وَقَالَ أيضاً التصوفُ قلة العداء، والسكون إلى رَبِّ السماء، واللجأُ إلى الحق، بسكونِ الْقَلْبِ مع الْحَقِ، وَالهَرَبُ من الخلق. وعن أبي الحسين النوري[1] قال: التصوفُ: هُوَ تَرْكُ كُل حَظِ النفسِ.

وَقَالَ أيضاً: نعتُ الصُوْفِي السكُون عِنْدَ العدمِ، وَالإِيثَارُ عند الوُجودِ. وَقَال مرة أخرى: الصُوْفِيُ هُوَ التَارِكُ لحظُوظِ نفسهِ لحظِ الحقِ فيهِ. وَقَالَ أيضاً: التَصوّفُ الصَوْلَةُ على الوَقْتِ. وَقَالَ أيضاً: مَنْ وَجَدَ وتواجدَ فهو صوْفيٌ.

وَقَالَ جابر بنُ دَاودَ: التصوف إرادة الحقِ في الخلق بلا خلق.

وعن محمد بنِ علي الترمذي أنه قَالَ: الصُوْفِي مَنْ يَكُونُ مجمُوعَ الهمَمِ على الحق، فمتى تفرقت هممُهُ فليسَ بصوفِي.

وقال أبو العباس بن مَسْرُوقٍ: المتصوفة إما أن يعذَّبُوا بعذابٍ لم يعذبْ به أَحَدٌ من العَالَمِينَ، أوْ ينعَّمُوا نعيماً لم ينعَّم بِهِ أحدٌ مِنَ العَالَمِينَ.

وعن المزنى الكبير أنه قال: التصوف خُلُقٌ، وخلوّ الأيدي مِنَ الأَمْوالِ، وَصَفَاء النفوسِ من الآمَالِ، وَمُرَاعَاةُ الحق على كُلِ حَالٍ.

وَقَالَ أبو عَمْرَو الدمشقي: التصوفُ الخشُونَةُ.

وعن الوليد بن القاسم قَالَ: التصوُّف حفظ حركاتِ الصِفَاتِ عَنِ اتِبَاعِ الشهواتِ، وَالمُسَارَعَة إلى اختيَارِ الحقِ في جميع المُرَادَاتِ.

---

(١) أبو الحسين النوري هو أحمد بن محمد، بغدادي المنشأ والمولد، خراساني الأصل، يعرف بابن البغوي، كان رضي الله عنه من أجلّ مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاماً، مات رضي الله عنه في مسجد الشونيزية جالساً وبقي أربعة أيام لم يعلم أحد بموته فلم يمكن مدُّه على المغتسل فلما حملت جنازته نادى الشبلي خلفه: اضربوا على الأرض المنابر فقد رفع العلم من الأرض. توفي رضي الله عنه سنة خمس وتسعين ومائتين من الهجرة. (حلية الأولياء ـ أبو نعيم (١٠/ ٢٤٩) ـ تاريخ بغداد (٥/ ١٣٠) وما بعدها ـ طبقات السلمي (١٦٤) وما بعدها).

وعن أبي الحسين بن هند قَالَ: التَصَوّفُ مُصَافَاةُ الوُدِ.

وَقَالَ الكتانيُ: التصوفُ هو الصفوةُ وَالمشاهدة. وَقَالَ أيضاً: الصُوفِيُ من طَاعته عنده جناية يستغفر منها. وَقَالَ أيضاً التصوف هُو خُلُقٌ، من زاد عليك فِي الخُلُقِ فقد زَادَ عليك في التّصوفُ.

وعن أبي علي الرُوذباري قَالَ: التَصَوف هو صفو القُربِ بعدَ كُدُورةِ البعدِ. وَقَال أيضاً: أقبح مِنْ كُلِ قبيح صُوفِيٌّ شحيح.

وقال مرة التصوف اسم المحبين وهم الموثوقُونَ. وقال أيضاً: التصوفُ هو الإِنَاخَة على بابِ الحبيب وَإِنْ طُرِدَ. وَقَالَ أيضاً: التصوفُ حصار الأحرار. وقال: أيضاً: الصُوفيُ مِنْ: رَمَىٰ الحَرَكَاتِ بِالأَفْكَارِ، وَسَكَنَ عِنْدَ مجارِي الأقدَارِ، وَلَمْ يَتَنَاوَلِ الرِّفْقَ إِلاَّ بِمِقْدَارِ. وَقَالَ أيضاً: التَّصوْفُ زفَراتُ القُلُوبِ فِي ودَائِعُ الحضور. وسئل الحسين بن منصورِ عن التصوُّفِ وهُوَ مَصْلُوبٌ، فَقَال: أَهْوَنُهُ مَا ترى! وَقَالَ أيضاً: الصُوفيُّ الذِي لا يقبله أحدٌ وَلاَ يقبل أحداً. وقال أيضاً: الصُوْفي هُوَ المشير عن الله تعالَى، فَإِن الخلْقَ أَشَاروا إلى الله تعالى.

وَقَالَ الشبلي: الصُوْفِي في كُل عهد الله مُوْفِي. وَقَالَ: التصوف ضبط حواسِّكَ، وَمُرَاعَاةُ أَنْفَاسِكَ. وَقَالَ أيضاً: الصُوْفِي الذي لا يرى في الدَّارَيْنِ مَعَ اللّه غَيرَهُ. وَقَالَ أيضاً: هو المنقطِعُ عن الخلقِ غير متصل بالحَقِ، كَمُوَسىٰ عليه السلامُ قطعهُ عن الخلق، بقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾[1] وقطعه عن نفسِهِ سبحانه بقوله عز وجَلّ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[2] وَهَذَا محل التحيير. وَقَالَ أيضاً: هُوَ الذِي لا يملك شَيْئاً وَلاَ يملكُهُ شيءٌ. وَقَالَ أيضاً: الصوفية أطفالٌ في حجر الحقِ. وَقَالَ التصوفُ: هو العصمةُ عَنْ رُؤيةِ الكونِ. وَسئل مرةً عن التصوفِ، فَقَال: هُوَ بَرْقَةٌ مُحْرِقَةٌ.

وقال رويم: التصوفُ أوّلُ قَدَم فيهِ بذلُ الرُوحِ، فَإِنْ قدرت عليهِ وَإلا فلا تشتغل بالتُّرَّهاتِ[3]. وَقَالَ أيضاً: هو ترك التَفاضُلِ بين الشيئين[4]. وَقَالَ مرةً أخرى: هُو الوقوفُ

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤٠ ـ ٤١].

(٢) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٣) التُّرَّهة ـ كقُبَّرَة: الباطل، جمعها: تُرَّهات أي: أباطيل (القاموس مادة ت ر هـ).

(٤) بمعنى أن يرى كل ما يأتيه من الله خير ويستوي عنده الحجر والمدر. كما يستوي عنده المدح والذم، والمنع والعطاء.

مع كُل فعلٍ حَسَنٍ. وَقَالَ أيضاً: الصُوْفِيَةُ بخَيْرٍ مَا تنافروا، فَإِن اصْطَلحوا فلا خير فيهمْ[1].

وسُئِلَ عمرُو بنُ عثمانَ المكي عن التصوفِ، فقال: أَنْ يَكُونَ العبْدُ في كلُ وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَىٰ مِنْ ذَلِكَ الوقْتِ.

وَقَالَ أَبو العباسِ بنُ عطآءٍ: «الصُوْفِي الذي صَفا مِنْ كَدَرِ نَفسهِ وَخلص منْ أوْصَافِ حواسهِ. وَقَالَ أيضاً: فَضُلَتِ الصوفية على جميع الناسِ بالاستسلام، وَقال أيضاً: أولُ قَدم مِنَ التصوف، أنْ يكون العبد بين يدي الحقِ، كَالميتِ بين يدي غاسله، يحكُمُ فيهِ وَلاَ اختيارَ لهُ».

وعَن الجريري أنه قال: «التصوفُ مُرَاقبةُ الأحوالِ وَلزُومُ الآدابِ». وَقَالَ أيضاً: «الصُوْفيُ لا يلتَفتُ إلى نعمةٍ مستحسنَةٍ وَلاَ نقمةٍ مستقبَحةٍ». وَقَالَ أيضاً: التصوفُ اشتغال الإنسان في كل وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَى».

وعنْ قيسٍ بن عبد العزيز قَالَ: «التصوفُ الصبرُ على المكاره وَالفرارُ مِنَ المألوفَاتِ».

وَعَنْ أَحمد بنِ رَجَاءِ المكيِّ قَالَ: الصُوْفِي أَكْلُهُ أكل المرضى وَنَوْمُهُ نَوْمُ الغَرقَى.

وَعَنْ المزينِ: التصوفُ الانقِيَادُ للحق.

وَقَالَ يحيَىٰ العلوي: «التصوفُ تمكينُ الأسرَارِ إلى الانتهاء إلى حيثُ ليسَ وَرَاءهُ مُنْتهىٰ.

وَعَنْ أبي عبد الله القُرَشِي قَالَ: «التّصَوّفُ فقد صفاتِ الإنسانيةِ في الابتداءِ، وعقدُ صفات العبوديةِ في الانتهاءِ».

وَقَالَ أبو الحديد: «التصوفُ أنْ يُشرفَك على ملكِهِ، كَمَا يُشرِف غيرك على ملكه».

وعَنِ أبي الخصيب أنه سُئِلِ عن التصوف، فقَالَ: «هُوَ خلقٌ لاَ يصلح أنْ يستعمل إلاّ فِي طَاعَةِ الله عز وجَلّ».

وَقَالَ فَارِسُ البغدادِيُ: أحوالُ الصُوْفيةِ ثلاثة؛ أولهَا التيقظ والاعتِبارُ، وَالثاني الحياء والاستغفار، والثالثُ المعتبة وَالاعتذَارُ».

وعَنِ النصيبي أنه قَالَ: «الصُوْفِي الذي لا يتعبُهُ طلَبٌ، ولا يزعجه سَبَبٌ».

---

(١) وذلك لأن الأمور الذوقية لا اتفاق فيها كالطعومات ـ مثلاً ـ على درجات متفاوتة ويختلف الناس في التعبير عنها لا محالة فكل له ذوقه وأسلوبه وعباراته في التعبير عنها.

وعَنِ النباجِي[1] أنه قَالَ: «التصوفُ هو تقديس الأسرَارِ، عنِ التلطخ بالالتفاتِ إلى غيرِ الحقِ».

وَقَالَ أبو تُرَابِ النخشبِيُ: «الصُوفيُ الذِي لا يُكدره شَيءٌ ويصفو بهِ كُل شَيْءٍ. وَقَالَ أيضاً: «الصُوْفِي مَنْ صَفا لله تعالى».

وعَنْ سمنُونِ المحب[2] أنّهُ سُئِلَ عن التصوف، فَقَالَ: «الدخُولُ في كُلِ خُلقٍ سَنِي، وَالخُرُوجُ مِنْ كُل خُلُقٍ دَنِي». وَقَالَ أيضاً: «التصوفُ إرسَالُ النفسِ فِي أحْكَامِ الله تعالَىَ».

وَقَالَ أبو محمدِ المرتَعِشُ: «لاَ ينبغي للصُوْفِي أنْ تسْبق همته خُطْوته».

وعَنْ أبي زيدِ الورَاقِ أنه سُئِلَ عن التصوف، فقَالَ: كَمَا قَالَ الله تعالَىٰ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قيل: كيف صفتهمْ؟ فقال: كما قَالَ الله تعالَى: ﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

وَقَالَ إبراهيم الخواصُ[3]: «التصوفُ حَذْفُ التشرف، وَترك التكلف، واستِعْمَالُ التَّظرفِ.

وَعَنْ أبي سعيد الحسنِ بنِ يَسَارِ البصري أنه قَالَ: «التصوف الأنسُ بالمَعْبُودِ، وبذل المجهودِ وَتَرك الاشتغالِ بِالمفقودِ».

---

(١) أبو عبد الله سعيد بن يزيد النباجي أحد عباد الله الصالحين، يحكى عنه حكايات وأحوال والنباجي بكسر النون وفتح الباء الموحدة وفي آخرها الجيم هذه النسبة إلى النباج، قرية من بادية البصرة على النصف من طريق مكة. الأنساب (٥٥٢)، طبقات السلمي (٩٨).

(٢) هو سمنون بن حمزة ويقال: سمنون بن عبد الله أبو الحسن الخواص، سمّى نفسه سمنون الكذاب لكتمه عسر البول بلا تضرر. قيل إنه أنشد:

فليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فامتحني

إن كان يرجو سواك قلبي ... لا نلتُ سؤلي ولا التمني

فأخذه الأُسر - بضم الهمزة - وهو احتباس البول من ساعته؛ فكان يدور على الصبيان في المكاتب، ويقول: ادعوا لِعَمُكُم الكذاب!!.

صحب سرياً السقطي، ومحمد بن علي القصاب، والقلانسي وغيرهم، وكان يتكلم في المحبة بأحسن كلام وهو من كبار مشايخ العراق مات بعد الجنيد.

(حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٩، تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٤، طبقات الشعراني ١/ ١٠٤).

(٣) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص أبو إسحاق أحد من سلك طريق التوكل، وكان أوحد المشايخ في وقته، من أقران الجنيد والنوري، له في السياحات والرياضيات مقامات يطول شرحها، مات رضي الله عنه في جامع الري سنة إحدى وتسعين ومائتين من الهجرة. (حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٥، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦/ ١٠٧).

وَقَالَ أبو سُليمنَ الدَّارَاني[1]: «التصوُّف أَنْ تكُونَ أفعاله لا يعلمها إلا اللَّهُ عز وجل، وأَنْ يكون مع الله تعَالَى بِمَا لاَ يعلمُهُ إلاّ الله عز وجل».

وَقَالَ أبو يَعْقُوبِ النَّهْرَجُوْري[2] لَمّا سُئِلَ عن التصوفِ: «آه آه تلك أمةٌ قَدْ خَلَتْ، ثم قَالَ: يَا أخي زفراتُ القلوبِ بِوَدَائع الحضور مِنْ حيث خاطبهَا الحقُ سبحانَهُ، وهي في صورةِ الذر فأخبر عنها إذْ قَالَ عز وَجلَّ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[3]

وَعَنْ أبي الحسين السنجاري قَالَ: «الصُوْفِي من صام وَصَلّى فيما أقبل وَتولَى، وَتزهَّدَ وتَخَلّى، وَارتَقَعَ وَتعَلّى، فَإِنْ خَطَر بِبَالِهِ شيءٌ قال: كَلاَ.

وعَنِ الحَسنِ بنِ أحْمَد المَسُوحِيِّ قَالَ: «التَّصوفُ هُوَ قَطعُ العلائق، وَالأخْذُ بالحقَائِقِ، وَالكَلاَمُ في الدقَائِق، والإياس مِنَ الخلاَئق».

وَقَالَ أبو علي المكي: «التصوفُ اسم يجمع ثلاثاً؛ الوفاء، وَالصفاءَ، وَالعَفَاء؛ فالوفاء مَعَ الله عز وجل، والصفاء مِنَ البشرية، والعَفَاء مِنَ الخلقِ».

وعَنْ ممشاد الدينوري[4] قال: «التصوفُ صفاء الأسرَار، والعمل بِمَا يرضي الجبار، وصحبة الناس بلا اختيار». وَقَالَ أيضاً: «هو إظهار الغِنَا، وَقِلة معرفةِ الناسِ، وترْك مالاَ يعني».

وسئل أبو علي الأصفهاني - صَاحب سهلٍ - عن الصُوْفِي فَقَالَ: «الصُوفي من لبسَ الصوفَ على الصفا، وأطعم الهوى ذَوقَ الجفا، وَرَمَى الدنيا خلف القَفَا، وسَلَكَ منهاج المصطفى».

---

(١) أبو سليمان الداراني، عبد الرحمن بن عطيه، أحد الأقطاب والأوتاد من أهل داريا قرية من قرى دمشق - توفي رضي الله عنه سنة ٢١٥هـ.

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري من أصحاب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي وغيرهم من المشايخ أقام بالحرم سنين كثيرة مجاوراً وبه مات، وكان أبو عثمان المغربي يقول: ما رأيت في مشايخنا أنْوَرَ من النهرجوري. مات رضي الله عنه سنة ٣٣٠ هجرية.
والنهرجوري: نسبة إلى نهرجور بين الأهواز وميسان (معجم البلدان ٥/ ٣١٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، طبقات الشعراني ١/ ١٣٠).

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٤) هو ممشاد الدينوري، من كبار مشايخ الصوفية، صحب يحيى الجلاء ومن فوقه من المشايخ، قال عنه السلمي: عظيم المرمى في هذه العلوم، أحد الفتيان، كبير الحال، ظاهر الفتوة. ذكر أبو زرعة أنه مات سنة ٢٩٩ هجرة. (حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣ - طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، الرسالة القشيرية ٣٣، طبقات السلمي ٣١٦).

وَقَالَ أبو علي الحسن بن حنش: «الصوفية قومٌ اَصْطُفُوا فَصُفُّوا فَصَفَوْا فَسُمُّوا صوفية».

وَعَنْ أبي الحسين بن جرير قَالَ: «الصُوْفِيُ الذي لا تستره أرضٌ وَلاَ سَمَاءَ، وَلاَ يستره إلا رؤية الضِدِ».

وَقَالَ أبو بَكْرِ محمد بن موسى الواسطي[1]: «الصوفيُ مَنْ نَطَقَ بِالعِبَرِ وَنَوَّرَ سِرَّهُ بالفِكَرِ».

وَقَالَ أيضاً: «كَانَ للقومِ إشاراتٌ فَصَارَتْ الآنْ حَرَكَاتٌ، وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ الحسراتُ».

وعن علي بن سهل قال: «الصوفيُّ مَنْ صَفَا مِنَ البَلاَيَا، وَغُيِّبَ عَنْ مُطَالَعَةِ العَطَايَا».

وَقَالَ القزويني: «التصوفُ علمٌ مِنْ غيرِ تَعَلُّمٍ، وَحَالٌ مِنْ غيرِ تكلفٍ».

وَقَالَ أبو جعفر الحدَّاد[2]: «التصُّوف هو السكون إلى الله عزَّ وجلَّ، وقلة الغذاء، والهرب من الخلق».

وَعَنْ عَلِي بنِ عبدِ اللَّهِ قال: «التصُّوفُ علمٌ غابَ وصفهُ وبقي حقه».

وعن أبي الحسين الزنجاني قال: «التصوُّفُ هو صدقُ المعاملة، وَكَمَالُ العبُودِيَّةِ والافتقارُ إلى الله عزَّ وجلَّ، وحسن القُدْوَةِ برسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَقَالَ أَبُو الحُسين الورَّاق: «الصُّوفِيُّ مَنْ إذا استقبله حالان كان مع الأحسن والأعلى».

وسُئِلَ أبو عبد الله بن الجلاء[3]: ما معنى الصوفي؟ فقال: «فقير مجرَّدٌ مِنَ الأسبابِ». وسُئِلَ عن التصوُّف، فقال: «هو أن يكون مع الحقِّ بلا مكانْ، ولا يمنعه الحقُّ علم كل مكانْ».

---

(١) أبو بكر الواسطي واسمه محمد بن موسى كان يعرف بابن الفرغاني، من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري، وهو من علماء مشايخ القوم، لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالماً بالأصول وعلم الظاهر. دخل خراسان، واستوطن كورة مرو، ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة من الهجرة. (حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٩ ـ طبقات السلمي ٣٠٢، والمنتظم ٦/ ٢٦٢).

(٢) أبو جعفر الحداد الكبير الصوفي من أقران الجنيد وأبي تراب النخشبي ورويم، سافر ودخل دمشق وكان شديد الاجتهاد معروفاً بالإيثار، وكان رئيساً للصوفية في وقته. (تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٢، تاريخ دمشق ـ ابن عساكر ٤٧/ ٢٩) طبقات السلمي ٢٣٤.

(٣) أبو عبد الله بن الجلاّء، أحمد بن يحيى ويقال محمد بن يحيى، أصله من بغداد، أقام بالرملة ودمشق، وكان من جُلَّة مشايخ الشام، وكان عالماً ورعاً، وكان يقال: إن في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لا رابع لهم، الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام. توفي سنة ثلاثمائة من الهجرة. (حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤، طبقات الشعراني ١/ ١٥٢، طبقات السلمي ١٧٦).

وَقَالَ ابن يزدانيار[1]: «التصوفُ حسن القبول مع الديانة، والصدق مع الصيانة، والصفاء مع الوفاء».

وقال غانم بن سعيد: «التصوفُ إعزاز الفقر وتعظيم الحق».

وسُئِلَ عُثْمَانِ المغربي عن التصوف، فقال: «حالُهُ حيرةُ تبلبُلٍ، ولم يبقَ للمتحيِّر اسمٌ يُعْرَف بِهِ».

وَكَانَ أبو حَاتم العطارُ إِذَا رأى الصوفيةَ قَالَ لهُمْ: «يَا سَادَتِي قد نشرتم أعلامكم، وَضَرَبْتُمْ طُبُولَكُمْ، فَيَاَ لَيْتَ شعري في اللقاء أي رِجَالٍ تَكُونُونَ».

وَقَال القحطبي: «الصوفي الذِي سيمة نفسه جميع مَا ظَهر من نعوتِها، واستخفت بكل بادٍ بدَا مِنْهَا، واستَوحشت منْ جميع مَا تَقرّبَ المتقرِبُونَ بهِ، وانقطَعَتْ عن الشواهدِ وَالفَوائِدِ، وَعَجَزَتْ عنْ مواجهةِ الحقِ بحالٍ.

وعَنْ أبي بَكرٍ بن سنان أنه قالَ: «التصوف هو أن تتبيَّن فيكَ عينَ العجزِ، ويبينَ فيك عينُ اقتدارِ وَلِيِّكَ لكَ».

وعَنِ الزنجاني قال: «التصوفُ اسقاطُ الجاهِ، وَسَوادُ الوجه في الدنيا والآخرة، وكُل مَن رَجَعَ إلى الله فتوهم أنه وحده، أوْ إلى نفسهِ فوجَدَهَا، أوْ إلى الخلق فَوَجَدَهُمْ كَانَ معلولاً».

وَقَالَ يُوسفُ بنُ الحسين: «التصوفُ حمل المؤن في الله عزَّ وجلَّ إلى أنْ تنقضي أوقات المكرُوه. وقال أيضاً: خيارُهم خيار الناسِ، وَشِرَارُهُمْ خيار شِرَارِ الناس، فهم الخيار على كل حالٍ».

وَقَالَ أيضاً: لكُلِ أمةٍ صفوة هم وَدِيعة الله تَعَالَىٰ الذينَ أخفاهُمْ عَنْ خَلقِهِ، فَإِنْ يكن منهم في هذه الأمة قَوْمٌ فهم الصُوْفِيَةُ».

وقَالَ أبو بكر الوراقُ[2]: «الصُوْفِي مِنْ صفا قلبه من كل دنَسٍ، وسلم صَدره لكل

---

(١) هو الحسين بن علي بن يزدانيار، أبو بكر، من أرمية - بين تبريز وأربل -، له طريقة فضلى في التصوف، وكان من علماء الصوفية في القرن الرابع الهجري، من أقواله: «إياك أن تطمع في حب الله وأنت تحب الفضول، وإياك أن تطمع في حب الأنس بالله وأنت تحب الأنس بالناس، وإياك أن تطمع في المنزلة عند اللهوأنتَ تحب المنزلة عند الناس». (حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٣، طبقات ابن الملقن ٣٧٣، طبقات الشعراني ١/ ١٣٣).

(٢) هو محمد بن عمر الحكيم، أبو بكر الوراق، أصله من ترمذ، وأقام ببلخ، لقي أحمد بن خضرويه وغيره =

أحدٍ، وسخَتْ نفسُهُ بالبذلِ والإيثارِ».

وقال أبو بكر بن طاهر: «الصُوفِيُ لاَ يَرْضَىٰ من اللَّهِ بالكونين لأنْ من رَضِيَ منه بغيره خَابَ وخسر».

وَقَالَ الزَقّاقُ: «الصُوْفِي مَنْ جُعِلَتْ أفعاله قُدوَةً للمريدين.

وقَالَ: أبو يعقوب المزابلي «التصوف حَال تضمحل فِي معالم الإنسانية».

وعَنْ حَسُّون الديْنَوري: التصوف مراعاة المعبودْ، وَتركُ المفقودْ، وأخذ القوَام مِنَ الموجودْ».

وعن أبي بكر الزاهدآبادي أنه سئل عن التصوف، فقال: «ترك أمنيةِ النفسِ».

وقال: التصوف عندنا أنْ لا يعيشَ إلاَّ مَعَ مَنْ لاَ بُدّ له منه في الدنيا وَالآخِرَةِ.

وعن أبي محمد الزنجاني أنه قال: «التصوفُ إخراجُ الأشغال مِنَ القَلْبِ».

وسُئِلَ أبو بكر الحلنجي عن التصوف، قَالَ: «هُوَ الصفا، والصفاء هو موجبه في الحقيقة، وهو عدم الكذب». قال أبو الحسن السيراوني الكبير[1]: «الصُوْفي مَنْ يكُونُ مَعَ الوَارِدَاتِ لا مَعَ الأوراد» وقال جعفر بن محمد بن نصير الخلدي[2]: «التصوف طرح النفس في العبوديةْ، والخُروجُ من البشريةْ، والنظر إلى الله بالكليَة.

وقال أبو الحسن البوشنجي[3]: «التصوف قصر الأملْ، ومداومة العملْ، وكثرة الوجلْ،

= وصنف في الرياضيات والمعاملات. من كلامه: من أرضىٰ الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات. توفي رضي الله عنه سنة ٢٤٠ من الهجرة. (حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠٦، طبقات ابن الملقن ٣٧٤).

(١) هو علي بن جعفر بن داود أبوالحسن السيرواني الكبير، من سيروان المغرب، كان ينزل دمياط صحب الخواص بمصر، وجاور بمكة، كما صحب الجنيد والشبلي، والكتاني وغيرهم من المشايخ. طبقات السلمي (٥١) عن نفحات الأنس.

(٢) جعفر بن محمد بن نصير أبو محمد الخواص، بغدادي المنشأ والمولد، صحب الجنيد بن محمد، وعرف بصحبته كما صحب النوري، وسمنون، ورويم، وغيرهم من مشايخ الوقت وكان المرجع إليه في علوم القوم وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم، وكان من أفتى المشايخ وأجلّهم، وأحسنهم قولاً، حج قريباً من ستين حجة وتوفي ببغداد سنة ٣٤٨ هجرية، وقبره بالشونيزية عند قبر السري السقطي والجنيد. (طبقات السلمي ٤٣٤، حلية الأولياء ١٠/ ٤٨١، طبقات الشعراني ١/ ١٣٨).

(٣) علي بن أحمد بن سهل أبو الحسن البوشنجي، كان أوحد فتيان خراسان صحب الجريري وابن عطاء وأبا عمرو الدمشقي، وتكلم مع الشبلي في مسائل، وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات، وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد، وكان ذا خلق، متديناً، متعهداً للفقراء مات سنة ٣٤٨ هجرية. (طبقات السلمي ٤٥٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٩، طبقات الشعراني ١/ ١٤١).

وقلة الكسلْ».

وقال أبو بكر الدقي: «الصوفي من تغذَّى بالأذكار، أو انتعش بالأفكار». وقال أيضاً: «التصوف صدقُ حقيقةٍ مع الحق».

وقال أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري[1]: «صفة الصوفي أن يتلذذ بالبلاء. . . . .»[2].

وقال عمرو بن نجيد: «التصوف عندي هو الصابر بحقِّ الأمر والنهي».

وقال أبو عبد الله بن خفيف[3]: «التصوف الصبر تحت مجاري الأقدارْ، والأخذ من رداء الأخيارْ، وقطع الفيافي والقفارْ، خوفاً وهرباً من النارْ». وقال أيضاً: التصوف تصفية القلب عن مرافقة البريةْ» [وهذه زيادة ما كانت في نسخة الشيخ]. قال: «ومفارقة أخلاق الطبيعةْ، ومنازلة صفات الروحانيةْ، والتعلق بعلم الحقيقةْ، واستعمال ما هو أولى على السرمديةْ، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقةْ، واتباع الرسول في الشريعةْ». وقال أيضاً: «التصوف عدم. . . . .[4] ومفارقة اللذات، وجحد الآباء والأمهات، والذهاب عن الحظوظ واستواء الأحوال في المدح والذم».

وقال أيضاً: «الصوفي هو الناظِرُ إلى الحق فيْمَا حُفِظ عَلَيْهِ مِنْ حَالِهِ».

وَسئل الأسْتَاذُ أبو سَهْلِ أمامُ عصره عنِ التصوفِ، فَقَالَ: «التصوف الإعراضُ عن الاعتراض.

وَقَالَ أبو القاسم النصراباذيْ[5] «التصوفُ نورٌ مِنَ الحق يدُلُ على الحق، وَخَاطَرٌ مِنهُ

---

(١) أبو عبد الله الروذباري أحمد بن عطاء، ابن أخت علي الروذباري، شيخ الشام في وقته، يرجع إلى أحوال يختص بها، وأنواع من العلوم، من علم القراءات، وعلم الشريعة، وعلم الحقيقة، وأخلاق وشمائل يختص بها، وتعظيم للفقر، وصيانه له، وملازمة لآدابه، ومحبة للفقراء وميل إليهم، ورفق بهم، مات بصور في ذي الحجة سنة ٣٦٩ هجرية (طبقات السلمي ٤٩٧، طبقات الشعراني ١/ ١٤٥).

(٢) عبارة مطموسة المعالم غير مفهومة.

(٣) أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشاد الضَّبيّ، الشيرازي، كان شيخ مشايخ وقته، صحب رويماً والجريري وأبا العباس بن عطاء وغيرهم. كان عالماً بعلوم الظاهر، وعلوم الحقائق، أوحد المشايخ في وقته، حالاً، وعلماً، وخلقاً، مات سنة ٣٧١ هجرية. (طبقات السلمي ٤٦٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥، شذرات الذهب ٣/ ٧٦).

(٤) كلمات مطموسة.

(٥) إبراهيم بن محمد بن محمويه أبو القاسم النصراباذي ـ نسبة إلى محلة بنيسابور ـ، شيخ خراسان في وقته، =

يشير إليه». وَقَالَ أيضاً: «التصوفُ فَناؤكَ عن الكونين لِيَبْقَىٰ، مُكَونُهُمَا».

وعن الحسين الحميري قَالَ: «الصوفي لا ينزعج في انزعَاجِهِ ولا يقر في قَرَارِهِ». وَقَالَ أيضاً: «هو إفراد الحق عَمّا سواهُ، وَإفرادُ الخلق عنْ جميعِ مَا خَلَقَ الله تعالى». وَقَالَ أيضاً: «الصوفي في وجده وجودُهُ، وصفته حجابُهُ» وقَالَ أيضاً: الصوفي هُوَ الذي لا تقلهُ الأرْضُ، ولا تظلهُ السَّمَاء. وَسُئِلَ عَنِ الصوفِي والتصوف، فَقَالَ: هُوَ أعز من أن يعبّرَ عَنْهُ وَلكِنْ من ذَاقَهُ وَجَدَ طَعْمَهُ.

وَقَالَ أبو القاسم الرازي: «التصوف اعتدال الأحوالِ مَعَ الحقِّ» وَقَالَ أيضاً: بَرَكَةُ التصوف التواضع، وَترك النّظر، وَالسُرُورُ بِالفقْرِ، وَخِدْمَةُ الفُقَرَاءِ، وَرُؤيَةُ فضلهمْ، والإحسان إلى جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، مَا لم يَكنْ خرقَ شريعةٍ، أوْ دُخُوْلاً فِي مَكْرُوهٍ».

وَعَنْ أَبى بَكرِ الحسين المقري قَالَ: «التصوفُ حفظُ الأسرارِ، وَمجُانبَةُ الأشْرَارِ».

وعَنْ منصورِ بن محمد السجزي قَالَ: «التصوفُ التقلل، والتذلل، والتبذل».

وعن الحسينِ بن المثنّى قال: «التصوْفُ تطهير الأسرار عَمّا يُمَازِجُهَا مِنَ الخَوَاطِرِ الفَاسِدَةِ، وإذَاقَة النفسِ طعمَ الوصَالِ».

وَسَأَلَ رويم[1] الجنيدَ، مَا التصوف في ذاتِهِ؟ فقالَ لَهُ: «إيَاكَ وَإياه يَا أبَا محمد، خذ بالظاهرِ، وَلاَ تَسْأَلْ عنْ ذاتِه فتغرقَ فيهِ» فألحَّ عليهِ، فَقَالَ: «همُ القَائِمُونَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ حيث لاَ يعلمهم إلا الله عز وجل».

وَقَالَ بشر[2]: «إنْ كَانَ للَّهِ تعالى خواصٌ فهم الصُوْفِيَّةُ».

= نيسابوري الأصل والمنشأ والمولد، يرجع إلى أنواع من العلوم: من حفظ السير وجمعها، وعلوم التواريخ، وما كان مختصاً به من علم الحقائق، وكان أوحد المشايخ في وقته علماً وحالاً، صحب الشبلي وأقام بنيسابور ثم خرج في آخر عمره إلى مكة وحجَّ، سنة ٣٣٦ هجرية وأقام بالحرم مجاوراً ومات سنة ٣٦٧ هجرية، كتب الحديث الكثير، ورواه، وكان ثقة. (طبقات السلمي ٤٨٤، طبقات الشعراني ١/ ١٤٤، الرسالة القشيرية ٣٩).

(١) رويم بن أحمد بن يزيد، كنيته أبو محمد، من أجلِّ مشايخ بغداد، كان فقيهاً على مذهب داود الأصبهاني وكان مقرئاً ـ مات سنة ٣٠٣ هجرية من أقواله: (لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا فإن اصطلحوا هلكوا) وقال: (من حِكَم الحكيم أن يوسعَ على إخوانه في الأحكام، ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم. والتضييق على نفسه من حِكَم الورع). (طبقات السلمي ١٨٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٩٦، طبقات الشعراني ١/ ١٠٣).

(٢) بشر بن الحارث الحافي ـ لقب بذلك لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لأحد نعليه وكان قد انقطع، فقال =

وَعَنْ أبي القسمِ قَالَ: «الصُوْفي مَنْ إذا ازدَادَ علمه نُقِصَتْ طينتهُ».

وأنشدتُ في معنى التصوْفِ:

لا تستأمَنَّ مقالتي يَا صَاحِ ... وَاقْبَلْ هُدِيتَ مَقَالَةَ النُصَّاحِ
ليسَ التصوفُ حيلةً وَبَطَالةً ... وتكلّفاً وَتقشّفاً وتواجداً بِصِيَاحِ
ليسَ التصوْفُ حيلةً وَبَطَالة ... وَجهالة وَدُعابةً بِمِزَاحِ
بل عِفَّةٌ وَفتوَّةٌ ومُرُوَّةٌ ... وَزَهَادةٌ وَطهارة بِصَلاحِ
وَتيقّنٌ وَتَصَبُّرٌ وتوكُّلٌ ... وَتَوَرُّعٌ وَتخشُّعٌ بِسَمَاحِ
مَنْ قَامَ فيه بحقهِ وحَقُوقِهِ ... وَخَلا عنِ الحدثانِ والأشباحِ
تَتَشَعْشَعُ الأنوارُ مِنْ أسْرَارِهِ ... كتشعشعِ المصباحِ في المَصباحِ
لَمْ تخطُرِ الدُنيَا لَهُ فِي بِالهِ ... هانَتْ عليهِ حُظُوظ كُلِ مُبَاحِ!
حَركَاتُهُ مَوسُوْمَةٌ بِسعَادةِ ... خطراتُه مُوسومَةٌ بِنَجَاحِ!
فَكَأنَ حَالَ الفقرِ جِلبَابٌ لَهُ ... وَالصبر في البلوى عليه وِشَاحِ
يَا عِزَّهُ في الذُلّ يَا أَحْزَانَهُ ... تحت التَبسُّم لَيْسَ مِنْهُ بَرَاحِ
فَإِلى الرشَادِ غُدُوُّهُ وَرَواحُهُ ... وَإِلى الصلاحِ مَسَاؤُه وصَبَاحِ
صَادُ الصَفَا، فَالْوَاوُ مِنْ صدْقِ الْوَفَا، ... فَاءُ الفُتُوَّةِ، فاغتنمْ يَا صَاحِ
يَا رَبّ وَفَقْنَا كَمَا وَفَقْتهم ... وَارْفُقْ بنا يَا فَالِقَ الاصْبَاحِ

= له الإسكاف: ما أكثر كلفتكم على الناس!! فألقى النعل من يده والأخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلاً بعدها. كنيته أبو نصر، وهو أحد رجال الطريقة، ومعدن الحقيقة، مَثَلُ الصلحاء وأعيان الورعاء، أصله من مرو وسكن بغداد، صحب الفضيل ورأى سرياً السقطي، مناقبه جمة أفردها ابن الجوزي بتأليف مستقل، مات سنة ٢٢٧ هجرية. (طبقات السلمي ٣٩، حلية الأولياء ١٠/٣٣٦، طبقات الشعراني ١/٨٤).

بَـابٌ فِي ذِكْرِ المَلامِتِيّةِ وَصِفَاتِهِمْ وَشِعَارِهِمْ وَالْفَرْقِ بَيْنَ الصُّوفِيةِ وَبَيْنَهُمْ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ وَالأَحْوَالِ وما قيل فيهم

قَالَ أبو سعدٍ رَضِيَ الله عنه: قَد ذَكَرْنَا ما سهل الله تعالى لَنَا ذِكْرَهُ فِي مَعَانِي التصوف، وأوصَافِ أهلِهِ، وَتِلْك طريقة أهْلِ العِرَاقِ.

فَأمّا أهلُ خَرَاسَانِ؛ فإنهم يسلكُون طريقة المَلامتيةِ وقد كانت الملامتية يسمونَ المحزونينَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ، وأصلهم أنهم لا يخافونَ فِي الله لومةَ لائِم، فلِذَلِكَ لاَ يشتغلونَ بتزيين الظَّوَاهِرِ للخلقِ؛ بل يبتهلونَ إلى الله سبحانَهُ فِي أن يزينَ أسْرَارَهُمْ لَهُمْ.

وَحُكِيَ عَنْ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبَارَكِ أنَّه قَالَ: «أَصْلُ الملامتي أن لا يُظهِرَ خَيْرَاً، وَلاَ يُضمرَ شَرّاً».

عَنْ أبِي حَفص[1] قَالَ: «أهْلُ الملامَةِ قومٌ أظهَرُوا للخلقِ قَبائح الأفعالِ التي هُمْ فيهِا، وسَتَروا عَنهم مَحَاسِنَ مَا هُمْ فِيهِ، فَلاَمَهُمُ الخلقُ على ظَوَاهِرَهِمْ، وَلاَمُوا أنفسَهُمْ علىَ ما يَعْرِفُونَهُ مِنْ بواطنهم، فأكرمهُمُ الله تعالى بكشف الأسْرَارِ، والاطِلاَعِ عَلَى أنواعِ العيوبِ، وتَصحِيح الفِرَاسَةِ فِي الخَلْق».

وَسُئِلَ حَمدُونُ القصار[2] عَنِ المَلاَمَةِ، فَقَال: «خَوفُ القدريةِ وَرَجَاءُ المرجئةِ»[3].

---

(١) أبو حفص النيسابوري، اسمه عمرو بن سَلْم الحداد ويقال: عمرو بن سلمة من أهل قرية يقال لها: كورداباذ ـ من قرى نيسابور ـ أحد السادات، صحب ابن خضرويه البلخي وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور، مات سنة ٢٦٤ هجرية. (طبقات السلمي ١١٥، حلية الأولياء ١٠/٢٢٩ ـ طبقات الشعراني ١/٩٦).

(٢) حمدون بن أحمد بن عمارة، أبو صالح القصار النيسابوري شيخ أهل الملامة بنيسابور ومنه انتشر مذهب الملامة، كان عالماً فقيهاً، يذهب مذهب الثوري، وطريقته طريقة اختص هو بها، ولم يأخذ عنه طريقته أحد من أصحابه، قيل له: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس ورضا الرحمن؛ ونحن نتكلم لعز النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق». توفي سنة ٢٧١ هجرية.

(٣) **أما القدرية**: فهم طائفة يزعمون أن الله لا يُقدّر الشر، وأن الخير من الله، والشر من إبليس وأن الله قد يريد الشيء فلا يكون، ويكره كون الشيء فيكون، وأن العبد أو الشيطان قد يريد شيئاً خلاف مراد الله فيكون مراده ولا يتم مراد الله.

وأما **المرجئة**: فهم طائفة من القدرية يؤخرون العمل عن الإيمان، يقول ابن حزم: إن فِرَقَ المقرين بالإسلام خمسة وهم: أهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، وأقرب فرق المرجئة إلى أهل السنة من ذهب مذهب أبي حنيفة إلى أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معاً، أما غلاة المرجئة فطائفتان: إحداهما تقول: إن الإيمان عقد بالقلب فقط وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه، والطائفة الثانية تقول: إن الإيمان هو القول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه (الفصل لابن حزم ٢/١١، ٤/٢٠٤).

وَقِيل لعبد الله بنِ المبارَكِ: هَلْ تكونُ لِلملاَمتي دَعْوَى؟ قَالَ: وَهَلْ يكونُ لَهُ شيءٌ يدعِيْهِ؟.

وَقَالَ أيضا: الملامتِي لاَ تَكُونُ لَهُ مِنْ باطِنه دَعْوَى، ولاَ مِنْ ظَاهِرِهِ تَصَنُّعٌ ولا مُرَاءاةٌ، وسره الذِي بينَهُ وَبينَ الله تعالىَ، لاَ يطلع عليهِ صَدْرهُ فكيفَ الخلقُ؟!

وَسُئِلَ بَعضهُم عَنْ طريقة الملامَةِ، فَقَالَ: هِيَ إظهارُ مقامِ الفرقة للخلقِ، والتحقق بعين الجمع مع الحقِ.

وَسُئِلَ بَعضهُمْ عَنْ صفةِ الملامتِي فَقَالَ: أنْ لا يصحبهُ في الظواهر رِيَاء، ولاَ فِي البَوَاطِنِ دَعْوَى، ولا يأْلَفُ وَلاَ يُولَفُ، وَلاَ يسكنُ إلى شيْءٍ، وَلاَ يسكُنْ إليه شيءٌ[1].

وَسئِل حمدُون القصار عَنْ أصلِ الملامتيةِ ذَاتَ يوم، فَقَال: ترك التزين للخلق بِحال، وتَركُ طَلَبِ رِضَاهُمْ فِي نَوْعِ الأخلاق والأفْعَالِ، وَأَنْ لا يَأخذك فيما لله عزَ وجلَ عليكَ لَوْمَةُ لاَئِمٍ[2].

وَسَمِعَ أبو الحسنِ الحصري بصفاتِ أهلِ الملامةِ فَصَاحَ وَقَالَ: لَوْ كَانَ فِي هَذَا الزمانِ بني كَانَ مِنْهُمْ.

وسُئِلَ عَنْ أصلِ الملاَمَةِ، فَقَالَ: تَركُ الشهوةِ، والتميز عَنِ الخلقِ فِي الأحوال.

وَسئل عبد الله الخياطُ عَنْ أصْلِ الملامَةِ، فَقَالَ: أنْ لا يفرقَ بين ملامته نفسه، وبَين ملاَمَةِ الناسِ إياهُ، وَلاَ يتغير عنده الحالُ والوقْتُ فِي ذلكَ، فَمَنْ كَانَ بِخِلاَفِ هَذَا فَهُوَ بَعْدُ يُعَدُ فِي رعونة الطبعِ، وَلَمْ يبلغ دَرَجَةَ القَوْمِ.

قَالَ أبو سعدِ الوَاعِظُ رَضِيَ الله عَنْهُ: فَمِن الفرق بينهم وبَينَ الصُوْفِيةِ، أنّ أصولَ الملامتيةِ مبنية على العلمِ، وأصُولَ الصُوْفِيةِ مبنية على الحَالِ، وَالملامتيةُ يحثونَ على الكسبِ ويرغبون فيهِ، وَالصُوفية يحثونَ عَلىٰ تَركِ الكَسْبِ وَيَزهِدُونَ فِيهِ، وَالملامتِيةُ يَكْرَهُونَ الشهرة من اللِّبَاسِ، وَإظهارِ المرقّعَاتِ، والصوفيةُ يميلونَ إلى ذَلِكَ، والمُلامتيةِ يُنْكِرُونَ الرقْصَ والسَّمَاعَ، وَالصِيَاحَ والتواجُدَ على الوجهِ الَّذِي يُوْجَدُ مِنَ الصوفيةِ.

---

(١) وذلك لفرط استغراقه في شهود خالقه ومراقبته والتفكر في آلائه سبحانه وعزوفه عن كل ما سواه.

(٢) وكل ذلك في إطار الشرع الشريف وآدابه وأحكامه كما كان عليه سادات الصوفية من السلف والخلف، ولا عبرة إن شذ منهم شاذ أو دخل عليهم دخيل أساء إليهم.

وسُئل بعضهم: مَا بَالكم لاَ تَحضرونَ مَجَالِسَ السمَاعِ؟ فَقَالَ: لَيْسَ تركُنَا مَجَالِسَ السَمَاعِ كَراهِية، ولا إنْكَاراً لِذَلِكَ الحالِ، وَلَكِنْ خشية أنْ يظهر عَلينَا مِنْ أحْوَالِنَا مَا نسره ونستره، وَذَلِكَ عزيز علينَا وعِنْدنَا.

وَعَنْ قتَادَة، عَنْ أنسٍ قَالَ: وَعَظَ النَبِيُ ﷺ فَصَعق صَاعِقٌ مِنْ جَانِبِ المَسْجِدِ، فَقَال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ هَذَا الملبِّسُ علينا دِيننا؟ إنْ كَانَ صَادِقاً فقد شَهَرَ نفسه، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً محقه الله»(١).

قَالَ أبو سعد الوَاعِظُ: مِنْ شعارِ الملامتية ترك الدَعَاوِي، والاشتغَالُ بتحقيقِ المَعَانِي.

وَقَدْ سُئِل بعضهم: مَا بَالَكُم قَلّ ما تُظْهِرُونَ مِنْكُمُ الدَّعَاوِي؟ فقَال: وَهَلْ الدعوى إلاّ رعونة النفسِ.

وَمِنْ شِعَارِهم الاشتغالُ بعِيوبِ النَّفْسِ عَنْ عيوبِ الخلق، فَقَدْ سُئِل بَعْضُهُمْ عَنِ أضرِ شيءٍ بِأَهْلِ الملامَةِ؟ فَقَالَ: أضَرُ شيءٍ بِأَهْلِ الملامَةِ قلة بصرهِمْ لِعيوبهم، ورِضَاهُمْ مِنْ أنفسهم بِمَا هُمْ فيهِ.

وَمِنْ شِعَارِهم إسرارُهم الأحوالَ الَّتِي بينهم وَبَينَ الله عَز وَجَلَّ وَاخفاؤهُمْ إياهَا عَنِ الخلقِ. فَقَدْ حكي أن أبا حَفصٍ رَأىٰ بَعْض أصحابِهِ وَهُوَ يذمُّ الدنيا وأهلهَا، فَقَالَ: أظهرتَ مَا كَانَ سَبِيلَكَ أنْ تُخْفِيَهُ، لاَ تُجَالِسْنَا بعد هَذَا وَلاَ تَصْحَبنَا.

وَسُئِلَ بَعضهُمْ عَنْ أحوالِ أهلِ الملامَةِ، فَقَالَ: هُمْ قوم تولى الله حفظَ أَسْرَارِهِمْ، وأسبل عليهم وعلى سَرَائرِهِمْ سِتْر الظَاهِرِ، فَهُمْ مَعَ الخلقِ مِنْ حيث الخلقُ، لا يفارِقُونَهُمْ فِي أَسْوَاقِهِمْ، وَمَكَاسِبهم ومَعَ الله تَعَالَى مِنْ حيث الحقيقةُ والتولّي، فباطنهم يلومُ ظَاهِرَهُمْ عَلى الانبِسَاطِ مَعَ الخَلْقِ، والكونِ معهم برسومِ العوامِ، وَظَاهِرُهُمْ يلومُ بَاطِنهم بسكونِهِ فِي مُجَاوَرةِ الحق، وَغفلته عَمَا فيهِ الظَاهِرُ مِنْ مُعَاشَرَةِ الأضْدَادِ، وَهَذَا مِنْ أحوالِ الأئمةِ.

وَسُئِل بعضهم عَنْ أهْلِ الملامَةِ، وَأَصْلِ هَذا الأمر، فقالَ: الخُلُقُ مَعَ الخلق، وَالسِرُّ مَعَ الحقِ.

ومِنْ شِعَارِهِمْ نسيانُ الطاعَةِ بعد الفراغ مِنْهَا، فَإِنَّ ذِكْرَهَا يُورث العُجبَ، والعُجبُ يحبطُ العَمَلِ!

---

(١) لم أجده.

وقَدْ رُوِيَ عَنِ النَبِي ﷺ أنه قَالَ: «العجب يأكل الحسناتِ كَمَا تَأكُلُ النارُ الحَطَبَ»[1].

وَحُكِيَ عَنْ بعضِ مشيختهِمْ أنه قالَ: المقبولُ مِنْ أعمالك موقوع مغيَّب عَنكَ، والمَردُودُ مَا اتصلتْ بِهِ رَؤيتك، فلم يرفَعْ وَلَمْ يَغِبْ عَنْكَ.

(١) لم أجده.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْمَعْرِفَةِ وَمَا قِيْلَ فِيْهَا

أخْبَرَنَا أبُو عَبدِ اللَّهِ الشيرازي، قَال: أخبرنَا عَبْدُ الرحمنِ بنُ محمد بن محمود، قَالَ: أخبرنَا زَكَرِيَا بنُ يحيَى البَزَّار، قَالَ: حَدَّثنَا مُحمَدُ بنُ مَاهَانَ قَالَ: حَدَّثنا محمَّدُ بنُ يحيَى، قَالَ: حَدَّثنَا إسحقُ بن إبراهيمَ، عَنْ سفيانَ بن عُيَيْنَةَ، قَالَ حَدثُونِي عَنْ أبي السوذَاء، عَنْ ابن سَابط قَالَ قَالَ: رَسُوْلُ الله ﷺ: «أفضَلكم أفْضَلُكُمْ مَعرفة»، قَالَ سفيانُ: أفضلكُمْ معرفةً أفضلكُمْ يَقيناً.

قَالَ أبو سعدٍ: استخرتُ الله تعالى في افتتاح هذا البابِ ببعض مَا انتهَى إليَّ مِنْ أقَاوِيل المتكلمين في المعرفةِ وَمَاهيتِها، وذكر ما عليه عَامَّةُ أهلِ العِلْمِ مِنْ أصحَابِنَا، ثُمَّ بعقيبه نذكُرُ كلامَ هذهِ الطبقةِ فِي مَعناهَا وَحَقائقها، ليكون الكتابُ أبلغَ في بابه، وأعم في الانتفاع به، والله الموفقُ للصوابِ.

حكى زَرقانُ عَنْ بشرِ بنِ المعتمر أن المعارف كلهَا اكتسابٌ.

وَقَالَ فَضْل الرقاشِي، وَهَاشم بن سَالم، وَشَيطانُ الطاق، وأبو ملك الحضرمي: إن المعارِفَ كُلَها اضْطِرَارٌ.

وقالَ جعفر بن مبشر: زعمت طائفة أن المعارف كلها اضطِرار، وقَالَ: لَنْ يَكسَبَ العبد منها شيء على حال. وقالت طائفة: المعارفُ كلها اختيار، ومحالٌ أن يضطر إليهَا فاعلها على حالٍ.

وَحُكِي عَنْ جعفر بن مبشر، أن بشر بن المعتمر قالَ: معرفة الإنسان نفسه ليسَ فعله، وَلاَ مِنْ كسبه، وَهِي معرفةُ طِبَاعٍ.

وَقَال أبو الهذيل: إن المعرفة لا تصابُ بالنظر والاستدلال. وقالَ بعضُ متكلمي أصحابِ الحديثِ، وأصحابِ ابن كلابٍ: المعرفةُ فعل الإنسان، وهِي مخلوقَةٌ لله عز وجل.

وقال: التظاهر فِي فعلِ الإنسان وهي غير مخلوقةٍ لله عز وجل. والَّذِي ذَهَبَ إليهِ جل عُلماء أهلِ الحديثِ، أن المعارفَ على ضربين؛ اضطرار واكتساب، فالاضطرار: معرفةُ الإنسان بوجودِ نفسهِ، وما ينالُهُ من الآلاَمِ والآفَات، وحَقائقِ ما يحسُّ من المحسوسَاتِ، من طولٍ وقصر، وحلو وَحَامض، وحسن وقبيح، ولين وخشونة، ورائحة وصوت، وما يشاكلها.

والتي اختيارُ اكتساب معرفة القديم سبحانَه وصفاتِهُ، ومعرفةُ الأعراضِ، وكُل شيء

يعرفُ بالفكرةِ والاستدلالَ فهي معرفَةُ اختيارٍ واكْتِسَاب. فإلى هذا القول ذهبَ الحارثُ المحاسبي[1]، وَابن كِلاَبٍ فِي علماء أصحابِ الحديثِ وأكثر المعتزلَةِ.

قال أبُو سعْدٍ: والمعرفة بالله تعالى، هي العلم باللَّهِ تعالى وبصفاتهِ، نحو أن تَعْلم أنه حي موجود، قادرٌ عالمٌ، سميع بصير، متكلمُ مريد، قديم بَاقٍ، لاَ يشبهه شيء ولا يشبه شيئاً من المخلوقَات، لا بذاتهِ وَلاَ بصفاتِهِ، وَقَدْ بينت هذه المسألة على الاسْتِقْصَاءِ فِي كتابِ «الخلاصِ والنَجَاح»، وَأَمَا كَلاَمُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ فِي بَابِ المعرفَةِ، فقد رُوي عن المغلسِ بن شداد أنه قال: واللَّهِ مَا نَالَ رجلٌ مِنَ الدنيا إلاَّ أعمى الله تعالى قلبَهُ[2]، وبَطَلَ عَمَلُهُ عليهِ، إنّ الله تبَارَكَ وَتَعَالَى خلقَ الدُنيا مُظلمةً، وجعلَ الشمسَ فيها ضياءً، وخَلقَ القلوبَ مُظلمةً، وجعَلَ المعرفةَ فيها ضِياءً، فَإِذا جَاءَ السحَابُ ذَهَبَ بنورِ الشمسِ، وَكَذَلِكَ يجيءُ حُبُّ الدُنْيَا فيذهَبُ بِنُورِ المعرفَةِ مِنَ الْقَلْبِ.

قالَ أبُو مُحمّدٍ المُرْتَعشُ النَّيْسَابُوريُّ[3]: العارِفُ صَيْد المعروف، اصْطَادَهُ ليكْرِمَهُ ويَجْلسه فِي حظيرة القُدُسِ.

وَقيل: حقيقة المعرفةَ نورٌ طرح في قلب المؤمِنِ، وَلَيسَ فِي الخزانَةِ شيء أعز مِنَ المعرفَةِ. وقِيلَ: المعرفَةُ حيَاةُ القَلْبِ، يحييه الله تعالى بِهَا، قَالَ الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يعني عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عنهُ - ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] يعني أبَا جهل بنَ هشَامٍ.

وقَالَ بعضهم: شمسُ قلبِ العَارِفِ أضوأُ وأشرقُ من شمسِ قلب النهارِ، لأنّ شمسَ النَّهَارِ قَدْ تُكْسَفُ، وشَمْسُ القلوبِ لاَ كُسُوفَ لَهَا، وَشَمسُ النهارِ تَغرب بالليل، وَشَمس

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، له التصانيف المشهورة من أهمها (كتاب الرعاية لحقوق الله) وغيره - مطبوع ومتداول - وهو أستاذ أكثر البغداديين، من أهل البصرة، مات رضي الله عنه سنة ٢٤٣ هجرية. (حلية الأولياء ١٠/ ٧٣، طبقات الشعراني ١/ ٨٧، الرسلة القشيرية ١٥).

(٢) وقد فسر قوله هذا في آخر كلامه أن المقصود هو حب الدنيا لا كسب الدنيا كما يتبادر من عجلة الفهم فقد قال هو نفسه (وكذلك يجيء حب الدنيا فيذهب نور المعرفة. . .الخ) فتأمل.

(٣) هو عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري أبو محمد، من أصحاب الجنيد، أقام ببغداد حتى صار من أئمة مشايخها حتى قال أبو عبد الله الرازي: عجائب بغداد في التصوف ثلاث: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخلدي.

كان المرتعش يقيم في مسجد الشونيزية، مات ببغداد سنة ٣٢٨ هجرية. (الحلية ١٠/ ٣٥٥، طبقات الشعراني ١/ ١٢٣، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢١).

القلوبِ لَيْسَتْ تَغِيْبُ.

وَأنشدتُ:

إنّ شمسَ النهارِ تغربُ بالليلِ ... وشمس القلوبِ ليست تغيبُ
من أحبّ الحبيب طَارَ إليهِ ... اشتياقاً إلى لقاءِ الحبيبِ

وَقَالَ ذَو النُونِ[1]: المعرفةُ اطلاع الحقِ على الأَسْرَارْ، بِمُواصَلَةِ لطائف الأَنْوارْ.

وأنْشدْتُ فِي هَذَا المعنى لبعض العارفين:

للعارفين قلوبٌ يَعْرِفونَ بِهَا ... نورَ الإلهِ بسر السرِّ فِي الحجبُ
صُمّ عَنِ الخلقَ، عِميٌ عن خواطرهم، ... بكمٌ عَنِ النطقِ فِي دَعْوَاهُ بالكذبِ

سُئل الشبلي[2]: أي شيء أعجب؟ قَالَ: قلبٌ عرف الله ثم عصاهُ.

وسُئِلَ عبد الله بنُ المُبارك عَنِ المعرفَةِ، فَقَالَ: أن لا تتعجب مِنْ شيء.

وقِيلَ لِبَعضهم: ما حَياةُ الْقَلب؟ قَالَ المعرفَةُ، قيلَ: وَمَا المَعْرِفَةُ؟ قَالَ: حياة القلبِ بالمحيي.

وقيلَ لآخر: ما حقيقة المعرفةِ؟ قَالَ: رُؤيةُ الحقِ مَعَ فقدَانِ رؤية ما سواهُ، حتى تصير عنده جميع مملكة الله تعالى في جنبِ رؤية الله تعالَىٰ، أصغر من خردلةٍ فِي جميع مملكته، فهذا لا تحتمله قلوبُ أهل الغفلَةِ وَعَامَةِ الناسِ.

وسُئِلَ آخر عَنْ حقيقةِ المعرفةِ، فَقَالَ: هِيَ الانقطَاعُ بالقَلْبِ إلى الله عزَ وجلَّ، وتجريدُ السر عنْ كُلِ ما دُونَ الحق للحق.

---

(١) ذو النون بن إبراهيم المصري أبو الفيض، أحد رجال الحقيقة، وأحد العلماء الورعين في وقته، نحيفاً تعلوه حمرة. سئل عن سبب توبته فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحارى ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض، فخرجت منها سكرجتان واحدة ذهب والأخرى فضة في إحداها سمسم وفي الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا، فقلت: حسبي قد تبت! ولزمت الباب إلى أن قبلت. توفي رحمه الله سنة ٢٤٦ هجرية. (طبقات ابن الملقن ٢١٨، طبقات السلمي ١٥، الحلية ٩/ ٣٣١).

(٢) أبو بكر الشبلي: دُلَف بن جحدر، وقيل ابن جعفر الشبلي نسبة إلى قرية شِبْلِيَّة ـ إحدى قرى أسروشنة من بلاد ما وراء النهر، خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ جليل القدر، مالكي المذهب، عظيم الشأن، صحب الجنيد وطبقته يبالغ في تعظيم الشرع المكرم وإذا دخل رمضان جدَّ في الطاعات ويقول: هذا شهر عظمه ربي فأنا أولى بتعظيمه. سئل عن حديث: (خير كسب المرء عمل يمينه) فقال: إذا كان الليل فَخُذْ ماء، وتهيأ للصلاة، وصلِّ ما شئتَ ومدَّ يدك وسل الله، فذلك كسب يمينك. توفي رضي الله عنه سنة ٣٣٤ هجرية. (طبقات السلمي ٣٣٧، طبقات ابن الملقن ٢٠٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦).

وسُئِلَ: مَتَى يعرفُ العَبْدُ أنه على تحقيق المعرفةِ؟ فقالَ: إذا لم يجِدْ فِي قَلْبِهِ مَكَانَاً لِغَيْرِ رَبِهِ عَزَّ وجلَّ.

وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ حقيقة المعرفَةِ مشاهدة الحقِ بالسرِّ، بلا وَاسِطَةٍ وَلاَ كَيف، وَلاَ شبه. كَمَا سُئِلَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ عليهِ السَلاَمُ، فَقيْلَ: يَا أَمِيْرَ المُؤمنين تعبد مَنْ تَرَى أَوْ مَنْ لاَ ترى؟ فَقَالَ: لاَ، بَلْ أَعْبُدُ مَنْ أرَى لاَ رَؤية العَيَانِ وَلَكِنْ رؤيةِ القَلْبِ.

وَقِيْلَ لِجَعْفر الصَادِق رضي الله عَنْهُ: هَلْ رَأَيْتَ الله تعَالَى؟ قَالَ: لَمْ أَكُنْ لأَعْبُدَ رَبَّاً لم أره، قِيْلَ لَهُ: كَيْفَ رَأَيته وَهُوَ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، قَالَ: لَمْ تَره الأبْصَارُ؟ بِمُشَاهَدةِ العَيَانِ، وَلَكِنْ رأته القُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيْمَانِ، لاَ يحس بالحواسِ، وَلاَ يقاسُ بالناسِ.

وسُئِلَ ذَو النُونِ عَنْ حقيقة المعرفَةِ، فَقَالَ: تخليةُ السرِّ عَنْ كُلِ شَيءٍ أرَادَهُ، وَتَرَكُ مَا عَليهِ العادَةُ، وَسُكُونُ القلبِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بِلاَ عَلاقَةٌ، وتَرك الالتِفَاتِ إلى مَا سِوَاهُ.

وَقِيْلَ: لاَ يَقدرُ أحدٌ أَنْ يخبر عَنِ المعرفَةِ عَلَىٰ التَحقيقِ إلا الرب سبحانَهُ، فَإِنْ المعرفَةَ منهُ بدتْ وَإليهِ تعودُ.

وَقِيلَ لأبي يزيد[1]: مَتى يعرفَ الرجلُ أَنَهُ عَلى حقيقةِ المعرفةِ؟ فَقَالَ: إِذَا صَارَ فَانِياً تحتَ اطلاعِ الحقِ، بَاقياً على بِسَاطِ الحقِ بِلاَ نَفسٍ، وَلاَ سَبَبٍ، وَلاَ خلقٍ، فَهُوَ فَانٍ بَاقٍ وَمَيت حَيٌّ، وَحَيٌّ ميت، ومحجوب مكشوفٌ، وَمَكْشوفٌ محجوب، فَعِنْدَ ذَلِكَ يصيرُ هَذَا العبدُ وَالهاً على باب أمره هَائماً فِي مِيْدَانِ برهِ، متدلّلاً تحت جميل سِتْرِهِ، فَانِياً تحت سلطان حكمهِ، بَاقِياً على بِسَاطِ لُطفهِ.

وسُئِلَ أبو يزيد أيضاً عَنْ حقيقةِ المعرفةِ فَقَالَ: أن تعرف أن حركات الخلقِ وَسُكُونَهِمْ باللَّهِ عَز وَجل وَحْدَهُ لاَ شَرِيك لَهُ. ورُوِي أَنَّ الله عزَ وجلَ أوحى إلى دَاود عليه السلام: «أنْ يا داود اعرفني وَاعرفْ نَفسك. فتفكر دَاود ثُمَّ قَالَ: قَدْ عرفتك بالأحديةِ والقدرةِ وَالبَقَاء، وعَرفتُ نَفسي بالضعفِ وَالعجز والفناء، فَقَالَ الله عز وجل: يَا دَاوُد الآن عَرَفْتَنِي حقَ المعرفَةِ».

وَرُوِيَ أنَّ النبي ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ الله ـ عَزَ وجل ـ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ، وَأَهْلَ أرضهِ

---

(١) أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي من الأعلام، كان جده مجوسياً وأسلم، وهم ثلاثة إخوة آدم وطيفور وعلي، وكلهم زهاد عباد وأبو يزيد أجلّهم حالاً. من كلامه: ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك مات سنة ٢٦١ وقيل ٢٦٤ هجرية. (طبقات السلمي ٦٧، طبقات ابن الملقن ٣٩٨، حلية الأولياء ١٠/٣٣).

جميعاً، لَمْ يكن ظَالِمَاً لَهُمْ». فَقَالُوا: يَا رَسول الله يعذبُ أهل الأرضِ بمعاصيهم، فَمَا بَالَ أَهْلِ السَمَاء؟ فَقَالَ: «لأنَّهم لا يعرفونَهُ حق معرفتِهِ، أَوْ لِقلةِ معرفتهم بِهِ» وَقَدْ شَكَا البَارِي جَل جلاله جميع خلقهِ في قولهِ عَزَ وجلَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[1] . وَقَدْ تتفاوَتُ دَرَجَاتُ عِبَادهِ فِي معرفَتِهِ.

قَالَ محمد بن وَاسِعٍ[2]: حَقٌ لِمَنْ أعزَّهُ الله تعالَى بمعرفتِهِ، أنْ لا يلتفت منه إلى غيرِهِ، وَلا يَخْتَارَ عليهِ أحداً سواهُ.

وَسُئِلَ محمد بن وَاسِعٍ: هَلْ عرفْتَ رَبَكَ عَزَ وجلَ؟ فَسَكَتَ سَاعة، ثُمَّ قَالَ: مَنْ عرفَهُ قلّ كَلاَمُهُ وَدَامَ تحيُرُه.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ عَرَفَ الله عَزَّ وجَلَّ حَق مَعْرفتِهِ قَلَّ كَلاَمهُ وَدَامَ فِكْرُهُ، وَقَلَّ اسْتِمَاعُهُ وَنَظَرُهُ فِي غَيْرِ ذَاتِ الله عَزَ وَجلَّ، وَفني عن رؤيةِ الأعمَالِ، وَصَارَ متحيراً مَعَ الإِيصَالِ، وَمُنقطعاً عَنِ الحالِ إلى ولِي الحالِ، وإنما الأمور بحقائقها لا بالحسبانِ، فإنه رَأسُ الخسران، وبهِ زَلَّتْ عَنْ منازِلِ الصِّدّيقينَ أقدامُهُمْ.

وَيُقَالُ: مَنْ عرفَ الله سبحانَهُ كلَّ لِسَانُهُ، ودَهش عقله، وأي دَهْشَةٍ أشدُ من دَهْشَةِ العَارِفِ إنْ تكلم بحالهِ هَلَكَ، وَإنْ سَكَتَ احترقْ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المَعْرِفَةُ علىَ وَجْهينِ: معرفة على رُؤيةِ النعْمَةِ؛ وَمَعْرفةٌ على رُؤيةِ المنعم. فَأَمَا المعرفةُ الَّتي هي على رُؤية النعمة فَهِي أن العبدَ يعرفُ المنعم بالنعمةِ للنعمة، قَالَ الله عزَ وجلَ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] .

وَأَمّا المعرفةُ التي هِي على رؤيةِ المنعم؛ فَهِي أنَّ العبدَ يعرفُ المنعِمَ بالنِّعَم للمُنعَم مِنْ غير أنْ يلتفت مِنْهُ إلى النِّعْمَةِ قولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤] . وَقَوْله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٩] .

وَسُئِلَ الأنطاكي عَنِ المعرفةِ وَمَدَارِجها؟ فَقَال: المعرفةُ تكونُ بتعريفِ اللّهِ سبحانَهُ، وَمَدارجها ثلاَثٌ؛ فالمدرجُ الأول: إِثْبَاتُ وَحْدَانية الواحِدِ القهار. والثانيةُ: قطعُ القلبِ عَمَّا

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

(٢) محمد بن واسع بن جابر الأزدي، أبو بكر، البصري، الزاهد، أحد الأعلام، روى عن أنس بن مالك والحسن البصري وطبقتهما قال سليمان التيمي: ما أجد أحب إلي من أن ألقى الله بصحيفته إلا محمد بن واسع. وثقه العجلي والدارقطني. توفي سنة ١٢٧ هجرية (خلاصة تذهيب الكمال ٣٠٩).

الناظرين إليهِ لاَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، ذَهَبُوا بصفو الدُّنيا والآخِرَةِ. وقَالَ:

غرستُ الحُبَّ غرساً فِي فُؤادِي فَلاَ يسلو إلى يوم التَّنَادِ
جرحتُ القَلْبَ مِني بِاتصالٍ فَشَوقِي زَائد وَالحُبُ بَادِ
سَقَانِي شَرْبة أحيا فؤادي بِكَأسِ الحب مِنْ بَحر الوِدَادِ
فَلولا الله يحفظُ عارفيه لَهَامَ العارِفونَ بِكُلِ وَادي

وَقَالَتْ رَابعة[1]: ثمرة المعرفة الإِقْبَالُ على الله عزَّ وجلَّ.

وَقَالَ فَتح الموصلي[2]: أَهْلُ المعرفَةِ الذينَ إذَا نَطقوا فبهِ ينطقُونَ، وَإِذَا عملوا فَلَهُ يَعْمَلُونَ، وَإِذَا طَلَبُوا فَمِنهُ يَطْلُبُونَ، وَإِذَا رَغِبُوا فَإِليهِ يَرْغبُون، أولئك خواصُ الله تَعَالَى السَّابقون المقربُون.

وَقَالَ بعضُهُمْ: لِلعَارِف أربع علامَاتٍ؛ لِسَانه مشغول بتلاوةِ القرآن، وَلونه أصفر مِنْ خوفِ الهجرانِ، ونَفْسُه ذَائِبة مِنْ خَوْفِ الرَّحْمَنِ، وقلبهُ زاهر بنور الإيمان.

وقيل: للعارف أربع علامات؛ ذكر المنةْ، وصدق الهمةْ، وعرفان الحرمةْ، وخوف الفرقةْ.

وقيل: من علامات العارف، أن ينظر إلى الدنيا بعين الاعتِبَارْ، وَإلى الآخِرَةِ بعينِ الانْتِظَارْ، وإلى النَّفْسِ بعينِ الاحْتِقَارْ، وإلى طَاعَتِهِ بعينَ الاعتذارْ لا بِعَين الاستكثارْ، وإلى المعرفة بِعين الاستبشَارْ، وإلى المعروفِ[3] سبحانَهُ بعين الافْتِخَارْ.

---

(١) رابعة العدوية: أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك، من زهاد القرن الثاني الهجري، كانت كثيرة الحزن والبكاء، إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زماناً، وكانت رابعة أسبق زهاد عصرها حديثاً عن المحبة الإلهية، فهي أول من تغنى بالحب الإلهي نظماً ونثراً وقد أحبت ربها لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته إنما ابتغاء وجهه وشوقاً إليه. قيل لها: ما حقيقة إيمانك؟ قالت: ما عبدته خوفاً من ناره، ولا حباً في جنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حباً له وشوقاً إليه. كانت وفاتها سنة ١٣٥ هجرية، وقبرها بزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى جبل الطور. (تاريخ بغداد ٢/ ٤٠، طبقات ابن الملقن ٤٠٨، طبقات الشعراني ١/ ٧٧).

(٢) فتح بن سعيد الموصلي أبو نصر، من أقران بشر الحافي وسري السقطي كبير الشأن في باب المعاملات والورع، وكان يحضر بغداد لزيارة بشر فورد عليه مرة زائراً فأكل عنده وأخذ باقي الطعام فقال بشر لمن حضر: أتدرون لم حمل باقي الطعام؟ قالوا: لا. قال: أراكم أنه إذا صح التوكل لا يضر الحمل. توفي رضي الله عنه سنة ٢٢٠ هجرية. (طبقات ابن الملقن ٢٦٧، حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢، طبقات الشعراني ١/ ٩٣).

(٣) وهو هنا (الله) سبحانه وتعالى.

وَقَالَ إبراهيم بن أدْهَم[1]: إنَّ مِنْ عَلاَمَةِ العَارِفِ، أنْ يكون أكثر صمتهِ التفكُرُ والعبرةُ، وَأكثرَ كلاَمِهِ الثنَاءُ والمُدحةُ، وأكثر عمله الطاعة والخِدمةُ، وأكثر نظرهِ إلى لطَائِفِ صُنعِ رَبِّ العِزَّةِ. وَيُقَالُ: مَنْ عرف المعبود تعرفَ إليه بالعُبودية، وأتعب نفسَهُ تعب الخُدَامِ.

وَسُئِلَ بعضهم عن علامَاتِ العَارِفِ، وَالعَابِدِ، وَالمحب، والخَائِف، فقالَ: الخَائفُ ذو هربٍ، وَالعَابِدِ ذُو نصبٍ، والمُحب ذُو شغب، وَالعَارِفُ ذِو طربٍ. وقال بعضهم:

إن عرفان ذي الجلالِ لَعِزٌ   وَضياءٌ وبهجةٌ وَسُرُورُ
وَعلى العارفين أيضاً بهاءٌ   وَعَليهم من المهابة نُورُ
فَهَنيئاً لِمَن يحبك رَبيّ   هُوْ بخيرِ دَهرَه مَسْرُورُ
لَيسَ للعارفين غيركَ هَمٌ   أنت يا ربُّ هَمُّهُم يَا غَفُورُ!

وَقَالَ ذُو النُونِ المصري: سبحانَ مَنْ حجب أهْلَ المَعرفَةِ عَنْ جميع خلقِهِ، يحجبهم عَنْ أبناء الدنيا بأستار الآخرة، وَعَنْ أبناء الآخرة بأستار الدنيا.

وَعَنْ بَعْضِ أهل خُرَاسَان قَالَ: العَارِفُ إذا عَرَف تلفْ، لا بل إذا عَرَف أَلِفَ، لاَ بَلْ إذا عرَفَ أنِف، ثُمَّ قالَ: أنف أن يذكر غيْر معروفهِ، ألف لذكر محبوبه، تلف: تحت اطلاع معبودهِ.

وَسُئِلَ بعضهم عن المعرفَةِ، فَقَالَ: أدنى المعرفة أنْ لا يكون بين الله تعالى وبَين العبد حجابٌ.

وَسُئِلَ بعضهم عَنْ معرفَةِ الله تعالى، فقالَ: معرفَةُ العبوديةِ لِلَّه تَعَالى.

وقالَ أبو يزيد: المعرفَةُ إعظَامُ هيبة الله تعالى.

وَقَالَ أبو القسم الحكيم: من عرف المولَى هَانَتْ عليهِ مَؤونَة البلْوَى.

وَقَالَ الشبلي: سُرورُ المؤمنين بالأجورِ، وَسُرور العَارفين بالله تعالى!

وقال الخراز[2]: إنَّ العَارِفَ إلى أن يصل يستعين بكُلِ شيءٍ، فَإِذَا وَصَلَ استغنى باللّهِ

---

(١) إبراهيم بن أدهم أبو إسحق، من أهل بلخ ـ بخراسان ـ كان رضي الله عنه من أبناء الملوك والمياسير خرج متصيداً، فهتف به هاتف أيقظه من غفلته، فترك طريقته في التزين بالدنيا، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع، وخرج إلى مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام فكان يعمل فيه ويأكل من عمل يده، وبها مات سنة ١٦١ هجرية. (حلية الأولياء ٧/٣٦٧، طبقات الشعراني ١/٨١، طبقات السلمي ٢٧، طبقات ابن الملقن ٥).

(٢) أبو سعيد الخراز واسمه أحمد بن عيسى، وهو من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري، وأبا عبد الله =

عن غَيْرِهِ، وافتقَرَ الناس إليهِ.

وَقَالَ الجَوْزَجَاني[1]: العَارِفُ جَعَلَ كُلّ قلبهِ لِمَوْلاَهُ، وَسائِرَ جسده لخلقِهِ.

وَقَالَ يحيى بن مُعَاذٍ[2]: حَقٌ على العَارِفِ أن يُصْدِقَ رَبَّهُ عَزَ وجلَ فِيْمَا يعامِلُهُ، لئلا يسقط مِنْ عينهِ.

قِيْلَ لأميرِ المؤمنين علي بن أبي طَالِبِ عليهِ السَّلاَمُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبكَ؟ قَالَ: أعرفه بما تعرفَ إليّ مِنْ غير رؤية، وأصفه بِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ مِنْ غيرِ صورةٍ.

وَقَالَ بعضهم: المعرفَةُ فَنَاء العبد عَنْ رُؤية الخلقِ والنفسِ.

وقيلَ لأَبِي يزيد البَسْطَامِي: ما صفة العَارِفِ؟ قَالَ: صفته صفة أهلِ النارِ، لا يموتُ فيها ولا يَحْيَى.

وَقِيلَ لبعضهم: ما حَقيقةُ المعرفَةِ؟ قَالَ: إذَا عَرَفَ أَنَّهُ لا يعرفُ فهو عَارِفٌ.

ويقال: اختارَ العارفُ ثلاثاً. اختارَ الحق على الباطِل، وَاخْتَارَ العقل على الجهل، وَاختارَ حُبَّ الله على حبِّ خلقهِ.

وَقِيلَ العَارِفُ: لا يخلو قلبه مِنْ حُبِّ الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يخلو لِسَانُهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَلاَ تَخلو نفسه من خِدْمَةِ اللَّهِ.

وقيل ليحيى بن معاذ: هَلْ شيء أفضل من العافية؟ قال: نعم، معرفةُ الرب عز وجلَّ.

= النباجي وسرياً السقطي وغيرهم. وهو من أئمة القوم، وجلّة مشايخهم، قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. مات رحمه الله سنة ٢٧٩ هجرية. (حلية الأولياء ١/٢٤٦، طبقات الشعراني ١/١١٧، طبقات السلمي ٢٢٨).

(١) إبراهيم بن يعقوب بن اسحاق السعدي الجوزجاني، محدّث الشام وأحد الحفاظ المصنفين المخرجين الثقات نسبته إلى (جوزجان) ـ بلدة في خراسان ـ ومولده فيها، رحل إلى مكة ثم البصرة ثم الرملة وأقام في كل منها مدة، ونزل دمشق فسكنها إلى أن مات سنة ٢٥٩ هجرية. (الأعلام ـ الزركلي ١/٨١، معجم البلدان ٣/١٦٧).

(٢) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ أحد الأوتاد وكان أوحد وقته في فنه تكلم في علم الرجاء وأحسن الكلام فيه، وكانوا ثلاثة إخوة يحيى وإسماعيل وإبراهيم، أكبرهم سناً إسماعيل ويحيى أوسطهم وأصغرهم إبراهيم، وكلهم كانوا زهاداً. وإبراهيم خرج مع يحيى إلى خراسان، وتوفي فيما بين نيسابور وبلخ وخرج يحيى إلى بلخ وأقام بها مدة ثم رجع إلى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨ هجرية. من كلامه رضي الله عنه: (لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه). (حلية الأولياء ١٠/٥١، طبقات السلمي ١٠٧، طبقات ابن الملقن ٣٢١).

وَقِيلَ: سِرُ العَارِفِ مَكتومٌ مَكتوبٌ تحت العرشِ فِي المملكَةِ، مَكْشوفٌ فوقَ العرشِ مسطور عِنْدَ مالك المملكَةِ، وهو ناطِقٌ بِلِسَانِ مُنَاجَاتِهِ.

وَقَالَ: إذَا سَكَتَ العَارِفُ يريد أن لا ينطقَ إلا عند معروفِهْ، وإذا نطق أغمضَ يريد أن لا يفتح عينه إلاّ عند لقائِهْ، وإذا وضع رأسه على ركبته يريد أن لا يرفع إلى أن ينفخ في الصور من شدة الأُنس بِهْ.

وَيقال: العارفُ لا يأمن مكره بِه مَا دَامَ فِي حبسهِ[1]، فَهُو باكٍ مِنْ نفسِهِ على نفسِهِ، وَمتبشِر بروحِهِ إلى الله عز وجلّ.

وَقِيلَ لبعضهم: كَيفَ الطريقُ إلى الله عزّ وجل؟ فَقَالَ: لَوْ عرفتَ الله لَعَرَفْتَ الطريق إليهِ سبحانَهُ، قَالَ: فَأعبدُ مَنْ لا أعرِفُه؟ قَالَ: أفتعصِي مَنْ تعرفه؟

وقال: مَنْ عرفَ الله تعالى وَثِقْ، ومنْ وَثِقَ صدقْ، وَمَنْ صَدَقَ لِحَقْ.

وأوْحى الله تعَالَى إلى داوُدَ عليهِ السلام: «إيَّاكَ أنْ تجعَلَ لمعرفَتِي حداً».

وَمِمَا أوحى الله تعالى إلى دَاود عليهِ السلام أنّ مِن لطفِي بِعِبَادِيّ أن قصرتُ عنهم كُنْهَ معرفتي، لئلا تتكدر عليهم نعمائي.

وسُئِلَ ابن عطاءِ[2]: ما بَدءُ هذا الأمر، وَمَا انتهاؤهُ؟ فَقَالَ: بَدْؤهُ معرفتُهُ، وَانْتَهاؤهُ توحيدُهُ.

ويقال: المعرفة علم بصفاتِ العبوديةِ أنها معلقة بأسبابٍ، وبِالصِّفَاتِ الرُّبوبيةِ أنها غير معلقةٍ بأسْبَابٍ.

وَسُئِلَ الشيباني: مَا عَلاَمَةُ العَارِفِ؟ فَقَالَ: سُرُور المعرفَةْ، وَأنْسُ الفَردانيةْ، وَحَلاوَةُ الخِدْمَةِ، وخوفُ الانْقِطَاعِ.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

(٢) أبوالعباس بن عطاء واسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، له لسان في فهم القرآن يختص به، صحب إبراهيم المارستاني، والجنيد بن محمد ومن فوقهما من المشايخ، وكان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه. قال أبو سعيد الخراز: التصوف خلق وليس إنابة وما رأيت من أهله إلاّ الجنيد وابن عطاء. من كلامه رضي الله عنه: من ألزم نفسه آداب السنة نوّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه). توفي رضي الله عنه سنة ٣٠٩ هجرية. (حلية الأولياء ١٠/٣٠٢، طبقات السلمي ٢٦٥، طبقات ابن الملقن ٥٩).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصديق رَضِي الله عنه ـ قَالَ: «سُبحانَ مَنْ لَمْ يجعل السبيل إلى معرفَتِهِ إلا بالعجز عَنْ معرفَتِهِ»!

وأوحى الله تعالى إلى دَاود عليهِ السَّلاَم فَقَالَ: «يَا دَاوُدُ، اعْرِفْنِي وَاعْرِفْ نفسكَ. قَالَ: يَا رَب، عرفتك بأنك قَادِرٌ على كل شيءٍ، وعرفتُ نفسي بأني عَاجز عَنْ كُلِ شيءٍ، فَقَالَ الله تعالى: الآن تَكَامَلَتْ فِيكَ معرفةُ أهل السَّمَاءِ والأرضِ».

وَقَالَ عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما: «مَنْ عَرَفَ الله فلم يستغنِ به؛ فلا أغناه الله».

وسُئِلَ عبد الله بن منازل[1] عن المعرفةِ، فَقَالَ: المعرفةُ أنْ لا تتعجب مِنْ شيءٍ مِنْ أفْعَالِ اللّهِ.

وَقَالَ الشبلي: مَا عَرَفَ الله تعالى من آثر نفسَهُ عليهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ ما ليسَ له عليهِ.

وَقَالَتْ رَابعة العدوية: إن العارفَ قد استوهَبَ من الله تعالى قلبَهُ فوهَبَهُ منه، فلما ملكَ القلبَ دَفعه إلى مولاَهُ ليكونَ فِي قبضته محفوظاً، وَفِي ستره عن الخلقِ محجوباً!

وَسُئِل أبو بكرِ الواسِطِي عَنِ المعرفةِ، فَقَالَ: العَارِفُ فِي قبضته محفوظ، وَفِي ستره محجوبٌ ألا ترىٰ إلى قضاءِ رَسولِ الله ﷺ أنه قال: «من أحيا أرضاً ميتة فَهِي لَهُ»[2].

وَيقال: مَنْ عرفَ الله تعالى استراح قلبه مِنْ همومِ الدُّنيا وأحزان الآخرةِ.

ويقال: مَنْ عَرفَ الله استغنى بِهِ واشتغل بذكرِهِ.

ويُقال: معصية العارِفِ فيما بين الفرح والحزنِ، حزنٌ عَلَى مَا فِي المعصيةِ مِنَ الجفَا مَعَ الله تَعَالَى، وَفرحٌ بِمَا رَأى مِنْ مَنِّهِ عليهِ إذ لم تَكُنْ مَكَانَ المعصيةِ شركٌ.

وَقَالَ بعضهم: العَارِفُ تبكي عينه ويضحك قلبه، لأَنَّهُ إذا ذَكَرَ المعصيةَ بَكَتْ عينه عند ذِكْرِهَا، ثُمَّ إذا ذكَرَ المعرفة ضحك قلبه مِنَ السُّرُور لمعرفتِهِ.

ووصف بعضهم العارفين فَقَالَ: صفت قلوبهم عن التدنس بِالآفَاتِ، فلم يَرَوا بِهِ

---

(١) عبد الله بن محمد بن منازل، أبو محمد النيسابوري، من جلة مشايخ الصوفية، صحب حمدون القصار وأكثر عنه، وكان عالماً بعلوم القوم، وكتب الحديث الكثير. من كلامه رضي الله عنه: (أقل الناس معرفة بنفسه من ظن أنه يجيء من نفسه شيء) وقال: (عبِّر بلسانك عن حالك، ولا تكن بكلامك حاكياً أحوال غيرك). توفي رضي الله عنه بنيسابور سنة ٣٢٩ هجرية. (طبقات السلمي ٣٦٦، طبقات ابن الملقن ٣٤٥، طبقات الشعراني ١/ ١٢٦).

(٢) حديث (من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي في سننه، والضياء عن سعيد بن زيد، ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ٢/ ٤٨٢ الحديث رقم ٨٣٤٤).

بَدِيلاً، وَلاَ عَنْهُ تحوْيلاً، ولا سِوَاهُ كَفيلاً، بَلْ اكتفوا بِهِ هَادِياً ودليلاً، أولئك قوم بسطوا فيما بينهم وَبين معروفهم بِسَاطَ الرِضَىٰ.

وَقِيلَ لِذِي النُون: صف لنا العارفَ، قَالَ: كَانَ هَاهُنَا ثُمَّ ذَهَبَ.

وَسُئِلَ ذَو النونُ: مَا أغلبُ أحوال العارفِ؟ قَالَ: رؤية كُل شيءٍ مِنْهُ، والرُجوعُ في كُلِ شيءٍ إليهِ، وَسؤالُ كُلِ شيءٍ مِنْهُ.

وَقَالَ أيضاً: إن أهْلَ المعرفَةِ تركوا الذنب استحياءً مِنْ كَرم الله عز وجلَ لا خوفاً مِنْ عقوبتِهِ. ولو قَالَ لَكَ افْعل ما شئت فلستُ آخذك بذنبٍ، هَلْ كَانَ ينبغي لَكَ أن يزيدك كرمُهُ إلا استحيَاءً مِنْهُ، فَكَيفَ وَقد حذَّركَ!

وَقَالَ أبو تُرابِ النخشبي[1]: الذي حجب قلوبَ العَارفين بالله عن الله، دَوَامُ نظرِهِمْ إلى الله عزَ وجلّ.

ويُروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالبِ عليهِ السلام أنه قَالَ: مَنْ لَمْ يعرفِ الله فِي الدُنيا لم يعرفْهُ فِي الآخَرة.

وَعَنْ أبي الحسين النورِي أنه قَالَ: قَدْ حيل بيني وبَين قلبي مذ أربعين سنة، وَمَا اشتهيتُ شيئاً، ولاَ تمنيتُ شيئاً وَلاَ استحسنتُ شيئاً، منذ عرفتُ رَبِي عزَ وجلّ!

وَقَالَ ذُو النون المصري: نظرتُ في هذا الأمر فوجدتُ رَأسَ الدينِ أن يعرفَ المَرْءُ نفسَهْ، وَنَظرتُ فإذَا معرفةُ الله تعالى أن يعرف المرءُ قدرَهْ، ونظرتُ فَإذَا أحد لا يصل إلى الله تعالى وعليهِ مِنْ غيرهِ بقية.

وَسُئِلَ أبو الحسنِ البوشنجي عَنِ المعرفةِ، فَقَالَ: زِيَادَةٌ تَظْهَرُ فِي القلبِ، فَلاَ يبخل بما لا قيمة لَهُ عَنْ من لَهُ قيمَة، يعني لا يبخل بالدُنيا عن المؤمنين!

وَقِيلَ لبشرِ الحَافِي ألا تُخَوِّفُ السلطانَ بالله تعالى؟ فَقَالَ: إني لأُجِلُّ اللَّهَ تَعَالَى أن أذكره عند مَنْ لا يَعْرفُهُ!

وَعَنْ أَميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام: ارحَمُوا الفقرَاء بقلة صبرهم، وَارحمُوا الأغنياءَ بقلةِ شكرِهِمْ، وَارحموا الجميع لقلة معرفتهم بربهِمْ.

---

(١) أبو تراب النخشبي، اسمه: عسكر بن حصين ويقال: عسكر بن محمد بن حصين صحب أبا حاتم البصري العطار، وحاتماً الأصم وهو من جلة مشايخ خراسان والمذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع قال عنه ابن الجلاء: (لقيت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب النخشبي) توفي رضي الله عنه في البادية، قيل: نهشته السباع سنة ٢٤٥ هجرية.

بَابٌ في ذِكْر المحبة وَشَرَائِطِهَا

أخبرنَا أبو عبد اللَّه، قَالَ: أخبرَنا أبو سعدِ الواعظ، قَالَ: أخبرَنَا أبو محمدٍ يَحيى بن منصورِ القَاضِي، قَالَ: حدثنا أحمد بنُ سلمةَ البزارُ، حَدَّثنا محمدُ بنُ بشار، قَالَ: حدثنا محمَدُ بنُ جعفر، حدثنَا شعبة، قَالَ: سمعتُ قتَادَة، عن أنسِ بنِ مَالَكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ كن فيهِ وَجَدَ حَلاوة الإيمان؛ من كان يحب المرءَ لا يحبه إلاّ لِلَّهِ تعالى، ومن كان الله ورسوله أحب إليهِ مما سواهما، ومن كان أن يلقىَ في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفرِ بعد إذ انقذهُ الله تعالى منه»(١).

وَقَالَ أبو سعدِ الواعظ رَحِمَهُ اللَّه: اختلفوا في معنى المحبةِ، فقال دَاودُ: المحبة دَوامُ الذِكْرِ. وَقَالَ غيره: المحبة إيثار المحبوبِ في كل حالٍ. وَيقال: المحبة الطاعة. وَيقالُ: المحبة الموافَقة وَقَال جعفر بن محمدٍ: المحبة معنى تعجز القُلُوبُ عَنْ إدْرَاكِهِ، وَتَمْتَنِعُ الألسن عنْ عبارتِهِ.

وَقَالَ عبدُ الواحد بن محمدٍ: المحبة معنى من المحبوب قاهِرٌ للقلوبِ.

وَسئل سفيان بن عيينة(٢) عنِ المحبةِ، فَقالَ: إن المحبةَ، هي اتباع الرسُولِ ﷺ. وَقَالَ بعضهم المحبة كَرَاهِيَةُ البقاء في الدنيا، ومحبةُ شرعِهِ الخُرُوج إلى المحبوبِ مع الطَاعَةِ.

وَقَالَ الجنيد: حرم الله تعالَى المحبة عى صاحب العلاقةِ(٣). وَقَالَ أيضاً: المحبة أمَانَةُ الله تعالَى. وَقَال أيضاً: كُلُ محبةٍ تكون بعوضٍ، فَإِذَا نَالَ العوضَ زَالَتِ المحبةُ.

وَرُوِيَ عن النبي ﷺ أنهُ قَالَ: «حبُكَ الشيء يُعمي وَيُصِمْ»(٤) قَالَ: يعني يُعْمِيْك عن نظرِ الرعيةِ للمحبوبِ، وَيصمك إلى غيرِهِ.

---

(١) حديث (ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) أخرجه الشيخان والإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ـ مولاهم ـ أبو محمد الأعور الكوفي، أحد أئمة الإسلام قال الإمام الشافعي عنه: (لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز) ولد سنة سبع ومائة ومات سنة ثمان وتسعين ومائة. (خلاصة تذهيب الكمال ١٢٤).

(٣) أي: على كل من تعلق قلبه بسواه سبحانه أو التفت إلى غيره.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في التاريخ، وأبو داود في سننه عن أبي الدرداء، وكذا الخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي برزة، وابن عساكر عن عبد الله بن أنيس ورمز السيوطي لحسنه (الجامع الصغير ١/ ٥٠٠ الحديث رقم ٣٦٧٤).

وَقيل: معناهُ حُبُك الدُنيَا يعمي وَيصم عنْ حبِّك الآخرة. وَقيل: يصم عنْ سماع مَا يكرهُهُ غيرهُ فِي محبوبهِ. وقيل: يعمي أنْ يرى في محبوبه مَا يكْرَهُهُ غيرهُ. وأنشد:

مَا فِي النهارِ وَلاَ فِي الليل لي فرجٌ   فلا أبالِيْ أطالَ الليل أمْ قَصُرَا

وَسئل سهل بن عبد اللَّهِ عنِ المحبةِ، فقال: مُعَاينة الطَاعةْ، وَمُبَاينة الفَاقةْ.

وَقَالَ ذو النُونُ: لقيت في بعضِ أسفارِي امرأة تشير إلى المحبةِ، فسألتها عنْ غايةِ المحبةِ، فقالتْ: لاَ غَايَةَ للمَحَبةِ. قلتُ: وَلم؟ قالتْ: لأنه لا غاية للمحبوبِ.

وَقَال ذو النُونِ: قُلْ لمن أظهر حبَّ اللَّهِ عز وجل احذر أن تَذِلَّ لغيرِ اللَّهِ.

وَقَالَ ذو النُونِ: المحبةُ، خوفُ ترك الحُرمَةْ، معَ إقَامَةِ الخدمَةْ.

وَقَالَ الشبلي: المحبة إيثار مَا تحِبُ لمن تحُبُ.

وقيلَ للشبلي: صف لنا العارفَ، وَصف لنا المحبَّ، فقالَ: العارفُ إنْ تكَلّمَ هلَكْ، وَالمحبُ إنْ سكت هلَكْ.

وَدَخَل جمَاعةٌ من الناس على الشبلي في مَارستان، وَقد جمع بين يديه حجارةً، فقالَ: مَنْ أنتم؟ فَقَالوا: نحن أصدقاؤك وَمحبوكَ. فاقبل عليهم يرميهم بالحجارةِ، وَاقبلوُا يهربُونَ. فقالَ: مَا لكُمُ؟ ادعيتم محبتي، فَاصبرُوا على بَلاَئي.

وَللشبلي رَضي الله عنه:

إن المحبة للرحمٰن أسكرني   وَهَلْ رَأيت محباً غير سَكْرَانِ

وَله أيضاً:

يا أيها السيد الكريمُ   حبك بين الحشا مقيمُ
يَا رافع النوم عن جفوني   أنت بما مر بي عليم

ولغيره:

عجبت لِمَنْ يقولُ: ذكرتُ رَبِي!   وَهَلْ أنسى؟ فأذكر مَنْ نَسيتُ
أموتُ إذا ذكرتك ثم أحيا   وَلولاَ مَا أؤمل مَا حييتُ(١)
فأحيا بالمنى وأموت شوقاً   فكم أحيا عليكَ وكم أموتُ
شَرِبْتُ الحُبَّ كأساً بعد كأس   فما نَفَدَ الشراب وما رَويتُ
فليت خياله نصب لعيني   فإن أُقصرتَ عن نظري عميت

(١) وفي نسخة: ولولا حسن ظني ما حييت.

وَسئل أبو يزيد البسطاميُ عنِ المحبةِ، فَقَالَ: المحبةُ استقلالك الكثيرَ مِنْ نفسك، وَاستكثارُكَ القَليل منْ حبيبك. وقال أيضاً: مَنْ أحب الله تعالى تَزَهَّدَ في كُلِ شيء يشغله عن الله عز وجل.

وسُئل عمرو بن عثمان المكي[1] عن المحبة، فقال: سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب مَا سِوَاهَا.

وَقَالَتْ رابعة يوماً: من يدلنا على حبيبنا؟ فَقَالَتْ خادِمَةٌ لها: حبيبنا معنا، وَلكن الدنيا قطعت بيننا وبينَهُ.

وَقَالَ أبو عبد الله بن الجلاّء: أوحى الله تعالى إلى عيسى ابنِ مريم عليهِ السلام: «إني إذا اطلعتُ على سِر عبدٍ، فلم أجد فيه حبَّ الدنيا والآخرة، ملأته من حبي، وتوليته بحفظي.

وعن أبي بكر الجلاجلي قال: دخلت على بعض أهل هذه القصة وهو ينزع، ويتكلم بشيء ما يفهم عنه، فوضعت أذني على فيه، فَإذا هُوَ يقولُ: اخنقنى خنقَكَ وَاعمل بي مَا شئت، فوعزتِكَ مَا أزدادُ لك إلا حُباً.

وعَنْ بعضهم قال: إذا أحبَّك سَتَرَك وغَار عليكْ، وَإذا أحبتَهُ شهرَك وَنَادَى عليكْ.

وسُئل محمد بن المبارك عن المحبةِ، فقالَ: من أعطي من المحبةِ شيئاً وَلم يعط من الخشية مثله فهو مخدُوع.

وَكَانَ سمنون يتكلمُ يوماً في المحبة، فإذا بطائر نزلَ بين يديهِ، فلم يزلْ ينقر بمنقَارهِ على الأرض حتى سَال الدَمُ فماتَ.

وعَن أبي الحسن بن بازيار الواسطي قال: كنت معَ جماعة في مسجد ببغداد، فتكلموا في المحبة، فكنت أفهم مَا يقولون، ثم دَق الكَلامُ حتى مَا كنتُ أفهم قليلاً وَلاَ كثيراً، فإذا بالقناديل ضربت بعضها بعضاً فانكسرتْ.

---

(١) أبو عبد الله بن عثمان بن كرب بن غصص المكي، كان ينتسب إلى الجنيد في الصحبة ولقي أبا عبد الله النباجي، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ القدماء، وهو عالم بعلوم الأصول وله كلام حسن، ومن كلامه رضي الله عنه: (المعرفة دوام محبة الله تعالى، ودوام مخافته ودوام الإقبال عليه، ودوام انتصاب القلب بذكره، وهي علم القلوب بفسخ العزوم، وخلع الإرادات. وإحياء الفهوم، وقال أيضاً: (المعرفة صحة التوكل على الله تعالى). مات رضي الله عنه ببغداد سنة ٢٩١ هجرية. (طبقات السلمي ٢٠٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٩١، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٣).

وَقَال عبد الله النباجي لبعضِ إخوانهِ: تُحِب الله تعالَى؟ فَقَال: أي وَاللَّهِ. فقال: فهل رَأيتَ مُحِباً إلا وهو يتوخى مَسَرَّة مَنْ أحَبَّ.

وَقَالَ أبو عبد الله النباجي في معناهُ:

تعصي الإله وَأنت تظهر حبه ... هَذا محالٌ فِي الفِعَالِ بَدِيعُ
لو كانَ حبُّكَ صَادِقاً لأطعتَهُ ... إنّ المحب لمن يحب مُطيعُ
فاذكر أيادِيهِ عَليكَ وَفضلَهُ ... في بطنِ أمك نطفَةٌ ورضِيعُ

وَكانَ فضيل بن عياضٍ[1] يقولُ: إلهي لو عذبتنى بالنَّار لم يخرج حبُّك مِنْ قلبي، وَلَم أنسَ أيادِيك عندِي فِي دَارِ الدُّنيا.

وَقَال إبراهيم بن أدهَمَ: إلهي تعلم أن الجنة لا تزنُ عندي جناحَ بعوضةٍ في جَنْبِ مَا أكرمتنِي مِنْ محبتِك، وَآنستني بذكرك وَفرغتني للتفكُر فِي عظمتِك.

وسئل يحيى بن معاذٍ عنِ المحبةِ فَقَالَ: هِي مَا لا تزيد بالبِرِّ، وَلا تنقصُ بالجفا.

وَقال:

نفس المحب على الآلامِ صَابرة ... لعل مسقمها يوماً يُدَاوِيهَا

وَعنْ فضيل بن عياضٍ قالَ: أوحى الله تعالى إلى دَاودَ عليه السلام: «كذب منْ ادعى محبتي، إذا جَنَّه الليل نامَ عني».

وَعَنْ أبي سعيدِ الخراز أنه قالَ: تُوفِي بعض الفقراءِ بمكَةَ، فجئت إليه وَهو مسجىً بثوبٍ وَقَدْ غُطي بعباءةٍ فكشفتها عَنْ وَجْهِهِ، فكشر في وجهي فقلتُ: يا سبحانَ الله أحياهُ الله بعد الموتِ، فَقَالَ: أمَا علمتَ أن المحببين أحياء وإن مَاتُوا. وَيقال: أحياةٌ بعد الموت.

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي أحد الأقطاب، ولد بخراسان بكورة أبيورد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد وانتقل إلى مكة وجاور بها، وكان رحمه الله تعالى ورضي عنه، شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وسبب توبته أنه كان يعشق جارية فبينما هو ذات يوم يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] فقال: بلى، . . . والله يا رب قد آن» فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق» فآمنهم وبات معهم. من كلامه رضي الله عنه: إذا أحب الله عبداً أكثر همه - أي: بأمر آخرته - وإذا أبغض الله عبداً أوسع عليه دنياه، مات رضي الله عنه سنة ١٨٧ هجرية. (طبقات السلمي ٦، طبقات ابن الملقن ٢٦٦، حلية الأولياء ٨/ ٨٤).

وعَن الكتاني[1] قال: دخلتُ البادية فرأيتُ فقِيراً ميتاً وَهو يضحك، فقلتُ: أتضحك وَأنت ميت؟ فقال: هَكذا محبو الرحمٰن عز وجل.

وَحكي أن يوسف عليهِ السلام لما تزوجَ زليخا، كانت لاَ تقبل عليهِ إقبالها عليهِ قبل ذلك، فقالَ: «مَالَك تعرضين عني وَقد كنت مشغوفةً بي؟ قالت: ذاك حين لم أذقْ محبة الله عز وجَلّ».

وَقَال أبو بكر الصديقُ رَضِي اللَّهُ عنه: مَن ذاق من خالصِ حب الله تعَالى، شغله عنْ طَلبِ الدُنيَا ذلك، وَأوحشه مِنْ جميع البشرِ.

وَقَالَ ثورُ بن يزيد: قرأتُ في التوراةِ: إن البدن المحب للّهِ عز وَجَل يحب النَّصَبَ[2] لله تَعَالَىٰ.

وَقَالَ مجاهِدٌ: غض البصر يورثُ حُبَّ الله تَعَالَىٰ، وَمَن أحب الله تعَالى أحب أنْ لا يعرفه الناسُ.

وَقَالَ حذيفة المرعشيُ: الموتُ جسر يُوصلُ الحبيبَ إلى الحبيب.

وَقَالَ لقمان لابنهِ: يَا بُنَي، لمحب الله تعَالَى ثَلاثُ علاماتٍ؛ كثرة الصيامِ، وَكثرة الصدقة، وَكثرة الصلاةِ.

وَقَالَ مُطرف: المحب لا يسأم من حديث حبيبه، وَفي رضا الله تعالى عوض مِنْ رضَا غيره، وَلَيْسَ في رِضَا غيره عوض مِنْ رِضَاهُ.

وَقَالَ سَري السقطي: من أحب الله تعالى عَاشْ، وَمن مالَ إلى الدنيا طَاشْ، وَالأحمق يغدو وَيَرُوحُ في لاشْ[3].

وَسئلت رَابعة العدوية عن المحبة، فأنشات تقول:

يَـا مـدعـي الـحـب لـمـولاهُ   مـن ادعـى صـحـح مَـعْـنَـاهُ

مَـن ادعـى دعـوى بـلا شـاهِـدٍ   لا بـد أن تـبـطُـل دَعْـوَاهُ

(١) محمد بن علي بن جعفر الكتاني وكنيته أبو بكر، أصله من بغداد، صحب الجنيد والخراز والنوري وأقام بمكة مجاوراً إلى أن مات، وكان أحد الأئمة، حكي عن أبي محمد المرتعش أنه كان يقول: «الكتاني سراج الحرم»، مات رضي الله عنه سنة ٣٢٢ هجرية. (طبقات السلمي ٣٧٣، حلية الأولياء ١٠/٣٥٧، طبقات الشعراني ١/١٢٩).

(٢) أي التعب والمجاهدة وتحمل المشاق في رضا الله تعالى.

(٣) أي: في لا شيء يعود عليه بفائدة في أخراه.

فقيل لهَا: كيف حبكِ للرَسُوْلِ ﷺ؟ فَقالَتْ: واللّهِ إني لأحبه حباً شديداً، ولكن حب الخالِق شغلني عن حب المخلوقين.

وَسئل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السلامُ: أي العمل أفضَلُ؟ فَقَالَ: «الرِضَا عَن الله عز وَجلّ، والحبُ لَهُ عز وَجَلّ».

وَقَالَ خالد بن مضر القشَيْريُ: قدمَ علينَا سعدون المجنون، فسمعته ليلةً من اللّيالي يقولُ في دُعائه: لَكَ خَشعَتْ قُلُوب العارِفين، وَإليكَ طمحت آمَالُ الراجين، ثم أنشأ يقول:

فكن لربك ذَا حُبٍ لتَخدمَهُ ... إنَّ المحبين للأحبَابِ خُدَّامُ

وللبحتري:

لا تقف بي على الديَار فإني ... لَستُ مِنْ أرْبُعٍ وَرَسْمٍ مُحِيلِ

في بكائي على الأحبة شُغلٌ ... لأولي الحب عَنْ بكاء الطُلُولِ

وَسئل سمنونُ عنِ المحبةِ فَقَال: صَفَاء الوُدِ مَعَ دَوَامِ الذِكْرِ، يقولُ الله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾(١) وَيَقُول النبي ﷺ: «مَنْ أحَبَّ شيئاً أكثر مِنْ ذكْرِهِ»(٢) وَعَنْ علي بن سعيد القطان، قَالَ: مررتُ بعبادَان بمكفوفٍ مجذوم، وَإذَا الزنبُورُ تقع عليهِ فتقطعُ مِنْ لَحْمِهِ، فقلتُ: الحمدُ لله الذي عَافَانِي مِمّا ابتَلاَهُ بهِ: وَفَتَحَ مِنْ عيني ما أغلقَ مِنْ عَيْنِهِ، فبينا أَرَدِدُ الحَمْدَ، إذْ صُرِعَ، فبينا هو يتخبَّطُ، إذ نَظَرْتُ إليهِ فَإذَا هُو مقعد، فَقُلْتُ: مَكفوف، مصروع مقعد، مجذوم، فما اسْتَتْمَمْتُ حتى صَاحَ بي: يَا متكلف مَا دُخولُكَ فيما بيني وَبينَ رَبي عز وجل، دعه يعمل بي مَا يشاء، ثم قَالَ: وَعزتك وَجَلالِكَ لو قطعتني إرباً إرباً، أو صَببت عليَّ البلاء صَباً، ما ازدَدْتُ لَكَ إلاّ حُبّاً.

وَقَالَ رُويم: المحبة الوفَاء مَعَ الوجلْ، وَالخدمَةُ مَعَ طلبِ الوصْلِ وَالأمَلْ.

وَقَالَ أبو عَبْدِ اللّهِ النباجيُ: أفْضَل نعم الله تعالى على خَلْقِهِ مَا ألهمهم من حبهِ، فَلَو تَقَرّبْتَ إلى الله تعالى بِكُلِ عَمَلٍ لَمْ تَكُنْ فِيْهِ محبةٌ لم يقبل.

وَقِيْلَ: عَلامَة المحب أن لا يمدحَ غير المحبوبِ باللّسَانْ، وَلاَ يرى غيره بالجنانْ، وَلاَ يعبد غيره بالأركانْ.

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١].

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية، والديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، ورمز السيوطي لضعفه. (الجامع الصغير ٢/ ٤٧٨ الحديث رقم ٨٣١٢).

وسئل يُوسُفُ بنُ الحسين[1] عنِ الحبُ، فَقَالَ: أشَدُهُمْ حُباً لله أشدهم له تذللاً، وأكثرهم شفقة وَنَصِيحة لخَلْقِ اللّهِ أجمعين.

وَقَالَ سفيان الثوري: جَاء في بعضِ كُتُبِ اللّهِ تَعَالَىٰ السَالفةِ التي لم تغير وَلم تُبدل: إنّ الله عز وَجَل أوّل مَا يُعَاقِبُ بِهِ هذه الأمّةِ فقدُ الأحبابِ.

وَسئل بعضُ المشايخ عنْ أصْلِ المحبةِ، فَقَال: جَذْبُ السِّرِ بلطائف البرْ.

وَسئل الجنيد عنْ قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فَقَالَ: إنّ أَهْل السندِ والهند يحرْقونَ أنفسهم على وَجهِ الصنم، فإذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ حُشرُوا مَعَ أصنامهم إلى باب جَهَنّمَ، فَيقالُ لهُم: ادخلُوا النار مع أصنامِكُمْ كَمَا دخلتم النار في الدُنيَا، فيأبَونَ، فَيَقُولُ الله تعالى لِلْمُؤمِنِينَ: ادْخُلوا النار، فيقولون: لبيكَ وَسعديكَ، إذْ أمرتنا، فذلك قولُ الله عز وجل: ﴿وَالذين آمَنُوا أشد حُبّاً للّهِ﴾.

وقال يحيى بن مُعَاذِ الرازي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ:

الناسُ عندِي عشرهْ ... والحبُ عندِي عشرهْ
فتِسْعَةٌ في وَاحِدٍ ... وَوَاحِدٌ فِي العشرهْ

وَقَالَ بعضهم: قرأتُ في بعض الكُتُبِ: يَقُولُ الله عزّ وجلّ: يَا ابن آدم أنا وَحقكَ لَكَ مِحِبٌ، فبحقي عليك كن لي محباً.

وَقَالَ أبو يزيد: المحبُ لا يريدُ الدنيا وَلا الآخِرَةَ، وَإنّمَا يريد مِن مولاه مولاةْ.

وسئل بعضهم ما الحب؟ فقال: الحب من تعليم الحق لا من تعليم الخلقِ.

وقال الشبلي: المحبة دهش في لذةٍ، وَحيرة في تعظيم.

وقيل: من أحبَّ الله عز وَجلَّ فليدع مَعَاصيهِ، وَمن أرَادَ التقربَ إلى الله عز وَجَلَ ففي طاعتِهِ، وَمَنْ تقرب إلى اللّهِ سبحانَهُ ازدَادُ الله منه قرباً[2].

---

(١) يوسف بن الحسين أبو يعقوب الرازي، شيخ الري والجبال في وقته، كان أوحد في طريقته في إسقاط الجاه وترك التصنع واستعمال الإخلاص، وكان عالماً أديباً، صحب ذا النون وأبا تراب ورافق أبا سعيد الخراز في بعض أسفاره. توفي رضي الله عنه سنة ٣٠٤ هجرية. (طبقات السلمي ١٨٥، طبقات ابن الملقن ٣٧٩، حلية الأولياء ١٠/٢٣٨).

(٢) شاهده من الحديث القدسي الشريف يقول الله عز وجل: (أنا مع عبدي حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً، فإن أتاني يمشي أتيته هرولة) رواه أحمد ٢/٢٥١.

وَيقال: صِدْقُ الرغبة الطلبُ، وَصدقُ الرهبةِ الهربُ، وَصِدْقُ المحبةِ الخدمَةُ.

وعن سَرِي السقطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تُدْعى الأمم يومَ القِيَامَةِ بأنبيائهم عليهم السَّلامُ، فيقال: يَا أمة مُوسَىٰ، وَيَا أُمة عِيْسَى ويا أمّة محمد صلى الله عليهم وسلَّم، غير المحبين للَّهِ فإنهم ينادَون يا أولياء اللَّهِ هَلُمُوا إلى الله سُبْحَانَهُ، فتَكَادُ قُلُوبُهُمْ تنخلع فَزَعاً.

وَسئل الفضيل بنُ عياضٍ عن المحبةِ، فقال: هِيَ أنْ تؤثر الله سبحَانَهُ على مَنْ سِواهُ.

وعنْ علي بنِ بَكارٍ[1] قَالَ: حبه طاعته، إذا أطعته فقد أحببتَهُ.

وَقَالَ بعضهم: المحبة إيثارُ مَا لله تعالى على مَالَكَ. وقيل: المحبَةُ أن تَجد مِنْ بلائهِ وَمحنه حَلاوةً، كَمَا تجد مِنْ نعمِهِ حلاوةً، لأن المحب لا يَجِدُ الْكَرَاهِيَة مِنْ أفعالِ حبيبه[2].

وَقيل: المحبةُ هِيَ الخُضُوع للربوبيةِ بذلَّةِ العبوديةِ، وَالخُرُوجُ مِن الاعتراضِ عليه فِي جميعِ الآفاتِ.

وقيل: المحبة إنْ يَمْحُوَ أثرك عَنْكَ حتى لا يبقى فيكَ شيءٌ رَاجع منكَ إليكَ.

وَقَال بعضهم: المحبةُ سُكرٌ لاَ يصحو صَاحبُهُ إلا بشهودِ محبوبِهِ.

وقيل: المحبة قُربُ القلبِ مِنَ المحبوبِ بالاستبشارِ وَالفرح.

وَقِيل: المحَبةُ نَارٌ تلتهب، وَحرقاتٌ تشتعل، وَمزاجٌ يمتزجُ بنفسِ المحبِ لموافقةِ المحبوبِ.

وَيقال: منزلة محبةِ العبدِ لله تَعَالَىٰ، كمنزلةِ معرفَةِ العبد باللَّهِ عزّ وَجَلَّ، فَعَلَىٰ حسب معرفته باللَّهِ تعَالَىٰ تكونُ محبتُهُ للَّهِ تعالى، وَكَمَا لا تقع الكيفية في المعرفةِ وَإنْ ظهرتْ أعلامها، كذلَك لا تقع الكيفية على عين المحبة وَإن بدا تأثيرها.

وَسئل إبراهيم الخواص عن المحبةِ، فَقَالَ: محو الإرَادَاتْ، وَاحتراقُ جميع الصفاتِ وَالحَاجَاتْ.

وَقَالَ أبو يعقوب السُوسِي: لاَ تَصح المحبَةُ حتى تَخْرُجَ مِنْ رُؤْيَةِ المحبةِ إلى رُؤْيَةِ المحبوبِ فيكون فانَياً في المحبوب، بفناء علم المحبةِ، مِنْ حيث كَانَ له المحبوبُ في

(١) علي بن بكار الشامي، كان فقيهاً زاهداً ورعاً، من الفقه والتصوف متضلعاً، وكان يصلي الغداة بوضوء العتمة، من كلامه: (اتق الله والزم بيتك وأملك لسانك واترك مخالطة الناس تنزل عليك الحكمة من فوق) توفي رضي الله عنه بالمصيصة سنة ١٩٩ هجرية. (الكواكب الدرية للمناوي ٢٥٦/١).

(٢) وإذا رأيت الله في الكل فاعلاً ... رأيت جميع الكائنات مِلاَحا

الغيبِ، وَلم تكن هذه المحبة، فإذا خرج المحبُ إلى هذه الخَصلة، كَانَ محباً مِنْ غير محبةٍ.

وَسُئِلَ سهل بن عبد الله عنِ المحبةِ فقالَ: عين المحبةِ عطف اللّهِ تَعالى بقلب عبده بمشاهدتِه بعد الفهمِ للمرادِ منه.

وَقَالَ محمد بن الفضل[1]: المحبَةُ محبَةُ إيثارٍ، وَهي على أربعة معانٍ؛ أحدُهَا: دَوامُ الذِكرِ بالقلب وَالفرحُ، وَالثاني: شدة الاستئناس بهِ. وَالثالثُ: قطع الاشتغالِ عنْ كُل قاطعٍ يقطعه عنه، وَالرابع: إيثارُهُ على نفسِهِ وعلى جميع مَا سِوَاهُ، كمَا قَالَ اللّهُ سبحانَهُ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾[2] إلى آخر الآية، فهذا وَصفُ المحبين لله تعَالى الذين تكونُ محبتهم له على معنى الإيثار ثُمَّ تكونُ معامَلَتُهُمْ بعد ذلك على أربع منَازِلَ؛ على المحبةِ، وَالهيبةِ، وَالحياء، وَالتعظِيمْ، وَأفضلها التعظيمُ، وَالمحبة. لأن هاتين المنزلتين يبقيان في الجنة مع أهل الجنةِ ويرفع عنهم غيرهُمَا.

وَقال هرم بن حيان: المؤمن إذا عرفَ رَبَهُ عز وَجل أحبه، وَإذا أحبه أقبل إليه، وَإذا وجدَ حلاوة الإقبال إليهِ لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، وَلم ينظر إلى الآخِرَةِ بعين الفترة، وَهي تحسره في الدنيا وَتروحُهُ في الآخرة.

وَرُوي أن النبي ﷺ قَالَ: «يقول الله تبارك وتعالى: (لا يزال العبد يتقرَبُ إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببتُهُ كنتَ له سمعاً وَبصراً، وَيداً وَمؤيداً)[3]، وسمع بعض الزنُوج يقولُ:

---

(١) أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي، من أكابر مشايخ خراسان وجلّتهم، صحب ابن خضرويه وغيره وكان أبو عثمان الحيري يميل إليه كثيراً، وكان يقول في حقه: هو سمسار الرجال. رحل من بلخ إلى سمرقند وتوفي بها سنة ٣١٩ هجرية. من كلامه: (علامة الشقاوة ثلاثة أشياء يرزق العلم ويحرم العمل، ويرزق العمل ويحرم الإخلاص، ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم). (طبقات ابن الملقن ٣٠٠، طبقات السلمي ٢١٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٢).

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾ [التوبة: ٢٤].

(٣) في الحديث القدسي الشريف الذي أخرجه البخاري ٨/ ١٠٥، بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته). (الأحاديث القدسية ٨١).

(وَمَن دَاواك داكَ ملوكَ متلابي، ومن داواك داكِ يا مكندي). وَترجم فإذا معناهُ: هذا لساني قررُوهْ، وفؤادِيْ فَتشُوهْ، إنْ وجدتم غير حبي فاقتلوني وَدَعوْهُ.

وَحكي عنْ يحيى بن مُعَاذِ الرازي أنه قالَ: عفوه يستغرق الذنوب، فكيف رضْوَانُهْ، وَرِضوانه يستغرق الآمالَ فكيف حبُهْ، وَحبه يدهش العقول فكيف ودُهْ، وَوده ينسى مَا دُونَهُ فكيفَ لطفُهْ. وأنشد الشبلي:

دَعتني دَوَاعي الحب مِنْ كُلِّ جَانِبِ ... فليسَ لها مِنِي سبِيلٌ وَمهرَبُ
وَحمّلتني مَا لم تُطِقْهُ جَوَارِحِي ... فسرُكَ في الأحشاءِ مني مُغَيّبُ

آخر الجزء الأول، وَيتلوه فِي الجزء الثاني: بَابٌ في ذكر الشوق إلى
الله عز وجل الحمد للّهِ وَحده، وَصلواته على سيدنا
محمدٍ نبيه، وَآله وَأزواجه وَصحبه أجمعين،
وَسلم تسليماً كثيراً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بَابٌ فِي ذِكْرِ الشَّوْقِ

أخبرنَا أَبُو عبد الله محمد بنُ أحمد بن مُوْسَى الشيْرَازِيُ، قَالَ: أخبرنَا أبو سَعْدِ الخركوشِي، قَالَ: أخْبرنَا أبُو إسْحَاق إبْراهيم بنُ عَبْدِ اللَّهِ الأصبهاني، قَالَ: حَدَّثَنَا محمد بن إسحق بن خُزيمة قَالَ: حَدَّثَنَا محمَدُ بنُ يَحْيَى، قَال: حدثنا أبو المغيرة، قَالَ: حَدَّثَنَا أبو بَكْرٍ - يعني ابن مريم - قَالَ: حدثني ضمرة بنُ حبيب، عَنْ أبي الدَرْدَاءِ، عَنْ زيد بن ثَابتٍ، أنَّ النبي ﷺ علمَهُ وَأمَرَهُ أنْ يتعهد أهْلَهُ بِهذَا الدعاء: «اللَّهُمَّ إني أسألكَ الرضا بعد القضا، وَبرد العيش بَعْدَ المَوْتِ، وَلذة النظر إلى وجهك الكَرِيم، وشوقاً إلى لقائك، مِنْ غير ضَراء مُضرةٍ ولاَ فتنة مُضِلَّةٍ، لبَيكَ اللَّهُمَّ لَبَيك، لبيكَ وسعديكَ، والخَيْرُ فِي يَديك وَمِنْكَ وَإليكَ، اللهم مَا قلتُ مِنْ قولٍ أو نَذَرتُ مِنْ نَذْرٍ، فمشيئتك بين يدي ذَلِكَ كُلهِ مَا شئت كَانَ وَمَا لم تَشأ لاَ يَكُوْنُ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مُحمدٍ أنَّهُ سَمِعَ امرأةً مِنَ المتعَبدَاتِ تقولُ وَهِيَ بَاكِية وَالدمُوعُ على خَدهَا جارِيَةٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحياةِ، حتى لو وجدت المَوْتَ يُبَاعُ لاشْتَريته شوقاً إلى الله عزَ وجل، وحباً للقائِهِ. قَالَ فقلتُ لَهَا: أفَعَلَى ثقةٍ أنتِ مِنْ عَمَلِكِ؟ قَالَتْ: لاَ، ولكني بحبي إياهُ وحسن ظني بِهِ، أفتَرَاهُ يُعذبني وأنَا أحبُهُ.

وأوحى الله تعالى إلى دَاودَ عليهِ السلاَمُ: «يَا دَاود، لو يَعْلَمُ المدبِرُونَ عَني كيف انتِظَارِي لَهُمْ، وَرِفْقِي بِهِمْ، وَشَوْقِي إلى ترك مَعَاصيهم، لماتُوا شوقاً إليَّ وَتَقطعت أوْصالُهُمْ فِي مَحَبتِي».

«يَا دَاوُد، هذه إرَادَتِي فِي المدبِرينَ عني، فكيفَ إرادتي فِي المقبلين عليّ؟! يَا دَاوُدُ، أحْوَجُ مَا يَكونُ العبدُ إلي إذا استغنى عَني، وَأرحم مَا أكونُ بعبدي إذا أدْبر عني، وأجلُ ما يكون عندي إذا رجع إليّ».

وَعَنْ فتحِ الموصِلِي قَالَ: مَنْ أدَامَ الذِكْرَ بقلبِهِ ورَّثه ذلك الفرحَ بالمحبوبِ، وَمَنْ آثرَهُ

---

(١) رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد، وورد بألفاظ أخرى عند ابن أبي شيبة وأحمد من حديث عمار بن ياسر (كنز العمال ٢/ الحديث رقم ٣٧٤٢، اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٩/ ٦٠٤).

على هواهُ ورِّثهُ ذلك حبه إياه، وَمَنْ اشتاقَ إليه زَهَّدْ فِيمَا سواهُ.

وَقَالَ يحيى بن معاذ: هم ثلاثة: زَاهِدٌ، وَمُشْتَاق، وَوَاصِلٌ. فالزَاهِدُ يُعَالِج الصبر، والمُشْتاق يُعَالِجُ الشكْرَ، وَالواصِلُ يُعَالِجُ الولاية.

وَقَالَ أبو خَالِدِ الصفار: لقى نبي مِن الأنبياء عابداً فقالَ لَهُ: «إنّكُمْ مَعَاشِر العُبَّادِ تَعْمَلُونَ على أمرٍ لَسْنَا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ نَعْمَلُ عليهِ، أنتم تعمَلُون على الخوف والرَجَاء، ونحن نعمل على المحبةِ وَالشوقِ».

وَقَالَ رَجل لعبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ[1] يا أبا عبيد، أي الرجلين عندكَ أفضلُ، رَجُلٌ أحبَّ البقاء ليطيع الله تعالَى، وآخر أحبَّ الخُرُوجَ شَوْقاً؟ فَقَالَ: الذي أحبَّ الخُروج شوقاً أفْضَلُ.

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ: وَمَنزلَةٌ ثَالِثَةٌ، قَالَ: لاَ أعْرِفُهَا، قَالَ: بَلَى الذي لا يحب البقاء لِطَاعَةٍ، وَلاَ يحبُ الخُرُوجَ شَوْقاً، أحبُ ذلَكَ إليهِ أحَبُّهُ إلى مَوْلاَهُ إنْ أبقاهُ أحبّ ذلكَ، وإن أخرجَهُ أحَبَّ ذَلِكَ.

وَعَنِ الشبلي قَالَ: أوحى الله تعالى إلى دَاود عليهِ السلام: «يَا دَاوُدُ، ذكري للذاكرين، وجنتي للمطيعين، وَزيارتي للمشتاقين، وأنا خَاصَةٌ للمحبينَ.

وأوحى الله تعالى إلى آدمَ عليهِ السلامُ «يَا آدَمُ، مَنْ أحبَ حبيباً صَدَّق قوله، وَمَنْ أنس بحبيبه رَضِيَ فِعْلَهُ، وَمَنْ اشتاقَ إليهِ جدّ فِي مَسِيْرِهِ.

وَعَنْ بعضِ المشايخ قَالَ: إذَا مَنّ الله تعالَى عَلَى عَبْدٍ بعبادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، فَتَحَ لَهُ بَابَ الخوفِ، فيعبد الله تعالى على الخوفِ، فَلاَ يهنيه العيش فِي ذَلِكَ فيرحمهُ، ثُمَّ يفتح عليهِ بَابَ الرَجَاء، فَيعبده على الرجاء، ثم يفتح عليه باب الحب، فيعبده على الحبُ، ثُمَّ يفتح عليهِ بَابُ الشوقِ وَالإِنَابةِ، فيعبدُه على ذَلِكَ وَهُوَ مُشتاقٌ إلى اللّهِ عزَّ وجلَ حتى يَأتيهُ الموتُ.

---

(١) هو عبد الواحد بن زيد ـ وقيل ابن زياد ـ العبدي ـ مولاهم ـ أبو بشر البصري، أحد الأعلام يروي عن ليث بن أبي عامر وغيره وهو شيخ الصوفية في وقته، وأعظم من لحق الحسن وغيره، وكان عابداً قانتاً، زاهداً واعظاً رائداً، كثير الصلاة والصوم، وعظ يوماً فمات في مجلسه أربعة أنفس قبل أن يقوم، صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان مجاب الدعوة. من كراماته: أنه أصابه الفالج فدعا الله تعالى أن يطلقه في وقت الوضوء فكان إذا أراده انطلق فإذا فرغ عاد مفلوجاً. مات رحمه الله سنة سبع وسبعين ومائة. (طبقات ابن الملقن ١٨٣، الكواكب الدرية المناوي ٢٤٥، خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٩).

وأوحى الله تعالى إلى دَاود عليه السَّلاَمُ: «إني إذَا رَفعتُ الحجُب قُلتُ: أينَ المُشتاقُونَ الذين بغضوا لذيذ الطعامِ مِنْ أجلي، أين المشتاقون الذين جَعَلُوا مَكَانَ الضحكِ بُكاء خوفاً مِني. أين المشتاقون الذين آثروا مُنَاجَاتي على الدُنيا. يَا دَاوَد، مَنْ عَظَّمَنِي عَظمتهُ يومَ القيامَةِ وأعْطَيْتُهُ أمنيَتَهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ».

وَكَانَ أبو عبيدِ الخَوَاص[1]: يضرِبُ على صدره ويقول: وَاشَوقَاهُ إلَى مَنْ يَرَانِي وَلاَ أرَاهُ.

وَعَنْ عَبْدِ الواحدِ بنِ زَيدٍ قَالَ: دَخَلتُ عَلَى أبي عَاصِمٍ وافد أهْلِ الشَام، فقلتُ: يَا أبَا عَاصم أمَا تشتاق إلى الله عز وجل؟ قَالَ: لاَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لأَنَّ الشوق يكون إلى الغائبِ، فَإذَا كَانَ الغَائِبُ حَاضِراً شَاهِدَاً، فأينَ يكون الشوقُ؟ قلتُ: سَقَطَ الشوقُ.

وقَالَ أبو سليمان: أوحى الله تعالى إلى دَاودَ عليهِ السلام: «يَا دَاوُدُ، إني خلقتُ قلوب المشتاقين إليَّ مِنْ رضواني واتخذتهم لنفسِي، وَجَعلتُ أبْدَانَهُمْ فِي الأرضِ مواضع نظرِي، وَقطعتُ مِنْ قُلُوبِهِمْ طريقاً ينظُرونَ بِهِ إليّ، وَيزدَادُونَ بِهِ لَدِي فِي كُلِ يومٍ شوقاً».

وقال الجنيد: بكى يونس حتى عمي، وقام حتى انحنى، وصلى حتى أقعد، وقال: وعزتك وجلالك، لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته إليك، شوقاً مني إليك.

وَقَالَ رَجُلٌ للشبلي: مَاذَا تستريحُ قلوبُ المحبين المشتاقين؟ فَقَالَ: إلى سُرُورِهِمْ بِمَنْ اشتاقُوا إليهِ.

وَقَالَ يوسف بن أَسْبَاطٍ: للشوقِ عَلاَمَاتٌ؛ حُب الموتِ عِند الراحةِ فِي الدُّنْيَا، وبغضُ الحياةِ عند الرغبةِ فِيْهَا، والأنس بذكره، والحَرَكَةُ عِنْدَ نشرِ آلائه، والطربُ عند التفكرُ فِي سَاعَاتِ النظرِ إليهِ.

وَقَالَ الشِبْلِي: نَارُ الهيبة تذيبُ القلوبَ، وَنَارُ المحبَةِ تذيبُ الأرْوَاحَ، وَنَارُ الشوقِ تُذيبُ النفوسَ.

---

(١) كذا في الأصل المخطوط وهو خطأ نسخي صوابه أبو عبيدة الخواص، من كبار مشايخ الصوفية، والسلف الصالح، مكث أربعين سنة لا يضحك، ولم يرفع رأسه إلى السماء سبعين سنة حياء من الله عز وجل ومن كلامه: عليكم بسيرة السلف الصالح فاهتدوا بهديهم فإنكم في زمن قلّ فيه الورع، وحمل العلم فيه مفسدوه وأحبوا أن يعرفوا بحمله فنطقوا فيه بالرأي ليزينوا ما دخلوا فيه من الخطأ، فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها ولذلك كانوا من أشد الناس عذاباً. (الكواكب الدرية ١/ ١٦٠).

وَيُقَالُ: أحلَىٰ شيءٍ فِي قلب الوَلِيّ حُبُّ مَولاَهُ، وأطيبُ حَالَةٍ فِي وَقْتِ مَا يَرتع فِي رِيَاض الشوقِ.

وَيُقَالُ: مَكْتُوبٌ فِي التورَاةِ: شَوّقناكُمْ فلم تشتَاقُوا، وَخَوّفْنَاكُمْ فَلم تخَافُوا، وَنُحْنَا لَكُمْ فَلم تنوحُوا.

وَعَنْ علي بن أبي طالبٍ عليهِ السلام قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِي ﷺ عَنْ سُنتهِ، فَقَالَ: «المعرفَةُ رأسُ مَالِي، والعَقْل أصل دِيني، والحبُّ أسَاسِي، وَالشوقُ مَرْكبي، وذِكْرُ الله تعالى أنيسي، والثِّقَة كَنزي، والحزنُ رَفيقي، والعِلْمُ سلاحِي، والصبرُ رِدَائي، والرضَا غنيمتي، والعَجْز فَخري، والزُهْدُ حرفتِي، واليقينُ قُوتِي، والصدقُ شفيعي، والطَاعَةُ حسبي، والجِهَادُ خلقي، وَقرة عيني في الصلاةِ»(١).

وَسُئِل أبو بكرِ الواسِطِي عَنِ العارِفِ، فَقَالَ: مَنْ عَرفَهُ غَابَ، وَمَنْ وقَعَ فِي بحر شوقه ذَابَ، وَمَنْ عَمِلَ لوجهِهِ نَالَ الثوابَ، وَمَنْ أدركَ سخطَهُ حل بِهِ العقابُ.

وَقَالَ ذُو النُون: سُبحانَ مَن جعل الأَرْوَاحَ جُنوداً مجندة، فأرْوَاحُ العارفين جلاليَّةٌ قدسِيّةٌ، فلذلك اشتاقُوا إلى الله تعالى، وأرْوَاحُ المؤمنين رَوْحَانيةٌ، فلذَلِكَ حنوا إلى الجنةِ، وأرْوَاحُ الغَافِلِينَ هوائيةٌ، فلذلك مَالُوا إلى الدنيا.

وَسُئِل بعضهم عن الشوق فَقَالَ: هَيَمَانُ القلبِ عند ذِكْرِ المحبوبِ.

وَقَال بعضُ المشايخ: رأيتُ فِي جبل لكام رَجُلاً أسْمَرَ اللونِ، ضعيف البدنِ، وهو يقفزُ مِنْ حجرٍ إلى حجرٍ ويقولُ: الشوقُ والهوى صيراني كَمَا تَرَى.

وَيُقَالُ: الشوقُ نار الله، أشعلها في قلوب أوليائِهِ حتى يحرقَ ما في قلوبهم بِهَا مِنَ الخَواطرِ والإرَادَاتْ، وَالعَوارِضِ والحَاجَاتْ، وَعَنْ الجَنيد فِي قولِهِ عَزَ وجلَ عَنْ مُوسَى عليهِ السلامُ: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] قَالَ: إنما قَالَهُ شَوْقاً إليهِ، وَاستعانَةً لِمَنْ هُو مَبْعوث إليهمْ، فَقَالَ: ﴿هُمْ أُولاءِ على أثري، وَعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِترْضَى﴾.

وَيُقَال: الشوقُ فِطَامُ الجوَارِح عَنِ الشهَواتِ.

---

(١) قال العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء: ذكره القاضي عياض من حديث علي، ولم أجد له إسناداً. وسئل عنه الحافظ ابن حجر في فتاويه فقال: لا أصل له. وقال السبكي في طبقاته ٦/٣٧٨: لم أجد له إسناداً.

وَقَالَ شَاه الكرمَانِي[1] رَضِي الله عَنْهُ: المُشْتَاقُونَ على عشرة مَقَامَاتٍ؛ تعلقُ القلوب بِهِ، وَطَيرانُ الصدر إليهِ، والحَرَكَةُ عند ذِكْرِهِ، والأُنسُ بالوحدةِ، والهَرَبُ مِنَ الألفَةِ، والتزين بِمَعاني كلام الرّحمنِ، والبُكَاءُ على النفسِ فِي الخَلْوةِ، والاستغاثة بِهْ، والتعرضُ لمناجَاتِهْ، والتأسف على مَا فَاتَهْ.

وَقَالَ أبو عثمان: الشوقُ ثمرة المحبةِ، مَنْ أحَبَّ اللّهَ اشتاقَ إليهِ وَإلى لِقَائِهِ.

وَقَالَ أيضاً: بِقَدْرِ ما يصل إلى قلب العبدِ مِنَ السُرور بالله تعالى يشتاق إليهِ، وعلى قدرِ شوقِهِ إليه يخافُ مِنْ بعدِهِ وطَرْدِهِ.

وَقَالَ بعضُهُمْ: مَنْ اشْتَاقَ إلى الله تعالى أنسَ بِهِ، وَمَن أنِس طِرَبَ، وَمَنْ طربَ وَصَلَ، وَمَنْ وَصَلَ اتّصل، فطوبى لهُ وحُسْنُ مَآب.

وَقَالَ يحيى بن مُعَاذٍ: عَلاَمَةُ الشوقِ إلى الله عز وجل حُب الحياةِ مَعَ الراحَةِ. ويُقَالُ: بُغْضُ الحياةِ مع الراحةِ.

وَقَالَ: قَارسُ قُلُوبِ المُشْتَاقين منورة بنور الله تعالى، فَإِذَا تَحَرَكَ الاشتياق، أضاء النُور مَا بين السماءِ والأرض، فيعرضهم الله تعالى علىٰ الملائِكَةِ، فيقولُ: «هؤلاءِ المشتاقُون إليَّ أشهدُكُمْ أني إليهم أشوقُ».

وَأوحى الله تعالى إلى دَاوُدَ عليهِ السلام: «يَا دَاود، ألا طَالَ شوقُ الأبرار إلى لقائي، وَإني إليهم لأشد شوقاً».

وَقَالَتْ رَابِعَةُ: واللّهُ مَا عَبدتُ الله تعالَىٰ حينَ عبدتُهُ خوفاً مِنَ النَارِ، ولا شوقاً إلى الجنةِ، ولَكِنْ أعبدهُ حُباً لهُ وشوقاً إليهِ.

وَقَالَ بعضُهُمْ فِي مناجاتِهِ: إلهي ما أشْوَقني إلى لقائك، وأعْظم رجائي لجزائك، فأنْتَ الكريم الذِي لا يخيبُ لديكَ أملُ الآمِلِيْنَ، وَلاَ يبطلُ عندك شوقُ المشتاقِينَ.

وأنشد لسمنون بن الحسنِ المحب رَضِي الله عنه:

أفْديكَ بَل قَلّ أن يفديكَ ذُو دَنَفٍ ... هَلْ فِي المذلةِ للمشتاقِ مِنْ عارِ؟!

بِي منك شوقٌ لو آنّ الصخر يحملِهُ ... تفطَّر الصخر مِنْ مستوقَدِ النارِ

---

(١) هو شاه بن شجاع أبو الفوارس الكرماني، من أولاد الملوك، كان من أجلّة الفتيان وعلماء هذه الطبقة، ورد نيسابور ومات فيها قبل الثلاثمائة ويقال أصله من مرو. (طبقات السلمي ١٩٥، حلية الأولياء ١٠/٢٣٧، طبقات ابن الملقن ٣٦٠).

بَابٌ فِي القُرْبِ

أخبرنَا محمَدُ قَالَ: أخبرنَا أبو سعدِ الواعِظُ، قَالَ: أخبرنَا أبو إسحق إبراهيمُ بنُ أحمد بن رَجَاء، قَالَ: أخبرنَا أبو عَرُوبَة الحراني، قَالَ حَدَّثَنَا مُحمَّدُ بن زنبورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد العزيزِ، عَنْ سهيلٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ أبي هُرَيرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: إذا أحبَ عَبْدِي لِقَائي أحببتُ لِقَاءهُ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نفسِهِ ذكرتُهُ فِي نفسِي، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي ملأ من الناس ذكرته في ملأ خير منهم، وَإِذَا تقربَ إليَّ شِبْراً تقربتُ إليهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تقرب إليَّ ذِرَاعاً تقربتُ إليه بَاعَاً، وَإِذَا جَاءني يمشي جئته أهرولُ»[1].

قَالَ سُهَيل - يعني أبَا صالحٍ - والله أعلمُ وَلاَ أعلَمُ إلاَّ أنَّهُ قَالَ تعالى: «وأنَا عند حسن ظن عبدي بي».

وَجَاء رَجل إلى ذِي النون المصري فَقَالَ: دُلَني على الحق، فقَالَ: إن أردتَ الدَّلاَلَةَ عليه فهِي أكثر مِنْ أن تحصَى، وَإِنْ أردتَ القربَ ففي أولِ قَدَمٍ.

وَقَالَ الفضيل: مَنْ كَانَ بِطَاعَتِهِ مِنْ الله عزَ وجلّ قَريباً، كَانَ فِي الأرضِ بين الخلق غريباً، وَمَنْ كَانَ لنفسِهِ فِي صحتِهِ طبيباً، كَانَ فِي مَرَضِهِ لطبيب الأطباءِ حبيباً.

وَقَالَ سَهْل بنُ عبد اللَّهِ[2]: إذَا لَم يفتح الله عَزَ وجلَ على العبدِ ثلاثاً، فَهُو مُضطربٌ فِي حَالِهِ وَهُنَّ مِنْ عُيُونِ اليقين؛ إصْلاَح الباطنِ بمُرَادِ الحق، وَإِسْقَاط الخلقِ لرُؤية القرب، والاعتمادُ على الله تعالى برفع الحجب.

وَقَالَ أيضاً: قربُهُ كَرَامَتُهُ، وبعدهُ إهَانَتُهُ. وَقَالَ: قربه كرامَةٌ، وبعدهُ مهانة.

وعَنْ محمد بن موسَى[3] قَالَ: لو تركْتَ الدُّنْيَا وَالآخرة مَا أوْصلَكَ بِهِ، ولو أخذتَهُمَا كِلَيْهِمَا مَا قطعك بِهِ، قرَّبَ مَنْ قَرَّبَ مِنْ غيرِ علةٍ، وَقَطَعَ مَنْ قطعَ مِنْ غيرِ علةٍ، قَالَ الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

---

(١) سبق تخريجه بلفظ آخر من رواية أحمد في مسنده ٢/ ٢٥١.

(٢) سهل بن عبد الله التستري أبو محمد، أحد أئمة القوم وعلمائهم. والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص. وعيوب الأفعال، وكان ذا ورع، وله كرامات، سكن البصرة زماناً، وعبادان مدة قال ابن الملقن: وأظنه مات بتستر، سنة ٢٧٣ أو ٢٨٣هـ. (حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، طبقات ابن الملقن ٢٣٢، طبقات السلمي ٢٠٦).

(٣) هو أبو بكر الواسطي سبقت ترجمته.

وسُئِلَ ابنُ عَطَاء عَنْ قولِهِ عزَ وجلّ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] قَالَ: اقْتَربْ إلى بِسَاطِ الرُبُوبيةِ فَقَدْ أعتقناكَ مِنْ بِسَاطِ العبوديةِ.

وَعَنْ قيس العَامِري أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إن نبي الله دَاود عليه السلام قَالَ: يَارَبِّ علمني شيئاً أتقرب به إليك، قَالَ: نَعَم يَا دَاود، أعلمكَ شيئاً، قَالَ: وَمَا هُوَ يَا رب؟ قَالَ: لاَ تَغْتَبْ عِبَادِي المسلمينَ، ولاَ تحسد عبداً لي إذَا رأيتَ فضل نعمتي عليهِ»[1].

وقيل لبعضهم: مَا عَلاَمَةُ القربِ إلى الله عز وجل؟، قَالَ: انقطاع القلبِ إلى الله عز وجل. ويقالُ: وليُّ الله تعالى ريحان الله بين خلقه، إذا شَمُّوهُ وَجَدُوا روح الغُفْرَان فِي شَمِّهِ، وَحَلاَوَةَ البرِ فِي قُرْبهِ.

وَقَالَ بعضهم: إذا وجَدُوا لذة العطاء عبدوهُ فحببهم إليه، فَإِذَا وَجَدُوا لذة القربِ فِي محبته لَهُمْ، عرفوهُ حق معرفتِه، فحنَّتْ نفُوسُهُمْ إليهِ، فَإِذَا استقرُّوا فِي ذلكَ أحملهم فِي المعَامَلَةِ عَنِ الحَالاَتِ وَالتَّارات.

وَقَالَ أبو بكرِ الورَاقُ: مَنْ نَظَرَ إلى اللَّهِ عَزَّ وجلّ بِقَلْبِهِ قريباً بَعُدَ مِنْ كل شيء سوىٰ الله تعالى.

وَقَالَ الشِبْلِي: كَانَ النَّبِي ﷺ لا يترك في مقَامٍ واحدٍ، وإنما يَنْقُلُ فِي سُجُودهِ مِنْ مَقَام إلى مقام، ألا ترى أنه قَالَ فِي أوّل سجُودِهِ: «سجدَ لَكَ سَوادِي وخَيَالِي، وآمن بك فؤادِي» فَأخْبَرَ عَنْ نفسِهِ، ثم قُرِّبَ حتى نسي نفسَهُ، فقال: أعوذ بِرِضَاكَ مِنْ سَخطكَ وأعوذُ بعفوك مِنْ عقوبتك» فاشتغل بصفاتِ الله عز وجلّ، ثم قُرِّبَ حتى نسي صفات الله تعالى، فَقَالَ: «أعوذُ بِكَ مِنْكَ» ثم قرب حتى قالَ: «لا أحصى ثناء عليكَ» ثُمَّ قُربَ حتى حرس كالصبي في المهد يشغل مرة باللبن وَمرة بالفِطَامِ، وَمَرَّةً بِالشَدِ، ثم إِذَا تلذذ بالنَومِ نسي اللبنَ والفِطَامَ وَالشد وَالوالدِة ونَامَ.

وَقَالَ ابن عطاءِ: إنَّ الله تعالى ليزين أعداءهُ بلباسِ أوليائِهِ، ويَكْسُو أولياءَه لباسَ أعدائه، ثُمَّ لم يتركهُمْ حتى يردَّهُم إلى حقائقِ قربهِ.

وسُئِلَ الجنيدُ عَنْ قربِ الله تعالى، فقالَ: قريبٌ لا بالتزاق، بعيدٌ لا بافتراقِ.

وسُئِلَ الشبلِي عَنِ القُرْب، فَقَالَ: البعد، قيلَ: وكيفَ؟ قَالَ: يغيب الذكرُ والذَاكِرُ والمذكُورُ.

---

(١) لم أجده فيما لدي من مصادر.

وسُئِلَ المحاسبي عَنِ القربِ، فَقَالَ: القُرْبُ أنْ يتقرب العبدُ إلَىٰ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ بِالطَّاعَاتِ. وَقَالَ أيضاً: القرب شغل القلب بالله تَعَالَىٰ.

وَقِيلَ: القربُ أن تشهدَ قُرْبَ اللّٰهِ تعَالَى مِنْك لأنَّهُ أقْرَبُ مِنْ كُلِ شيء، وَذَلِكَ قولهِ عَزَّ وجلَّ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[1].

وَقَالَ عَمّارُ[2]: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلا رَأَيْتُ الله تعالىٰ أقرب مِنْهُ.

والقربُ اتصال الهمَّةِ بالله تعالى بغير وَصفٍ وَلاَ كَيفٍ فِي جميعِ أحوالِهِ، ثم يبدي لَهُمْ زِيَادَةً مِنَ القربِ مَا يُفني عنهم رؤية الهمّة، حتى تبقى رؤية القُرب، ثم يُبْدِي لَهُمْ مِنْ أقرب القرب، مَا ينفي عَنْهُم رؤية القربِ حيث هُمْ، وَيبقى عليهم القربُ مِنْ حيث الحق سبحانَهُ.

وَقَالَ حُذَيفَةُ: إنْ أتحفك ببرهِ فرَّغَكَ لِذِكْرِهِ؛ وَإِنْ فرَّغَكَ لذكرهِ أدنَاكَ إلى قربهِ، وَإِنْ أدْنَاكَ إلى قربهِ توَّجَكَ بِتَاجِ كَرَامَتِهِ، وَإِنْ تَوَّجَكَ بِتَاجِ كَرَامَتِهِ أقعدك عى سرير بهائه، وإن أقعدك على سرير بهائه أدخلكَ فِي رَوحِ مناجاةِ أنسِهِ، وَإِنْ أدْخَلَكَ فِي رَوح مُنَاجَاةِ أنسِهِ سَقَاكَ صِرْفاً مِنْ محبَتِهِ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِي ﷺ أنَّهُ قالَ: «رأسُ الدين ترك الدنيا، والقربةُ مِنَ الله عزَ وجل حب المساكين والدُنُو مِنْهُمْ»[3].

وَعَنْ ذِي النون أنَّهُ قَالَ: رَأيتُ أعرابياً يَطُوفُ بِالكعبةِ وقَدْ نَحَلَ جِسْمُهُ، وَاصفرَّ لونُهُ، وَدَقَّ عَظْمُهُ، فقلتُ لَهُ: أمحبُ أَنْتَ؟ قَالَ: نعم، قُلْتُ حبيبك منك قريب أم بعيد؟ قَالَ: قريبٌ، فقلتُ: موافق أوْ غير موافِق؟ قال: مُوافِقٌ، فقلتُ: يا سبحانَ الله، حبيبكَ مِنْكَ قريبٌ ولَكَ مُوافق، وَأَنْتَ على هذه الحَالة، فقالَ: يَا بطَّالُ أما علمتَ أن عذابَ القرب والموافقة أشدُ مِنْ عذَابِ البعدِ والمُخالفة.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

(٢) هو عمار بن خالد بن يزيد بن دينار الواسطي، أبو الفضل التمار ويقال: أبو إسماعيل كان إماماً فاضلاً، عالماً ثقة صدوقاً، توفي سنة ستين ومائتين من الهجرة. (تهذيب التهذيب ٧/٣٩٩).

(٣) رواه ابن عساكر في التاريخ بلفظ: (نور الحكمة الجوع، ورأس الدين ترك الدنيا، والقربة إلى الله حب المساكين والدنو منهم، والبعد من الله الذي قوي به على المعاصي الشبع فلا تشبعوا بطونكم فيطفأ نور الحكمة من صدوركم، فإن الحكمة تسطع في القلب مثل السراج. (اتحاف السادة المتقين ـ الزبيدي ٧/ ٣٩٥).

وقال سَري: مقدار كُل رَجُلٍ فِي فَهْمِهِ على مقدارِ قربِ قلبه مِنْ سيدِهِ.

وَقيل فِي قولهِ عَزَّ وجلّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] - يعني إن طَالعت غيري لتحرمنَّ قربي.

وَقَالَ عَامرُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ[(١)]: مَا نَظَرتُ إلى شيءٍ إلا وَنَظَرتُ الله تبارَكَ وَتَعَالى أَقْربَ إليَّ مِنْهُ.

وَقَالَ الجنيد: إنَّ الله تبارَكَ وَتَعَالى تقربَ مِنْ قلوبِ عِبَادِهِ على حَسْبِ مَا يَرَى مِنْ قرب قلوب عبادِهِ منه.

وَقَالَ أبو سعيدِ الخرَازُ: حقيقةُ القربِ فَقْدُ حسن الأَشْيَاء مِنَ القلبِ، وهدوء الضمير إلى الله عز وجلّ.

وَقَالَ الشبلي: مِنْ عَلاَمَاتِ القرب الانْقِطَاعُ عَنْ كُل شيءٍ سِوَى الله عزَ وجلَ.

وَقَالَ الجنيد، وَقَدْ سُئِل عَنِ القربِ، فقالَ: دُنو القلوبِ مِنَ المحبوبِ.

وَقَالَ يعقوبُ السُوْسِيُ مَا دَامَ العبد يَكونُ بالقُرَبِ فَذاك قربٌ، قيل: فَإِذَا ذَهَبَ عَنْ رؤيةِ قربِهِ مِنَ الله عزّ وجل تقربَ الله تعالَىٰ منه.

وَقَالَ سَرِي: أخلاقُ المقربينَ خمسة: الرضَا عَنِ الله عز وجل فيما تحب النفوسُ مِنَ الحقِ وما تَكْرَهُ. والحبُ لَهُ بالتحببِ إليهِ بِمَا يُحبُ. والحَيَاء مِنَ الله عزَ وجلّ، والأُنس به، والوحشة ممّا سواهُ.

وَقَالَ محمدُ بنُ المُبَارَكِ للمقربين عشرة مقاماتٍ: سَلاَمَةُ الصدُورِ، وَاعتقادُ الرضَا، والتوكُلُ عَلَى الله عز وجل فِي الدُنيا والآخرة، والنصيحة لعبادِ الله، والرحمة للعصاة، وإصلاحُ ذَاتِ البين، وتعهد الفقراء والمَسَاكِين بالبر، والفرح بصلاحِ الأُمَّةِ، والغم لِفَسَادِهَا، واعتقاد حسن الظن بالله عزَ وجلّ.

وَقَالَ جَعْفَر: للمقربِ مِن الله عز وجل ثلاثُ علامَاتٍ؛ إِذَا أفادَهُ الله علماً رزقَهُ العمل بِهِ، وَإِذَا وفقهُ للعملِ بِهِ، أَعطَاهُ الإخَلاصَ فِي عملِهِ، وَإِذَا أَقَامَهُ لصحبةِ الصَالحين رزقَهُ فِي

(١) عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبري البصري، أحمد الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد في التابعين، قال مالك بن دينار: هو رَاهب هذه الأمة، وكان يبيت قائماً ويظل صائماً وفرض عل نفسه كل يوم وليلة ألف ركعة حتى انتفخت ساقاه من طول القيام ويقول: يا نفس بهذا أمرت ولهذا خلقت يوشك أن يذهب العناء. وكان يقول لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء. مات في خلافة معاوية ودفن ببيت المقدس. (حلية الأولياء ٢/ ٨٧، الكواكب الدرية ١/ ٢٣٤).

قلبِهِ الاحترام لهم، علماً بأن حرمة المؤمن من حرمَةِ الله عز وجلّ.

وَقِيل: باتباع السُّنَّةِ تُنَالُ المَعْرفَةُ، وبِأدَاءِ الفرائض تُنَال القُرْبَةُ، وبالمواظَبَةِ عَلَى النوافِلِ تُنَال المحبةُ.

وقالَ ابنُ عطَاء: من علاماتِ القربِ رفع الحجابِ بين القلوبِ وبينَ علاَّمِ الغيُوبْ.

وَيُقال: إنّ للَّهِ تَعَالى عباداً أقربهم إليه بِمَا هو قريبٌ مِنْهُمْ، فَكَانُوا قريبين منه بِمَا هُوَ قريبٌ إليهُمْ.

وَقالَ أَبُو بَكر بنُ طاهرٍ: الهِمَمُ ضُرُوبٌ؛ فهمة التائبين إصلاحُ مَا أفْسَدُوا، وَهمَّةُ المريدينَ الظفر بالإخلاصِ، وهمة الخائفين الوُصُولُ إلى أمانِهِمْ، وهمة الورعينَ نفي كل مشتبه، وَهمة الزاهدين مخالفَةُ الْهَوَىٰ، وهمَةُ الشاكرينَ بذلُ المجهودِ فِي شُكْرِ المنعم، وَهمَةُ الصَّادقين إتمامُ كُل عَمَل مِنْ أعمالِ البر، وهمة الصالحين الطاعة بلا معصية، وهمة العلماء المزيد في الصواب، وهمة الراضين قطع الاختيار، وهمة الحكماء الاطلاع على بواطن أمور الدنيا، وهمة العارفين إعظامُ الله تعالى فِي قلوبهم، وهمة المحبين اتصال المحبةِ، وهمة أهل الشوقِ سُرْعةُ الموتِ، وهمة المقربين دَوام سُكون القلب إلى الله عز وجل.

وَقالَ ابن أبي الحوارِي[1] لسليمٰن[2] الدّاراني: يَا أَبَا سليمٰنَ ما أقربُ ما تقربَ الْعَبْدُ بِهِ إلى ربهِ عز وَجل؟ قالَ: فبكا، وقالَ: مثلي يسئل عن هذا؟ أقربُ ما يتقربُ بِهِ إليهِ أنْ يطلع مِنْ قلبك على أنك لا تريد مِنَ الدُنيا والآخرةِ إلا هو.

قَالَ عبد الملك وَأنشدنِي:

إذا أحــبــبــتُ لا أســلُــو ... وَإنْ وَاصــلــتُ لــم أقــطــعْ
وَإنْ عــاتــبــنــي نــاسٌ ... تــصــامــمــتُ فــلــم أســمَــعْ
يــقــولُ الــنــاسُ: مــجــنــونٌ ... تــرىٰ هَــذَا الــفــتــى يُــصْــرَعْ
بِــكــلِ قَــدْ تَــدَاوَيْــنَــا ... فــقــربــي مِــنْــكَ لــي أنــفَــعْ

(١) أحمد بن أبي الحواري، كنيته أبو الحسن وأبو الحواري اسمه ميمون، من أهل دمشق صحب أبا سليمان الداراني وغيره من المشايخ، وله أخ اسمه محمد بن أبي الحواري يجري مجراه في الزهد والورع وابنه عبد الله من الزهاد، وأبوه كان من العارفين الورعين أيضاً، فبيتهم بيت الورع والزهد. مات أحمد سنة ٢٣٠ هجرية. (حلية الأولياء ١٠/٥، طبقات الشعراني ١/٩٦، طبقات السلمي ٩٨).

(٢) لأبي سليمان.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الأُنسِ وَمَا قِيْلَ فِيْهِ

أخبرنا أبو سعدٍ الواعِظ، حَدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ مُحَمّد بنِ محبوبٍ، حَدّثنا زَكَرِيَا بنُ يحيَى بنِ الحارث، حَدَّثَنا محمدُ بنُ الحسنِ، حَدَّثَنَا سلمة، حدثنا أحمد، حَدَّثَنا ثوبَانُ بنُ سعيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنا بشر بنُ السَّرِي، قَالَ: كَتَبَ مطرف[1] إلى عمر بن عبد العزيز: ليكن أُنسك بالله تعالَىٰ، وانقطاعُك إلَيْهِ، فَإِن لله عباداً استأنسُوا بالله تَعَالَىٰ، فَكَانُوا فِي وَحْدَتِهِمْ أشد استئناسَاً مِنَ الناسِ فِي كثرتِهِمْ، وَأوحشَ مَا يكونُ الناسُ آنسَ مَا يكُونون، وَآنسَ ما يكون الناسُ أوحشَ مَا يكونون.

قِيلَ لإبراهيم بن أدهَمْ: مِنْ أينَ أقبلتَ يَا أبا إسحٰق؟ قَالَ: مِنْ أُنسِ الرّحمن، قِيلَ: وَأين تُرِيْدُ؟ قَالَ: أُنس الرحمن.

قَالَ أحْمَدُ: مَنْ لَمْ يفر مِنَ الله عزَ وجلَ إليهِ لم يعرفْ طعم الأُنْسِ.

وَقَالَ بعضُ المشايخِ: ما أكثر الوحشة مِنَ الإنسِ، وَأَحْوَجَ الإِنْسِ إلى الأُنْسِ بِهِ.

وَجَاءَ رَجل إلى ابنِ الصيّادِ، فَقَالَ: لِمَاذا جئتني؟ قَالَ: جئتُ لأصحبك وَأعبدَ الله عز وجَل مَعكَ، فقالَ: يا أخِي، إن العبادَةَ لا تَكُونُ بالشركَةِ، وَمَنْ لَمْ يَأنس بالله عَزَ وَجَلَّ لَمْ يَأْنَس بغيرِهِ.

وَقَالَ شُميط بنُ عجلانَ: إنَّ الله عَزَ وجَلَّ وَسَمَ الدُنيا بالوحشةِ ليكونَ أُنسُ المطيعين بِهِ.

وَكَانَ حبيب[2] يخلو فِي بيتهِ وَيقولُ: مَنْ لَمْ تقر عَينهُ بِكَ فلاَ قرت عينه، وَمَنْ لَم يأنَسْ بِكَ فلا أَنِسَ بشيءٍ.

وَقَالَ أبو بَكْرِ الوَرَاقُ: لا تطمَعْ فِي الأُنْسِ بالله عز وجلّ مَعَ الأنسْ بالمخلوقين، ولا تطمع فِي الفِكَرِ والعبر مَعَ تفرقِ القلبِ فِي أوديَةِ الاشتغالِ، ولا تَطمَعْ فِي إلهَامِ الحِكْمَةِ مَعَ طلبِ الرِئَاسَةِ.

---

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرستي العامري، أبو عبد الله، المتعبد الناسك الزاهد، من كبار التابعين، له كلمات في الحكمة مأثورة، وأخباره ثقة فيما رواه من الحديث، ولد في حياة النبي ﷺ، ثم كانت إقامته ووفاته بالبصرة سنة ٨٧ هجرية. (الأعلام - الزركلي ٧/ ٢٥٠، حلية الأولياء ٢/ ١٩٨، تهذيب التهذيب ١/ ١١٣).

(٢) هو حبيب بن عيسى بن محمد العجمي أبو محمد، الفارسي الأصل، ثم البصري سكناً. كان عابداً زاهداً مجاب الدعوة لقي الحسن وابن سيرين وروى عنهما. مات سنة ١١٩ هجرية. (حلية الأولياء ٦/ ١٤٩، طبقات ابن الملقن ١٨٢، تهذيب التهذيب ٢/ ١٨٩).

وَقَالَ ابنُ السَمَاكِ: كَانَ الناسُ دواء أستشفي بِهِ، فَهُمْ اليومَ دَاءٌ لاَ دَوَاءَ لَهُ، فاتخذ اللَّهَ مُؤنساً، وَكِتَابَهُ مُحَدِّثاً.

وَقَالَ مالكُ بن دينار: مَنْ لم يَأنسْ بمحادَثَةِ الله عَزَ وَجل عَنْ محادَثَةِ المخلوقين، فقد قلَّ علمه، وَعَمِي قلبهُ، وَضَاعَ عمرهُ.

وَقَالَ سليمانُ بنُ عَبْدِ العَزيزِ الرّاسي: إلٰهِي، كيفَ آنس بِمَنْ إذا ذَكَرْتُكَ لم يفرح بِكَ، لو علمتُ أن معي جَارِحَةً تُنْكِرُ سُرُورِي بِكَ لقطعتها، فكيف بِمَنْ يُعَاشرني مِنَ الخَلْقِ دُونكَ.

وَكَانَ ضيغم[1] يقولُ: عجبت للخليقةِ كيفَ أرادَتْ بِكَ بديلاً، وعجبت للخليقةِ كيف أنست بِسواكَ.

ويُقَالُ: علاَمَةُ الأُنس بالله عز وجل استلذاذ الخلوة، وحب المُنَاجَاةِ، واستفراغ العقل كلهِ في مُنَاجَاتِهِ حتى لا يكاد أن يعقل الدُنْيا وَمَا فيها.

وعَنْ سري السقطيّ قَالَ: إلٰهي عَظَمَتُكَ قطعتْنِي عَنْ مُنَاجَاتِك، وَمَعْرفتي بِكَ آنستني بك.

وعَنْ علي بن محمدِ الصُوْفِي[2] قَالَ: سمعتُ الشبلي وقد سُئل عَن الأُنس، قَالَ: وحشتك مِنْك.

وَكَانَتْ امرأة من المتعبداتِ تقولُ: سُبْحَانَكَ مَا أضيقَ الطريقَ على مَنْ لم تَكُنْ دليلهُ، وَمَا أوحش الطريقَ على مَنْ لم تكنْ أنيسَهُ.

وبينا أويسٌ القرني جَالِسٌ إذْ جَاءهُ هَرِمْ بنُ حيان، فَقَالَ لَهُ أويسٌ: مَا جَاء بِكَ؟ فَقَالَ: جئت لآنس بِكَ، قَالَ: مَا كنتُ أرَى أحداً يعرفُ رَبَّهُ ثُمّ يأنسُ بغيرِهِ.

وَقَالَ مَعْروفٌ الكرخي: توكل على الله عز وجلّ يكن أنيسكَ في مَوْضِعِ شَكْوَاكَ.

وَقَالَ الشبلي: ليسَ مَنِ اسْتَأنَسَ بالذِكْرِ كَمَنْ استَأنَسَ بالمذكورِ.

---

(١) هو ضيغم بن مالك الزاهد، القدوة، الرباني، أبو بكر الراسبي البصري، أخذ عن التابعين. قال ابن الأعرابي: كان ورده في اليوم والليلة أربعمائة ركعة، وصلى حتى انحنى، وكان من الخائفين البكائين، وكان ينام ثلث الليل، ويتعبد ثلثيه. توفي رضي الله عنه سنة ١٨٠ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١).

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن مهرويه القزويني الصوفي، قدم بغداد وحدَّث بها، كما قدم جرجان وروى بها، وكان رجلاً صادقاً. (تاريخ بغداد ١٢/ ٦٩، تاريخ جرجان ٢٦١).

وكَانَ عابد فِي أيَامِ مُوسَى عليهِ السلام يستأنسُ بصوتِ الطير، فأنشده من نغمته: عجباً لمن يعرفني أن يستأنس بغيري.

وقِيلَ فِي قولِهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، هَلْ جزاءُ مَنِ انقطعَ عَنِ الأُنسِ بالمخلوقين إلا الأُنسُ بالله عز وجل.

وقَالَ محمدُ بنُ علي الْكتانِي: الأُنس بالمخلوقين عقوبةٌ، والقُربُ مِنَ الدُنْيا وأبنائِهَا معصيَةٌ، والركونُ إليهم مذلةٌ.

وَسُئِلَ سَهْل بن عبد الله عَنِ الأُنسِ؟ فقَال: أَنْ تَستأنسَ الجوارح بالعقل. ويستأنس العقلُ بالعلم، وتَستأنسَ الجوَارِحُ بالعبدِ، وَيستأنِسَ العبدُ بالله تعالى.

وَقَالَ سَرِي السقطِيُّ: كُنتُ فِي طلبِ صَدِيقٍ لي ثلاثين سنة، فلم أظفر بِهِ، فَمَررتُ فِي بعضِ الجبالِ بأقوامِ مَرْضَى، وَزَمْنَى، وَعُميٌ، وبُكْمٌ، فَسَأَلتُ عَنْ سببِ مقامهم فِي ذَلِكَ الكهف، فَقَالُوا: يخرجُ كل سنة مِنْ هَذَا الكَهفِ شيخ يدعو الله تعالى، فيبرئنا الله تعالَى ببركَةِ دعائِهِ، قَالَ: فَوَقَفتُ أنتظرهُ، فَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الكهف شيخٌ عليهِ جبة صُوفٍ، فلمسهم ودَعَا لَهُمْ، فَكَانُوا يَبْرَؤونَ مِنْ علتهم بمشيئة الله عز وجل، قَالَ: فَأخذت ذَيلهُ، فَقَالَ: خَلِ عَني يَا سَرِيْ، لاَ يَرَاكَ تَأنَسُ بغيرهِ فتسْقُط مِنْ عَيْنِهِ.

وَقَالَ رَجُلٌ للجُنَيْدِ: عَلامَ تَتَأَسَفُ مِنْ أوْقَاتِكَ؟ قَالَ: عَلى زَمان بَسْطٍ أورَثَ قَبْضاً، أو زَمَان أنس أورَثَ وَحْشَةً. ثُمَّ أنشأ يقول:

قَـدْ كَـانَ لِـي مـشـربٌ يـصـفـو بـرؤيـتـكُـمْ فَـكَـدَّرَتْـهُ يَـدُ الأيَـامِ حـيـنَ صَـفَـا

وَقَالَ أبُو العباسِ بنُ مَسروقٍ[1]: مررتُ مع الجنيدِ فِي بعضِ دروب بغداد ومُغَنٍّ يغَنِي:

مَـنَـازِلُ كُـنْـتَ تـهـواهَـا وَتَـألَـفُـهَـا أيَـامَ كُـنْـتَ عـلـى الأيَـام مَـنْـصُـورَا

فَبَكَا الجنيد بَكَاءً شديداً وَقَالَ: يَا أبَا العباسِ ما أطيبَ مَنَازِلَ الألفَةِ والأُنْسِ، وَأوْحَشَ مَقَامَات المُخَالَفَةِ وَالوحشَةِ، لاَ أَزَالُ أحنُ إلى بِدَءِ إرادَتي وَجِدّة سَعْيِي وركوبي الأهْوَال طَمعاً فِي الوصُولِ، وَهَانَذَا فِي أيام الفترةِ أتأسفُ على أوقاتي المَاضِيةِ[2].

(١) هو أحمد بن مسروق أبو العباس، من أهل طوس، سكن بغداد ومات بها. صحب الحارث بن أسد المحاسبي، وسرياً السقطي وغيرهما، وهو من قدماء مشايخ القوم وجلتهم. توفي ببغداد سنة ٢٩٩ هجرية. (حلية الأولياء ١٠/٢١٣، طبقات السلمي ٢٣٧، طبقات ابن الملقن ٨٩).

(٢) في طبقات الصوفية ٢٤٠: أتلهف.

وَقَالَ رَجُلٌ لأَبِي مُحَمَّدٍ الجُرَيري[1]: كُنْتُ عَلَى بِسَاطِ الأُنْسِ، وَفُتِح لي طريقٌ إلى البسطِ، فَزَللتُ زَلّةً فحجبتُ عَنْ مَقَامِي، فَكَيْفَ السبيلُ إليه؟ دُلني على الوصولِ إلى ما كُنت عليهِ. فَبَكىٰ أبو مُحَمَّدٍ الجريري، وَقَالَ: يَا أَخِي[2] أُنْشِدُكَ أَبْيَاتاً لِبعضهم فيها جوابُ مَسْألتك، وأنشأ يقول:

قِفْ بالدِّيَارِ فَهَذه آثَارُهُمْ ... تَبْكِي الأَحبةَ حَسْرَةً وَتَشَوُّقَا
كَمْ قَدْ وقفتُ بِهَا أُسَائِلُ مُخْبِراً ... عَنْ أَهْلِهَا أَوْ صادقاً أَوْ مُشْفِقَا
فَأجَابَنِي دَاعِي الهوى فِي رسمِهَا: ... فَارقتَ من تهوى وعزَّ المُلْتَقَا

وَعَنْ أحمد بنِ أبي الحوارِي قَالَ: كَانَتْ لِرَابِعَةَ أحوالٌ شتى، فمرة غلبَ عليهَا الحُبُ، وَمَرةً غَلَبَ عَليهَا الأُنسُ، ومرةً غَلَبَ عليها الخوفُ، فسمعتها فِي حال الحب تقولُ:

حبيبٌ لَيسَ يَعْدِلُهُ حبيبُ ... وَلاَ لِسِوَاهُ فِي قلبي نَصِيبُ
حبيب غَابَ عَنْ بصري وَعَينِي ... وَعَنْ قلبِي حبيبي لاَ يَغيبُ

وسمعتها فِي حال الأُنْسِ تقول:

لَقد جعلتك فِي الفؤادِ مُحَدِّثي ... وَأبحت جسمي مَنْ أرَادَ جلوسي
فَالجسم مني للجليسِ مُؤَانِسٌ ... وَحَبيب قلبِي فِي الفؤادِ أنيسي

وَسمعتها في حال الخوفِ تقولُ:

زَادِي قليل ما أراهُ مبلِّغي ... أَلِلزَّادِ أَبْكِي أَمْ لِبُعْد مَسَافَتِي
أَتحرِقُنِي بِالنَّارِ يا غَايَةَ المنى ... فَأين رَجائِي فِيك أين محبتي

وَقَال يوسفُ بن أَسْبَاط[3]: للأُنس علاماتٌ، دَوام الجلوس في الْخلواتِ، وَطولُ الوحشةِ مِنْ مخالطَةِ الناسِ، وَدَوَام العزلةِ، وَالوحدةُ، والتلذذُ بالذِكرِ فِي المجاهَدَاتِ، وَالتمسك بِحَبْلِ الطَّاعَاتِ.

---

(١) أبو محمد الجريري، يقال إن اسمه أحمد بن محمد بن الحسين، كان من كبار أصحاب الجنيد، وهو من علماء مشايخ القوم، أقعد بعد الجنيد في مجلسه لتمام حاله وصحة علمه، مات سنة ٣١١ هجرية. (حلية الأولياء ١٠/٣٤٧، طبقات السلمي ٢٥٩، طبقات ابن الملقن ٧١).

(٢) في طبقات السلمي: (الكل في قهر هذه الخطة لكني أنشدك... الخ). (٢٦٤).

(٣) هو يوسف بن أسباط الشيباني، الزاهد، الواعظ، يروي عن سفيان الثوري وغيره، ويروي عنه المسيب بن واضح، وعبد الله بن خبيق الأنطاكي، وثقه يحيى بن معين. وقال البخاري: كان قد دفن كتبه فكان لا يجيء بحديثه كما لا ينبغي). (ميزان الاعتدال ـ ٢/٣٢٨).

وَقَال سهل بن عبدِ الله: استأنس إلى مَنْ عنده مَا تريدُ، وَمَنْ تركَ ذِكْرَ الخلقِ وَصَلَ إلى ذِكْرِ الخَالِقِ.

وَسُئِلَ يوسف بن الحسين عنْ الأنس باللَّهِ تعَالَى، فَقَالَ: عَلاَمَةُ المُستأنِسِ الاسْتِيحَاشُ مِنَ القَوَاطِع عَنْ اللَّهِ عَز وَجَلّ.

وَقَالَ ذُو النُونِ: أدْنَى مَنَازِلِ الأُنْسِ بالله عزّ وجل، أنْ لو أُحرِقَ بالنارِ لم تغب همته عمن استأنَسَ بِهِ. وَقَالَ أيضاً: الأُنسُ بالله نور سَاطِعْ، وَالأُنسُ بالمخلوقين غَم قَاطِعْ.

وَأنشدوا:

الأُنْــس بــالــخَــالِــقِ نــورٌ سَــاطــعُ والأُنْــسُ بــالــمــخــلــوقــيــن هــم وَاقــعُ

وَقَالَ بعضهم يصفُ أولياء الله عزَ وجل: إذا شربوا بِكَأسِ حبهِ وَقَعُوا فِي بحر أُنسهِ، وَإِذَا وَقَعُوا فِي بحر أُنسِهِ تَلَذَذُوا بِرَوحِ مُنَاجَاتِهِ، فَإِذَا عرفوهُ حَقَ معرفَتِهِ وَلِهوا فِي عظمتهِ.

وَقَالَ الفضيل: مَنْ لَمْ يَأنَسْ بالقرآن فلا آنسَ الله وَحْشَتَهُ.

وَقِيلَ لسهل بنِ عبدِ اللَّهِ: هَلْ للعُصَاةِ أنسٌ؟ قَالَ: لاَ، وَلاَ لِمَنْ هَمّ بالمعصيةِ.

وَقِيلَ لِرَابِعَة العدوية: بِمَ وصلتِ إلى هذه المنزلَةِ؟ فَقَالَتْ: بتركي مَا لا يعنيني، وأنسيْ بِمَنْ لَم يَزَلْ.

وَسُئِلَ المُحَاسِبِي عَنِ الأُنْسِ بالله تَعَالى، فَقَالَ: الأنْسُ باللَّهِ تَعَالَى التوحشُ مِنَ الخلقِ، وَعَلاَمَةُ التوحشِ مِنَ الخلقِ الفَرَارُ إلى مَوَاطِنِ الخلوةِ، وَالتفردُ بعذوبةِ الذِكْرِ، فَعَلَى قَدْرِ مَا يدخُلُ القلبَ مِنَ الأُنْسِ بِذِكْرِ الله تعالى يخرجُ منه بقدرِ ذَلِكَ مِنَ الأُنْسِ بالمخلوقين.

وَسُئِلَ الجُنيدُ عَنِ الأُنسِ، فَقَالَ: ارْتِفَاعُ الحشمةِ مَعَ وُجودِ الهيبَةِ.

وَقَالَ ذُو النونِ: إنْ كنت تأنَسُ بالخلقِ فَلاَ تطمَعْ فِي الأُنْسِ بالله عز وجل.

وَقَالَ رُوَيم: الأنسُ أن تستوحِشَ مِنْ غَيْرِ الله عز وجَلّ حتى مِنْ نَفْسِكَ.

وَقِيْلَ لذي النُونِ: ما الأنسُ بالله عز وجل؟ قَالَ: هُوَ أن تستوحش مِنَ الدنيا وَمِنَ الخلقِ، إلاّ مِنْ أهْلِ ولايتهِ. فإن الأنس بأهْلِ ولايتهِ هُوَ الأنْسُ باللَّهِ عَز وجَلَّ، وَقَالَ ذو النُونِ: إذا قُذِفَ بهم فِي حبس الأنس، فكَأنهم فِي الجنة مُخَاطَبُونَ بلسَانِ النُورِ، وإذا قذفَ بهم في حبسِ الهيبةِ فكَأنهم في جهنم مخَاطبون بلسَانِ النَارِ.

وَقَالَ أبو الحسن الورَاقُ[1]: لاَ يكُون الأنس بالله تعالى إلا ومعَهُ التعظيم، لأن كل من استأنسْتَ بهِ سقط تعظيمه عنْ قلبِكَ، إلا الله عز وَجَلّ فإنّكَ لن تزيد به أنساً إلا إذا ازددتَ له تعظيماً وَهيبة وَإجْلالاً.

وَسئل رُويم عن الأنس، فقَالَ: سُرُورُ القلبِ بِحَلاوة الذكرِ وَالخطابِ. وَقَالَ أيضاً: الأنسُ الخلوة بالله تعالى عَنْ غيرهِ. وَسئل ذوْ النُونِ ما علامَةُ الأنس بالله عز وجل؟ فقَالَ: إذا رأيته يؤنسك بخلقهِ، فإنهُ يوحشكَ مِنْ نفسهِ، وَإذا رأيته يوحشك من خلقهِ، فهو يؤنسك بنفسه.

وَقِيلَ لبعضهم: متى يذوق العبدُ حَلاوةَ الأنس؟ فَقَال: إذا قَطَعَ الْعَلائِقْ، وَرَفض الخلائِقْ، وَغاصَ في الحقائِقْ مُطلعاً على الدقَائِقْ.

وَقَال ذُو النُونِ: أدنىٰ مَنَازِلِ الأنُسْ أن يُلقى في النارِ فلا يَغِيْبُ هَمُهُ عنْ مَأمُولِهِ.

وَقَالَ النوْرِي: الأنْسُ باللّٰهِ تَعَالَى من صَفَاء القلبِ مَعَ الله عز وجل بالتفردِ بهِ.

وقَالَ الشبلي رَحمَهُ الله: الاستئناس بالناسِ إفلاسْ، وَحركَةُ اللسَانِ بغيرِ ذِكْرِ الله عز وَجلِ وسْوَاسْ.

وَقِيلَ: انفرد عنِ الخلقِ مستأنساً بالله عز وَجل، واقطع مَنْ قطعَكَ عنِ الله عزّ وَجلّ.

وعنْ أبي بَكْرِ الوَراقِ قَالَ: كُنْتُ في طريق مَكَةَ فرأيت عجوزاً، فقالَتْ لِي: يا فَتى مَنْ أنتَ؟ قلتُ رَجل غريبٌ. قَالَتْ: تشكو وَحشة الغربة مَعَ مُؤانَسَةِ مَوْلاكَ؟ فما قَدِرتُ أن أخْطُوَ خلفها خطوة، وانصرفت.

أخبرنا: أبو محمدٍ طلحةُ بن عُمر بن دَاود المصري بمصر، حدثنا أبو مُحَمَدٍ الحسنُ بن رَشيقٍ، قَال: حدثنا [أبو] الحسن علي بن يعقوب بن سُوَيْدٍ، عَنْ مُحمّدِ بنِ الحسنِ، قَالَ: قَالَ عَبّاسُ بن عيسَى الكُوفي: كانَ لي صَدِيقٌ يقالُ له عيسَى بن خلف، وَكَانَ وَرعاً مِمْن يقومُ بالليل، قال: كَانَ عندَنا مجنونٌ بالحيرةِ يلقب ببيلقَانِ، فَأتَاني يَوماً وَفِي عنقه غُلٌ وَعليهِ مَكتوبٌ:ـ

---

(١) هو عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع الإمام القدوة الرباني الحجة أبو الحسن البغدادي الوراق سمع أبا ضمرة الليثي ومن في طبقته، وقال عنه ولده الحسن: ما رأيت أبي مازحاً قط ولا ضاحكاً إلاّ تبسماً، وكان من خواص الإمام أحمد، وكان الإمام يقول عنه: عافاه الله قلّ أن ترى مثله. توفي رحمه الله تعالى سنة ٢٥١ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٢٣، تاريخ بغداد ١١/ ٢٥).

الـحـبُ يـتـلـف قـلـبَ كـل مـتـيـم		والأُنـسُ يَـبْـلـى وَالْـوَدَادُ يـطُـوْلُ
ظـهـر الـبـلاء بـجـسـمـه وَبـقـلـبـهِ		وَالأُنـس يَـظـهـر فـي الـحشَـا وَيَـجُـولُ
مِـنْ حُـبٍّ مَـنْ مَـا مِـثْـلِـه يُـدعـا بـه		فـي جَـوفِ لـيـلٍ وَالـدُمُـوعُ تـسـيـلُ
بَـرَح الـخَـفَـا يـا وَاحِـدِي ومـؤمّـلـي		فَـامـنُـنْ عـلـى عُـبُـدٍ لـدَيْـك نُـحُـولُ

باب في ذكر المشاهدة

أخبرنَا أبو سعدِ الوَاعِظُ، أخبرنَا أبو محمدِ يحيَى بنُ منصورِ القَاضِي، حَدَّثَنَا أحمَدُ بنُ سلمةَ، قَالَ: حَدَّثَنا إسحقُ بنُ إبراهيم، حَدَّثَنَا النضر بن شُمَيْلِ المازني، حَدَّثنا كَهمسُ بن الحسنِ، عن عبد اللَّهِ بنِ بُريدة، عَنْ يحيى بن يَعْمر قَالَ: أولُ مَنْ قال بالقَدَرِ بالبصرة معبد الجهني، فانطَلقتُ أنا وَحميد بنُ عبد الرحمٰنِ الحميري حاجيْنِ أوْ معتَمِرينِ، فقلنَا: لو لقينَا أحداً مِنْ أصحابِ رَسولِ الله ﷺ فَسَألنَاهُ عمّا يقولُ هؤلاء في القدر، فوَافَقْنا عبد الله بن عُمَر دَاخلاً المسجد، فَاكتنفْتُهُ أنا وَصَاحبي أحَدُنَا عَنْ يمينه، وَالآخر عنْ شِمَالِهِ، فظننتُ أن صاحبي سَيَكِل الكَلامَ إليَّ، فَقلتُ: يا أبا عبد الرحمٰن إنه قد ظهر قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقْرَءُونَ القُرآنِ وَيَتَفقّهونَ في العلم، يزعمونَ أن لا قَدَرَ، وَأن الأمْر أنفٌ. قَالَ: فإذا لقيت منهم أحداً فأخبرهم أني منهم بريءٌ وأنهم مني برآء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله تعالى منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد شعر الرأس، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحدٌ منّا، حتّى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبته على ركبته، ووضع كفيه على فخذيه، ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ما الإسلام؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» قال: صدقت. قال: فتعجبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدقُهُ، ثم قَالَ: أخبِرْني عن الإيمَانِ؟ قَالَ: أن تؤمِنَ بالله وَمَلائكتِهِ وَكتبِهِ وَرُسلِهِ وَاليوم الآخر، وَالقَدرِ كُله خيره وَشرهِ» قَالَ: صدقْتَ، فأخبرني عن الإحسَانِ؟ قَالَ: «أنْ تعبد الله كَأنَكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تكن تراهُ فإنه يَرَاكَ».

قَالَ: فأخبرني عن السَاعة؟ قَالَ: «مَا المسؤول عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِل». قَالَ: فأخبرني عَنْ أمارَتهَا؟ قَالَ: «أنْ تَلدَ الأمَةُ ربَّتها. وَأنْ ترى العراةَ الحفَاةَ العالة رعاء الشاءِ يَتَطَاوَلُونَ في البنيَان» قَالَ عمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلبثنا ثلاثاً فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ: «يَا عمَرُ هَلْ تَدْرِيْ مَنِ السَائِلُ؟» قلتُ: الله وَرَسُولُهُ أعلَمُ. فَقَالَ: «إِنَهُ جبريْلُ عليهِ السلامُ أتَاكُمْ ليعلمَكُمْ أمرَ دينِكُمْ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو حديث مشهور.

قَالَ أبو سعدٍ: وَالذي يحتاجُ إليه في هَذَا البابِ مِنْ هَذَا الحديثِ، أن لا يخلو كتابٌ مِنَ الكُتُبِ المخرجةِ في الصِحَاحِ، عَنْ قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ مَا الإحسانُ؟ وَجوابُهُ ﷺ: «أنْ تعبد الله كَأَنَكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ» وَهَذَا هُو معنى المشاهَدَةِ، والأَصْلُ في ذلِكَ أن من عبد الله عز وجل عَلَى المشاهَدةِ وَالرُؤْيَةِ، وَقرنَ عبادته بالإخلاصِ والصَفوةِ، وحسن النية، وصِحَةِ الضمير، وَاتِقاءِ الرياءِ والعجب فِيْهَا، اسْتَحق بذلكَ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَ وجَلَ، وقُربَهُ وأُنسَهُ وَرِضَاهُ، وَذلِكَ أبلغُ المثوبَاتُ وَأَفْضَلُ الكَرَامَاتِ.

وَسُئِلَ بَعْضَهُمْ عَنْ قولِهِ عَزَ وجلَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] قَالَ: اسْتَقَامُوا عَلَى المُشَاهَدَةِ، لأَنَّ مَنْ عرفَ رَبَهُ عَزَّ وجلَ لاَ يَهَابُ غَيْرَهُ، وَمَنْ أَحَبَّ شيئاً لاَ يَطَالِعُ غيرَهُ، فتركُوا المُنَازَعَةَ مَعَ الله عَزَّ وَجَلٍ وَالاعتِرَاضَ عليهِ.

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ قولِهِ عَزَّ وَجَلّ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] قَالَ: لَنَا مَقَامُ المُشَاهَدَةِ، وَلَكُمْ مَقَامُ الخِدْمَةِ.

وَقِيلَ فِي قولِهِ عَزَ وَجَلّ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]: حَتَّى تشاهِدَ الحقَ.

وَقَالَ الجنيد: مَعَاينة الشيء مَعَ فَقد ذَاتِهِ هِيَ المُشَاهَدَةُ.

وَقَالَ النُوريُ: إِذَا امتزجَتْ نَارُ التعظيمِ مَعَ نورِ الهيبَةِ فِي السِرِ، هَاجَتْ رِيْحُ المحبَةِ مِنْ حجرِ العطفِ على النارِ والنُورِ، فَظَهَرَ مِنْهُ الاشتياقِ، وَتَلاَشَتْ البشريَةُ، فَصَارَتِ المُشَاهَدَةُ.

وَقَالَ الشبلي: إِذَا ظهر العبدُ عند العبد، فهو العبودية، وإذا ظهرت صفات الحق عنده فهُو المُشَاهَدَةُ.

وَقَالَ الرُوذَبَارِي: لَوْ زَالَتْ عَنَا رؤيتُهُ مَا عَبَدْنَاهُ.

وَقَالَ أبو يزيد: إنَّ لله تعالى عباداً لو حجبوا عن اللَّهِ عَزَ وجلَ فِي الدُنْيَا وَالآخِرَةُ لارتَدوا. وسُئِلَ أبو يزيد: هَلْ رَأيت رَبك؟ فَقَالَ: لو حُجِبْتُ عَنْهُ لَمُتُّ.

وَسُئِلَ علي بنُ أبي طالبِ عليهِ السَّلام: تَعْبُدُ مَنْ ترى، أو تعبد مَنْ لاَ تَرَى؟ فَقَالَ: لاَ، بَلْ أعبد من أرَى لاَ رؤية عَيَانٍ، وَلَكِنْ رُؤيَةَ القَلْبِ بمُشَاهَدة الإيْمَانِ.

وَعَنْ أبي سعيدِ الخَرَاز قَالَ: قَالَ لِي بعضُ العَارفينَ: إنه ليجري عليّ الحكمُ أحياناً فأقول: يا الله، يَا رَبُّ، فأجدُ ذَلِكَ أثقَلَ مِنَ الجِبَالِ، فقلتُ لَهُ: وَلم ذلكَ؟ قَالَ: لأن الدعاء فِي مشهد القربِ نِدَاء من ورَاء حجاب، وَهَلْ رَأَيتَ مشاهداً ينادي جليسهُ، إنما هِي إشارَاتٌ

وَمُلاَحَظَاتٌ، إلاَّ أنَّ العبد متعبَّدٌ بأن يدعو، ومأمور بأن يقول، وَمأخوذ عليهِ أن يكون فقيهاً بِمَا يقولُ.

وَسُئِلَ الشبلي: هَلْ يقنع المحبُ بشيءٍ مِنْ مَحبوبهِ دُون مشاهَدَتِهِ؟ فَأنشَا يقولُ:

والــلَّــهِ لَــو أنَــكَ تــوجــتــنــي ... بــتــاج كِــسْــرَى مَــلِــك الــمــشــرقِــيْ

وَلــو بــأمــوالِ الــورى جُــدْتَ لِــي ... أمــوال مَــن بَــادَ وَمَــنْ قَــدْ بــقِــيْ

وقــلــتُ لِــي: لا نــلــتــقــي سَــاعَــةً ... اخــتــرتُ يَــا مَــوْلاَي أنْ نــلــتــقِــيْ

وَقِيل: المشاهدة اطلاع القلوب على الغيوب على مراكب النور.

وَسُئِلَ ابن عطاءٍ: مَا أفضل الطَاعَاتِ؟ قَالَ: مُلاحَظَةُ الحقِ عَلى دَوامِ الأوقاتِ.

وَقَالَ ذُو النُون: مررت بأرض مصر، فرأيتُ صبية يرمُون رَجُلاً بالحِجَارَةِ، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا تريدونَ مِنهُ؟ فَقَالُوا: مجنونٌ، زَعَمَ أنَّهُ يَرَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فقلتُ: افرجُوا لِي عَنْهُ، فدخَلْتُ، فَإِذَا أنَا بِشَابٍ مُسْنِدٍ ظَهره إلى الحائطِ، فَقُلْتُ: مَا تَقُولُ رَحِمَك اللَّهُ فِيْمَا يقول هؤلاءِ؟ قَالَ: وَمَا يقولُونَ؟ قَالَ: يزعمُونَ أنَّك تَرَى الله عَزَ وجل، فَسَكَت سَاعة ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ ودُمُوعهُ تَجري عَلى خَدَيْهِ، فَقَال: واللَّه ما فقدته مُنْذُ عَرَفْتهُ، وَلَوْ فقدتُهُ مَا أطعتُهُ، ثُمَّ أنشأ يقولُ:

هــمِــمُ الــمُــحــبِّ تَــجُــولُ فِــي الــمــلــكــوتِ ... وَالــقَــلْــبُ يَــسْــمُــو والــلِــسَــانُ صَــمُــوتُ

ثُمَّ هَامَ عَلى وجهه وهو يقولُ:

أيــهَــا الــشَّــامِــخُ الــذِي لاَ يُــرَامْ ... نــحــنُ مِــنْ طــيــنــةٍ عــلــيــك الــسَّــلاَمْ

إنــمــا هــذهِ الــحــيــاةُ مَــتَــاعٌ ... وَمَــعَ الــمــوتِ تــســتــوي الأقْــدَامُ

وَقَالَ الواسِطِيُ يصفُ قوماً: أنَّهُ شَاهَدَهُمْ فَأشْهَدَهُمْ حين شَاهَدُوهُ لمُشَاهَدَتِهِ.

وَقَالَ الخَراز: مِلاَكُ القلوبِ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ الربِّ. وَقَالَ أيضاً: مَنْ لَمْ يُحْكِمْ مَا بَيْنَهُ وَبَينَ الله تَعَالَى بالتقوى وَالمُرَاقَبَةِ، لَمْ يصل إلى الكشفِ والمُشَاهَدَةِ.

وَسُئِل الْجُرَيري عَنْ مِلاَكِ القلبِ، قَالَ: ذَاكَ مُقَارَنَةُ بر الله تعَالَى وَمُشاهدة صنعه.

وَقَالَ الخراز: مَنْ شَاهَدَ الله عَزَ وجلّ بقلبهِ، حُبِسَ عَنْهُ مَا دُونَهُ، وَتَلاَشى عَنْهُ كُل شيءٍ، وَغَابَ عَنهُ وُجود عظَمَةِ اللّهِ، ولَمْ يبقَ فِي القلبِ إلاّ الله عَزَ وجلّ.

وَقَالَ عُمرُو المَكيُ: المُشَاهَدَةُ قربٌ مقرونٌ بعلم اليقين وَحقَائقِهِ.

وَقَالَ أبو سعيدٍ الخراز: الخلقُ فِي قبضته عَزَّ وجلَ، وَفِي ملكِهِ، فَإِذَا وَقعت المُشَاهَدَةُ فيما بين الله عزَ وجلّ وبَين العبدِ، لَمْ يبقَ فِي سِرِهِ وَلاَ فِي وَهْمِهِ غيرُ الله عز وجَلّ.

وَقَالَ المرتَعِشُ: مَنْ شَاهَدَالحقَ فِي سِرِهِ سقطَ الكونُ مِنْ قَلْبِهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ خفيف: المُشَاهَدَةُ اطلاع القلوبِ بصفاء اليقين إلى ما أخبر الله عز وجل عنهُ مِنَ الغيوبْ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ اليَقِيْنِ

أَخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ الوَاعِظُ، قَالَ: أخبرنَا أبو عَمْروٍ بنُ مُحَمد بنِ جعفر بنِ محمد بن مَطَرٍ قَالَ: أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن شريك بنِ الفضلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شِهَابٌ ـ يَعْنَي ابن عَيَّادٍ ـ العبدِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عيسَى بن يُونسُ، عَنْ أبي إسحق الشعيبي عَنْ عمر مَوْلى غفرة عَنْ عبدِ اللّهِ بنِ عباسٍ قَالَ: أرْدَفَنِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ خلفه، فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ ألا أعلِمُك كَلِمَاتٍ ينفعك الله بها؟» قَالَ: قلتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللّهِ، قَالَ: «احفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احفظ اللّهَ تَجدهُ أمَامَكَ، تَعَرّفْ إلى اللّهِ فِي الرخَاءِ يعرفك فِي الشِدَّةِ، إذَا سَأَلْتَ فَاسَألِ اللّهَ، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاستعن باللّهِ عَزَ وَجَل، جف القلم بما هو كائن، لو اجتمع الخلائق على أن ينفعوك بشيء لم يقدِّره الله عز وجل لَكَ ما قَدَروا عَلى ذَلِكَ، وَلَو اجتمع الخلائقُ على أنْ يضروكَ بشيءٍ لَمْ يُقَدِرْهُ الله عليكَ لم يقدرُوْا على ذلك، فَإنْ استطعت أن تَعْمل لله عَزَ وجلّ باليقين فِي الرِضَا فَافْعَلْ، وإنْ لَمْ تستطِعْ فَاعلَم أنَّ فِي الصّبر على ما تَكْرَهُ خيراً كثيراً، وَاعلَمْ أن النصر مَعَ الصّبر، وَأنّ الفرج مَعَ الكربِ وأن مَعَ العُسْرِ يُسْراً»[(١)].

وَرُوِيَ عَنْ رَسولِ الله ﷺ أنَّهُ قَالَ: «الصبر نِصْفُ الإيمَان، وَاليقين الإيمان كُلُهُ»[(٢)].

وَقَالَ الفضيل: قِيلَ لِعِيْسَى بنِ مريمَ عليهِ السلاَمُ: بأي شيء تمشي على الماءِ؟ قَالَ: «بالإِيْمَانِ واليقِينِ»، قَالوَا: فَإنَا آمنا كَمَا آمنْتَ، وَأيْقَنا كَمَا أيقنت، قَالَ: «فَامْشُوا إذاً»، قَال: فمشوا معه. فجاء الموجُ فرفعَهُ، فَقَالَ لَهُمْ عيسَى عليهِ السلاَم: «مَا لَكُمْ»؟ فَقَالُوا: خفنا الموجَ، قَالَ: «ألا خُفتُم رَبَّ الموجِ».

وَسُئِلَ النُوري عَنِ اليقين، فَقَالَ: إنَّ اليقينَ فعْلٌ فِي القَلْبِ، إذا صحَّتِ المعرفَةُ ثبتَ اليقينِ، وَاليقين أنْ يتيقن بِكل ما وَرَدَ مِنَ الحق، فيكُونُ الوعْدُ عِنْدَكَ كَالشَاهِدِ بل أشدُّ.

وَقَالَ دَاودُ لسليمانَ ﷺ: «مَا أقلَ ما أعطيَ العُبَّادُ؟ قَالَ: اليقين».

وَرُوي فِي التفسير أن إبراهيم عليهِ السلاَم بينا هُوَ يسير، إذْ هو بجيفة حِمَار قَدْ اجتمع عليهَا السِبَاعُ وَالطير، وَقَدْ أكلتْ لَحمَهَا وَبَقِي عظمها، فَلَمَا دَنَا مِنْهَا طَارَتِ الطير، وَذَهَبتِ

(١) أخرجه الترمذي في سننه باب رقم ٢٢ الحديث ٢٦٣٨ وقال: حسن صحيح، وانظر الكنز ١٦/ ١٣٦.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه ورمز السيوطي لضعفه، (الجامع الصغير ٢/ ٨٠، الحديث رقم ٥١٣٠).

السِبَاع، فَقَالَ: ﴿رَبِّ أرني كيفَ تحيي المَوْتَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] مَعْنَاهُ لأَزْدادَ يقيناً.

وَقَالَ ذُو النون: علامَةُ اليقين قلة المُخالفة للناسِ فِي العشرة، وَترك المدح لَهُمْ فِي العطيةِ، والتنزُه عَنْ ذمهم فِي المنعِ.

وَقَالَ الجُنيد: مَنْ لَمْ يصل علمه باليقينِ، وَيقينه بالخوفِ، وَخَوفه بالعمل، وعملَهُ بالوَرع، وَوَرَعَهُ بالإِخْلاَصِ، وإِخْلاَصَهُ بالمُشَاهَدَةِ، فَهُوَ مِنَ الهَالِكِينَ.

وَقَالَ محمدُ بنُ علي الكَتّاني: أشهى الطعَامِ لقمة مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عز وجلَ، فِي فم حسن الظن بكرامات الله عز وجل.

وَقَالَ أبو يعقوب النهرجُورِيُ: إذا استكْمَلَ العبد حقائقَ اليقين، صَارَ البلاء عنده نعمة، والرَخَاء مصيبةً.

وَقَال الجنيد: قَدْ مشى رِجَال باليقين على الماء، وَمَاتَ بالعطش أفضل منهم يقيناً.

وَقَالَ ذُو النُونِ: كُلُّ ما رَأتْهُ العيونُ نُسبَ إلى العلم، وكُلُّ مَا علمتهُ القلوبُ نُسِبَ إلى اليقينِ.

وَقَالَ أبو سعيدِ الخراز: العلم مَا استعملَكَ، وَاليقين مَا حملَكَ.

وَقَالَ أبو بَكْرِ الصديقُ رَضِيَ الله عَنْهُ: سَلُوا الله عَزَ وَجَل اليقينَ وَالمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لم يؤت أحدٌ بعد اليقين أفْضَلَ مِنَ المُعَافَاةِ.

وَقَالَ أبو سليمان: سمعتُ مَضَاء يقولُ: الزُهْدُ يمنع مِنَ التعَبِ، والتَّوكُلُ واليقينُ يَمْنَعَانِ مِنَ الذِلَّةِ، والكَرَمُ والإِحْسانُ يمنعانِ مِنْ دَنَاءةِ الأخلاقِ.

وَقَالَ أبو بكرِ الوَرَّاق: إنَّ العبد لا يستحق اليقين، حتى يقطَعَ كُل سَبَبٍ بينَهُ وَبين الله عزَ وجلَ مِنَ العرشِ إلى الثرى، وَيَكُونَ مُرَادهُ الله لا غير، ويؤثر رِضَا الله عَزَ وجلّ على كُلِ شيءٍ سِوَاهُ.

وَقَالَ الجنيدُ: اليقينُ ارتفاع الشَك. وَقَالَ أيضاً: اليقين أن لا تهتم لرزقك وقد كُفِيتَهُ، وتقبل على عملكَ الذِي كُلِفْتَهُ، فَإِنَّ اليقين يسوقُ الرزق إليكَ سوقاً.

وَعَنْ أبي علي الرُّوذباري قَالَ: أَفْضَلُ اليقين مَا أثبت الخوفَ وَالرَجَاء فِي قلبك.

وَقَالَ ذُوْ النُونِ: ثلاثٌ مِنْ عَلاَمَاتِ اليقين: النظَرُ إلى الله عَزَ وجلّ فِي كُلِ شيءٍ، والرجوع إليهِ فِي كُلِ أمرٍ، والاستعانَةُ بِهِ فِي كُلِ حَالٍ.

وَقَالَ ابنُ عَطَاء: على قدر قربهم مِن التقوى، وَمفارقتهم النفس، وَصَلُوا إلى اليقين.

وَقَالَ سَهْلٌ: حرام على كُل قلبٍ فِيهِ سكون إلى غير الله عزَ وجلّ أنْ يشم رَائحة الجنة.

وَقَالَ إبراهيم الخواص: لقيت غلاماً فِي التيهِ كَأنَّهُ سَبِيْكَةُ فضةٍ، فقلتُ: إلى أين يَا غلامُ؟ فَقَالَ: إلى مَكَّةَ، فقُلت: بَلاَ زَادٍ وَلاَ رَاحِلة ولا نفقة؟، فَقَالَ: يَا ضَعيف اليقين، الَّذِي يَقدر على حفظِ السمواتِ والأرضِ لا يقدر أن يوصلني مَكَّةَ بلا علاقة؟!! فَلَمَّا دَخلتُ مَكَة فَإذا هو فِي الطوافِ يقولُ:

يَــا نَــفــس ســيْــحِــي أبــدَا ... يــا نــفــسُ مُــوْتِــي كَــمَــدَا

ولاَ تــخــافِــي أحــداً إلاّ ... الــجــلــيــلَ الــصــمَــدَا

فَلَما رَآنِي قَالَ لِي: يَا شيخ أنْتَ بَعْدُ عَلَى ذَلِكَ الضعف؟؟.

وَقَالَ ذُو النونُ: اليقين دَاعٍ إلى قصر الأمل، وَقصر الأمل دَاعٍ إلى الزُهدِ، والزُهْدُ يورث الحكمة، والحِكْمَةُ تورث صحةَ النظرِ فِي العَوَاقِبِ.

وَقَالَ ذُو النُون: أقلُ اليقين أكْبَرُ مِنَ الدُنيا وَمَا فِيْهَا، لأن أقل اليقين يملأ القلب مِنْ حب الآخِرَةِ، وَيطالع بأقلِ اليقين إلى ملكوتِ الآخِرَةِ.

وَعَنْ أبي عثمانَ[1] قَالَ: اليقين قلة الاهتمامِ لغدٍ.

وَقَالَ أبُو عَبْدِ اللَّهِ الأنْطَاكِيُ[2]: إنَّ أقلَ اليقين إذا وَصَلَ إلى القلب، يَمْلأ القلب نُوْراً، وينفي عنه كل رَيب، ويَمْتلىء القلبُ بِهِ شُكْرَاً، وَمِنَ الله تَعَالَى خوفاً، وذَلِكَ أنَّ اليقين معرفة عظمة الله عَز وجلّ، فَعَلَى قدر عظمة الله عز وجل عِظَمُ قَدْرِ معرفَةِ الله عِنْدَهُ.

وَقَالَ أبو جعفر الحداد: رَآنِي أبو تُرَابِ النخشبي وَأنَا فِي الباديةِ جالسٌ على بركة مَاء، ولي سِتَّةَ عشر يوماً لم آكل ولم أشرب، وَأنا جالسٌ، فقال لي: ما جلوسك هَاهُنَا؟ قُلْتُ:

---

(١) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري وأصله من الري، صحب يحيى بن معاذ وشاه الكرماني ثم رحل إلى نيسابور إلى أبي حفص، وصحبه وأخذ عنه طريقته، وكان رضي الله عنه في وقته من أوحد المشايخ في سيرته، ومنه انتشر طريق التصوف في نيسابور. مات بنيسابور سنة ٢٩٨ هجرية، (طبقات السلمي ١٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤، تاريخ بغداد ٩/ ٩٩).

(٢) الإمام القدرة واعظ دمشق أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي الزاهد من أقران بشر بن الحارث والسري والحارث المحاسبي، وكان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته. توفي رضي الله عنه سنة ٢٣٩ هجرية. (طبقات السلمي ١٣٧، طبقات ابن الملقن ٤٦، حلية الأولياء ٩/ ٢٨٠).

أنا بين العلم واليقين، أنتظر مَنْ يغلبُ فأكونِ مَعَهُ، فقالَ: سَيَكون لَكَ شأنٌ. وَقَالَ أبو جعفرِ الحداد: اليقين أن تعبدالله كَأَنَكَ تراهُ.

وَقَالَ أبو بَكْرِ الوَرَّاقُ: مثل البلوى واليقين، كمثل كفتي الميزَان، وَالتوكل لسانهُمَا وبِهِ تعرفُ الزيادَةُ مِنَ النُقْصَانِ.

وَسُئِلَ مُحَمَّدُ بنُ علي الكتانِيُ عَنْ قولِ عَامِرِ بن قيسٍ: لو كشف الغُطَاء ما ازددتُ يقيناً[1]، فقالَ: كأنه إذا علم أنه واحد لا شريك له، وتحقق وحدانيته، فلو كشف الغطاء وارتفعت الحجب تحقق بذلك علماً غير العلم الأول وبالله التوفيق.

وقال همام بن الحارث: سألت رويماً عَنْ اليقين، فقال: اليقين تحقيق القلبِ القَاطِعِ على ما هُوَ بِهِ.

وَقَالَ يحيَى بنُ مُعَاذ: لاَ ينالُ العبدُ دَرَجَة اليقين حتَّى تزايلهُ خصلتَان: مُفَاخرةُ الأشكال، وَمُنَازَعَةُ الأضْداد.

وَرُوي عَنْ أبي الدَرْدَاءِ أنَّهُ قَالَ: كَفَى بالموتِ واعظاً، وَكَفى بالعبادةِ شغلاً، وَكَفى باليقين غِنًى.

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: مَنْ ظن حُرِمَ اليقينَ، وَمَنْ تَكَلم بِمَا لا يعنيه حُرِمَ الصدقَ، وَمَنْ شَغَلَ جوارِحُهُ بغيرِ مَا أمره الله تعالى حُرم الورع.

وَسُئِلَ بعضهُمْ عَنِ اليقينِ، فَقَالَ: اليقينُ استِعْذَابُ البلاء فِي موافقة الله تَعالىٰ.

وَقَالَ عَلي عليهِ السلام: انتظارُ الفرج محضُ اليقين.

وَسُئِلَ ابن خفيف عنِ اليقين فَقَالَ: تحقق الأسْرار بِأحْكَامِ المغيبات.

وعَنْ أبي عَبْد الله الحضرمي، قَالَ: أشرف عليَّ أبو جعفر الحدادُ يوماً وَأنا جَالِسٌ فِي البادية على بركةِ ماءٍ كَذَا سِتَة عَشَرَ يَوْمَاً، فقالَ: مَا جُلُوسُكَ هَاهُنَا؟ فَقُلْتُ: أنَا جَالِسٌ بَيْنَ العلمِ وَاليقينِ، وهُمَا يَضطَرِعَانِ، فأيُهُمَا غلب كُنت مَعَهُ.

وَقَالَ يوسُفُ بنُ أسْبَاطٍ: لليقين عَلاَمَاتٌ؛ التطلُعُ إلى الآخرةِ بِعَيْنِ اليقين، والإشْفَاقُ على الدين حياءً من الرّبِ عز وجل، والسُكُونُ إلى مَا وَعَدَ مِنَ الرزقِ، وطُمَأنينةُ القلبِ، والرحْلةُ مِنَ الموضعِ الَّذِي دُعِي مِنْهُ إلى الموضع الذِي دُعِي إليْهِ، وَالمُشَاهَدَةُ لِمَا هُوَ أمامَهُ والاستعدادُ للموتِ قبل نزولِهِ، وتوقعُ ما يأمَلُ مِنْ ربهِ عز وجل بِدَوامِ الخوفِ.

---

(١) والمشهور أنه من قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وَقَالَ: إبراهيمُ بن عيسى: علم اليقين أن تتيقن أن مَا أصَابكَ لم يكن ليُخْطئكَ.

وَقَالَ يحيى بن معاذ: عَينُ اليقين لزُومُ القَنَاعَةِ، وَعِزُّ النَّفْسِ القَنَاعَةُ.

وَقَالَ النُورِيُ: لَنْ يَنَال أحدٌ اليَقينَ فِي المعرفةِ وَالتوكُلِ، إلا بدوَامِ ذِكْرِ الله تَعَالَى بِالقَلْب، وَكَثْرةِ مُنَاجَاتِهِ، وَقطْعِ ما يشغلُ القلب عَنْهُ.

وَقَالَ بعضهم: اليقين المُشَاهَدَةُ[1].

وَكَانَ إبراهيمُ بن أدْهم وسفيان الثَوْرِيُ اصْطَحَبا بمكَةَ وَكَانَا صَائمين، فَفُتحَ عليهمَا بشيءٍ قبل العشاء، فأخرجَهُ إبراهيم بنُ أدْهَم، فَقَالَ له سفيانُ: يَا أبا إسحق، إنك لتحتاجُ إلى قليلٍ مِنَ العلمِ، فلما أمسيا وَجَاء وقتُ الإفْطَارِ فتح لهُمَا، فَأفْطَرَا جميعاً، فَقَالَ إبراهيمُ لسفيان: يَا أبَا عبد اللَّهِ، إنك لتحتاجُ إلى قليل من اليقينِ.

وَقَالَ أبو بكر الورَاقُ: لو قيل للطمع من أبوك؟ قَالَ: الشَّكُّ في المقدورِ، ولو قيلَ للشك: مَا حرفتك؟ قَالَ: اكْتِسَابُ الذلِ، وَلو قيل لَهُ مَا غَايَتُكَ؟ لَقَالَ: الحرمَانُ.

وَقَالَ سعيد بن المسيب لِصِلة بن أشيم[2]: أن يدعو الله تَعَالى لَهُ بدعوةٍ، فَقَالَ: زَهَّدَكَ اللَّهُ فِي الفَانِي، وَرَغَّبَك فِي البَاقِي، وَوَهَبَ لكَ يقيناً تَسْكُنُ إليهِ.

وَقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: مِنَ اليَقِين أنْ لاَ تُرْضِي النَاسَ بسخطِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وأَنْ لا تَحْمَدَ أحداً عَلَى ما رَزَقَكَ الله تَعَالى، وأَنْ لا تَذُمَّ أحَداً على مَا لَمْ يؤتِك اللَّهُ تَعَالَى، فَإن رِزْقَ الله تَعَالى لا يجره حرص حَريصٍ، وَلاَ يمنعه كَرَاهِيَةُ كَارِهِ، فَإن الله تعالى جعل الرَّوحَ والفرجَ فِي اليقين والرضَا، وَجعل الهمَّ والحزنَ فِي الشكِ وَالسخَطِ.

وَقَالَ كعبٌ: لو أن ثلاثة من أهل اليقين دَعوا رَبهم أنْ يزيل عنهم جبلاً لأزاله.

وَرَوَى الحسنُ أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «لَمْ يُؤتَ الناسُ شيئاً مِنَ الدُّنيا خيراً مِنَ اليقينِ»[3].

قَال الحسن سبط رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: باليقين طُلبت الجنَةُ، وَباليقين هُرِبَ مِنَ النارِ، وباليقين صُبرَ على الحق.

ويقال: إن لله عز وجلَ عباداً لما تدبروا أيقنوا، فَلَمَا أيقنوا خَافُوا، فلما خافُوا تَعَلَّمُوا،

(١) وهو قول النوري أبي الحسين (انظر التعرف للكلاباذي ١٢٣).

(٢) صلة بن أشيم الزاهد العابد القدوة أبو الصهباء العدوي البصري زوج العالمة معاذة العدوية استشهد في مقاتلة يزيد بن زياد سنة ٦٢ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٣/٢٩٧، الحلية ٢/٢٣٧، الإصابة ٢/٢٠٠).

(٣) لم أجده.

فلمَا تَعَلموا علموا، فلما علموا أشفقُوا، فلما أشفقُوا اجتهدُوا.

وَقَالَ بعضُهُمْ: إنِ أحببت أنْ تعلم علم اليقين، فاجعل بينك وبين اللَّهِ عزَ وجلّ أن [لا] تلتفت إلى شيء سِوَاهُ، وأنْ تجعل بينك وَبينَ الدُنيا حَائِطَاً مِنْ حديدِ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثورِيُ: اليقين أنْ لا تتهم مولاكَ فِي كُل مَا أصابك.

وَعَنِ الجريري أنه قَالَ: أدنى أوصاف الموقنين عيش القلب مَعَ الله تَعَالَى بلا علاقةٍ.

وَعَنْ أبي تُرابِ النخشبي قَالَ: رَأيتُ غلاماً حدثا في البادية بِلاَ زادِ، فقلتُ فِي نفسي: لئن كَانَ مع هَذَا الغُلاَم يقين وإلا فقد هَلك، فقلتُ: يَا غُلامُ فِي مثل هذا الموضع بلا زادِ، فَقَالَ: يَا شيخ ارفع رَأْسَكَ هَلْ تَرى غير الله عز وجل؟!!.

وَعَنْ عمروِ المكي قَالَ: أول اليقين آخر الحقيقة.

وسُئِلَ محمد بن الفضل: بم تنال سلامة الصدُورِ؟ قَالَ: بالوقوفُ على حق اليقين، وَهُوَ القرآن، ثم حينئذٍ يعطى علم اليقين، ثم يُطَالِع بعده عين اليقين، فيسلم صدره عند ذلك.

وَكَانَ العباسُ بن أشكابِ يقولُ:

خلق اللّه فتية عَبَدُوهُ   فَإِذَا ما ابتلاَهُمُ ذَكَرُوهُ
بَذَلُوا أنفسَاً بحسنِ يقينِ   ثم بالصبر والتقى عامَلُوهُ

بَابٌ فِي ذِكْرِ التَّوْبَةِ

أَخْبرنَا أبو سَعْدٍ الْوَاعِظُ، أخبرنَا أبو سعيدٍ إسماعيل بنُ أحمدَ الخَلاَلُ، قَالَ: أخبرنَا أحمد بن علي بن المثنى الموصِليُّ، وَالحسن بن محمد بن عنبر، وعبد الله بن مُحَمّد البغداديان قَالوا: حَدَّثنا علي بنُ الجعد. [ح] **وأخبرنَا** أبو عَمْرو بن مَطرٍ قَالَ: أخبرنَا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصُوْفِيّ حدثنا على بن الجعد، حدثنا أبو ثوبان - وهو عبدالرحمن بن ثابت - عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن نفير، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقبل تَوبَة العبدِ مَا لم يغرغر»(١).

قَالَ أَبُو سَعْدٍ الوَاعِظُ رحمهُ اللَّهُ: والتَوْبَةُ مِنَ المقَامَاتِ الرفيعةِ، والأَعْمَالِ الموجبةِ لمحبةِ الله تعالى، قَال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾(٢).

وقد قيل: التوبة أول مقَامٍ مِنْ مقاماتِ المريدينَ المنقطعين إلى الله عَزّ وجَلّ، وَهِيَ على مِائةِ مقام.

قَالَ سهل بن عبد اللَّهِ: أولُ مَا يُؤمَرُ بِهِ المبتدِىء التَوبَةُ، وهِي الندامَةُ، والإِقْلاَعُ، والتحولُ مِنَ الحركَات المذمومَةِ إلى الحركَاتِ المحمودَةِ، وَلاَ تصح التوبة للعبدِ حتى يلزمَ نفسَهُ الصمتَ، وَلاَ يصح الصمت حتى يلزمَ الخَلوةَ، وَلاَ يلزَمُ الخلوة إلا بأكل الحَلاَلِ، ولا يصح أكل الحَلاَلِ إلا بأداءِ حق الله تَعَالى، ولا يصح أداء حق الله تعالى إلا بحفظ الجوارحِ، وَلاَ يصح شيء ممَا ذكرنَا حَتَّى يستعين بالله تَعَالَى على ذلك كُلِهِ.

وَسُئِلَ السوسيُ عَنِ التوبَةِ، فَقَالَ: الرجوع عما ذمه العلم إلى مَا مَدَحَهُ العلم.

وَسَأل رَجل سهل بن عبد الله عنِ التوبَةِ، فَقَالَ: لا تَنْسَىٰ ذنبكَ(٣). ثم أتى الجنيدَ فَسَألَهُ عَنِ التوبَةِ، فَقَالَ: هِيَ نِسْيَانُ ذنبك، فَقَالَ لَهُ: إن سهل بن عبد الله قَالَ: التَوْبَةُ أَنْ لا تَنْسَى ذنبك، فَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ، أمَا علمت أن ذكر الجفاء فِي أيَامِ الوفَاء جَفَاء.

وَسُئِلَ ذُو النُون المصري عَنِ التوبةِ، فَقَالَ: توبةُ العوامِ من الذنوبِ، وتَوبَةُ الخواصِ مِنَ الغفلة، وتوبة الأنبياءِ مِنْ عجزهم عن بلوغ مَا نَالَهُ غيرهُمْ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم والبيهقي كلهم عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورمز السيوطي لحسنه (الجامع الصغير ١/٢٥٧ الحديث رقم ١٩٢١).

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

(٣) وذلك بمواصلة الندم عليه والاستغفار منه.

وسُئِلَ محمد بنُ علي الكتاني عَن مَعْنَى الاستغفار فَقَالَ: الاستغفارُ هو التوبَةُ، والتوبَةُ اسم واقع على معانٍ ستة؛ أوّلها: الندمُ على مَا مَضَى، والثّاني: العزمُ على تركِ الرُجُوع إلى الذنبِ، وَالثالثُ: أداء كُل فَرِيضَةٍ ضيعتها فِيمَا بينك وَبَينَ رَبك، والرَّابِعُ: أداء المظالِم إلى المخلوقين، والخَامِسُ: إذَابَةُ كُلِ جِسْمٍ وَلَحم نبتَ مِنَ الحَرَامِ. والسَّادِسُ: إذاقَةُ البَدَنِ أَلَمَ الطَاعَةِ كَمَا ذَاقَ حلاوةَ المعصيةِ.

وَقَالَ ابنُ عطاءٍ: التَوْبَةُ تَوْبَتَانِ: تَوْبَةُ الإِنَابَةِ، وتوبَةُ الاستجابَةِ؛ فتَوبَةُ الاستجابَةِ أَنْ يتوبَ الْعَبْدُ حياءً مِنْ كَرَمِهِ، وتَوْبَةُ الإِنَابَةِ أَنْ يتوبَ الْعَبدُ خوفاً مِنْ عقوبتِهِ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ الرازيّ[1] قَالَ: سمعتُ أَبَا عمرِو البيكنديّ[2] يقولُ: التوبةُ أَنْ يعلم العَبْدُ جرأتَهُ عَلى الله، وَيَرى حِلْمَ الله عزَ وجلّ عَنْهُ، حيثُ لم يَأذن للأرضِ أَنْ تخسف بِهِ، والنارِ أَنْ تحرقَهُ بِمَا عملَ مِنَ المعاصي، ثُمَّ يتوبُ مِنَ الذنبِ ولا يرجع إليهِ، كَمَا لا يرجع اللبن إلى الضرع.

وَعَنِ الحسَنِ قَالَ: لما تَابَ الله عزَ وجلّ على آدم عليهِ السلام هنأته الملائكَةُ، فهبط عليهِ جبريل وميكائيل ودرديائيل، فَقَالُوا: يَا آدمُ قرتْ عيناك بتوبَةِ الله تعالى عليكَ، فقَالَ آدمُ عليهِ السَّلاَمُ: يَا جبريل، فَإِنْ كَانَ بعد التوبَةِ السؤال فأين مقَامِيْ؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم، ورثتَ ذُريتك التعب وَالنصَبَ، وَوَرَّثْتُهُمُ التوبَة، فَمَنْ دَعَانِي منهم بدعوتك لبَّيتُهُ كتلبيتك، وَمَنْ سألني المغفرةَ لَم أبخل عليه، لأني قريب مجيبٌ يا آدمُ، وأحشرُ التائبينَ مِنَ القُبُورِ مستبشرينَ ضَاحِكِينَ، وَدعاؤهُم مستجابٌ.

وَقَالَتْ رابعة: توبتنا تحتاجَ إلى توبةٍ.

وَقَالَت: الاستغفارُ باللِّسَانِ توبَةُ الكذابين.

وَقَالَ النَّبِيُ ﷺ: «النَدَمُ تَوْبَةٌ»[3].

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان، أبو بكر الرازي، المذكِّر، كان جَوّالاً كثير الأسفار راوياً لحكايات الصوفية، وكان أبو عبد الرحمن السلمي كثير الحكايات عنه، ملياً بالسماع منه، ويعرف ابن شاذان الرازي بالصوفية، وكان تارة ينزل سمرقند، ومرة بخارىٰ، ومرة نيسابور، وتوفي بها سنة ٣٧٦هـ. (تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٤).

(٢) نسبته إلى بِيكَنْد بلدة بين بخارىٰ وجيحون على مرحلة من بخارى وكانت بلدة حسنة كثيرة العلماء إلاّ أنها خربت واشتهرت كذلك بكثرة ما فيها من الرباضات. معجم البلدان (١/ ٥٣٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ وابن ماجة والحاكم عن ابن مسعود، والحاكم والبيهقي عن أنس ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ٢/ ٥٨٧).

قالَ أبُو سَعْدِ الوَاعِظُ رَحمهُ اللَّهُ: مَعْنَاهُ وَالله أعلمُ أنَّه يورِثُ حرقَةً فِي القلبِ للذُنُوبِ الماضِيَةِ، وَنية صَادَقةً لتركهَا فِي المستقبل.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «التائبُ مِنَ الذنبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ»[1] معناهُ: إذا كَانَتْ توبتهُ حقيقة، صَارَ كيحيى بن زكريَا عليهِ السَّلاَمُ حيث لم يعصِ، وَلَم يهم بالمعصيةِ.

وَمَكْتوبٌ فِي بعضِ الكتبِ: أنَّ الله عزَ وجلّ يقول: «يا ابن آدم، عليكَ الجهد وعليّ الوفاء، وعليكَ الصبرُ وعليّ الجزاء، وعَليكَ السُؤالُ وعليّ الإجابَةُ، وَعَليكَ الطلبُ وَعَليّ العَطَاء، وَعَليكَ الإملاَء وعليّ الكِتَابَةُ، وعَليكَ الدُعَاء وعليّ الإجَابَةُ، وَعليكَ الشُكْرُ وَعَليّ الزِّيَادَةُ، وعَليكَ التوبَةُ وَعَليّ القَبُولُ».

وأنشد:

مَا مـجـرمٌ أجْـرَمَ جُـرْمَـاً فَـاعْـتَـرفْ   وَحَـاوَلَ الـتَّـوبَـة مِـمَّـا قَـدْ قَـرفْ
مـثْـل الـذي لَـجَّ فَـلَـمْ يـبـدِ الأسَـفْ   عَـلَـى اجـتـرامِ مـنـه يـومـاً إذ سَـلَـفْ

وَسُئِلَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ التوبَةِ، فَقَالَ: أوّلهَا الإجَابَةُ، ثُمَّ الإنَابَةُ، ثُمَّ التوبَةُ، ثُمَّ الاستغفارُ. فَالإجَابَةُ بالفعل، والإنَابَةُ بالقلبِ، وَالتوبَةُ بِالنِّيَةِ، والاستغفارُ مِنَ التقصيْرِ.

وسُئِلَ محمد بنُ علي عَنِ التوبَةِ، فَقَالَ: التنقل مِنَ المذمومَاتِ كُلهَا إلى الممدُوحَاتِ كُلّهَا، ثُمَّ المُكَابَدَات، ثُمَّ المجاهدات، ثُمَّ الثبات، ثُمَّ الرَشَادُ، ثُمَّ تدرك مِنَ اللَّهِ تَعَالى الْوِلاَيَةُ، وَحُسْنُ المَعْونَةِ.

وَقَالَ مجاهدٌ فِي قولِهِ عزَ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قَالَ: إذَا أحَبَ الله عَبْدَاً لم يضره ذنبٌ، وَذَنْبٌ لَمْ يضره كَذَنْبٍ لَمْ يَعْمَلْهُ.

وَقِيل: التَوبة أولُ طريقِ شَرَعَهُ الله تعالىٰ إليهِ.

وَقَال بنان الصُوفي[2]: التَوْبَةُ: على وَجْهَينِ؛ توبَةُ العوامِ مِنَ الذُنُوبِ. وَتَوبَةُ الخواصِ

---

(١) أخرجه ابن ماجة بسنده عن ابن مسعود الحكيم عن أبي سعيد الخدري ورمز السيوطي لحسنه (الجامع الصغير ١/ ٤٥٦).

(٢) هو بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمّال وكنيته أبو الحسن، واسطي الأصل، سكن مصر وأقام بها، وبها مات في شهر رمضان سنة ٣١٦ هجرية، وهو من جلة المشايخ والقائلين بالحق، والآمرين بالمعروف، له المقامات المشهورة والآيات المذكورة. (حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤، طبقات الشعراني ١/ ١٣٢، طبقات السلمي ٢٩١).

مِنَ الغفلةِ؛ فشتان بين تَائِب وَتَائب، تَائبٌ يتوبُ مِنَ الذُنُوبِ والسيئاتِ، وَتَائب يتوبُ مِنَ الزَلَلِ والغَفَلاَتِ، وَتَائبٌ يتوبُ مِنْ رُؤية الحسنَاتِ وَالطَاعَاتِ.

وقال سفيان: هَلاَكُ الناسِ فِي شيئين؛ أحدهُمَا: يعملون رَجَاء أنْ يَصِلُوا إلى التوبَةَ، وَيُسَوِّفون فِي التوبَةِ رَجَاءَ طولِ الحيَاةِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ منازل: إنّ فُلاَنَاً لا يريْدُ أن يتوبَ حتى يموتَ، فَإِذَا مَاتَ متى يتوبُ.

وَقَالَ يوسف بنُ أَسْبَاط: التوبةُ على عشرة مقَامَاتٍ؛ هجرانُ الجهَالاَتِ، وَترك البطالاَتِ، والتَوَلِي عَنِ المُنكراتِ، والدُخولُ فِي المحبوبَاتِ، والتسارُعُ فِي الخيرات، وَتصحيح الأَوْبَةِ، ولزُوم التوبة، وَأداءُ المَظَالِمِ، وَطَلَبُ المَغَانِم، وتصفية القلوب.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يقولُ الله تعالى: إِذَا تَابَ عبدي إليّ أنسيتُ جوارحَهُ عَمَلَهُ وأنسيته البقاع، وأنسيتُ حافظيهِ حتى لا يشهَدَا عليهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(١)].

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عبدِ اللَّهِ: التَوبَةُ على الكفارِ وأَهْلِ المعَاصِيْ، أيسرُ مِنْهَا على القُرَاء.

وقَالَ رجل لرابعة: إني قد أكثرت من الذنوب وَالمَعَاصِي، فتراني إنْ تبت يتوبُ الله عليّ، فَقَالَتْ: لا، إنْ تَابَ عليك تُبْتَ، قَالَ الله عز وجل: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[(٢)].

وَعَنْ عَائشة رَضِي الله عنهَا قَالَت: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «التَوبَةُ مِنَ الذنبِ النَدَمُ والاستغفارُ»[(٣)].

وَقَالَ أحمَدُ بنُ أبي الحَوارِيْ: لا يَكُونُ الْعَبْدُ تَائباً حتى يندَمَ بالقلبِ، وَيستغفر بِاللسَانِ، ويرد المظالم فيما بينَهُ وَبين الناسِ، ويجتهِدَ فِي العِبَادَةِ، ثُمَّ يتشعبُ لَهُ مِنَ التَوبَةِ الاجتِهَادُ والزهُدُ، ثُمَّ يتشعبُ لَهُ مِنَ الزُهْدِ الصدقُ، ثُمَّ يتشعب لَهُ مِنَ الصدقِ التوكُلُ، ثُمَّ يتشعَبُ لَهُ مِنَ التَوكُلِ الاستقامَة، ثُمَّ يتشعب لَهُ مِن الاستقامَةِ المعرفة، ثُمَّ

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن أنس (كنز العمال ٤/ ٢٠٩ الحديث رقم ١٠١٧٩).

(٢) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

(٣) لم أجده بهذا اللفظ إنما له شاهد قريب من لفظه: (التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله تعالى ثم لا تعود إليه أبداً) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي بن كعب. (الجامع الصغير ١/ ٤٥٩).

يتشعب لَهُ مِنَ المعرفَةِ الذِكْرُ، ثُمَّ يتشعب لَهُ مِنَ الذِكْرِ الحلاَوَةُ والتلذذ، ثُمَّ بعد التلذذ الأنس، ثُمَّ بعد الأُنس الحياء، ثُمَّ بعد الحيَاء خوفُ الاستدرَاجِ، ثُمَّ بعد الاستدرَاجِ الخوف مِنَ الحيَاءِ، وفِي هَذِهِ الأحوال لا يفَارِقُ خوفَ تحويل هذه الأحوال قلبه دُون لقائِهِ.

وَعَنْ سعيد بن المُسيب فِي قولِ الله عز وجَلّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] قَالَ: يكونُ الرجل يعمل بالمعَاصِي ثُمَّ يتوبُ، فتصير سيئاتُهُ حَسَناتٍ.

وَعَنْ عثمان رَضي الله عنهُ قَال: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «إذَا كَانَ يَومَ القيَامَةِ جيء بالتوبَةِ فِي أحسنُ صورة تكون، وأطيب ريح، فلا يجد ريحها إلا مُؤمن، فيقول الكافر فِي الموقفِ: يا ويلنَا هؤلاءِ يزعمُونَ أنَّهم يَجِدُونَ ريحاً طيبةً، ولا نَجدُهَا، فَتُكَلمُهُمْ التَوبَةُ، فتقولُ: لو قبلتمُوني في الدُنْيَا لطيبتُ رِيحكم اليوم، فيقولُ الكافرُ: أنا أقبلك الآن. قَالَ: فينادِي مَلكٌ مِنَ السَمَاءِ: لو أتيتم بالدُنيا وَمَا فيها، وبكُل ذهبٍ وفضةٍ، وَكل شيءٍ كَانَ فِي الدُنيا، مَا قبل مِنْكُمْ تَوْبَةٌ، قَالَ: فَتَتَبَرّأ منهم التوبة، وتَتَبَرّأ منهم الملائكَةُ وتجيء الخزنةُ، فمن شمت منه رائحةَ طيبةً تركَتْهُ دَخَل الجنة، وَمَنْ لم تشم منه رائحة طيبَةً ألقته فِي النارِ، قَالَ الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[1].

وَسُئِل الشبلي: مَا عَلاَمَة التوبةِ؟ قَالَ: إخراجُ الزنجي من الحوبةِ، قال: يعني إخراجُ النفس من الحوبة، والحوبة الإثم.

وقِيل فِي قول الله عزّ وجل: ﴿إن الله يحبُ التوابين ويحبُ المتطهرين﴾ أن معنَاهُ: يحبُ التوابين عَنْ رؤية الخدمَةِ، والمتطهرين عن دَنَسِ محبةِ كُل حبيبٍ ليسَ لَهُ حولٌ ولا قوة.

وَقِيلَ: ﴿يحب التوابين﴾ من المعصيةِ، ﴿والمتطهرين﴾ عَنْ آفةِ الطَّاعَةِ.

وَقَالَ ابنُ عَطَاءٍ: مَنْ صَحّح تَوبتَهُ بالعَمَلِ قُبِلَتْ تَوْبتُهُ.

وَقيل: التائبُ الراجعُ فِي مُهماتِهِ إلى رَبِهِ عَزَّ وجل دون غيرِهِ.

وَقَالَ ذُو النُونِ: على كُلِ جَارِحَةٍ توبَةٌ، فتوبة القلب ترك المحظوراتِ، وتوبَةُ العينين

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١].

الغض عن المَحَارِمِ. وَتَوبَةُ اليدينِ ترك البطش وتناول مَا لَيسَ لَهُ، وتَوْبَةُ الرِجلين ترك السعي إلى المَلاَهِي، وَتَوْبَةُ السمْعِ ترك الإصغاء إلى الباطل، وتَوْبَةُ البطن أكْلُ الحَلاَلِ، وَتَوبَةُ الفرج القعود عن الفواحش.

وَقيل لأبي حفصٍ: لـِمَ يبغضُ التائب الدنيا؟ قَالَ: لأَنَّها دَار بَاشَر فيها الذُنوب. فقيل لهُ: وَفيها أدْرَك التوبَةَ، فَقَالَ: هُوَ مِنْ ذُنُوبهِ على يقينٍ، ومِنْ قبولِ توبته على خَطرٍ.

وسُئِلَ أبو عبد الله بن الجلاء: متى يَكونُ التائبُ تَائِباً؟ قَالَ: إذَا لَمْ يكتب عليهِ صَاحِبُ الشمال عِشْرينَ سَنَةً ذنباً.

بَابٌ فِي ذِكْرِ المَقَامَاتِ

أَخْبَرَنَا أبو سَعْدِ الواعِظُ، أخبرنَا أبو الحسن علي بن بندارِ الصُوْفِي، حدَّثنَا عُمرُ بنُ محمد أبو حفص الهمدَاني، حدَّثنَا أبو بكرِ الجوزجاني: محمد بن أحمد ببغداد، حدَّثنا معلى بن أسدٍ، حدَّثنا وَهْبُ بنُ داود عَنْ أبي هند، عَنْ أبي نضرة، عَنْ أبي سعيدٍ، عَنْ النَّبي ﷺ قَالَ: «إنّ أمتي خلقوا على طبقاتٍ؛ فمنهم من يولَدُ مؤمناً ويحيا مؤمناً ويَموتُ مؤمناً. ومنهم مَنْ يولد مؤمِناً ويَحْيَا مؤمناً ويموتُ كافراً. ومِنْهُمْ مَنْ يولَدُ كافراً ويَحْيَا كَافِراً ويَمُوتُ كَافِراً. وَمِنْهُمْ مَنْ يولَدُ كَافِراً ويَحْيَا كَافِراً ويَموتُ مُؤمِناً»[1].

وَقَالَ بعضهم: للرجالِ مَقَامَات ومراتبُ؛ فأولُهَا الانتباهُ، ثُمَّ الحياةُ، ثُمَّ التَوْبَةُ، ثُمَّ الخوفُ، ثُمَّ الرَجَاء، ثُمَّ الاجتهاد، ثُمَّ مخالفةُ الهوى، ثُمَّ الصبر، ثُمَّ الرضا، ثُمَّ الشكر، ثُمَّ القَنَاعةُ، ثُمَّ السخاء، ثُمَّ الإنابة، ثُمَّ الاحتراس، ثُمَّ التوكل، ثُمَّ التفويضُ، ثُمَّ الفراغُ، ثُمَّ النظرُ، ثُمَّ الخشوع، ثُمَّ التفكُّرُ، ثُمَّ التملق، ثُمَّ التشوق، ثُمَّ الإنَابَةُ، ثُمَّ النصيحَةُ.

وَعَنْ أبي يزيد قَالَ: كُنْتُ فِي مَقَامٍ بَكَى عليَّ أهل السمواتِ والأرضِ، ثُمَّ صرتُ فِي مقَام بَكيت على أهْل السمواتِ وَالأرضِ.

وَقَالَ سَهْلٌ: البَلاء حصُولُ دَعوى المقَامَاتِ ممن لاَ مَقَامَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ رجل: أيُهما أسوأ حالاً من ادعَى مَقَامَاتٍ وَلَيستْ له، أوْأهْل التخليطِ؟ قَالَ: أهَل التخليطِ يُرْجىٰ لَهُمْ وهؤلاء لا يرجى لَهُمْ، فَقَالَ لهُ السَائل: وَإِنْ كَانَ مثل الزنا ونحوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، لأن أهْل هذه التخاليطِ مزرُون على أنفسهم، يعلمون أنهم مذنبون، ثُمَّ يستغفرون منهَا.

وَسُئِلَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الإِيْمَانِ، فَقَالَ: أعلى مقامٍ من الإيمان أدنى مقام من العلم، وأعلى مقام من العلم أدنى مقام من الخوف، وأعلى مقام من الخوف أدنى مقام من اليقين، وأعلى مقام من اليقين أدنى مقام من الورع، وأعلى مقام من الورع أدنى مقام من الزهد، وأعلى مقَامٍ مِنَ الزهْد أدنى مَقَامٍ مِنَ الرضَا، وَأعْلَىٰ مَقَامٍ مِنَ الرضا أدْنَى مَقَامٍ مِنَ التوكل.

وَقَالَ الحارثُ المُحَاسِبِي: مَنْ لَمْ يُهذِّبْ نَفْسَهُ بِالرِياضات، لاَ تفتح لَهُ السبيل إلى سنن المقامَاتِ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٧/ ٢٧٢).

وَقَالَ الجنيد: المقَامَاتُ بِالشواهِدِ، مَنْ قَامَ بِشَاهد الأحوالِ فهو رَقيقٌ، وَمَنْ قَامَ بشاهدِ الصفَاتِ فهو أسيرٌ، وَمَنْ قَامَ بشاهِدِ الحق فهو أميرٌ.

وَقِيل: للأوْلياءِ مَقَامَاتٌ، وَلِكُلِ وَلِي لَهُ حُكْمُهُ على قَدْرِ مَقَامِهِ، فأدبُ العَارِفِ فَوْقَ كُل أَدَب، لأَنَ مَعَروفَهُ مؤدِبٌ قَلْبَهُ، فَلاَ يطمَعُ فِي الوصُول إليهِ بِشَفِيْع غيرهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكرُ بعض مَقَامَاتِهِم: إذا علموهُ هَرَبُوا مِنَ الخلقِ مِنْ خشيتِهِ، فَإِذَا عرفُوهُ رَجَعُوا إلى الخلقِ فِي مُوافَقَتِهِ.

وَيُقَال: المَقَامَاتُ ثلاثةٌ؛ مَقَامُ العَوَامِ ابتداؤهُ النِعْمَة، وَانتهَاؤُهُ المَنُ والشُكْرُ، قولهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] . وَمَقَامُ الخواصِ ابتداؤُهُ الخِدْمَةُ، وَانتهاؤهُ الرحمة والمغفرة، قولُهُ عَزَ وجَلّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] . وَمَقَامُ الأولياءَ وَالعَارِفِين ابتداؤهُ الصفوة وَانتهاؤُهُ الرُؤيَةُ. قولهُ عَزَ وجَلّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] . وَقَوْلِهِ عَزَ وجلّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] .

وَعَنْ أبي علي الرَازِي قَالَ: لَقَدْ أقَامَنِي الله عَزَ وَجَلّ مَقَامَاتٍ، لو ضربَ ظَهْرِي بالسِّيَاطِ مَا أخبرتُ بِهَا أحداً.

وَقيل: أولَ ما يحتاجُ إليهِ العَارِفُ الفِكْرُ، ثُمَ العمل، ثُمَ الاجتِهَادُ، ثُمَّ المُبَادَرةُ، ثُمَ التَبَرُعُ، ثُمَّ السباقُ، ثُمَّ التوبةُ، ثُمَّ النقلة، ثُمَّ الانتِقَالُ، ثُمَّ البصيرة، ثُمَّ النظَرُ، ثُمَّ الفهم، ثُمَ التفهُمْ، ثُمَّ التعلُقُ، ثُمَّ الوصْلُ، ثُمَّ الاتصال، ثُمَّ التنعُمُ، ثُمَ الصبرُ، ثُمَ الاحْتِمَالُ، ثُمَّ التودُدُ، ثُمَّ التسليم، ثُمَّ التفويضُ، ثُمَّ الرضَا، ثُمَّ السُكُونُ، ثُمَّ التوكُلُ، ثُمَ المُنَاجَاةُ، ثُمَّ مَقَامُ الأولياء، ثُمَّ مَقَامُ المتلذذِينَ وَهُوَ أعلى مَقَامَاتِ العَارفين.

وَعَنْ إسماعيل بن نُجَيد[1] قَالَ: لا يبلغُ الرَجُلُ شيئاً مِنْ مَقَامِ القومِ، حَتَّى تَكُونُ أفعالُهُ عنده كُلُّهَا رِيَاءً، وأحْوَالُهُ كُلُّهَا عندَهُ دَعَاوِي!

---

(١) إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي أبو عمرو جد الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي لأمه، صحب أبا عثمان الحيري ولقي الجنيد، وكان من أكبر مشايخ وقته، له طريقة ينفرد بها من تلبيس الحال وصون الوقت، سمع الحديث ورواه، وأسند الحديث، وكان ثقة مات سنة ٣٦٦ هجرية. (طبقات السلمي ٤٥٤، طبقات ابن الملقن ١٠٧، طبقات الشعراني ١/ ١٤١).

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ مَقَامَاتِ القلبِ، فَقَالَ: أربع مَقَامَاتٍ؛ فمقر الإسلامِ منه يُسمى صَدْراً، قولهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] وَمقرُ الإيمَانِ مِنْهُ يُسَمَى قلباً، قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧] ومقر المشاهدة منه يسمَى فؤاداً، وَمَقر التَوحيدِ منهُ يسمى اللُبّ، قولهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

وقِيلَ لأبي يزيد: مَتَى يبلغ الرجلُ مَقَامَ الرِّجَالِ فِي هذا الأمر؟ فَقَالَ: إذا عرفَ عيوبَ نَفسِهِ، وَقَوِيَتْ تهمتُهُ عَلَيْهَا.

وَقَالَ أبُو سعيدِ الخرازُ، وَذَكَرَ المَقَامَات: الواصلون على أربع طَبَقَاتٍ، وَسَائِر الناسِ مِنْ خَارِجٍ، فطبقة إذَا هَرَبُوا رُدُوا، وهؤلاءِ الذين يريد أن يدخلهم حَظَائر قدسِهِ، إذا رَأوا تعظيم جَلاَلِهِ فَعَايَنُوا تلكَ الأنوارِ، فَهُمْ يركضونَ أحْيَاناً ويَرْجِعُونَ أحياناً، قَدْ أطلعهُمْ على حقيقة مُلْكِهِ ليصلُحُوا، وَيطيقوا الهجومَ على عَظَمَتِهِ، أما سمعتَهُ يقولُ عَز وَجَل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥] وَإنَّما أرَاهُ ذلك ليطيق الهجومَ على عَظَمَتِهِ، فَكَذَلِكَ هَذَا. وَطبقة يقطعهم عَن حلاوةِ ذِكره، فيدْهشُونَ عندها ويتحيرون ويسألون العلماء، ويظنُونَ أنَّه نقصان وليس ذَلِكَ بنقصٍ، وإنما هُوَ لطف مِنَ اللطيف الخبير، يريهم جَلالهُ وَعَظَمَتَهُ مُدَارَاة لَهُمْ، ليقِفُوا على ثوابهِ، إذَا مَنَّ بِه عليهِمْ سخت قلوبهم، وذلك أن المريدينَ فِي تعبٍ إلى أنْ يعلمُوا أن الله عَزَّ وجلَّ يريدهم، فَإذَا علموا استراحوا، ولم يختارُوا عليهِ ولَمْ يشتغلوا عَنْهُ، وَكَانُوا نَاظِرِين فِي اختيارِهِ لَهُمْ رَاضين بذلك. وطبقة أحَاطَ بِهم، فليس يمكنهم الهرَبُ، فهؤلاء قَدْ نَضَجَتْ قلوبُهُمْ، فَارْتَفَعَتْ أرواحهم وَاسْتَنَارَتْ بِنُورِهِ، وقدْ تاهوا هُنَالِكَ فِي فيافِي نورهِ، فَهُمْ لا يفقهون شيئاً دُونَهُ، وَلا يبرحون، فهؤلاء عنده في القرب يرجعون أحياء، ولا رجعة إلا بالجوائز السنية، وَالمواهِبِ الهنية قد اقتطعهم قربهُ عَنْ ذكره، فنسوا أنفسهم وَنَسُوا حوائجهم، فهم لا يسألونه شيئاً، ويثقل عليهم الذِكْرُ فِي حالِ قربهِمْ مِنْهُ. وطبقة مصونون لا يبرحونَ، فهؤلاء خَاص الخاصِ، قَدْ وَلَهَتْ عقولُهُمْ مِنْ تعظيم جَلالِ الله سبحانَهُ، وَقَدْ تَاهُوا فِي حيرةٍ ولا حيرةَ لَهُمْ. وهم الذين انتهى إليهم عقل العقلاء، ولهم عند الحق مقعد صدق، فافهمه رشيداً.

وَقَالَ الشبلي: إذا كنت متحيراً فِي التوحيدِ، فقد أوصلت إلى مقامِ التفريد، وَمَنْ كَانَ منفرداً فِي توحيده، صَارَ مختصراً فِي طريقهِ.

بَابُ ذِكْرُ المُرَاقَبَةَ

أخبرنَا أبو سَعْدٍ الواعِظُ قَالَ: حدَّثَنَا أبو الحسن علي بن عُمر الدَارقطني ببغداد إملاء من حفظهِ، قَالَ: حدَّثَنَا عبد الله بن محمد بن إسحٰق المَروزي، قَالَ: حدثنَا محمد بن سليم، حدَّثَنَا محمد بن إسماعيل، قَالَ: حدَّثَنَا شعبة بن زِيَاد بن علاقة، عَنْ أُسَامَةَ بن شريكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: «مَا كَرِهت أن يراهُ الناس منك فلا تفعله إذا خلوت»[1].

وروى إبراهيم بن شماس[2]، أن رجلاً قال لابن المبارك: أوصني يا أبا عبد الرحمن، قال: راقب الله تعالى. فسأله رجل عن تفسيره، فقال: كن أبداً كأنك ترى الله عزَ وَجَلَ، فإنْ لم تكن تراهُ فإنه يراك.

وَقَالَ عبد الواحدِ بنِ زيدٍ: إذَا كَانَ سَيدِي رَقيباً عليّ، فَمَا أُبَالِي بغيرهِ.

وَعَنْ أبي عثمان المغربي[3] قَالَ: أفضلُ مَا يلزمُ الإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الطريقة المحاسبة والمراقبة، وسياسة عمله بالعلم. وعن أبي العباس بن عطاء قال: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وقال أبو محمد الجريري: أمرنا هذا مبني على فصلين، أنْ يلزمَ نفسه المراقبة للّهِ عَزَ وَجَلَ، وَيكون العلم على ظَاهِرِكَ قائماً.

وَقَالَ أبو عثمان: قَالَ لي أبو حفصٍ: إذا جلست للناسِ فكن وَاعِظَاً لنفسكَ وقلبكَ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يُرَاقبونَ ظَاهِرَكَ، والله رقيب على باطنك.

وحُكي أنه كَانَ لبعضِ مشايخ هذه الطبقة تلميذ شَابٌ، وَكَانَ يكرِمُهُ، فَقَالَ لَهُ بعضُ أصحابهِ: كَيفَ تَكرِم هَذَا وَهُوَ شَابٌ وَنحن شيوخ، فَقَالَ: أريكم منه عجباً، ثم دعا بعدة

---

(١) حديث: (ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت) رواه ابن حبان، والترمذي عن أسامة بن شريك، ورمز السيوطي لصحة (الجامع الصغير ٢/ ٤٣٤).

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن شماس السمرقندي نزيل بغداد، يروي عن ابن المبارك، ويروي عنه أحمد بن حنبل وأبو زرعة، قال الإدريسي: كان شجاعاً مبارزاً، عالماً فاضلاً، ثقة ثبتاً، كثير الغزو متعصباً لأهل السنة، قتل بظاهر سمرقند سنة ٢٢١هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ١٥).

(٣) هو سعيد بن سلام القيرواني، البغدادي ثم النيسابوري، أبو عثمان، كان أوحد عصره في الورع والزهد والصبر على العزلة، جاور بمكة سنين، ومات بنيسابور سنة ٣٧٣ هجرية، وأوصى بأن يصلي عليه ابن فورك، ودفن بجنب أبي عثمان الحيري. (طبقات السلمي ٤٧٨، طبقات ابن الملقن ٢٣٧، تاريخ بغداد ٩/ ١١٢).

طَيُورٍ، وَنَاوَلَ كُل واحدٍ منهم طيراً وسِكيناً، وَقَالَ: اذْبَح هَذَا فِي موضِعٍ لاَ يَرَاكَ أحَدٌ، وَدَفَع إلى الشابِ ذلك، وقال: اذبحه حيث لايراك أحدٌ، فرجع كل واحد منهم بطيره مذبوحاً، ورجع الشاب والطير حيٌ في يده، فقال: مالك لم تذبح وقد ذبح أصحابك؟ فقال الشاب: أمرتني أن أذبحَ الطَيرَ فِي موضعٍ لاَ يَرَانِي فيهِ أحدٌ، وَلَمْ أجد موضِعَاً إلاّ وَرَأَيتُ فيهِ اطلاعَ الله سُبْحَانَهُ عليّ وَرُؤيَتَهُ إياي، فلذلك لم أذبحه، فاستَحْسَنُوا مِنْهُ مُرَاقبتَهُ، وَقَالَ: حُقَّ لَكَ أنْ تَكْرَمَ.

وَبَلَغَنِي أن زليخا خَلَتْ بيوسفَ، فَقَامَتْ فَغطَتْ وجهَ صَنمها، فَقَالَ يُوسفُ: أتستحينَ مِنْ مُرَاقبةِ الجَمَادِ، ولاَ أستحي مِنْ مُراقبةِ الملك الجبار.

وَحُكِي عَنْ بعضهم، قَالَ: مررتُ بجمَاعةٍ يترامونَ وواحد جَالِسٌ بَعيداً مَنهم، فتقدمتُ إليه فَأردتُ أنْ أكلمَهُ فَقَالَ ذكرُ اللَّهِ تَعَالَى اشهى فَقال: أنْتَ وَحدك، فَقَالَ: مَعِي رَبي جَلَ وعَز وَمُلَكَاي، فَقلتُ: مَنْ سَبقَ مِنْ هؤلاَءِ؟ فَقَالَ: مَنْ غفر الله تَعَالَى لَهُ، فَقُلْتُ: فأينَ الطريق؟ فَأَشَار نحو السماء وَقَامَ وَمَشَى، وَقَالَ: أكثر خلقك شَاغل عنك!

وَحُكِي عَن بعضِ الأحدَاثِ أنه رَاوَدَ جارِيةً عَنْ نفسها، فَقالَتْ: ألا تستحي؟ فَقَالَ: ممن استحي وَمَا يَرانَا إلا الكواكب؟ فَقَالَتْ: وأينَ مُكوكِبُهَا؟.

سمعتُ عبد الرحمن التائب يقول: سمعتُ أبا عبد الله بن خفيف يقولُ: خرجتُ من مصر أريد الرملة للقاء أبى على الروذَباري[1]، فَقَالَ عيسى بن يُونس المصري المعروفُ بالزاهد: إنَّ فِي صور شاباً وَكَهلاً قَدْ اجتمعَا على حَال المراقبةِ، فلو نَظرتَ إليهمَا نظرةً لعلك تستفيد منهما، فدخلتُ صور وأنا جائع عَطشانٌ فِي وَسطي خرقةٌ، وَلَيسَ على كَتِفي شيء فدخلتُ المسجدَ، فَإذَا شخصين قَاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهِمَا، فَمَا أجابَانِي، فسلمتُ ثانيةً وَثالِثةً، فَلَمْ أسْمَع الجوابَ، فقلتُ نشدتكُمَا بِاللَّهِ ألاَ رَددتُمَا عليّ السلام، فرفع الشابُ رَأسَهُ مِنْ مرقعته فنظرَ إلي، وَقَالَ: يَا ابن خفيف الدُنيا قليل، وَمَا بَقِي مِنَ القليل إلا القليل، فخذ مِنَ القليل الكثير، يا ابنَ خفيف، مَا أقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا فأخذ كُلِّيَتي. فنظر إليّ وَطَاطَأَ رَأسَهُ فِي المَكَانِ، فبقيت عندهُمَا حتى صَلينَا الظهر والعصر، فذهَبَ جوعي وَعَطَشِي وَعنائي، فلما كَانَ وقتُ العصر قُلْتُ: عِظْنِي، فرفعَ رَأسَهُ إليَّ وَقَالَ: يا ابن

(١) أبو علي أحمد بن محمد الروذباري البغدادي ثم المصري، صحب الجنيد والنوري، وكان عالماً فقيهاً عارفاً بعلم الطريقة حافظاً للحديث. توفي سنة ٣٢٢ هجرية. (طبقات السلمي ٣٥٤، طبقات ابن الملقن ٥٠، حلية الأولياء ١٠/٣٥٦).

خفيف نحن أصحاب المصَائِبِ لَيسَ لَنَا لِسَانٌ لعظةٍ. فبقيت عندهُمَا ثلاثة أيام لا آكل وَلاَ أشربُ وَلاَ أنَامُ وَلاَ رَأيتهما أكلاَ وَلا شَربَا وَلاَ نَامَا، فلمَا كَانَ فِي اليوم الثالثِ قلتُ فِي سِري: أحلفهما أنْ يعظاني لعلي أنتفِعُ بعظتِهِمَا، فَرَفَع الشابُ رَأسَهُ وَقَالَ: يا ابن خفيف عليكَ بصحبةِ مَنْ تُذَكرك الله رُؤيَتُهُ، وَتَقع هَيْبَتُهُ عَلَى قلبك، يعظك بلسان فِعله، وَلاَ يعظك بِلِسَان قولهِ والسَّلام، قم عنا.

عَنْ أحمد بن عطاء قَالَ: قَالَ لِي خَالِي أبو علي بن عَطَاء: سمعت الجنيد وَقَدْ سَألَهُ سَائِل: بم أستعين على غضِ البصرِ؟ قَالَ: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسْبَقُ مِنْ نظرك إلى المنظور إليهِ. وَقَالَ:

مَـــنْ رَاقَـــبَ الله فِـــي الـــغُـــيُـــوب أعـــانَـــهُ الله فِـــي الـــكُـــرُوْبِ
فـــنـــعـــم مَـــولـــى ونـــعـــم رَبّـــي وَنـــعْـــم الـــلّـــهُ غـــافِـــرُ الـــذُنُـــوبِ

وَقَالَ ذُو النون المصري: علاَمَةُ المراقبةِ إيثارُ ما آثره الله عز وجل، وَتَعظيم مَا عظَّمَهُ الله تَعَالَى، وتصغير مَا صغَّره الله تعالى.

وَعَنْ أبي سعدِ الخراز قَالَ: كنت يومَاً أمشي فِي الصحراء، فَإِذَا قريب من عشرة كِلاَبٍ مِنْ كِلاَبِ الرُعَاةِ قَدْ شَدتْ عَلي، فَلَمَا قربَتْ مِنِي جعلتُ أسْتَعْمِلُ المراقبَة، فَإذَا بِكَلبٍ أبيض قَدْ خرجَ من بينها، وَحَمل على الكلابِ فطردَهَا عَنِي، ولم يفارقني حتى تباعدَتْ عَنِي الكِلاَبُ، فَالتفتُ فلم أرَه.

وَعَنْ سَهل قَالَ: المراقبُ لا يخافُ فوتَ الدنيا، إنما يحتاج أن يخافَ فوتَ الآخرة.

وَقَالَ الجُنَيدُ: إنَّما يتحقق بالمراقبةِ مَنْ يخافُ على فوتِ حظِّهِ مِنْ رَبِهِ عَزَّ وجَلَ.

وَعَنْ مَالِك بن دِيْنَارٍ قَالَ: جَنَاتُ عَدْنٍ مِنْ جَنَاتِ الفِرْدَوسِ، وَفيها جَوَارٍ خلقن مِنْ وَرْدِ الجنةِ، قيل لَهُ: وَمَنْ يَسْكُنهَا؟ قَالَ: يقولُ الله عزَ وجَل: إنَّما يسكن جناتِ عَدْنٍ الذين إذَا هَمُوا بالمَعَاصِي ذَكَرُوا عظمتي فراقَبُونِي، والذينَ انثنت أصلاَبُهُمْ مِنْ خشيتي، وَعِزتي وَجَلاَلِي، إني لأهم بِعَذَابِ أهلِ الأرضِ، فَإذَا نظرت إلى أهْل الجُوع والعطش مِنْ مَخَافَتِي صرفتُ عَنهُمْ العذابَ.

وَسُئِلَ الحارثُ عَن المراقبةِ، فَقَالَ: المراقبة علم القلب بقربِ الربِّ عَزَّ وَجَل.

وَقِيل: المراقبة أنْ تراقب الله عَزَ وجل عند مَا نَهَاكَ عَنْهُ.

وَقِيل: المُرَاقبةُ أن لا تحول الهِمَة مِنْ شيءٍ إلى شيءٍ؛ لأن الله عزَ وجلَ قد أحَاطَ بِكُل شيء علماً.

وَقِيل: المُراقبةُ أنْ يراقبَ العبدُ رَبَّهُ فِي جميع أحوالِهِ، حتى يقيد عليهِ أنفاسَهُ، وذَلِكَ قَوْلَهُ عَزَ وَجَل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] .

وَعَنْ المرتعش قَالَ: المراقبةُ مُرَاعَاةُ السر لملاحظة الغيب، مَعَ كُل لحظة ولَفْظَة.

وَقَالَ الجريري: مَنْ لَمْ يُحْكِمْ مَا بَيْنَهُ وَبَينَ اللَّهِ تَعَالَى بالتقوى والمُرَاقَبةِ، لَمْ يصل إلى الكشفِ والمُشَاهَدَةِ.

وَقَالَ بعضُ العلماءِ: المراقبةُ أنْ تعلم أن الله تعالى على كُلّ شيءٍ رَقيب.

وَقَالَ أبُو عُثمَان: صَلاَحُ القلب فِي أربعة أشياء؛ فِي الفقر إلى اللَّهِ سبحانه بالاستغناءِ عَمَّا سِوَاهُ، وَفِي الخوفِ مِنْهُ، وَفِي التواضع، وَفِي المراقبةِ.

وَسُئِلَ الجُنيد عَنْ حقيقةِ المُرَاقبَةِ، فَقَالَ: المُرَاقَبةُ هِيَ حَالُ المراقبِ، وَهِيَ انتظارُ مَا يخافُ وُقوعه، فهو قلق حيرانٌ كَمَن يخافُ البياتَ، فهو حَذرٌ لاَ يَنَامُ وَلاَ يُنيمُ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾[1] يعني: فانتظرْ.

وَسُئِلَ عَنِ الفرقِ بين المراقبةِ وَالحَيَاء، فَقَالَ: المُراقبة انتظارُ غَائب، وَالحَياء، خَجَلٌ حاضر مُشَاهدٌ.

وَقَالَ بَعَضهُم: الرجاءُ يجذبكَ إلى الطَاعَاتِ، وَالخَوْفُ يبعدك عَن المَعَاصِي. وَالمُراقبةُ تؤدِيكَ إلى طريق الحقائقِ.

وَيُقَال: إنَّ الله تَعَالَى قَالَ لملائِكَتِهِ: «أنتم مُوَكَلونَ بالظواهرِ وأنا رقيب على البواطِنِ».

وَقَالَ مُحمَدُ بنُ علي الترمذِي[2]: اجعَلْ مُرَاقبتك لِمَنْ لاَ تغيب عَنْ نظرهِ، وَاجْعَل شكركَ لِمَنْ لاَ ينقطع عَنكَ نعمهُ، وَاجعل طَاعَتَك لِمَنْ لاَ تستغني عَنْهُ، وَاجعل خضوعكَ لِمَنْ لا تخرج عَنْ ملكِهِ وسُلطَانِهِ.

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عبدِ اللَّهِ: لَمْ يتزين القلب بشيءٍ أفضل وَلاَ أشرفَ، مِنْ علم العبدِ بأن الله تَعَالَى شَاهدُهُ حيث كَانَ.

وَسُئِل بعضُهُم عَنْ قولِهِ عَز وَجَل: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الدخان: ٥٩] .

(٢) محمد بن علي بن الحسن وكنيته أبو عبد الله الترمذي، لقي أبا تراب النخشبي، وصحب يحيى وأحمد بن خضرويه وهو من كبار مشايخ خراسان وله التصانيف المشهورة، كتب الحديث الكثير ورواه (طبقات السلمي ٢١٧، طبقات ابن الملقن ٣٦٢، حلية الأولياء ١٠/٢٣٣).

٨] ، فَقَالَ: معَناهُ لمن رَاقبَ رَبَّهُ عَزَ وَجَلَ، وَحَاسَبَ نَفسه، وَتزود لِمعَادِهِ.

وَسُئِلَ ذُوْ النُونِ: بِمَ يَنَالُ العبد الجنة؟ فَقَالَ: بِخَمْسٍ؛ استقامَةٌ ليسَ فِيْهَا رَوَغَان، واجتهاد لَيْسَ مَعُه سَهوٌ، ومُرَاقبة الله تَعَالى فِي السرِ والعَلاَنِيةِ، وَانتظارُ الموتِ بالتأهُبِ لَهُ، ومُحَاسَبَةُ نفسك قَبل أن تُحَاسَبُ.

وَقَال ذُو النُون: مَنْ رَاقَبَ الله تَعَالَى فِي خطرات قلبه، عصمه الله تعالى في حركاتِ جوارِحِهِ، وَمَنْ خَافَ فرَّ إلى اللَّهِ عَزَ وَجَلَ، وَمَنْ فر إلى الله تَعَالَى نجا باللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ يُوسَف بنُ أسْبَاط: للمُرَاقبةِ عَلاَمَاتٌ: إيثارُ مَا آثره الله تَعَالَى، وَحُسن القصد إلى الله تَعَالَى، وَمعرفة الزِيَادَةِ والنُقصان مِن قبل الله تعالى، وسُكون القلب إلى الله تَعَالىٰ، والانقطاع عَنْ جميع الخلق إلى الله تَعَالَى، وإيثارُ قرب الله تَعَالىٰ عَلى قرب مَا سِواهُ، وإظهارُ الهيبةِ مِنَ الله تَعَالىٰ، وعلم القلبِ بقرب الله تَعَالى.

وَقَالَ أبو حفصٍ الحداد: أفضلُ عَمَل العَاملين، مُرَاقبةُ أوقَاتِهِمْ مَعَ رَبهم عَزَّ وجل.

وَعَنْ جعفرِ الصَّادق رَضِي الله عنهُ قَالَ: كل معرفة لا يقارِنُهَا دَوام مراقبة الله، مِنْ خوفٍ وَتسليطٍ فَهِي نَكِرَةٌ، وَكُل محبةٍ لا يُقارِنُها دَوامُ الاتفاق فَهِيَ غرور وَاستدرَاجٌ.

وأنشدونا فِي هَذَا الباب:

إذَا مَا خلوتَ الدَهر يوماً فلا تقل　　خلوت وَلَكِنْ قُلْ عليَّ رَقيبُ
وَلاَ تحسبن الله يغفل سَاعَةً　　وَلاَ أن ما يخفى عليهِ يغيبُ
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهِباً　　وإنَّ غَداً للناظرين قريب

بَابٌ فِي ذِكْرِ الوَرَعِ

أخبرنا أبو سَعْدٍ الواعِظُ قَالَ: حَدَّثَنَا أبو سَهْلٍ بشرُ بنُ أحْمَدَ بنِ بشرٍ الفقيهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الله بن مُحَمَّدِ بن نَاجيةَ، قَالَ: حدثنا عبادُ بنُ يَعْقُوبَ الرواجي، حَدَّثَنَا عبد اللَّهِ بنُ عبد القدوسِ، عَنِ الأعمش، عَنْ مَطرف بن عبد الله بن الشخيرِ، عَنْ حُذَيفةَ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «فضل العلم خير من فَضل العبادةِ، وخير دِينكم الورَعُ»[1].

وَقَالَ بشر بنُ الحارثِ: أشد الأعمال ثلاثة: الجود فِي قلة، وَالوَرَعُ فِي خلوة، وكَلِمةُ حق عِنْدَ مَنْ يخافُ ويُرجَى.

وَعَنْ أبي عبد اللَّهِ البسري[2] قَالَ: رَأيتُ فِي النومِ كَأنَ القِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، والخلق كُلهُمْ فِي الموقفِ، فرأيتُ طَائراً أبيضَ يأخذُ واحداً مِنَ الموقفِ، فيُدخلهُ الْجنة، فقلتُ: مَا هَذَا الطَائِرُ الَّذِي قد منّ اللَّهُ بِهِ على خَلْقِهِ؟ قَالَ: فَرَمَى إليَّ بِرِقٍ ففتحتُهُ، فإذا فيهِ مَكْتوب: هَذَا الطَّائِرُ شيءٌ يُقال لَهُ الورَعُ.

ويقال: أصلُ الوَرَع أن يتعاهَدَ المرءُ قَلبَهُ، فكلَّمَا تَفَكّرَ فِيمَا لاَ يعنيهِ، عَالجَهُ حتى يَرُدَّه إلى مَا يَعْنِيهِ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالىٰ مِنْ أفضلِ الجِهَادِ.وأشدّهِ.

وَسُئِلَ الشبلي عَنِ الورَعِ فَقَالَ: أن تتورَع عَمَا دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَل.

وَحُكِي أن مُخّة أخت بِشرِ الحافِي جاءت إلى أحمد بن حَنبل، فَقَالَت: إنا نَغزل على سُطُوحِنا فتمُرّ مشاعِل الظاهريّةِ، فيقع الشعاعُ علينا، فيجُوزُ لَنَا الغَزْلُ فِي شعَاعِهَا، قَالَ: مَنْ أنتِ عَافَاكِ الله؟ قَالَت: أختُ بشرٍ، فقال: من بيتكم يخرجُ الْورَعُ الصَّادِقُ، لا تغزلِي في شعَاعِهَا.

وَعَنْ أحمدَ بن سُليمَان[3]، قَالَ: مَرَرْتُ يَوْمَاً مِنَ الأيَامِ ببعضِ الأطبَاءِ، فَإِذَا حَوْلَهُ

---

(١) حديث: (فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة وخير دينكم الورع) أخرجه البزار، والطبراني في الأوسط والحاكم عن حذيفة، والحاكم أيضاً عن سعد بن أبي وقاص، ورمز السيوطي لصحته. (الجامع الصغير ٢/ ١٧٤).

(٢) أبو عبيد محمد بن حسان البسري، نسبة إلى بسرى، قرية بحوران، وقد وهم السمعاني فظن أنه منسوب في الأصل إلى بصرى بإبدال الصاد سيناً لأن النسبة إلى بصرى بصروي، وأبو عبيد من قدماء مشايخ الشام، صحب أبا تراب النخشبي المتوفى سنة ٢٤٥ هجرية. (نتائج الأفكار القدسية ١/ ١٦١).

(٣) هو أحمد بن سليمان الكفر شيلاني الزاهد، من كفرشيلان ـ قرية بالشام ـ (معجم ما استعجم ٤/ ١١٣١).

جَمَاعةٌ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، بأيديهم قواريرُ المَاءِ، فَإِذَا هُوَ يَصِفُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُوافقُهُ، قَالَ: فَدَنوتُ مِنْهُ فسلمتُ عَليهِ، فردّ علي السلامَ، فقلتُ: صِفْ لِي دواء الذنُوب يرحمك اللَّهُ، قَالَ: وَكَانَ الطبيبُ حكيماً ذَا عَقْلٍ ولُبٍ، فأطرق سَاعَة، ثُمَّ رَفع رَأْسَهُ فَقَالَ لِيْ: يَا فَتى، إن وَصَفْتُ لَكَ أتفهم عَني مَا أَصِفُ؟ قلت: نَعَمْ إن شَاءَ اللَّهُ. قَال: يَا فَتى، خُذْ عرُوقَ الفقرِ مَعَ وَرق الصَبرِ مَعَ إهليلج[1] التَوَاضعُ، مَعَ بليلج الخُشوع، ثُمَّ ألقِهِ فِي هَاوُن التوبة، ثُمَّ اسحقهُ سَحْقاً نَاعِمَاً بدستق التوفيق، ثُمَّ ألقه فِي طنجير الرِّضَا، ثُمَّ صُبَّ عليهِ مَاء الخوف ثم أوقد تحتهُ نَار المحبّة ثُمَّ حركه باصطام العِصْمَةِ حتى يَرْغِي زبد الحكمَةِ، فَإِذَا رغا زبد الحكمَةِ فصفّه بمنخل التفكر، ثُمَّ صُبَّهُ فِي جَامِ الرِّضَا، ثُمَّ روّحْهُ بمروَحَةِ الحَمْدِ حَتَّى يَبْردَ فِي روح المحبّة، فَإِذَا بردَ فَصبَّهُ فِي قدح الْمُنَاجَاةِ، ثُمَّ امزِجْهُ بالتوكل، ثُمَّ ارفعه بملعقةِ الاسْتِغْفَارِ، ثُمَّ اشربْهُ وَتمضمض بعدَه بالورَع، فإنك إذا فعلت ذَلِكَ لا تعود إلى ذنبٍ أبداً.

وَعَنْ علي بن مَيْمُون العطّار الرقِي ـ وَالد محمّد ـ قَالَ: مَرَرْتُ بالبصرَةِ فِي شَارِع مربدهَا، فَإِذَا مشايخُ قعود وَصِبْيَانٌ يَلْعَبُونَ بين أيديهم الكِعَابِ، فقلتُ لَهُمْ: أما تَسْتحيُونَ مشايخَ قعود وأنتم تلعبُون؟ فقال لِي واحدٌ مِنْهُم: عَمّ، قلَّ ورَعُهُمْ فقلَّتْ هيبتُهُمْ! وَقَالَ بعضهُمْ: مَا خَاصَمَ وَرعٌ قط.

وَقَالَ يوسُف بن أسبَاط: قليلُ الورَعِ يجزي مِنْ كثيرِ العملِ، وقليل التواضُعِ يجزى من كثير الاجْتِهَادِ.

وَقَالَ الحَسَن: الورَعُ عَلى ثلاثة مَقَامَات؛ أوّلها: أن لا يتكلَم العبْدُ إلا بالحقّ سَاخِطَاً كَانَ أو رَاضِيَاً، وأن يحفظ كل جارِحَةٍ مِنْ سخطِ اللَّهِ عَزَ وَجَلَ، وأنْ يكُون اهتمامُهُ فِيمَا يُرضِي الله عَزّ وَجَل.

آخر الثاني من تهذيب الأسرار يتلوُهُ فِي الجزء الثالث

وقال أبو سُليمَان الدَارَانِي الورَعُ فِي اللِّسَان أشدُ منه في الذهب والفِضّة

والحمدُ لله وحدهُ وصلواته على سيدنا محمدِ النبيّ وآله وسلامُهُ

---

(١) الإهليلج: ثمر ـ معرب ـ منه أصفر ومنه أسود وهو البالغ النضيج، ومنه كابليٌ ينفع من الخوانيق ويحفظ العقل ويزيل الصداع (القاموس مادة إهليلج).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ يسر برحمتِك

وَقَالَ أبو سليمان الدارَانِي: الورَعُ فِي اللِّسَانِ أشَدُ مِنْهُ فِي الذهبِ والفضةِ.

وَبَلَغَنَا أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ لأبِي هريرة: «يَا أبَا هريرةَ، مَنْ لقي الله عَز وَجَلَ وَرِعَاً أعطَاهُ اللَّهُ تَعَالى ثوابَ الإسلامِ كُلَّهُ»[1].

وَقَالَ الجنيدُ: الورَع تركُ الكُل حتى يَصِح لَكَ الورَع، فَإِنْ الأمور امتزجَتْ.

وَحُكِيَ أن عبدَ الوهَابِ اسْتَعَارَ مِنْهُ رَجل من أصحَابِ الحَدْيثِ سِكيناً، فقطعَ بِهَا قلماً، فلَمَا انقضى المجلسُ أخَذَ عبدَ الوهَابِ القلم فَكسرَهُ، وَقَالَ: هَذَا قطعته بسكيني وَلاَ أدرِي أي شيء تَكْتُبُ بِهِ بَعْدِي.

وَحَكى بَعضُ مَشَايخِ البصرة: أنّ مالك بن دينارٍ مَكَثَ بالبصرة أربعين سَنة فلم يصح لَهُ أن يَأكُلَ مِنْ ثمرِ البصرة، وَلاَ مِنْ رُطَبهَا حتى مَاتَ، وَلَمْ يذقْهُ، فَكَانَ إذا انقضَى وقت الرُطَب، قَالَ لأهل البصرَةِ وَكَشفَ عَنْ بَطْنِهِ: قَدْ خَرَجَ الرُطَبُ، وَمَا أكلتُهُ، فأنا مَالك بنُ دِينار، وَهَذَا بَطني ما نقص مِنْهُ شيء ولا زَادَ فيكم شيء.

وَقَالَ رَجل للعمري[2]: أوْصني؟ قَالَ: تُدْخِلُ جوفك مِنَ الورَعِ، مثل ذا - وأشارَ إلى طَرَفِ أصبعهِ - أنفعُ لَكَ مِنْ صلاةِ أهْلِ الأرضِ، فَقَالَ رَجل: زِدْنِي، فَقَالَ: إنْ كُنْتَ تُحِبُ أنْ يَكونَ لَكَ غَدَاً كَمَا تحب، فكن اليومَ لَهُ كَمَا يحب.

وَرَوى سلمَان الفَارِسيُ: أن النَّبي ﷺ قَالَ: «جلساء الله تَعَالى أهْلُ الزُهْدِ وَالورع»[3].

---

(١) لم أجده.

(٢) هو الإمام القدوة الزاهد العابد أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي العمري المدني. قليل الرواية، مشتغل بنفسه، قوال بالحق، أمار بالعرف لا تأخذه في الله لومة لائم، روي أنه كان يلزم المقبرة كثيراً معه كتاب يطالعه ويقول: لا أوعظ من قبر، ولا آنس من كتاب، ولا أسلم من وحدة. مات رحمه الله سنة ١٨٤ هجرية. (سير علام النبلاء ٨/ ٣٧٣، الكواكب الدرية للمناوي ١٣٣، شذرات الذهب ١/ ٣٠٦).

(٣) رواه ابن لال عن سلمان الفارسي، ورمز السيوطي لضعفه (الجامع الصغير ١/ ٤٩٠ الحديث ٣٥٩٧).

وَقَالَ الضحَاكُ بنُ مزاحمٍ: أدْرَكتهم وَمَا يتعلم بعضهم مِنْ بعضٍ إلا الورَعَ، وَأنتم اليوم تتعلمون الكلام.

وَكَانَ دهثم بالبصرة إذا أرادَ أنْ يدق بَابَ قومٍ صفقَ بنعليهِ وَاحدةً على الأخرى، وَقَالَ: لا أدقُ بابَ قومٍ إلا بإذْنِهِمْ.

وَكَانَ القعنبي[1] بالبصرة إذا وَجَدَ القراطيسَ فِي الطرقِ وضعها فِي حيطانِ المَسَاجِدِ، وَقَالَ: لا أضع فِي حيطانِ الناس شيئاً إلا بإذنهم.

وبَلغنا أن وهيب بن الوردِ[2] كَانَ لو وُزِنَ لحمةُ على عِظَامِهِ حين مَاتَ، مَا جَاز على رطلينِ، ولَمْ يقدِر أن يقوم فِي حيَاتِهِ إلى الفرض إلا بجهدٍ، لما بِهِ من الضعف لتضييق الوَرَعِ عليهِ.

وَيُقال: أركانُ الورَع أربعةٌ: الصومُ، والصلاةُ، وقلةُ النومِ، وتركُ الشهواتِ.

وَقَالَ بعض الحكمَاء: كل ورَع يحب صَاحبه أن يعلمه غيرُ الله تَعَالى، فليس مِنَ الله فِي شيء.

وَقَالَ أبو سليمان: الرضَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، والرحمةُ للخلق دَرَجَةُ المرسلينَ، والقنَاعَةُ أول الرِّضَا، وَالورَع أولُ الزهْدِ.

وَقَالَ ابن حَسَّانَ: ترك ابنُ سيرينَ أربعين ألف دِرْهَمٍ فِي شيء مَا ترونَ بِهِ اليومَ بَأساً.

وَقيل: لا تَطْمَعْ فِي الورَعِ مَعَ الحرصِ فِي الدُنْيَا، ولا تطمع فِي القناعَةِ مَعَ قلة الورع.

وَقال يوسف بن أسباط: علامَةُ الورعِ عشرة أشياء: الوقُوف عند المشتبهات، والخروج من المتشابهات، والدخول في التفتيش، والخروج مِنَ التشويشِ، والتَولِي عند معادِنِ الآفاتِ، والتباعد عَنْ طرقِ العَاهَاتِ، وتفقد النقصَانِ وَالزيادَاتِ، والمُداوَمَة على مَا يرضِي الرحمَنَ، وَصفَاء التعلقِ بالأمَانَاتِ، والإعراضُ عَنْ كثيرٍ مِنَ المُبَاحَاتِ.

وَقِيل لأبي عبد الله بن خفيف: مَا الورَع؟ قَالَ: ترك مَا حاك فِي الصَّدْرِ مِنَ الشبهاتِ.

---

(١) عبد الله بن مسلمة بن قعنب الإمام الثبت القدوة، شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن الحارثي القعنبي المدني نزيل البصرة ثم مكة، مولده بعد سنة ١٣٠ بيسير، وكان مجاب الدعوة، وكان من الأبدال والمجتهدين في العبادة توفي سنة ٢٢١ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٥٧، شذرات الذهب ٢/ ٤٩، العبر ١/ ٣٨٢).

(٢) وهيب بن الورد القرشي، أبو عثمان المكي الزاهد، يروي عن عطاء وجماعة، ويروي عنه فضيل بن عياض وابن المبارك قال عنه ابن المبارك: كان يتكلم ودموعه تقطر، وكان ثقة مات سنة ١٥٣ هجرية. (خلاصة تذهيب الكمال ٣٥٠).

وَسُئِلَ سهل بن عبدِ اللَّهِ عَنْ بدايةِ الأحوالِ وَنِهَايتهَا، فَقَالَ: الورَعُ أولُ الزُهْدِ، والزُّهْدُ أوَّلُ التوكُلُ، والتوكُلُ أول دَرَجةِ العَارِفِ، والقناعَةُ وتركُ الشَهَواتِ أوَّلُ الرِّضَا، والرِّضَا أوَّلُ الموافَقَةِ.

وَقَال يحيى بن معاذ: ذَهَابُ الدين فِي الطَمَعِ، وَبَقَاءُ الدينِ فِي الورَعِ.

وَعَنْ معاوية بن قرة[1] قَالَ: قلتُ للحسن: ليسَ شيء أشدَّ عليّ مِن الوَرَعِ، فَقَالَ: وَهَلْ ينفع شيء إلا بورَعٍ.

وَقَالَ الحسنُ: أفضلُ الأعمَالِ التفكرُ وَالوَرَعُ.

وَقَالَ علي بنُ أبي طالبٍ: إذَا الشيءُ تحلهُ آيةٌ وتحرمُهُ آية، فَاتبع التي تحرمُهُ.

وَعَنْ أبي بكرِ الصديقِ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ: كُنا ندع سبعين بَابَاً مِنَ الحلاَلِ، مَخَافَةَ أنْ نقع فِي بابٍ مِنَ الحرَامِ.

وَعَنْ مضر قَال: اجتمع أصحابُ الحسنِ يوماً يتذاكرونَ فِيمَا بينهم، فَقَالُوا: ليس شيء أشَد علينَا مِنَ الوَرَعِ، فَقَالَ مضر: ليسَ شيء أيسر عليّ مِنَ الورَعِ؟ قَالُوا: وَكَيف هَانَ عليكَ مَا اشتد على أصحابِ الحسنِ مِنَ الورَعِ، قَالَ: لأني لم أشبع وَلَم أروَ مِنْ نهركُمْ منذ ثلاثينَ سنَةً.

وَعَنْ سعيدِ بن خيثمةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله حَدِّثنا بشيءٍ نأخذُ بِهِ بعدك؟ قَالَ: «لتفتِك نَفْسُكَ»، قَال: وَكَيفَ لِي أنْ أعلم ذَلِك؟ قَالَ: «فهمك فِي جَسَدِكَ»، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «تضع يَدَكَ على قلبك، فإن القلب يضطربُ للحرَامِ، ويسكنُ للحلالِ، فَإذَا كَانَ العبدُ وَرِعَاً تَرَكَ الصغيرة مَخَافَة أنْ يقع فِي الكبيرةِ».

وعَنْ بحر السّقاء قَالَ: قيل ليونسْ بن عبيدٍ: مَا غَايَةُ الورَعِ؟ قَالَ: الخروجُ مِنْ كُلِ شُبْهَةٍ، وَمُحاسبة النفس مَعَ كُل طرفَةٍ.

وَرُوِي أنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: «يقولُ الله عز وَجَل: أما الورِعُونَ فَأستحي أنْ أُحَاسِبَهُمْ، وَقَالَ: ويدخلونَ الجنة بغير حِسَابٍ، وَوُجوههم مثل القمر ليلةَ البَدْرِ».

وَقِيل لإبراهيم بن أدهم: ألا تَشربُ مِنْ زَمزَم؟ قَالَ: لَوْ كَانَ لِي دَلْو لشربت.

---

(١) هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب الإمام العالم الثبت أبو إياس المزني البصري والد القاضي إياس، مولده يوم الجمل، ومات سنة ١١٣ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٥/١٥٣، خلاصة تذهيب الكمال ٣٨٢، تهذيب التهذيب ١٠/٢١٦).

وَيُروى عَنْ سعيد بن خيثمة قَالَ: قِيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الورَعُ؟ قَالَ: «أن تقف عند الشبهات، وتأخذَ بِالبيناتِ».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتاد، ما يقبل الله تعالى منكم إلاّ بورع صادق».[1]

وَسُئِل بَعضهم عَنِ الورَعِ، فَقَالَ: أعلا الورع وأدَقُّهُ، تركُ مَا ليسَ بِهِ بَأسٌ، مَخَافَةَ مَا بِهِ بَأسٌ، وحقيقة الورَعِ ترك مَا أشبه عليك.

ويقال: الوَرَع أن تطيع الله تَعَالىٰ فَلاَ تَعْصِيهِ وَأنْ تذكره فَلا تَنْسَاهُ، وأنْ تشكره فلا تَكفرهُ.

وَقَالَ الجنيد: الورَع بذل المجهودِ بين يدي الله تَعَالَىٰ.

وَقَالَ رُويم: الورَع استفراغ الطاعةِ.

وَقَالَ سليمان: الورعُ مِنَ الزُهْدِ بمنزلَةِ القَنَاعَةِ مِنَ الرِّضَا.

وَقَالَ ذُو النونِ: الطريق لمن كَانَ شعار قلبهِ الورع، وَلَمْ يُعْمِ بصرَ قلبه الطمع، وَكَانَ مُحَاسِباً لنفسه فيما صنع.

وَقَالَ وَكيع بن الجراح[2]: إن الرجل لا يضع قَدَمَهُ فِي الزُهْد إلا بعد إحكام الورَعِ.

وَسُئِلَ سَهل عَنِ الورَعِ، فَقَالَ: تركُ الدنيا أولُ الورَعِ.

وَسُئِل الحسن البصريُ: مَا أصلُ الدين؟ قالَ: الورَع. قِيلَ: فَمَا يفسده؟ قَالَ: الطمعُ.

---

(١) ذكره في الكنز بلفظ قريب منه عن ابن عساكر والديلمي (كنز العمال ٣/ ٥٧).

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح، الإمام الحافظ الثبت، محدث العراق، أبو سفيان الرواسي الكوفي أحد الأئمة الأعلام، ورواس بطن من قيس عيلان ولد سنة ١٢٩ هجرية، وسمع الأعمش وخلق، وروى عنه يحيى بن معين وخلائق، وكان أبوه يلي بيت المال فأراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع. توفي يوم عاشوراء سنة ١٩٧ هجرية. (تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٢).

بَابٌ فِي ذِكْرِ الزُّهْدِ

أخبرنا أبو سعدٍ الوَاعِظُ، قَالَ: أخبرنَا محمد بن أحمد بن جُميع الغساني بصيدا، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ العزيز بن محمدِ بنِ إسحقَ الضَريرُ أبو المغيث بصيدَا، قَالَ: حَدَّثَنَا أبو الوليد محمد بن أحمد بن بردِ الأنطَاكِيُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحمّدُ بن كثيرٍ، عَنْ سُفيان الثَّورِي، عَنْ أبي حَازِمِ المدني، عَنْ سهلِ بنِ سعد الساعدِي، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِي ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلنِي على عملٍ إذَا عملتُهُ أحبني الله تَعالى، وأحبني الناسُ، فَقَالَ: «ازهَدْ فِي الدُّنيا يحبك الله، وازهَدْ فِيما بين أيدي الناسِ يحبك الناسُ»(١).

وَسُئِلَ أبو عمرو الدمشقي(٢) عَنْ الزُهْدِ، فَقَالَ: أنْ يَزهَدَ فيمَا لَهُ، مخافةَ أنْ يهوى مَا لَيْسَ لَهُ.

وَعَنْ مخلد بن الحسينِ(٣) قَالَ: الزُهْدُ فِي الدُّنيا أخذ الحَلاَلِ.

وَقَالَ رَجل لذي النون: مَتَىٰ أزهدُ فِي الدُنْيَا؟ قَالَ: إذَا زهدتَ فِي نفسك.

وَقَالَ يحيى بن معاذ: الزهدُ يورثُ السخَاء بالمال، والحبُ يورث السَخَاء بالنفسِ وَالمَالِ وَالرُوحِ.

وَقَالَ الأنطاكي: علامَةُ الزهْدِ أربعَةُ أشياء: الثقة باللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، والتبرؤ مِنَ الخلقِ، وَالإِخْلاصُ لِلَّهِ عَزَ وَجَلَ، وَاحتمالُ الضيم لكرامةِ الدينِ.

وَقَالَ أبو عبد الله الحُصَري: قلتُ لبعضهم: ما الزهد فِي الدُنيَا؟ قَالَ: ترك مَا فِيهَا على مَنْ فيها.

وَقيل ليحيى بن معاذ مِن الزَاهِدُ حقاً؟ قَالَ: مَنْ يكون على تركِهَا أحرص من الحريص على طلبهَا.

---

(١) أخرجه الطبراني وابن ماجة والحاكم والبيهقي عن سهل بن سعد. ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ١/١٢٥).

(٢) أبو عمرو الدمشقي من أجلّ مشايخ الشام، بل واحدها، عالم بعلوم الحقائق، صحب أبا عبد الله بن الجلاء وأصحاب ذي النون المصري، وهو من أفتى المشايخ. مات سنة ٣٢٠ هجرية. (طبقات السلمي ٢٧٧، حلية الأولياء ١٠/٣٤٦، طبقات الشعراني ١/١١٨).

(٣) الإمام الكبير شيخ الثغر أبو محمد الأزدي المهلبي البصري ثم المصيصي، كان أعقل أهل زمانه، له شيء في مقدمة صحيح مسلم، توفي سنة ١٩١ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٩/٢٣٦، حلية الأولياء ٨/٢٦٦، شذرات الذهب ١/٣٢٩).

وَقَال سَري السقطي: عَلاَمَةُ الزُهْدِ هُدُوء النفسِ عَن الطَلبِ، وَالقَنَاعَةُ بِمَا يرد عنه كلبَ الجوعِ، والرضَا بِما يستر العورة، وَنفورُ النَّفْسِ عَنِ الفُضُولِ، وإخراج المخلوقين مِنَ القلبِ.

وقال سري السقطي: رأس العبادة الزهد في الدنيا. وقال ذو النون: الزهاد ملوك الدنيا والآخرة، وهم مساكين العارفين.

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ زَهِدَ فِي الدُنْيا أربعين يوماً، أنبت الله تعالى في قلبهِ الحِكْمَةَ، وأنْطقَ بِهَا لِسَانَهُ، وبَصّره عُيُوبَ الدُنيَا، وأخرجه منها سَالِمَاً إلى دَارِ السلام»[1].

وَرُوي أن النبي ﷺ خرج إلى أصحابه رضي الله عنهم يوماً، فقال: «هل فيكم من يريد علماً بغير تعلم؟ هل فيكم من يريد هدى بغير هداية؟ هل فيكم من يريد أن يذهبَ الله عنهُ العمى، ويجعله بصيراً؟ إنه من رَغب في الدنيا فَطَال فِيها أمله، أعمى الله تعالى قلبَهُ على قدرِ رَغبتِهِ فِيْهَا، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُنْيَا وقصر فيها أمله، أعطاهُ الله تَعَالَى علماً بغير تعلمٍ، وَهُدًى بغير هِدَاية»[2].

وَقيل لبعضهم: مَا الزُهْدُ فِي الدُنْيَا؟ قَالَ: أن لا تفرحَ بِمَا أوتيتَ منها، ولا تحزنَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا.

وَقَالَ الفضيلُ بنُ عياض: أصل الزُهد الرِّضَا عَنِ الله عزَ وجلَ، وأحقُ الناسِ بالرِّضَا عَنِ الله تَعَالَى أهْلُ المعرفةِ بِاللَّهِ تَعَالى.

وَقَالَ أبو سليمْنَ: مَا أعرفُ للزهْد حداً، وَلاَ للورَعِ حَداً، وَلاَ للرِّضَا حَداً ولا غايةً، ولكني أعرفُ منه طريقاً واحداً، الزُهْدُ فيمَا يرغبُ الخلقُ فيهِ.

وَقَالَ أحمد بن أبي الحوارِي: فحدثت بِهِ سليمان، فَقَالَ: لكني أعرفه، إذا رَضَى العبد عَنِ الله عز وجل فِي كل شيءِ؛ فقد بلغ حدَّ الرِّضَا، وإذَا وَرَعَ عَنْ كُلِ شيءِ؛ فَقَدْ بلغ حَدَّ الورع.

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبي سليم مرسلاً ولابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري، وأبو نعيم في الحلية مختصراً من حديث أبي أيوب، وكلها ضعيفة.

(٢) ورد بألفاظ مختلفة ومتقاربة قال العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسلاً. ورواه من هذا الطريق أيضاً أبو نعيم في الحلية. وقال السبكي ٦/ ٣٤٥: لم أجد له سنداً. (تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ١٨٦٣).

وَعَنْ سعيد بن حربٍ قَالَ: مِنْ عَلامَةِ المريدينَ الزُهْدُ فِي الدّنْيَا، وترك كُل تخليْط لا يريد ما يريدُونَ.

وَقَال أبو عثمان: مَنْ زَهِدَ فِي نصيب نفسِهِ مِن الراحةِ والعِز والرئاسةِ، تفرغ قلبهُ للرحمَةِ على عبادِ الله عزَ وجل.

وَقَالَ بعضهم: للزاهدِ فِي الدنيا الكَرَامَاتُ، وَفِي الآخرة المقامَاتُ.

وَقَالَ بعضهم: اختلف الناسُ فِي الزُهْدِ، فقالت طَائفة: الزهدُ تركُ حبِّ المنزلةِ، وَقَالَتْ طَائفة: الزُهدُ ترك ما يشغل عَنِ الله عزَ وجَل، وَقَالت طَائفة: الزُهْدُ رفض الدنيا وَقصر الأمَل، وقالَتْ طَائفة: الزُهْدُ تركُ راحةِ النفسِ وسُرُورِهَا، وَقَالتْ طَائفَة: الزُهْدُ الثقةُ بالله تَعَالى، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الزُهْدُ إخراج المخلوقين مِنَ القلبِ، وحُبُ الخلوةِ، وَقَالتْ طَائفة: الزاهِدُ مَنْ لا يرى الدُّنيا وأهلهَا وَمَا فِيهَا، وإنما يرى الله سبحانه وَحْدَهُ، فَإِذَا كَانَ كذلَك لم يأخذ مِنْهَا شيئاً إلا من قبل الله عَزَّ وجَلَّ.

وقال ابن عيينة: الزاهِدُ مَن إذا أُنْعِمَ عليهِ شكر، وإذا ابتلي صَبرَ. قلتُ: يَا أبا مُحَمدٍ، مَنْ ابتلي فصبر وَأنْعَمَ عليهِ فَشكَرَ، وأحسن فِي النعمةِ، كيف يكون زَاهِداً فِيْهَا؟ قَالَ: اسكُتْ، مَنْ لم تمنعه النعماء من الشكر، وَلاَ البلوى من الصبر، فذلك الزَاهِدُ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبي ﷺ أنَّهُ قَالَ: «مَنْ زَهِدَ فِي الدُنْيَا، وَرَغِبَ فِي الآخرة، أخرج الله تعالى الفقر مِنْ قلبه، وَجعل الغنى بين عينيهِ، وأجرَى الحِكْمَةَ على لِسَانِهِ، وَجَاءته الدُنيا وَهِي صَاغِرَة، وَمَنْ رَغب فِي الدُنْيَا وَزهِدَ فِي الآخرةِ، أخرجَ تَعَالَى الغنى مِنْ قَلْبِهِ، وَجَعَلَ الفقر بين عينيه، وَلَمْ يأخُذْ مِنَ الدُنْيَا إلا مَا كُتِبَ لَهُ»[1].

وَقَالَ سُفْيَان الثوري: الزُهْدُ فِي الدُنيا قصر الأمَل.

وَقَالَ أبو عبد الله بن خفيف: الزُهْدُ التكرمُ بالدُنْيا، وَوجود الراحةِ فِي الخروج منها.

وَقَالَ الزُهْرِيُ: مَنْ لَم يغلب الحرامُ صَبْرُهُ، وَلَمْ يَمْنَعِ الحلال شكْرَهُ، فَهُوَ زَاهِد.

وَسُئِلَ بندارُ بنُ الحسينِ[2] عَنِ الزُهْدِ، فَقَالَ: الزُهْدُ التهاونُ.

---

(١) لم أجده.

(٢) بُندار بن الحسين بن محمد بن المهلب، كنيته أبو الحسين من أهل شيراز. كان عالماً بالأصول له اللسان المشهور في علم الحقائق، وكان أبو بكر الشبلي يكرمه، ويعظم قدره، وبينه وبين أبي عبد الله بن خفيف مفاوضات في مسائل شتى مات سنة ٣٥٣ هجرية، وغسله أبو زرعة الطبري. (طبقات السلمي ٤٦٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٤، طبقات الشعراني ١/ ١٤٦).

وَقَالَ الأوزَاعيُ: الزُهْدُ هُوَ الزُهْدُ في المحمدة، والزهد ارتفاع مقادِيرِ الأشياء مِنَ القلبِ. وَقَالَ: الزهد خَلع الراحة وبذلُ المجهودِ.

وَقيل: الزُهْدُ على وَجْهَيْنِ: زُهْدُ فرض، وزُهدُ فضيلةٍ، فأمَّا الفرضُ فترك الحرامِ ورفضه، وأمّا الفضيلة فَالزُهدُ فِي الحَلاَلِ.

وَسُئِلَ أبو الحَسَنِ عَن الزُهْدِ فَقَالَ: هو أن تنسى ذكره باللِّسَانِ، وتفقده بالقلبِ.

وَقَالَ يُوسف بنُ الحسين: مِنْ عَلاَمَةِ الزُهْدِ أنْ لاَ تطلبَ المفقودَ حتى تفقد الموجود.

وَقَال الفضيل: الزُهْدُ فِي الدُنيا هو القنوع وَهُوَ الغنى.

وَقَالَ حَاتم الأصم: الزُهْدُ فِي الدُنْيا هُو الترك، والتهاون بلا إيْثارٍ.

وقيل ليونس بن عبيدٍ[١]: مَا غَايَةُ الزُهد؟ قَالَ: ترك الراحةِ.

وَقَالَ شقيق[٢]: الزَاهِدُ فِي الدُنْيا يقيم زُهده بفعله، والمتزهد يقيم زُهْدهُ بِلِسَانِهِ.

وَقَالَ الخليل بن أحمد: الزُهْدُ تركُ فضولِ الكلاَم، وتركُ فضول مَا فِي أيدي الناسِ.

وَاستوصى رجل محمد بن واسعٍ فَقَالَ: أوْصيك أن تَكون ملكاً في الدُنْيا والآخرة.

قَالَ: وَكَيف لِي بذلك؟ قَالَ: ازهدْ فِي الدُنْيَا.

وَرُوِي عَنِ النَّبِي ﷺ أنّه قَالَ: «ليست الزَهَادَةُ فِي الدُنْيَا بتحريم الحَلاَلِ، وَلاَ بإضَاعَةِ المَالِ، وَلَكِنْ الزَهَادَةُ فِي الدُنيا أنْ تكونَ بِمَا فِي يدي الله سبحانَهُ أوثق منكَ بِمَا فِي يديك»[٣].

وَقَالَ النَّبيُ ﷺ: «مَا ازْدَادَ عبدٌ علماً، فلم يزدَدْ بعلمهِ فِي الدُنيا زُهْدَاً. إلا ازداد مِنَ الله تَعَالَى بعداً وازدَاد عِند الله تَعَالَى مقتاً»[٤].

وَقَالَ: يوسف بن أسبَاطٍ: علامَة الزُهد عشرة أشياء: ترك الموجُودِ، وتركُ المفقود،

---

(١) يونس بن عبيد بن دينار، الإمام القدوة، الحجة، أبو عبد الله العبدي مولاهم البصري. من صغار التابعين وفضلائهم، رأى أنس بن مالك وحدث عن الحسن وابن سيرين وغيرهم، مات سنة ١٤٠ هجرية (سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٨٨، حلية الأولياء ٣/ ١٥، شذرات الذهب ١/ ٢٠٧).

(٢) شقيق بن إبراهيم أبو علي الأزدي، من أهل بلخ. من مشاهير مشايخ خراسان ـ قال السلمي: وأظنه أول من تكلم في علوم الأحوال بكور خراسان، وكان أستاذ حاتم الأصم، وصحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريقة. توفي سنة ١٩٤ هجرية. (حلية الأولياء ٨/ ٥٨، طبقات السلمي ٦١، طبقات الشعراني ١/ ٨٨).

(٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

وخدمة المعبودِ، وإيثارُ المولى، وصفاء المعنى، والتعزز بالعزيزِ، وَالاحترامُ للشفيق، وَالزُهْدُ فِي المُبَاحِ، وَطلبُ الأرْبَاح، وَقلةُ الرَوَاحِ.

وَقَالَ سهل بن عبد الله: أزهَدُ الناسِ فِي الدُنيا أصفاهُمْ مَطعمًا.

وَقَالَ الفضيل: رَهْبَةُ العبد مِنَ الله تَعَالى على قَدْرِ علمهِ بِهِ، وَزُهْدُهُ فِي الدُنيا على قدرِ رَغْبَتِهِ فِي الآخرة.

وَسُئِلَ سهلُ بنُ عَبْدِ الله عَن الزُهْدِ، فَقَالَ: الزُهْدُ فِي خمسة أشياء: تزهُّدٌ فِي ملبوسٍ آخره إلى المزابل، وتزهدٌ فِي مطعومٍ آخِرُهُ إلى الحش(١)، وَتَزهُدٌ فِي جمعِ مَال آخرهُ إلى الوارثِ، وتَزهُدٌ فِي إخوانٍ آخرُهُم إلى الفراق، وَتزهدٌ فِي الدُنْيَا التي آخرُهَا إلى الفَنَاء.

وَسُئِلَ أميرُ المؤمنين علي بنُ أبي طالبٍ عليهِ السلامِ: مَا الزُهْدُ؟ قَالَ: الزُهد أن لا تُبَالي مَنْ أكلَ الدُنيَا.

وَسُئِلَ أبو بكرِ الورَاقُ عَنِ الزُهْدِ، فَقَالَ: زُهد ثلاثة أحرفٍ، أمَّا الزاي فترك الزينة، وأمَا الهاء فترك الهوى، وأمَا الدالُ فترك الدنيا.

وأنشدت:

مَـنْ كَـانَ يـرغَـبُ فِـي الـدُنْـيَـا وَزينـتـهـا ... فـلـتـعـتـرف نَـفْـسُـهُ بـالـذلِ أو تَـدَعِ

وَلْـيـعـلـمِ الـمـرءُ أن الـعـز مـتـصـل ... بـالـزُهْـدِ فـيـهـا وَأن الـذُلَ فِـي الـطـمَـعِ

مَـا اسـتـكـثـر الـمـرءُ مِـنْ مَـالٍ وَلاَ وَلَـدِ ... إلا ومـد طـبـاع الـحـرص والـجـشَـع

(١) قال في القاموس: (والحش ـ مثلثة ـ: المخرج، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين).

بَابٌ فِي ذِكْرِ الصَّبْرِ

أخبرنا أبو سعدِ الوَاعِظ قالَ: أخبرَنا أبو عمرو محمَدُ بنُ جعفر بنِ مُحَمَدِ بنِ مَطرٍ، قالَ: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى البزازُ، قالَ: أخبرنَا أحمد بن حفصِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، قالَ: حَدَّثَنَا الجَارُودُ بنُ يزيد، قالَ: حدثنا سُفيانُ، عَنِ الأشعثِ، عَنِ ابن سيرين، عَنْ أنسِ بن مالكٍ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثلاث مِنْ كنوزِ البر إخفاء الصدقةِ، وَكتمانُ الشَّكْوَى، وكتمانُ المصيبةِ. يقولُ الله عز وجل: إذَا ابتليت عبدي ببلاءٍ فصبر ولم يشكني إلى عُوَّاده، أبدلته لحماً خيراً من لحمهِ وَدَمَاً خيراً مِن دَمِهِ، وأبرأتهُ ولا ذَنْبَ لَهُ، وإنْ توفيته فإلى رَحمتي»(١).

وَعَنْ علي بن الحسين عليهما السلام قالَ: الصبر على طاعةِ الله عز وجل، أحبُّ إليَّ مِنَ الصبر على عذابِ الله عز وجل.

وقَالَ أبو بكرِ الوَاسطِي فِي قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾(٢) قالَ: اصبروا على بلائي، وَصَابِرُوا على نَعْمَائي، ورَابِطُوا فِي دَارِ أعْدَائي، واتقوا محبّة سِوَاي لعلكم تفلحون غداً برؤيتي وَجَزَائي.

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «إن استطعت أن تعمل لله تعالى في الرضا واليقين فافعل، وإلاّ ففي الصبر على ما تكره خير كثير».

وَقَالَ الشعبي: الإيمانُ نصفانِ؛ نصف في الصَبرِ، ونصف في الشكر.

وَقَالَ الحسن: من أخلاقِ المؤمنِ القصد في الغنى، والقنوع فِي الفاقةِ، والشكر فِي الرخاء، والصّبر في الشدة.

---

(١) حديث (قال ﷺ يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر . . . إلخ) قال العراقي: رواه مالك في الموطأ من حديث عطاء بن يسار مرسلاً، وقال ابن عبد البر في التمهيد رواه عباد بن كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد. انتهى.
وقد رواه البيهقي كذلك، والطبراني، وابن عساكر من حديث أنس بلفظ (ثلاث من كنوز البر إخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى. يقول الله تعالى: إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده ثم أبرأته أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وإن أرسلته أرسلته ولا ذنب عليه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي). (تخريج أحاديث الإحياء) ٥/ ٢١٤٠.

(٢) أخرجه البيهقي وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (كنز العمال ١/ ٢٨٧ الحديث رقم ١٣٩٢).

وَقَالَ دَاوُد عليه السلام: «إلهي، ما جزاء الحزين يصبر على المَصَائِبِ ابتغاء مَرْضَاتك؟ قَالَ: جزاؤه أنْ أُلبِسَهُ لِبَاسَ الإيمَانِ، فلا أنزعه عنه أبداً».

وَقَالَ مَيْمُونٌ: قلتُ لبعضِ أهْلِ جبل اللكَام: دُلَّنِي على الطريقِ؟ قَالَ: أخاف أنك أعمى، قلتُ: وَكَيف أكونُ أعمى وأنَا أبصر؟ قَالَ: إذا لم تشكره في السراء، وجزعتَ عند الضراء، ولم تحتمل الأذى، ولم تصبر على مرارة التقوى، فأنتَ أعمى. قَالَ: قلت فمتى أكونُ بصيراً؟ قَالَ: إذا لم تَأسَ عَلَى مَا فَاتَكَ، ولم ترجُ مَا لاَ تَنَال، وتصبرت على الشدة، فعندها تكون بَصيراً.

وَقَالَ الحسن بنُ علي عليهِمَا السَّلاَم: الصبر وصية الله تعالى فِي الأرضِ، مَنْ حفظها نجا، وَمَنْ ضيعَهَا هَلَكَ.

وَقَالَ سهل بن عبد الله: أصل الآفات كُلِّهَا قلة الصبر على الأشياء، وَغَايَة شكر العَارِف معرفته بعجزه عَنْ بلوغ الشُكْرِ.

وَقَالَتْ رابعة: لو كان الصبر رَجُلاً لَكَان كَرِيماً.

وَوُجِدَ هَذَانِ البيتانِ مَكتوبَانِ عَلَى قبر نجارٍ:

اصبر لدهرٍ نَالَ منك ... فهكذا مضتِ الدُهُورُ
فرحاً وحزناً مَرةً ... لا الحزنُ دَامَ ولاَ السُرُورُ

وَقَالَ الجنيد: ما أحبُ أن يتجلد إنْسَانٌ، لأنَّ أيوبَ عليهِ السلام تجلد فعوتِبَ، وإن الصبر إذًا لم يكن مبارزة فثمرته الشكاية، لأن أيوب عليه السلام لما كَانَ صبره غير مبارزةٍ أثنى الله تعالى عليه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤]، ولمَا كَانَ صبره مبارزة ابتلي حتى قالَ ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وَسُئِلَ رَسُوْلُ الله ﷺ عَنِ الإيْمَانِ، فَقَالَ: ﴿الصبر وَالسَمَاحَةُ﴾(١).

وَسُئِلَ بعضُهُمْ عَن الصبرِ الجميل، فَقَالَ: بَاطِنُهُ الرِّضَا.

وَقَالَ آخر: الصبر الجميل ما كنت مستعيناً فيه بربك عز وجل.

وَعَن أحمد بن الفضيل قَالَ: سمعتُ الشبلي يقول: بصبر ساعةٍ تتم الطَاعَةُ.

وَقَالَ أبو علي الجوزجَاني: مَنْ لزم باب مولاهُ؛ فَمَاذَا بعد اللزومِ إلا الافتتاحُ، وَمَنْ صبر عليه، فَمَاذَا بعد الصبر إلا الوصُولُ إليهِ.

---

(١) أخرجه البيهقي وأبو يعلى عن جابر (الكنز ١/ ٢٨٧).

وَقيل: الصبر تعذيب الأجساد وراحةُ الأرواح. وصبر التائبين عَنْ الذنوبِ، وصبر العابدين فِي الطاعاتِ، وصبر الزاهدين عَن الشهَوَاتِ.

وَوُجِدَ فِي رِسَالَةِ عمر بن الخطَابِ رَضِيَ الله عَنْه إلى أبي مُوْسَى الأشعري: «عليك بالصبر، واعلم أن الصبرَ صبران: أحدهُمَا أفضل مِنَ الآخر، الصبرُ فِي المصائب حَسَنٌ، وأفضل منه الصبر عَمَّا حرم الله تعالى، واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر، والتقوى بالصَبْرِ».

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عَبْد الله: أنْ تركَب الصبر فَافْعَلْ، ولا تَكُنْ مِمن يَرْكَبُهُ الصَبْرُ.

وَقَالَ ذُوْ النون: ليسَ العجبُ ممن ابتلى فصبر، إنما العجبُ مِمَّن ابتُلِيَ فَرَضِيَ.

وَسُئِلَ سِري السقطي عَنِ الصَّبْرِ، فجعل يتكلم فيهِ، فَدَّبَتْ على رِجلهِ عقربٌ وجعلتْ تضربه بإبرتها، فقيل لَهُ: لِمَ لم تَدْفَعها عَنْ نَفْسِكَ؟ فقالَ: أستحيي مِنَ الله عزَ وجل أن أتكلم فِي حالٍ، ثُمَّ أخالفُ مَا أتكلمُ فيهِ.

وَيُقَالُ: الصبرُ على المَكَارِهِ مِنْ حُسْنِ اليقين.

وَعَنْ سَري السقطي قال: أصبرُ الناس مَنْ صبر على الحق.

وعَنْ أبي سليمان الداراني قَالَ: والله ما نصبر على ما نحبُ، فكيف نصبر على ما نَكْرَهُ.

وأنشد عبد الله بن عمار القاصّ:

صبراً جميلاً على مَا نَابَ مِنْ حدثٍ ... فالصبر ينفع أقواماً إذا صَبَرُوا

والصبر أفضل شيء تستعين به ... على الزمَان إذا ما مسك الضَرَرُ

وَأوحَى الله تعالى إلى دَاوُدَ عليهِ السلامُ: «يَا دَاودُ، اصبر على التَوبةِ حتى تأتيك مني المعونةُ».

وَسُئِلَ الفضيل: مَا رَأسُ الدين؟ قَالَ: العقلُ. قَيلَ: فَمَا رَأسُ العقل؟ قَالَ: الحلم. قيل: فَمَا رأسُ الحلمِ؟ قَالَ: الصَّبْرُ.

وَقَالَ ميمونُ بنُ مهرانٍ: مَا نَالَ عبد شيئاً من جسيم الخير نبيٌّ أو غيره إلا بالصبر.

وَقيل لبعض الحكماء: مَنْ أصبرُ الناسِ؟ قَالَ: أكتمهم للبلاء.

وَقَالَ شاهُ بن شُجَاع الكرمَاني: علامَةُ الصبر ثلاثة أشياء: تركُ الشكوى، وصِدْقُ الرِّضَا، وقبولُ القضاء بحلاوة القلبِ.

وَعَنْ أبي عثمان فِي قولِهِ عز وجلَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] قَالَ: الصبارُ الشكورُ هُوَ الفقير الصابِرُ، لأن ظاهِرَهُ ظاهرُ الصبر، وَهُوَ فِي البَاطن مَعَ الحق على مقامِ الشكرِ.

وأنشدُوني في الصَّبر:

غَايةُ الصبر لذيذٌ طَعْمُهَا وبديءُ الصَّبْرِ مرٌّ كالصَّبِرِ(١)
إنَّ فِي الصبر لفضلاً بيناً فاحملِ النفسَ عليهِ وَاصطَبِرِ

وَوَقَفَ الثوري على شيخ يُضْرَبُ بالسياط، وَقَدْ ضُرِبَ ألفَ سَوْطٍ فصبر، فاستحسن صبره على كبر سنهِ، فدخل عليه الحسنُ فسألهُ عَنْ سببِ صبرهِ مَعَ كبر سِنهِ وضعف جسمهِ، فَقَالَ: يَا بني الهمَمُ تحملِ البلاء لا الأجسَامُ، قَالَ: قلتُ: فَمَا الصبر عندكُمْ؟ قَالَ: الخُرُوج مِنَ البلاء على حسبِ الدُخُولِ فيهِ.

ويقال: الصبر مخرجُهُ مِنَ اليقين، وَمَنْ لا يصحح يقينه لا يوفق لشيءٍ مِنَ الصبرِ.

وَقَالَ بعضهم: الصبر المقامُ مع البلاءِ بحسن الصحبةِ، كالمَقَامِ مَعَ العَافيةِ، وَهَذَا صبر وَمَا سِوَاهُ تَصَبُّرٌ.

وَقَالَ بعضهم: المؤمنُ يَصْبر على كل شيء إلا على القطيعة، قوله عَزَ وجل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قيل: هو القطيعة.

ويقالُ: ثلاثٌ مِنَ الصبر: لا تُحَدِّثْ بمُصيبتك، ولا بوجعك، ولا تزكي نفسك.

وَقَالَ بشر بنُ الحارثِ: أفضل مَا أعطي العبد المعرفة والصَبْر.

وَقَالَ أبو بكرِ الورَّاقُ: مَنْ أبصر الأمورَ مِنَ السَّماء تصبَّر، ومن أبصرها مِنَ الأرض تحيَّر.

وَعَنْ إبراهيمَ الخواصِ قَالَ: الصَّبْرُ هُوَ الثباتُ عَلى أحكَام الكِتَابِ والسُنةِ.

وَقَالَ أبو عثمانَ الحيريُ: جزاء الصبر، هُو أنْ يعطي اللَّهُ عَز وَجَلَ العبد الرِّضَا، فَمَنْ تَحَقَّقَ بالصَّبْرِ وَلَزِمَ طريقَة الصَّابرين، فَإِنَّ الله عَز وَجَل يثيبهُ عليهِ أحسن ثواب عاجلاً وآجلاً، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

وَقَال يَحْيَى بنُ مُعَاذ: لِلَّهِ عَزَّ وَجَلّ فِي السَّرَاءِ نعمة الفضل، وفِي الضَّرَاءِ نَعْمَةُ التطهير، فَكُنْ فِي السَّرَاءِ عَبداً شَكُوراً، وَفِي الضَرّاءِ حُراً صَبُوراً.

وَعَنْ علي بن الحسين رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ يَومُ القيامَةِ نَادَى مُنَادٍ: ليقُمْ أهلُ

---

(١) الصَّبِر: ككتف ولا يسكن إلاّ لضرورة الشعر، عصارة شجر مُرّ (القاموس مادة ص ب ر).

الصبر، فَيَقُومُ أناس مِنَ النَّاسِ، فَيُقَال لَهُم: انطَلِقُوا إلى الجنةِ، فَتَتَلَقَّاهُم الملائكَةُ، فَيَقُولونَ: إلَىٰ أينَ؟ فَيَقُوْلُونَ: إلى الجنَّةِ، فَيَقولُونَ: قَبلَ الحِسَابِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولون: مَنْ أنْتُمْ؟ فَيَقُولونَ: نَحْنُ أَهلَ الصبرِ، فَيَقُولُونَ: كَيْفَ كُنْتُمْ فِي الدُنْيَا؟ فَيقولونَ: صَبَّرْنَا أنْفُسَنا عَلَى طَاعَةِ الله عَزَ وَجل، وَصبَّرنَاهَا عَنْ مَعَاصِي الله عَزَ وَجَل، فيقُولُون: ادْخُلُوا الجنة فنعم أجْر العَاملينَ.

وَقَالَ الجنيد: غاية الصبر التوكل، قَالَ الله عَزَ وَجَل: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢].

وَقَالَ: ذُو النُون: الصبر ثمرة اليقين.

وَقَالَ رُويم: الصبر ترك الشكْوَى.

وَيُقَالُ: الصَّبْر حمل المؤن كُلّها حَتَّى يَنْقَضِي أوَانُ المكروهِ.

وَسُئِلَ المُرتَعش: مَا الصبرُ؟ قَالَ: أن لا تُشهِرَ البَلاَءَ.

وَأنْشَا يَقُولُ:

صَبَرْتُ وَلَمْ أُطلع سِوَاكَ عَلى صبري ... وَأخْفَيْتُ مَا بِي منك عَنْ موضِعِ الصَّبْر
مَخَافَةَ أنْ يشكُو ضَمِيري صَبَابَتِي ... إلَى دَمْعَتِيّ سراً فَتَجْرِي وَلاَ أدْرِي
لَعَلَّ اللَيَالِي أن يُعدنَ بِمَا مَضَتْ ... فَيَا رُبَّ ذِي عُسْرٍ يَؤُولُ إلى يُسْرِ

وَقِيْلَ: للقَاسِمِ بنِ القاسم[1]: بِمَاذَا يرُوضُ المريدُ نفسهُ، وَكَيْفَ يرُوْضُهَا؟ فَقَالَ: بِالصَّبْرِ عَلى الأوَامرِ، وَاجتِنَابِ النَّوَاهي، وصحبة الصَّالحينَ، وخدمةِ الرُفقَاءِ، وَمُجَالَسَةِ الفقراءِ، وتَمَثَّل فَقَالَ:

صَبَرْتُ عَلَى اللذَاتِ لَما[2] تولَّتِ ... وَألزَمْتُ نَفْسِي هجرهَا فَاستمرتِ[3]

---

(١) هو أبو العباس السياري القاسم بن القاسم بن مهدي ابن منبت أحمد السيار، كان من أهل مرو وشيخهم، وأول من تكلم عندهم من أهل بلدهم في حقائق الأحوال، صحب أبا بكر الواسطي وإليه ينتمي في علوم هذه الطائفة، وكان أحسن المشايخ لساناً في وقته، يتكلم في علوم التوحيد على لسان الجبر وجميع مَنْ بِكَوْرَته من أهل السنة فهم أصحابه وكان فقيهاً عالماً كتب الحديث الكثير ورواه، توفي سنة ٣٤٢ هجرة. (طبقات السلمي ٤٤٠، طبقات ابن الملقن ٣٦٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٠).

(٢) في الطبقات: حتى.

(٣) يليه قوله:

وما النفس إلاّ حيث يجعلها الفتى ... فإن أطمعت تاقت وإلاّ تسلّتِ

(طبقات السلمي ٤٤٤، طبقات ابن الملقن ٣٦٧).

وَكَانَتْ عَلَى الأيامِ نَفْسٌ عزيزَةٌ   فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي[1] على الذُل ذَلَّتِ

قَالَ أبو سعدٍ الواعظ رحمه الله: رَأيتُ هَذين البيتين مَكْتُوبَيْنِ عَلَى قَبْرِ عبدِ اللَّهِ بنِ العَبَاسِ بالطَّائِفِ.

وَقِيلَ للقمان الحكِيم: مَنْ أصبرُ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ رَأيه رَاداً لهواهُ.

وَعَنْ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ عليه السَّلاَمُ أنَّهُ قَالَ: «أيُّها النَّاسُ عليكُمْ بالصبرِ، فَإِنَّهُ لا إيْمَانَ لِمَنْ لاَ صبر لَهُ».

وَقَالَ بعضهُمْ: كُنتُ أختلفُ إلى دَارِ الحراج[2] فأتعلم الصبرَ.

وَقَال: أبُو سُليمان: وَجَدْنَا خير عيشنا الصبرَ، والصبرُ صبران؛ صبر على مَا تَكره فيما يُلزِمُك الحقُ، وَصَبر عَمّا تُحِبُّ مِمَّا يَدْعوكَ إليهِ الهوى.

وَقَالَ أيضاً: الخير الَّذِي لا شَرَّ مَعَهُ الشُكْرُ على النِّعْمَة، والصَّبْرُ عَلَىٰ النَّازِلَةِ.

وَقَالَ يُوسف بنُ أسْبَاطٍ: الصبر عشرةُ أشياء: حَبْسُ النفسِ، وَاسْتِحْكَامُ الدَّرسِ، والمُدَاوَمَةُ عَلَى طلبِ الأُنْسِ، وَنَفِيُ الجَزعِ، وَإسْقَاطُ الفزعِ، والمُحَافَظَةُ عَلَىٰ الطَاعَاتِ، والاستِقْصَاءُ فِي الوَاجِبَاتِ، والصِّدْقُ فِي المُعَامَلاَتِ، وَطُوْلُ القِيَامِ فِي المُجَاهَدَاتِ، وَإصْلاَحُ مَا كَانَ بالأَمْسِ مِنَ الجِنَايَاتِ.

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ لمُوسَىٰ عليهِ السَّلاَمُ: «يَا مُوْسَى، اصْبِرْ لي، وَاصبر مَعِي، وَاصبر عَلي».

وَسُئِلَ سَهْل بن عبدِ الله عَنِ الصبرِ، فَقَالَ: الصبر على أربعةِ أوْجُه: صبر على المَصَائِبِ، وَصَبر على الفرائض، وصَبر على أذى الناسِ، وَصبر على الفَقْر. فَأَمَّا الفرائض: فَمَتَى صبرتَ عَلَيْهَا رَأيت حسن المعونَةِ مِنَ الله عَز وَجَلّ، وَأَمَّا المصَائبُ: فَمَتَى صبرت عَلَيْهَا وَجَبَ لَكَ الأجْرُ. وَمَتَى مَا صبرت على أذى الناسِ وَجَبَ لَكَ حبُ الناسِ. وَمَتَى صبرت عَلَى الفَقْرِ وَجَبَ لَكَ رِضوان الله عز وجلّ.

وَقَالَ رُويمٌ: قفْ عَلَى البِسَاطْ، وَإياكَ الانبسَاطْ، وَاصْبر على ضربِ السِّيَاطْ، حَتَّى تجُوزَ الصِراطْ.

وَقَالَ بَعَضهُم: الصبر هو المقامُ على مَا يُرْضِي الله عَزَ وَجَلّ بترك الجزع.

---

(١) في الطبقات: (عزمي...).

(٢) أي الدار المظلمة الباردة كما في القاموس مادة (ح ر ج).

وَقَالَ رُوَيمٌ: جَرّبنَا فَلم نَر شيئاً أنفع وُجوداً مِنَ الصبرِ، بِهِ تُدَاوى الأمور، ولا يُدَاوى هُوَ بغيرهِ.

وَيُقال: إنّ أنفع الصبر التَّصَبرُ.

وَقِيل: الصبر هُوَ حَبسُ النفسِ فِي مَوَاطِنِ قوله عَزَ وَجَلّ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[1] أي احبس نفسك.

أنشدوني للشَّافِعِي رَضِي الله عَنْهُ:

صَبْراً جَمِيلاً مَا أسْرَعَ الفَرَجَا ... مَنْ صَدَقَ الله فِي الأمورِ نَجَا

مَنْ خَشِي الله لَم يَنَلْهُ أذىً ... وَمَنْ رَجَا الله كَانَ حَيث رَجَا

(١) في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

بَابٌ فِي ذِكْرِ الرِّضَا بِمُرِّ القَضَا

أَخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ الوَاعِظُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ العزيزِ بنُ الحسَنِ الفَارِسِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَمْرو بنِ البحترِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أحْمَدُ بنُ الخَلِيْلِ بن ثَابتٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الوَاقِدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ أَبِي حُمَيدٍ، عَنْ إسماعيل بنِ مُحمَّد بنِ سعدٍ بنِ أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ الله عنهُ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جدهِ سعدٍ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مِنْ سعادةِ ابنِ آدمَ استخارَتُهُ الله عَزَ وجلّ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابنِ آدم رِضَاهُ بِمَا قَضَى الله سبحانَهُ، وَمِنْ شقاوةِ ابنِ آدمِ تركُ استخَارَةِ الله، وَمَنْ شقاوةِ ابنِ آدمِ سخطُهُ بِمَا قَضَى الله عَزَ وَجَلّ عليهِ»[1].

وَسُئِلَ الجنيد عَنِ الرِّضَا، فَقَالَ: رَفْع الاخْتِيَارِ.

وَقَالَ الحارثُ المُحَاسبي: الرِّضَا سُكونُ القلبِ تحتَ جَرَيَانِ الحكمِ.

وَقَالَ ذُو النُون: الرِّضَا ترك الاخْتِيَارِ قبل القَضَا، وفقدانُ المرارةِ بعد القضا، وهيجان الحبِ فِي حشو البَلاءِ.

وَقَالَ رُويمٌ: الرِّضَا استقبالُ الأَحْكَامِ بِالفرحِ.

وَقَالَ حَاتم: إن أردتَ أن تصير حبيب اللَّهِ، فَارض بِمَا صنع الله عزَ وجل بك، وإنْ أردْتَ أن تعرفَ فِي السمواتِ، فعليك بِصِدْقِ اللهجَةِ.

وَيُقَال: الرِّضَا بابُ اللَّهِ الأعظم.

وقَالَ أبو سليمان الدَارَاني: الرِّضَا عَنِ الله عزَ وجلَّ، والشفقَةُ على الخلقِ؛ مِنَ أخلاقِ المُرسلينَ، قَالَ: وَإِذَا سَلاَ العبد عن الشهواتِ، وَصَلَ إلى أعلى الدَرَجَاتِ.

وَقَالَ عَبدُ الواحدِ بنُ زَيدٍ: الرِّضَا جنة المتقين في الدُنيَا. وَعَنْ عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ أيضاً قَالَ: قلتُ للحسن: يَا أبَا سعيدٍ، مِنْ أينَ يُؤتى هَذَا الخلقُ؟ قَالَ: مِنْ قلةِ الرِّضَا عَنِ الله عز وجل.

وَقَالَ بعضُ الحكمَاءِ: أهنأ العيش عيشُ الرَاضينَ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو سعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ: الرِّضَا مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَمَعَالِيْهَا، الَّتِي قَدْ حَثَّ عليهَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَهُ، وَرَغَّبهم فِيْهَا، إلاَّ أن أهلَ العلم اختلفوا فِي معنَاهُ،

---

(١) لم أجده.

فَقَالَتْ طَائفة: الرِّضَا السرُورُ بِمَا دَبر الله تعالى وَقَضَاهُ. وَقَالَتْ فرقة: الرِّضَا: اسْتِحْسَانُ القَضَاء. وَقَالَ بعضهُمْ: هُوَ الحبُ لِمَا قَضَى الله عَزَ وجل مِنْ بلاءٍ أو شدةٍ مِمَّا لَيْسَ فيه تباعد عن الله عزَ وجل. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الرِّضَا تَرَك التمني لغير ما قضى الله سبحانَهُ. فأمَّا الحبُ لما قضاهُ فهو عزيز. وَقَالَ بعضهُم: الرِّضَا أنْ تعلم أن الله عز وجل قَدْ خَار لَكَ وأنَّه أنظرُ منك لِنَفْسِكَ. فَإِذَا علمتَ أنَّهُ قَدْ قَضَى لكَ الخير وَأَرَادَهُ بك فقد رَضيتَ. وَقَالَتْ طَائفة: الرِّضَا استقبال مَا نَزَلَ بِك مِنَ البلاء بالطلاقَةِ والبِشْر، وَانتظارُ مَا لَمْ ينزل بك مِنْهُ بِالفكر والاعتبارِ.

وَقَالَ ذُو النُون: الرِّضَا سُرُورُ القلبِ بِمُرِّ القَضَاء.

وَقَالَ النُورِيُ: الرِّضَا ارتِفَاعُ الجزعِ فِي أي حكْمٍ كَانَ.

وَسُئِلَ بعضهم: مَا حَدُ الرِّضَا؟ فَقَالَ: القُنُوعُ بِمَا بَدَا[1].

وَقِيلَ لِذِي النُون: مَنْ أقهر الناسِ لنفسِهِ؟ قَالَ: الراضِي بالمقسومِ.

وَقَالَ أبو سُليمان الدَارَانِي: إنَّ لله عِبَاداً استحيوا مِنْهُ أنْ يُعَامِلوهُ بِالصَّبرِ، فَعَامَلُوهُ بِالرِّضَا.

وَعَنِ الحارثِ المُحَاسِبِي، قَالَ: لَمْ يزل العارِفُونَ يَحْفرُونَ خَنَادِقَ الرِّضَا، ويغوصُونَ فِي أنهارِ الرجَا، ويستخرجونَ جَوَاهِرَ الصَّفَا، حَتَّى وَصَلُوا إلى الله عَزَ وجل فِي السِّرِ وَالخَفَا.

وَقَال عَبدُ الْوَاحِدِ بنُ زَيْدٍ: الرِّضَا بَابُ اللَّهِ الأعظم، وَجَنة الدُنْيَا ومستراحُ العَابدِينَ.

وَيُقَالُ: ثلاث مِنْ أعلامِ الرِّضَا: الاستلذاذ للخلوةِ، واستحلاءُ الوحدة، والاستيحاشُ مِنَ الصحبةِ.

وَقَالَ سُفيان الثورِيُ: الرِّضَا قبولُ المقدورِ بِالشكرِ.

وَقَالَ الجنيد: الرِّضَا رؤية البَلاَء نِعْمَة.

وَقَالَ أَبُو بَكْرُ بنُ طَاهرِ الأبهري[2]: الرِّضَا خُرُوج الكَرَاهِيَةِ مِنَ القلب، حتى لاَ يَكُونُ فيهِ إلاّ الفرح.

---

(١) أي بما بدا ووقع من الله تعالى على العبد من أحكام.

(٢) الإمام العلامة القدوة المحدث القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح التميمي الأبهري نزيل بغداد وعالمها ولد في حدود ٢٩٠ هجرية، وكان معظماً عند سائر العلماء لا يشهد محضراً إلاّ كان هو المقدم فيه وسئل أن يلي القضاء فامتنع، توفي في شوال سنة ٣٧٥ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٣٢، تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٢).

وَقِيل: الرِّضَا موافقة الحقِ مِنْ غير مُخاصمة، واستطابة المحن لرؤية المحبوبِ.

وَقَالَ شقيق فِي قول الله عَزَ وجل: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] قَالَ: الرِّضَا والتسليم.

وَقَالَ أبو عبد اللَّهِ النِّبَاجيُ: عبيد الدُنيا أرادُوا مِنْ مَوَالِيهِمْ أن يرضَوا عَنْهُمْ، وَأَرَادَ الله عز وجلَ مِنْ عبيدِهِ أَنْ يرضَوا عَنْهُ، وَمَا كَانَ رِضَاهُمْ عَنْهُ إلا بقدرِ رِضَاهُ عَنْهُمْ.

وَيُقَال: سَأَلَ بَنُو إسرائيل موسَى عليه السلام، فَقَالوا: سَلْ رَبَكَ أمراً إذا نحن فعلنَاهُ يَرْضَى عَنَا، فَقَالَ مُوْسَى عليهِ السَّلاَمُ: «إلٰهِي، تسمعُ مَا يَقولونَ، فَقَالَ: يَا مُوْسَى قُلْ لَهم يَرضُوا عَني حتى أرضَى عَنهُمْ».

وَقَالَ الْفُضَيلُ: الراضي لاَ يَتَمَنَى فوقَ منزلتِهِ، اختارَ لَكَ فَسَخَطْتَ مَا اختارَ، فَكيف ترضى بالقضَا.

وقَالَ سَهْل بنُ عبدِ اللَّهِ: المؤمنُون فِي الكَافِرِينَ قليلٌ، والصَّالحُونَ فِي المؤمنين قليلُ، والصَّادِقُونَ فِي الصَّالحين قليلٌ، والراضون في الصَّابرين قليْلُ، وَالعَارِفُونَ فِي الراضين قَلْيلٌ.

وسُئِلَ بَعضهم عَنْ قولِهِ عَزَ وجلّ ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، فَقَالَ: رَضِي عَنْهم برضَاهُمْ عَنِ الله عزَّ وجلَّ فِي دَارِ الدُنيا، وَرَضُوا عنهُ بثوابهِ إياهُمْ فِي الآخرةِ.

وَقَالَ رَجل ليحيى بن معاذ: متى أعرفُ رِضَا الله عَزَ وجلَ عَنِي؟ قَالَ: إذا رضيت عَنهُ، قَالَ: أوَ يكونُ خلق لا يَرضى عَنهُ وهو يدعي معرفتهُ؟ قَالَ: نَعَم، مَنْ عَابَ مَواهبَهُ، وسَخط المقدُور فِي النعمِ وَالمصائبِ.

وَيُقال: حد الرِّضَا أنْ لاَ تَسأَلَ حتى تبتدأ.

وقال مُوسَى عليهِ السَّلام: «يَا رَبِّ، أي عبادِك أغنى؟ قَالَ: أرضَاهُمْ بِمَا قسمت لَهُ».

وَقَالَ ابنُ مَسعودٍ: قَدِّم الرضا قبل وُرُودِ القضا.

وَقَالَ الحسنُ: إن مما حفظتُ من التوراةِ، مَنْ لَم يرض بالقضاء فليسَ لحمقه دواء.

وَقَالَ أبو عثمان الحيريُّ: منذ أربعين سنة مَا أَقَامَنِي الله عزَ وجل فِي حالِ فَكَرهتهُ، وَمَا نقلَنِي إلى غيرِهِ فسخطتُهُ.

وَقَالَ الْوَاسِطِيُ: الراضي لاَ يكُونَ سَائلاً.

وَسُئِلَ عيسى بنُ مريم عليهِ السَّلامُ: أي العملِ أفضل وأعلى؟ قَالَ: «الرِّضَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ والحبُّ لَهُ».

وَعَنِ النباجي أنه قال: قرأتُ فِي بعضِ الكُتب: يقول الله عَزَّ وجلَّ: «عبدي، إن رضيت عَني رَضيتُ عَنْك، وأنْ أفردتَنِي لِحَاجَتِكَ أفردْتُهَا لَكَ، فَإِنْ لَمْ تَرُدَّ عَليَّ حكمي واليتك، وإنْ جُدتَ لِي بِمَا أعْطيتك صَافيتك».

وأنْشَدَونا لمُحَمَّد بنِ حَازمٍ[1] فِي الرِّضَا:

لـلـنـاسِ مَـالٌ وَلِـي مَـالاَنِ مَـالَـهُـمَـا ... إذا تَـحَـارَس أهـلُ الـمَـالِ حُـرَّاسُ

مَـا لِـي الـرِّضَـا بـالـذي أصبـحـتُ أمْـلِـكُـهُ ... وَمَـا لِـي الـيـأسُ مِـمّـا يـمـلـك الـنـاسُ

(١) محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء. شاعر مطبوع، ولد ونشأ في البصرة وسكن بغداد ومات فيها، كان يأتي بالمعاني التي تستغلق على غيره، وأكثر شعره في القناعة، ومدح التصون وذم الحرص والطمع. توفي نحو سنة ٢١٥ هجرية. (الأعلام ٦/ ٧٥، تاريخ بغداد ٢/ ٢٩٥).

بَابٌ فِي ذِكْرِ التَّوَكُلِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: أخبرنَا أَبُو القَاسَم عمر بنُ إبراهيمَ بن يَحْيَى البَصريُ بتنيْس، قَالَ: حَدَّثَنَا علي بنُ جعفر بن مُسَافر، حَدَّثَنَا يُونسُ وأحمدُ ابنُ أخي ابن وَهْبٍ قَالاَ: حَدَّثَنَا عبد الله بنُ وَهْبٍ، قَالَ: أخبرني ابن لهيعة عَنِ ابن هريرة، أَنَّهُ سَمِعَ أبا تميم الحيشَانِي يقولُ: سمعتُ عمر بن الخَطَابِ رَضِي الله عَنْهُ يقولُ: سمعتُ رَسول الله ﷺ يقولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تتوكَلُونَ على اللَّهِ عَز وجل حق توكله لَرَزَقَكُمْ كَمَا يرزق الطير تغدو خماصاً وتَرُوح بِطَانًا»[١].

وَقيل لحبيب النجارِ: تَرَكْتَ النجارة، وأقلبتَ على العبادةِ، قَالَ: وَجدت الكفيل ثقةً.

وَعَنْ عمران بن حصين، أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «يَدْخل الجنة مِنْ أمتي سبعونَ ألفاً بغير حِسَابٍ». قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمُ الذين لا يَكتَوُونَ، ولا يسترقُونَ، ولا يتطَيّرُون، وعلى ربهم يتوكَلُون»[٢].

وَعَنْ أبي هريرة، عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: «كَانَ آخر مَا تكلم به إبراهيم عليهِ السلام حين أُلقي في النَّارِ: حسبي اللَّهُ وَنعم الوَكِيْل»[٣].

وَعَنْ ذِي النُون قَالَ: المقامات سبعة عشر؛ فَأَدْنَاهَا الإجابةُ، وأعلاهَا صِدْقُ التوكُلِ.

وَسُئِلَ ذُو النونِ: مَا عَلاَمَةُ التوكُل؟ فَقَالَ: انقطاع المطامِعِ.

وَسُئِلَ مرة أخرى عَنْهُ فَقَال: خلع الأرباب، وَقَطع الأسْبَابِ، فَقَالَ لَهُ: السَّائِلُ زِدْنِي، فَقَالَ: إلقاءُ النَّفْسِ فِي العُبُودِيةِ وإخراجُهَا مِنَ الرُبُوبيّةِ.

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عبد الله: مَنْ طعنَ على الاكتِسَابِ فقد طعن على السنةِ، وَمَنْ طَعَن على التوكل فقد طعن على الإيمان.

وَقَالَ ذُوْ النُون: مَنْ تَوَكَّلَ وَثِقَ، وَمَنْ تَكَلَّفَ مَا لاَ يعنيهِ ضيع مَا يَعنيهِ.

وَقَالَ الجنيد: التوكُلُ أنْ تقبل بالكليةِ عَلى رَبك عَزَّ وجلَّ، وتعرضَ عَمّا دُونَهُ.

---

(١) أخرجه البيهقي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الكنز ٣/١٠٣ الحديث رقم ٥٦٩٤)، بلفظ (لو توكلت على الله حق توكله لرزقت كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً).

(٢) أخرجه الإمام مسلم والإمام أحمد بسندهما عن عمران بن حصين والإمام مسلم أيضاً عن أبي هريرة، والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما (الكنز ٣/ ١٠٠ الحديث ٥٦٨١).

(٣) أخرجه الخطيب عن أبي هريرة وهو غريب والمحفوظ عن ابن عباس موقوف (الكنز ١١/ ٤٨٣).

وَعَنْ مُحَمّد بنِ المبارَكِ الصُوْرِي، قَالَ: قَالَ رَجل لأعرابية: أين تنزلُونَ؟ قَالَتْ: البادية، قَالَ: أما تستوحشُونَ؟ قَالَتْ: ثَكِلتكَ أمك، وَهَلْ يسْتوحِشُ مع الله عَزَّ وجلَّ أحدٌ أنس بِهِ سبحانَهُ؟!! قَالَ: فمن أين ترزقُونَ؟ قَالَت: والله ما أعلم الله أحداً من أين يرزق عباده، قَالَ: على كُلِ حالٍ مَا تعلمون؟ قَالتْ: ثكلتكَ أمك، لو أنَّ أرزاقنا مِنْ حيث نعلم لهلكْنَا، أو لمتنا جوعاً.

وَعَنْ محمد بن كعب القُرطبي قَالَ: رأيتْ أقواماً يعيش أحدهُمْ كذا كذا سنة، لاَ نعلم لَهُ غلة ولا تجارة، ولا سألَ أحداً شيئاً، فَقَالَ: مِنْ أين يعيش هؤلاءِ، ومِنْ أين يأكُلُون، فقلتُ: والله لأطلبنَّهَا فِي القرآنِ، وَكَانَ يقولُ: مَا طلبتُ شيئاً فِي القرآنِ إلا وجدتُهُ، قَالَ: فوجَدْته ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، فقلتُ: هم وَالله أولياؤهُ.

وَعَنْ إبراهيم الخواص قَالَ: جعتُ مرةً فِي السفرِ جوعاً شديداً، فاستقبلني أعرابي فقالَ: يَا رَغِيْبَ البطنِ، قلتُ: يَا هَذَا، فإني لَمْ آكُلْ منذ ثلاثة أيام، قَالَ: أمَّا عنمت أن الدعوى تهتك ستر المدعيين، فَمَا لَكَ والتوكُلْ.

وَعَنْ أحمدِ بنِ الحسين الأنْصَاريّ قَالَ: قلتُ لأبي سعيدِ الخرَّازُ: التوكلُ فِي نفسِهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: هو اعتمادُ القلب على اللَّهِ تبارَكَ وَتَعَالَى.

وَقَالَ أبو عمرو الأنماطي(١): التوكُلُ النَّظَرُ إلى الأكْوَانِ بعين التسخيرِ.

وَعَنْ أبي حمزة أنَّهُ قَالَ: إني لأستحي مِن الله عز وجل أنْ أدْخل الباديِة وأنا شبعان، وقد اعتقدتُ التوكُل لئلا يَكون شِبَعِي زَاداً أتَزَوَّدُ بِهِ.

وَقِيل: التوكلُ غضُ البصرِ عَنِ الدُنيا، وَقطع القلبِ عَنْهَا.

وَقَالَ أبو يعقوب النهرجوريُ: المتوكِلُ فِي الصحةِ والحقيقةِ؛ مَنْ قَدْ رَفَعَ مَؤنته عَنِ الخلقِ فلا يَشكُو مَا بِهِ، ولا يذمُ مَنْ منعَهُ، لأنَّه يرى المنع والعَطَاء مِنَ الله عَزّ وجلّ.

وعَنْ عبدِ الله بن محمدِ الأصطخري، عَن الكتاني، قَالَ: جاءني سَوْسَنُ وَكَانَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالحينَ بَاكِي العينين، فقلتُ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: بقيت نحو عشرة أيام جَائِعَاً، فشكوتُ إلى أبي سعيدِ الصُوْفِي مَا أَنَا فيهِ، فالتَفَتُ فَإِذَا أنا بِدِرْهَمٍ بين يدي مَطْرُوحٍ

---

(١) علي بن محمد بن علي بن بشار بن سلمان أبو عمرو الأنماطي الصوفي، بغدادي من أصحاب النوري والجنيد، كان أبو العباس بن عطاء أوصى إليه بكتبه حين مات، وكان ينشط إليه، ومن جهته وقع إلى الناس كتاب ابن عطاء في فهم القرآن ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في تاريخه. (تاريخ بغداد ١٢/٧٣).

مكتوبٍ عليهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم: أَمَا كَانَ الله تَعَالَى بجوعِك عَالِماً حتى قلتَ إني جَائِعٌ.

وَقَالَ النُورِيُ: التوكُلُ أنْ يفنىٰ تدبيرك فِي تَدْبِيْرِهِ، وَتَرضَى بِالله عَزَ وجل. وَكيلاً وَمُدَبراً.

وَيُقال: التوكل أنْ لا تعصِي الله عزَ وجَلَّ مِنْ أجل رزقك.

وَقِيل لبعضهم: مَا التوكُل؟ قَالَ: أن تَكون كَمَا لم تكن، حتى يَكُونُ لك كَمَا لَمْ يَزلْ.

وَقَالَ أبو ترابِ النخشبي: التوكُلُ على اللَّهِ طمأنينة القلبِ إلى الله تَعَالىٰ.

وَسُئِلَ الجريريُ عَنِ التوكُلِ، فَقَالَ: مُعَاينة الاضطِرَارِ.

وَيُقَالُ: أدْنَى التوكل تَرك الاختيارِ.

وَقَالَ أبو يعقوب النهرجورِيُ: لاَ تُخْدَعُوا عَنِ التوكُل، فإِنَّهُ عيشٌ لأهلِهِ.

وَقَالَ أحمدُ بنُ عَبْدِ الصمدِ: التَوكُلُ كَفُ الأَذَىٰ عَنِ النَّاسِ.

وَعَنْ بشر بنِ الحارثِ الحافِي، أنهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ الرِّزقِ، فبينَا هُوَ يمشي إذْ عَيَا فأوى إلى خربةٍ كَيْ يَسْتَرِيح فيهَا، فوقعَتْ عيناهُ على لوحٍ أبيض فيهِ كِتَابٌ أسودٌ.

إنـي رأيتـك قَـاعِـداً مـسـتـقـبـلـي ... فـعـلـمـتُ أنـك لـلـهـمـومِ قـريـنُ
هـوِّنْ عـلـيـك وكـن بـربـك وَاثِـقَـاً ... إن الـتـوكُـل شَـأنُـهُ الـتـهـويـنُ
أَمـضِ الـقَـضَـا وَحَـل عَـنْ أثـوابِـهَـا ... إنْ كَـانَ عـنـدك لـلـقـضَـاءِ يـقـيـنُ

وَقَالَ الجنيدُ: كَانَ التوكُلُ حقيقة، وَهُو اليومَ علمٌ.

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: أولُ مَقَام التوكُل، أنْ يكون العبد بين يَدَي الله عَزَ وجل كَالميتِ بين يَدَي الغَاسِلِ، يقلبه كيف أرَادَ، وَلاَ يكُونُ لَهُ حركةٌ ولا تَدبيرٌ.

وَقَالَ يَحْيَىٰ بنُ مُعَاذِ الرّازِي: بصدقِ التوكُلِ يستعتق مِنَ الرِّق، وَبِالإِخْلاصِ يستخرجُ مِنَ الجزَاءِ، وَمَعَ الرِّضَا بالقَضَاء يطيبُ العيش، وَعِنْدَ نزولِ البَلاَء تظهر حقيقة الصَّبْرِ.

وَعَنْ ابنِ عَطَاءِ قَالَ: التوكل حسن الالتجَاءِ إلى الله عَزَّ وجلَّ، وصِدْقُ الافْتِقَارِ إليهِ.

وَسُئِلَ عَنْ حقيقةِ التوكُل، فَقَالَ: أنْ لا يَظهر منك انزِعَاجُ إلى الأسبابِ، مَعَ شِدَةِ فَاقتِكَ إليهَا، ولا تزولُ عَنْ حقيقةِ السُكُونِ إلى الحق مَعَ وُقُوفِكَ عليهَا.

وَقَالَ يَحْيَى بنُ معاذ: لا بُدّ للمريدِ مِنْ ثلاثةِ أسبابٍ: بيت يواريه، وكفاية يعيش بِهَا، وَعَمل يحترفُهُ، فبيته الخلوة، وَكفايتَهُ التَوكُلُ، وحرفَتُهُ العبادَةُ.

وَقَالَ الفضيل: المتوكل الواثق باللَّهِ تَعَالَى لا يتَّهمُ رَبه ولا يشكُوهُ.

وَقَالَ المصريُ: لو رَجعت إليهِ فِي أولِ الشدَائدِ لأيّدك منهُ بِالفوائد، وَلَكِنْ رَجعت إلى أمثالكَ فَرُدِدْتَ فِي أشْغَالِك.

وَقَالَ بعضهم: التوكُلُ هُوَ السُكُونُ عن الحركاتِ، والاعتمادُ على الحي القيُوم فِيمَا وَعَدَ عَاجلاً وآجلاً.

وَقَالَ آخَرُ: التوكلُ لا هُوَ بالحَرَكَةِ وَلاَ بالسُكُونِ، وإنَّما هُوَ حَالَةٌ فِي القلبِ.

وَعَنْ أنسِ بنِ مَالكٍ رَضِي الله عَنْهُ أنَّهُ قَالَ: جئتُ يوماً بِالمَاءِ إلى رَسُولِ الله ﷺ ليتوضَأ بِهِ، وَكَانَ طَائرٌ على شَجَرةٍ يضرِبُ بمنقارِهِ عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أنس أتعرفُ مَا يَقُولُ هَذَا الطَّائِرُ؟» فقلتُ: الله ورسوله أعلم، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يقولُ: يا رَبّ أَنْتَ خلقتني وَسويتَ خلقي، وأعميتَ بَصَرِي، جعتُ فأَطْعِمْني، قَالَ: فلم يتم الكلاَمَ حَتَّى جَاءت جَرَادةٌ فأخذَهَا الطَّائرُ فأكَلَهَا». ثُمَّ ضَرَبَ بِمنقارِهِ على الشجَرَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أتعرِفْ مَا يقولُ يَا أنَسُ؟» فقلتُ: الله وَرَسوله أعلم، قَالَ: «يقولُ: مَنْ توكَلَ على الله تَعَالى فإن الله سبحانَهُ لاَ يَنْسَاهُ»[1].

وَقَالَ: سهل بن عبد الله: لا تصحّ الأمورُ إلا بالعزمِ، وَلاَ يصح العزمُ إلا بالتوكّلِ، وَلاَ يصح التوكّلُ إلا ببذلِ الروح، وَلاَ يصحُ بذلُ الرُوحِ إلاَّ بتركِ التدبير.

وَسُئِلَ بعضهم عَنِ التوكّلِ، فَقَالَ: التَوكّلُ على خمسَةِ أوْجُهٍ؛ كَمَا كَانَ لآدَمَ عليهِ السَّلاَمُ وإبراهيم عليه السلامُ، ومُوسَىٰ وَعِيسَى صلى الله عَلَيْهِمْ أجْمَعِين. فتوكل آدَمَ عليهِ السَّلاَمُ على حَالِ الاعتبارِ، وَتوكل إبراهيم عليه السلامُ على حال الاضْطِرَارِ، وَتَوكُل موسَى عليهِ السلام على حَالِ الاختبارِ، وَتوكل عيسى عَليه السلام على حَالِ الافتقارِ، وَتَوَكُلُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى حَالِ الافتِخَارِ، فَتَوكُل آدَمَ أورثَهُ الاصْطفَا، وَتَوكُلُ إبراهيم أورثَهُ السلام، وَتَوكل مُوسَى أورثَهُ الكَلاَمَ، وَتَوكُلُ عيسَى أورثَهُ المائدة، وَتَوكُلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أورثَهُ القُرب.

وحُكِي عَنْ إبراهيم الخواص أنَّهُ لَقِيَ الخضر عليهِ السلام فِي البادِية، فلم يسلم عليهِ مَخَافَةَ أنْ يفسد عليهِ تَوكُلَهُ.

وَقَالَ سهل بن عبد الله: المتوكِّلُ لا يردّ، ولا يَحبس، وَلاَ يَسْأل. وللمبتدي حَالاَنِ: مظلمة يُؤدِيها، وعَلم يتعَلّمُهُ.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

وَعَنْ سَهل بن عبد الله قَالَ: يُعطَى أهل التوكُلِ ثلاثةَ أشياء: حقيقة اليقين، وَمُكَاشَفَةُ الغيُوبِ، ومُشَاهَدَةُ قُربِ الله عز وجل.

وَقَالَ الفضيل: حقيقة التوكُل إسقاطُ الخوفِ والرَّجاء مِمّن سِوَى الله عَزَ وَجَلَ.

وَقَالَ بِشر بنُ الحارثِ يقولُ أَحَدُهُمْ: تَوَكَّلْتُ على الله وَيَكْذِبُ، فَإِنَّهُ لَوْ تَوكل على الله سبحانَهُ رَضِيَ بِمَا يفعل الله عَزّ وَجَل بِهِ.

وَعَنْ إبراهيم الخواص، قَالَ: رأيتُ فِي طريقِ الشَّامِ حدثاً حسن الوجهِ حسن المراعاةِ، فقلتُ: هَلْ لَكَ في صُحْبتي؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فقُلْتُ إني أجوعُ، فَقَالَ: إن جعتَ جعتُ معكَ، قَالَ: فبقَيْنَا أربعة أيام، فَلَمّا فتح علينَا قلتُ: هلمَّ، قَالَ: اعتقدتُ أن لا أخذ بِوَاسِطَةٍ، فَقُلْتُ: يَا غُلاَمُ، لَقَدْ دَقِقتَ، فَقَالَ: يَا خَوّاصُ لاَ تُبَهْرِجْ[1]، فَإِنْ الناقد بصير. مَالك وَدَعوَى التوكل، ثُمَّ قَالَ: أول التوكل أن تَردَ عليكَ مَوَارِدُ الفَاقَاتِ، فَلاَ تسمو نفسك إلا لمن إليه الكفَايَاتُ.

وَقَالَ عبد اللّهِ بنُ مُبارَكٍ: لَيْسَ مِن التوكُل أنْ تَرى مِنْ نفسكَ التَوكّلَ، لَكِنْ أنْ يعْلَمَ الله تَعَالَى مِنك التَوَكُل.

وَقِيل: مَكتوب فِي التوراةِ: لا تتوكَلْ على ابن آدمَ، فَإِن ابن آدَمَ لَيْسَ لَهُ قوام، وَلَكِنْ تَوكَلْ على الحي الَّذِي لاَ يَمُوتُ، فإنّ فِي خزائنهِ قوام الأنَامِ، وَفيها مَكتوبٌ: ملعون ملعون مَنْ كَانَ ثقتُهُ مخلوقاً مثلَهُ.

وَقَالَ الفضيل بن عياض: التوكّلُ إسقاط الخوف والرجَاء ممن سِوَى الله عَزَ وجَلَ.

وَقَالَ إبراهيمُ الخواصُ: التوَكّلُ الثباتُ بين يدي محيي الأمواتِ.

وَقَالَ الجنيد: التوكّلُ أنْ تأكل بلا طعامٍ.

وَيُقَال: التوكل قطع الأسبابِ، وترك الحيلةِ فِي طلبِ الأسبابِ.

وَسُئِلَ سهل بن عبد الله عَن التوكّل؟ فَقَالَ: التوَكّلُ أنْ لا تتهم ربك عزّ وجل.

وَيقال: التوكل نَفْيُ الشكوك، والتفويض إلى مَالك الملوكْ.

وَسُئِلَ أَبُو بَكْرِ الورَاقُ عَنِ التوَكّلَ، فَقَالَ: التَوكّلُ هُو تناوُلُ الوقْتْ مُصَفّىً مِنْ كَدَر الانتظارِ، غير متأسفٍ على مَا فَاتَ، وَلاَ متوقعٍ لآتٍ.

---

(١) قال في القاموس: البهرج الباطل والرديء، والبهرجة أن يعدل بالشيء عن الجادة القاصدة إلى غيرها، (مادة ب هـ ر ج).

وَيُقَال: المتوكل على رأسِهِ أربع رَايَاتٍ: للزهدِ واحدهْ، وللفقر ثانيهْ، ولليأسِ مِنْ الخلقِ ثالثْ، وَلِلْسُكُون إلى الله عزّ وَجَل رَابعهْ.

وَقَالَ سعيد بن جبير: المتوكل الراضِي بِمَا يصنع الله تعَالَى بِهِ.

وَيُقال: مَنْ صحب ثلاثاً؛ وَفَارَقَ ثلاثاً فقد عرفَ الرب عز وجل، مَنْ عرف الله تعالى بالرُبوبية، ونفسه بالعبوديةِ، ويصحب الخوف في دينه والتوكل في رِزْقِهِ، والجهد في عملهِ وَعِلْمِهِ. ويفَارِقُ الرِيَاءَ فِي عملهِ، والعُجْبَ في رأيهِ، والكبر فِي نفسهِ.

وَقِيل لأبي يزيد البسطَامِي: مَا عَلاَمَةُ التَوكُل؟ فَقَالَ: أنْ ترضى بالله عَزَ وجل وكيلاً.

وَقَالَ أيضاً: التَوَكُلُ رَدُ العيش إلى يومٍ واحدٍ، وإسقَاط هم غدٍ.

وَقَالَ يُوسف بنُ أسْبَاطٍ: عَلاَمَةُ التوكُلِ عشرة أشياء: السُكُونُ إلى المضمونِ، وَالوقوفُ عند الدُون، والاسْتِسْلاَمُ لِمَا يَكُونُ، وتعلق القلب بين الكَافِ والنُون، وَالدُخُولُ فِي العبوديةِ، والخروجُ مِنْ الرُبوبيةِ، وقطع العلائق، واليأسُ مِنَ الخَلاَئقِ، وَالدُخُولُ فِي الحقائقِ، وَالأَخذ بالدّقَائق.

وَعَنْ ابن عباسٍ أنَّهُ قَالَ: سمعتُ النَّبي ﷺ يقولُ: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله عز وجل. وَمنْ سره أنْ يكون أكرَمَ الناسِ، فليتّق الله عَزَ وجل، وَمَنْ يسَرّهُ أنْ يَكونَ أغنَى الناسِ، فليكن بما عند الله عَزّ وجل أوثِقُ مِنْهُ بِمَا فِي يديهِ»[1].

وَقَالَ أبُو العالية[2]: لا تتكل على غير الله، فيكلك الله تَعَالَى إليهِ، وَلاَ تَعمل لغير الله فيجعل ثوابك عليهِ.

وَقَالَ يُوسف بنْ أسْباطٍ: اعمل عمل رُجل يرى أنه لا ينجيه إلا عمله، وتوكَّل توكُل رَجُل يرى أنَّهُ لا يصيبه إلا مَا كُتب لَهُ.

وَقَالَ داود عليهِ السلام لابنه سليمان عليهِ السلامُ: «يا بُنَي، إنما يستدلُ على تقوى الرجل بثلاث: حسن التوكُل فيما لَمْ ينَلْ، وَحسن الرضَا فيما نَالَ، وَحسن الصبر فيما فَاتَ».

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوكل عن ابن عباس (الكنز ٣/ ١٠١ الحديث ٥٦٨٦).

(٢) رفيع بن مهران الإمام المقرىء الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة الصِّدِّيق رضي الله عنه ودخل عليه. مات سنة تسعين أو ثلاث وتسعين من الهجرة على خلاف. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧، شذرات الذهب ١/ ١٠٢، طبقات ابن سعد ٧/ ١١٢).

وَقَال سهل بن عبد الله: كُل الأحوال لها وَجه وقَفَا؛ إلا التَوكُل فإنه وَجه بِلاَ قَفا.

وَقَالَ ابن المبارك: من أخذ فلساً من حرامٍ فليس بمتوكل.

وَقَالَ الكتاني: التوكُلُ في الأصل اتباع العلم، وفِي الحقيقة استعمال اليقين.

وَقيل: التوكُلُ مِنَ المؤونَةِ.

وَدَخَل جمَاعة من أصحاب الجنيد على الجنيد، فَقَالُوا: نطلبُ الرزق، فَقال: إن علمتم أي موضع هو فاطلبوه، قالوا: نسأل الله عز وجل ذلك، قال إن علمتم أنه ينساكم فَذَكِّروه، قَالُوا: ندخل البيت ونتوكل على الله عَزَّ وجل، قَالَ: أتُجَرِبونَ الله عَزَّ وَجَلَّ بالتوكُل، هَذَا شك، قَالُوا: فَكَيف الحيلة، قَالَ: ترك الحيلة.

وَقَالَ إبراهيم بن شيبان[1]: التوكُلُ سرٌ بين الله تَعَالَى وبينَ العبدِ فَالوَاجِب أنْ لا يطلع على سرِهِ غير اللَّهِ عَزَ وَجَلّ.

وَقَالَ أبُو بَكرِ الورَاقُ: بالتَّوكُلُ على الله عَزَّ وَجَلَ، قَامُوا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وبالتَوكُل صحت لهم أحكام الله تَعَالَى، وَبِالتَوكُل تركوا أمورَهم على الله تعالى على الكفاية، ونفسُ التَوكل الكفايةُ.

وَقَالَ إبراهيم الخواصُ: رَأيتُ جنياً في طريقِ مكَةَ، فقلتُ: أجنيٌ أَنْتَ أمْ إنسيٌ؟ قَالَ: جني، قلتُ إلى أين تريد؟ فَقَالَ: إلى مَكَةَ، فقلتُ: بلا زادٍ؟ فَقَالَ: فينا مَنْ يُسَافر على التوكُل؟ قلتُ: فأي شيءٍ عندكُم التَوكُلُ، فَقَالَ: الأخذُ مِنَ اللَّهِ تعالى بإسقاطِ رُؤية الوَسَائِطِ.

وَسُئِل المذبُوحُ عَنِ التوكْلِ، فَقَالَ: الله الذي خلقكُمْ، ثم رَزَقَكُمْ ثُمَّ يميتكُمْ ثُمَّ يحييكُمْ لا يشك في هذا مُؤمنٌ.

وَعَنْ خَليلِ المقدسي، قَالَ: رأيت فِي جبالِ بيت المقدس رَجلاً فِي وَادٍ قد اتشح بعباءةٍ، وهو يقول: إلى متى يَكُونُ هذا؟ فقلتُ لَهُ: مِنْ تعاتبُ؟ قَالَ: تنح عَني فَمَا أوحشك، لَمْ أرَ فِي هَذَا الْوَادِي منذ ثلاثين سنةً جنياً ولا إنْسياً، قلتُ: فبمن تَأنَسُ؟ قَالَ: بمن يطعمني، ويسقينِ وَإذَا مرضتُ فَهُوَ يشفينِ، وإذَا توكلتُ عليه يكفيني، قلتُ: وَكيف تعمل

---

(١) إبراهيم بن شيبان القرميسيني، الحجة - نسبة إلى قرميسين - من جبال العراق شيخ وقته، صحب أبا عبد الله المزني وابراهيم الخواص وغيرهما. توفي سنة ٣٣٠ هجرية. (طبقات ابن الملقن ٥١، اللباب ٢/٢٥٥).

في الشتاءِ، قَالَ: يا حبيبي إن الزمَان يتغير والملك لا يتغير، هُوَ فِي الشتاء كَمَا هُوَ فِي الصيف، وَفِي الصيف كَمَا هُوَ فِي الشتاءِ.

وَعَنْ ابنِ عباسٍ بن المهتدي قَالَ: قَالَ لِي غلامُ الطوسي: حججتُ تسع عشرة حجة على قدمي، فَمَا أخذتُ فضل شسعٍ[1] فِي طريقي، حياءً مِن الله عَزَ وَجَل أنْ يرى مَعِي مَا لاَ أحتاجُ إليهِ.

أنشدني علي بن عبد الرحمن بن جهضم بمكَةَ ـ حرسها الله عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ: أنشدني أحمد بن محمد الأنصاريّ، قَالَ: أنشدنا يوسف بن الحسين، قَالَ: أنشدنا ذُو النُونِ المصري رَحمةُ اللَّهِ عليهِ وَرِضَوانُهِ:

يـجـولُ الـغـنـي والـعـزّ فـي كـل مـوطـنٍ	لـيـسـتـوطـنـا قـلـب امـرىء إن تَـوكّـلاَ
وَمَـنْ يـتـوكّـلْ كَـانَ مَـولاَهُ حـسـبـه	وَكَـانَ لَـهُ فـيـمـا يـحـاول مـعـقـلا
إذا رضـيـت نـفـسٌ بـمـقـدور حَـظـهـا	تَـعَـالَـتْ وَكَـانَـت أكـبـر الـنـاس مـنـزلا

(١) الشِّسْعُ: قبال النعل (القاموس مادة ش س ع).

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْخَوْفِ

أَخبرنا أبو سعدٍ الوَاعِظُ، قَالَ: أَخبرَنَا أبو عمرٍو محمد بنُ جعفر بنِ محمد بن مَطر قَالَ: حدَّثَنَا جعفر بن محمد بن محمد بن الليث، قَالَ: حدثنا عمرو بن مرزُوق، قَالَ حَدَّثَنَا سعيد، عَنْ حبيبٍ بن عبد الرحمنِ، عَنْ حفص بن عاصم عَنْ أبي هريرة، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سبعة يُظلهم الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ تحت ظل عرشه يَوْمَ لا ظِل إلاّ ظله؛ رجل قلبه متعلقٌ بالمَسَاجدِ، وَرَجَل دَعَتْهُ امرأةٌ ذَاتُ منصبٍ، فَقَالَ: إني أخافُ الله عَزَ وَجَل، ورَجُلاَن تَحَابَّا فِي الله عَز وَجَل، ورَجل غض عينيه عَنْ محارمِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وعين حرست في سبيل الله عَزَ وَجَل وعين بَكَتْ مِنْ خشيةِ الله تَعَالَى»[1].

وَقَالَ سَهْلُ بن عبد الله: لا يتم خوفُ صِدِّيقٍ، وَلاَ رَجَاؤهُ حَتَّى يخافَ على نفسه ما يخاف على كُل كَافِرٍ، ويرجُو للكَافِرِ مَا يَرْجُو للمؤمن.

وَقَالَ عَطَاء: وإنْ أخوفَ مَا أَخَافُ، أنْ يَطرحَنِي فِي النارِ، ثُمَّ يعرضُ عَني لاَ ينظُرُ إليّ.

وَقَالَ سهل: للخَائف ثلاثُ عَلاَمَاتٍ: يجتزِي باليَسِيْرِ مِنَ الأكْلِ، وباليسيرِ مِنَ النومِ، ويقل خَطَرُ الدُنْيَا عِندَهُ.

وَعَنْ ابن مسعودٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ: «رَأسُ الحكمَةِ مَخَافَةُ الله عَزَ وَجَلّ»[2].

وَقِيل: اكِتَحِلْ بِمُلُولِ الحزنِ إذا ضحك البطَّالونَ، وادَّهِنْ مِنْ قوارِير الخوفِ إذَا أَمِنَ الغَافِلونَ.

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء عن أبي هريرة (الجامع الصغير ٢/ ١٦ الحديث رقم ٤٦٤٧) وجاء في الصحاح بلفظ: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) أخرجه الشيخان والإمام أحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، والإمام مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري معاً. (الجامع الصغير ٢/ ١٥ الحديث ٤٦٤٥).

(٢) أخرجه الحكيم وابن لال عن ابن مسعود، ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ١/ ٥٨٧ الحديث رقم ٤٣٦١).

وَقيل: خوفُ اللَّهِ تَعَالَى لاَ يشبه خوفَ الخلق، لأنَّ مَنْ خَافَ شيئاً هربَ مِنْهُ، وَمَنْ خَافَ الله تَعَالَى هربَ إليهِ.

وَعَنْ عُمَر بن وَاصِل قَالَ: سمعتُ سهلاً يقول: لا يكونُ المُدَعي خَائِفاً وَمَنْ لا يَكُونَ خَائِفاً لاَ يَكُونُ أميناً، وَمَنْ لَمْ يكن أميناً لاَ يطلع على الخزائنِ.

وَعَنْ سَهل أيضاً: دخلتُ البادِيَةَ فرأيتُ شخصاً هَائِلاً مُنْكراً، فخفتهُ وَارتعدتْ فرائصي مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أجنيٌّ أنت أم أنسيٌ؟ فَأَجَابَنِي: مؤمِنٌ أنتَ أَمْ كَافر؟ فقلتُ: مُؤمِنٌ، فَقَالَ: المؤمن لاَ يَخافُ شيئاً سوى الله تَعَالى.

وَقَالَ أبو عثمان: أهلُ ولايةِ الله تَعَالَى ثلاثةُ أصنافٍ: الأنبياءُ، والْمَلاَئِكَةُ، والصديقون، قَال الله عزَ وجَل فِي الأنبياء عليهم السلامُ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وَقَالَ فِي المَلائِكَة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] وَقَالَ فِي الصِّدِّيقين: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وَقَالَ أبو سليمان: أصل كُل خير مِن الدُنيا والآخِرَة الخوفُ مِنَ الله تَعَالَى، فَإِذَا غلب الرجَاء على الخوف أفسد القلْبَ.

وَقَالَ أبو حفصٍ: الخوفُ سَوْطُ الله تَعَالَى يقوِّمُ بِهِ أبدانَ الشَارِدينَ مِنْ عِبَادِهِ.

وَقَال أيضاً: الخوفُ سِرَاجُ القلبِ، بِهِ يبصر ما فِي القلبِ مِنَ الخير والشرّ.

وَقَالَ إسحقُ بنُ خلفٍ: ليسَ الخائف مَنْ بَكَا وَعصر عينيه، إنما الخائف من ترك الأمرَ الَّذِي يخافُ أن يعذب عليهِ.

وَقَالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ: مَا خوفنَا عند خوف مَنْ كَانَ قبلنا، إلا بمنزلَةِ أعشى قَادَ عُمْيَاناً، فلما أبصر مِنْ الضوءِ قليلاً، قَالَ العميان: فلان بصيرٌ. وعن محمد بن المبارك الصوري(١) قال: مقاماتُ الخائفين تسعة: الحزنُ الدائم، والغم الغالبِ، والخشيةِ المقلقة، وَكثرة البكَاء، والتضرع فِي الليل والنهارِ، والهربُ مِنْ مَوَاطِنِ الراحةِ، ووجل القلبِ، وتنغيص العيش، وَمُرَافقة الكَمَدِ.

وَكَانَ علي بنُ الفضيل لاَ يستطيعُ أنْ يقرأ ﴿القَارِعة﴾ ولا تقرأ عليهِ.

---

(١) الإمام العابد الحافظ الحجة الفقيه، مفتي دمشق أبو عبد الله محمد بن المبارك بن يعلى القرشي الصوري القلانسي، قال يحيى بن معين: كان شيخ البلد يفتي دمشق بعد أبي مسهر، وكان ثقة، توفي سنة ٢١٥ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٩٠).

وَقِيل للفضيل: بِمَ بلغ أبوك الخوف الذي بلغ؟ قَالَ: ثقلة الذُنُوبِ فحدث بِهِ أبو سليمان فَقَالَ: لَقَدْ يكون أكثرهُمْ ذُنوباً أخْوَفهم لله تَعَالى.

وَقَالَ أبُو عَمرو الدمشقي: الخائف مَنْ يخافُ مِنْ نفسهِ أكثر مما يخافُ مِن الشيطان، والخائفُ الَّذِي تخافهُ المخلوقَاتُ.

وَبلغنا أن الحوارِيين قَالُوا لِعِيْسَى بن مريم عليهِ وعليها السَّلاَمُ: علمنا العلم الأكبر، فقالَ لَهُمْ عيسى: «مَا العلم الأكْبَرُ إلا ثلاثة أشْيَاء: الخوفُ مِنَ الله عَزَ وجلَ، والحب لله عز وجل، والرضَا عَنِ الله عَزَ وجل».

وقرأ حَاتم الأصم[١] هذهِ الآية: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾[٢] فَقَالَ: إنما يقال: لا تخف ولا تحزنْ للخائفِ الحزين.

وَقَالَ سهل بنُ عبدِ اللَّهِ: أعْلى مَقَام مِنَ الخوفِ؛ أن يخافَ العبد على نفسِهِ سَابقَ علم الله عَزَ وَجَل فيهِ، ويحذر مَعَ ذلك أن يَحدُث منهُ حدث يجرهُ إلى الكُفْر.

وَرُوي أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ لعبدِ اللَّهِ بن مسعودٍ: «إنْ أرَدْتَ أن تلقَانِي غداً فأكثر من الخوفِ بَعْدِي»[٣].

وَقَالَ الفضيلُ: مَنْ خَافَ اللَّه عَزَ وجل دَلهُ الخوفُ على كُل خَيْرٍ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ وُزنَ خوفُ المؤمِن وَرَجَاؤهُ مَا مَالَ أحدهُمَا بِصَاحِبِهِ»[٤].

وَقَالَ بشر الحَافِي: الخوفُ ملك لاَ يَسْكُنُ إلاَ فِي قَلْبِ نقي[٥].

وَقَالَ يَحْيَى بن معاذ: الخوفُ شجرة فِي القلبِ، وثمرتها الدُعَاء والتضرع، فإذا خافَ القلب أجَابَتِ الجَوَارِحُ إلى الطاعَاتِ، وانتهت عَنِ المعَاصِي.

---

(١) حاتم بن عنوان ويقال حاتم بن يوسف الأصم، كنيته أبو عبد الرحمن، من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ، صحب شقيق بن إبراهيم، وكان أستاذ أحمد بن خضرويه مات سنة ٢٣٧ هجرية. (طبقات السلمي ٩١، حلية الأولياء ٨/٧٣، الطبقات الكبرى ١/٩٣).

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

(٣) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: لم أقف له على أصل. وقال السبكي في طبقاته (٦/ ٣٦٥): لم أجد له إسناداً.

(٤) لم أجده.

(٥) في نسخة: منقى.

وَقَالَ سهل بن عبد الله لرجل ادّعَىٰ الخوفَ: هَلْ فِي سِرك خوفٌ سِوى خوفُ القطيعة؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فقال: مَا عرفتَ رَبك ولا خفت قطيعتَهُ.

وَسُئِلَ الجنيد: مَا الخوفُ؟ فَقَالَ: إخراج الحرامِ مِن الجوفْ، وترك العملِ بعسى وسَوْفْ.

وَقَالَ أبو سليمان: إذَا دَامَ الخوفُ فِي القلبِ ظهر الخشوع على الوجهِ، وَإِذَا كَانَ خَطَراتٍ لَمْ يظهر الخُشُوعُ.

وَقَالَ الشبلي: مَا خفتُ الله تَعَالى يوماً إلا رأيت لَهُ بَابَاً مِنَ الحكمِ وَالْعبر، مَا رأيتُهُ قَطُ.

وَسُئِلَ سَهْل: مَتَى يَتَيسر على العبدِ سبيل الخوف، قَالَ: إِذَا نَزَّلَ نفسه فِي الدُنيا منزلة العَلِيْلِ، يَحْتَمِي مِنْ كُلِ شيءٍ مَخَافَةَ طول السقامِ.

وَقَالَ يحيى بن معَاذٍ: مَا مِنْ مُؤمنٍ يَعْمَل سيئة إلا ويلحقه حسنَتَان: خَوْفُ العقابِ، وَرَجَاءُ العفوِ، كثعلبٍ بين أسَدَين.

وَقَالَ شَاه بن شجاع الكرمَانِيُ: عَلاَمَةُ الخوفِ الحزنُ الدائمُ.

وَروي أن النَّبِي ﷺ قَال: «أتَمُكُمْ عقلاً أشدُكُمْ خوفاً، وَأحْسَنكُمْ فِيْمَا أمَرَ الله تَعَالَى بِهِ وَنَهي عَنْهُ نظراً»(١).

وَقَالَ يحيى بن معاذٍ: مسكين ابن آدمَ، لو خافَ النارَ كَمَا كَانَ يخافُ الفقر لدخل الجنة.

وَقَالَ الحسنُ فِي قَوْلِهِ عَزَ وجل: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، قَالَ: الخوفُ الدَائم فِي القلبِ.

وَقِيلَ للفضيل: مَا لَنَا لاَ نَرَى خَائفاً؟ قَالَ: لَوْ كُنتَ خَائفاً لرأيتَ الخائفينَ، إنَّ الخائف لا يَرَاهُ إلا الخائفونَ، فَإِن الثكلى تحبُ أن ترى الثكْلَى.

وَقَالَ أبو سليمان: قَالَ لقمان لابنهِ: خَفِ اللَّهَ خوفاً لا تيأس من رحمتِهِ، وارْجُه رَجَاء لاَ تَأْمَنُ فيه مكره.

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: لم أقف له على أصل، ولم يصح في فضل العقل شيء. وقال السبكي في طبقاته (٦/ ٣٦٥): لم أجد له إسناداً.

وقال أبو سليمان: إذا وقع القلب في آية الشوق، فمرت به آية الخوف بعدها، قلع الخوف الشوق.

وقال أحمد بن أبي الحواري: بلغني أن جبريل عليهِ السلاَمُ مَا هبطَ إلى النبي ﷺ إلا وهو عَابس مغموم، فقالَ لَهُ النَّبِي ﷺ: «يا أخي يا جبريل إنك لم تهبط إلَيَّ إلا وَأنْتَ مغموم محزونٌ»، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحمَّدُ، إنهُ لَمَا وُضِعَتِ المنافخ على جهنم أورَثَتْ قلبي الأحزانَ والغُمُوم مَخَافَةً مِنْ الله عَزَ وَجل، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُ ﷺ: «ينبغي يا جبريلُ أن لا يفارق الخوفُ قلبي وقلبك».

وَقَالَ أبو عثمان: عيبُ الخائِفِ في جوفهِ السُكُونُ إلى خوفِهِ، لأَنَّهُ آمنٌ والأمن في الخوف أخفى من الأمن فِي الرَجَا. وَقَالَ أيضاً: خوفُ الخاص فِي الوقتِ، وَخوفُ العامِ فِي المستقبل. وَقَالَ أيضاً: الخوفُ مِنَ اللَّهِ عَز وجل يُوصلك إلَيْهِ، والعُجْبُ يقطعك عن الله عز وجلَّ.

وَقَالَ أحمد بنُ أبي الحوارِي: مَنْ عرفَ ما خُوِّفَ به سهل عليه الهرب مما نُهيَ عنه.

وعن ذي النون قال: من خاف الله تعالى ذاب قلبه، واشتد لله عز وجل حبه، وصح له لبه.

وقال الشبلي: الخوف من الوصل أشد من الخوف من المكرِ.

وَعَنْ ابن مسروقٍ قال: كَانَ أبي يقول: إن المخافة قبل الرَجَاء، فإن الله تَعَالَى خلق جنةً وَنَاراً، فلن تخلصوا إلى الجنةِ حتى تَمُرُّوا على النارِ(١).

وَقَال أبو جعفر بن غيلان: الخوفُ وَالرجاء لا يَسْكُنَان قلباً فيهِ كبرٌ.

وَقَالَ ذُو النُون: ينبغي أنْ يكون الخوفُ أبلغ من الرجَاء، فَإِذَا غلبَ الرجَاء تشوشَ القلبُ.

وَكَانَ أبو الحسين الضرير يقولُ: علامَةُ السعادَةِ خوفُ الشقاوةِ؛ لأنَّ الخوفَ ذِمامٌ بين الله وبين عبده، فَإِذَا انقطع ذِمَامُهُ هَلك مَعَ الهَالِكين.

وَقَالَ الوَاسِطِيُ: حقيقةُ الخوفِ تظهر عند الموتِ.

وَقَالَ الثورِي: الخائف يهربُ مِنْ ربهِ إلى ربهِ تبارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١].

وَقيل فِي قوله عَزَّ وجلَّ حكايةً عَنْ أيوبَ عليه السلام حيث قالَ: ﴿مسنى الضر﴾ أن معنَى الضُر هَاهُنَا خوفُ القطيعةِ.

وَقَالَ أبو عثمان: الخوفُ مِنْ عدلِهِ، والرجَاء مِنْ فضلِهِ.

وَدَخلَ بعضهم على رَابعة رَحِمَها الله فرآها تقطع بأسنانها قطعة لحم، فقَالَ لَهَا: مَا لكِ سكين تقطعين بِهَا شيئاً، فَقَالَتْ: إنْ خوفَ القطيعة لم يَدَع فِي دَارِي آلة القطعِ.

وَقَالَ ذُو النُون بن إبراهيم(١): قِلتُ لعليم: لم سميت مجنوناً؟، قَالَ: لَمَا أطَالَ حبسي عليهِ صِرْتُ مجنوناً لخوف فرَاقِهِ.

وَقَالَ أبو الحسين الورَاقُ: إذَا تحقق العبد فِي الخوفِ مِنْ رَبّهِ تبارك وَتَعَالَى يهيج الرجَاء فِي قلبِهِ، وَإِذَا تحقق الرَجَاء فِي قلبِهِ هِيجَ الخوفُ منهُ.

وَقَالَ ذُو النُون: إن المحب لله تَعَالى لا يسقى كأسَ المحبةِ، إلا من بعد أن ينضحَ الخوفُ قلبَهُ، فإنَّما خوف النار عند خوف الفِرَاقِ بِمَنْزِلَةِ قطرةٍ قطرتْ فِي بحر لُجِّي، وَلاَ أعلم شيئاً أحمدَ للقلبِ من خوفِ الفرَاقِ.

وَسُئِلَ الجنيدُ عَنْ الخَوْفِ، فَقَالَ: تَعَلُّق القَلْبِ بِتوقُّعِ العقوبَةِ، مَعَ مَجَارِي الأَنْفاسِ.

وَقَالَ شَاهُ الكَرْمَانِيُ: الخوفُ الوَاجِبُ هُو مِنْ تقصِيركَ فِي حقوق رَبك.

وَقَالَ الفضيل: مَنْ خَافَ الله تَعَالَى كَلَّ لِسَانُه.

وَقَالَ: مَا رأيتُ رَجُلاً أعْظَمَ رَجاء لهذِهِ الأمّةُ، وَلاَ أشدَّ على نفسهِ خوفاً مِن ابن سيرينَ(٢).

وَقَالَ أحمد بن أبي الحواري: مَنْ كَانَ أعقل كَانَ باللَّهِ أعرفْ، وَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ أعرفْ كَانَ مِن الله تَعَالَى أخْوفْ.

وَقَالَ أبو سُليمان الدَارَانِي: مَا فَارَقَ الخوفُ قلباً إلا خَرِبَ.

وَقَالَ الأنطَاكِيُ: رأيتُ أرجىٰ النَّاسِ للنجاةِ أخْوفَهُمْ على نفسهِ أنْ لا ينجُو، وَرَأيتُ

---

(١) أي ذو النون بن إبراهيم المصري، سبقت ترجمته.

(٢) الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، محمد بن سيرين الأنسي البصري مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وكان أبوه من سبي جرجرايا، ولد رضي الله عنه لسنتين بقيت من خلافة عمر، ولم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه، وما رآه أحد إلاّ ذكر الله تعالى، وكان إذا ذكر الموت مات كل عضو منه، وكان فقيهاً عالماً ورعاً أديباً كثير الحديث صدوقاً حجة. توفي رضي الله عنه سنة ١١٠ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٤/٦٠٦، طبقات ابن سعد ٧/١٩٣، شذرات الذهب ١/١٣٨).

أخوفَ الناس للهلاكِ آمنهم على نفسهِ، ألا أنّ يُونُسَ النبيَّ ﷺ لما ظَنّ أنْ لا يُعَاقبه الله تَعَالى عجل عليهِ العقوبة[1].

وَقَالَ شَقِيقٌ: لَيْسَ للعبدِ صَاحبٌ خيراً مِنَ الهمِ والخوف، همٌ فيما مضى من حياتِهِ، وخوف فِيما لا يدرِي مَا ينزل بِهِ.

وَقيل ليحيى بن معاذ: من آمنُ الخلقِ؟ قَالَ: أشدُهُمْ خوفاً اليومَ.

وَكَانَ يحيى بن معاذٍ يقولُ: إلٰهي، كيفَ أخافك وأنت كريمٌ، وَكَيف لا أخافك وأنت عزيز.

وَقَالَ يحيى بن آدم: مرضَ سفيان الثورِي، فذهبتُ ببولِهِ إلى دَيرَانِي، فلما رأني قَالَ: لَيْسَ هذا بَول حنيفي؟ قلتُ: بلى فَجَاء معي، فجس عرقهُ وَجَس بطنهُ وَقَام، ثُمَّ قَالَ: مَا ظننت أن يكون في الحنيفية مثل هذا، هذا رجل قد قطعَ الخوفُ كبدَهُ.

وَقَالَ أبو عثمان: صِدْقُ الخوفِ هُوَ الورَع عَن الآثامِ ظاهراً وباطناً، وفيهِ الصلاحُ.

وَقَالَ سهل بن عبد الله: لا يبلغ أحَدٌ حقيقة الخوفِ حتى يخافَ مَوَاقِعَ علم اللّهِ عز وجل فيهِ، ويحذرَ ذلك.

وَقِيل: جُمْلَةُ الخلق خَائفون، فَإذَا آمَنُوا أمِنُوا، وَأهل الصفوةِ يقعون فِي الخوفِ إذَا آمَنُوا؛ لأنَّ جناياتهم لا تمحوهَا التَوْبَةُ، فَإنَّهم ادّعوا فِيمَنْ لا دَعوى لأحدٍ فيهِ، وَمَنْ ادعى مَا ليسَ لَهُ كذبته الأيام وَالليالي، والأزمانُ والدُهُورُ.

وَقَالَ سهل بن عبد اللّهِ: لا تجد الخوفَ حتى تأكُل الحلالَ.

وَقَالَ عَبْدُ العزيز بنُ يحيى المكيُ: جعل الله تعالى الخوف عشرة أجزاءٍ؛ تسعة أجزاء للملائكةِ، وَجزء للسمٰواتِ والأرض، والجبَال، والجن والإنس، والدَوَابِ، والصغار والكبار، كذلك وصفهم، فقال تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

وَسُئِلَ الشبْلِي: لَمَ تصفرُ الشمس عند الغروب؟ فَقَال: لأنَّهَا عُزلَتْ عَنْ مَكَانِ التَمَام، فَاصفرتْ لخوف المقامِ، وَكَذَا المؤمِنُ إذا قَارَبَ خروجهِ مِن الدنيا، اصفرَّ لونه لأنه يَخافُ المقامَ.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وَقَالَ شقيق: أصل الطاعة الخوفُ وَالرجَاء والمحبة، وَعَلاَمة الخوف ترك المحارم، وَعَلاَمَةُ الرَجَاء الطاعَةُ الدائمَةُ، وَعَلاَمَةُ المحبةِ الشوقُ والإنابَةُ.

وَقَالَ ذُو النون: علامَةُ القلب المريض أَرْبَعَة أشياء: لا يَجَدُ مِنَ الطَاعَاتِ الحَلاَوَة، ولاَ يخافُ رَبَّهُ عز وجل، ولاَ ينظُرُ إلى الأشياءِ بِالعبرةِ، ولا يفهم مِنَ العلمِ مَا يقالُ لَهُ.

وَقَالَ الفضيل: إذا سكن الخوفُ القلب لَمْ ينطلق اللّسَانُ بِمَا لاَ يعنيهِ، وَأحرق مَنَازِلَ الشهوةِ، وَطَرَدَ الرغبةَ وَحبَّ الدُنيا عَنْهُ، فإنّ فيهِ فساد القلبِ.

وَقَالَ يحيى بن معاذ: لِكُل شيء زينة، وزينةُ العبادةِ الخوفُ، وعَلاَمَةُ الخوفِ قِصَرُ الأمل.

وَقَالَ محمد بن علي الترمذيُ: خوفُ أهلِ المعرفَةِ خَوفُ القلبِ الْقَلْبَ.

وَسُئِلَ المُحَاسبي عَن الخوفِ، فقالَ: هُوَ أنْ لا تتحرك حركَةً إلا وتظن أنَّك مأخوذ فيها عَاجلاً.

وَقَالَ يحيَى بن معاذ: أعلى منازِلِ الراجين الخوفُ، وأعلى منازِلِ الواصلين الحياء.

وَقَالَ أبو سُليمان الدَارَاني لأحمد بن أبي الحَوارِي: إنَّ الناسَ عملُوا على الرجَاء، فإن استَطَعْتَ أنْ تعمل على الخوفِ وَحدك فافعل.

وَقَالَ ذُوْ النُون: الناسُ على الطريقِ مَا لَمْ يَزُلْ عنهم الخوفُ، فإذا زال عنهم الخوفُ ضلوُا عَنْ الطَرِيق.

وَقَالَ أبو علي الرُوذَبَارِي: حقيقة الخوفِ أن لا تخافَ معَ الله سِوَاهُ.

وَقَالَ محمد بن المُبَارَكِ: لاَ يهيج الخوفُ حتى يَسْكُن القلبَ دَوَامُ المراقبة في السرِ والعلانيةِ.

وَقَالَ الفضيلُ: مَنْ خَافَ اللّهِ تَعَالَى خَافَهُ كُلُ شيءٍ، وَمَنْ خَافَ غير الله خافَ مِنْ كُلِّ شيءٍ[1].

---

(١) في الحديث: (من خاف من الله خَوَّف الله منه كل شيء) رواه أبو الشيخ في الثواب، والديلمي والقضاعي عن واثلة، وفي الباب أحاديث يقوي بعضها بعضاً، وقال عمر بن عبد العزيز: من خاف من الله أخاف منه كل شيء ومن لم يخف الله خاف من كل شيء، وقال الفضيل: من خاف الله لم يضره أحد ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد، وقال يحيى بن معاذ، على قدر حبك الله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق وعلى قدر شغلك بأمر الله تشتغل في أمر الخلق. رواها كلها البيهقي في الشعب.

وَقيل في معناه بيت:

وَمَـا الـعـزّ إلا خـيـفـةُ الـلَّـهِ وَحـده　　فَـمَـن خـاف مِـنْـهُ خَـافَـهُ مَـا أظـلَّـتِ

وَكَانَ أحمد بن حنبل ـ رَضِي الله عَنْهُ ـ يقولُ: سألتُ رَبي ـ عزَ وجل ـ أن يفتح عليّ بَاباً من الخوف، ففتح عليّ فخفت عَلى عقلي، فقلتُ: يَا رَبِّ على قَدْرِ مَا أطيقُ.

أنشدت:

طُـوْبَـىٰ لِـمَـنْ قـلـبـه بِـالـلَّـهِ مـشـتـغـلُ　　يـبـكـى الـنـهـارَ وطـولَ الـلـيـل يـبـتـهـلُ

خَـوْفُ الـوعـيـد وذِكْـرُ الـنـارِ أحـزَنَـهُ　　فَـالـدَمـع مِـنْـهُ عـلـى الـخـدين مـنـهـمِـلُ

بَابٌ فِي ذِكْرِ الرَّجَاء

أخبرنا أبو سَعْدِ الواعظ، قَالَ: حَدَّثَنَا القَاضِي أبو الحسنِ علي بن مُحَمَّد بنِ إسحق الاصْطَخْرِي بالفُسْطَاطِ، حَدَّثَنَا خيثمة بنُ سليمان أبو الحسنِ بطرابُلُسْ، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الملك بن محمَّدٍ الرقَاشِيُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عفانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ عامرِ الأحولِ، عَنْ شهر بن حوشبٍ، عَنْ معدِي كربٍ، عَنْ أبي ذَرٍ، عَن النَّبِي ﷺ فيما يرويهِ عَنْ رَبِهِ عَزّ وَجل: «قَالَ: يا ابن آدم، إنك مَا دَعَوْتَنِي وَرَجوتني، فإني سَأغفر لَكَ على مَا كَانَ مِنْك، ولو لقيتني بقرابِ الأَرضِ خَطَايا لقيتُك بقرابها مغفرة، وَلَوْ أنْ تعمل من الخطَايَا مَا تبلغ أعنان السمَاءِ، ثُمَّ استغفَرْتَني غفرتُ لَكَ وَلا أُبَالِي»(١).

وَعَنْ صَالِحِ بنِ عبد الكريم، قَالَ: إن الرَجَاء والخوف فِي القلبِ لَهُمَا نُورَانِ، فقيل: أيُّهُمَا أَشَدُّ ضياءً؟ قَالَ: الرَجَاء. فبلغ ذلك أبا سليمان، فقَالَ أبو سليمان: يَا سبحان اللَّهِ مَا أعجبَ هَذَا الكَلاَمَ، الخوفُ يتشعب منه التقوى، وَالصوم، وَالصلاةُ، وأعمالُ البر. والرجَاء لا يتشعب منه هذه الخِصَال، فكيف يكون أشد ضياءً!، فبلغ ذلكَ صَالِحَاً فَقَالَ: صَدَقَ أبو سليمان، وَلَكِن الرَجَاء رَجَع إلى كرَمِهِ، فصار أشد ضياءً.

وَرُوي أن علي بن أبي طالبِ عليهِ السَّلاَمُ قَالَ لبعضَ وَلَدِه: يَا بُني، خَفِ الله تَعَالَى خوفاً ترى أنكَ إن أتَيْتَهُ بِحَسَنَاتِ أَهْلِ الأرض لَمْ يتقبلها منك، وَارجُ الله تعالى رَجَاءً تَرَى أَنَّك إن أتيتهُ بِسَيئات أَهْلِ الأرض غفرَهَا لَكَ.

وَقَالَ الأنطاكي: مَنْ اشتد رَجاؤه اشتد طَلَبُهُ، وَمَنْ رَجَا وَأسَاء فإنما تمنى واجترأ، وَمَنْ حسن ظنه حسن عملهُ، وَمَنْ اشتد خوفُهُ اشتد هربهُ.

وَقَالَ سَهْل بنُ عبد اللَّهِ: الرَجَاء والخوف لاَ يَسْكنان قلباً فيهِ كبْرٌ.

وَقَالَ أيضاً عَلامَةُ الخوفِ اجتنابُ النَّهي، وعلامَةُ الرَجَاء المُسَارَعَةُ إلى القيامِ بِأدَاء الأَمْرِ. وَقَالَ أيضاً: لاَ يصح علم الرَجَاء للخائفِ.

---

(١) حديث: (قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) رواه الترمذي في كتاب الدعوات عن أنس وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه الإمام أحمد والدارمي عن أبي ذر، والطبراني عن ابن عباس، وابن النجار عن أبي هريرة.

وَقَالَ يحيى بنُ مُعَاذٍ: إلٰهي، أخافُك لأني عبدٌ، وأرجوك لأنك رَبٌ.

وَقَالَ عبد الله بن منازل: كَانَ يُقالُ: الرَجَاء الأصلي مَا يتولدُ مِنَ الخوف، والخوفُ يتولَدُ مِنْ صدق الأعمالِ، وصدقُ العمل من التصديق، وكل رَجَاء لا يَكونُ فِي مقدمهِ الخوفُ، فرجوعه إلى الأمنِ والسُكونِ.

وَيُقَال: مفاوزُ الدُنيا تقطعُ بالأقدامِ، وَمفاوزُ الآخرة تقطع بِالرجَاء والخوفِ.

وَكَانَ ذُو النُون المِصْرِي يَدْعو فيقولُ: اللَّهُم إنَّ سِعة رَحمتك أرْجَى لَنَا مِنْ أعْمالنا عندنا، وَاعتمادُنَا على عفوك عَنا أرجَى عندنا مِنْ عقابك.

وَقَالَ يُوسف بن أسباط: للرجَاء عشر علاماتٍ: التعلق بحسن الأخلاقِ، وحسن التأهب سيراً إلى السباق، وطَلاقةُ الوجه عند المُلاقاة، وبسطُ اليدين عند المواساةِ، وحسن الخلق، وإظهار البشاشَة، وطرح المزاحِ، والسُكونُ إلى الحق، وكثرة البُكَاء.

وَيُقال: أربعة للعبادِ عَلَى الله عَزّ وجل حَكَمَ الله - عز وجل - على نفسهِ بِهَا؛ كُل مَنْ خَافَ الله أمَّنه الله تعالى، وكُل مَنِ رَجَاهُ بلَّغه رَجاءهُ، وكُل مَنْ تقربَ إليه بالحسنَاتِ قبله وأثابَهُ بِالواحدةِ عشراً، وكُل مَنْ اتكل عليهِ قبله ولَمْ يكلْهُ إلى نفسهِ، وتَوَلى أمرَهُ.

وَقَالَ يحيى بنُ مُعَاذٍ فِي مُنَاجَاتِهِ: إلٰهِي، أحلى العَطَايَا فِي قلبي رَجَاؤُكْ، وأعذبُ الكلاَمِ على لِساني ثناؤُكْ، وَأحب السَاعَاتِ إليّ ساعةٌ يكُونُ فيها لقاؤُكْ.

وَعَنْ عبدِ الوَاحِدِ، عَن الحسنِ قَالَ: إنْ كُنتم ترجُون: فشاهدُ الرَّجَاء مِنْكُمُ الطَلَبُ، وَإنْ كنتم تخافون فشاهدُ الخوف مِنْكُمْ الهرَبُ، وإلا فأنتم كَاذِبُونَ.

وَعَن المعتمر بن سليمان[1] قَالَ: سمعتُ أبي يقولُ: لَوْ كَانَ أمري إلى عبدٍ مِنْ عباد الله عَزَ وجل لرجوته فكيف وهو أرحم الراحمينَ.

وَقَالَ عَبْدُ الله بنُ خبيق[2]: الرَجَاء ثَلاَثَةٌ: رَجُلٌ عملَ حسنَةً وَهُوَ يرجُو قبولَهَا، وَرَجل

---

(١) معتمر بن سليمان بن طرخان، الإمام الحافظ أبو محمد ابن الإمام أبي المعتمر التيمي البصري من موالي بني مرة، كان من كبار العلماء ولد سنة ١٠٦ هجرية ومات بالبصرة سنة ١٨٧ هجرية، (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٧، طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٠، تهذيب التهذيب ١٠/٢٢٧).

(٢) عبد الله بن خبيق بن سابق الأنطاكي، كنيته أبو محمد، صحب يوسف بن أسباط، وهو من زهاد الصوفية والآكلين من الحلال، والورعين في جميع أحواله، أصله من الكوفة، وطريقته في التصوف طريقة النوري، فإنه صحب أصحابه. (طبقات الصوفية ١٤١، حلية الأولياء طبقات الشعراني ١/ ٩٧).

عَمِلَ سيئة ثُمَّ تَابَ منهَا، فَهُو يَرْجو المغفرةِ، والثالثُ: الرَّجَاء الكَاذبُ يتمادى فِي الذنُوب، ويقول: أرجُو المغفرةَ وَمَنْ عرفَ نفسه بالإشَارَةِ ينبغي أن يكُونَ خوفه غَالباً على رَجائِهِ.

وَقَالَ بعضهم: الرَّجَاء والخوف جَنَاحَا العمل لا يطير إلا بهمَا.

وقيل: رَجَاءُ العارفِ فِي ثلاثةٍ: وَهِيَ النظرُ فِي المبدأ، وحسنُ الظن فِي المنتهى، ورُؤيةُ سعة رَحمة الله فِي الحينِ.

وَقَالَ أحمدُ بنُ أبي الحواري: الرَّجَاء قُوتُ الخائفين.

وَقَالَ محمد بن خفيف: الرجاء ارتياح القلوبِ لرؤيةِ كَرَمِ المرجُوّ.

وَقَالَ أبو بَكْرِ الوَرَاقُ: الرجَاء ترويح مِنَ الله تَعَالى لقلوبِ الخائفين، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَتَلِفَتْ نفوسُهم وَذَهَلَتْ عقولهم.

وَسُئِل الشبلي عَنِ الرجَاء، فقَالَ: الرجَاء أنْ ترجوه أنْ لا يقطع بِكَ دُونه.

ويقال: أعلى منازِل الرجاء، الحيَاء.

وَيقالُ: ثَوابُ الرجَاء البلوغ إلى العطاء، وثوابُ الخوف الأمنُ مِنَ المَخُوفِ، وثوابُ الوَفَاءِ اللقاءِ.

وَقَالَ أبو عثمان: من أضرَّ به الرجاء حتى قَاربَ الأمن، فالخوفُ لَهُ أفضل، وَمَنْ أضرّ بِهِ الخوف حتى قاربَ الإياسَ فالرجاءُ لَهُ أفضل.

وَقَالَ يحيى بنُ مُعَاذٍ: الإيمانُ ثلاثة أشياء: الخوفُ، وَالرجَاء، والمحبة، فيتضمن الخوفُ ترك الذنوب، وفيه النجاةُ مِنَ النارِ. ويتضمن الرّجاء الطاعة وَبِهَا وُجوب الجنةِ. وتتضمن المحبة احتمال المكرُوهَاتِ، وَفيها رِضَا الله تَعَالى.

وَكَانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ في مناجَاته: إلهي، كَادَ رَجَائي إياك مع السيئات يغلب رَجَائي إياكَ قبل الحسنَاتِ، لأني أجدني في الطَاعَاتِ أعتمد على الإخلاص، فكيف أخلصها وأنا بالآفة معروفٌ، وَأجدني أعتمد فِي الذنوب على عفوك، فكيف لا تغفرها وأنت بالجودِ مَوْصُوفٌ.

وَقَالَ أبو بكرِ الفوطي[1]: قُرِنَ الرَّجَاءُ بالطلب، والخَوفُ بِالحربِ، وَحسنُ الظن

---

(١) أبو بكر الفوطي ـ بالفاء الموحدة لا القاف المثناة ـ كما في تاريخ بغداد، ولا الغين ـ معاصر أبي الحسين الدراج المتوفى سنة عشرين وثلاثمائة، من مشايخ الصوفية حكى عنه محمد بن داود الدقي، وكان يؤاخي أبا عمرو بن الأدمي. (اللباب ٢/٢٢٨، تاريخ بغداد ١٤/٣٨٨).

بالعمل، فمن خاف هربَ، وَمَنْ رَجَا طلب، وَمَنْ أحسن الظن عَمِل.

وَقَالَ شَاه بن شجاع الكرمَانِيُ: عَلاَمَةُ الرجَاء حسن الطاعَةِ.

وَكَانَ بعضهم يقولُ: إلٰهي، أنت لطيف بمن قصَدك فِي إرَادتِهِ، وَرَجَاك لِمُلِمَّاتِهِ، فَيَامنتهى آمال الراجين أعطنَا رَاحةً عاجلة توردنا مناهل رضَاكَ، وَتُؤدِينا إلى قربك.

ويلغنا أنه وُجد مَكتوباً فِي بعض كتب الله تَعَالَى: «عبدي إذا رضيت بحكمِي واليتك، وَإنْ رَجوتني نجيتك، وَإن استنصَرْتني نَصَرْتك، وإنْ استرحمتني رَحمتك، وإن استغفرتني غفرت لك».

قَالَ: وأنشدني بعضُهُمْ:

أَسَـأْتُ وَلَـمْ أحـسـن وَجـئـتـك هَـارِبـاً وأيـن لـعـبـدٍ مـن مـوالـيـه مـهـرب
يُـؤمِـلُ غـفـرانـاً فـإن خـاب ظـنـهُ فَـمَـا أَحَـدٌ مِـنْـهُ عـلـى الأرض أخـيـبُ

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْفقرِ والْغِنَى

أخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ الواعِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أبو عبد الله الحسين بنُ أحمد الصفار، قَالَ: حَدَّثَنَا أحمد بن محمد بن عمر، قَالَ: حَدَّثَنا يعقوب بن سفيان، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمرو بن راشد المدنِيُ مَوْلَى عثمانَ، قَالَ: حَدَّثنا مَالك بن أنسٍ، عَنْ نَافعٍ، عَنْ ابنِ عُمَر، عَنْ عمر بن الخطابِ رَضِيَ الله عَنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنْ لكُلِّ شيء مِفْتَاحاً، وَمفتاح الجنةِ حُب المسَاكِين، والفقراءُ الصُبَّر هُمْ جلساء اللّهِ تَعَالَى يَوْمَ القِيامَةِ»[1].

وَقَالَ يحيَى بنُ معاذ: مَنْ كَانَ غناهُ بربِهِ ـ عَزَّ وَجل ـ لَمْ يزلْ غنياً، وَمَنْ كَانَ غناهُ بكسبِهِ لَمْ يزلْ فقيراً.

وَقَالَ بعضهُمْ: لا غنيٌّ أغنى مِن الله ـ عزَّ وجل، وَلاَ غنيٌّ أغنى مِمّنْ كَانَ غناهُ بالله تَعَالى.

وَقَال لقمانُ الحكيم لابنهِ: يَا بُني، ارحم الفقراء لقلة صبرهِمْ، وَارحم الأغنياء لقلةِ شُكْرِهِمْ، وَارحم الجميعَ لطولِ غفلتهم!

وَقَالَ بعضهم: لا تكونَن بطراً فِي الغنَى وَلاَ جزوْعاً فِي الفقرِ، ولا تَكُنْ فظاً يَكرهُ الناس قربك.

وَسُئِلَ النورِي عَنْ معنَى قولِ النَّبِي ﷺ: «اطلعتُ فِي الجنةِ فرأيتُ أكثر أهلها الفقرَاء»[2].

فقال: مَنْ مَلَكَ الجنة بِأسْرِهَا فهو فقير، إن مَنْ رَضي بالجنةِ عوضاً مِنَ الله عَزَ وجَلّ فهو فقيرٌ.

وَيُقَالُ: جملة الخلقِ قسمانِ؛ أغنياء، وفقراء. فالأغنياء يتّبِعُونَ رِضَا الله ـ عَزَ وجلّ ـ والله تَعَالَى يتبع رِضَا الفقراء.

---

(١) قال العراقي: رواه الدارقطني في غرائب مالك، وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، وابن عدي في الكامل، وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر.

(٢) حديث: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء وفي لفظ: قلت: أين الأغنياء؟ فقيل: حبسهم الجَدّ).
قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد جيد، وللشيخين من حديث أسامة بن زيد: قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد محبوسون. اهـ.

وَقَالَ كعبُ الأحبارِ: لَمَا خلق الله تَعَالى الغِنَى قَالَ لَهُ: «أَقْبِلْ» فأقبل مَعَ كِبْرٍ، وفخرٍ، وخيلاء فقال: «وعزتي وَجَلالي وعَظَمتي، ما خلقت خلقاً أبغض إليَّ منك».

ثم خلق الفقر، فقالَ لَهُ: «أقبل» فأقبل مع تواضُع، وسَكينةٍ، وَوَقَارٍ، وَتؤدَةٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «أدْبِرْ» فَأدْبر كَذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اجلسْ» فجلسَ كَذَلِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَ وَجَل: «وعزتي وَجَلاَلِي وَعَظَمَتِي» مَا خلقتُ خَلْقاً أحبَّ إليَ مِنك».

وَقَالَ ابنُ عباسٍ: إنَّ الله يبتلي المؤمِنَ بالفقر شوقاً إلى دُعائه.

وَكَانَ أَبُو ذرٍ يقُولُ: الفقر أَحَبُ إليّ مِنَ الغنى، والذُلُ أَحَبُ إليَّ مِنَ العز، وبطنُ الأرض أحبُ إليّ مِنْ ظهرهَا.

وَقَالَ الْوَاسِطِي: احتقارُ الفقر، وَسُرْعة الغضبِ، وَحْبُ المنزلةِ مِنْ رُؤيةِ النَّفْسِ، وَهِيَ خلع العبوديةِ، وَمجاذبةُ إلالهية.

وَقيل ليحيى بن معاذٍ: مَا الفقرُ؟ قَالَ: خوفُ الفَقرِ.

وَرُوي عَنْ علي بنِ أبي طالبٍ ـ عليهِ السلام ـ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: «إِذَا أبغض الناسُ فقراءهُمْ، وأظهرُوا عمَارَةَ الدنيا، وَتَكَالبُوا على جمع الدرَاهِم، رَمَاهُمُ الله تَعَالى بأربعِ خِصَالٍ؛ بالقحْطِ مِنَ الزمَانِ، والجور مِنَ السلطانِ، والخيانَةِ مِنْ ولاَةِ الأحكَامِ، وَالشوكَةِ مِنَ الأعداء[1].

وَقَالَ بشر بن الحارث: رأيتُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ ـ عليهِ السلام ـ فِي المَنَامِ، فقلتُ: قُلْ شيئاً لعلَّ الله تَعَالَىٰ ينفعني بِهِ؟ فَقَالَ: مَا أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رغبة في ثوابِ الله عَز وجل، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بِالله تَعَالَى. قَالَ: فقلتُ: تريدني يَا أمير المؤمنين، فأنشأ يقول:

قَدْ كُنتَ مَيْتاً فَصِرْتَ حياً ... وَعَنْ قليل تصِيرُ ميتا

عزّ بِدَارِ الفناء بيتاً ... فَابْنِ بِدَارِ البقاءِ بَيْتَا

وَقيل فِي قولِهِ عَز وجل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه الديلمي بإسناد فيه جهلة، وهو منكر. ورواه أيضاً الحاكم وصححه وتعقب، بلفظ (إذا أبغض المسلمون علماءهم وأظهروا عمارة سواقهم وتألبوا على جمع الدراهم. . الحديث وفيه (والصولة من العدو). قال ابن السبكي (٦/ ٣٦٧) لم أجد له إسناداً.

[الأعراف: ١٤٦] ، قَالَ: الذين يتكبرون على الفقراء ويتذللون للأغنياء. وقال أبو سعيد الخراز: معاداة الفقراء بعضهم بعضاً غيرة من الحق عليهم لئلا يسكن بعضهم إلى بعض.

وقال بعضهم: حقيقة الغنى هُوَ الاستغناءُ عَن الشيء لا الاستغناءِ بالشَيءِ.

وَقَالَ بعضهم: حقيقة الفقر القِيَامُ على بِسَاطِ الاضطِرَارِ، بِقَدمِ الافتقارِ بِالذُلِ والانْكِسَارِ، مَعَ دَوَامِ الابتِهَالِ وَحسن الانتظَارِ.

وَيقال: ماهية الفقرِ القيام على بابِ الحقِ للسولِ بلا سؤال، مع استقامَةِ الحالِ بِلا حَالٍ.

وَقَالَ عَبْدُ الله بن مُنازل: فقراء الدُنْيا يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائةِ عامٍ، فكيف فقراء الله عَز وجل.

وَقَالَ أيضاً: حقيقة الفقرِ الانقِطَاع عَن الدُنيا والآخرةِ، وفناؤك فِي مالكها.

وقال أيضاً: كَمَا أن ثم غنى بلا فقر، كذا ينبغي أن يكون هَاهُنَا فقر بلا غنى.

وَقَالَ حَمْدُونَ القصَّارُ: لا أرى للفقير شيئاً أنفع من أن يعلم فتنة الغنى، ويخاف أن يبتلى بِهِ وقد خافه ناسٌ مِنْ أَهْلِ العلمِ.

وَقَالَ أيضاً: لاَ تختر الغنى وَلاَ الفقر، مَا خَارَ الله لك فيهِ فهو خير لك!

وَقيل: مِنْ علامَةِ الفقير الصّادِق أن لا تفتنهُ النِعَمُ ولا تغيِّرُهُ المحن.

وَسُئِلَ أبو سهلٍ محمد بن سليمان[١]: مَن الفقير؟ فقال: الذي لا يعلم بفقرِهِ سِوَى مَنْ يقدِرُ على أن يغنيَهُ.

وَسُئِل أَبُو حفصٍ النيسَابُوري: بِمَاذا تقدم على ربك عز وجل؟ فقال: وَمَا للفقير أن يقدِمَ بِهِ على الغني سوى فقرِهِ[٢].

---

(١) محمد بن سليمان الصعلوكي الحنفي، أبو سهل: كان إماماً في العلوم، وأوحد زمانه وكان من تمام علمه وفضله، مقدم علوم هذه الطائفة، ويتكلم فيه بأحسن إشارة ويحترمهم، وصحب المرتعش وغيره أيضاً، وكان حسن السماع، طيب الوقت، مات رحمه الله سنة ٣٦٩ هجرية عن ثلاث وسبعين سنة. (طبقات ابن الملقن ٢١٥، وفيات الأعيان ١/ ٥٨٢، شذرات الذهب ٣/ ٦٩).

(٢) ورحم الله قطب زماننا الإمام القدوة الشيخ مُلَّا رمضان البوطي زاهد الشام وعالمها وفقيهها حيث أوصى أن يكتب على نعشه وهو يساق إلى قبره عبارة:

أتيتك بالفقر ياذا الغنى وأنت الذي لم تزل محسناً

على ما ذكره ولده وخليفته من بعده سماحة العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (هذا والدي) في ترجمة حياة والده رضي الله عنه ونفعنا به وبالصالحين في الدارين، آمين.

وَقَالَ بعضهم: صحة الفقر أن لا يستغني الفقير في فقره بشيءٍ إلا بمن إليهِ فقرُهُ، فَإِذَا استغنى بِهِ يكونُ أشد الخلق افتقاراً إليهِ، لأن الله تعالى يقُول: ﴿يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾[1].

وَسُئِلَ الشِبْلِيُ عَنِ الفقر، فقالَ: للفقر أربع مائة دَرَجةٍ، أدْنَاهَا أنْ لَوْ كَانَتِ الدُنيا كلها لك، فأنفقتهَا في يومٍ، ثُمَّ خَطَرَ ببالك أنْ لو أمْسَكتَ قوت يومك لم تصدُقْ فِي فقرك.

وَعَن أبي الحسين النوريّ: نعت الفقير السُكُون عند العدم، والبذلُ والإيثَارُ عند الوجودِ.

وَقَال بَعضهم: السُكُونُ إلى الفقر يسقط الفقير عَنْ دَرَجَةِ الحقيقةِ، فَإِن الفقر والغنى فِي الأحوال، والسُكُون إلى الأحوالِ قطع عَنْ محولِ الأحوالِ.

وَعَنِ المُعَافَى بن عمران[2]، أنَّهُ قَالَ: الفقر سِرُ الله تَعَالَى، لا يودِعُهُ عند مَنْ يفضحهُ.

وَقَالَ الجنيدُ: لا يتحقق العبد بالفقرِ، حتى يتقرر عنده أنَّهُ لا يَردُ القيامَةَ أفقر منه.

وَيقال: الفقراء أربعة؛ فقير طبعٍ، وفقير نفس، وفقيرُ قلب، وفقير حق، ففقير الطبع لا يغنيهِ شيءٌ ولا يزولُ عنهُ إلحاحُهُ، فَإن الفقر في حَالِهِ. وَفَقِيرُ النَّفْسِ: هُوَ الذِي يَكُونُ فقرهُ إلى عرضٍ مِنَ الدُنيا، فيغنيه وُجودُهُ ما يبتغيهِ مِنْهَا.

وَفقير القلبِ هُوَ الَّذِي يفتقرُ بقلبه إلى مولاهُ فِي طلبِ الدَرَجَاتِ، فَإِذَا وَصَل إلى مأمُوله مِنَ الجنةِ، أغناهُ ذلك عَنْ فقرِهِ. وَفقير الحق: لا يغنيهِ إلا الوصُولُ إلى الحقِ.

وَقَالَ ابن مسعودٍ: «ما أُبالي أبالغنى بُليتُ أم بالفقر، إن حقَ الله تعالى فِيْهِمَا لواجِبٌ، فِي الغِنَى اللين وَالعطف، وَفِي الفقرِ الصبر وَالعفافُ».

وَسُئِل سهل بن عبد الله عَنِ الفقر، والمسكنَةِ، فقالَ: الفقر عِز، والمسكنَةُ ذلٌ.

وَقَالَ عبد اللَّهِ بنُ المُبارَكِ: إظهارُ الغنى فِي الفقرِ أحسن من الفقرِ.

---

(١) سورة فاطر ـ الآية رقم ١٥.

(٢) المعافى بن عمران أبو مسعود الأزدي الموصلي، رحل في الحديث إلى البلدان النائية وجالس العلماء ولزم سفيان الثوري، فتفقه به، وتأدب بآدابه، وأكثر الكتابة عنه وعن غيره، وصنف كتباً في السنن والزهد والأدب، مات سنة ١٨٦ هجرية. (تاريخ بغداد ١٣/٢٢٦).

وَقَالَ يحيى بنُ معاذٍ: أفقرهُمْ إليهِ أكْرَمهم عليهِ.

وَسُئِلَ أبو عبد الله بنُ الجلاء عَن الفقر، فأخرج أرْبعة دَوَانيق[1] كَانَتْ مَعَهُ، ثُمَّ أجَابَ، وَقَالَ: استحييت أنْ أجيب وَعِنِدِي شيءٌ.

وَسُئِل أبو يزيد عَن الفقر، فقالَ: ظاهِرُهُ بلوى، وبَاطِنُهُ نِعْمَة، فيجبُ على المخلص أن يخفي ظاهرَه ويبديَ بَاطنَهُ.

وَسُئِل إبراهيم بنُ أحمدَ الخواص عَنْ نعتِ الفقر، فقالَ: رِدَاءُ المتقين، وَجلباب المرسلين، ولباسُ الراضين، وزين المؤمنين، وَجمال العَابدينَ، وَسُرُورُ الزاهدين، ولذةُ الصَّابرينَ، ورأسُ مَال الصَّادِقين، ومعقل الصالحينَ، ومتعة الورِعين، ومنية المريدينَ، وحسنُ المطيعين، وسجن المذنبين.

وَسُئِلَ الجنيد عن حقيقةِ الفقر، فقالَ: رَفع الاختيار.

وَقيل في قولِ النَّبِي ﷺ «كَادَ الفقر أن يَكُونَ كُفْراً»[2] أنَّهُ إذَا كَانَتْ مَعَ الحاجَةِ الخصومَةُ مَعَ الله تَعَالى.

وَقيل: «كَادَ الفقر أنْ يكونَ كفراً» مَعْناهُ: كَادَ الفقر عَنِ الله أن يكُونَ كفْراً!

وَعَن محمد بنِ النضر فِي قولِهِ عز وجل ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤] قَالَ: هَذَا سَلاَم مِنَ الله تَعَالَى على أهلِ الفقر فِي الدُنْيا.

سُئِل أبُو عمرو الصوْرِيُ عَن الفقرِ، وَمَنْ يعطى اسْمُهُ، فقَالَ: إذَا كَانَتْ فيهِ ست خِصَالٍ يُعَامِلُ الله تَعَالَى بِهَا؛ فأوّلُهَا: فقدُ المعلومِ الَّذِي قد ألفتهُ النفوسُ، والصبرُ على التفردِ، والإياسُ مِنْ جميعِ مَنْ سِوَى الله تَعَالىٰ، وَكِتْمَانُ السَرائر حَتَّى لاَ يشكُو الخالق إلى المخلوقين، وترك المسألة وَالتعرض، والعزوف عما فِي أيدي الناسِ بإظهارِ الغنى والتعفف. قيل: فإن خَلِيَ وَاحد عَنْ خصلةٍ مِنْ هذهِ الستِ يُعطى اسمَ الفقرِ؟ قَالَ: لاَ يستحق.

وَكَانَ ابن عيينةَ يقولُ: الصّبْرُ على الفقرِ يعدل الجهَاد فِي سَبيل الله عز وجل.

---

(١) جمع دانق وهو سدس الدرهم (القاموس مادة دنق).

(٢) قال العراقي: رواه الكشي وابن السكن، وصاحب الحلية، والبيهقي في الشعب، وابن عدي في الكامل من حديث يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً، ويزيد ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ: كادت الحاجة أن تكون كفراً، وفيه ضعف أيضاً، انتهى.

وَسُئِل محمد بن منصورِ الطوسيُ[1] أقل ما يلزمُ الفَقير فِي فقره مَا هُوَ؟ فَقَال: أربعة أشياء: علم يسوسُهُ، وورَع يحجزهُ، ويقين يحملهُ، وذِكرٌ يُؤنِسُهُ.

وَأُعطيَ إبراهيمُ النخعي ستين ألفَ دِرهمٍ، فأبى أن يأخذهَا، وَقَالَ: مَا كُنت بِالَّذِي أمحو اسْمي مِنْ دِيوانِ الفقراء!

وَسُئِلَ عبد العزيز الدمشقي عَن الفقيرِ الصّادِقِ، فَقَالَ: الفقير الصادِقُ الذي لا تجوزُ هِمَتُهُ سدّ فاقتهِ، فإن جَازَتْ هِمَتُهُ سَدّ فاقتهُ لم يستحق اسم الفقرِ.

وَعَنْ بعضهم قال: من أراد الفقر لشرف الفقرِ مَاتَ فقيراً، وَمَنْ أرَاد الفقر لئلاً يشتغل عن الله تَعَالى مَاتَ غنياً.

وَسُئِل يوسفُ بنُ الحسين عن الفقير الصادِقِ، فقالَ: هُوَ مَنْ آثر وَقتهُ فإنْ كَانَ فِي وقتِه تَطَلُّع إلى وقتٍ ثانٍ لَمْ يستحق اسم الفَقرِ.

وَسُئِل الجنيد عَنْ حقيقةِ الفقرِ فأنشأ يقول:

لا الـفـقـر عـارٌ ولا الـغـنـا شَـرَفٌ   ولا سَـخَـاءٌ فِـي طَـاعَـةٍ سَـرفُ

وَقال ذُو النُون: أذلُ الناسِ الفقير الطامِع، والمحبُ لمحبوبهِ.

وَقَالَ معروفٌ الكرخي[2]: إذا أراد الله ـ عز وجل ـ بعبدٍ خيراً استعملهُ وَزَوى عنهُ الخذلان، وأسْكنهُ بين الفقراء. وَإِذَا أراد الله تَعَالى بِعَبد سُوءاً، زوىٰ عَنه العمل، وابتلاَهُ بالخُذْلاَنِ، وَأسْكنَهُ بين الأغنياء فإذا نظر إليهمْ استعظم غناهُمْ.

وَقيل: الفقراء عيالُ الأغنياءِ فِي مجالس العلماءِ، والأغنياء عيال الفقراءِ فِي مجالسِ الحكماءِ.

---

(١) محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم أبو جعفر العابد المعروف بالطوسي، قال عنه أحمد بن حنبل لا أعلم عنه إلاّ خيراً، صاحب صلاة، وكان وابن حنبل يختلفان إلى أستاذ واحد مات ببغداد يوم الجمعة لست بقين من شوال سنة أربع وخمسين ومائتين ويقال بل سنة ست وخمسين وله من العمر ثمان وثمانون سنة (تاريخ بغداد ٣/ ٢٤٧).

(٢) معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ، أحد السادات، مجاب الدعوة، أستاذ السري السقطي وهو من جُلّة المشايخ وقدمائهم، والمذكورين بالورع والفتوة. كان أسلم على يد علي بن موسى الرضا، وكان بعد إسلامه يحجبه ـ أي كان حاجباً له ـ فازدحم الشيعة يوماً على باب علي بن موسى فكسروا أضلع معروف، فمات ودفن ببغداد. سنة ٢٠٠ هجرية. (طبقات السلمي ٨٣، طبقات ابن الملقن ٢٨٠، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠).

وَرُوي عَن النَّبِي ﷺ: «الفقر أزين بالمؤمن مِنَ العذار الجيد على خد الفرسِ»[1].

وَقال عيسى ابنُ مريم عليه السَّلام: «الفقر مشقة في الدنيا، مسرة في الآخرة، والغِنَى مسرةَ فِي الدُنيا، ومشقة فِي الآخرة».

وَقَالَ أيضاً: «لو لم يكن للفقير فضيلة على الغني غير أنه يعصي الله تعالى ليستغنى ولا يعصى ليفتقر، لكفته فضيلة».

شعر في معناهُ:

يَـا عـائـب الـفـقـر ألا تـزدَجـز ... عـيـبُ الـغـنـى أكـثـرُ لـو تَـعـتـبـرْ
مِـنْ شـرفِ الـفـقـرِ وَمِـنْ فـضـلِـهِ ... عـلـى الـغـنـى إنْ صح مـنـك الـنـظـرْ
أنـك تـغـصـي لـتـنـال الـغـنـى ... ولـسـت تـعـصـي الله كـي تـفـتـقِـرْ

وَفِي معناهُ قيل:

يَـدُلـك أن الـفـقـر خـيـر مِـنَ الـغـنـى ... وأنَّ قـلـيـلَ الـمـالِ خـيـر مِـن الـمُـثـري
لِـقَـاؤُك مـخـلـوقـاً عـصـى الـلَّـهِ بـالـغـنـا ... ولـم تـر مـخـلـوقـاً عـصـى الله بـالـفـقْـرِ

وَسُئِلَ سمنون عَن الفقير الصَّادِق فَقَالَ: الفقير الصَادق، الذي يأنَسُ بالفقر كما يأنَسُ الجاهِلُ بالوُجُودِ[2]، ويستوحش مِنَ الوجودِ كَمَا يستوحش الجاهل من الفقرِ.

وَسُئِل أبو حفصِ النيسَابُورِي عَن الفقير الصَّادِق، فقال: الصَّادِقُ هُوَ الذي يَكُونُ مَعَ كُلِ وَقْت بحكمه، فإذا وَرَدَ عليهِ وَارِد يخرجه عن حكم وقتهِ، يستوحش منه ويتقِيهِ.

وَقَالَ الجنيد: الفقير الصَّادِقُ الَّذِي لا يَسْتَغْنِي بشيءٍ.

آخر الجزء الثالث والحمدُ الله رب العالمين

يتلوه في أول الجزء الرابع وروى أن النَّبي ﷺ قَالَ:

«إن لي حرفتين من أحبهما فقد أحبني وَمَنْ أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهادُ»

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين

وعلى آلهِ وأصحابه أجمعين وأزواجه صَلاةً دَائمةً إلى يوم الدين

---

(١) حديث: (الفقر أزين على المؤمن من العذار الحسن على خد الفرس) رواه الطبراني عن شداد بن أوس، وابن حبان عن سعيد بن مسعود. ورمز السيوطي لضعفه. (الجامع الصغير ٢/ ١٩١ الحديث رقم ٥٩٨٦).

(٢) أي وجود المال أو كل ما يستغنى به غير الله تعالى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ بِرَحْمَتِكَ

قَالَ أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ المَلِك بنُ عُثْمَانَ وَرُوِي: «إنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: إنَّ لِي حرفتين مَنْ أحبَّهُمَا فَقَدْ أحبني، وَمَنْ أبعضَهُمَا فَقَدْ أبغضني، الفقرُ والجهادُ»[1].

وَحُكي عَنْ جعفر الصَّادقِ أَنَّهُ كَانَ قَاعِداً وَعَنْ يَمِينِهِ فقير، وَعَنْ يَسَارِهِ فقير، فَجَاءهُ بعضُ الأغنياء، فأقعدهُ بين يديهِ، فَعَاتَبَهُ فِي ذلك فقال: يَا هَذَا هَؤلاءِ قوادُ الله ـ عَز وجَلّ ـ وَلاَ عَيْبَ بالرعيةِ أن تقعد بين يدي سلطانِهَا، وأشارَ إلى الفقيرينِ.

وَسُئِل أبو عبد اللَّهِ بنُ الجلاَّء: متى يستحق الفقير اسم الفقرِ؟ فقالَ: إذا لم يبق عليهِ مِنْ نفسِهِ مُطَالبة ظاهراً وَبَاطِناً.

وَقَالَ المُؤمِلُ[2]: مَا رَأيتُ الغني أذلُ مِنْهُ فِي مجلسِ سفيان الثورِي، وَلاَ رَأَيْتُ الفقير أعز منهُ فِي مجلس الثّوري.

وَسَأل فقير ممشاد الدِّينورِيَّ: الفقير إذا جَاعَ أيش[3] يعمل؟ قَالَ: يُصَلي وَيَصْبِرْ، قَالَ: فَإنْ لَمْ يَقْدِر؟ قَالَ: يَنَامُ، قَالَ: فإنْ لَمْ يقدِرْ؟ قَالَ: إنَّ الله تَعَالَى لا يُخْلِي الفقير مِنْ ثلاثة: قوة، أَوْ غذاءٍ، أو أجلٍ.

وَقيل: الحرصُ علانية الفقير. وَقيل: الفقر والفاقة دَار العصمةِ، وَبابهما مَعْرِفةُ المنة.

وَقَالَ إبراهيم بن أدهم: مَسَاكين الأغنياء طلبُوا الراحة فأخطأوا طَريقها.

وَقَالَ أبو الدَرْدَاءِ: «أما أن إخواننا الأغنياء يحبونَا فِي اللَّهِ تعَالَى وَيُفَارِقُونَا فِي الدُّنيا، وأنه يأتي يومُ القيامَةِ يَسُرُهُمْ أنْ يكُونُوا بمنزلتنَا، وَمَا يَسُرُنَا أنْ نَكُون بمنزلتِهِمْ».

وَقِيل: لا عليك إنْ كنتَ غنياً أوْ فقيراً، اطلعَ الله تَعَالى فِي حَالتيك، فإن الموازينَ يَومَ

---

(١) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، وقال السبكي ٦/ ٣٦٦: لم أجد له إسناداً.

(٢) المؤمل بن أحمد بن محمد الشيخ الصدوق أبو القاسم الشيباني البغدادي البزار، سكن مصر وثقة الخطيب. عاش أربعاً وتسعين سنة، توفي سنة ٣٩١ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٥٦، تاريخ بغداد ١٣/ ١٨٣).

(٣) أيش: أي شيء يعمل؟.

القيامَةِ يُوزنُ بِهَا الطاعَاتُ لاَ الحَالاَتِ، فَمَا لَكَ والتكَلُم فِي الأحوالِ، وإنَّما الجزاء على الأعمالِ.

وَعَنْ أبي سعيدِ الخُدْرِي، عَنْ بلالٍ، قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «يَا بِلاَلُ، عِشْ فقيراً ولا تَعش غنياً»، قَالَ: قلتُ: وكيف لي بذلكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ: «إذا أعْطيت فلا تجْمَعْ، وإذَا سُئلتَ فلا تمنعْ»، قلتُ: وَكَيف لِي بذلك يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هُوَ ذَاكَ وإلا فالنارُ»[1].

وَعَنْ عبدِ اللَّهِ أنَّهُ قَال: ألا حبذَا المَكْروْهَانِ: الفقر والموت.

وَقَالَ بعضهم: إنَّما يحبُ المؤمِنُ الفقرَ مَخَافَةَ الآفَاتِ على دِينهِ.

وَقَالَ إبراهيم الخواصُ: لا يصحُ الفقر للفقير المقصر حتى تكون فيهِ خصلتانِ: الثقةُ باللَّهِ تَعَالَى، والشكرُ لِلَّهِ تَعَالى فيما زُويَ عنه مِمَّا ابتُلي بِهِ غيرهُ مِنَ الدُنيا، ولاَ يصل إلى دَرَجَةِ الفقر حتى يكون بفقرهِ أفرح مِنَ الغَني بغناه، وَهُو أمينُ الله تعالى على نفسهِ.

وَقَالَ شقيق: الفقير تقارِنُهُ ثلاثة أشياء: فراغ القلب، وخفة الحِسَابِ، وَرَاحةُ النَّفْس. والغني تقارِنُهُ ثلاثةُ أشياء: تعب النفسِ، وشغل القلبِ، وشدة الحِسَابِ.

وَقِيلَ ليحيى بن معاذِ الرازِي: مَا الفقر؟ قالَ: خوف الفقر، قيل: فما الغنى، قَالَ: الأمنُ باللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ أيضاً: حُبُ الفقراءِ مِنْ أخلاقِ المرسلينَ، ومجالستهم مِنْ أخلاقِ الصَالحين، والفرارُ منهم من أخلاقِ المنافقين.

وَسُئِل الشبلي عَنْ حقيقةِ الفقرِ، فقالَ: أنْ لا يستغني بشيء دُونَ الحق.

وَقَالَ أبو خَالد الأحْمَرُ[2]: سمعتُ الثوري يقولُ: إنه يمر بين يديَّ الفقيرُ وأنا فِي الصلاةِ، فَأدعه يَمُرّ، وَيَمُر بين يديَّ الغني وعليهِ الثيابُ فأمنعه.

وَقِيل: الفقر نعتُ النبوةِ، وَشِعارُ الصَّادقين، وَمَقَامُ الصَّالحين.

وَسُئِلَ الجنيدُ عَنْ أعز الناسِ، فقالَ: الفقير الراضي.

---

(١) رواه الطبراني والحاكم وصححه وتعقب. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٥٤٨).

(٢) الإمام الحافظ سليمان بن حبان الأزدي الكوفي الأحمر، كان مولده بجرجان سنة ١١٤ هجرية وكان موصوفاً بالخير والدين. توفي سنة ١٨٩ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩، طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩١، شذرات الذهب ١/ ٣٢٥).

وَقَالَ ذُو النُون: دَوامُ الفقر إلى الله ـ عَزَ وَجَل ـ مَعَ التخليطِ، أحبُ إليَّ مَنْ دَوَامِ الصفاء مَعَ العجب.

وَقَالَ أيضاً: احتقارُ الفقر عنوانُ المتكبرينَ، ورؤيةُ الناسِ بِسَاطُ المتزينينَ.

وَقَالَ ابنُ الجلاّء: مَنْ لم يصحبه الوَرَعُ فِي فقرهِ، أكل الحرامَ المحضَ وَلاَ يَدْرِي.

وَقَالَ بعضُ المشَايخ: الفقر أمَانَة وَكتمانُهُ عبادة.

وَقيل: ليسَ الفقر تجريد الظاهر، إنَّما هُوَ تجريدُ السّرِ، وَهُوَ أنْ يكونَ منزوع الإرَادَةِ والرغبةِ وَالشهوَةِ.

وَقَالَ سهل بن عبدِ اللَّهِ: لما خلقَ الله تَعَالى الخلق، حَكَمَ لنفسِهِ بالغِنَى وَحَكَم لخلقهِ بالفَقْرِ، فَمَنْ ادّعى الغنَى حجبَ عَنِ اللَّهِ، وَمَنْ أظهر فقره إليهِ وَصَلَ فقره بغناهُ.

وَعَنْ مَضَاء[1] قَالَ: يَا معشر الفقراء اعطُوا الله الرِّضَا مِنْ قلوبكم، يثبتكُمُ الله تعالى على فقركُمْ.

وَقَالَ يحيى بن معاذِ الرازي: لا يُوْزَنُ فِي القيامةِ فقرك ولاَ غناكَ، وإنَّما يوزنُ صَبْرُكَ على الفقر، وشكرك على الغِنَى، فتعالوا حتى نصبر وَنشكر واللَّهُ المستعَانُ.

وَقَالَ الجنيد: الفقر بحر البلاَء، وبلاؤُهُ كُله علم.

وَقَالَ بشرُ بنُ الحارثِ: أفضل المَقَامَاتِ اعتقادُ الصّبرِ على الفقر إلى القبر.

وَقَالَ الشبلي: إنك إن افتقرت إلى دنياك أفقرك إلى مرادِك.

وَقَالَ يحيى بن مُعَاذِ: لا يكونُ الرجل حَكيماً حتى تستجمع فيه ثلاثُ خِصَالٍ: يلحظُ الأغنياء بعين النصيحَةِ، لاَ بعينِ الحسدِ. وَيلحظُ النِّسَاء بعين الشفقة لاَ بعينِ الشهوةِ، ويَلْحَظُ الفقراء بعين التواضُعِ لا بعين التَكبرِ.

وَذُكر عند يحيى بن معاذِ الفقر والغنى، فقالَ: الفضل في التقى، لاَ فِي الفقر ولا فِي الغِنَى.

وَقَالَ بعضهم: كَمَالُ الفقرِ فِي ثلاثٍ؛ فِي الغُربةِ، والصحبَةِ، والفطنةِ. أمَّا الغربةُ: فتنكَسِرُ فيها الشهواتُ. وأمَّا الصحبة: فتحسنُ خُلُقَهُ. وأمّا الفطنةُ: فِيميز مَا يكونُ لَهُ مِمّا يكونُ عليهِ.

---

(١) مضاء بن عيسى الكلاعي الزاهد، كان يسكن راوية ـ من قرى دمشق ـ وصحب سليمان الخواص روى عنه القاسم بن عثمان الجوعي، وأحمد بن أبي الحواري (معجم البلدان ٣/٢٠ ـ ٢١).

وَسُئِل النُّورِيُ عَنِ الفقيرِ الصَّادِقِ، فقالَ: هُوَ الَّذِي لا يتهم الله - عز وجل - فِي الأسبابِ، وَيَسْكُنُ إليهِ على كل حَالٍ.

وَجَرىٰ بين الجنيدِ وَبين أبي العباسِ بن عَطَاء كَلاَمٌ فِي ذِكْرِ الخبر المروي «أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم»[1]، فقالَ ابن عَطاء: ذَاك متعة العِتابِ، فقال الجنيد: إن كانت للأغنياء متعة العتابِ، فللفقراء متعة الاعتذار، يقول لهم ربهم عز وجل: «إني لم أزو عَنْكُمْ الدنيا إهانَةً لَكُمْ».

قَال: وأنشدْتُ:

أَرَى لِي سُؤالي حجَاباً لَديْكَا ... وَشُكْرِي لِمَنِّك مَنّاً عَلَيْكَا

سَأَطْوِي لديك بِسَاطَ السُّؤالِ ... وَأفرشُ للفقر فَرشاً لديكا

وأسكتُ بين يدي خالقي ... كفاني سؤالي: افتقاري إلَيْكَا

سُئِلَ ابن عَطَاءٍ عَنْ نعتِ الفقراءِ، فقالَ: قومٌ أفردهُمُ الحقُ فِي خلقهِ ليفرِدُوهُ فِي تأدِية حَقِهِ.

أَنْشَدَني بَعْضُ المُجَاورينَ بمكة حَرَسَهَا اللَّهُ:

فَاءُ الفقير فناؤهُ لبقائِهِ ... وَالقَافُ قرب محلهِ بلقائِه

وَالياءُ يعلم أنَّهُ عَبْدٌ لَهُ ... فِي جملةِ العتقاءِ مِنْ طلقائِهِ

وَالراءُ رَاحةُ جسمِهِ مِنْ كَدِّهِ ... وَبَلائِهِ وَعَنائِهِ وشقَائِهِ

هَذَا الفقيرُ متى طَلَبْتَ وَجَدْتَهُ ... فِي جُمْلَةِ الأصحابِ مِنْ رُفقَائِهِ

أهْلُ الصِّيانَةِ وَالدِّيَانَةِ والتقى ... يمضونَ قصد الحقِ مِنْ تلقائِهِ

---

(١) روى ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (يدخل فقراء المسلمين قبل أغنيائهم بنصف يوم مقداره ألف عام). (تخريج أحاديث الإحياء ٥٧٩/ الحديث ٦١٥).

بَابٌ فِي ذِكْرِ الجُوْعِ

أَخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ، أخبرنا أبو الحسنِ حِازِمُ بنُ إبراهيم بنِ أحمد المُعَدلُ بِمِصْرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحمَّدُ بنُ مُوْسَى بنِ المأمُونِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ أحمد بنِ منصور، قَالَ: حَدَّثَنَا محمد بنُ خليدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحدِ بنُ زِيَادٍ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ علي بن الأرقم، عَنْ عون بن أبي جحيْفَة، عَنْ أبيهِ قَالَ: أكَلْتُ خبزاً ولحماً ثم أتيت النَّبي ﷺ فتَجَشَّأتُ، فَقَالَ النَّبي ﷺ «أقصر عنا مِنْ جشائك هَذَا، فإن أطولَ الناسِ شبعاً فِي الدنيا، أطْوَلُهُمْ جوعاً يَومَ القِيَامَةِ»[1].

وَقيل: إنَّ مِنْ شرف الجوعِ أنَّ صاحبَهُ محبوبٌ.

وَقَالَ يحيى بن معاذ: جُوع الراغبينَ فتنةٌ، وَجُوعُ التائبين تجربةٌ، وجوعُ المجتهدين كَرَامَةٌ، وجُوع العَابِدِين سِيَاسَةٌ، وجوعُ الزاهدينَ حكمةٌ.

وَفِيمَا يحكى عَن يحيى بن مُعَاذٍ: إنّ للجوعِ أذنين يعقل بِهِمَا عَنِ الله عَز وجل، وأن للشبعِ طغياناً يُعرِضُ عَنِ الله عَزَ وجل.

وَعَنْ أبي سليمانَ قَالَ: مفتاحُ الدنيا الشبع، ومفتَاح الآخرة الجوع.

وَقَال أيضاً: القلبُ إذا جَاعَ وعطشَ صَفَا وَرَقَّ، وإذا شَبعَ وَرَوي عَمي وَبَارَ.

وَقَالَ أيضاً: الجوع مخُ العبادةِ، والحصن الحصين ضَبْطُ اللِّسَانِ، وَحُبُ الدُنيا رَأسُ كُل خطيئةٍ[2].

وَقَالَ أيضاً: عليك بالجوع فإنَّهُ مذلة للنفوسِ، وَرِقة للقلوبِ، وَيُورِثُ العلم السماوِيَّ.

وَقَال كَعْبٌ: أجيعُوا بُطُوْنَكُمْ، وَأظْمِئُوا أكْبَادَكُمْ، وأعروا أجسادَكُمْ، لعلكم تَرَوْنَ رَبَكُمْ بأسْرَارِكُمْ.

وَقَالَ يحيى بنُ مُعَاذٍ: مَا مِنْ عَبْدٍ شبعَ إلا أذهبَ الله منهُ شيئاً لم يدركْهُ بعده أبداً.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي جحيفة، وفي رواية الترمذي: (كُفَّ عنا جشاءك...) كتاب صفة القيامة رقم ٢٤٨٠، وسبب ورود الحديث كما ذكره الترمذي في أول الحديث عن ابن عمر قال: تجشأ رجل عند النبي ﷺ فقال له: «كف عنا». تَجَشَّأ: بتشديد الشين أي يخرج الجشاء من صدره. وهو صوت مع ريح يخرج منه عند الشبع وقيل عنه امتلاء المعدة. ورواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد. وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب (تحفة الأحوذي ٧/ ١٨٢)، (كنز العمال ٣/ ٢٠٠ الحديث ٦١٦٢).

(٢) في الحديث الشريف الذي رواه البيهقي في سننه عن الحسن: حب الدنيا رأس كل خطيئة (الجامع الصغير).

وقال أيضاً: الجوع طعام الله في الأرض، يشبع به أبدانُ المريدينَ، والحكمة جند الله تعالى في الأرضِ، يقوَى بها أبدانُ الصِّديقين.

وقالَ ذُوْ النُونَ: ما شَبِعتُ مِنَ الطعام إلا عصيتُ، أو هممتُ بِمَعْصِيةٍ.

وقَالَ يحيى بن معاذٍ: لو أن الجوع يباع فِي السوقِ، لكَانَ المريدُ محقوقاً إذا دَخَل السُوقَ ألاَّ يشتري غيره.

وَقَال عليُ بنُ الحر لأبي سُليمان: أجدُ قلبي يصلح على الشبع، فقال له أبو سليمان: القلبُ الذي يصلح على الشبع هُوَ على الجوع أصلحُ.

وقالَ عِيْسَى القصارُ: مِنْ أَدَبِ الجُوْعِ أن يكونَ الفقير مُعَانقاً للجوع في وقْتِ الشبع، حتى إذا جاعَ يكون الجوعُ أنيسَهُ.

وقالَ سهل: إذا شبعتم فاطلبُوا الجُوعَ ممن ابتلاكُمْ بالشبعِ، وَإِذَا جُعتم فاطلبوا الشِبع ممن ابتلاكُمْ بالجوع، وإلا تماديتم وطغيتم.

وَرُوي أنَّ النَّبي ﷺ قالَ: «جوِّعوا أكْبَادَكم، واعْرُوا أبدَانَكُمْ، وشعِّثوا رُءُوسكُمْ، وصُبُوا جلبابَ الحزن على أجسادكُمْ، لعلكم ترون ربكم عز وجل بقلوبكُمْ»[1].

وَقَالَ علي بنُ بَكّارٍ[2]: مَنْ خبَّرك أنه يشبع مِنَ الطَّعامِ، فيطيقُ القيامَ، فلا تصدقْهُ.

وَقَالَ أبو سليمان: الجوعُ عندهُ في خزائن مدخر، لا يعطيه إلاَّ لِمَنْ يُحبهُ خاصةً.

ويُقَال: مَنْ شبع شبعة تدخل عليه ستُ آفاتٍ؛ إحداهُنَّ فقدان حلاوة العبادة. والثانية: تعذر حفظ الحكمةِ. وَالثالثة: حرمان الشفقة على الخلقِ، لأنه إذا شبع ظن الخلق كلهم شباعاً. وَالرابعة: ثقل العبادة عليه. والخامسة: زيادة الشهوات. وَالسَّادسة: أن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدرون حولَ المزابل.

وقالَ سَهْلُ بنُ عبد اللّهِ: لاَ يصحُ التعبد لأحدٍ، ولا يخلصُ له عمله، حتى لا يجزع، ولا يفر مِنْ أربعةٍ: الجوعُ، والعري، والذُل، والفقرُ.

وَكَان جعفر بنُ محمدٍ ـ عليه السلام ـ يقول: إذا امتلأ البطن طغى الجسد.

---

(١) لم أجده.

(٢) علي بن بكار، الإمام الرباني العابد أبو الحسن البصري الزاهد نزيل المصيصة، ومريد إبراهيم بن أدهم، قال يوسف بن مسلم: بكى علي بن بكار حتى عمي، وكان قد أثرت الدموع في خديه، وكان فارساً، مرابطاً، مجاهداً كثير الغزو. مات رحمه الله سنة ٢٠٧ هجرية، (سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٨٤، حلية الأولياء ٩/ ٣١٧).

وَقال فضيل بن عياضٍ: خصلتان تقسيان القلب، كثرة النوم، وكثرة الأكل.

وقال بعضهم: من شبع مِنَ الطعامِ عجزَ عَنِ القيامِ، وَمَنْ عجز عنِ القيامِ افتضح بين يدي الخدّام.

ورُوِي أنَّ النَّبي ﷺ قال: أحيوا قُلوبَكُمْ بقلة الضحك، وطَهِرُوهَا بِالجُوع تصفو وترقُ»[1].

وقال سهل بن عبد الله: الشبع رأسُ كل آفة.

وقالَ ذُو النُون: صحة الجسم في قلة الطعام، وصحة الروحِ في قلة الآثام.

وَقال حمدون القصارُ: أصل كُلِ دَاءٍ كثرةُ الأكل، وآفةُ الدِين كثرة الأكل.

ويقالُ: مثل الجوع كمثل الرعدِ، والقناعة كالسحابِ، والحكمةُ كَالمطرِ.

وَقَالَ سَمْنُونُ: رأيتُ إبراهيمَ الخواصَ يَقُولُ: كُلّمَا أزدادُ جُوعاً ازْداد سِمناً.

وكان الفضيلُ يقُول: إلهي، أجعتني وأجعت عِيَالِي، وأعريتني وأعْرَيتَ عِيَالِيْ، وَتَرَكْتَنِي فِي ظلمةُ الليل بِلا مِصْباحٍ، وإنَّمَا تفعل هذا بِأوْليائك فبأي منزلةٍ نَالَ الفضيل منك هَذَا.

وَعَنْ أبي محمدِ الكتاني أنَّهُ قال: جاءني بعضُ الفقراء يبكي، يحكي عن نفسهِ أن له عشرة أيامٍ لم يأكُلْ، فَشَكَا إلى بعضِ إخوانِهِ الجوعَ، قَالَ: ثم مررتُ ببعض الأزقة، فنظرتُ إلى دِرهم مَطرُوحٍ عليه مَكتوبٌ أمَا كَانَ الله عز وجل بجوعك عَالماً حتى قلتَ إني جَائعٌ.

وَقَال بعضهم: خفف مِنَ الطعامِ تَبِتْ بِسَلامٍ.

وَقَالَ رَجل لبعض المشايخ إني جَائع، فقال: كَذَبْتَ، قَالَ: إني جَائِع، قَالَ: كَذَبْتَ قَال: مِنْ أين علمت أني كاذبٌ؟ قَالَ: لأن الجوعَ فِي خزائنه الموثقة العزيزة؛ فلا يطلع عليه من يفشى سره، ولا يعطيه من يشكوه. وعن أبي هريرة قال: «والذي نفسي بيده ما أشبع النبي ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً مَنْ خبز الحنطة حتى فَارَقَ الدنيا».

وَقَال يَحْيى بنُ معاذٍ: الجُوعُ طريق الصديقينَ.

---

(١) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، لكن له شاهد رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة: كثرة الضحك تميت القلب، وعن ابن ماجه: لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلوب، وقال ابن السبكي في طبقاته ٦/ ٣٣٤: لم أجد له إسناداً.

وَعَنِ الحسنِ قَالَ: قَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ الشيطان يَجْري من ابن آدَمَ مجرى الدم، ألا فضيقوا مجراهُ بِالجُوع والعَطش»[١].

وَعَنْ بكر بنِ عبدِ اللَّهِ المزني قَالَ: ثلاثة يحبُهُمْ اللَّه تَعَالَى: رجل قليل الأكل، قليل النوم، قليل الراحةِ. وَثلاثة يبغضهُمْ الله تَعَالى: رَجلٌ كثير الأكل، كثير النوم، كثير الراحَةِ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «إنَّ أهْلَ الجوعِ فِي الدُّنْيَا هم أهل الشبعِ فِي الآخرةِ، وَإن أبغضَ الناس إلى الله سُبْحَانَهُ المتخمون الملآىٰ، وَمَا تَرك عَبْدٌ أكْلَةً يشتهيهَا إلاَّ كَانَتْ لَهُ دَرَجَةٌ فِي الجنةِ»[٢].

وَعَنِ النَّبي ﷺ أنه قَالَ: «مَا مِنْ وِعَاءٍ مُلىء أبغضُ إلى اللَّهِ - عَز وجل - مِنْ بطنٍ مليء مِنْ حَلاَلٍ»[٣].

وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: لاَ يدخل ملكوتَ السمٰواتِ مَنْ مَلأَ بَطْنَهُ، فقيل: يَا رَسُول اللَّهِ أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قَالَ: «مَنْ قَلَّ طَعامُهُ وَضحكُهُ، وَرَضِيَ بِمَا يستر بِهِ عَورتَهُ»[٤].

وَقَال ﷺ: «مَنْ أجَاعَ بَطْنَهُ عَظُمَتْ فِكْرَتُهُ وَفطن قلبُهُ»[٥].

وَعَنْ مَكْحُولٍ أنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: «سيدُ الأعمالِ الجُوعُ، وَذلُ النَّفس، ولباسُ الصوفِ»[٦].

وَعَنْ أبي سعيدِ الخُدْرِي، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «البِسُوا واشْرَبُوا وَكُلُوا فِي أنصَاف البُطُونِ، فإنَّهُ جُزْء مِنَ النبوةِ»[٧].

---

(١) رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس، ورواه الشيخان وأبو داود أيضاً وابن ماجة من حديث صفية. وقوله: (فضيقوا مجاريه بالجوع) لا أصل له. (الجامع الصغير للسيوطي ١/ ٢٧٤ الحديث رقم ٢٠٣٦، تخريج أحاديث الإحياء ١٥٥١ الحديث ٢٣٨٨).

(٢) قال الحافظ العراقي: رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بسند ضعيف، (تخريج أحاديث الإحياء ١٦٠٣ الحديث رقم ٢٤٨٧).

(٣) لم أجده.

(٤) قال العراقي لم أجد له أصلاً، وقال السبكي (٦/ ٣٣٣): لم أجد له إسناداً.

(٥) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، وقال السبكي في طبقاته: (٦/ ٣٣٤) لم أجد له إسناداً.

(٦) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، وقال السبكي: (٦/ ٣٣٤): لم أجد له إسناداً.

(٧) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، وقال السبكي: (٦/ ٣٣٤): لم أجد له إسناداً.

وَعَنِ الحسنِ قَالَ: قَالَ رَسول الله ﷺ: «التفكر نصفُ العبادةِ، وقلة الطعام هي العبادة»[1].

وعَنْ الحسنِ أنَّ النبي ﷺ قَالَ: «أفضلكُمْ منزلة عندِ الله عَز وجلَ أطولَكُمْ جوعاً وتَفَكُراً، وأبغضكُمْ إلى الله ـ عز وجل ـ كُل نَؤمٍ أكُوْلٍ شَرُوبٍ»[2].

وعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «كُل مَنْ شبع وَنَامَ قَسَا قَلْبُهُ» ثُمَّ قَالَ: «إن لِكُل شيءٍ زَكَاةً، وإن زَكَاةَ البدن الجُوعُ»[3].

وَعَنْ عَبد الواحِدِ بن زيدٍ قَالَ: وَالله الَّذِي لاَ إله إلاَّ هُوَ، ما تحول المُتَحولُونَ مِمَّا يَكْرَهُ الله إلى ما يحبُ إلا بالجُوعِ.

وَقَالَ سهل: للجوع مَنَازِلٌ ثلاث؛ جُوعُ طبع وفيهِ مَوْضع العقل، وَجْوع قوةٍ وفيهِ الفسادُ، وَجوع شهوةٍ وَفيهِ الإسرافُ.

وَقيل لِسَهْل: إقبالُ العبد على الله ـ عز وجل ـ في الدُنْيا بالزُهْدِ، فبم إقبال الله ـ عز وجل ـ عليهِ؟ قال: بالجوعِ، والسقمِ، وَالبلاءِ، إلا مَا شَاءَ الله عز وجل.

وَسُئِل سَهل عَنِ الَّذِي لا يأكُلُ أياماً كثيرة أينَ يَذْهَبُ لهبُ الجوعِ؟ قَالَ يطفئه النورُ.

وَقَالَ يَحيى بن مُعَاذ: يَا معشر الصادِقين جوِّعُوا أنفسكُمْ لِوليمة الفرْدَوسِ، فإن شهوة الطعامِ على قدرِ تجويع النفسِ.

وَقيل ليُوسفَ عليهِ السَّلامُ: تجوع وَفِي يدك خزائنُ الأرضِ، قَالَ: أخافُ أن أشبع فأنسى الجائع.

وَقال محمدُ بنُ وَاسِعَ: طُوْبَى لِمَنْ أصبحَ جَائعاً وَأمسَى جائِعاً، وَهُو رَاضٍ عَنْ رَبهِ عَز وجل.

---

(١) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، وروى أبو نعيم في الحلية من طريق سالم بن أبي الجعد وقال: قيل لأم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ فقالت: التفكر. (تخريج أحاديث الإحياء ١٥٩٦).

(٢) أي كثير النوم، كثير الأكل، كثير الشرب.
قال العراقي: لم أجد له أصلاً، وقال السبكي ٦/ ٣٣٤: لم أجد له إسناداً.

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه ابن ماجة من حديث أبي هريرة: لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم. وإسناده ضعيف. وكذا رواه البيهقي، والطبراني، وابن عدي والبيهقي أيضاً من حديث سهل بن سعد، أما الجملة الأولى من الحديث قوله: (كل من شبع...) لم أقف لها على أصل. (تخريج أحاديث الإحياء ١٦٠٤/ الحديث ٢٤٩٣).

وَقال أحمدُ[1]: ما أطعمتُ نفسي طعاماً منذ أربعينَ سنةً؛ إلا وَقْتَ مَا أَبَاحَ الله ـ عَز وجل ـ الميتَةَ.

وَقَالَ مَالك بنُ دينارٍ: ولا تَجْعَلُوا بُطُونَكُمْ جُرُباً للشيطَانِ يُوعي فيها مَا يَشَاءُ.

وقالَ أبو سليمان الدَّارَاني: إذَا أَرَدْتَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيا والآخرةِ، فلا تأكُلْ حَتَّى تَقضِيَهَا، فإن الأكْل يغير العقل.

وَقَالَ الشبلي: ما جعتُ لله ـ عز وجل ـ يوماً إلاّ رأيتُ في قلبي باباً مِن الحكمةِ والعبرةِ مَا رَأيتُهُ قط.

وَعَنْ بشر بنِ الحارثِ قَالَ: المتقلِبُ في جُوعِهِ، كَالمتشحطِ فِي دَمِهِ في سبيل الله عَزَ وجل[2].

وَقَالَ سهل بن عبد الله: مِنْ جَوعَ نفسه لم يقربْهُ الشيطان بإذن الله عز وجل.

وَقَالَ ابنُ عَائشة: أدِيمُوا قرع بابَ الملكِ يفتح لَكُمْ، قيلَ: وكيف نُدِيمهُ؟ قَالَ: بالجوع والظَمَأ.

وَقَالَ رجل لابن سيرين: علمني العبادَةَ، قَالَ: كيفَ تأكُلُ؟ قَالَ: آكُلُ حتى أشبع، قالَ: ذا أكل البهائم، اذهَبْ فتعلم الأكل والشربَ، ثم تعلم العبادة.

وَدَخَل طاووس وأصحابُهُ يوماً على مريضٍ يعودُونهُ، فقال أصحابُ طاووسَ للمريض: كُل شيئاً حتى تقوى، فقالَ لهُ طاووس: لا تأكُلْ، فما خلق الله تعَالىٰ للمريض ولا للصحيح شيئاً خيراً من تركِ الأكل. وَقيل: قلَّةُ الأكل حَيَاةُ النفسِ، وقلة الآثامِ حياةُ الرُوحِ.

وَبَلغنا أن عيسَى ـ عليه السلامُ ـ مَكَثَ يُنَاجِي رَبَهُ ـ عز وجل سنين صَبَاحاً، فلم يأكُلْ، فخطر ببالِهِ الخبز فانقطع عن المُنَاجَاةِ، وإذا رَغيف مَوْضُوع، فقعد يبكي لفقده المناجاةِ، فَإذَا شيخ أظله، فقالَ لَهُ عِيْسَى عليه السلام: يَا وَلِيَّ اللَّهِ، ادْعُ الله تعالى لي، فإنني كُنْتُ في حالةِ فخَطَرَ بِبالي الخبزُ فانقطعَتْ عني، فقالَ الشيخ: اللهم إن كانَ الخبز خَطَرَ ببالي مُنْذُ عرفتك فلا تَغْفِرْ لِي.

وَحُكي أن الله تعالى لما أرَادَ أن يقربَ مُوْسَى نجياً ترك موسى ـ عليه السلام ـ الأكْلَ أربعينَ يومَاً، فَلمَّا جَاءَ موسى للميقات قَالَ لَهُ رَبهُ عَزَ وَجَل: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ

(١) أي ابن أبي الحواري ـ سبقت ترجمته ـ.

(٢) أي المتضرج بدمه.

ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢] . أي: طاوياً. وَمعناهُ: جائعٌ. ثُمَّ قَال الله تَعَالَى: ﴿وأنا اخترتك﴾ لَمَّا رَضِي الله منهُ مِنَ الجوْعِ، وترك الأكْل، نَادَاهُ رَبُّهُ عَزّ وجلَ.

وَقَالَ أَبُو ذرٍ رَضِي الله عَنْهُ: أصل كل برٍ بين السمواتِ والأرضِ الجُوْع، وأصلُ كل فجورٍ بين السمواتِ والأرضِ الشبع.

وعَنْ يحيى بن زَكريا ـ عليهِ السلامُ ـ أَنَّهُ قالَ: سألتُ إبليسَ مَتى أنْتَ أقدَرُ على حَاجتكَ؟ قَالَ: إذَا امتلأ الرجل شبعاً وَرِياً. قيل: فما ملأ يحيى بطنه بعد ذلك، مخَافَة ذلك حتى فارَقَ الدنيا.

وَيُقَالُ: الجوعُ يبرز القلْبَ إلى الحكمةِ، فَإِذَا أبرزَهُ إليهَا جَلتْهُ.

وَيُقَال: مَنْ أرَادَ أن تُطَاوِعَهُ نَفْسُهُ فِي مُخَالفة الهَوى فعليهِ بالجوعِ، وَمَنْ أرَادَ أنْ يُوافقهُ قلبُهُ فِي الإِخْلاَصِ فِي الطَّاعَاتِ فعليه بالجوعِ. وَمَنْ أرَادَ أنْ يَسْهُلَ عليهِ تحمل البلاَيَا فِي الدُّنيا، ويخف عليهِ الحسابُ فِي الآخِرَة، فعليهِ بالجُوعِ.

وَيقالُ: إنَّ بعض الفقراء من الصُوفيّة جَاور عند النَّبي ﷺ فمضى عليه أيامٌ لم يَطعم فيها شيءٌ، فَجاع وضعف عن القيام، فَجَاء إلى قبر النبي ﷺ فقال: يَا رَسُول الله إني جَائعٌ، قَالَ: فمضى ساعةً مِنَ النَّهارِ، وَإذَا جَارِيَةٌ قَدْ دَخَلَتْ وَمعها طيفورِية عليهَا غَضَارَةٌ، وَعَلى رَأسِ الغضارةِ خبز وشيء مِنَ الحلوى فَدَخَلت المسجد، فَقَالَتْ: مَنْ الَّذِي شَكَا جوعَهُ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَخشيتُ أنْ أفتضح فقلت: أنَا فدفعت إليّ الطيفورية فجلستُ وأكلتُ حتى شبعتُ، ثم مضى عليّ أيام فجعت وَضعفتُ، فجئتُ إلى النَّبي ﷺ فشكوتُ إليه جُوعِي، فمضى سَاعَةٌ مِنَ النَّهارِ، وَإِذَا تلك الجاريَةُ قَدْ دَخَلَتْ وَمَعَهَا تلك الطَّيْفورة على الرسْمِ، فقالت: مَن الَّذِي شَكَا جوعَهُ إلى النَّبِي ﷺ؟ فقلتُ: أنَا، فدفَعتْهُ إليّ، فجلستُ وأكَلْتُ حتى شبعتُ، ثم مضت عليّ أيامٌ، فجعت وضعفت، فَدنوتُ مِنَ القبرِ وقلتُ: يَا رَسُوْل الله، إني جائعٌ، فَإِذَا هَاتفٌ يهتف بِي ويقولُ: هَذَا مَوْضِعُ الجائعين، إنْ قدرت على الجوع وإلا فاخرجْ من جَوارِنَا.

باب فِي ذِكْرِ الشَّهَوَاتِ ومخالفة الهوى

أخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا القَاسم عَبْدُ اللَّهِ بنُ الحَسَنِ بنِ بَالَوَيْهِ الصُّوْفِيّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللَّهِ البصْرِيُّ. قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ مُعَاذٍ السُلمي، قَالَ: حدثنا القاسمُ بنُ الحكَمِ، قَال: حَدَّثَنَا عبيدُ الله بنُ الوليدِ الوصَّافِي، عَنْ محمد بن سوقة، عن الحارثِ بن علي عليهِ السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ اشتاقَ إلى الجنةِ سارَعَ إلى الخيراتِ، وَمَنْ أشفق مِنَ النارِ لَهَا عَن الشهواتِ، وَمَنْ تَرَقَّبَ الموتَ لَهَا عَنِ اللَّذَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ المَصيبَاتُ»(١).

وَحَدثنا أَبُو سعدٍ قَالَ: سمعتُ محمد بن أحمد الحافظ ـ وَكَانَ عنده بِإِسْنادِهِ ـ قَالَ: كَانَ إبراهيمُ بن شيبانَ يقولُ: مَا بتُ تحت سقفٍ، ولا فِي موضعٍ عليه غلق أربعينَ سنَةً، وَكُنتُ في أوقاتٍ أشتهي تناولُ شبعة عَدسٍ، فكنت بالشَامِ فِي مسجدٍ، إذْ دَخلت عَليّ عَدَسيه فِي غضارة، وَمعهَا خبز، فتناوَلت مِنْ ذلكَ، ثم خَرَجْتُ فرأيتُ قوارِيرَ معلقة فيها شيءٌ ظَنَنْتُهُ خَلاً، على رَسْمِ العراقِ انموذجات، فَقَالَ لِي: بعضُ الناسِ مَا لك وَلَهَا إنما هي خَمرٌ، قلتُ: قَدْ لَزِمَنِي شيء، فدخلتُ حَانوتَ الخمّار وجعلتُ أكْسُر تلك الجباب والرجل يَنْظُر إليَّ لأنَّه كَانَ صَاحب السلطانِ، ظن أن السلطانَ أمر بِهِ فقصد السلطان، فَحُمِلْتُ إلى ابن طولون، فلما أدخلت عليهِ أمَرَ لِي بمائتي خشبةٍ وَأودعت في السجنِ، فَدَخَل صاحب المغرب على أبي عبد الله المغربي، وكانَ ابن شيبان تلميذَهُ، فقالَ أبو عَبْدِ اللَّهِ لذلك السلطان: مَا أصنع ببرك وابني بمصر في السجن، فكتب من ساعَتِهِ إلى ابن طولونَ في أمرِهِ، فأخرج ابن شيبانَ من السجن واعتذر إليهِ، فأتى أبا عبد الله المغربيّ زائراً، فقال لهُ: يا إبراهيم: مَا صَنعت؟ قَالَ: شبعة عَدْس، قَالَ: وَمَا صَنعت بك؟ قَالَ: مائتي خشبة، نجوت مجاناً حين نجوت من قضاء شهوة وشبعة عَدْس بسجن أربعة أشهر ومائتي خشبةٍ.

---

(١) قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث علي، انتهى. وكذلك البيهقي، وتمام، وابن عساكر، وابن النجار مرفوعاً من حديثه، وأما صاحب الحلية فأورده من طريق خلاس بن عمرو عنه مرفوعاً بلفظ: وللصبر أربع شعب الشوق والشفقة والزهادة والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات. قال: ورواه كذلك الأصبغ بن نباته عن علي مرفوعاً، ورواه الحارث عن علي موقوفاً مختصراً، ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله، ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله (تخريج أحاديث الإحياء الحديث رقم ٣٦٢٧).

قَالَ بعض الحكماء: كمون الشَّهواتِ في القلب ككمون النار في الحجر.

وَقَال أَبُو يعقوب النهرجورِي: أصلُ السياسة قلة الطعام، وقلة النوم، وترك الشهوات.

وَقال سَرِي: لن يكمل عبدٌ حتى يؤثر دينهُ على شهوته، ولن يهلك عَبْدٌ حتَّى يؤثر شهوته على دينه.

وَعَن الحسن بن محمد قالَ: قَالَ رجل لشيبان بن علي المصري: إني أريد أن أحج على التجريد، فقال: جرد أولاً قلبك مِنَ الشهوة، ونفسك من اللهو، ولسانك من اللَّغْو، ثم اسلك أين شئت.

وَقَال بعضهم: الشهوات زِمام الشيطان، فمن أخذ بزمامه صارَ دابتَهُ مَا دَامَتْ نفسه باقية في الدنيا.

وَقَال أبو سعيد المقبري: مفتاح السلامة كَظْمُ الغيظ، ومفتاح الظفر ترك الشَّهوة.

وقيل ليحيى بن معاذٍ: مَا عَلاَمَةُ الإصَابةِ؟ قَالَ: مُخَالفة النَّفْسِ، قِيلَ: مَا عَلاَمَةُ مُخَالَفةِ النفس؟ قَالَ: تَرْكُ شهوتها. قيل: مَا سبب الذَّنْبِ، قَالَ: شهوة النفس.

وَقَالَ أبو سليمانَ الدَّارَاني: من أحسن في ليله كفي في نهاره، وَمَنْ أحسن في نهارهِ كفي في ليله، وَمَنْ صدق في ترك شهوةٍ كفي مؤونتها، وَكَانَ الله تعالى أكرمَ من أن يُعَذب قَلْباً ترك شهوةً من أجْلِ نَفْسه.

وَقَالَ الحسنُ: مكتُوب في التوراةِ خمسة أحرفٍ: إن الغنى فِي القَنَاعَةِ، وإن السلامَةَ فِي العُزلةِ، وَإنَّ الحريةَ فِي رَفض الشهواتِ، وَإنَّ المحبَةَ فِي ترك الرَّغْبَةِ، وإن التَّمَتُّعَ فِي أيامٍ طويلة في الصبر في أيامٍ قَلِيَلَةٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: أرْبَعٌ مَنْ كُن فيهِ فقد عصمَهُ الله تعالى مِنَ الشيطانِ، وحرمَهُ على النار، مَنْ مَلك نفسه عند الرَّغبةِ، والرهبةِ، والحدةِ، والشَّهوةِ.

وَقَالَتِ امرأةُ العزيزِ ليوسفَ عليهِ السَّلام: إنَّ الصبر والتقى صَيّر العبيد مُلُوكاً، وإن الحرصَ والشهوة صير الملوك عبيداً.

وَقَال أبو الأشهب[1]: أوحى الله تعالى إلى دَاوُدَ عليهِ السلام: «يَا دَاوُد، حذِّر وأنذر

(١) هو الإمام الحجة جعفر بن حبان العطاردي البصري، الخراز، الضرير، من بقايا المشيخة، قيل: إنه ولد سنة سبعين من الهجرة. ومات في سلخ شعبان سنة ١٦٥ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٨٦، شذرات الذهب ١/ ٢٦١).

أصحابك أكلَ الشهوات، فإن القلوب المعلقة بشهواتِ الدُّنيا عقولها مَحْجُوبةٌ».

وَقَالَ وُهيبُ بنُ الوردِ: خلق ابن آدمَ والخبزُ مَعَهُ، فَمَا زَادَ على الخبز فهو شهوةٌ، فحدث به أبو سليمان، فقالَ: صدق الملح مع الخبز شهوة.

وَيقال: مَا تخلى قلب عن طلبِ الشهواتِ؛ إلا استنار بأنوارِ المعرفةِ.

وَقَالَ أيضاً: ما تخلى قلب عن ظُلَمِ الشهوات؛ إلا استنارَ بأنوار المعرفةِ.

وَعَن الشبلي أنه قال: كنتُ أسير في البادِيةِ، فإذَا أنَا برجل جَالِسٍ فِي الهَوَاء، فقلتُ لهُ: بحق الذي أعلاك على ما أرى بِمَ وَصلت إلى هذا؟ فقال: لم خَلَّفْتَنِي، أنا رَجل انتهيت عن الهوى، فاجلسني في الهواء كما ترى.

وسُئل الجنيد: كيف الطريق إلى الله عز وجل؟ فقال: اترك الدنيا وقد نلت، وخالف هواك وقد وصلت.

وَقَالَ أبو محمدٍ الجريري: محاربة العارفين مع الخطراتِ، ومحاربة الأبدال مع الفكَرَاتِ. ومَحَارَبَةُ الزُهاد مع الشهواتِ ومحاربةَ التوابين مع الزلات، ومحاربة المريدين مع المُنَى واللذات.

سُئِل رُويم عن الغازي؟ فقال: الذي غزا عقله هواهُ.

وَقال محمد بن الفضل: عجبت لمن قطع البوادِي والمفاوزَ حتى يصل إلى بيته وحرمه، لأنّ فيهِ آثار أنبيائه وَأوليائه، كيف لا يقطع نفسه وهواهُ حتى يصل إلى قلبه؛ لأن فيه آثار مولاهُ، قَالُوا: فانشقت مَرارة أربعة ممن سمعوا هذا الكلام فماتوا.

قال: وأنشدوني:

ومِن البلاء وللبلاءِ علامَةٌ	أن لا يُرَى لك عن هواك نُزُوعُ
والعبد عند النفس في شهواتها	والحر يشبع مرةً ويجُوعُ

وَذُكِر عن حوشبٍ أنه قال: لو عرضت للمؤمن ألفُ شهوةٍ، لأخرجها بالخوف، ولو عرضت للفاجر شهوة واحدة، لأخرجته مِنَ الخوف.

وَيُقَال: لاَ تَدع زمامك في يدي هواك، فإنه يقودك إلى الظُلمة، لأنه خلق مِنَ الظُّلْمة.

ويقال: نورُ المؤمن كالمصباحِ في الزُجاجة، تضيء في الملكوتِ إذا كانَتْ نفسه مدبوغة بترك الشهوات.

ويقال: حد بنفسك عن تدبير شهوتها عاجلاً وآجلاً، حتى تعيش عيش الأحباب في العاجل، بذكره في معرفتهِ، وتعيش عيش الأبرارِ في الآجل، برؤيته في مقعد صدقٍ.

وَقيل: طولُ الأمل متصل بالشهوة، والشهوة متصلة بالشبع، والشبع متصل بالشُّبهة، والشبهة متصلة بالحرامِ، وَالحرَامُ متصل بالنارِ.

وقالَ ابن عطاء: من لم يكن في قلبهِ من أمر الآخرة ما يشغله عن أمر الدنيا، لا يقوى على تركها.

وقال يوسف بن أسباط: لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوقٌ مُقلقٌ.

وقال بعض المشايخ: الغنى قلة تمنيك، والرضَا بما يكفيك، والغنى رَفضُ الشهَوات.

وَقال كعب: إنا نجد أن الله تعالى يقول: «بعداً وسحقاً لعبد الذهب والفضةِ، وعبد الشهوةِ وعبد الدنيا ومؤثرِهَا».

وقال علي بن أبي طالب ـ عليهِ السلام ـ لابنه الحسنِ: «النجاةُ في ثلاثٍ: الهُدى، والتقى، وترك الهوى».

وقال إبراهيمُ الخواصُ: من ترك شهوةً فلم يَجِدْ عوضها في قلبه، فهو كَاذبٌ في تركهَا.

وسُئل رُويم عنِ الشهوة الخفية، فقالَ: التي لا تظهر إلا مع العمل.

وسُئل سفيان عن الشهوة الخفية، فقالَ: أن تأتي البرَّ بالشهوةِ. وقالَ: من أعطى بدنه مناهُ فقد أعطى عدوه مناهُ.

وَرُوي عن النوري أنه قالَ: الشهوة الخفية أن يكون الرجل يشتهي الشيء ممَّا يكْرَه الله تعالى فلا يتركُهُ.

وعَنْ جَعفر بن محمدٍ الخلدي ـ رضي الله عنه ـ قال: دَفَعَ إليّ الجنيد درهماً وأمرني أن أشتري له به التين الوزيري، فاشتريتُ وجئت بهِ، فوضع تينة في فمهِ على أن يفطر عليها، ثم وَقع عليه البكاء، فأخرجها من فيهِ وأخذ الكوز فغسل فمه، فقلت: ما لك يا شيخ؟ فقال الجنيد: كنت أشتهيها منذ ثلاثين سنة فما أكلتها، فلما كَانَ اليوم غلبتني نفسي لشهوتها، فلما وضعتها في فيّ فإذا بهاتف يهتف: أمَا تستحي، تركتَ أكلها من أجل الله عز وجل، ثم تعود إليها، فأخرجتها من فيّ.

وَرُوي أن رسولَ الله ﷺ قَالَ: «يَا أبا هريرة، إنما ينجو الناسُ من النارِ يومَ القيامَةِ بما تركوا من شهواتِ الدُّنيا، وَأَصَابُوا الجنة بما تركُوا من الحلالِ فضلاً عن الحرَامِ»(١).

وَقَالَ أبو يزيد: كنت يوماً في المكتب، فقمت لأمحُوَ لَوْحي من الدرس، فإذا أنا بشيخ حسن الشيبة عليه ثيابٌ خضر، فوقع لي أنه الخضر عليه السلام، فدنا مني ومسح يده على رأسي، وقال: يا أبا يزيد، مَا الَّذي تصنعُ؟ قلتُ: أمحُو لوحي من الدرس، فقالَ: يا أبا يزيدُ، وَمَا ينفع محو اللوحِ مِنَ الدرسِ، أُمحُ شهوة النفس عن النفس.

قال ومما قيل في الهوى:

إن الذي علق الهوى بفؤادهِ ... كمنوّط بين السماء مُعَلَّقِ
لا يستطيع نزوله لِشِفَائِهِ ... لكن إليه كل هَمٍّ يرتقى
إن الهوى لهو الهوان بعينه ... ما ذاق طعم العز من لم يتَّقِ

وفي معناه أيضاً قيل:

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه ... فإذا هَوَيتَ فقد لقيتَ هَوَانا
وإذا هوَيت فقد تعبَّدك الهوى ... فاخضع لإلْفِكَ كائناً من كَانا

لمجنون بن عامر:

تجنبت ليلي أن يلجَّ بِيَ الهوى ... وهيهات كان الحُبُ قبل تجنبي
وقيل: إن لِهٰذا الهوى هوانٌ ولكنْ ... نَقَّصُوا مِنْهُ فِي الكتابة نونَا
وقيل: نُونُ الهوانِ من الهوى مَسْرُوقةٌ ... وَصَريع كُل هَوىً صريعُ هَوَانِ

(١) لم أجده.

بابٌ فِي ذِكْرِ الإخْلاَصِ

أخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنُ قُرَيش الريُونجي، قَالَ: حَدَّثَنا عليُ بنُ سعيدٍ العسكري، قَالَ: حَدَّثَنا محمد بنُ إدريسَ الرازي، قال: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، قَالَ: حدثنا أبي، عن مسعر، قال: حدثنا طلحة بن مصرف اليماميُ، عَنْ مصعب بن سعدٍ، عن أبيهِ، قال: ظن أبي أن له فضلاً على من دُونه من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنما نصر الله ـ عز وجل ـ هذه الأمة بضعفائها، وَدَعوتهم، وإخلاصهم، وصَلاَتِهِمْ»[1].

وَرُوي عن الحسن[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: الإخلاص سِرٌ مِنْ سري استودعته قلب [من] أحببت مِنْ عِبَادِي»[3].

وَقال السوسيُ: الإخلاصُ فقد رؤية الإخلاص؛ لأن من شاهَدَ إخلاصه في الإخلاص، فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

وقال سَهْلٌ: الإخلاصُ أن يكون سكون العبد وحركَاته لله ـ عز وجل ـ خَالصاً.

ويقال: الإخلاص ترك ما يعقب الوسواس.

وقال إبراهيم بن أدهم: الإخلاصُ صدق النية مع الله تعالى.

وَكَانَ رجل يخرجُ في زِي النساءِ، ويحضر موضعاً فيه عرسٌ، أو مأتم تجتمع فيه

---

(١) حديث (إنما نصر اللهعز وجل هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم) قال الحافظ العراقي: رواه النسائي، وهو عند البخاري بلفظ (هل تنصرون وترزقون إلاّ بضعفائكم) وهو في الحلية لأبي نعيم من طريق عاصم بن علي بن محمد بن طلحة بن مصرف عن أبي عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ: (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها بدعواتهم وصلواتهم وإخلاصهم). (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٨٣٢).

(٢) أي الحسن البصري.

(٣) قال الحافظ العراقي: رويناه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلاً، يقول كل واحد من رواته: سألت فلاناً عن الإخلاص قال: . . .، وهو من رواية أحمد بن عطاء الجهيمي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسين عن حذيفة عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى، وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد، ورواه أبو القاسم القشيري: في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف (تخريج الأحاديث الإحياء صفحة ٢٤٠٣).

النساء، فاتفق أنه حضر يوماً موضعاً فيه مجمع للنساء، فَسُرقت دُرة، فَصَاحُوا أن أغلقوا البابَ حتى نفتش، فَكَانُوا يفتشُون واحدةً واحدة حتى بلغت النوبة إليه وإلى امرأةٍ، فدعَا الله تعالى بالإخلاصَ، وقالَ: إنْ نجوتُ مِنْ هذهِ الفضيحة لا أعودُ إلى مثل هَذَا، فوجدت الدرة مَع تلك المرأةِ، وَصَاحُوا أنْ اطلقُوا الحُرَّة فقد وجدنا الدُّرَّة!

وَقَالَ يحيى بن معاذ: الإخلاصُ يميز العمل من العيوبِ كتمييزِ اللبن من الفرث والدَمِ.

وَقَالَ ابن عطاءٍ: الإخلاصُ مَا خلص من الآفات.

وسُئِل سهل: أي شيء أشد علي هذه النفس؟ فقالَ: الإخلاص، لأنه ليسَ لها فيه نصيب.

وَقَال سهل أيضاً: الإخلاص من الإجابة، فمَنْ لم تكن له إجابة فَلاَ إخلاص له.

وَقَالَ محمد بن الفضل: العلم ثلاثة أحرفٍ؛ عين ولامٌ وميمٌ. فالعين العلم، واللام العمل، والميم المخلص لله عز وجل بعلمه وعملهِ.

وقال رُويم: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن الفعل.

وَعَنه أيضاً قال: الإخلاصُ في العمل، هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين.

وَقَالَ أبو عثمان: الإخلاصُ نسيانُ رؤية الخلق، بدوام النظر إلى الخالِق.

وسُئِل بعضهم: مَا الإخلاصُ؟ فقال: أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده، ولا ملك فيكتبه.

وَعَنْ همام بن الحارثِ قال: سألتُ الجنيد بن محمد عن الإخلاص، فقال: ما أريد به الله، أي الأعمال كان.

ويقال: الإخلاص ما استتر من الخلائق، وصفا من العلائق.

وقال الحارث بن أسد: الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الحق جَلّ جلالُهُ.

قال وأنشدت لبعضهم:

يلبس الله في العلانية العبد ... الذي كان يخفي في السَّرِيْره

حسناً كانَ أو قبيحاً سيُبدي ... كل ما كان ثَمَّ مِنْ كُلِّ سِيرَةْ

فاستح الله أن تُرائيَ للنا ... سِ فإن الرياء بِئْس الذخيره

قالَ: وَقَال حُذيفة المرعشي[1]: الإخلاصُ أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن.

ويقال: من أخلق استوحش، ومن استوحش تفرد، وَمَنْ تفرد تجرد، ومَنْ تجردَ استراح وَمَن استراحَ زهد في المباح.

وَقَال الفضيل بن عياضٍ في قوله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] قال: أصوبُ وأخلص.

وقال ذُو النون: العلم موجود، وَالعمل بالعلم مفقود، والعمل موجود، والإخلاص في العمل مفقود، والحبُ موجود، والصدق في الحب مفقودٌ.

وقال أيضاً: الإخلاصُ لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليهِ، والصبر لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليهِ.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول؛ فإن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «يا مُعاذ، أخلص العمل يجزك منه القليل»[2].

وقال أبو سليمان: إن خالص الأعمال قليل.

قال أحمد: فحدثت به سليمان، فقال: من أكثر خالص الأعمال. قال أحمد: إنما أراد سليمان أن بعض ذلك القليل كثير.

وسئل سهل بن عبد الله عن الإخلاص، فقال: كما أخذت دينك من مولاك، لا تعط دينك سوى مولاك.

وسئل بعض الحكماء: ما الإخلاص؟ قالَ: أن لا يشهد على عملك غير الله.

وقال الخواصُ: مِنْ شرب من كأس الرياسة، فقد خرج من إخلاص العبودية.

ويقال: في إخلاص ساعة نجاة الأبد، والإخلاص عزيز.

---

(١) حذيفة بن قتادة المرعشي، أحد الأولياء، صحب سفيان الثوري وروى عنه، قال رفيقه يوسف بن أسباط - مرت ترجمته -: سمعته يقول: لو أصبت من يبغضني على الحقيقة في الله لأوجبت على نفسي حبه. وعنه قال: جماع الخير في حرفين: (حِلُّ الكسرة، وإخلاص العمل لله). (سير أعلام النبلاء ٩/٢٨٣، حلية الأولياء ٨/٢٦٨).

(٢) قال السبكي: ٧/٣٧٩: قول علي لم أجد له إسناداً.
وقال الحافظ العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص، وابن حاتم، والحاكم، وأبو نعيم في الحلية من حديث معاذ قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قلت أوصني فقال: أخلصْ دينكِ يكفكَ القليل من العمل. وقال الحاكم: صحيح، وتعقبه الذهبي.

وقال المرتعش: تصحيح المعاملات كلها بشيئين؛ الصبر والإخلاص، الصبر عليه والإخلاص فيه.

ويُقَال: المخلص إذا أرسل قلبَهُ إلى الله ـ عز وجل ـ سكَنَ، وإذا أرسله إلى الناس هَرَب.

ويقال: العلمُ بَذْرٌ والعَمَلُ زَرْع، وَمَاؤهُ الإخْلاَصُ.

وَقَالَ يُوسفُ بن أَسْبَاطٍ: علامَةُ الإخلاص عشرة أشياء: إخراجُ الخلق مِنْ مُعَامَلة الخالِقِ، والتفردُ بِعَمَلِ الخَالِقِ دُونَ النظر إلى الخَلاَئِقِ، وَزِيادَةُ الإيمان على اختلافِ، وكثرةُ الذِكْرِ مَعَ قلةِ النِسْيَانِ، وإيثار طاعة الرحمن ـ عَزَ وجل ـ على طاعة غيره، واستشعارُ الخوف، والخشية في الطاعات، وَصفاء الذِكْرِ على أنَّهُ مَطلوبٌ بفعله مِنْ بين البَشَرِ، وطولِ السير في المُجَاهَدَاتِ.

وَقَالَ أبو علي: دَخَلتُ على سَهْل يَوْمَ جمعةٍ قبل الصلاةِ، فرأيتُ في البيتِ حَيةً، فجعلتُ أقدم رجلاً وأُؤَخِّرُ أخرى، فقال لي سهل: ادْخُل، أيمَا أحسنُ: أنسنا بها أوْ أنسها بِنَا، ثم قَال: لا يبلغ العبد حقيقة الإيْمَان وعلى وَجْهِ الأرضِ شيء يخَافه. ثُمَّ قَالَ: هَل لك إلى صلاةِ الجمعة؟ قلتُ: بيننا وبين المسجد مَسيرة يَوْم وليلةٍ، فأخَذَ بيدي، فَمَا كَانَ إلا قليلاً حتى رأيتُ المسجد، فدَخلنَا وَصَلينا الجمعة، ثُمَّ خرجنا فَوقَفَ يَنْظُر إلى الناسِ وَهُمْ يخرجون مِنَ المسجد، فقال: أهلُ لا إله إلا الله كثيرٌ، والمخلصون منهم قليْلٌ.

وَقَالَ بعضهم: ينبغي للمريدين أن تكون فيهم ثلاث خصالٍ: ترك الآفات، وإخلاصُ الطَّاعاتِ، وانتظارُ الكَرَامَاتِ.

وَعَنْ عَطية في قوله عز وجل: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] قَالَ: أخلص لله تعالى إخلاصاً.

وَعَنْ أبي ثمامة قَالَ: قَالَ الحواريون لِعِيْسَى ابن مَرْيم عليهِ السَّلاَمُ: مَا الخالصُ من الأعمالِ؟ قَالَ: «الَّذي يَعْمَل العمل لله تعالى، لا يحبُ أن يَحْمِلَهُ عليه أحدٌ».

وَقَالَ ذُوْ النون: اعلموا أنه لا يصفو للعَامِلِ عَمَل إلا بالإخلاصِ، فمن أخلص لله تعالى لم يرجُ غير اللَّهِ تعالى، واعملوا لله لا قبولَ لعملٍ يرادُ بِهِ غير اللَّهِ تعالى، فَمَنْ أرَادَ طريقاً قريباً إلى الإخلاص فلا يُدْخِلَنَّ فِي إرَادَتِهِ أحداً غير الله تَعَالَى.

وَعَنْ حفصٍ عَنْ شَمْرٍ قَالَ: يؤتَى بِالرّجُلِ يَومَ القيامَةِ للحسابِ، وفي صحيفته أمثالُ الجبالِ، فيقول له رَبُ العزة جل جلاله: «صليتَ يَومَ كذا وَكَذا ليقال صَلَّى فلانٌ، أنا الله

الَّذِي لا إِلٰه إلاَّ أنا، لي الدينُ الخَالِصُ، صُمْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ليقالَ صَامَ فُلانٌ، أنا الله الَّذِي لا إله إلا أنا لي الدين الخَالِصُ، تَصَدَقْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ليقال تَصَدَّقَ فُلاَنٌ أنَا اللّه الذي لا إله إلا أنا لي الدين الخالصُ» فلا يَزالُ يعد شيئاً بعد شيءٍ حتى تبقى صحيفتُهُ مَا فيها مِنْ شيءٍ، فيقول ملكاه: يا فُلاَنُ ألغير الله كنت تَعْمَلُ؟!

وَقَالَ ابنُ عَطاءٍ: الإخلاصُ حفظ السِّر مع الحق.

وَقَالَ الجنيدُ: الإخلاصُ تصفية الأعمالِ مِنَ الكُدُوْرَاتِ.

وَعَنْ معروف الْكَرْخي أنَّه قالَ لنفسِهِ: يَانَفْسُ أخلصي وتخلصي.

وَقَالَ يَحْيَى بنُ معاذٍ: العمل يحتاجُ إلى خصالٍ ثلاثٍ: العلم، والنية، والإخلاصُ.

ورُوِي أنَّ النَّبي ﷺ سُئِل عن الإخلاص، فقال: «أنْ تَقول: رَبي الله ثم تَستقيم كما أُمرتَ»[1].

وقال النَّبي ﷺ: «مَا مِنْ عبدٍ يخلصُ العبادة للّهِ ـ عز وجل ـ أربعين يوماً، إلا ظهرت يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قلبِهِ على لِسَانِهِ»[2].

وَقَال الفضيلُ: ترك العَمَلِ مِنْ أجل الناسِ رِيَاء، والعَمَل من أجل الناسِ شِرْك، والإخْلاصُ أن يُعَافيك الله ـ عز وجل ـ منهما.

وسُئِلَ الجنيدُ عَنْ الإخلاص، فقال: فناؤك عن الفعل، وَارتفاع رؤُيتك عَنْهُ.

وسُئل مرةً أخرى عن الإخلاص، فقال: إخْرَاج الخلقِ مِنْ مُعَامَلَة الله تعالى، والنَّفْسُ أولُ الخلق.

وَقَالَ أبو عثمان: إخلاصُ العمل هو صدق النية مع الله سبحانه.

وَقَالَ المؤمِلُ: صيانة الإخلاص وحفظه أشد من الإخلاصِ.

وَقَالَ سهل: لا يَكْمُل العبدُ حتى يَصل عَمَلَهُ بالخشيةِ، وفعله بالورَعِ، وَورَعَهُ

---

(١) عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك قال: (قل آمنت بالله ثم استقم. قال: قلت: فما أتقي فأومأ بيده إلى لسانه) رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وهو عند مسلم دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان. وعند النسائي بلفظ: (قل ربي الله ثم استقم).

(٢) قال الحافظ العراقي: رواه ابن عدي، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات. ورواه في الحلية من طريق مكحول، والقشيري في الرسالة بلفظ: (ما أخلص عبد قط أربعين يوماً) الحديث وله شاهد من حديث ابن عباس، رواه القضاعي في المسند، (تخريج أحاديث الإحياء ٢٤٠٧ الحديث ٣٨٣٢).

بالإخلاصِ، وإخلاصَهُ بالمُشَاهدةِ، والمشاهدة بالتبري عَمَا سِوَاهُ.

وقِيل: الإخلاصُ دوام المراقبَةِ، وَنِسْيَانُ الحُظُوظِ كلهَا.

وَقَالَ ذُو النون: الإخلاصُ ما خَلُص مِنَ العدو أن يفسده.

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عبدِ اللَّهِ: خير الناسِ المؤمنون، وخير المؤمنين العلماء الخائفون، وَخير الخائفين المخلصون الذين وصَلُوا إخلاصهم بالمَوْتِ.

وقَالَ: لاَ يعرفُ الرياء إلا مخلص.

وَقَالَ السُوْسي: الإخلاصُ هُو مُرَادُ الله تعالى مِنَ الأعمالِ.

وقال الجنيد: إن لله تعالى عِبَادَاً عَقَلُوا، فلما عقلوا علموا، فلمّا عَلموا عَمِلُوا، فلمّا عَملوا أخلصوا، فلما أخلصوا استدعَاهُمْ الإخلاص إلى أبواب البِرّ أجْمَعَ.

وَقَال أبو الحسن: إذَا أبغض الله ـ عز وجل ـ عبداً أعطاه ثلاثاً ومنعه ثلاثاً: أعطاهُ صحبة الصالحين، ومنعه القبول منهم، وأعطاهُ الأعمالَ الصالحة، ومنعهُ الإخلاصَ فيهَا، وأعطاهُ الحكمة، ومَنَعهُ الصِّدْقَ فيهَا.

وَقَالَ أبو عثمان: الإخلاصُ أن تُوحد الله تعالى بلسانك، وقلبُكَ يُصدق لسانك.

وَقَال الجنَيد: أول ما يُبدَأُ مِنَ الإخلاصِ في حال الأولياء، خلوصُ سَرَائرهِمْ وَهممهم وَإرادتهم، ثم خُلُوصُ أفعَالهم، فمن لم يخلص سرهُ لا ينالُ الصفاء في فِعْلِهِ.

وَقَالَ مُحمدُ بنُ سعيدِ المَرْوَزِي: الأمر كله يرجع إلى أصلين؛ فعل مِنْهُ بك، وفعل منك لَهُ، فترضَى ما فعل، وتخلص فيما تَعْمَلُ، فإذا أنتَ قَدْ سَعِدْتَ بِهَذَيْنِ وفزتَ فِي الدَّارين.

وَسُئِلَ الجنيدُ عَن الإخلاص، فقال: فرضٌ في فرضٍ، وفرضٌ في نَفْل.

قال أبو سعد الواعظ: مَعناهُ ـ وَالله أعلم ـ: أن الإخلاصَ فرضٌ في الأعمال المفروضة، ثم النوافل غير مفروضة، فإذا دخل العبد فيها فُرض عليهِ الإخلاصُ فيها، وإلا فقد أشرك.

قال وأنشدونا في معنى الإخلاص:

وإنَّ امرءاً لم يَصْفُ لِلَّهِ قَلْبُهُ ... لَفِي وَحْشَةٍ مِنْ كُل نَظْرَةِ نَاظِرِ!

وَإن امرءاً لَمْ يرتَحِل ببضَاعَةٍ ... إلى دَارِهِ الأخرى فليس بِتَاجِرِ!

وإنَّ امرءاً ابتاع دنيا بِدِينهِ ... لمنقلبٌ مِنْهَا بصفقة خَاسرِ!

بَابٌ فِي ذِكْرِ مُطَالبةِ الصِّدْقِ

أَخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أخبرَنَا أَبُو بَكْرٍ محمد بن جُبَيْرٍ النَّسَوِيُّ، قَالَ: أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسين البري، قال: حدثنا إسحق بنُ إبراهيم الحنظليُّ، قال: حدثنا جرير، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أبي وَائل، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، والبِرُ يَهْدِي إلى الجنةِ، وإنَّ الرجل ليصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صديقاً، وإنّ الكَذِبَ يَهدي إلى الفجور وإن الفجور، يَهدي إلى النَّارِ، وإنّ الرجُلَ لَيَكْذِبُ حتى يُكتبَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَذَابَاً»[1].

وَعَنْ مُحمَّد بن عبد الله قَالَ: سمعتُ بشر بن الحارثِ يقولُ: مَنْ عَامَل اللّهَ تَعَالَى بالصِّدْقِ اسْتَوْحَشَ مِنَ الناسِ.

وَقَالَ أبو عبد الله الرملي: رَأيتُ منصور الدينَوري فِي المَنَامِ، فقلتُ لَهُ: مَا فعل اللَّهُ بِكَ؟ فقال: غفر لي ورحمني وأعطَانِي مَا لَمْ أُوَمِّل، فقلتُ. أَحْسَنُ ما توجَهَ الْعَبْدُ بِهِ إلى اللَّهِ عز وجل ماذا؟ فقال: أحسن ما توجه العبد به إلى الله ـ عز وجل ـ الصدقُ، وأقبح ما تَوَجَّهَ بِهِ إليهِ الكَذِبُ.

وَقَالَ أبو سليمان الدَارَاني في كَلاَمٍ لَهُ: اجعل الصدق مَطيتك، والحقَّ سَيْفَكَ، وَاللَّهُ تَعَالى غاية طِلْبَتِكَ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ وَاسِعٍ: لا يكونُ الصّادقُ صَادِقاً حتَّى يرى أن الذِي بِهِ يَنْجُو بِهِ يَعْطَبُ.

وَسُئِلَ بعضهم: مَا عَلاَمَةُ الصدقِ لمنْ عَامل اللَّهَ بِهِ؟ فَقَالَ: عَلاَمَتُهُ أنْ يكون فَارِغاً مِن كُل شغلٍ دُونَهُ.

وقال ابنُ عباسٍ رَضِي اللّهُ عَنهُ: «أربع مَنْ كُنّ فيهِ فقد رَبح: الصِّدْقُ، وَالحَياء، وَحُسْنُ الخُلُق، والشكْر».

وَقَالَ رَجُلٌ لحُكَيْمٍ: مَا رَأَيْتُ صَادِقاً؟ فَقَالَ لَهُ: لو كنتَ صَادِقاً لَعرفتَ الصَّادِقينَ.

وَقَالَ أبو سليمان: لَوْ أَرَادَ الصَّادِقُ أنْ يَصِفَ مَا فِي قلبهِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ.

وَقَالَ أرطَأة بنُ المُنْذِرِ: ثلاثٌ لاَ يُخطئن الصَّادِقَ؛ الْحَلاَوَةُ، والهيبةُ والمَلاَحَةُ.

---

(١) رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه (الجامع الصغير ١/ ٢٧٥ الحديث رقم ٢٠٤٤).

وَقَال أبُو سُلَيْمانَ: ذَهَبَ الصِّدْق عَن لِسَانِ الصَّادِقِيْنَ، وَبقي على لِسَانِ الكَذّابِيْنَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ علي الْكَتَّانِي، قَالَ: وَجَدْنَا دِينَ اللَّهِ تَعَالَى مَبْنياً على ثلاثةِ أرْكَانٍ؛ على الحق، والصِّدقِ، والعدلِ، فالحقُ على الجوارِحِ، وَالعَدْلُ على القلوبِ، والصدقُ عَلَى العقولِ.

وَقَال النوْرِى فِي قَوْلِ اللَّهِ عَز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، قَالَ: هُمْ الذينَ ادعوا محبة الله تعالى، وَلَمْ يَكُونُوا فيهَا صَادِقِينَ.

وَأَوْحَى الله تعالَىٰ إلى دَاوُدَ عليهِ السلاَمُ: «يَا دَاوُدُ، مَنْ صَدَّقَني في سَرِيرتِهِ صدقته عِنْدَ المخلوقِيْنَ فِي علانيتِهِ.

وَدَخل إبراهيم بنُ فورَجة مَعَ إبراهيم بن استنبه البادية، فقال له إبراهيم بن استنبه: اطرح كلّ ما معك من العَلائق فطرَحها كُلَّهَا وَأبقى دينَاراً وخَطا خَطواتٍ، ثم قال: اطرح مَا مَعَكَ لاَ تشغلْ سِرِّي. قال: فأخرج الدنيارَ فدفَعه إليهِ فطرَحه، ثم خطا خَطواتٍ ثمّ قالَ: اطرح مَا مَعَكَ، قلتُ: لَيْسَ معي شيءٌ. قَالَ إبراهيم بن استنبه سرِّي بَعْدُ مشتغلٌ، فذكرتُ أَنَّ معي شُسوعاً، فقلتُ: ليْسَ معي إلاَّ هذه قَالَ فأَخذَهَا فطَرَحها، ثم قالَ: امشِ، قال: فَمَشَيْنَا، فما احتجتُ إلى شسعٍ فِي الباديَةِ إلاَّ وجَدته مَطْروحاً بين يَدَي، فقالَ كذا من عامل الله تعَالى بالصدق.

وَصَاحَ رَجُلٌ في مجلسِ الشبلي فَرَمَى بِهِ في دَجْلة، وقالَ: إنْ كَانَ صَادِقاً فإِنَّ اللَّهَ تعَالَىٰ ينجِيْهِ كمَا أنجىٰ مُوسَىٰ عليهِ السلام، وَإِن كَانَ كَاذباً فاللَّهُ تَعَالَىٰ يغرقُهُ كما أغرق فرعَون.

وَسُئل بعضهم عن الصِّدق، فَقالَ: صحة التوجُّهِ في القَصْدِ.

وَقَالَ أبو يعقوبِ النهرجورِيُّ: الصدقُ موافَقَةُ الحقِّ في السِّرِّ وَالعلانيَةِ.

وقَالَ آخر: علامة الصادِقِ كتمانُ الطاعَةِ.

وسُئِلَ الجنيدُ عن معنى الصَّادِق وَالصِّديق والصِّدْقُ. فَقَالَ: إنَّ الصدقَ نعتُ الصَّادِقِ، وَهُوَ أَنْ يكونَ خبره عَمَّا هو عَلَيهِ المخبر. والصَّادِقُ مَنْ صدَق في خبرهِ، وَإِنْ كَانَ ذَاكَ منه مرةً واحدةً، والصِّدِّيقُ الذي تكرّر منه الصِّدْقُ في أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وتصدِيقُ أقوالهِ بأفعَالِهِ.

وقال سَلْم الخواصُ[1]: ألا أعلمكُمْ اسم الله الأكْبَرَ الذي إذا دعي به أجابَ؟ قيل: بلىٰ

---

(١) سلم بن ميمون الخواص، أصغر بن سليمان الخواص، حدث عن مالك وسفيان بن عيينة قال: إسماعيل بن

قال: هو الصدقُ، اصدقُوا الله وَادْعوه بِأَيِّ اسْم شِئْتُمْ، أَلا تَرى أن الأنبياءَ ـ عليهم السلام ـ كلهم دَعْوَه في القرآن بأسماءَ مختَلِفَةٍ فَأُجِيبَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

وَقَالَ أبو القاسم بن الخُتُّلي الفقيه[1]: أجمع الفُقَهَاءُ والعلماء على ثلاث خصالٍ، أنها إذا صحت فِفيها النجاة ولا يتمّ بعضها إلاّ ببعضٍ، الإِسلام الخَالِصُ عند البدعَةِ والهَوَىٰ، وَالصدقُ لِلَّهِ تعالَى، وَطِيبُ المطعَم.

وَقَالَ الجُنيد: الصدقُ تأدية العمل لِلَّهِ ـ عزّ وجلّ ـ كَاملاً، فَإِذَا كَانَ ذلك في جَمِيعِ عَمَلِهِ، سُمِّيَ صَادِقاً وَهُوَ صدِّيقٌ.

وعنْ بعضِ الصَّالِحِينَ أنّه كَانَ يقولُ: أَيا مَنْ خَلْفَهُ الأَجَلُ، وقُدامه الأَمل، أما وَاللَّهِ لا ينجيك إلاّ صدقُ العَمَل.

وَعَنْ الفُضَيلِ بن عِياض قال: مَا مِنْ مضغةٍ أَحَبُّ إِلَىٰ اللَّهِ عزّ وجلّ من لسانٍ صدوقٍ، ومَا مَنْ مضغةٍ أبغض إلى الله عزّ وجلّ من لسانٍ كَذوبٍ.

وَقِيلَ في مِعْنَاهُ:

إِذَا مَا المَرْءُ أَخْطَأَهُ ثَلاثٌ، فَبِعْهُ وَلَوْ بِكَفٍ مِن رمادِ:
صِيانَةُ نَفْسِهِ، وَالصّدق مِنْهُ، وكِتمَانُ السَّرائِرِ في الفؤادِ

وَقَالَ أَبو سَعِيدِ الخَراز: رأيت في المنَام كَأَنَّ مَلَكَيْنِ نَزَلاَ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَالاَ لِيْ: مَا الصِّدْقُ؟ قُلْتُ: الْوَفَاءُ بِالعَهْدِ، فَقَالاَ لِيْ: صَدَقْتَ، وَعَرَجَا إِلَىٰ السَّمَآءِ.

وَعَنِ الجنيدِ: مَا مِنْ أَحَدٍ طلبَ أمراً بصدق وَجَدٌ إلا أَدْرَكَهُ، وَإِنْ لم يدرك الكلّ أَدْرَكَ البَعْض.

قَالَ: وَأَنْشَدَ محمّد بنُ إِسْحَاقَ الوَاسِطِيُّ:

وَإِذَا الأمورُ تَرَاوَحَتْ فَالصِّدْقُ أَكْرَمُهَا نِتَاجا
الصِّدْقُ يَعْقِدُ فَوْقَ رَأْ سِ حَلِيفِهِ بِالصِّدْقِ تَاجَا
وَالصِّدْقُ يَقْدَحُ زِنْدهُ فِي كُلّ نَاحِيةٍ سِرَاجا

مسلمة القعنبي: رأيت كأن القيامة قد قامت، وكأن منادياً ينادي: ألا ليقم السابقون، فقام سفيان الثوري، ثم نادى: ألا ليقم السابقون: فقام مسلم الخواص ثم قام إبراهيم بن أدهم. بقي مسلم: إلى ما بعد سنة ٢١٣ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٩، حلية الأولياء ٨/ ٢٧٧، طبقات الشعراني ١/ ٥٣).

(١) الإمام المحدث، الفقيه، مصنف كتاب (الديباج)، أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن خازم بن سُنين الخُتُّلي نزيل بغداد، قال الذهبي: مات في شوال سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقد بلغ الثمانين. (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٤٢، المنتظم ٥/ ١٦٣).

وَقَالَ عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ عليهِ السَّلام ـ لابْنِهِ الحَسَنِ فِي وَصِيَّتِهِ:

«يَا بُنَيَّ، العقل فِي ثلاث؛ الصّدّقِ، وَالحلْمِ، وَحُسْنِ المُدَارَاةِ، والاستِقَامَةُ فِي ثَلاَثٍ؛ الوفَاء بِالعَهْدِ، وَطَلَبِ العلم، وَصِدْقِ النِّيَّةِ».

وَسُئِلَ ذوْ النُّون المصْرِي: مَا عَلاَمَةُ الصَّادِقِ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ لَهُ لِسَان بِصَوابِ الحَقِّ ناطِقٌ.

وَقَالَ ذُو النّون: الصّدْقُ سيفُ اللّهِ عزّ وجلّ، مَا وَضَعَهُ على شَيْءٍ إلاَّ قَطَعَهُ.

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللّهِ: أوّلُ جِنَايَة الصَّادِقِينَ حَدِيثُهُمْ مَعَ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَالَ أَبو مسلم الراهِبُ الصُّوفِي رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْهِ: تَصَوفْتُ في الدينَيْنِ جَمِيعاً، وَقرأتُ الكِتَابَيْنِ جَمِيعاً، فَمَا رَأَيْتُ للعَبْدِ أنفع مِنَ الصِّدْقِ ولا رَأَيْتُ أَضَر عليهِ مِنَ الكَذِبِ.

وَقَالَ الجنَيدُ بنْ محمّدٍ: الصِّدْقُ إفرادُ اللّهِ تَعَالَىٰ بالعَمَلِ، ومُطَابَقَةُ العقدِ النطْقَ. وَقَالَ أيضاً: الفتوةُ بالشامِ، واللِّسَانُ بِالعِرَاقِ، وَالصِّدْقُ بِخُرَاسَانَ.

وَقَالَ أَبو بَكْرِ الزّقّاقُ[1]: لو أَنَّ أحداً تعلمَ علم العلماءِ، وَفهم حكمَ الحكماءِ، وعرفَ سِحْرَ كلِّ سَاحِرٍ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يسترَ عورتَهُ إلاَّ بِلِبَاسِ الصدق فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللّهِ تَعَالَىٰ.

وَقَالَ بعضهم: إِذا طَلَبْتَهُ بِالصِّدْقِ وَجَدتهُ في أَوّلِ نفسٍ، لأَنَّهُ قامَ على أَنْفَاسِكَ.

وقِيلَ للشبلِي: ما عَلاَمَةُ الصِّدْق؟ قَالَ: إِخْراجُ الحرام مِنَ الشدق[2].

وَقَالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: وَجَدْتُ على حَاشِيَةِ التوراةِ اثنَين وَعشرينَ حَرْفاً كَانَ صُلَحَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَجْتَمِعُونَ فَيَقْرَءُونَها وَهُوَ أَنه:

لا كنز أنفع مِنَ العِلْمِ.

وَلاَ مَال أربح مِنَ الحلم.

وَلاَ حَسَبَ أوضع مِنَ الغضب.

---

(١) أحمد بن نصر، أبو بكر الزقاق الكبير نسبته إلى بيع الزق وعمله، من أقران الجنيد، ومن أكابر مشايخ مصر، توفي سنة ٢٩٠ هجرية. والزقاق اشتهر بها بين الصوفية اثنان، المترجم هنا، أبو بكر أحمد بن نصر، ويلقب بالزقاق الكبير، تمييزاً له من ثانيهما تلميذه أبي بكر محمد بن عبد الله الدين اشتهر بالزقاق الصغير وكثيراً ما اختلطت نسبتهما على كثيرين فدعوا الواحد منهما (الزقاق). (طبقات ابن الملقن ٩١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٣١).

(٢) الشدق: طفطفة الفم من باطن الخدين (القاموس مادة ش د ق).

وَلاَ قَرِينَ أزينُ مِنَ العقلِ.

وَلاَ رَفِيقَ أشينُ مِنَ الجَهْلِ.

وَلاَ شَرَفَ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَىٰ.

وَلاَ كَرَمَ أوفرُ مِنْ تَرْكِ الهوى.

وَلاَعملَ أَفضل مِنَ الفِكْر.

وَلاَ حسنةَ أعلىٰ مِنَ الصَّبْرِ.

وَلاَ سَيِّئَةَ أخزَىٰ مِنَ الكِبْرِ.

وَلاَ دَوَاءَ أَلْيَنُ مِنَ الرِّفِق.

وَلاَ دَاءَ أَوْجَعُ مِنَ الخَرْق[1].

وَلاَ رَسُولَ أَعْدَل مِنَ الحَق.

وَلاَ دَلِيلَ أَنصَحُ مِنَ الصِّدْقِ.

وَلاَ عَنَاء أَشقَى مِنَ الجَمعِ[2].

وَلاَ فَقْر أَذَلُّ مِنَ الطَمَعِ.

وَلاَ حيَاةَ أَطْيَبُ مِنَ الصِّحَّة.

وَلاَ مَعِيشَةَ أَهْنَأ مِنَ العِفَّة.

وَلاَ عِبَادَةَ أَحْسَنُ مِنَ الخُشُوعِ.

وَلاَ زُهْدَ خيرٌ من القُنُوعِ.

وَلاَ حَارِسَ أَحْفَظُ مِنَ الصَّمْتِ.

وَلاَ غَائبَ أَقْرَبُ مِنَ الموتِ.

وَقَال محمد بن سعيد المرْوَزِي: إذَا طلبتَ اللَّهَ تعالىٰ بالصدق، أَفَادَكَ الله تعالى مِرآةً بيدك حتَّىٰ تبصر كُلّ شيء مِنْ عجائب الدُّنيا والآخِرَة.

وَقَالَ يَحْيَىٰ بن مُعَاذٍ: الصدقُ في الأحوالِ اعتقادُ القَصْدِ إلى الحَقِّ مِنْ غيرِ التفاتٍ إلى التَّلْقينِ.

---

(١) خَرَقَ الرجل: كَذَبَ، والخَرْقُ: الكذب (القاموس مادة خ ر ق).

(٢) أي جمع المال والحطام والمتاع لغير عمل الآخرة.

وَقَالَ أَبو بكر الوَراق: الصدقُ ثلاثة: صدق التوحيد، وصدق المعرفةَ، وصدق الطاعة، فصدقُ التوحيدِ لعَامَة المؤمنين قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1]، وصدق الطاعة لأهل العلمِ والورع، وصَدْقُ المعرفةِ لأهلِ الولايةِ الذينَ هم أوتَادُ الأرض.

وَقَالَ جعفر الصَادقُ عليهِ السلامُ: الصِّدْقُ هُوَ المُجَاهَدَةُ، وَأَنْ لاَ تَخْتَار علىٰ اللَّهِ عزّ وجلّ كما لم يَخْتَر علَيكَ غيرَكَ، لقوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[2].

وَيُقَالُ: رَكب أَهْلِ الصدقِ الصّدقَ حتّى بَلَغُوا بَابَ الملكِ، ثم نَزَلُوا بقلوبهِم مِنَ الصدقِ وَرَكبوا الفَقر والفَاقَة، عراةً أذِلَّةً بينَ يديهِ، فجعلهم الله تَعَالَى مِنْ أَهْلِ ولاَيَتِهِ.

وَقَالَ الواسِطي: علامَةُ الصّادِقِ أَنْ يكونَ مواصِلاً للإخْوَانِ، وقلبه منفَردٌ مَعَ الرَّحْمٰنِ. وَعَنِ الجنَيد قالَ: الصّادِقُ يَتَلَفُ في اليومِ أربعينَ مرةً، والمرائي يثبت على حَالِهِ أربعين سَنَةً.

وَقَالَ أيضاً: لَو أَقْبَلَ الصّادِقُ على الله سبحانهُ ألف ألفِ سنةٍ، ثم أعرضَ عنه لحظَةً، لكَانَ ما فَاتَهُ مِنَ اللَّهِ عز وجَلّ أكثرَ ممّا نَالَهُ.

وَقَالَ أَبو بكرِ الورَاق: إحْفَظِ الصِّدْق فيما بَيْنَك وبَينَ اللَّهِ تَعالَىٰ، والرفقَ فِيمَا بينَك وبَين خلق الله تعالى.

وَكَان أبو العباس المؤدِبُ قصد بَابَ بيتٍ فوجده مقفلاً، وَلَمْ يَجِدْ مفتَاحَهُ، فقَالَ لأَصحابهِ: ليتكلم كل وَاحدٍ منا بكلام لعله ينفتح، فلم ينفتح بكلام واحدٍ منهم، فقال أبو العباس: بصدقي في كذا وكذا إلاّ فتحته لي، فانفتح القفل من ساعته.

وسئل آخر عن الصدق، فأدخل يده فِي كور[3] حدادٍ وتناول مِنْهُ الحديد المحمي وأخرجهُ، وَقَالَ: هَذا هُوَ الصّدْقُ. وَقِيلَ لذي النُّون: هَلْ للعبدِ إلى صلاحِ أموره سبيلٌ؟ فَقَالَ:

قَد بقينا مُذَبْذَبِينَ حَيَارَىٰ   نطلبُ الصدقَ مَا إِلَيهِ سبيلُ
فدَعَاوِي الْهَوَىٰ تَخِفُّ عَلَيْنَا   وَخِلاَفُ الهوى علينا ثَقِيلُ

(١) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد: ١٩].

(٢) قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

(٣) الكُور: مجمرة الحداد من الطين (مادة ك ور).

فَأَجَابَهُ أَخُوهُ ذُو الكفْلِ:

قَدْ بَقِينَا مُوَلهِينَ حَيَارَىٰ   حَسْبُنَا رَبُّنَا وَنِعْمَ الوكيلُ
فحبيبُ القلوبِ قَصْدُ مُنَانَا   وَبِذكْرِ الحبيبِ يُشفى العليلُ

وَقَالَ ابن الجراحِ: إذا قَالَ العبدُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وَهُوَ التوحيدِ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ ثُمَّ يقولُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، انْظُرْ كَيْفَ تقولُ أَنْتَ صَادِقٌ فِي قَوْلِكَ أَمْ أَنْتَ كَاذِبٌ، أَنْتَ حسيبُ نَفْسِكَ.

قيل: وَأَوْحَىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ إلى مُوسَىٰ عَليهِ السلامُ: «إِنِّي إِذَا أَحببتُ عَبْداً ابتَلَيته بِبَلاَيَا لا تَقُومُ بِهَا الجِبَالُ، لأَنْظُر كيف صدْقهُ فإن وجدته صَابِراً اتخذتُهُ وَلِياً وحَبيباً، وَإِنْ وجدتهُ جزوعاً يشكوني إلى خلقي خَذَلتهُ وَلاَ أبالي».

وَقِيل لذِي النونِ المصري: مَا علامةُ [الصدق]؟ قَالَ: لسان محزون، وَكلام بالحقِّ موزون.

وَقَالَ: أحمد بن خضرويه البلخي[1]: من أحب أن يكون الله تعالى معه؛ فليلزمِ الصدق، فإِنَّ الله تعالى مع الصادقِين.

وَقَالَ الشبلي: ليس للصادق دَعْوَى، وَلاَ للمحب شَكوى وَلاَ للعارف علاقَةٌ، وَلاَ لِلخائفِ قرارٌ وَلاَ للمريد فترة.

وَقَالَ الحسينُ بن عبد الله الصبيحي[2]: ليس تخرسُ الألسنُ في المشاهدةِ إلاَّ لبعدهَا عنْ مصادِرِ الصدق، فمن صدق في حالهِ، تكلم عنه الضمير إذا سَكت عن النطقِ اللسانُ. وَيقال: من كانَ فيهِ أربعٌ أبدلَ الله ـ عزّ وجلّ ـ سيئاته حسناتٍ: الوفَاء، وَالصدقُ، والحَياء، وَالاستقامَة.

وَيُقَالُ: احتمال المصائِبِ صِدْق الزهَادِ، والزيادة في العمل صدق العُبَّادِ.

---

(١) أحمد بن خضرويه البلخي، كنيته أبو حامد، وهو من كبار مشايخ خراسان، صحب أبا تراب النخشبي وحاتماً الأصم، ورحل إلى أبي يزيد البسطامي، وهو من مذكور في مشايخ خراسان بالفتوة، ودخل نيسابور في زيارة أبي حفص النيسابوري. توفي سنة ٢٤٠ هجرية. (طبقات السلمي ١٠٣، حلية الأولياء ١٠/٤٢، تاريخ بغداد ٤/١٣٧).

(٢) الحسين بن عبد الله بن بكر الصبيحي، وكنيته أبو عبد الله، كان من أهل البصرة، وقيل أنه لم يخرج من سَرَبٍ (أي بيت مظلم في الأرض) في داره ثلاثين سنة يجتهد فيها ويتعبد، أخرجه أهل البصرة منها فمات بها وبها قبره، وكان عالماً بعلوم القوم وبالأصول، وصنف كتباً للقوم وكان صاحب لسان وورع، توفي في القرن الرابع الهجري. (طبقات السلمي ٣٢٩، طبقات ابن الملقن ٣٣٤، طبقات الشعراني ١/١٢١).

وَقَالَ يوسف بن أسباطٍ: للصدق علامَاتٌ؛ صدق اللسان مع إضمار القلب، ومقابلة القول بالفعل، وَترك طلب المحمدة عَاجلاً، وَإِسْقاط الرياسَة، وإِيثار الآخرة على الدُّنْيا، وَقَهْرُ النفسِ.

وَقَالَ الحَارث المحاسبي: مَنْ أَرَادَ لذة طَعام أهل الجنة، فليصحب الفقراء الصادقين.

وقيلَ: الصدقُ نورٌ يسكن في القلب ينافي الأضداد.

وَسئل يوسف بن الحسين عن علامَة الصّادِق، فقالَ: حبُّ الانفرادِ وكتمانُ الطاعةِ.

وَقِيلَ لسهل بن عبد الله: مَا أَصل هذا الأمرِ الذي نحنُ عليهِ؟ فقال: الصدق، وَالسخاء، والشجاعَةُ، فَقِيلَ: زدنا، فَقَال: التقى، والحَياء، وَطيب الغِذاء.

وعَنِ ابنِ عباسٍ أن النّبي ﷺ سُئِلَ عن الكَمالِ، فقالَ: «قولُ الحقِّ، والعملُ بالصدقِ».

وعَنِ الجنيد في قوله عزّ وجلّ: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] قال: يَسأل الصَّادقينَ عند أنفسهم عن صدقهم عند رَبهم، وهَذا أمر على خَطَرٍ.

وَقَالَ غيرهُ: يسألهم عنْ صِدْقهم ليظهر كذب الكَاذبينَ في جنبِ صدقهم.

وَقَالَ بعضهم: ليسَ حَال مِنْ أحوالِ المريدين ولا أحوالُ المنقطعين، وَلاَ أحوال المتوكلينَ، وَلاَ أحوال الراضينَ، وَلاَ المحبِّينَ، وَلاَ المستأنِسينَ المنبَسِطينَ، والقَائلينَ، والموحدينَ، وَلاَ كل مَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ تعالى حالٌ مِمَّا سَنَا أودَنَا، وَلاَ شَريف وَلاَ دَنيٌّ إلاّ وهم يحتاجونَ فيها إلى الصِّدْق، فكُلُّ عَبْدٍ يُطَالَبُ بَالصِّدق مِنْ موضعه في موضعه. وَاعلم أن أدْنَى دَرَجَة مِنْ دَرَجَاتِ الصّادقينَ، أن يكونَ ظاهرهم وبَاطنهم وَاحدٌ معتدلٌ، لا يزيد الظاهر على الباطن، ومتى ما زاد ظاهرُ المريد على باطنهِ ذَرةً، لم ينسب إلى الصدق حتى يعتَدلَ ويَسْتوِي، فهذا يَدْخُلُ على العبدِ مِنْ جميع الأَشياء مِنَ الأعمالِ من الظَاهِر والبَاطِنِ.

بَاب في ذِكْرِ العُبُودِيَّةِ وَحَقِيقَتِهَا

أخبرنا أبو سعدٍ، قَالَ: حَدَّثَنا أَبُو إِسْحَاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكِّي، قالَ: أخبرَنا الحسنُ بن صَاحبِ بن حميد أبو علي الشاشي، قالَ: حدَّثنا سعيد بن عثمان بحمص، قالَ: حدَّثنا علي بن الحسن الشامي، عن سفيان بن سعيدٍ الثوري، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الخلائق إلى الله عزّ وجلّ شابٌ حديثُ السن في صورة حسنةٍ، جعل شبابه لِلّٰهِ عز وجلّ فِي طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ ذلك يباهي به الرَّحْمٰن عزّ وجل ملائكته يقول: هذا عبدي حقاً»[1].

وَسئل الجنيدُ بن محمدٍ عن تحقيق العبد في العبودية، قالَ: إذَا رأى الأَشياءَ كلها ملكاً لِلّٰهِ عزّ وجلّ، وَمِنَ اللّٰهِ تعالى ظهورها، وَباللّٰهِ تعالى قيامها، وَإلى اللّٰهِ تعالى مرجعها، كما قالَ اللّٰهُ سبحانه ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يٰس: ٨٣]. وإِذَا تحقق ذلك نال صفوة العبودية.

وحكيَ عن إبراهيم بن أدهم أَنه اشترى عبداً، فَقَال له: أيش تأكل؟ قالَ: ما تطعمني، قال: أيش أسمك؟ قَالَ: ما تسميني، قَالَ: أيش تلبس؟ قال: ما تكسوني، قالَ: أيش تعمل؟ قَال: مَا تستعملني، قَالَ: لَيْسَ لكَ إِرَادة، قالَ: ليسَ للعبدِ إرادة مع سيِّده، ثُمَّ رَاجَعَ نفسَهُ فقَالَ: يَا مِسْكِينُ هَلْ كنت لِلّٰهِ تعالىٰ في عمركَ ساعَةً واحدةً، مثل مَا كَانَ هذا العبد في هذه الحالة؟ وبَكى.

وَقَالَ بعضُ الحكماء: كُنْ عبداً يقودُكَ القضاء بِزمامِ التواضُعِ حيثُ يريد اللّٰهُ تعالى فتنقادَ بقلب مفوض مملوكٍ، لا تدبيرَ لَهُ مَعَ اللّٰهِ سبحانه، ولا تَمَنِّي لهُ على اللّٰهِ عزّ وجلّ، فأَلِزمْ نفسك شرائط معرفتِهِ، فإِنَّ العبدَ لاَ اختيَارَ لَهُ مَعَ اللّٰهِ عزّ وجلّ، ولاَ سَبِيلَ لَهُ مَعَ استدراكه.

وَقَالَ أبو بكرِ الورَّاق: مَنْ خَرَجَ مِنْ قالب العبوديةِ صُنِعَ بهِ مَا يُصْنَعُ بالآبِقِ.

وَسُئِلَ ابن خفيف: متى تصحُّ العبودية؟ قالَ: إِذَا طرَح كلّهُ على مَوْلاه، وصَبَر عَلَىٰ بَلْوَاه.

وَقَال سهل: تركُ التدبير والاختيار، هو أجلّ مقامٍ في العبودية.

---

(١) لم أجده.

وَقَالَ ذُو النُّون: علامةُ الإصابة في العبودية؛ مخالفةُ الهوىٰ وتركُ الشَّهَوَاتِ.

وَقَالَ ذُو النُّون: العبودية أن تكون عبده في كل حال كما أنه رَبك في كل حال وَمِنْ كُلِ وَجْهٍ.

وَقَالَ أيضاً: إذَا لَمْ يكن في عملك حُبُ حَمْدِ المخلوقين، ولاَ مَخَافَةُ ذَمِّهُمْ، فأنت عبد مخلصٌ.

وَقَالَ الجنيد: لا تصفو العبودية إلا بثلاث، الخَوفُ، وَالرَجَاء، والمحبة.

وَقَالَ عبد الله بنُ المُبَارَك: العبد عبد مَا لَمْ يطلبْ خَادِمَاً يخدمه، فإذا طلب خَادِماً فقد ترك آدَابَ العبودِية. وقال أيضاً: من لم يذق طعم العبودية فلا عيش له. وقال ابن عطاء: القرآن كله شيئان؛ مراعاةُ العبودية، وتعظيم حق الربوبية.

وَقَالَ الجنيدُ: العبوديةُ تركُ المشيئة.

وَيقال: العبودية: ترك الاختيار، وَملازمَةُ الذِّلةِ والافتقارِ.

وَقَالَ الشبلي: العبودية إسقاط إرَادتك عند إرَادتِهِ، وفسخُ اختيارِك عند اختياره، وترك منيَّتك عِنْدَ قضائهِ.

وَسُئِلَ سهل: متى يكون العبد عبداً؟ قالَ: إذَا رَضِي بِاللَّهِ تَعَالى وَباختيارهِ لَهُ.

وَقَالَ بعضهم: العبوديةُ إسقاطُ رُؤية التعبد في مشاهدةِ المعبودِ.

وَقَالَ سهل بن عبد الله: أولُ مقام العبوديةِ إسقاطُ الاختيار، والتَبرؤ مِنَ الحول والقوة.

وَقَالَ عبد الله بن مُنَازِل: العبوديةُ هِي الجهل والضَرورَةُ. فَسُئِلَ عَنِ الجَهْلِ الذي أشار إليه، قال: الذي كُنَا فيهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤، التغابن: ٤] (١)، ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] هَذَا كله مما جهلنا بِهِ.

وقال أيضاً: العبودية بالضرورة والاختيار.

وَقَالَ أيضاً: أصل العبوديةِ إفناء الطمأنينةِ.

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ١٥٤].

وَعَنْ أبي إسحق الموازيني قالَ: سمعتُ سهل بن عبد الله يقولُ: ليت شعري، كيف الطريقُ إلى رِضاك، أمْ كيف السبيل إلى مُراعاتِك؟ فإذَا بِهاتفٍ يهتف: متى مَا أسقطتَ عنك الاعتراضَ علينا، فقد وَصَلْتَ إلى حقيقة العبوديةِ.

وَقَالَ أبو عبد الله المغربيُّ[1]: مَن ادعى العبودية وَلَهُ مُرَاد بَاقٍ فيهِ، فهو كَاذِبٌ فِي دَعواهُ، إنَّما تصح العبودية لمن أفنى مُرَادَاتِهُ، وَقَامَ بمرادِ سيده، يكون اسْمُهُ مَا سُمِّي بِهِ، وَنَعته مَا حُلِّيَ بِهِ، إذَا دُعِيَ باسمِ أجَابَ عَنِ العبوديةِ، فَلاَ اسْمَ لَهُ وَلاَ وَسم، وَلاَ يجيب إلا لِمَنْ يَدْعُوهُ بعبودِيَة سيدِهِ.

وأنشأ يقول:

يَا عَمْرُو ثَارِي عَنْدَ زَهْرَاءَ يعرفُهُ السَّامِعُ وَالرَّائي
لاَ تَدْعنِي إلاَّ بيا عبدهَا فإنَّهُ أصدقُ أسْمَائي

وَقَالَ يحيى بنُ معاذٍ: إن العبد إذا أنصف ربه عَزَ وجل مِنْ نفسِهِ غفر لَهُ.

وَقيل: ينبغي للعبد أن تكون لَهُ خَصْلتَانِ؛ افتقارُ الحبيب ﷺ قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩] نفيُ أن يكون لَهُ مِنْ نفسِهِ شيء، أوْ يعتمد حالاً؛ بل أظهر أن الكل منه لمن لَهُ الكُل، مَنْ لا يملك الأصْل كيف يَمْلِك الفرع؟ وَمَنْ لم يملك الفرع ولَمْ يملك نفسه كيف يملك لها ضراً أو نفعاً؟ وَمَنْ صحَّت لَهُ هذهِ الحَالَةُ فقد سلم مِنْ مَدْح الخلقِ وَذَمِهِمْ، وَالطمع فيهم، والتوسُلِ بهم، قوله عز وجل: ﴿إلا مَا شَاءَ الله﴾ ضراً أو نفعاً إنه جلَّ جلالُهُ الضّارُ النافِعُ.

والخصلة الثانيةُ: عُذر يونس عليه السلام، قوله عزَ وجل: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨] نَزَّهَهَ عَن الظلم في فعلهِ به، ونسب الظلم إلى نَفسِهِ اعترافاً واستحقاقاً.

وَقَال بعضهم: حقيقةُ العبودية شيئَان: الرضَا بالقضاء، وَالعمَلُ بِمَا يرضي.

وَسُئِلَ سهل بن عبد اللّهِ عن العبودية، فقال: الرضا بفعال الله تعالى. قيل له: فما الرضا بفعال الله تعالى؟ قال: الافتقار. قيل: فما الافتقار؟ قال: الالتجاء إلى الله تعالى بدوام التضرع، تقول: يا رب سَلِّمْ سَلِّمْ إلى المَمَاتِ.

---

(١) أبو عبد الله المغربي محمد بن إسماعيل، أستاذ إبراهيم بن شيبان، كان يأكل المباحات، وأصول العشب، ومكث سنين كثيرة لا يأكل ما وصلت إليه أيدي بني آدم، عاش مائة وعشرين سنة. توفي سنة ٢٩٩ هجرية. (طبقات السلمي ٢٤٢، طبقات ابن الملقن ٤٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥).

وَسُئِل الجنيدُ: مَا عَلاَمَةُ الْعَبْدِ؟ قَالَ: أن لا يشكو أحداً، ولا يؤذي أحداً حتى يشكوهُ، ويترك التقصير في الخدمَةِ، والتدبير فِي التقدير.

وَقَالَ أبو بكر الوَرَّاقُ: عَلاَمَةُ العبدِ أن يُعَامِلَ الله تَعَالَى بالصدقِ، وَيُعَامِلَ الخلقَ بالرفْقِ، وَيُعَامِلُ النَّفْسَ بالصَّبْرِ.

وَقَالَ رَجل لإبراهيمَ بن أدْهَم: أنْتَ عَبْدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لِمَنْ؟ فلمَا أرَادَ أن يقول غُشِّيَ عليهِ فأفاق وَهُوَ يقولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَ وجل: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

وَقِيل لبعضهم: أنتَ عَبْدٌ؟ قَالَ: نعم، إنْ رضي بي ربي عَبداً.

وَقَالَ ذُو النون: العبودِيةُ خِلَعُ الرُّبُوبيةِ.

وَعَنْ أبي سعيدِ الخرَازُ قَالَ: لا تَغْتَرُوا بصفاء العبودِيَةِ، فإنّ فيهِ نسيانَ الربوبية، فمن شهدَ صُنْع الرُبوبية مع إقامة العبودِيةِ، انقطَعَ عَنْ نفسهِ وَسَكَن إلى رَبِهِ عز وجل.

وَقيل للجنيد: متى يعلم العَبْدُ أنَّهُ عَبْدٌ؟ قَالَ: إذَا كَانَ حُراً فيما دُونَ الله سبحانَهُ.

وَقَالَ الشبليُ: آفةُ الخلق مِنْ شيئين: الخروجُ مِنَ العبودِيَةِ، وتمني الرُبُوبيةِ، وَإنْ كَانَ كمال الرُبُوبية نفاذ المشيئة وَكَمَال العبوديةِ ضَرُورةُ البَشَريَةِ، ثُمَّ قَالَ: لوْ عرفْتَ قدرَ الله ـ عز وجل ـ ما سَألتَ غير الله تَعَالى. وَقَالَ: مَنْ طلبهُ بالعبوديةِ لا يجده، وَمَنْ طلبهُ بِالرُبوبية يُوشك أن يَجِدَهُ.

وَقَال الشبلي: عَلاَمَةُ العُبُودِيةِ الرضَا بالقِسْمَةِ، وحفظُ الحرمَةِ، ومراعاةُ الخدمَةِ.

وَسُئِل أيضاً عَنْ العبوديةِ، فقال: إذا كَانَ سؤاله إياه ورؤيتُه منه، وَإضافَتُهُ إليه. فقيل له: هَلْ يكون العبد حراً؟ قَالَ: إي وَالذي رَفَعهَا فَبَنَاهَا، وَأشَار بيدهِ نحو السمَاءِ، إذا انسلخ مِنْ رَداء الذل وَاستأنَسَ بجبروتِ العز، فَصَار بأخص الأسماء وأصفى النعُوتِ.

وأنشدتُ:

إذَا تحققتُ حَقَّ الحقِ كُنْتُ كَمَنْ ... جَادُوا عليهِ فعتقٌ بَعْدَ تَعبيدِ
وَلَسْتُ أرضَى سِوَاهُ وَهُوَ ملتَمَسي ... وَكَيف أبغي سِوَاهُ وَهُوَ مَشْهُودِي

وَقَالَ بعضهم: كُل أحدٍ يقولُ أنَا عبد، بقي أنْ تكونَ هذهِ النسبة مِنْ قبل الله ـ عزَ وَجَلَ ـ كَمَا قَالَ عز مِنْ قَائل للمصطفى عليهِ السلام: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن: ١٩].

وَقَالَ سبحانَهُ جل جَلاَلَهُ. وعز كبرياؤهُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] .

وَقَال جل جلالهُ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠] .

وَقَال تبارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] .

ويقال: العبودية هي الانتظارُ والاضطِرَارُ مَعَ الاسْتِعَانَةِ.

وأنشد:

إذا أسـمـيـتـنـي عَـبْـداً فـقـد أجْـلَـلْـتَ مِـنْ قَـدْرِي

بَابٌ فِي ذِكْرِ مُسْتَنْبَطَاتِهِمْ مِنَ القُرآنِ والسننِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أبو سعيدٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ إبراهيمَ، قَالَ: حَدَثَنَا عَلِي بنُ محمدٍ الورَاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أحمد بن محمد بن نُصَيْرٍ، قَالَ: حدثنا يُوسف بنُ بِلاَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا محمد بن مَرْوَانِ، عَنِ الكلبي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، فِي قولِهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣] قَالَ: إنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إذَا بَعَثَ سريَةً مِن السّرَايَا فغلبَتْ تِلك السَّرِيةُ أو غُلِبَتْ تحدثُوا بذلك وَأفشوا ولَمْ يقفُوا فِي ذلك حَتَّى يكونَ رَسول اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُحَدث وَيفشيهِ ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ أمر مِنَ الأَمْنِ أو الخوفِ﴾ يَعْنِي: الْهَزِيمةَ ﴿اذَاعُوا بِهِ﴾، يقول: سمعوا بِهِ، يقولُ ﴿وَلَو رَدُوهُ إِلى الرسُولِ﴾ يقول: إلى أمر الرسولِ يقولُ لَوْ سَكَتُوا عَنْ إفشائِهِ لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يفشِيْهِ ﴿وإلى أولي الأمْرِ منهم﴾ فأُولُوا الأمْرِ مثل أبي بكرٍ، وَعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ يقولُ: يتبعونَهُ مِنْهُمْ.

وَعَنْ علي بن أبي طالبٍ عليهِ السلام فِي قولِ اللَّهِ عز وجل: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، قَالَ: العفو بَعْدَ عتابٍ.

وَسُئِلَ جعفر بنُ محمدٍ عَنْ قوله عَزَ وجل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ﴾ [الممتحنة: ٧] قَالَ: معناهُ لاَ تَبغضُوا خلقي كل البغض، فإني قادرٌ على نقل قلوبكُمْ مِنْ البغض إلى الود، كانتقالكم مِنَ الحياةِ إلى الموتِ.

وَسُئِلَ بعضهم عَنْ قولهِ عَز وجل: ﴿هُوَ الله الذي لاَ إلهَ إلا هُوَ﴾ فقال: يحتاج أن يكون مع قائلها ثلاثُ خِصَالٍ؛ ترك الشكوى في وقتِ المحنةِ، وترك المعصيةِ عند النِّعْمَةِ، وترك الغفلة عند الفِكْرةِ.

وَسُئِلَ الشبلي عَنْ قَوْلِ الله عزَ وَجَل: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] فَبَكَىٰ وَقَالَ: يَا مَوْلاَي املأهَا مِنَ الشبلي واعف عَنْ عَبِيْدِك.

وَسُئل سمنون عَنْ قولِ الله عَزَ وجل: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً﴾ [النمل: ٥٠] هَلْ يجُوزُ أن يُنْسَبُ المكْرُ إلى اللَّهِ عَز وجل؟ فأنشأ يقول:

وَيـقْـبـحُ مِـنْ سِـوَاكَ الـفـعـل عـنـدي فـتـفـعـلُـه فـيـحـسـن مـنـك ذَاكَـا

وَسُئِلَ جعفر بن محمدِ الصادِق عَنْ قولهِ عَزَ وَجَل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فقال: يعني مِنَ الكفارِ لأصنامهم، لأن الكافر أول ما تظهر النارُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَتَبرأ مِنْ معبودِهِ مخافة النارِ.

قوله عز وجل: ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦] فالكَافر يتبرأ من معبودِهِ مخافة النار، وَالمؤمن يدخلُ النار طمعاً فِي الوصُولِ إلى معبودهِ، فهذا أشد حباً لله عز وجل.

وَعَنْ جعفر بن محمدٍ فِي قولهِ عز وجل: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] ذاك الصوفي يتكَلَّمُ قبل أوَانِهِ.

وَسُئِلَ الشبلي عَنْ قولِهِ عَزَ وَجَل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١] فقالَ: غَيروا المحللاتَ إلى المحرماتِ فغير ما بينه وبينهم من حلاوة الطاعاتِ.

وَقِيل في قولهِ عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] يعني إنك ميت عن شهواتك وغفلتك، وهم ميتون عن ثوابِ الآخرة وعقابها.

وَسُئِل بعض المشايخ عَنْ قولهِ الله عز وجل: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] قَالَ: كبد المعَاشِ والمعَادِ.

وقال ابن عطاء: في ظلمة وجهدٍ. وقال جعفر بن محمد: في بلاء وشدةٍ. وقال محمد بن علي الترمذي: مضيعاً لما يعنيه، مشتغلاً بما لا يعنيه.

وَقَالَ بعضهم: مَا دَامَ الإنْسَانُ قائماً بطبعه وَاقفاً بحالِهِ، فإنَّهُ فِي ظلمةٍ وبلاءٍ، وإذَا فني عَنْ أوصَاف إنسانيتهِ بفَنَاء طبائعهِ عَنْهُ، صَارَ فِي رَاحةٍ، وذاك قولُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ فِي كَبَدٍ﴾.

وَسُئِلَ ابنُ عَطَاءٍ عَنْ قوله عَز وجل: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [ص: ٧١] فقالَ: امتحنهُمْ بالإعلامِ ليحثهم على طَلَبِ الاستفهامِ، فيزَادُوا بذلك عِلْماً بعجائب قُدْرَتِهِ، وتتلاشَى عندهُمْ نفوسُهُمْ.

وَسُئِلَ بعضهم عَنْ قولِ الله عز وجل: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] فقال: لئن طالعتَ بِسِرك غَيْري، لتحرمَنَّ حَظَّكَ مِنْ قربي.

وَقَالَ أيضاً: هُوَ شرك الملاحظَةِ وَالالتِفَاتِ إلى غيرهِ، لم يَرض مِنْ أنبيائِهِ بذلك، فَكَيَفَ يَرْضَى بِهِ مِنْ غيرهم.

وَسُئِلَ الشبلي: عَن الْقَلْبِ السَّلِيْم، فقالَ: هُوَ قلبُ إبراهيمَ عليه السَّلاَمُ، كَانَ يشير بقلبهِ مِنْ تحتهِ إلى الوَفَاءِ، وَمِنْ فوقِهِ إلى الرضاء وَمِنْ يمينهِ إلى العَطَاء، وَمِنْ شِمَالِهِ إلَى المنى، وَمِنْ أمَامِهِ إلى اللقاءِ، وَمِنْ وَرَائِهِ إلى التُقى.

وَسُئِلَ ابنُ عَطَاءٍ عَنْ قولهِ عز وَجل ﴿كُونُوا رَبَّنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، فقالَ: مَعناهُ كُونُوا كَأبي بَكْرِ الصديق رَضِيَ الله عَنْهُ، فإنه لَمَّا مَاتَ رَسولُ اللّهِ ﷺ اضطربَتِ الأسْرَارُ كلهَا لموتِهِ، وَلَمْ يُؤثِّرْ ذلك فِي سِرِّ أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عنه شيئاً. فَخَرَج فَقَالَ للناسِ: «أيُّهَا الناسُ، مَنْ كَانَ يعبد محمداً فإن محمداً قد مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يعبد الله فإن الله حي لا يَمُوتُ» فَحُكْمُ الرَباني أن يَكونَ بهذهِ الصفة لا تؤثر الحوادِث في سره شيئاً وَلَو كَانَ فيها انقلابُ الخافقين.

وَسُئِل الجنيد عَنْ قوله عَزَ وَجَل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] قَالَ: استقر العرشُ للرحمن كَمَا استقرتِ الأشياء بِأمْرِهِ.

وَسُئِلَ الشبلي عَنْ هذهِ الآيةِ، فقال: إنما ذكر ذلك إظهاراً لقدرته لا مَكَاناً لذاتهِ، تَعَالَى الله وَجَلتْ قُدْرَتُه، وتقدستْ أسماؤُهُ، أنْ يكونَ لِذَاتِهِ مَكَان[1].

وَسُئِلَ ذُوْ النُون عَنْ هَذِهِ الآيَة؟ فقال: أثبتَ ذَاته وَنفى مَكَانَهُ، فَهُو موجودٌ بذاتِهِ، والأشياء مَوْجُودةٌ بِحُكمِهِ كَمَا شَاءَ.

وَقَالَ النصربَاذِيُ فِي قولِهِ عَزَ وَجَل ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قَالَ: حنَّ إلى صُنْعِ خليلهِ وَلَمْ يتَّهِمْهُ.

وَقيل فِي قولِهِ عَزَ وَجَل: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، قالوا: تعز مَنْ تَشَاءُ بِالقَنَاعَةِ، وَتُذل مَنْ تَشَاءُ بِالسُؤَالِ.

وَسُئِلَ سهل بن عبد الله عَنْ قولِهِ عَزَ وَجَل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قَالَ: الخُرُوجُ مِنْ هَمِّ الخبز وغيرِهِ.

---

(١) فأين هذا القول من قول من يلصق بالسادة الصوفية قولهم بالحلول والاتحاد ظلماً وبهتاناً، لحقد دفين في أنفسهم، وبغض لأولياء الله العارفين ألا فلينتبه هؤلاء، وليتوبوا قبل أن يحل عليهم غضب من الله، وسوء الخاتمة بسبب جراءتهم على أهل الله العارفين نفعنا الله بهم في الدارين آمين وحشرنا في زمرتهم مع سيد المرسلين ﷺ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ عَنْ قولِهِ عَز وَجَل: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] فقالَ: انقطعْ إليهِ انقطاعاً عَمَا سِوَاهُ.

وَسُئِلَ الشبلي عَنْ قولِهِ عَزَ وَجَل: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [الكهف: ١٨] فقال: لو اطلعتَ على الكُلِ مِمّا سِوَانَا، لَوَلَيتَ مِنْهُمْ فِرَاراً إلينا يا مُحمدُ.

وَقَالَ أبو بكر الْوَاسِطِي فِي قولِهِ عَزَ وَجَل ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] مَعناهُ: أي لا أشهد نفسي في الدعوى، يعني لا أراهَا فأستعطفهم بشواهدِيْ.

وقيل: ﴿على بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتبعني﴾، أيقن أنَّه ليسَ إليهِ مِنْ هِداية القلوبِ شيء، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] لكن هِدَاية الدعوى نحو قولِهِ عَزَ وَجَل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢] . وقوله عَزَ وَجَل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ [المؤمنون: ٧٣] .

وَعَنْ بعضهم فِي قولِهِ عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وَقَالَ لِغيرِهِ: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] الآية.

وقالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فقال: طالبهم بالصبر على المعاوضَة، وطالب المصطفى بالصبر على المراقبة.

وَقَال تعالى في موضع آخر: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] لأنَّهُ أَجَلُ عنده من أن يطالبه بِمُعَاملةٍ يقتضي بِهَا مُعَاوَضَةً، وذَلِكَ أن محله محل الاختصاصِ.

وَقِيلَ فِي معنى قوله عز وجل: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] يعني باجتبائك واصْطفائك، لأنه لم يقسم النبُوة وَالرسَالَة على الجزاء والاستحقاق، ولو كانت من جهة الجزاء والاستحقاق لما فضل نبينا ﷺ على سائر الأنبياءِ عليهم السَّلاَمُ لأنهم كانُوا أطولَ أعماراً وأكثر أعمالاً.

وسئل الصَّادق عليه السلام عَنْ قولِهِ عَزَ وجل: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨] فقالَ: ما لم يعطف الرَّبُ على خَلْقِهِ بالرحْمَةِ، لَمْ ينعطف الخلقُ على الله عز وجل بالطَّاعَةِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧] سُئِلَ الشبلي عَنِ الطَّاغُوتِ مَا هُوَ؟ فقال: كل مَا شغلك عَنْ مُشاهَدَة الحق وَمُحَاضرته فهو طاغوت.

وَسُئِلَ عَنْ قولِهِ عَز وجل: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] قَالَ: الذينَ يصلحهم لَهُ.

وَعَنْ قَوْلِهِ عَزَ وَجَلّ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] ، فَقَالَ: مَعْنَاهُ: إذا ذَكَرْتمُونِي فاذكُرُونِي بذكْرِي لَكُمْ، فقدَ ذَكَرْتكم حيث لم تكونُوا متعَرضين لِذِكْرَي، فَلاَ تطلبُوا بذكري غيري، فلا شرفَ لكم أشرف مِنْ ذلكَ.

وَقَالَ أبُو عَبْدِ اللّه القرشي فِي قولهِ عَز وجلَ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣] قال: من أشرك مع الله تعالى فيما لله تَعَالى غير الله تَعَالى، فالله تَعَالى مِنْهُ بَرِيءٌ.

وَعَن ابن عطاءٍ فِي قولهِ عَزَ وَجل: ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] ، قَالَ: مِنَ الشهواتِ وَمِنْ حَلاَوَةِ العَادات.

وَفِي قولِهِ عز وجل: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨] ، قَالَ: قطعهم عَنْ أوصَافِهِمْ بِمِنَنِهِ.

وَعَنِ المزني فِي قولِهِ عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥] فقالَ: هَذَا وعيد لمن صلى ثم سَهَا فَزَادَ فيها، فَكيف بمن يتركها.

وَقَال ابنُ عَطَاءٍ: لَيْسَ فِي القرآن وعيد شديد إلا وتحته وعدٌ لطيف، مَا خَلاَ الويل، فإِنَّهُ وعيدٌ مُجَرَدٌ.

وَقِيلَ فِي قولهِ عَزَ وجل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] أَنَّهُ إظهارُ غائب وتغييب ظاهر.

وَسَأَلَ ابنُ شَاهين الجنيد عَنْ معنى هذا، فقال: هو على معنيين مَعَ الأنبياءِ بالنصرة والكلاءة مثل قوله عَز وجل ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وَمَع العامَةِ بالعلم والإحَاطَةِ، مثل قوله تَعَالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧] قَالَ ابن شاهين للجنيد: مثلك يصلح أنْ يكونَ دَالاً للأمَةِ على الله عز وجل.

وَعَنْ أبي سليمان الدَارَاني قَالَ: إذَا ألفت الْقُلُوبُ الإعْرَاضَ عَنِ الله عز وجل(١)، قوي

---

(١) يستفاد منه أن كل من ينكر على أهل الولاية أحوالهم ومقاماتهم وسيرتهم المرضية فهو من أهل الإعراض عن الله ولو كان ظاهره مترسماً بأهل الصلاح، فالمعوّل على القلوب والنيات والأعمال الموافقة للشرع الشريف والالتزام بما أمر الله، ومما أمر به الله تعالى بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ومن أصدق ممن تأسى برسول الله ﷺ، وسار على درب أهل الصدق والولاية فإياك يا أخي أن تغترّ برسل الشيطان أو تصغي إلى كلامهم المزخرف، فظاهره الحق وباطنه من قبله العذاب والخذلان نسأل الله العافية والسلامة وكل من قال آمين بجاه سيد المرسلين ﷺ.

إنكَارُهَا على أهْلِ ولايةِ الله عزَ وجل، وَاستدلَّ بقولِهِ عزَ وَجل ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١] وكقوله تَعَالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩] .

وسُئِلَ أبُو الحسين النُورِيُ عَنْ معنى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، قال: معناهُ ثوابُ الصلاةِ يذهَبُ بِهَا عقابُ الفحشَاءِ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ أنْ يبقى عَلَىٰ صاحِبه عقابَ الفحشاءِ وَالمنكَرِ.

وَقَرأ الجنيد رَحمَهُ الله هَـٰذِهِ الآيَـةَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦١] فَقَالَ: ما معنى قوله عز وجل: ﴿وهم لها سابقون﴾ فقال: لَيْسَ إنه بدَنٌ يَسْبقُ بَدناً، ولاَ عمل يَسْبق عملاً، وَلَكِنْ هُمومُهُمْ تسبق أعمالهم، وهُمُومهم تسبق همومَ غيرهم.

وَعَن أبي العباس محمد بن الحسنِ، قَالَ: حضرت مجلسَ الشبلي، فسُئل عَنْ معنى قوله عَزَ وجل ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، فقالَ: نَعَم، جعل الله تَعَالَى العذابَ خُصُوصاً، وجعل الرحمَةَ عموماً.

وَقيل في معنى قوله عَز وجل: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] أنَّ معناه: إذا أمرضني مُقَاسَاة الخلق شفاني بذِكْرِهِ.

وَقَوْلِهِ عَزَّ وجَلّ: ﴿والَّذِي يميتني ثم يحيين﴾ قيل: معناهُ يميت قلبي عنِ الدنيا، ويحييني بِهِ عمن سِوَاهُ. وَقيل: يميتني بالخوف، ويحييني بالرَجَاء.

وَسُئل الشبلي عَنْ قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فَقَالَ: مَعْنَاهُ عَظِمُوني فأنا الله، وَسَكَتَ سَاعة ثم نظر إلى السائل، فقال: مَا لَك أجبني؟ فَتَبَسَمَ وَقَالَ: الدُّعَاء فِي كِتَابِ الله عزَ وجلّ هُوَ التعظيم، ومسألة العفو الغفران، فَإذَا دَعوت تحتاج أن تعظم مَنْ تدعوه، وَلاَ يَكُونُ لك كَسائِر مَا تقولُ، لأنَه ليس كمثله شيءٌ.

وَقَالَ الوَرَّاقُ: ادْعُوني على حدِّ الاضْطِرَارِ والالتِجَاءِ، حتى لاَ يَكُونَ لَكُمْ مَرْجِعٌ إلى سِوَاي، أستَجِبْ لَكُمْ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ علي: مَنْ دَعَا الله وَلَمْ يعمر قبل ذلك سبيل الدُّعاء بالتَوبةِ، وَالإِنَابَةِ، وَأكْل الحلاَلِ، واتباعِ السنن، وَمُرَاعَاةِ السِّرِ، كَانَ دُعَاؤُه مَرْدُوْداً عليهِ، وأخشى أن يكون جَوَابُهُ الطَّرْدَ واللعْنَ.

وَقَال يحيى بنُ معاذ: ادْعُوني بصدق اللجاء أستَجِبْ لَكُم صَالح الدُّعَاءِ.

قيل لسهل بن عبد الله: مَا مَعْنَى قولِهِ «الدُّعَاء أفضل الأعمالِ» فَقَالَ لأن فيهِ الفقر

والفَاقَة، والالتجَاء والتضرعَ.

وَقَال ابن عَطاءِ: إن للدُّعَاءِ أرْكَانَاً، وأجنحةً، وَأسْباباً، وَأوقاتاً، فإنْ وَافَقَ أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مَوَاقيتَه فَاز، وإن وَافق أسبابَهُ أنجح، فَأركَانُهُ حضور القلب، والرقَةُ والاستكانة، والخشُوع، وتعلق القلب باللَّهِ، وقطعه مِنَ الأسبَابِ كلها، وأجنحته الصدق، وَأوقاتُهُ الأسحار، وَأسبابُهُ الصلاةُ على محمدٍ ﷺ.

وسُئِلَ محمد بن الفضل عَنْ معنى قولهِ عَزَ وجل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] فقال: أولٌ ببرهِ، وَآخِرٌ بعفوه، وظَاهِر بإحسَانِهِ، وَبَاطِنٌ بستره على المذنبين وتجاوزه عنهم.

وَقَالَ الوَاسِطِيُ: مَنْ كَانَ حظه مِنْ اسمِهِ (الأول)، كَانَ شغلُه بما سبق، ومن كان من اسمه (الآخر)، كان مرتبطاًبما يستقبله، ومن كان حَظه مِنْ اسْمِهِ (الظاهرُ) كَانَ حَظُهُ ملاحظةَ عَجَائبِ قُدْرَتِهِ، وَمَنْ كَانَ حَظه مِنْ اسمه (الباطن)، كَانَ حظه ملاحَظة مَا جَرَى فِي السَّرَائر مِنْ أنْوَارِهِ.

وَقَالَ جعفر: هُوَ الَّذي أوَّل الأوّل، وأَخَّر الآخِرَ، وَأظهر الظَّاهِر، وأبْطَنَ الباطن، فسقطَ هذه المعاني وَبَقي هُوَ لم يزل ولا يَزَال.

وَسُئِل جعفر الصَّادِقُ عَنْ قولِهِ عَز وجل: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣] قال: عَلَى أرَائك المعرفة، يَنظرونَ إلى المعروف.

وَسُئِل بعضهُمْ عَنْ قولهِ عَزَ وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قال: معناهُ لَنْ تَنَالُوا وُصلتي وفي قلوبكم محبةُ سِوَاي.

وَسُئِلَ أَبُو بكر بن طاهر الأبهَري عَنْ قولهِ عَزَ وجل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]، فقال: البَرُّ: اللسانُ، والبحر: القلبُ.

وَقيل في قوله عز وجل: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ﴾ [البقرة: ٤٠]: اوْفُوا بعهدي على بساط خدمتي بحفظ حرمتي، أوف بعهدكم في دار نعمتى، على بساط مِنتي بسرور رؤيتي. وقيل في قوله عز وجل ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]: لئن شكرتم رعايتي، لأزيدنكم هِدَايتي، ولئن شكرتم هدايتي، لأزيدنكُم خدمتي، ولئن شكرتم خدمتي، لأزيدنكم مشاهَدَتي، وَلئن شكَرْتُم مشاهدَتي لأزيدنكُمْ ولايتي، ولئن شكرتم ولايتي لأزيدنكم قربي، ولئن شكرتم قربي لأزيدنكم رؤيتي. وقيل في قوله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] قيل: فيهِ رَجاء للمؤمنين إذ النارُ مُعَدةٌ للكَافِرين.

وَقيل في قوله عَزَ وجل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧ ـ يونس: ١٠٧] إن كشف الضرورية الحق في الضر، والتعري عن رؤية الضر فإذا وقفك على رُؤيته في الضُر حتى شغلت برؤيته عَنْ رؤيةِ الضُر، كشف عنك، كَمَا أن السَّحَرَة هَانَتْ عليهم رؤية العقوبة مِنْ فِرْعَوْنَ، إذْ وقَفَهُمْ الله سبحانَهُ عَلَى رُؤيَتِهِ عَزّ وَجَل وَمُشَاهَدَتِهِ وَاطّلاعِهِ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ الجنيْدُ: مَعْبُودُك أوّل خَاطِرٍ يَخْطُرُ لَكَ عِنْدَ نزولِ ضر، أو ظهور بلوىٰ، إنْ رَجعتَ فيهِ إلى الله عز وجل فهو مَعْبُودُكَ، وَهُوَ الَّذِي يَكفيك، وَإنْ رَجعتَ إلى غيره تَرَكَكَ وَمَا رَجَعْتَ إليهِ.

وَسُئِلَ جعفر بنُ محمد رَضِيَ اللّهُ عَنهُ، عَنْ قولِ اللّهِ عَزَ وَجل: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى: ١ ـ ٢] فقال: الحاء حلمه، والميم ملكُهُ، وَالعين عَظَمتُهُ، والسين سناؤهُ، والقَافُ قُدْرَتُهُ، يقُولُ الله عَزَ وجَل: «بحلمي وملكي وعظمتي وسنائي وقُدرتي لا أعذبُ بالنارِ مَنْ قال: لاَ إله إلاّ الله محمد رَسُولُ اللّهِ».

وَعَنْ محمد بن كَعْبٍ القرظي فِي قوله عَز وجل: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: ٣٧] قال: وَفّى بذبحِ ابنهِ.

وَقَالَ غيرهِ: وَفَّى بأرْبَعَة أشياء؛ أن جعل نفسَهُ للنيران، وَمَالَهُ للضيفان، وَوَلدَهُ للقربان، وقلبه للرّحمنِ.

وَسُئِل الشبلي عَنْ معنى قوله عَزَ وجل ﴿الله أكبر﴾ فقال: هُوَ أكْبَرُ مِنْ أن يُنَالَ بِالوَهْمِ، وَأكْبَرُ من أنْ يعبده الخلقُ بحقيقة العبوديَةِ، فَكَيفَ يَتَوَجَهُونَ إليهِ بالرُبُوبيّةِ.

وَسُئِلَ الشبلي أيضاً عَنْ معنى مَا رُوِي فِي الحديثِ: «أن النفس إذا أحرزت قوتها اطْمَأنَتْ»، فقال: مَعْنَاهُ: إذَا عرفَتْ مَنْ يقوتُهَا اطْمَأنَتْ ثم قرأ قوله عَزَ وَجَل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

وَسُئِلَ الجنيد عَنْ معنى قولِ النَّبي ﷺ: «حبك الشيء يعمي وَيُصمُ»[١]، فقال: حُبُكَ الدنيا يعمي ويُصِمْ عَنْ حبك الآخرة.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، والبخاري في التاريخ، وأبو داود في السنن عن أبي الدرداء والخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي برزة، وابن عساكر عن عبد الله بن أنيس. ورمز السيوطي لحسنه. (الجامع الصغير ١/ ٥٠٠).

وَعَنِ الجنيد قالَ: أنشدنا سَرِي السقطي رَضي الله عنه:

مَا فِي النهارِ وَلاَ فِي الليل لِي فرجٌ   فَلاَ أُبَالِي أطَالَ الليل أمْ قَصُرَا

ثُمَّ قالَ سَرِيٌ لَوْلاَ خَشْيَةُ الشناعَةِ لصحتُ، ثم قَالَ أينَ شَاهدُهُ؟ قُلْنَا: لاَ نَعْلَمُ، قال: حديثُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ «لَيْسَ عند رَبكُمْ ليل ولا نَهارٌ»[1] فمن كَانَ عند ربه عَزَ وَجَلَ فليسَ فِي ليلٍ ولاَ نهار.

وَسُئِلَ الشِبْلِيُ عَنْ معنى قولِ النَّبي ﷺ: «جعل رِزقي تَحْتَ ظِل سيفي»[2]، فقال: كَانَ سيفه الله تَعَالى. وَأمّا ذو الفقار فهو قطعَةُ حَدِيْدٍ.

وَسُئِلَ الجُنَيْدُ عَنْ معنى قَولِ النَّبِي ﷺ: «لَوْ تَوَكَلْتُمْ عَلى الله عزّ وجل حَقَّ التَوكُل لَرزقَكُمْ كَمَا يرزقُ الطيرَ، تَغْدُو خِمَاصَاً وتَرُوحُ بِطَانَاً»[3]، قَالُوا: فقد نَرَى الطَيْرَ يَطِيرُ فِي طلبِ الرِزقِ مِنْ موضعٍ إلى مَوْضِعٍ وتتحرك وتَتْعَبُ، فقالَ الجنيدُ: قَالَ الله سبحانَهُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] وإنَّما طيرَانُ الطير وحركَتُهُ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ أجلِ الزيْنَةِ التي ذَكَرَ الله تعالى، فَقَالَ: جعل الله طَيَرَانَهُمْ للزينَةِ لا لطَلب الرزقِ.

وَقَالَ الجنيدُ فِي معنى قولِهِ ﷺ: «استغفِرُوا اللَّهَ عَزَ وجل وتُوبُوا إليهِ، فإني أتوبُ إليهِ فِي اليوم مائة مَرَةً»[4]، قَالَ: كَانَ حَالُ النَّبِي ﷺ مَعَ الله تَعَالى فِي كُلِ نَفَسٍ فِي زِيَادَةٍ، فَكَانَ إذَا رُقِي بِهِ إلى زِيَادَةِ حَالٍ مِنَ الشرفِ، أشْرَفَ بزيادتِهِ عَلى حَالِهِ فِي النفس الماضِي، فَاسْتغفر الله تَعَالى مِنْ ذَلِكَ وَتَابَ إليهِ.

وَسُئِلَ سهل بن عبد الله عَنْ معنى قولِ النَّبِي ﷺ: «الدُنيا ملعونَة ملعون مَا فيها إلا ذِكْرُ الله تَعَالى»[5]، فقال: ذكر الله تعالى، فِي هَذَا الموضِعِ الزُهْدُ فِي الْحَرَامِ، وَهُو أنهُ

---

(١) لم أجده.

(٢) حديث: (إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي)، قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عمر بلفظ: (جعل رزقي تحت ظل رمحي). (تخريج أحاديث الإحياء، الحديث ١٤٦٥).

(٣) مر تخريجه أول باب التوكل.

(٤) في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث الأغر المزني: (يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى الله في اليوم مائة مرة).

ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة. ويروى: يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فإني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم أو في كل يوم مائة مرة أو أكثر من مائة مرة. هكذا رواه ابن أبي شيبة وأحمد والطبراني وابن مردويه عن أبي بردة عن رجل من المهاجرين. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث رقم ٣٢٨٢).

(٥) رواه الترمذي وحسّنه، وابن ماجة من حديث أبي هريرة وزاد فيه (إلاّ ذكر الله وماوالاه وعالم أو متعلم).

إذا استقبله حَرَامٌ، يذكر الله عز وجل، وَيعلم أن الله تَعَالى مطلع عليهِ، فيجتنبُ ذَلِكَ الحرام.

وَسُئِلَ أبو بكرِ الْوَاسِطِي عَنْ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِي ﷺ: «جُبِل وَلِيُ الله عَز وجل على السَخَاءِ وَحُسْنِ الخلق»[(١)]، فقال: إنَّما السخاوة مِنْ وَلِي اللَّهِ، أنْ يَهَبَ نفسه وَقَلْبَهُ لله عَزَ وَجَل، وحسن خلقهِ أنْ يُوافقَ خلقه اختلاَفُ تدبير اللَّهِ عَز وجل فيه.

وَقِيلَ فِي مَعْنَى قولِ النَّبِي ﷺ عِنْدَ موتِهِ: «وَاكربَاهُ» قَالُوا: يُسِّرتِ المنيةُ عليهِ لِمُبَادَرَتِهِ إلى مَا لاَ حَظَ لَهُ عِنْدَ الموتِ مِنَ المراتبِ الرفيعةِ، فقالَ: «وَاكرباهُ» مِن البقَاءِ فيما بينَكُمْ، شوقاً مني إلى اللقاءِ.

وَقَالَ الجُرَيْرِيُ: قيل للجنيد: مَا مَعْنَى قولِ النَّبِي ﷺ: «أنا سيد وَلَدَ آدَمَ ولا فخر»[(٢)]، قَالَ لِي: هَاتِ أَيْش وَقَعَ لَكَ فِي ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: يعني بقولِهِ: «أنَا سيدُ وَلَدِ آدَمَ» أي هَذَا عَطَاؤُهُ، وَأنَا لاَ أفْتَخِرُ بالعَطَاءِ، لأن فخري بالمعطِيْ، فقالَ: أحسنْتَ يَا أبَا مُحَمَّدٍ.

آخر الجزء الرابع من تهذيب الأسرار

يتلوه في أول الخامس وقيل في قوله ﷺ «ارحموا ثلاثة»

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

---

(١) لم أجده.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي سعيد الخدري، والحاكم من حديث جابر، وقال: صحيح الإسناد، وله من حديث عبادة بن الصامت: أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر. ولمسلم من حديث أبي هريرة: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) قاله العراقي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال أبو سعيد عبد الملك بن عثمان الواعظ الزاهد رضي الله عنه.

وَقِيلَ فِي قولهِ ﷺ: «ارْحَمُوا ثلاثة: عزيزَ قومٍ ذَلَّ، وغني قوم افتقر، وَعَالم يَجْرِي عليه حُكْمُ جَاهِلٍ»[١] معناهُ: عزيز بالطَاعَةِ ذَل بِالمَعصيةِ، وغني بالقَنَاعَةِ وافتقرَ بالحرصِ، وقلبٌ عالم بِاللَّهِ تجري عليهِ أحْكَامُ جوارحِه.

وَعَنْ إبْرَاهيم بن إسحق الحربي[٢] أنَّهُ قَالَ: معنى قولِ النَّبِي ﷺ: «إن مما أدرك الناسُ مِنْ كلام النبوة الأولى إذَا لم تستحي فاصنع مَا شئت»[٣] أرَاد بِهِ فعل الخير مِمَّا لا يستحيَا مِنْ مثلهِ، مِثْل صلاةٍ، وصيام، وَصَدَقَة، فإن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لا يأمُرُون بالسُوءِ، كأنه قال: إذا لم تفعل ما يستحيا منه فاصنع مَا شئتَ.

وَسُئِل الشبلي عَنْ معنى مَا رُوي عَن النَّبِي ﷺ: «إذَا رَأيتم أهل البلاء فسلوا ربكم العافية»[٤]. فقالَ: أهل البلاء أهل الغفلة عن الله عز وجل.

وَسُئِل بعضهم عن قول النَّبي ﷺ: «يضع قدمَهُ على النارِ» فقال: القدَمُ القُرونُ الماضية.

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس، ولفظ ابن حبان في الضعفاء: (ارحموا ثلاثة عزيز قوم ذل. وغني قوم افتقر، وعالماً بين جهال) وتخريج أحاديث الإحياء الحديث رقم ٣٣٠٩).

(٢) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم، أبو إسحاق الحربي، ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالأدب، جمّاعاً للغة، وصنف كثيراً من الكتب، منها: (غريب الحديث) وغيره. أصله من مرو، كان له اثنان وعشرون داراً باعها وأنفقها في تحصيل الحديث. مات ببغداد سنة ٢٨٥ هجرية. (تاريخ بغداد ٦/ ٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب عن أبي مسعود، وأبو داود في سننه، والإمام أحمد، ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد (كنز العمال ٣/ ١٢٢، الحديث ٥٧٧٩).

(٤) لم أجده.

وَسُئِل أبُو بكرِ بنُ ظاهر الأبهري، عن قولِ النَّبِي ﷺ «مَا بين قبري ومنبري رَوضة مِنْ رِيَاضِ الجنَةِ»[1]، فقال: إنَّ الله تَعَالى جعل الجنة لأهلِهَا، بحيث يكون لهم فيها مَا يدعونَ، وَذَكر مَا بين قبره ومَنبرهِ، فقال: «روضةٌ مِنْ رياض الجنَّةِ»، أي: لا يسأل الله تعالى فيها عبد شيئاً إلا أعطاهُ.

وَسُئِل الحسن بن علي عن معنى الخبر: يقول الله عز وجل: «أنا جليسُ مَن ذكرني»[2]، «فقال: معناهُ مَنْ ذكرني»، في الدُّنيا كنت جليسَهُ فِي الآخِرَةِ.

وَقِيل في معنَى قولِ النَّبِي ﷺ: «متعني بسمعي، وبصري، واجعلهما الوارث مني»[3] يعني: أبا بكرٍ، وعمر رَضِي الله عنهما، بدليل قولهِ ﷺ لأبي بكرٍ وَعَمر رَضِي الله عنهما: «هُمَا مني بمنزلة السمع والبصر»[4].

وَعَنِ الشبلي في معنى قول النَّبي ﷺ: «سَافِروا تَصحوا، وتغنموا»[5] أي: سَافروا بقلوبكم نحونا تَغنَمُوا فوائدنا.

وعَنِ الشبلي فِي قوله ﷺ: «إن أطيبَ ما يأكلُ الرجل مِنْ كَسْبِهِ»[6]، قَالَ: كسبه رَفع يديهِ إلى الله للسُّؤالِ.

---

(١) حديث: (ما بين قبري ومنبري، روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد.

(٢) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك، أو بعيد فأناديك؟ فقيل له: يا موسى أنا جليس من ذكرني» (كشف الخفاء ١/ ٢٠١).

(٣) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن الشخير، وعند الحاكم والترمذي عن أبي هريرة بلفظ: (اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثأري). (الكنز ٢/ ١٨٦).

(٤) أخرجه أبو يعلى في المسند، والباوردي، وابن عساكر، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جده، قال ابن عبد البر: وماله غيره، والأصبهاني في الحلية عن ابن عباس، والخطيب عن جابر بلفظ: (أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس) (الكنز ١١/ ٥٦٢ الحديث ٣٢٦٥٥).

(٥) أخرج الإمام أحمد في مسنده: (سافروا تربحوا وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا) وهو عند الطبراني بلفظ: (اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا) تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٢٤٩٧).

(٦) حديث: (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه) أخرجه أبو داود والحاكم عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. (الكنز ٤/ ٨ الحديث ٩٢٢٤).

بَابٌ فِي ذكر الآداب

أخبرنَا أبو سعدٍ، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغساني بصيدا، قال: أخبرنا الحسن بن محمد بن قرة أبو بكرٍ العدل، قال: حدثنا الحسن بن جرير، قال: حدثنا محمد بن محمد بن عبد الله، قال: حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، قال: حدثنا ناصح عن سماك بن حربٍ، عن جابر بن سمرة، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «لأن يؤدب الرجل وَلده؛ خيراً من أن يتصدق كُلَّ يومٍ بنصفِ صاعٍ»(١).

وَقَالَ سعيد بن المسيب: مَنْ لم يعرف مَا لله ـ عز وجل ـ عليهِ في نفسه، ولم يتأدبْ بأمره ونهيه، كان مِن الأدب في عزلة.

وَحُكي عَن سهل بن عبد الله ـ رَضِي الله عنه ـ أنَّه قال: من قهر نفسه بالأدب، فهو الذي يعبد الله ـ عز وجل ـ بالإخلاص.

وَقَال بعضهم: إن أفضل الآدَاب التوبة، وَمنع النفسِ من الشهواتِ.

وَيقال: المكارم لا تنال إلا بالقيام على الآدَاب.

وَقال يحيى: إذا ترك العارف أدبه مع معروفه، فقد هلك مع الهالكين.

وَقَالَ أبو عمران: كنت عزمت على أربع خصالٍ، فرأيت بشر بن الحارث في المنام، فقال لِي: عزمت على أربع خصالٍ، ولَمْ تعزم على الأدب وهو أكبر الأمر.

وعَنْ سفيان أنه قال: حسن الأدب يطفىء غضب الرب عزَّ وجل.

وَقَال يحيى بن معاذ: مَنْ تأدب بأدب الله تعالى، صَارَ مِنْ أهل محبة الله عز وجل.

وَقَالَ سهل يصف قوماً: استعانوا بالله على أمر الله تعالى، وَصبروا على أدب الله سبحانه وتعالى.

وَقَال أبو محمد الجريري: منذ عشرين سنة ما مددت رجلي وقت جلوسِي في الخلوة، وقلتُ: حسن الأدب مع الله تعالى أولى.

ويقال: ثلاث خصال ليس معهن غربة؛ مجانبة أهل الريب، وحسن الأدب، وكف الأذى.

---

(١) حديث: (لأن يؤدب أحدكم ولده خير من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على مسكين) رواه الطبراني والحاكم عن جابر بن سمرة، وفي رواية: بصاع) عنه أيضاً. (الكنز ١٦/ ٤٦١ الحديث ٤٥٤٣٧).

وقالَ الجنيد لأبي حفصٍ: أدَّبتَ أصحابك أدَب السلاطين، فقالَ: لاَ يَا أبَا القَاسِمِ، ولكن حُسْنُ الأدَبِ في الظاهر عنوانُ حسن الأدب في الباطن.

وَقَال: حسن أدَبِ الظاهِرِ عنوان حسن أدبِ الباطِنِ.

وَقَالَ ابن عَبّاسٍ رَضي الله عنهُ: كُلُ الأدب معرفةُ حُقوق الله تعالى فِي النِعَمِ والنِقَمِ.

وَقَالَ يُوسف بن أسْبَاطٍ: مِنْ عَلاَمَة الأدبِ صيانَةُ النفسِ عندَ الكلام، خوفاً مِنَ الزللِ، وترك الابتداءِ مِنْ نفسهِ، حتى يبدأ فيه، والصبرُ على من يتكلم، حتى يفرغ، وإعطاء الجليس حَظَهُ مِنَ الكَرَامَةِ، وترك مَد الرجلين عند جلسائِهِ، والسُكُوتُ عند نُطْقِ المشايخِ إجلالاً لَهُمْ، وَوَزْنُ الكلامِ فِي القلبِ قبل افتتاحهِ.

وَقَالَ كُلثُوم العتابي: الأدَبُ أدبان؛ أدَبُ قولٍ، وأدَبُ فعلٍ. فمن وُفِّق في أدَبِ القولِ عَدِمَ ثَوابَ العمل، وَمَنْ تقربَ إلى الله - عَزَّ وجل - بأدَبِ الفعل منحه محبة القلوبِ.

وَسُئِلَ سَهْلٌ عَنْ أدبِ النفس، فقالَ: الأدَبُ هُوَ السنة. فأدّبوا أنفسكم بثلاثة أشياء: لا تتركُونَهَا تجالس الغافلين الَّذين يَخُوضُونَ في حَديث الدُّنيَا، ولا تتركُوهَا تأخذ مهناها مِنَ النومِ والأكْلِ والشُرْبِ، وَكُل هَذَا إذَا أرَادَتْ مِنْكُمْ المعصيةَ، وأطعموها مِنْ الحلالِ مَا شَاءَتْ، وَاترُكُوهَا تَنَامَ مِنَ الليل ما أحَبَّتْ.

وَقَال عبد الله بن المُبَارَك: قد قَالَ الناسُ فِي الأدبِ فأكثرُوا، ونحن نَقول: هُوَ فِي معرفةِ النفسِ.

وَقيل: الأدَبُ رِيَاضَةُ النفسِ، وهو أن يخرجها عَلَىٰ أحْكَامِ الله تَعَالى وَرَسُولِهُ ﷺ.

وَعَنْ الشبلي قال: الانْبِسَاطُ بالقولِ مَعَ الحق تركُ الأدَبِ، وترك الأدب يُوجبِ الطرد.

وَقَالَ ذُو النُون: العارف يحسن مُعَاشَرَةَ الخلقِ، يقتدي بِأدَبِ الله تَعَالى، لأن أدب العارف فوقَ كُل أدب، لأن معروفَه مؤدبٌ قَلْبَهَ.

وَسُئِلَ أبو سعيدِ الخراز عَنْ الإرادة، فقال: حسن الأدب وجمع الهمةِ.

وَقَالَ بعض مشايخ نيسابور لبعض جُلَسَائِهِ: يا أبا فلان أتدري ما يقولُ الحقُ؟ فقالَ: لاَ، فقال: يقولُ الحق: من ألزمتهُ القيام مع أسمائي وصفاتي، ألزمته الأدب، ومَنْ كَشفتُ لَهُ حقيقة رُؤيَةِ سِوَاي، ألزَمْتُهُ العطَب فاختر أيَّهما شِئْت: العطبَ أو الأدب.

وَقَال أبو علي الرُوذَباريُ: النفسُ مجبولةٌ على سوء الأدب، والعبد مأمورٌ بِمُلاَزَمَةِ الأدَبِ، والنفس تجري بطبعها فِي مَيْدَانِ المُخَالفةِ، والعبد يجتهدُ فِي رَدِهَا عَنْ سُوءِ

المُطَالبَةِ، فمتى ما أطلق عنانها فهو شريكها في فسادها، كَمَا قال علي بن أبي طَالِبٍ عليهِ السلام: مَنْ أعانَ نفسَهُ على هوى نفسِهِ، فقد أشرك نفسه في قتل نَفْسِهِ.

وَكَانَ ابنُ عَطَاءٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يمد رِجْلَهُ يقُولُ: تركُ الأدَبِ عِنْدَ أهْلِ الأَدَبِ مِنَ الأَدَبِ.

وَقَالَ الجُنَيْدُ: إِذَا صَحَتِ المحبَةُ سقطَتْ شُرُوطُ الأدَبِ.

وَقَالَ أبو عثمان: إذَا صَحَتِ المحبةُ أكَّدَتْ على المحب ملازمةَ الأدَبِ.

وَرُوِيَ عَن النَّبِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إن الله تبارَكَ وَتَعَالَى أدَبنِي فَأحسنَ أدَبِي»[1].

وَأنشدتُ:

إذَا صفت المَحَبَةُ بين قَوْمٍ وَدَامَ وَلاَؤُهُمْ سمح الثناءُ

وَسُئِلَ بعضهم عن أدبِ النفس، فقال: أنْ تعرفها الخير فَتَحُثَها عليهِ وتعرفها الشَرّ فتخرجهَا عَنْهُ.

وَقَالَ الجَلاَجليُ البصريُ[2]: التوحيد مُوجِبٌ يوجبُ الإيمان، فمن لا إيمان له لا توحيد لَهُ. وَالإيمانُ موجبٌ يوجِبُ الشريعة، فَمَنْ لاَ شَرِيْعَةَ لَهُ لا إيْمَانَ لَهُ، وَلاَ تَوْحيدَ لَهُ، والشَّريْعَةُ مُوْجِبَةٌ، تُوْجِبُ الأدبَ، فمن لا أدَبَ لَهُ لاَ شَرِيعَةَ لَهُ، وَلاَ إِيْمَانَ، وَلاَ توحيدَ.

وَقَالَ ابن المبارك: نحن إلى قليلٍ من الأدب أحوج مِنَا إلى كثيرٍ مِنَ العلمِ.

وسئل ابن سيرين: أقرب إلى الله - عز وجلّ وأزلف عنده للعبد ماذا؟ فقال: المعرفة بربوبيته، والعمل بطاعته، والحمد على السراء، والصبر على الضراء.

وَسُئِلَ ابن عطاءٍ مَا الأدَبُ في ذَاتِهِ؟ فَقَالَ: الوقُوفُ مع المستحسنَات؟ فقيل: مَا الوقوفُ مَعَ المُستحسنات فقال: أن تعامِل الله - عَزَ وجَلَ - بالأدب سِراً وإعلاناً، فَإذَا كُنْتَ كَذَلِكَ كُنتَ أديباً وَإنْ كنت أعجمياً.

ثم أنشد ابن عطاء في هذا المعنى:

إذَا نَطَقَتْ جَاءَتْ بِكُلِ ملاحةٍ وَإنْ سَكَتَتْ جَاءَت بِكُل مليحِ

---

(١) حديث: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) رواه ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ١/٤٢ الحديث ٣١٠).

(٢) المحدث المقرىء، أبو السري موسى بن الحسن بن عباد النسائي الملقب بالجلاجلي لطيب صوته قال ابن المنادي: قيل إن القعنبي قدّم الجلاجلي في التراويح فأعجبه صوته وقال: كأنه صوت جلاجل!، توفي سنة ٢٨٧ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٣/٣٧٨، تاريخ بغداد ١٣/٤٩).

وَقَالَ الحسن البصري: أنفع الآدَابِ عَاجلاً وآجلاً التفقّه في الدين، والزُهْدُ فِي الدُنْيَا، والمَعْرفَةُ بِمَا لله تَعَالى عَلى العبدِ.

وَقَالَ ابنُ المُبَارَكِ: الأدَبُ للعَارِفِ بمنزلة التَوبةِ للمستأنفِ.

وَقَالَ أبو محمدِ الجريري: الإنصافُ والأدبُ أن لا يتكلم الرفيع في هَذَا العلم حَتَّى يُسْأل.

وَقَالَ النُوريُ: مَنْ لم يتأدَبْ للوقتِ فوقتُه مقتٌ.

وَقَالَ ذُوْ النُونِ: إذَا خَرَجَ المريد عن استعمالِ الأدَبِ، فإنه يرجع مِنْ حيثُ جَاء.

وَقيل: مَنْ تَأدَبَ بِآدَابِ الله ـ عز وجل ـ أعْطَاهُ الله تَعَالى مَفَاتيحَ الخير، لا يأتي قُفلاً عسيراً إلا انفتح لَهُ.

وعلَّم الخضر ـ عليه السلام ـ رَجُلاً فقالَ: «قُل اللَّهمَّ ألهمني حسن الأدَب في معاملاتك».

وَقَالَ بعض المشايخ: مَدَدتُ رجلي ذَاتَ يومٍ بعد فراغي من الصلاة، وإذا بهاتفٍ يهتف: يا فُلاَن، هَكَذَا تجالِسُ الملوك؟؟! فرفعتها وَمَا مددتها بعد ذلك.

بَابٌ فِي ذِكْرِ حُسْنِ الخلق

أخبرنَا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أخبرنَا الشريفُ أبو الحسن محمد بنُ دَاودَ الْحَسَني، قَالَ: حَدَثني أبو عبد الله الحسين بن دَاود، قَالَ: حدثنا أبو بَكر عبد الرحمن بن محمد السرخسي، قَالَ: حَدثنا عبد الله بن بشر السرخسي، قالَ: حدثنا جميل بن يزيد المَرْوَزِيُ، قال: حدثنا أبو الصلتِ شهابُ بن حراش الحوشي، قالَ: حدثنا سفيان الثوري، عَن سَعْيدِ بن أبي بردَة، عَنْ أبي بردةَ، عَنْ أبِي مُوسَى، عَنْ أبيهِ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن الخُلُقَ الْحَسَنَ طوقٌ مِنْ رِضوَانِ الله ـ عز وجل ـ فِي عنقِ صَاحبِهِ، وَالطوق مشدود إلى سلسلةٍ من الرحْمَةِ، والسلسلة مشدُودةٌ إلى حلْقَةٍ مِنْ بَابِ الجنةِ حيث مَا ذَهَبَ الخلقُ الحسنُ جرته السلسلة إلى نفسها، فتدخله مِنْ ذلك البابِ إلى الجنَةِ، وَإن الخلقَ السُوء طوقٌ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالى فِي عنقِ صَاحبِهِ، وَالطوقُ مشدَودٌ إلى سلسلةٍ مِنْ عذابِ الله تَعَالَى، وَالسلسلة مشدودةٌ إلى حَلْقةٍ مِنْ بابِ النارِ، حيث مَا ذَهَبَ الخلق السوءُ جرَّتْهُ الحلقة إلى نفسها، فتدخله مِنْ ذَلِكَ البابِ إلى النارِ»[1].

فنعوذُ بالله مِنْهُ.

وَعَنْ عَائشة ـ رَضِيَ الله عَنها ـ أنها قالت: «كَانَ خلق رَسولِ اللَّهِ ﷺ القرآنَ»[2] ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ثُمَّ قَال ﷺ: «وَهُوَ أنْ تصل مَنْ قطعَكَ وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وتعفو عَنْ من ظلمك»[3].

وَعَن المسيبِ قَالَ: قيلَ: يَا رَسولَ اللَّهِ مَا الشُؤمُ؟ قَالَ: سُوءُ الخُلُق[4].

وَعَنْ أيوبِ بنِ عتبة قَالَ: جَاءَ رجل إلى النَّبي ﷺ من بين يديهِ، فقالَ: يَا رَسُولَ الله

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٨١، وفي اللآلىء ٢/ ١٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، وأبو داود، وابن ماجة، والنسائي والحاكم، وابن حبان وكذا الإمام أحمد في مسنده.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً، وأدخله الجنة برحمته. قالوا: وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فإذا فعلت ذلك، يدخلك الله الجنة. (رواه البزار والطبراني والحاكم) (الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ٣٤٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن عائشة رضي الله عنها، والدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط عن جابر (الكنز ٣/ ٤٤١ الحديث رقم ٧٣٥٣).

مَا الدينُ؟ قَالَ: «حسنُ الخلقِ»، ثم أتاهُ مِنْ قبل يمينه، فقالَ: مَا الدين، قَالَ: «حسن الخلقِ»، ثم أتاه مِنْ قبل شمالِهِ، فقالَ: مَا الدين؟ قال: «حسنُ الخلق»، ثم أتاهُ مِنْ وَرَائِهِ، فقالَ: يَا رَسول الله، مَا الدين؟ قَالَ: فالتفت فقالَ: «إما تفقهُ أو إما تتفقهُ هُوَ أن لا تغضبَ»(١).

وَحُكي عَنْ إبراهيم بن أدهَم أنَّه خرجَ إلى بعض البراري، فَاستقبله رَجُلٌ جُنديٌ فقالَ لَهُ: أنت عبد، قالَ: نَعَمْ، قَالَ: أين العُمْران؟ فأشَارَ إلى المقبرة، فقالَ الرجُلُ: إنَّما أرَدْتُ العُمْرَانَ، قال: هُوَ المقبرة، فَغَاظَهُ ذَلِكَ، فضرب رَأسَهُ بِالسَوْطِ فشجه موضحة(٢) وَرَده إلى البلد، فَاستقبلهُ أصحابُهُ، فقالُوا: مَا هَذَا؟ فأخبرَهمُ الجندي، فقالُوا: هذا إبراهيم بن أدهم، فنزلَ الجندي عَنْ دَابَتِهِ، فَقَبَّلَ يَدَيهِ وَجَعل يعتذرُ إليهِ فقيل لَهُ: لم قلت: أنا عَبْدٌ؟ قَالَ: إنَّهُ لَمْ يَسْألني أنت عَبْدٌ من؟ بَل قَالَ لِي: أنت عبدٌ؟ فقلتُ: نَعَمْ، لأني عبد الله، فلما ضربَ رَأسي سألت الله له الجنة، فقيل لَهُ: إنه ظلمك، فكيف سَألت الله تعالى لَهُ الجنة؟ قالَ: علمتُ أني أؤجر على هذا فلم أحبَّ أن يكون نصيبي منه الخير، وَنَصيبه مني الشَرُ.

وَعَنْ أم الدرْدَاءِ قَالَتْ: قَامَ أبو الدَرْدَاءِ ليلة يُصَلي، فجعل يَدْعو، ويقولُ: اللهم كما حسنت خَلْقي فحسن خُلقي(٣).

وَقَالَ شاهُ بنُ شجاعِ الكرمَاني: حسن الخلق كف الأذى، واحتمالُ المؤن.

وَيقال: فِي سعة الأخلاقِ كُنوزُ الأرزَاقِ.

وَعَنْ بعضهم قال: استعمالُ الخلقِ أن يكون مِنَ الناسِ قريباً، وفيما بينهم غريباً.

وَقَال الواسطي: حسنُ الخلق إرضاء الخلق في السّرَاءِ والضَرَاءِ.

---

(١) عن العلاء بن الشخير رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ من قبل وجهه فقال: يا رسول الله... أي العمل أفضل؟ قال: حسن الخلق، ثم أتاه عن يمينه فقال: أي العمل أفضل؟ قال: حسن الخلق. ثم أتاه عن شماله فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: حسن الخلق ثم أتاه من بعده ـ يعني من خلفه ـ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: مالك لا تفقه؟ حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت. رواه محمد ابن نصر المروزي في كتاب الصلاة مرسلاً هكذا، (الترغيب والترهيب ٣/ ٤٠٦).

(٢) قال في القاموس: (الموضحة الشجة التي تبدي وضح العظام) مادة وضح.

(٣) في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود: (اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي). (الكنز ٣/ ١٢ الحديث ٥١٩٧)، وأخرج ابن مردويه في كتاب الأدعية من حديث أبي هريرة وعائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا نظر في المرآة قال: اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي وحرم وجهي على النار) تخريج أحاديث الإحياء ٨٤٧ الحديث رقم ١٠٨٨).

وَدُعي أبو عثمان الحيري إلى دَعوةٍ، وَكَانَ الداعي يريد تجربته، فلما بلغ منزله قال: ليس لي وَجه دُخولك، فرجع أبو عثمان، فلما ذهبَ غير بعيدٍ جاءه ثانياً، فقال: ترجع على ما يوجب الوقت، فلما بلغ البابَ قالَ لَهُ مثل مقالتهِ الأولى فرجع أبو عثمان، ثُمَّ جَاءَهُ الثالثة والرابعة والخامسة مِرَاراً كَانَ يُعَاملُهِ بهذا، وأبو عثمان يحضر وينصِرفُ، ولم يتغير، فقالَ: إنَّما أردتُ اختبارَكَ وَأخذ يمدحه فقال أبو عثمان: لا تمدحني بخصلةٍ نجد مثلها فِي الكلاب، الكلبُ إذا دُعي أجاب، وإذا زُجِرَ انزجَرَ.

وَرُوي أنَّ أبا عثمان اجتاز بسكَةٍ، فطُرحَتْ عليه إجانةٌ رمادٍ قالَ: فنزلَ عَنْ دَابتهِ وَجَعَل ينفض ذلك عَنْ ثيابِهِ، وَلَمْ يَقُل لَهُمْ شيئاً، فَقِيْلَ لَهُ: ألاَ زَبرتَهُمْ[1]، فقال: إن مَنْ استحق النار فَصُولح على الرمادِ لم يجز له أن يغضَبْ.

وَرُوي أن علي بن مُوسَى الرضا كَانَ دَخَل الحمَام، وَكَانَ آدمي اللونِ، وَجَرتْ عادته أن يُخَلَّىٰ له الحمَّام فأخلي له الحمام، وَمَر الحَمَّاميُ فِي حَاجَةٍ لَهُ وَرَدَ بَابَ الحمَام فتقدمَ إنسانٌ سَوَادِيٌ[2] إلى بَابِ الحمَّام وَدَخَلَ ونزعَ ثيابَهُ وَدَخَلَ فرأى علي بن مُوْسَى، فَحَسِبَهُ بعض خَدَم الحَمّامِي فقَالَ لَهُ: قُمْ فَاحْمِلْ إلي الماء فَقَامَ علي بن مُوْسَىٰ وامتثل جَمِيْعَ مَا كَانَ يأمُرُهُ السوادِي، فرجَعَ الحَمّامِي فرأى ثيابَ الرُستاقي[3] وَسمع كلامَهُ مع علي بن مُوْسَى، فَخَافَ وَهَرَبَ وَخلاَهُمَا، فلما خَرَجَ علي بن مُوسَى سَألَ عَنِ الحمّامي، فقيلَ لَهُ: إنَّه هَربَ ممّا حَدَثَ، فقالَ علي بن مُوسَى: لا ينبغي أن يَهْرُبَ، إنما الذنْبُ لِمَنْ وَضَعَ مَاءَه عِنْدَ أمَةٍ سَوْدَاء[4].

وَرُوي أن بعض الفقراء نَزل على جعفر بن حنظلة، فاعتل وَأصابَهُ إسهال، فكان جعفر يخدمُهُ بنفسِهِ وَيتولى وُضُوءهُ وَطَهارتَهُ، وجعل الرجل يقولُ لَهُ: نعم الرّجل أنْتَ لو كنت مسلماً! فقال لَهُ جعفر: عقيدتي لا تقدحُ فيما تحتاجَ إليهِ من الخدمةِ، فسل الله تَعَالَى لنفسك الشفاء ولِي الهُدَى.

وَرُوِي أن عبد الله الخياط كَانَ يقعد على دُكانه، وَكَانَ لَهُ حريف مجوسيٌ يستعمله في الخياطةِ، وَكَانَ إذا خَاطَ لذلك المجوسي حمل إليه دَرَاهِمَ زُيُوفاً، وَكَانَ عبد الله يأخذهَا منه ولا يخبره بذلك، ولا يردُهَا عليهِ، فقضى عليه مِنَ القضَا أن عبد الله قَامَ مِنَ الحَانُوتِ لبعضِ

---

(١) أي: نهيتهم وزجرتهم.

(٢) أي من عامة الناس.

(٣) فارسي معرب بمعنى القروي أو الفلاح.

(٤) يقصد أباه رضي الله عنه، فسيدنا موسى الكاظم بن جعفر الصادق تزوج حبشية ولدت له سيدنا علي الرضا.

حَاجَتِهِ، فتقدَمَ المجوسيُ إلى شَاجرده[1] واسترجع منه خِيَاطتَهُ وَدَفَعَ إليهِ درهماً زَائفاً، فلما نظر فيه الشاجرد رَدّه على المجوسي، فلما عَادَ عبد الله إلى الحانُوتِ أخبره بذلك، فقال: بئس ما عملتَ، هذا المجوسيُ منذ مدة يُعَاملُني بهذه المعاملة وَأنا أصبر على ذلك، فآخذ منه الدرهمَ وألقيه في هذه البئر لكيلا يَغُرَّ بِهِ مسلماً.

وَرُوِيَ أن أبَا عَبْدِ اللَّهِ الخياط دَعَاهُ أبو العباس التبان، فدفع إليه شقة فيها أحد عشر ذراعاً، وَقَالَ: ينبغي أن تقطع لي ذراعاً وَاسِعَةَ الذيل يمكنني الركوبُ مَعَهَا، فقالَ عبد الله: أنا أقطعها، فَقَالَ: كَفَى هَذَا القدر؟ قَالَ: نَعَمْ، فقالَ: قَدْ عرضْتُ هَذَا عَلَى جماعةٍ مِنَ الخَياطين، فقالُوا: لاَ يَكفي، فقالَ: أنا أكتفي بهذا، فرجعَ إلى حَانُوتهِ واشْتَرَى قطعةً مِنْ خَاصِ مَالِهِ، وضمها إلى تلك الشقة، وأتى بمرادِهِ فقيل لعبدِ الله: هَذَا رَجل موسرٌ أنفقتَ عليه مِنْ عندك، فقال: إذا سُرّ مسلم مني بلغتُ مُرَادِي، سواء كان موسِراً أوَ مُعسِراً، أو غنياً، أو فقيراً.

وَقَالَ وَهْبٌ: مَا يتخلق العبد للَّهِ - عَزَ وَجَل - بخلقٍ حسنٍ أربعين صَبَاحَاً؛ إلا جعله تَعَالى طبيعة فيهِ.

وَعَنْ بَعضهم قَال: جماع الخير في حسن الخلق الذي منحهُ الله تعالى الخاص مِنْ أوليائِهِ ما تعرفُهُ العوام.

وَقَالَ أبو عثمان: أصل حسن الخلق الرضا عَن الله تَعَالَىٰ.

وَقَالَ الجنيد: إنما فضلتم على هذه الخليقة بحسن الخلق.

وَقيل لبعض العلماء: مَنْ أكثر الناس هَماً؟ قال: أسوأهم خلقاً، قيل: فهل له من علامَةٍ؟ قَالَ: كثرة الخلاف.

وَعَنْ حفص بن سعيدِ القاري قَالَ مَكتوب في الإنجيل: «مَنْ لاحى[2] الرجال سقطت كَرامته، وَمَنْ سَاء خلقه عَذَّبَ نَفْسَهُ، وَمَنْ كثر كذبه ذَهَبَ جَمَالُهُ، وَمَنْ كثر هَمُهُ نحل جسمُهُ».

وَقَالَ ابن لقمان الحكيم لأبيهِ: يَا أبَت أي الخِصَالِ من الإنسان خير؟ قَالَ: الدين، قَالَ: فَإذَا كَانَتَا اثنتين؟ قَالَ: الدين والمالُ، قَالَ: فإذَا كَانَت ثلاثاً؟ قال: الدين والمالُ

---

(١) فارسي يعني: التلميذ الذي يتعلم في مدرسة أو يتعلم حرفه. قاموس الفارسية مادة (شاكَرِدْ).

(٢) أي: شتمهم من لحاه يلحوه إذا شتمه (القاموس مادة ل ح ى).

والحياء، قَالَ: فَإِذَا كَانَتْ أربعاً؟ قَالَ: الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قَالَ: فَإِذَا كَانَت خمساً؟ قَالَ: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قَالَ: فَإِذَا كَانَتْ سِتاً؟ قَالَ: يا بني إذا اجتمعت فيهِ الخمسُ خِصَالِ فَهُوَ نَقِيٌّ تقى، للّه تَعَالى وَلِيٌ، وَمِنَ الشيطانِ بريٌ.

قَالَ: يَا أَبَتِ فأي الخِصَالِ شَرٌ؟ قَالَ: الكفر، قَالَ: فإِذَا كَانَتا اثنتينَ؟ قَالَ: الكفرُ والكِبْرُ قَالَ: فَإِذَا كَانَتْ ثَلاَثاً؟ قَالَ: الكُفْرُ، والكِبْرُ، وقِلةُ الشُكْرِ، قَالَ: فَإِذَا كَانَتْ أربعاً؟ قَالَ: الكُفْرُ، والكِبْرُ، وَقِلَّةُ الشُكْرِ، والبخل. قَالَ: فَإِذَا كَانَت خَمْساً؟ قَالَ: الكُفْرُ، والكبر، وقلة الشكْرِ، والبخل، وسُوء الخلقِ. قَالَ: فَإِذَا كَانَتْ سِتاً؟ قَال: يا بني، إذا اجتمعت فيهِ هَذِهِ الخِصَال، فهو شقيٌ، وَهُوَ مِنَ الله تَعَالى بَرِيٌ.

وَقِيْلَ ليحيى بن معاذ: مَنْ أحسن الناسِ خُلقاً؟ قَالَ: أسهلهم مُعَاشَرَةً.

وَقَالَ حَمْدُون: لاَ أَعْلَمُ حسن الخلق إلا في السخاءِ، وَلاَ أعلم سُوء الظن إلا في البخل.

وَقَالَ يُوسف بن أسباطِ: عَلاَمَةُ حسن الخلقِ إحدى عشر شيئاً: قلة الخِلاَفِ، وحسنُ الإنصاف، وترك طلب الانتصَاف، والتغافل عَنِ العثراتِ، وتحسين مَا يبدو مِنَ العورَاتِ، والتماسُ المعذرةِ، واحتمال الأذى، والرجوع باللائِمَةِ على نفسهِ، والتفرد بمعرفة عيوب نفسهِ دُونَ عيوب غيرهِ، وَطَلاقَةُ الوجْهِ للصغير والكبير، وَلَطِيفُ الكلامِ لِمَنْ دُونَهُ وَفوقَهُ.

وَسُئِلَ سهل بن عبد اللّهِ عَنْ حسن الخلق، فَقَالَ: أدناهُ الاحتمالُ، وترك المُكَافاةِ، والرحمَةُ للظالم والاستغفارُ لهُ والشفقة عليهِ.

وَسُئِلَ أيضاً عَنْ حسن الخلق، فقالَ: أن لا تتهم مَوْلاكَ فِي الرِّزْقِ، وَتثق بِهِ، وتسكُنَ إلى الوفَاء مِنْهُ بِمَا ضمن(١)، وتطيع مولاك ولا تَعْصِيه فِي جميعِ الأمور فيما بينك وَبينهُ تَعَالى، وَفيما بينك وَبين الخلق، فهذا حسن الخلقِ.

وَقيل: مِنْ سُوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق غيرك، ولو حسن خلقك لما اشتغلت بِسُوءِ خلق غيرك.

---

(١) أي بما ضمنه لك مولاك من الرزق.

وَقَالَ علي عليهِ السَّلام حسن الخلق فِي ثلاثٍ: اجْتِنَابُ المحارِمِ، وَطَلَبُ الحَلالْ، والتوْسِيْعُ عَلَىٰ العِيَالْ.

وَقَال أبو بَكْرِ الورَّاقُ: اجتنبوا دَنَاءَةَ الأخلاقِ كَمَا تجتنبوا الحرامَ.

وَقَالَ الجنيد: أربع ترفع العبدَ إلى أعْلَى الدَرَجَاتِ ويُقبَل هُوَ بِهَا عند اللَّهِ عز وجل، وَعِنْدَ الناسِ، وإن قل علمه وَعَمله: الحلمُ، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلقِ وَهُوَ كَمَالُ الإِيْمَانِ. وأربع تضع العبد عند الله عز وجل، وعند الناسِ، وإن كثر علمه وعلمه: الكبر، والعجب، والشح، وسوء الخلق.

وَعَنِ الحسنِ أَنَّهُ قَالَ: حسن الخلق في ثلاثٍ: البذل، والعفو، والاحتمال.

وَقَالَ آخر: حسن الخلق بَسْطُ الوجْهِ، وبَذل الندى، وَكَفُ الأذىٰ.

وَقَالَ الواسطيُ فِي معنى قولِ الله عَزَ وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، إن الخلق العظيم هُو أن لا يُخَاصَم، وَلاَ يُخَاصِم، مِنْ شدة معرفتهِ باللَّهِ عَز وَجَلّ.

وَعَنْ الكتاني قَالَ: التصوف خلقٌ، من زَادَ عليك في الخلق زَادَ عليك في التصوف.

وَقَالَ عبدِ اللَّهِ بن مُحَمَّدِ الرَّازِي: الخلقُ استصغارُ مَا مِنْك، واستعظَامُ مَا إليك.

وَعَنْ عُمَر بنِ الخطابِ رَضِيَ الله عَنْهُ: خَالِطوا الناسَ بالأخلاقِ، وزَايلوهُمْ بِالأعْمَالِ.

وَقَالَ يحيى بن معاذِ الرازي: سُوء الخُلقِ سيئة لا تنفع مَعَهَا كثير الحسناتِ، وحسن الخُلُق حسنة لا يضر مَعَهَا كثرة السَّيئات.

وَسُئِلَ ابن عباسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: مَا الكَرَمُ؟ قَالَ: مَا بيّن الله - عز وجل - في كِتَابِهِ ﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] قيل لَهُ: مَا الحسبُ؟ قَالَ: أحسنكُمْ خلقاً أفضلكُمْ حَسَبَاً.

وَقِيل: لكل بنيان أساسٌ، وأساسُ الإسلامِ حسن الخُلق.

وَحكي أنّ ابن عَطَاء قَالَ ذَاتَ يَوْم لأصحابِهِ: بم ارتفع من ارتفع؟ فقال قومٌ: بكثرةِ الصيام. وَقَالَ قومٌ: بالمُدَاوَمةِ على المجاهَدَةِ والمُكَابَدَةِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بالمُحَاسَبَةِ والموازَنةِ. وَقَالَ قومٌ: بترك المُنَى وبَذْلِ النَدى. فقالَ ابنُ عَطَاءٍ: مَا ارتفع مَنْ ارتفع إلا

---

(١) كناية عن السخاء قال: فلان ندي الكف أي: سخي. (القاموس مادة ن د ي).

بالخلق الحسن، ولَمْ ينل كَمَالَهُ أحَدٌ غير المصطفى ﷺ، وَأقربُ الخلقِ إلى الله سبحانَهُ السَّالِكُونَ آثارَه بحسن الخُلق.

وَقَالَتْ أمُ الدرْدَاءِ: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «أولُ ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء، ولمّا خلق الله عز وجل الإيمان قال: اللَّهم قوِّني فَقَوّاهُ بحسن الخلقِ والسَخَاءِ، ولَمَا خلق الله عزّ وجل الكُفْرَ قَالَ: اللَّهُم قوني فَقَوّاهُ بالبخل وَسُوءِ الخُلُق»[1].

---

(١) قال الحافظ العراقي: لم أقف له على أصل هكذا، ولأبي داود والترمذي من حديث أبي الدرداء ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق. وقال: غريب. وقال في بعض طرقه: حسن صحيح. وأخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده عن أم الدرداء، وبلفظه أخرجه الطبراني في الكبير. وقال السبكي (٦/ ٣٣٢): لم أجد له إسناداً. (تخريج أحاديث الإحياء ١٥٧٦ الحديث رقم ٢٤٢٤.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الصِّدِّيْقِ، وَالْفَارُوقِ وذِي النُّوْرَيْن، وَأَمِيْرِ المؤمِنِيْنَ علي ابن أبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَاقتداءِ هذه الطائفة بِهِمْ رَضِيَ الله عَنْهُمْ

أَخبرَنَا أبو سَعْدٍ الواعِظُ قَالَ: إن لهذهِ الطائفة - أعني طَائفة الصوفية - أسوةً فِي أصْحَابِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في الأحْوالِ، وَالأفْعَالِ، فأما أحوالَهُمْ وَأفْعَالُهُمْ فقد ذَكَرْنَاها مُبَوبَةً.

وَأَمَا أقوالهُمْ: فسنذكُرُ طرفاً مِنْ كلامِ كُل وَاحدٍ منهم في هَذَا البابِ، مفتتحاً بِذِكْرِ حَدِيثٍ مسندٍ فِي فضائلِهِ، تَبَركًا بذكره، وتنبيهاً بذلك عَلَى حَالِهِ، وَاللَّهُ وَلِيُ التوفيق للاقتداءِ بِهم جَمِيْعَاً، فإن الاهتداء فِي الاقتداء بِهِمْ على حسب مَا حَكَم بِهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ذكرُ أبي بكر الصِّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أخبرنا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أخبرنَا أبو علي أحمد بن علي الاسفراييني قَالَ: حدَّثنا علي حدثنا علي بن عبد الله البصري قَالَ: حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمي، حدثنا شبابة، وَورقَا، وشُعْبَةُ والمغيرة بن مُسْلم، عَنْ أبي إسحق، عَنْ أبي الأحوص، عَنْ عبد الله قَالَ: قَال رَسول الله ﷺ: «لَوْ كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بَكْر خَلِيلاً»[(١)].

قَالَ أبُو سَعْدٍ رحمهُ الله: فأولُ مَنْ تكلّم فِي هَذَا الجنس[(٢)] بعد رَسُولِ الله ﷺ أبُو بَكر الصّديقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حيث ثبت وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مَاتَ وَمَنْ كَانَ يعبد الله تَعَالى فإن الله تَعَالى حي لاَ يَمُوتُ فسكَّن بهذه الكلمة أو المقالةِ الأسْرَارَ المضطربَةِ بموتِهِ، وَدل ظهور هذه المقالة منه على سكون سرهِ وَثباتِ قلبهِ.

وحكي عَن بكرِ بن عبدِ اللَّهِ[(٣)] قَالَ: مَا فَاقَ أبو بَكْرِ الصّديقُ - رَضِي الله عنه - جميع

---

(١) ورد بألفاظ متقاربة، أخرجه البخاري في صحيحه والإمام أحمد عن ابن الزبير، وكذا أخرجه البخاري عن ابن عباس. (الجامع الصغير ٢/ ٣٧٦ الحديث رقم ٧٤٨٣.

(٢) أي في هذا الموضوع وهو التصوف.

(٣) بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال المزني، أبو عبد الله البصري، أحد الأعلام، يروي عن ابن عمر وغيره، قال عنه ابن سعد: كان ثقة ثبتاً، حجة مأموناً، فقيهاً، توفي سنة ست أو ثمان ومائة، (خلاصة تذهيب الكمال ٤٤).

وقوله: (مَا فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه. ذكره في الإحياء وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً، وهو عند الحكيم الترمذي وأبو يعلى عن عائشة وأحمد بن منيع عن أبي بكر كلاهما مرفوعاً. (الكشف ٢/ ١٩٠).

أصحاب رَسولِ اللَّهِ ﷺ بكثرة الصومِ والصَّلاَةِ، وَلَكِنْ بشيء كَانَ فِي قلبهِ.

وَرُوِي أنَّ النَّبِي ﷺ لَمَا قَالَ يَومَ بَدْرٍ: «اللهُمَّ إنْ تَهْلِك هَذِهِ العصابة لا تعبد في الأرض بَعْدَ ذلك» قَالَ أبو بَكْرٍ رَضِي الله عنه دَع مناشدتك ربك، فإنه منجز لك مَا وَعَدَكَ[1]، وَهُوَ قوله عز وجل: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ١٢] الآيَة، وَمِنْهَا: أنهُ خرجَ مِنْ جميع مُلْكِهِ، فقالَ لَهُ النَّبِيُ ﷺ: «أيش خلفت لعيالك» قَالَ: اللَّهَ عَزَ وجل، ثم قال: وَرسُولَهُ.

وَمنها قولُ الجنيد: أشرفُ كلمة في التوحيد قول أبي بكرٍ رَضِي الله عنه: «سبحان مَنْ لم يجعل للخلقِ طريقاً إلى معرفتهِ، إلا بالعجز عَنْ معرفتِهِ» رَضِيَ الله عَنْهُ.

ذِكْرُ عُمَرَ بن الخطّابِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ

حدَّثنا أبو سعدٍ، قَالَ: أخبرنا محمد بن علي بن سَهْلِ الماسرجسي، قَالَ: أخبرنا المؤمِلُ بنُ الحسنِ بن عِيْسَى، حدثنا أحمد بن منصورٍ الرمَادِي، حدثنا سعيدُ بنُ أبي مَرْيم، حدثنا نَافِعٌ مَوْلَى ابن عُمَر، عَنْ عبد الله بن عمر، عَن رسول الله ﷺ قَالَ: «إن الله تَعَالى جعل الحق على لسانِ عمر وَقلبهِ»[2].

وَرُوِيَ أن سعد بن معاذ كَانَ يحكم فِي بني قريظة فقالَ لهم رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»[3]، فقال عمرُ رضي الله عنه: سيدنا الله جَلَّ جلاله، وَعَز كبرياؤهُ، فأظهر عمر بهذه الكلمة تجريد التوحيد وَصَفاء الضمير، والصلابة في الدين.

وَرُوِيَ أن رجلاً جَاء إلى عمر بن الخطاب رَضِي الله عنه، فشكا إليه الفقر، فقال: عندك عشاء ليلتك؟، فقال: نَعَم، قال: لست بفقير.

وَقَدْ رُوِيَ أن عمر بن الخطاب رَضِي الله عنه قال: «مَا ابتليت ببليةٍ إلاَّ كَانَ لله تَعَالى عليَّ فيها أربع نعم: إذ لم تكن في دِيني، واذْ لم تكن أعظم منها، وإذ لم أُحرمَ الرضا فيها، وَإذْ أرجو الثوابَ عليها».

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٧)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/٦٣، ٨٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر، وكذا الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي ذر، وأخرجه أيضاً الحاكم وأبو يعلى عن أبي هريرة، والطبراني عن بلال، وعن معاوية، ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ١/٢٢٨ الحديث رقم ١٧٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ٢/٢١٩).

ذِكْرُ عُثْمَانَ بنُ عَفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ قَالَ: أخبرنَا أبو سعيدٍ إسماعيل بن أحمد بن الخلالي، حدثنا أحمد بن محمدٍ الجرجَاني الملحمي، قَالَ: حدثنا أبو مَروان العثماني بمكَة، قَالَ: حدثني أبي، عن عبد الرحمن بن أبي الزنادِ، عَنْ أبيهِ، عَن الأعرج، عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «إن لِكُل نَبي رَفيقاً، وَرَفيقي فِي الجنة عثمان بن عفان»[1].

وَحكي عَن عثمان ـ رَضِيَ الله عنه ـ أنه قالَ: «ما تَمنَيْتُ، وَلاَ تَغنَيْتُ، وَلاَ مَسَسْتُ ذَكرِي بيمِيْنِي، مُذْ بَايَعْتُ بها رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ»[2] وَكَانَ مِنَ الاستقامَةِ وَالثباتِ بحيث لم يبرحْ من موضعه سَاعَةً، قِيل: وَلاَ أذن لأحدٍ فِي القتالِ وَلاَ وضع المصحف من حجرهِ، وَكَانَ مِنَ التهجدِ بحيث يقرأ السبع الطولَ فِي رَكعةٍ واحدةٍ خلف المقامِ بالليل وهو مُقَنَّعٌ رَأسَهُ.

ذِكْرُ عليّ بن أَبِي طَالبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمَ

أخْبرنا أبو سعدٍ، حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن رَجَاء الإبزاري، حَدَثنا أبو عَرُوبَة حدثنا محمد بن موسى، حدثنا مالك بنُ عبد الرحمن الواسطي، حدثنا شريك، عَنْ أبي الحجافِ وَدَاود بن أبي عوف، عَن سعيد بن جبير عن ابن عُمَر، أنَّ النَّبي ﷺ آخىٰ بين أصحابِهِ، فَجَاء علي بن أبي طالب ـ عليه السَّلام ـ وَكَانَ رَجلاً جلداً، فقال: يَا رَسُول اللَّهِ آخيت بين أصحابك، فمن أخي؟ فقال النبي ﷺ: «أنا أخوك في الدنيا والآخرة»[3].

وَحُكي عَنْ الجنيدِ أنَّهُ قَالَ: صاحبنا فِي هذا العلم، الذي أشارَ إلى ما تضمنت القلوبُ منه، دَوماً إلى حقائقه بعد نبينا ﷺ، علي بن أبي طالبِ عليه السَّلام.

وَقَال الجنيد رحمهُ الله: إن علياً عليه السلام لو تفرغ إليكم لفتح عليكم باباً مِنَ العلم.

وَقَال الشبلي: كَان ذُو الفقار قطعه من حديدٍ، وإنما كَانَ علي بن أبي طالبِ يجاهد بالله تبارك وَتَعَالى.

---

(١) أخرجه الخطيب في المتفق، وابن عساكر عن طلحة بن عبيد الله (الكنز ١١/٥٩٥ الحديث رقم ٣٢٨٥٥).

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية، ابن ماجة في سننه، والعدني عن عثمان بن عفان رضي الله عنه (الكنز ١٣/ ٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عمر.

وَمِنْ كَلاَمِهِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا رُوِيَ عَنْهُ أنه قِيل لَهُ: بِمَ عرفتَ رَبك؟ قَالَ: «بِمَا عَرفني نفسَهُ، وَلا تشبِهُه صورة، ولا يدرك بالحواسِ، ولا يقاسُ بالناس، قَريب فِي بعدهِ بعيد في قربه فوقَ كُل شيءٍ وَلاَ يُقالُ تحته شيء، وتحت كل شيء وَلاَ يُقال فوقَهُ شيء، لاَ كشيء، وَلاَ مِنْ شيءٍ، وَلاَ فِي شيءٍ، ولاَ بشيءٍ، سبحان مَنْ هُوَ هَكَذَا وَلاَ هَكَذَا غَيْرِه».

وَكَانَ يَقفُ عَلَى بَابِ الخزانة وَيَقُولُ: «يَا صفراء وَيَا بَيْضَاء اصفَرِّي وَابيضِّي، وَغُرِي غيري».

وَكَانَ إِذَا حَضَر وَقْتُ الصلاةِ تزلزل وَتغير لونُهُ، فيقالُ لَهُ: مَا لَكَ يَا أمير المؤمنين؟ فيقولُ: «جَاءَ وقتُ أمانة عرضها الله تَعَالى على أهْلِ السمواتِ والأرضِ وَالجَبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنا، فَلاَ أدْرِي كيف أؤدِيهَا»[1].

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

بَابٌ: فُصول مِنَ الْكَلامِ تَشْتَمِلُ على ذِكْرِهِم مَعَاً

سُئِلَ جعفر بنُ محمدٍ الصَّادقُ ـ عليهِ السلام ـ عَنْ هجير[١] أبي بكرِ الصَّديق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقالَ: حدَّثَ قلبه بمشاهدَةِ رُبُوبيتِهِ، فلم يشهد مَعَ الله تَعَالى، غير الله تَعَالى فَكَانَ يقولُ: لاَ إِلَهَ إلاّ اللَّهُ.

هِجِّيْرُ عُمْر بنِ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأى كُلَّ ما دُون الله ـ عَزَ وَجَل ـ حقيراً، فَكَانَ هجيراه: الله أكْبرُ.

وَعثمان بن عفان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ رَأى كُلَّ ما دُون الله تَعَالَى مفعولاً، فَكَانَ هَجَيْرَاهُ: سبحان الله.

وَكَانَ علي بن أبي طالبِ ـ عليهِ السَّلاَم ـ رأى الكونَ مِنَ الله عَزَ وَجَل، فَكَانَ هجيراهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَقِيل: إن الله تَعَالى أكرمَ الصديقَ بصفوة الإيمان، والفَارُوق بحياةِ الإيمانِ، وَعثمان بحياءِ الإيمانِ. وعلي بن أبي طَالبِ بسخاء الإيْمَان. فالصديق كَاللبنِ لا بُدَّ للطفل منه. والفارُوق كَالماءِ لا بد للخلق مِنْهُ. وعثمانُ كالعَسلِ. وعلي كالخمر لذة للشارِبينَ.

وَسُئِل أبُو الحسنِ أحمد بن محمد عَنْ سُنَّةِ أبي بَكْرِ الصديق ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ فِي القضيب. وَعُمَرَ فِي الدرةِ. وَعثمانَ فِي السوطِ. وعلي في السيفِ. فقال: أبو بكرِ خرج على منهاج النبي ﷺ فلم يحتج إلى زيادة شيءِ وتغيير شيء وخرجَ مِنَ الدنيا على سنته ﷺ. وسُنّة عمر رَضِي الله عَنْهُ الدِرَةُ[٢] وَهِيَ الأدَبُ. وسنة عثمان رَضِي الله عنه السوطَ وهو حد اللَّهِ تَعَالى. وسنة علي السيف وَهُوَ حق اللَّهِ تَعَالى. رَضي الله عَنهُمْ.

وَعَن ابن عَطَاءِ قَالَ: لَمَا قبض الله تَعَالَى محمداً، قَام أبو بَكْرِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فِي الصحابةِ بقضيب يسوسُ الخلقَ مَع قوة نَسِيم الرِّسَالَةِ، فلما قبض انقطع نسيم الرِّسَالةِ، فلم يقدر عمر ـ رَضِي الله عَنْهُ ـ على سياسةِ الناسِ بالقَضِيْبِ، فأخرج الدِّرة، وَكَانَ يسوسُ الناس بذلك فلما قبض انقطع نسيم النُبوةِ، لأنه كَانَ بقوةِ نسِيْم النبوة يسوسهم، فلم يقدر عثمانُ ـ رَضِي الله عَنْهُ ـ على سياسَةِ الخلق بالدرة، فأخرج السَّوْط، فاستقام لَهُ الأمر كَمَا استقامَ

(١) يقال: هذا هجيّراه وإهجيراه وإهجيراؤه وهجيره وأهجورته وهجريّاه: أي: دأبه وشأنه (القاموس مادة هـ ج ر).

(٢) قال في القاموس: الدِّرة ـ بكسر الدال ـ: التي يضرب بها (مادة درر).

لِصَاحبيهِ قبله، فلما استشهد لم يقدر عليّ ـ عليهِ السلامَ ـ على شيء يسوسُ بِهِ الخلق غير السيف إذْ رَأى ذلك صَوَاباً.

قَالَ الجنيد بن محمدٍ نظرنا في أخلاقِ محمد النَّبي ﷺ وَأوْصَافِهِ، فمَا رَأينَا فِي الأولين الآخرين أحداً أدرك معنى مِنْ مَعانيهِ، أوْ وَصفاً مِنْ أوصَافِهِ، أو قاربَهُ غير المخصوصين مِنْ أصحابهِ، وَكَانَ أبو بكر من أشبه خلقِ اللَّهِ تَعَالى خُلقاً بِأخْلاَقِ رَسولِ الله ﷺ شفقة وَرحمةً.

وَكَانَ عمر ـ رَضِي الله عَنْهُ ـ مِنْ أشبه الخلقِ خُلقاً بأخلاقه هيبةً.

وَكَانَ عثمان ـ رَضِي الله عنه ـ أشبه الخلقِ خُلقاً بِأخلاقِهِ حياء.

وَكَانَ علي بن أبي طالبِ ـ عليهِ السلام مِنْ أشبهِ خلق الله تَعَالى كلاَمَاً بِكلامِ رَسُولِ الله ﷺ.

وَقَالَ ابن عطاءِ: كَانَ أبو بكرِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ شم نَسِيْم الرسَالَةَ. وعُمرَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ شم نَسيم النبوَةِ. وعثمانُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ شم نَسِيْمَ الاصطفاءِ.

وَعَلي بن أبي طَالبِ رَضِيَ الله عَنْهُ شم نسيم المحبَةِ.

وَكَانَ تبيان إشارتهم وَمَا خصوا بِهِ مِنَ الكَرَامَةِ فِي هجيراهم، وَكَانَ هجيرا أبي بكر: لا إله إلا الله. وَكَانَ هجيرا عمر: الله أكْبَرُ. وَكَانَ هجيرا عثمان سبحانَ الله. وَكَانَ هجيرا علي ـ رَضِيَ الله عنهم أجمعين ـ الحمدُ للَّهِ.

وَعَنْ أبي علي الأسمنقاني عَنْ بعضِ أهلِ العلمِ، أنَّهُ قَال: الرَّسُوْلُ ﷺ سيف التوحِيْدِ. وَأبُو بَكْرِ سيف الرِّدَةِ. وَعُمَر سيف الجزيةِ. وعثمان سيف السُنَةِ. وعلي سيف الأُمَّة.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْعِبَادَاتِ
بَابٌ فِي ذِكْرِ الطَّهَارَةِ

أخبرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: أخبرنَا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغساني بثغر صيدا، قَالَ: حدثني علي بن إسماعيل بن كعب، قَالَ: حدثنا أبو الحسن الزقاقُ بالموصِل، قَالَ: حدثنا محمد بن سنان القزاز، حدثنا عُمَرُ بنُ حبيب القاضِي، حدثنا سليمان التيمي، وَدَاود بنُ أبي هندٍ، وعوف الأعرابي، عن أبي عثمان النهدي، عَنْ سلمان قَالَ: قَالَ رَسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَأ وَجَاءَ إلى المسجد فَهُوَ زائر الله تَعَالى، وَحَقٌ على المزورِ أن يكرم الزائرَ»[١].

وَعَنْ رَسولِ الله ﷺ قَال: «دَاوم على الطهارة يحبك حَافظاك»[٢].

وَحكي عَنْ كرز بن وَبرة[٣]، أَنَّهُ توضَأ فِي الليلةِ التي مَاتَ فيها ثمانين مرة، حرصاً على أن يموتَ وَهُو متوضيء.

وَرُوي أن إبراهيم بن أدهم كَانَ بِهِ إسْهَالٌ ذَريع، فَقَام فِي ليلةٍ وَاحدةٍ سبعين، وَكَانَ يجدد فِي كل مرة وُضُوءهُ ويصلي رَكعتين.

وَعَنْ المرتعش الصُوفِي أنه كَانَ مُولعاً بالاغتِسَالِ، فقيل لَهُ: إنه لا يُوافِقُ عليك[٤]، وَكَانَتْ بِهِ رُطوبة فَقَالَ: أنَا لا أترك هَذَا، فقيل لَهُ: إنْ نفسك لا ترجع إليك، فقالَ: لاَ رَجَعتْ.

وَعَنْ ابن الكرتي أستاذ الجنيد، أنَّه أصابه احتلاَمٌ فِي ليلةٍ بَاردةٍ، فانتبه فنازعته نفسه فِي المرقعة في طلب الرخصة، وَكَانَتْ مرقعته التي عليهِ وَزنها أرطال، فألقى نفسه مع المرقعة في المَاءِ واغتسل وخرج ولم ينزع المرقعة حتى جفت عليهِ.

---

(١) حديث: (من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله تعالى وحق على المزور أن يكرم الزائر) رواه الطبراني عن سلمان. (الكنز ٧/ ٥٧٤).

(٢) لم أجده فيما لدي من مصادر.

(٣) الزاهد القدوة كُرْز بن وبرة الحارثي الكوفي، نزيل جرجان وكبيرها فإنه دخلها غازياً سنة ثمان وتسعين هجرية مع يزيد بن المهلب فاتخذ كرز بها مسجداً بقرب قبره. وكان له الصيت الكبير في الزهد والتعبد، عن ابن عيينة قال: قال ابن شبرمة: سأل كرز ربه أن يعطيه الاسم الأعظم على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا، فأعطي، فسأل أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات، وأخباره كثيرة وكراماته مشهورة، (سير أعلام النبلاء ٦/ ٨٤، حلية الأولياء ٥/ ٧٩).

(٤) أي لا يلائم صحتك وقوتك البدنية.

وَعَن الحصري قَالَ: رُبما أنتبه بالليل، فلا يحملني النوم إلا بعد أن أقوم وَأجدد الطهارة، وَكَان قد عودَ نفسَهُ ذلك.

وَكَانَ لبعض المشايخ وِسْوَاسٌ الوضُوءِ، وَكَانَ يُكثر صَبّ الماءِ، فقالَ: كنتُ ليلة مِنَ الليالي أجددُ الوضُوء لصلاة العتمة، وَكنت أصُبُ المَاءَ على نفسي حتى مضى شطر الليل فلم تطب نفسي، ولم يذهب الوسواسُ، فبكيتُ وقلتُ: يَا ربّ العفو، فسمعت هَاتفاً يقولُ: يَا فُلانُ، العفو فِي العلم، يعني في استعمال العلم.

وَأقامَ أبو عمرو الزجاجي النيْسَابُوري[١] بمكَةَ سنين وَهُوَ مجاورٌ بِهَا، وَكَان إذَا أرادَ أن يقضي حاجته يخرج من الحرم بمقدار فرسخ. وحكي أنه ما تغوط في الحرم ثلاثين سنةً[٢] وَهُوَ مجاور بِهِ، وَهو من مناقب أهلِ خُرَاسَان.

وَكَانَ إبراهيمُ الخواص إذا دَخَلَ البادِية لاَ يحملُ معه إلاّ ركوةً من الماءِ وَرُبما كَانَ لا يشربُ منها إلا القليلَ، وَكَانَ يحتفظُ بذلك للوضُوءِ، ويؤثر وُضُوءَه بالمَاءِ على الشرب عند العطش.

وحكي أن جَمَاعَةً منهم كَانُوا يمشون على حَافَاتِ الأنهارِ، ولا يفارقهم المَاء، فِي كوزٍ أو ركوةٍ، وذَلِكَ أنَّه كَانَ رُبما يهيج بأحدِهِمْ البولُ، فلا يتهيأ له الجلوسُ على شاطىء البحر، وكشف العورةِ عند الناسِ، فَإِذَا كَانَ معه وِعاء فيه مَاء عدلَ إلى موضع خَالٍ، فَكَانَ أصون لنفسِهِ، وأستر لعورتهِ. وَكَانَ يقال: إذَا رأيتُ الصُوْفِي قد فَارقَ الكوز أو الركوة، فَاعْلَمْ أنه قد عزم على ترك الصلاةِ، ويخشى عليه تركُهَا.

قَالَ أَبُو سَعْدٍ الوَاعِظُ رَحِمَهُ الله: مِنْ آدَاب هَذِهِ الطائفة أن لا يفارِقهم السواك في جميع أحوالِهِمْ.

وَحُكي أن الشبلي لما احتضرَ أشارَ إلى خادِمِهِ أن يجدِدَ وُضُوءهُ، فَنَسِيَ الخَادِمُ تخليل لحيتهُ، وَكَانَ قَدْ أمسكَ علىٰ لِسَانِهِ، فقبض على يَدِ الخَادِمِ وَأدخَلَهَا فِي لحيته.

وَكَانَ بإبراهيم الخواص علة البطن، وَكَانَ إذَا قَضَى حَاجته دَخَلَ المَاء، وغسل نفسَهُ،

---

(١) أبو عمر الزجاجي واسمه محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد، نيسابوري الأصل، صحب أبا عثمان والجنيد والنوري وغيرهم، ودخل مكة وأقام بها وصار شيخها والمنظور إليه فيها، حج قريباً من ستين حجة، وفضائله أكثر من أن تحصى توفي بمكة سنة ٣٤٨ هجرية. (طبقات السلمي ٤٣١، طبقات ابن الملقن ١٥٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٦).

(٢) في طبقات السلمي: أربعين سنة.

فدخل مَرَةً الماء ليغسل نَفسَهُ، فخرجَتْ نفسه وَهُوَ فِي وَسَطِ المَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي جَامع الري.

وَتوضَأ سفيان الثوري لصلاةٍ وَاحِدَةٍ سبعين مرةً، وَكَانَ مبطوناً وكان كُلَّما توضأ انْتَقَضَ وُضُوئِهِ.

وَكَانَ عَطَاءُ السليمي[1] إذا فرغ مِنْ وُضُوئِهِ ارتعد وَبَكَى بُكَاءً شَدِيداً، فقيل لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَال: إني أريد أن أقدم علي رَب عظيم، إني أريد أن أقوم بين يدي الله عَزَ وجل.

بَاب فِي ذِكْرِ الصَّلاَةِ

أَخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ حدَّثَنَا أَبُو الفضل أحمد بن إسماعيل بن يحيى، حدثنا عُمر بن محمد بن يحيى، قَالَ: حَدَثنا أبو كريب، حَدَّثَنَا أبو خَالِدِ الأحمر، عَنْ شعبة، عَن الحكم، عَنْ إبراهيم، عَن عائشة، عَنْ عبد اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إن في الصلاة لشغلاً»[2].

وَرُوِيَ أن رَسول الله ﷺ قَال: لبلال: «أرحنا بها يا بلال»[3].

وَقَال رَسولُ الله ﷺ: جعلت قرة عيني في الصلاةِ[4].

وَقَال العباسُ بن حمزة[5]: صليتُ خلف ذِي النُون العصر فلما رفع يديه قال: (الله)

---

(١) عطاء السَّلِيمِي البصري العابد، من صغار التابعين أدرك أنس بن مالك وسمع من الحسن البصري، وكان قد أرعبه فرط الخوف من الله تعالى، وكان يقول في دعائه: اللهم ارحم غربتي في الدنيا، وارحم مصرعي عند الموت، وارحم قيامي بين يديك. وكان لا يسأل الجنة بل يسأل العفو، وله حكايات في الخوف وإزرائه على نفسه. قيل إنه مات بعد الأربعين ومائة من الهجرة رحمة الله عليه. (سير أعلام النبلاء ٨٦٦، حلية الأولياء ٦/ ٢١٥).

(٢) حديث: (إن في الصلاة شغلاً) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والإمام أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجة (الجامع الصغير ١/ ٣١٢ الحديث رقفم ٢٣٣٠).

(٣) رواه الدارقطني، وأخرجه الإمام أحمد وأبو داود والبغوي عن رجل من خزاعة، وأخرجه البغوي أيضاً عن رجل من أسلم، ورواه الخطيب عن علي وعن بلال ولفظهم جميعاً: يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها. وعند مسلم من حديث ابن عمر (يا بلال قم فناد بالصلاة). تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٤٣٣.

(٤) رواه الطبراني في الكبير عن المغيرة بن شعبة ورمز السيوطي لضعفه (الجامع الصغير ١/ ٤٩٠ الحديث رقم ٣٥٩٣).

(٥) العباس بن حمزة بن عبد الله بن أشوس، أبو الفضل النيسابوري الواعظ، صاحب لسان وبيان. رحل في طلب الحديث، وسمع في دمشق أحمد بن أبي الحواري، وصحب ذا النون بمصر، كان يصوم النهار ويقوم الليل، توفي في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين (تاريخ دمشق ١٩/ ٣٦٣ طبقات السلمي ٢٥).

عز وجل، وبهت وبقي كأنه جسد ليسَ فيه روح، إعظاماً لربه عز وجل، ثم قَال الله أكبر، فظننت أن قلبي ينخلع من رهبة تكبيره.

وَكَانَ سهل بن عبد الله يقولُ: علامةُ الصادق أن يكون له تابع من الجن إذا دَخل وقت الصلاة يحثه عليها، وينبههُ إن كان نائماً.

وَقَال الجنيد: لِكُل شيء صفوة، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى.

وسُئِلَ أبو سعيدِ الخرازُ كيف الدُخُول فِي الصلاةِ؟ فقال: أن تقبل على الله ـ عز وجل ـ كَإقبالك عليهِ يومَ القيامَةِ، يَومَ وقوفك بين يدي الله ـ عَز وجل ـ لَيْسَ بينك وبينَهُ ترجمَانٌ، وَهُو مقبل عليك وأنت تناجيهِ، وتعلم بين يدي من أنت واقفٌ، فإنَّهُ الملك العظيم.

وَقيل لبعضهم: كيف تجبُ التكبيرةُ الأولى؟ فقالَ: ينبغي إذا قُلْتَ: الله أكْبَرُ، أن يَكونَ مصحوبُ قولك (الله) التعظِيْمَ مَعَ الألِفِ، والهيبةَ مَع اللامِ، والمراقبة والقربَ مَعَ الهَاءِ.

وَحُكي عَنْ بعضهم أنه كَانَ يضعف، حَتى لا يكاد يقوم مِنْ ضعفه مِنْ موضعهِ، حتى إذا دَخَل وقت الصلاة تردُ إليهِ قوته، فيقومُ فِي المحرابِ مثل الوتد، فإذا فرغ مِنْ صلاتِهِ يرجع إلى حَالِ ضعفه، لاَ يقدِرُ أنْ يقومَ مِنْ ضعفهِ.

وَكَانَ الجنيد رَحِمَهُ الله لاَ يترك أورَادهُ مِنَ الصلاةِ على كبر سنهِ وضعفه، فقيل له فِي ذلك، فقالَ: حَالَ وصلتُ بِهَا إلى الله ـ عز وجل ـ في بدايتي، فكيف أتركها فِي نِهَايتي.

وبلغني عَنْ بعضهِمْ أنه كَانَ يُصَلي في نَخْلٍ لَهُ، فاشتغل بالنظر إلى النخيل، وَسَهَا فِي صلاتهِ، فاستعظم ذلك، وَقَال: أصَابتني مِنْ مَالي فتنة، فجعل الأرض والنخيل صدقة فِي سَبِيل الله عز وجل، فبلغ ثمنها خمسينَ ألفاً.

وَصَلى بعضهم ثلاثين سنةً لم يعرفْ مَنْ عَنْ يمينهِ وَمَنْ عَنْ شمالهِ لشغلهِ بصَلاَتِهِ.

وَكَانَ علي بن أبي طَالبِ ـ عليهِ السلامُ ـ إذا توضأ تغير لونهُ، فقالوا لَهُ: نراك يَا أمير المؤمنين إذا توضأت اصفر لونك وتغير، فقالَ: أتَدْرُونَ بين يدي مَنْ أقف وَمَنْ أناجي؟

وَقَالَ ابن أبي الورد[(١)]: يحتاج المصلي إلى أربع خِلالٍ؛ إعظامُ المقامِ، وَإجلالُ المقالِ، وَتمامُ اليقين، وَجمع الهِمَمِ.

---

(١) هما أخوان محمد وأحمد ابنا أبي الورد محمد بن عيسى، من كبار مشايخ بغداد وجلتهم وكانا من جلساء الجنيد وأقرانه، صحبا سرياً، السقطي وأبا الفتح الحمال وحارثاً المحاسبي وبشراً الحافي وطريقتهما في الورع قريبة من طريقة بشر الحافي. (طبقات السلمي ٢٤٩، طبقات ابن الملقن ٣٧٢).

وَكَانَ مسلم بن يَسَارٍ إِذَا دَخَل فِي صلاتِهِ قَال لأهلهِ: تحدثُوا فإني لست أَسمع حديثكُمْ.

وَكَانَ يعقوب القارِىء يُصَلِي، إِذْ أتاهُ طرارٌ[1] فاخْتَلَسَ رِدَاءهُ فَذَهَبَ بِهِ إلى أصحابِهِ، فعرفوا رِدَاءَهُ فقالُوا: رُدَّهُ إلى الرجل الصَّالِح، فَجَاء فوضعه على كتفهِ واعتذر إليهِ مِنْ صنيعه فقال يعقوب: إني لم أشعر برفعه ولا بوضعهِ.

وعَنْ رياحِ القيسي[2] قَالَ: غَدَوتُ إلى رَابعة زَائراً فلما أردت الانصراف، قالت: يا رياح، إني أجد في عيني خشونة، فنظرت فَإِذَا أنا بقصَبةٍ فِي عينها، وَكَانَتْ تصلي على البورِياء[3] وَلَمْ تشعر بذلك لشغلها بِالصلاةِ، فوالله ما أخرجتُها إلا بالمشقةِ.

وَنَظرَ الحسن إلى رَجل يدعُو ويعبثُ بِالحصى، ويقولُ فِي دُعَائِهِ: اللهم زَوِجني الحورَ العين، فقال لَه: بئس الخاطِبُ أنتَ، تخطُبُ وَأنتَ تَعْبَثُ.

وَمَا رُؤِي مُسلم بن يَسَار مُلتفتاً فِي الصلاةِ قطُ، وَلقد انهدمت ناحيةٌ مِنْ نَواحي المسجد، ففزع أهلُ السوق لهدمها وَهدتها، وَهُوَ فِي المسجدِ يُصَلِي فلم يلتفت يميناً ولاَ شِمَالاً.

وَقيل لخلف بن أيُوبَ[4]: ألا تَذُبُ الذبابَ عنك فإنها تؤذيك؟ قَالَ: لا أعودُ نفسي شيئاً خارِج الصلاةِ إذا دخلتُ فِي الصلاةِ أفسدها علي، قيل لَهُ: وَكيف تصبر على ذَلِكَ؟ قَال: بلغني أن الفسَاق يتصبّرُون تحت سياطِ السلطان ليقال: فُلانٌ صَبُورٌ ليفتخرونَ بذلك وَأنَا قَائم بين يدي الله ـ عز وجل ـ أفأتحرك لِذُبابٍ!؟

---

(١) أي: نشال أو لص.

(٢) رياح بن عمرو القيسي العابد أبو المهاجر، بصري، زاهد، كبير القدر. سمع مالك بن دينار، وهو قليل الحديث، كثير الخشية والمراقبة. عن أبي معمر المقعد قال: نظرت رابعة العدوية إلى رياح يضم صبياً من أهله ويقبله، فقالت: أتحبه؟ قال: نعم قالت: ما كنت أحسب أنَّ في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره تبارك اسمه ـ فغشي عليه ثم أفاق وقال: رحمة منه تعالى ألقاها في قلوب العباد للأطفال. (سير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٤، حلية الأولياء ٦/ ١٩٢).

(٣) البورياء: الحصير المنسوج وهي أيضاً: البوري، والبوريّة، والباريّ، والبارياء والبارية) (القاموس مادة ب و ر).

(٤) الإمام المحدث الفقيه، مفتي المشرق، أبو سعيد العامري البلخي، الحنفي الزاهد، عالم أهل بلخ وفقيهها، سمع من ابن أبي ليلى، وصحب إبراهيم بن أدهم مدة. توفي في أول شهر رمضان سنة ٢٠٥ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤١، شذرات الذهب ٢/ ٣٤، تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٧).

وَقَالَ محمد بن أسلم: كَانَ الربيع بن خثيم[1] إذَا سجد كأنَهُ ثوب ملقىً تجيء العصَافير فتقع على ظهره وهو لا يشعر.

وَقَالَ عبد الله بن المبارك رَحمَة اللَّه عليهِ: كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنَ المتعبداتِ تصلي، فلدغَتْهَا العقربُ فِي أربعينَ موضعاً مِنْ بدنها، فما اكترثَتْ لذلك، فقيل لها: يا أمَة اللَّهِ، هَلاّ نحيت عنكِ، فقالَتْ: إني لأسْتَحِي مِنْ رَبِي - عَز وَجَل - أن أشغل قلبي بشيءٍ سِوَاهُ وَأنَا قَائِمَةٌ بين يديهِ.

وَوَقَعَ الحريقُ فِي بيتِ ثابت البناني[2] وَهُوَ يُصَلِي، وَقيل لَهُ فِي ذلك، فقال: سبحان اللَّهِ، فما انفتل إلى أن طفيتِ النارُ.

وَعَنْ ابنِ عونٍ: كَانَ مسلم بن يَسَارٍ يُصَلِي كَأنَهُ وَتد، لا يميل على قدمٍ مرة، ولا يتحرك لَهُ ثوب، فقيلَ لَهُ فِي ذلك، فقالَ: وَمَا يُدْرِيْكُمْ أينَ قَلْبِي؟

وَقَالَ الجنيد: لا تَكُونَنَ همتك مِنْ صلاتك إقامَتُهَا دُونَ السُرُورِ بِمَنْ لاَ وَسيلة إليهِ إلا بِهِ.

وَقَالَ ابن عَطاءٍ: لا تكونن هِمَتُكَ مِنْ صَلاَتُكَ إقامتها دُونَ الهيبةِ وَالإجلالِ، لِمَنْ عاينك فيهَا.

وَقَالَ عصام: قلتُ لحاتم: يَا أبا عبد الرحمن كَيف تصلي؟ قَالَ: إذا حضر وقتُ الصلاة أقومُ فأتوضأ وضُوءين، وُضُوءاً ظاهراً وَوُضُوءاً باطناً فقال عصامٌ: كيف هُوَ؟ قَالَ: وُضُوء الظاهر يُعلم، وأما وُضُوء الباطنِ فالتوبَةُ والنَدَامَةُ من الغل، والغش، والحسدِ، والشك، والكبر. قَالَ عصام: إن وضوء الظاهر لا ينفع دُون وضوءِ الباطنِ، قالَ: ثم أقصد نحو المسجدِ، فأذكرُ بيت الله الحرامِ نحو قبلتي، وأذكر مَقَام إبراهيم بين صدري، وأذكُرُ الجنة عن يميني والنَّارَ عَنْ شِمَالِي، فإن عملت كما هو أهلُهُ بعثني إلى الجنة، فإن لَمْ أعملْ

---

(١) الربيع بن خثيم ابن عائذ الإمام القدوة، أبو يزيد الثوري الكوفي أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ، وأرسل عنه، وكان يعد من عقلاء الرجال. روي عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: كان الربيع بن خثيم إذا دخل على ابن مسعود لم يكن له إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه فقال له ابن مسعود: يا أبا يزيد: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلاّ ذكرت المخبتين. قيل توفي قبل سنة ٦٥ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٤/٢٥٨، حلية الأولياء ٢/١٠٥).

(٢) ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد البصري أحد الأعلام، قال حماد بن زيد، ما رأيت أعبد من ثابت قيل عنه أنه كان يختم في كل يوم وليلة، ويصوم الدهر، وكان ثقة مات سنة ١٢٧ هجرية. (خلاصة تذهيب الكمال ٤٨).

كذلك بعثني إلى النارِ، وأذكر الصراط تحت قدمي، فإنْ لم أستو عليه وَقعتُ فِي النارِ، وأذكر ملكَ الموتِ ـ عليه السلام ـ خلفي، وأقول إن ركعتُ لا يمهلني أن أسجد وإنْ سجدت لا يمهلني أنْ أقومَ، ثم أدخل المسجد على الأمر وَأقف وقوفاً بالحقِ، ثم أكثرُ ذِكْرَ عظمَة الله تَعَالى وأقرأ قراءة بالتفكُرِ والتدبُر، وأسجد سجوداً بالتواضِعُ والتضرع والتذلل، وأجلسُ جلوساً بالحلم والسكينةِ وَالوقَارِ، وأتشهدُ بالصدقِ والسُنَة والصبر وأسلمُ بالشكْرِ والسُرُورِ.

وَقَالَ سَهلٌ: مَنْ حَسُنَتْ صلاتُهُ فِي السر والعلانيةِ أستأنس بِهِ كلُّ شيءٍ.

وَقِيلَ إن أبا بكر الدّقِي[1] دَخَل فِي الصلاةِ يوماً ـ فَجَاء عَدُوٌ لَهُ فقطعَ أذنَهُ، فَلم يحسَّ بِهِ، فلما خرج مِنَ الصلاةِ رَأى الدمَ، فنظر فإذا أذنُهُ مقطوعة.

وَكَانَ عتبة الغلام إذا قَام للصلاة يعرق بدنه في الشتاءِ والصيفِ فقيل لَهُ فِي ذلك، فقالَ حَياء مِنَ الله عَزَ وَجَل.

وَحُكي أن ابن ملكي كَان يُصَلِي ثلاثين سَنَةً فِي مَوْضِع واحدِ مِنَ الجَامِعِ، فَمَاتَ ذَاتَ يومِ فِي دَربِهِ إنْسَانٌ، فاشتغل بتجهيزه، فأبطأ عَن الجامع فلم يُصَل موضعه وَصلى فِي موضع آخر، فنازعته نفسه في أن الناسَ لم يروهُ فِي موضعه، فقال لنفسه: يا مسكينة، فأنْتِ كنتِ تصلين للناس لا لله عز وجل، فأعَادَ صلاةَ ثلاثين سنةً.

وَكَانَ الجنيدُ فِي أيامِ اشتغالِهِ بالتجارة يختلف إلى الحانوتِ فَيُسْبل ستره ويضع روزنامجته[2] بين يديهِ، وَيقومُ فيشتغل بالصلاةِ، فإذَا أحس بإنسانِ تناولَ الرُوزنامجة وأظهر كأنَهُ يَنْظُرُ فِيهَا، لئلا يطلع على صلاتِهِ.

وَذُكِر أن النباجِيَ صلى بأهل طرسوسَ فصيح النفير فلم يخفف الصلاة، فلما فرغوا قالُوا لَهُ: أنت جَاسُوسٌ فَقَال: لِمَ؟ قيل: لأنك لم تخفف الصلاة وقد صيح النفير، فقالَ: إنما سميت الصلاةُ لأنها اتصالٌ بالله سبحانَهُ، وَمَا حسبتُ أن أحداً يَكون في الصلاةِ فيقع فِي سمعه غير مَا يخاطبهُ الله سبحانَهُ وَتَعَالَى.

وَكَانَ عَطَاء السلمي إذا صلى لم يُرَ رأسُهُ مِنْ خلفِهِ.

---

(١) شيخ الصوفية والزهاد أبو بكر محمد بن داود الدينوري الدقي، شيخ الشاميين. قال السلمي عُمِّر فوق مائة سنة، وكان من أجلِّ مشايخ وقته، وأحسنهم حالاً. مات سنة ٣٦٠ من الهجرة. (سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٨، تاريخ بغداد ٥/ ٢٦٦، طبقات الشعراني ١/ ١٤٠).

(٢) فارسي بمعنى الدفتر الذي يسجل التاجر فيه معاملاته اليومية (قاموس الفارسية مادة روزنامه).

وَكَانَ الربيع بن خثَيْم يُصلي فِي الليل، فَجَاء سَارِق فَسَرَقَ فرسَهُ وَكَانَ ثمنُهُ عشرين ألفاً، وَهُوَ ينظرُ إليهِ فلم يقطع صَلاَتَهُ، فَذَهَبَ بِهِ، فلما أصْبَح أتَاهُ الناسُ يُعَزُونَهُ بِهِ، فقالَ: أما إني قَدْ نظرتُ إليهِ وَهُوَ يحله، فقيل لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: كُنْتُ في أمر أَحَبَّ إليَّ مِنْهُ، فَمَا ارتفع النهارُ حتى جَاءَ الفرسُ يَجُر رَسنه قد انْفَلَتَ حتى قَامَ على المدودِ.

وَعَنْ وَهيْبِ بن الوردِ أنه سُرِقَ فرسُهُ بثمن عشرينَ ألفاً وَهُوَ يُصَلِي وَيَرَى السَّارِقَ، فقيل لَهُ فِي ذَلِكَ، فقالَ: رأيتُ السَّارِقَ حين حله، قيل: فلم لم تمنعه؟ قَالَ: كَانَ يسرقُ فَمَا أحببتُ أن أسرق أنا، قيل: كيف؟ قَالَ: مِنْ صلاتي.

وَقيل لبعضهم: متى يكون المصلي مناجِياً؟ قَالَ: إذا خَلاَ بِمَوْلاَهُ، وَخَلاَ قلبهُ عَنْ ذِكر مَا سِوَاهُ.

وَقِيل: كَانَ بشر بن منصور[1] يوماً يُصَلي فأطال الصلاةَ، وَرَآهُ رجلٌ يَنْتَظِرُهُ فَفَطِنَ لَهُ بشر، فلما انصرفَ بشر مِنْ صَلاَتِهِ قَالَ لَهُ بِشْرٌ: لاَ يعجبنك مَا رَأيتَ، فإن إبليس عدو الله ـ عز وجل ـ قد عبد الله ـ عز وجل ـ مع الملائكة كَذَا وَكَذَا ألفَ عَامٍ.

وَعَنْ الشبلي قَالَ: القبلة ثلاثٌ؛ فقبلة العام الكعبة، وقبلة الخاص العرش وهو قبلة الملائكةِ، وَقَبلة العارفِينَ قُلُوبُهُمْ يَنْظُرُونَ بنورِ قُلُوبهم إلى رَبهم عَزَّ وَجل.

وَصَلى سعيد بنُ المسيب الغداة بِوُضُوءِ العِشَاءِ الأخير خمسينَ سَنَةً، وَقَالَ: مَا فَاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سَنَةً، وَمَا نظرتُ إلى قَفَا رَجل فِي الصلاةِ خمسينَ سَنَةً.

وَصَلَّى عَبدُ الْوَاحِدِ بن زيدِ الغَدَاة بوضوءِ العتمةِ أربعينَ سنةً.

وَعَنْ أبي عبد الله المغربي قَالَ إني رُبَّمَا أصلي ركعتين فأنْصَرِفُ عنها وأنا أستحي مِنَ الله تَعَالى حَيَاء رَجل انصرفَ مِنَ الزنَا.

وَقِيل فِي قولِهِ ﷺ «اعبدِ الله كأنك تراهُ، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك»[2] فعلى المُصَلِي

---

(١) الإمام المحدث الرباني القدوة بشر بن منصور أبو محمد الأزدي السَّليمي البصري الزاهد قال علي بن المديني: ما رأيت أخوف لله منه، كان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة، وقال الإمام أحمد: هو ثقة وزيادة، وقال ابن المديني: حفر قبره، وختم فيه القرآن، وكان ورده ثلث القرآن توفي سنة ١٨٠ هجرية. (سيرة أعلام النبلاء ٨/ ٣٥٩، حلية الأولياء ٦/ ٢٣٩).

(٢) قطعة من حديث: (اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واحسب نفسك مع الموتى، واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن زيد بن أرقم ورمز السيوطي لحسنه. (الجامع الصغير ١/ ١٤٧ الحديث ١١٣٣).

عند الدُخُولِ فِي الصلاةِ رُؤيَةُ التعظِيْمِ والهيبَةِ، ثُمَّ فِي الصلاةِ رُؤيةُ الإِكْرَامِ والمنة، ثم عنَد الخُرُوج منها رؤيةُ التقصير وَالعجز.

وَقيل لأبي يزيْدٍ وَهُوَ صبي: يَا غلامُ، تحسن تصلي؟ قَالَ: نَعَم. قيل: كيف تُصَلِي؟ قَالَ: أكَبِّرُ بِالخُشُوعِ، وأقرأ بالترتيلِ، وأركَعُ بالتعظيم، وأسجد بالتواضع، وأسلِّم بالتَوديعِ.

وَعَنْ أبي يزيدٍ أنه دَخَل مسجداً، فرأى رَجلاً يُصَلِي، فلما سَلم قَالَ لَهُ: إن قلتَ إنه اتصالٌ فهو انفِصَالٌ، إنْ شاهَدَتها أشركْتَ، وإن تركتها كفرت.

وَقِيل: الصلاةُ هِي الطلَبُ، وَالسجُودُ هُوَ الوجود.

وَقيل: الصلاةُ مِنَ (الوصلة). وَقيل: مِنَ (الصلة) وَهِي الجائزة مِنَ الله تَعَالى لعبده. وفي التفسير: الصلاة هي الدعاء.

بَابُ ذِكْرِ الزَّكَاةِ

أَخْبَرَنَا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عُمر القصار مفتي أهل الري، قَالَ: حدّثنا محمد بن جعفر الفراضي، قَالَ: حدثنا أبو حَاتم الرازي، قَالَ: حَدَّثنا عبد الله بن أبان الجعفي، قَالَ: حدثنا عبد الرحمن المحاربي، عَنْ عبد الحميد بن أبي جَعْفر، عَنْ عثمان بن عَطَاء، عَنْ أبيهِ، عَنْ ابنِ عمر قَالَ قَال رَسول الله ﷺ: «الزكاةُ طهور مِنْ الذنوب، ولاَ يقبل الله تعالى الإيمانَ إلا بالزكاةِ»(١).

وَحُكَي أن ابن الأشيب وَكَانَ من أجلة الفقهاء، كَانَ ينهى الناسَ عَنْ زيارة الشبلي، والوقوف عليه واستماع كلامِهِ فلقي الشبلي ذَاتَ يوم، فَأرَادَ أن يمتحنهُ، فقالَ لَهُ: كَمْ فِي خمسين مِنْ الإبل؟ فقالَ لَهُ الشبلي: شاةٌ فِي واجب الأمر وفيما يلزمنا نحن كُلهَا، فقالَ لَهُ ابن الأشيب ألك فِي هَذَا إمام، قَالَ: نَعَم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه أخرج مَاله كله، فقال لَهُ النَّبي ﷺ: «يَا أبَا بَكْرٍ ما خلفت لعيالك؟» قَالَ: الله ورسُوله، فقام ابن الأشيب فقبل رَأسه، ولم ينه بَعْدَ ذلك الناسَ عَنْ حضور مجلسهِ.

وَكَانَ بعضهم يفتخر وَيقولُ: لم تجب عليّ زكاةٌ بحمد الله ومَنِّهِ قط(٢).

---

(١) لم أجده.

(٢) إما لأنه لم يملك نصاباً على الحقيقة، وإما لأنه كان ينفق ما يأتيه ولو بلغ الألوف المؤلفة وفي العلماء والصلحاء والأئمة العارفين كثير من هذا الصنف.

وَفِي معناه شعر:

مَلأتُ يدي مِنَ الدنيا مِرَاراً فما طَمِعَ العواذلُ فِي اقْتِصَادِي
وَمَا وَجَبَتْ عَلَي زَكَاة مَالٍ وَهَلْ تجبُ الزكاةُ على الجوادِ

وَرُوِي أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «لِكُلِ شَيء زَكَاةٌ، زَكَاةُ الدّارِ بَيْتٌ للضِيَافَةِ»[1].

وَقَالَ بعضهم: لِكُلِ صَومٍ زَكَاةٌ؛ فصوم اللسان وَزَكَاتُهُ صِدْقُ الحديثِ.

وقال ﷺ: «إن الله تَعَالَى فرضَ عَليكُمْ زَكَاةَ جَاهكُمْ، كَمَا فرض عليكم زَكَاة مَالكُمْ»[2].

ولجعفر بن إبراهيم الحميري في معناهُ:

كُتِبَتْ علي زَكَاةُ مَا ملكت يَدِي وَزَكَاةُ جَاهِي أنْ أعين وأشفعَا
فَإِذَا مَلَكْتَ فجُدْ، فإنْ لم تَسْتَطِعْ فَاجهدْ بِوُسعك كُلِهِ أن تنفعَا

وَحكي عَن بشرِ بن الحارثِ أنَّه كَانَ يقولُ: يَا أصحابَ الحديث أدوا زَكَاة الحديث قيل: وَمَا زَكَاةُ الحديثِ؟ قَالَ اعمُلوا مِنْ كُل مَائتين بخمسة.

قَال أبو سعد الواعظ رَضِي الله عنه: إن هذه طبقة زوىٰ الله تَعَالى عَنْهَا الدُنيا نَظَراً واختْبَاراً لَهُمْ، فعدوا ذلك على أنفسهم مِنَ الله تَعَالى أعْظَمَ نِعْمَةٍ بعد المعرفة والمحبة، وَكَانُوا بِمَا منعهم مِنَ الدُنْيا أشد سُرُوراً منهم بِمَا أعطاهُمْ، كَمَا حُكِي عَنْ مُطرف بن عبد الله أنه قال: نعمةُ الله - عز وجل - عليّ فيما زوىٰ عني مِنَ الدُنْيا، أعْظَمُ مِنْ نعمته عَلَيّ فيمَا أعْطَانِي مِنْهَا.

وَقَال بعضُ المشايخ: على كُل عضوٍ مِنْ أعضاءِ العبدِ زَكَاةٌ، فزكاةُ العين النظر بالعبرة، وَزَكَاة اللسانِ كلمة الفِطْرة، وَزَكَاةُ الحلق[3] تنزيهه عَنِ الحرَامِ وَالشُبْهَةِ، وَزَكَاةُ الوجهِ تعفيره للسجودِ بين يدي رَبّ العزة، وَزَكَاةُ اليدين رَفعها إلى الله سبحانَهُ عند الحَاجَةِ؛ بإظهار الخشوع والمَسْكنَةِ، وَزَكَاةُ الرجلين المشي بِهِمَا إلى الجمَاعَةِ على الوقارِ والسَّكِينةِ، وَزَكَاةُ النفسِ الاجتهادُ فِي إقامَةِ الطَّاعَةِ، وَزَكَاةُ القلب حفظ حقوقِ المعرفةِ، وإقَامَةُ حُدُودِ المحبَةِ؛ فمن أدى هذه الزكَوَاتِ فهو مِنْ خالص عبادِ الله عز وجلّ، وَمَنْ لَمْ يُؤدِّها فقد خَاطَرَ بنَفْسِهِ.

---

(١) أخرجه الرافعي بسنده عن ثابت (الكنز ١٥/ ٣٩٠ الحديث رقم ٤١٥٠٤).

(٢) لم أجده.

(٣) أي زكاة الفم والبطن اللقمة الحلال الخالص.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الصَّوْمِ

أَخبرنا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أبو عَمْرُو بنِ مَطرٍ وَأَبُو بَكْرِ بنِ إبراهيم بن حشنوية الوَرَاق، قَالا: حَدثنا أبو عمرو أحمد بن نصر الخفافُ، حَدثنا محمد بن رَافع، حدَّثَنَا شبابَةُ، حدثنا وَرَقاء، عَنْ أبي الزنادِ، عَنِ الأعرج، عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «وَالذي نفس مُحمد بِيَدِهِ، لَخَلُوف فَم الصَّائمِ أطيَبُ عند الله مِنْ رِيحِ المسكِ، يقولُ الله تَعَالى: إنمَا يذَر شهوتَه وطَعَامَهُ وشرابَه من أجلي، فالصيام لي وأنا أجزي به، كُلُ حسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعفٍ إلا الصِيَامَ فإنه لي وَأنا أَجْزِي بِهِ»[1].

وَرُوي عَن النَّبي ﷺ أنه قَال: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك، وَلِسَانك وَيدك»[2].

وَعَنْ رُويم بن أحمد قَالَ: اجتزتُ في الهَاجِرَةِ ببعض السِكَك ببغداد، فعطشت، فتقدمت إلى باب دَارٍ فَاستسقيت، فإذا بجاريةٍ قَدْ فتحت بابَ الدارِ وبيدهَا كوز جديد ملآن مِنَ المَاءِ المبردِ، فلما أردتُ أن أتناولَهُ قَالَتْ: ويحك صَوْفِي يفطِرُ بالنهار، فانصرفْتُ، فقال رُويم: لقد استحسنت كلامها، ونذرت أن لا أفطر أبداً.

قَالَ أبو سَعْدٍ مُصَنِف الكِتَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]: وَكَانَ مِنْ هَذِهِ الطبقة من يختارَ صَومَ دَاود عليهِ السلام، وَكَان يصوم يَوماً وَيفطِرُ يوماً، وإنما اختارَوا ذلك لأنه أشدُ الصّيَامِ، فإن النفس لا تتعودُ مِنْهُ الإفْطَارَ وَلاَ الصيامَ.

وَعَنْ بعضهم قَالَ: صُمْتُ كَذَا وَكَذا سنة لغيرِ الله، وَذَلك أن شاباً كَانَ يصحبني، فَكُنْتُ أصومُ حتى ينظر إليَّ ذلكَ الشابُ فيتأدبُ بي وَيَصُومُ لِصَوْمِيْ.

وَعَنْ سهل بن عبد الله: إنه كَانَ يأكُلُ فِي خمسة عشر يوماً مَرةً فَإذَا دَخَل شهر رمضان لم يأكُلْ إلا أكْلَةً وَاحدةً. وقِيلَ أنه كَان يفطرُ فِي كُل ليلةٍ على المَاءِ القراحِ وحده.

قَالَ محمد أبو سَعْدٍ الْوَاعِظُ: سمعت أبا طلحة المالكي بِمِصْرَ، فِي خلاَل مَا قَرأنَا عليهِ مِنْ حِكَايَات سهل بن عبد الله، أنه يوم وُلد وُلِدَ صائماً، ويوم مَاتَ مَاتَ صَائماً. فقيل له:

---

(١) أخرجه الشيخان، وفي لفظ مسلم: أطيب عند الله يوم القيامة، وليس في شيء من طرق البخاري (يوم القيامة).

(٢) لم أجده.

(٣) وعنابه آمين.

كَيف ذاك؟ قَالَ: إنه لم يَشْرَبِ اللبن فِي ذَلِكَ اليوم الذِي وُلِدَ فيهِ إلى المَسَاءِ، وأمّا صومُهُ يومَ وَفَاتِه، فإنه كَانَ صَائماً ذلك اليوم، فماتَ قبل أن يفطر.

وَقَالَ مظفر القرمسيني[1]: الصوم على ثلاثة أوجهٍ؛ صوم الرُوح بِقصر الأمل، وصَوم العقل بخلافِ الهوى، وَصومُ النفس باجتنَابِ المطَاعمِ والمناكح[2].

وَقَال علي بن بَكَارٍ: أدركتُ حفص العابد بالمصيصة وَكَانَ يأكل فِي شهر رَمضان أكلتين؛ أكلة ليلة الخامس عشر، ثُمَّ يأكُلُ ليلة الفطر أخرى، قالَ: وَكَانَ يقوى مع ذلك على إحياء الليل.

وَعَنْ أبي إسحق الفزاري قَالَ: كَانَ إبراهيمُ بن أدْهَمَ فِي شهرِ رَمَضَان يَحْصُدُ الزرع بالنهار، ويُصلي بالليل، فمكث ثلاثين يَوماً لا ينَامَ بالليلِ وَلاَ بالنهارِ.

وَحُكي أن شعوانة[3] كَانَتْ تَصُومُ فِي الصيف، وتفطر فِي الشتاء، فقيل لَهَا فِي ذلكَ، فقالت: إن السعر إذا رخص اشتراه كل أحدٍ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْحَجِّ وَالعُمْرَةِ

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أبو الحسين محمد بن الحسنِ السراج، حدّثنا محمد بنِ عبد الله الحضرمي، حدثنا محمد بن سُليمان بن مالكِ البَاهليّ، حَدَّثَنَا ثمامَةُ الْبِصْرِيُ، عَنْ ثَابتِ البناني، عَنْ أنس بن مَالكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الحاج والعُمَّارُ وَفد الله، يعطيهم مَا سَألُوا، ويستجيبُ لهم مَا دَعَوا ويخلف عليهم مَا أنفقُوا الدرهم ألف ألف درهم»[4].

(١) مظفر القِرميسيني من كبار مشايخ الجبل وأجُلّتِهم، ومن الفقراء الصادقين صحب عبد الله الخراز ومن فوقه من المشايخ، وكان أوحد المشايخ في طريقته (طبقات السلمي ٣٩٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، طبقات ابن الملقن ٣٧١).

(٢) في طبقات السلمي: بالإمساك من الطعام والمحارم (الطبقات ٣٩٦).

(٣) قال المناوي: شعوانة العابدة، الزاهدة ذات الكرامات والخوارق التي بفضلها شاهدة كانت شديدة الخوف من الله تعالى بحيث لا تفتر عن البكاء، وتقول: من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بذنوبه وبما هو صائر إليه، وكانت لا تسمع الذكر إلا بكت. وكان الفضيل رضي الله عنه يتردد إليها. ويسألها الدعاء (الكواكب الدرية ١/ ٢٢٧، طبقات الشعراني ١/ ٥٧).

(٤) أخرجه البيهقي في سننه بسنده عن أنس. (كنز العمال ٥/ ٨ الحديث رقم ١١٨١٦).

وَرَوى أبو هريرة عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَنْ حَجَ بمَال حرام، فقال: لبيك اللّهم لبيك، قَالَ الله عز وجل: لا لبيك ولا سعديَك هذا مَرْدُود عليك»[1].

وَحُكِي أن عبد الباري سَأَلَ ذَا النون المصري: لم جعل الموقف بالمشعر وَلَمْ يُجْعَلْ بالحرم؟ فقالَ: لأن الْكَعْبَة بيتُ اللّهِ عَز وجل، والحَرَمَ حجابُهُ، فلما أن قصده الوافدون وَقفهم بالباب الأول يتضرعون إليهِ، حتى إذا أذن لَهُمْ فِي الدُخول أمرهم بتقريب قرابين، فلما أن قربُوا قربَانَهُمْ، وَقَضَوا تفثهم، وَتَطَهَرُوا مِنَ الذنُوبِ التي كَانَتْ لهم حجاباً دُونَهُ، أمرهم بالزيارة على طهارة. قيل لَهُ: فَلِمَ حُرِّمَ الصِيَامُ أيامَ التشريق؟ قَالَ: لأنَّ القومَ هُمْ زُوّارُ الله تَعَالى فِي ضيافَتِهِ، ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من أضافه إلا بإذنهِ، قَالَ: فَمَا معنى الرجل يتعلق بأستارِ الكعبَةِ؟ قالَ: مثله كمثل رَجلٍ بينه وَبين صَاحبِهِ جنايةٌ، فهو يتعلق به ويستجدي رَجَاء أن يهب منه جرمه.

صفة حج الشبلي لابن منازل:

وَعَنْ عبد الله بن منازل قَالَ: أَرَدتُ الحج، فدخلتُ على أبي بكرِ الشبلي فأخبرتهُ بالعزم، فقالَ لِي: قف، وَقَالَ لغُلاَمِهِ: هَاتِ غراتينِ، فقالَ لِي: خُذْهُمَا مَعَك فإذا وَصَلْتَ إلى مَكَةَ فاملأهُمَا رَحمة، وَجِيء بِهِمَا معك، لتكون حَظنا من الحج، وتفرقها على من حَضرنَا وَنحيا بها وَقتاً، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ عنده إلى الحج، فلمّا رَجَعْتُ دَخلت عليهِ، فقال لِي: حججتَ؟، قلتُ: نعم، قالَ: جئت المقيات؟ قلتُ: نعم، قال: أيش عملت؟ قلتُ: اغتسلت وَأحرمت، وَصَليتُ رَكعتينِ وَلبيت، قَالَ عقدت الحج؟ قلتُ: نعم، قَالَ: فسخت بعقدك على عقدِ عقدتَهُ يخالِفُ هذا العقد ويضادّهُ منذ خُلقتَ؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: ما عقدت!! قَالَ: نزعْتَ ثيابك؟ قلتُ: نَعَمْ، قالَ: تجرذتَ مِنْ كُلِ شيءٍ؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: مَا نزعْتَ!! قَالَ: تطهرت!! قلتُ: نعم، قَالَ: زَالَ عَنك كل علةٍ بتطهرك، قلتُ: لاَ، قَالَ: ما تطهرت، قَالَ: لبيّت؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: وجدت جوابَ التلبيةِ بتلبيةِ مثلهَا، قلتُ: لاَ، قَالَ: مَا لبيت!! قَالَ: دَخلت الحرم؟ قلتُ: نَعَمْ، قَال: اعتقدت بدخولك الحرم ترك كل محرم؟ قلتُ: لاَ، قَال: مَا دَخَلْتَ الحرم!! قَالَ: أشرفْتَ على مَكَةَ؟ قلتُ: نَعَم، قَال: أشرفت عليك حال من الحق بإشرافك على مَكَةَ، قلتُ: لا، قَالَ: ما أشرفت على مَكَة!! قَالَ: دَخلتَ المسجدَ!! قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: دَخلتَ فِي قربه من حيث علمت؟ قلتُ: لاَ، قَال: مَا دَخلت

---

(١) الشيرازي في الألقاب، وأبو مطيع في أماليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (الكنز ٥/ ٢٧ الحديث ١١٩٠٠).

المسجدَ!! قَالَ: رأيت الكعبة!! قلتُ: نَعَم، قَالَ: رأيتَ مَنْ قصدتَهُ؟ قَلتُ: لاَ، قَالَ: ما رَأيتَ الكعبَةَ!! قَالَ: رَملت ثلاثاً ومشيتَ أربعاً؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: هربتَ من الدنيا هرباً علمت أنك قد فاصلتها وانقطعت عنها ووجدت بمشيك الأربع أمناً مِمّا هربت منه؟ قلتُ: لا، قَال: ما رَملت وَلا مشيت!! قال: طفت؟ قلتُ: نَعَم، قَالَ: لذتَ بالله تَعَالى شكراً لذلك؟ قلتُ: لاَ، قَال: مَا طفت!! قال: صَافَحت الحجر الأسودَ؟ قلتُ: نَعَمْ، قال: فصعق صعقة، وقال: وَيلك فقد قيل: إن من صَافح الحجر الأسود، فقد: صَافح الحق، ثم قَالَ: وفيت بالعهد لمّا بايعته؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: مَا صَافحت الحجرَ!! قَالَ: وقفت الوقفة بين يدي الله عز وجل خلف المقام، وصليت ركعتين؟ قلتُ: نعم، قَالَ: أوقِفْتَ على مَكانك وَحَالك وَكوشفت بأسرارِك، وأمنت في مقامِك؟ قلتُ: لا، قَالَ: ما صليت!! قَالَ: خرجت إلى الصفا فرقيت عليهِ؟ قلتُ: نعم، قال: أيش عملت، كبَّرت؟ قلتُ: نَعَمْ، كبرتُ سبعاً، وسَألت الله تَعَالى مِنْ خير الدنيا والآخرَةِ، وذكرتَ الحج، وَسألته القَبُولَ، قالَ: كبرت حين وَجدت المملكَةَ تصغر فيما أمرت حتى وجدت حقيقة ذِكرك؟ قلت: لا، قَالَ: مَا صعدت الصفا!! قَالَ: نزلت من الصفا؟ قلتُ: نعم، قَالَ: زَالت عنك كل علةٍ حتى صفيت؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: ما نزلت من الصفا!! قَال: هرولت؟ قلت: نعم، قالَ: فررت منك إليه فتبرأت مِنْ فرارك وَوَصلتَ إلى مَطلوبك؟ قلتُ: لا، قَالَ: مَا هَرْوَلتَ!! قَالَ: وصلت إلى المروةِ؟ قلتُ: نعم قَال: رأيت السكينة على المروةِ فأخذتها ونزلت عليك؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: مَا صعدت الصفا ولا المروة!! قال: خرجت إلى منى؟ قلتُ: نَعَم، قَالَ: وجدت ما أملته من مأمولك فأعطيت؟ قلتُ: لاَ، قال: مَا دَخلت منَى!! قَالَ: دَخلت مسجد الخيف؟ قلتُ: نَعَمْ، قال: خفت الله عز وجل في دُخُولك وخُرُوجِك حتى وَجدت من الخوف مَا لم تجده إلا فيهِ؟ قلتُ: لا، قَالَ: مَا دخلت مسجد الخيف!! قَالَ: مضيت إلى عرفات؟ قلتُ: نَعَم، قالَ: عرفت الحال التي خلقت من أجلها، وَالحال التي تصير إليها وما ينزلُ على أهْل عرفة، وما يتحفون به، وعرفت المعرف لَهُ هذه الأحوال، وَرَأيت المكان الذِي إليهِ الإشَارَاتُ، فإنه هُوَ الذي نَفَس الأنفاسَ فِي كُل حَالٍ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: ما وقفتَ بعرفَات!! قَالَ: نَفرتَ إلى المزدَلفَة؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: رَأيت المشعر الحرام؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: ذَكرت الله تَعَالى ذِكْراً أنساك ذِكَرَ مَا سِواهُ؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: مَا وَقفت بالمزدَلفَةِ. قَالَ ذبحت؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: نفسك؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: ما ذبحت!! قَالَ: رَميت!! قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: جهلكَ عَنك؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: مَا رَميت!! قالَ: حَلَقْتَ؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: نفضت آمالك عنك؟ قلتُ: لا، قَالَ: مَا حَلَقْت!! قالَ: زُرْتَ؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: كشف لك عمَّن زرتَهُ؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: مَا

زرتَ!! قَال: حللت عنده؟ قلتُ: لاَ، قَالَ: ما حججت وَلا زُرتَ وَعليك العودة.

وَرُؤي بعضهم يَطوفُ بالبيتِ وَيقولُ: بضاعتي بضاعتي لا تضيعها، وَجعل يشير إلى صدرهِ. وَرُؤي بعضهم يَطوفُ وَيقول: وافقراهُ، فقيل: بِمَاذَا أُصبتَ؟ فقالَ: كَانَ لِي قلبٌ ففقدتُهُ.

وَعَنْ عبد العزيز بن أبي رَوّادٍ[1]، قَالَ: خرج قومٌ حجاج وَمَعهم امرأةٌ تقولُ: أين بيت رَبي؟ فيقولونَ: السّاعة ترينَهُ، فلَمّا رَأوهُ قَالُوا لَهَا: هَذَا بيت ربك عَزَ وَجَل، فخرجت تشتد وتقول: بيت رَبي، بيت رَبي حتى وَضعت جَبْهَتَهَا عَلى البيت، فوالله مَا رُفعت إلا ميتة.

وَعَنْ زيدِ الهَاشمِي قَالَ: بلغني أن عجوزاً أعرابية تعلقت بأسْتَارِ الكعبةِ وَهِي تبكي، وتقُولُ: إلهي تركتك وَأنا رَطبة، وجئتك وَأنَا حَشفَةٌ[2] فاقبل الحشفة على مَا كَانَ مِنها.

وَقَالَ عمر الصفار صَاحِب المحاسبي: كنتُ أطوفُ بالبيتِ، فَإذا أنا بأعرابي عليهِ أطمار[3] رثة، وخلفه امرأة عليها أطمار رثَةٌ فسمعتُ الأعرابي وقد تعلق بأستارِ الكعبةِ وَهُوَ يقولُ: مُؤتَزرٌ بشملةٍ[4] كَمَا ترى، وَامرأتي عريانَةٌ كَمَا ترى، آيسة مِنْ كُلِ مَا عند الورى، يَا مَنْ يَرى وَلاَ يُرَى أمَا ترى مَا حَل بِي أمَا ترى، قَالَ: وَكَانَتْ معي دَنَانير، فمددتُ يَدِي لأناولِهَا إياه، فقالَ: إليك عني، فقد سألتُ مَنْ هو أبسط يداً منك، وأبَىٰ أن يأخذهَا.

وَحُكِي عَنْ مَالك بن أنسٍ رَضِيَ الله عنه قَالَ: صحبتُ جعفر بن محمدٍ الصَادِق عليهِ السلام، فلما أن أرَادَ أن يلبي تغير وَجْهُهُ وَارتعدت فرائصه، فقلتُ لَهُ: مَا لَك يا ابن رَسُولِ اللّهِ ﷺ؟ قَالَ: أردتُ أن أُلَبِي، فقلتُ: ما وَقُوفك؟ قَالَ: أخافُ أن أسمع سُوء الجوابِ.

وَقِيلَ لفضيل بن عياضٍ: مَا تقولُ فيمَنْ أرَادَ أن يُلبي فلم يمكِنْهُ، مخافَةَ أنْ يُقالَ لَهُ: لاَ لبيك فقال: أرجو أنه لم يلبِ فِي ذلك الموقفِ أحدٌ كتلبيتِهِ.

وَلَبّى بعضهم فقال: لبيك يَا مَنْ لَهُ الآلاء والجَمَالُ وَالبَهَاء، وَمَا عليهِ الأرضُ وَالسمَاء يَا مَالِكَ الملك لك البقاء.

---

(١) عبد العزيز بن أبي رَوَّاد، شيخ الحرم، واسم أبيه ميمون بن بدر مولى الأمير المهلب بن أبي صفرة الأزدي المكي، أحد الأئمة العباد، قال ابن المبارك: كان من أعبد الناس مكث أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء، وذهب بصره عشرين سنة ولم يعلم به أهله ولا ولده توفي سنة ١٥٩ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٧/ ١٨٤، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٠٧، شذرات الذهب ١/ ٢٤٦).

(٢) أما قولها: رطبة أي شابة قوية، وأما قولها: (حشفة) أي: عجوز كبيرة (القاموس مادة ح ش ف).

(٣) جمع طِمْر: وهو الثوب الخَلِقُ، أو الكساء البالي من غير الصوف (القاموس مادة ط م ر).

(٤) الشَّملة: (بفتح الشين كساء دون القطيفة يشتمل به ـ أي يلف على الجسد كله حتى لا تخرج منه اليد) (القاموس مادة ش م ل).

وَلَبّى آخر فقال: لبيك يَا ذَا النعمْ، تَسْمُو إليك الهممْ، تغفر بغير علهْ، وتعفو عَنْ عظيم الزلّهْ.

وَلَبّى آخر فقال: لبيك يَا مرادِي لبيكَ.

وَلَبّى آخر فقالَ:

إن قصدي وبغيتي مَا لَدَيكا … فاعف عني فقد رَحلت إليكَا

وَلَبّى آخر فقال:

إلهنا مَا أعدلكْ … مليك كل من ملكْ

مُهلكُ كلّ من هَلَكْ … لبيك قد لبيتُ لكْ.

لبيَك إن الحمدَ وَالنعمةَ لَكْ … وَالملكَ لا شريك لكْ

وَالليلُ لمَّا أن حلكْ … وَالسابحاتُ فِي الفلكْ.

على مجارِي المنسلكْ … لبيك قد لبيتُ لكْ

لبيك إن الحمد لكْ … وَالملك لا شريك لكْ.

كُل نبي وَملكْ … وَكُلُ عبدٍ هُوَ لكْ

سبح أو لبَّى فلكْ … لبيك قد لبيتُ لكْ.

لبيك إن الحمد لكْ … وَالملك لا شريك لكْ

قرباتنا اللهم لكْ … من قالَ غير ذا هلكْ.

ثم إلى النار سلكْ … لبيك قد لبيتُ لكْ

لبيك إن الحمد لكْ … وَالملك لا شريك لكْ.

يَا خَاطيئا مَا أغفلكْ … شمّرْ وبادر أجلكْ

واختم بخير عملكْ … لبيك قد لبيتُ لكْ.

لبيك إن الحمد لكْ … وَالملك لا شريكَ لكْ

بك اتَّبعنَا رُسلكْ … ثم سلكنا سبلكْ.

فحجنا منكَ ولكْ … لبيك قد لبيتُ لكْ

لبيك إن الحمد لكْ … وَالملك لا شريك لكْ.

مَا خَابَ عبد سَألكْ … أنت له حيث سلكْ

لولاكَ يا رب هلكْ … لبيك قد لبيتُ لكْ.

لبيك إن الحمد لكْ … وَالملك لا شريك لكْ

ولَبّى آخر فقال:

لبيك قد صحّت إليك عزائمي ... وقد بَلِيَتْ رُكني وَهُدَّت قوائمي

فإنْ تعفُ عني تعف عن ذِي جَرَائمٍ ... مُسيءٍ أتى بالمُنْكَرَاتِ العظائمِ

وَعَنْ الفضيل بن عياضٍ قَالَ: رأيتُ بالموقف شَاباً ساكتاً وعليهِ أثر الذلّة والخُشُوع، والناس يسألون الحوائج، فقلتُ: يا فتى اخْرِج يدك وسلْ حَاجةً، فقال لِي: يا شيخ وقفت وجئتهُ وَلَيْسَ لِي ثمّ وَجْهٌ، فقلتُ: فإن كَانَ كَذلك فإن الوقتَ يفوتُ، فقالَ: لا بد، فقلتُ: لا بُدّ، فلما أرَادَ أنْ يرفع يديهِ للدُعَاءِ صَاحَ صيحة وَخر ميتاً، أو كَمَا قَالَ.

وَقَالَ ذُو النُون المِصْرِيّ: وُصِفَ لِي شابٌ مِنَ المريدين، فقصَدْتُهُ ولقيتُهُ وَهُوَ فِي طريق الحج، فلما سلمت عليهِ قَالَ لِي: وعليك السلام يَا ذَا النُون؟ فقلتُ: وَبِمَ عرفت أني ذو النُون، قَالَ: عرفت بأينق المعرفة، فاتصلت المعرفة بالأنوار، فعرفتك بتعريف الجبار، قالَ: فَسألتُهُ عَنْ مَسَائل فوجدته حَكِيْمَاً، قَالَ: ثم مضيت وسبقني، فلما كانَ بِمنَى لقيتُهُ وَهُوَ سَاكتٌ وَالناسُ يتقربُون إلى الله سبحانَهُ وَتَعَالى بقرباناتهم[1]، قَالَ ذُو النُون: وأنا أرقبه وَهُوَ لا يشعر بي، قَالَ: ثم رأيته رَفَعَ رَأسه إلى السماءِ، وَقَال: إن هؤلاء تقربوا إليك بقرباناتِهِمْ وَأنَا لا أجد قربَانًا غير نفسي، وَإني أتقرب إليك بذبح نفسي، فتقبل مني، ثم أشار بإصبعه السبابَةُ إلى حَلقتهِ فخط فيه خطاً كَمَا يفعل بالسِّكين، قَالَ: فَخَر سَاقِطاً مَيتاً.

وَقَالَ أبو يزيد البسطَامِي: حججتُ أول مرة فرأيتُ البيت وَلَمْ أرَ صَاحِب البيتِ، ثم حججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت، ثم حججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت، ولم أر الناس.

وعن صالح المري[2] قال: وقف مطرف[3]، وبكر بن عبد الله بعرفة، قَالَ مُطرف:

---

(١) أي بقرابينهم ولم أجد له جمعاً (قرابانات). (القاموس مادة ق ر ب).

(٢) صالح المري، الزاهد الخاشع، واعظ أهل البصرة أبو بشر بن بشير القاص كان شديد الخوف من الله تعالى كأنه ثكلى إذا قصّ، لما سمعه سفيان الثوري قال: ما هذا قاصّ هذا نذير، وكان الغالب عليه كثرة الذكر والقراءة بالتحزين. توفي سنة ١٧٢ هـ. وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦، حلية الأولياء ٦/ ١٦٥، تاريخ بغداد ٩/ ٣٠٥).

(٣) مطرف بن عبد الله بن الشخير، الإمام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله الحرشي، العامري، البصري أخو يزيد بن عبد الله، كان ذا ثروة ومال وثروة وبزة جميلة ووقع في النفوس عن محمد بن واسع قال: كان مطرف يقول: اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راض. وقال سليمان بن المغيرة: كان مطرف إذا دخل بيته سبّحت معه آنية بيته. وكان مجاب الدعوة. توفي سنة ست وثمانين من الهجرة. (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧، حلية الأولياء ٢/ ١٩٨، شذرات الذهب ١/ ١١٠).

اللهم لا تردهُهم اليوم مِنْ أجلي. وَقَالَ بَكْرٌ: مَا أشرفَهُ مِنْ موقفٍ وَأرجَاهُ لأهلِهِ لولا أني فيهِمْ.

وَقَالَ علي بن الموفق لما تم لي ستون حجة قعدت بحد الميزاب في المسجد الحرام، فجعلتُ أتفكَرُ وأقولُ: إلى كَمْ أترَدَدُ إلى هَذَا البيت، وَلاَ أدري هَلْ يحبني أم لاَ، قَالَ: فَغَلَبَتنِي عيناي، فإذا أنا بقائل يقولُ: يَا عَلي، وَهَلْ تدعُو إلى بيتك مَنْ لا تحبُهُ، وَهَلْ تدعُو إلى بيتك إلاَ من تحبُهُ، قَالَ: فانتبهتُ وَسُرِّي عني ذلك.

وَقَالَ علي بن الموفق: حججتُ نيفاً وخمسين حَجَةً، فَجَعَلْتُ ثوابَهَا للنَّبِي ﷺ، وَلأبِي بَكْرٍ، وَعمرَ، وعثمانَ، وَعَلي رَضي الله عنهم أجمعين. ولأبَوي، فبقيت حجة واحدة، قالَ: فنظرتُ إلى أهل الموقفِ بعرفاتٍ وضجيج أصواتِهِمْ، فقلتُ: اللهم إن كَانَ فِي هؤلاءِ أحَدٌ لَمْ تتقبل حجته، فقد وَهبت لَهُ هَذه الحجة ليكُونَ ثوابُهَا لَهُ، فبتُ تلك الليلة بالمزدَلِفَة، فرأيتُ رَبي عَزَ وَجَل فِي المنامِ، فقال لِي: «يا عليّ بن الموفق أعَلَيَّ تتسخى؟ قَدْ غفرت لأهْلِ الموقفِ وَمثلهم وَأضعافهم، وشفعت كُل رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي أهْلِ بيتِهِ، وَخَاصته، وَجيرانه، وأنا أهلُ التقوى وأهل المغفرة».

قَالَ أبو عبد الله المغربي: خرجتُ حَاجاً، فبينا أنا فِي برية تَبُوكٍ، إذا أنا بامرأةٍ بلا يدين وَلاَ رِجْلَيْنِ وَلاَ عينين، فتعجبت منها، ثم قلتُ لَهَا: مِن أين أقبلتِ يَا أمةَ الله؟ قَالَت: مِنْ عنده، قلتُ: وأين تريدين؟ قَالَت: إليهِ، قلتُ: يا سبحان اللَّهِ بادية تبوك وليس فيها مغيث وأنت على هذه الحالة، قالت: يا سبحان الله أغمض عَيْنيك، فغمضتُهمَا، ثم فَتحتُهُمَا، فإذا أنا بِهَا متعلقةً بأستارِ الكعبَةِ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أبا عَبد الله أتعجب مِنْ ضعيفٍ حمله قويٌ، ثُمَّ طارتْ بين السماءِ والأرضِ.

وَقَال جعفر بن سليمان الضُّبَعي[1]: كنتُ مع مالك بن دينارٍ بِمكَةَ فلما ذَهَبَ يلبي سقطَ فَقُلْنَا لَهُ يَا أبا يحيى، مَا شأنُكَ؟ قَالَ: خَشَيْتُ أن يُقال لِي: لاَ لبيك لا لبيك.

قَالَ أبو عبد الله بن الجلاَّء: كنت بذي الحليفة، وشاب يريد أن يحرِمَ، فَكَانَ يقولُ: يَا ربّ أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك، فأخشى أن تجيبني بلا لبيك ولا سعديك، يُرَدِدُ ذلك مِرَاراً، ثُمَّ قَالَ: لبيك اللهم، وَمَدَّ بِهَا صَوتَهُ وخرجَتْ رُوحُهُ.

وَقَالَ أبو علي السّاوِي عرُوسُ الحرمين، كُنَا جُلُوساً عند أبي عَمْرو الزجَاجِيِّ، إذْ جَاءَهُ

---

(١) جعفر بن سليمان الضُّبَعي ـ بضم المعجمة وفتح الباء ـ نزل فيهم أبو سليمان البصري الزاهد، كان ثقة على تشيع فيه، مات سنة ١٧٨ هجرية. (خلاصة تذهيب الكمال ٥٤).

بعض العجم، فقال: اعطني البراءة فإني قد حججت، وَدَلَّني أصحابك عليك، لآخذ منك البراءة، فعلم أبو عمرو سلامة صدره، وأن أصحابه مازحوه، فقال له أبو عمرو: اذهب إلى ذلك الموضع ـ وأشار بيده إلى الملتزم ـ فقل يا رب اعطني البراءة قَالَ: فَمَا لبثنا إلا قليلاً حتى انصرف الرجل وبيدِهِ رُقعة مَكتوب فيها بالخضرة: هذه براءةٌ فلان بن فلان، اسم ذَلِكَ الرجل مِنَ النارِ.

وَرُوِيَ أن علياً عليهِ السلام كَانَ متعلقاً بأستارِ الكعبةِ، وَهُوَ يقول ويبكي: إلهي، هذا مقامُ مَنْ ضَلّ فِي هربه، إذ لم يجدْ عوضاً منك، إلهي هذا مقامُ من رَدّ أمله إليك، وَعطف بعنانه عليك. إلهي، هَذَا مقامُ مَنْ لا يتكلُ على المعذرةِ؛ بل يعتمد منك على المغفرة، بَدنُهُ أسير في يَديك، وَيَدُه مُرتَهَنَةٌ بِمَا جَنىٰ لدَيك، إلهي، إنْ تعف عني فبفضلك، وإنْ تَعْذبني فبذنبي، وَمَا أنتَ بظلامٍ لِلْعَبِيدِ.

وَعَنْ وُهيبِ بنِ الوردِ قَالَ: بينمَا امرأة فِي الطوافِ تقولُ ذهبتِ اللذاتُ وبقيت التبعاتُ، سبحانك وعزتك إنك لأرحم الراحمين، يا رَبِّ مالك عقوبة إلا النار؟ فقالتْ صاحبة لَهَا مَعها: يا أختَاه لو دَخلتِ بيت رَبك، فقالت: ما أرى قدمي هاتين أهلاً للطوافِ حول بيت ربي عز وجل، فكيف أراهُمَا أهْلاً أن أطأ بهما بيت رَبي وقد علمت حيث مشتا.

وَقيل فِي قولِهِ عَزِ وَجل: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] يعني كُل صَادِقٍ في دَعْوَاهُ.

وَقِيل في قولِهِ عَزَ وَجل: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ، إن الاستطاعة، التوكُلُ، واليقين، والمعرفَةُ.

وَنَظَرَ رَسُول اللَّهِ ﷺ إلى عمر بن الخطَابِ عند الحجر وهو يبكي، ورَسولُ الله ﷺ يبكي، فقال: هَاهُنَا تسكب العبَراتُ[1].

وَرُوِيَ أن بعضهم رأى امرأةً تمشي إلى بيت اللّهِ الحرامِ، فقال لَهَا: لو رَكِبْتِ، فأنشأت تقول:

سير المحبّ إلى المحبوب إعجالُ	والقلبُ فيهِ مِن الأشغالِ بلبَالُ
طوى المهَامِهَ مِنْ قَفْرٍ عَلى قَدمٍ	إليك يُسْلمني سهل وَأجبالُ
يَا مَنْ أُرجّيهِ ذخراً عند منقلبي	يوم الجزاء إذ الأهوالُ أهوالُ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وابن ماجة في سننه في كتاب المناسك عن ابن عمر رضي الله عنهما. (الكنز ١٢/ ٢١٦ الحديث رقم ٣٤٧٣٨).

وبينما علي بن أبي طالب ـ عَليهِ السلام ـ بالليل وَمَعَهُ وَلده الحسين، إذ سَمَعَ قَائلاً فِي جوفِ الليل يقول:

يا من يجيب دُعا المضطر فِي الظلم	يَا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قَد نَامَ وفَدك حول البيت وانتَبَهُوَا	وَعين مجدك يَا قيومٌ لم تَنَم
هب لي بجودِك فضلَ العفو عَنْ زللي	يَا مَنْ إليهِ رَجَاءُ الخلق فِي الحرم
إن كانَ عفوُك لا يرجُوهُ ذو زللٍ	فمن يجوُد على العاصين بالكرم

فقال علي للحسين عليهما السلام: اطلُبْ صَاحب الدعوة، فَجَاء، فقال: أجب أمير المؤمنين، فأقبل وَهُوَ يجر شقه، حتى وقف بين يديهِ، فقالَ لَهُ: قد سمعتُ خطابك، فَمَا قِصتك؟ فقالَ: أو يعفيني أميرُ المؤمنين؟ فإني مِنْ أمْري في ضيق، إنْ تُبْتُ لَمْ تُقْبَل تَوْبَتِي، وَإنْ سَألْتُ لَمْ تُقَلْ عَثْرَتِي، قالَ: ولِمَ ذَاك؟ قَالَ: لأني كنتُ رَجُلاً مشهوراً بالطربِ وَالعصيانِ، وَكَانَ لِي وَالد يعظني ويحذرُني مصارع الجهال، وَيقولُ: إنَّ للَّهِ تَعَالَى سَطواتٍ وَنَقَمَاتٍ، وَمَا هِي من الظالمين ببعيد، فلما لج فِي الموعظَةِ ضربتُهُ، فحلف ليدعون عَلَيَّ، وَلَيأَتينَ مَكَةَ مستغيثاً إلى الله سبحانَهُ، ففعَل وَدَعَا، فَلَمْ يتم دُعَاءَه حَتى جَفّ شقي الأيمن، فندمتُ عَلى مَا كَانَ مني إليهِ، وَدَارَيته وَأرضيتهُ إلى أن ضمن أنَهُ يدعُو لِي حيث دَعَا عَلَيَّ، فَقَدَّمْتُ إليهِ ناقةً فَأرْكبْتُهُ، فَنَفَرتِ الناقَةُ فرمته بين صَخْرَتين فَمَاتَ. فقالَ علي عليهِ السلام: إن أباك رَضِيَ عَنْك؟ قُلْتُ: والله! لَقَدْ كَانَ كَذلَك، فقام علي عليهِ السَّلاَمُ فَصَلَى رَكَعَاتٍ، وَدَعَا بِدَعَواتِ أسرَّهَا إلى الله عز وجل، ثم قال: يَا مُبَارك، قُمْ فَقمتُ وَمشيت وقد رجعت نفسي إلي، ثم قَالَ: لَوْلا أنك حلفتَ، إن أباك رَضِي عَنْك لَمَا دَعَوْتُ لَك.

بَابٌ فِي ذِكْرِ آدَابِهِمْ فِي الأَكْلِ وَأحْوَالِهِمْ فِيْهِ

أَخْبَرَنَا أبُو سَعْدٍ، أخْبرنا أبو علي حَامد بن محمد بن عبد اللَّهِ الهَرَوي، حدثنا محمد بن صَالحِ الأشج، حدثنا يحيى بن نَصْر بن حَاجبٍ حدثنا إبراهيم بن إسماعيل، عَنِ ابن وَجْزَةَ السعدي، وَرَجل مِنْ مزينة، عَنْ عمر بن أبي سلمَةَ المخزومي، قَالَ: دَعَانِي رَسول الله ﷺ فقالَ: «يَا عمر»، قال: قلتُ: لبيك، قَالَ: تعال - وَرَسول الله ﷺ يَأكل طَعَاماً - فقال: «اجلس وَاذكر اسم الله عز وجل، وكُل بيمينك، وَكُل مما يليك».

وَقَالَ سهل بن سعد: «مَا أكلَ رَسُولُ الله ﷺ خبز شعيرٍ منخولاً حتى فَارَقَ الدنيا».

وَقَالَ ﷺ: «شرارُ أمتي الدين يأكلونَ مخ الحنطَة»[1].

وقَالوا: كَانَ فاكهة أصحاب رَسولِ الله ﷺ خبز البر.

وَقَالَ الكتاني: مِنْ حُكْمِ المريد أن يكون فيهِ ثلاثة أشياء؛ نومُه غَلبةٌ، وَكلامُهُ ضَرورةٌ، وَأكلُهُ فاقةٌ.

وَعَنْ الجنيدِ أنَّهُ قَالَ: سمعت سِرياً يقولُ: أحبُ أن آكل أكلة ليسَ لله عز وَجَل عليَّ فيها مُطالبةٌ، وَلاَ للخلق علي فيها منّة، فما أجد إلى ذلك سبيلاً.

وَقَالَ أبو عبد اللَّهِ اللخمي: كَانَ أبو عبد الله الرُقَاعي ساح على الفقر والتوكلِ ثلاثين سنةً، فَكَانَ إذا حَضَر الفقراء طعاماً لاَ يأكل معهم، فيقولُونَ لَهُ فِي ذلك، فيقول: أنتم تأكُلُون بحقِ التوكُلِ، وأنا آكُل بحقِ المسكنَةِ، ثم يخرج بين العشائين فيلتقط الكسرَ مِن الأبواب، فيأكُلُ منها.

وَقَالَ ممشاد الدينوريُ: كَانَ عندنا رجل أخذ في التقلل حتى وقف على وزن نواةٍ، ثم صَارَ قوته الماء.

وَقَالَ أبو تُرَابِ النخشي: صحبت مائة شيخ مَا نَفعني مثل شَد رَأس الجرابِ، يعني التقلل.

وَقَالَ أبو علي الرَوذباري: إذَا دَخَلَ عليكُمْ فقير فقدمُوا لَهُ شيئاً يأكُلُ، وَإذَا دَخَلَ عليكُمْ فقيه فسلوه مَسألة، وَإذَا دَخَل عليكُمْ بعض القراء فدلوهُ على المحرابِ.

---

(١) لم أجده.

وَعَنْ رُويم بن أحمد أنَّهُ قَالَ: منذ عشرين سنة لا يخطرُ ببالي ذِكْرُ الطعامِ حتى يحضر.

وَقَالَ أبو سليمان الدّارَانِي: إذا أردتَ حَاجَةً مِنَ حَاجَاتِ الدُّنْيَا والآخَرة فلا تأكل حتى تقضيها، فإنْ الأكل يغير العقل.

وَدَخَلَ فَتْح الموصلي على بشر بن الحارثِ، فقال: يَا أبا نصرٍ، ابعث إلى السوقِ وَاشترِ لنا تمراً جيداً وخبزاً جيداً، ففعل بشر ذلك، وَأكل فتح الموصلي منه فأكثر وَحمل الباقي، فقال بشر: لِمَنْ كَانَ عنده: أتَدْرُون لم قَالَ اشترِ خبزاً جيداً وتمراً جيداً؟ فقالُوا: لا. قَالَ: لأن الطعام الصَّافِي الجيد يصفو لصاحبهِ عليهِ الشكر، ثم قال: أتدرون لِمَ أكثر الأكل؟ قَالُوا: لا، قَالَ: لأنه علم أني كنت أفرح بأكلهِ، فَأرَادَ أن يزيدني سُرُوراً وفرحاً، ثم قالَ: أتَدْرُون لم حمل مَا بقي؟ قَالُوا: لاَ. قَال: لأن التوكل إذا صح لم يضر صاحبه الحمل معهُ.

وَقَالَ: جعفر الخلدى: إذا رأيت الفقير يأكل كثيراً، فاعلم أنه لا يخلُو ذلك من إحدى ثلاثٍ؛ إما لوقتٍ مضى عليهِ، أو وقتٍ يريدُ أن يستقبله، أو للوقت الذي هُوَ فيهِ.

وَعَنْ إبراهيم بن شيبَان القرميسيني أنه قال: منذ ثمانين سنة ما أكلتُ شيئاً لشهوتي.

وَقَالَ سَري: من النذالةِ أن يأكُل الرجل بدينهِ.

وَقَالَ الجنيدُ: بصفاء المطعم، وَالملبس، وَالمسكَن يصلح الأمر كله.

وكان بعضهم يقول: أكل الطعام على ثلاثة أضرب، مع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب، ومع الفقراء بالإيثار.

وَوَصف سَرِي هذه الطبقة فقال: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى.

وَقَالَ أبُو تُرابِ النخشبي: عرض عليّ طعام فامتنعتُ، فضربت بالجوع أربعة عشر يوماً، فعلمت أني عوقبت فتُبْتُ.

وَيقال: يجب أن يكون الصوفي كلما كَانَ أجوع كَانَ أدبه فِي أكلِ الطعام أحسنَ.

وَعَنْ أبي جحيفة قَالَ: قَالَ رَسول الله ﷺ: «أما أنا فلا أكل متكِئاً»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي جحيفة (كتاب الأطعمة باب ما جاء في كراهية الأكل متكئاً. وقال: حسن صحيح). (الكنز ١٥/ ٢٣٣ الحديث ٤٠٧١١).

وَقَالَ كعب بن مَالك: «كَانَ رَسول اللّهِ ﷺ يأكُل بثلاث أَصَابع فإذَا فرغ لَعقهن»(١).

وَقَالَ جَابر بن عبد الله: «إن النَّبِي ﷺ أتى بقصعة مِنْ ثريد، فقال: «كُلُوا مِنْ حواليها وَلاَ تأكلوا مِنْ وَسطها، فإن البركَةَ تنزلُ فِي وَسطهَا»(٢).

وَعَنْ أبي هريرةَ قَالَ: «مَا عَابَ رَسُوْلُ الله ﷺ طَعَامَاً قط، فإن أعْجَبَهُ أكَلَ وإلا ترك».

وَعَنِ ابنِ عَمَر رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ دَخَلَ إلَى طَعَامٍ لَمْ يُدْع إليهِ دَخَلَ سَارِقاً، وَأَكَلَ حراماً، وَخَرَج مغيراً»(٣).

وَعَنْ عَائشة رَضِي اللّهُ عَنهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَأكُل طَعَامَاً، فِي سِتَةٍ مِنْ أصحابِهِ فَجَاء أعرابي جَائعٌ فَأكَلهُ بلقمتينِ، فقالَ رَسولُ الله ﷺ: «لَوْ كَانَ سمَّى لكفاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إذَا أكَلَ أحدكُمْ طَعَامَاً فليُسمِّ، فإن نسِي فِي أولهِ فليقل فِي آخرهِ: بِسْمِ الله فِي أوّلهِ وَفِي أخِرهِ»(٤).

وَرُوِي أن رَسُولَ الله ﷺ دُعِيَ إلى دَعْوةٍ، فقالَ لزيد بن حَارِثة: «قُمْ بِنَا نأكل كسرة نرد بها كلبَ الجوع، لتحسُنَ مُؤاكلتنا مَعَ الناسِ»(٥).

وَرُوِيَ عَن النَّبِي ﷺ أنَّهُ قَالَ: «أَحَبُ الطعَامِ إلى الله تَعَالى مَا كَثرتْ عليهِ الأيْدِي»(٦).

---

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وأبو داود عن كعب بن مالك: كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، ويلعق يده قبل أن يمسحها. (الكنز ٧/١٠٧ الحديث رقم ١٨١٩٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد والبيهقي بلفظ (كلوا في القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة تنزل في وسطها. (الكنز ١٥/ ٢٤١ الحديث رقم ٤٠٧٥٥).

(٣) حديث: (من دخل على قوم لطعام لم يدع إليه فأكل، دخل فاسقاً وأكل ما لا يحل له) رواه البيهقي من حديث عائشة، ولأبي داود من حديث ابن عمر قال العراقي: وإسناده ضعيف. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ١٢٢٨).

(٤) أخرجه النجار بسنده عن عائشة رضي الله عنها (الكنز ١٥/ ٤٣١ الحديث رقم ٤١٧٠٨).

(٥) لم أجده.

(٦) حديث: (أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيادي) أخرجه أبو يعلى في مسنده والبيهقي وابن حبان، والضياء عن جابر رضي الله عنه (الكنز ١٥/ ٢٣٣ الحديث رقم ٤٠٧١٦).

بَابُ آدَابِهِمْ فِي اللّبْسِ وَأحْوَالِهِمْ فِيْهِ

أخْبرنا أبُو سَعْدٍ، قَالَ: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد التميمي العدل، حدثنا زَكَرِيَا بن يحيى، قَالَ: حدثنا أيوبُ بن الحسن، قَالَ: حدثنَا مُحَمَّدُ بنُ عُكَاشَةَ، عَنْ محمد بن الحارثِ، عَنْ ثور بن زيد، عَنْ خَالد بن مَعدان، عَنْ أبِي أمامَةَ الباهلي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عليكُمْ بلباسِ الصوف تَجِدُوا حَلاَوَةَ الإيمان، وَقلة الأكْل تعرفُوا فِي الآخِرَةِ فإن النظر فِي التصوفِ يورث القلب التفكُرَ، والتفكُرُ الحكْمَة»[1].

أخبرنَا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أخبرنا أبو الحسنِ علي بن عمر الشافعي بمكَةَ حرسها الله، قَالَ: حدثنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله الأديب، قَالَ: حدثنا ابنُ أبِي دَاود، وَأبو يزيد القرشيُ، قَالَ: حدثنا نصر بن علي، قَالَ: حدثنا سُلَيمان بن سليم، عَنْ جَابر بن يزيدٍ، قَالَ: حدثني سفيانُ الزياتُ، عَن الربيع بن أنسٍ، عَنْ أنسٍ، أنَّ النبيَ ﷺ بعث إلى يَهُودِي يَسْتَسْلِفُ شيئاً إلى المَيْسَرَة، فقالَ اليهودِي: وَهَلْ لمحمدٍ ميسرة، فأتيت النَّبي ﷺ فأخبرتُهُ بِمَا قَالَ، فقالَ: «كذب اليهودِي كَذَبَ ـ اليهودِي، ثلاثاً ـ أنا خير من بايعٍ، لأنْ يَلْبِسَ الرجُلُ ثوباً مِنْ رِقَاعٍ شَتّى خير لَهُ مِنْ أن يأخذ مِنْ أمَانَتِهِ مَا ليسَ عنده»[2].

وَيُروى أنَّه كَانَت فِي جُبَةِ عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثلاث عشرة رُقْعَةً، بعضها مِنْ أدمٍ.

وَكَانَتْ عَائشة رَضِي اللّه عَنْهَا ترقع دِرْعَهَا وَعطاؤهَا اثنا عشرة ألفاً.

وَكَانَ علي بن أبي طالبٍ عليهِ السَّلامُ يلبس الْمَرْقُوع فقيل لَهُ فِي ذَلك، فقالَ: «هو أخشى للقلبِ، وَأخشع، وأحرى أن يقتدي بِي المؤمنون».

وَقَالَ جعفر المغازِلي: رأيتُ على بشر بن الحارث قَمِيْصَاً خلقاً، فقلتُ لَهُ: أعتق هذا القميص، فقالَ: حتى يعتق صَاحبه.

وَيقال: لبسُ الصُوف إماتة للشهوةِ.

وَخَرَج الشبلي يوماً مِنْ منزلِهِ وَعليهِ خِرَقٌ وَأطْمارٌ فقيلَ لَهُ: مَا هَذَا يَا أبَا بَكر؟؟.

---

(١) حديث (عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان في قلوبكم) أخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في سننه عن أبي أمامة (الكنز ١٥/ ٣٠١ الحديث رقم ٤١١١٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن أنس بن مالك (الكنز ٦/ ٢٣٢ الحديث رقم ١٥٤٨٧).

فأنشأ يقول:

فيَوماً تراني فِي الشريد نَبُسُّهُ ... وَيَوماً تَرانا نَأكل الخبز يَابِسَا

وَيوماً تراني فِي الجَزور نجرُّهَا ... وَيَوْمَاً تَرَانَا فِي الحديد عَوَابِسَا

وَقَالَ بعضهم: رَأيت على عُمر بن الخطاب رَضِي الله عنه قميصاً فيه اثنا عشر رُقعة وَهُو على المنبر يَخطُبُ.

وَقَال أبو برِدَة: دخلت على عَائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ فأخرجَتْ إليَّ كِساء ملبداً، فقالتْ: «فِي هذا قبض نبيكُمْ ﷺ».

وَدَفَعَ عُمَرُ رَضِي الله عَنْهُ إلى عَامِلٍ لَهُ قميصاً ليغسلهُ ويرتقه، فقطع عليه قميصاً ألين منه وجاء بهما إليه، وَقَال: قطعت هَذَا عليه لتلبسهُ، فمسّه عُمَرُ رَضِي الله عَنْهُ فوجدَهُ لَيناً، فقالَ: لاَ حَاجَةَ لِي فيهِ، هَذَا أنشف للعرق منه، يعني قميصه الأول الخشن.

وَقَالَ عروة بن الزبير رأيت: «رِدَاء النَّبِي ﷺ الذي يخرج به إلى الوفد طوله أربع أذرع وعَرْضه ذِرَاعٌ وشبر». فَهَذَا عند الخلفاء يلبسون فِي الأعياد.

قَال أبو سعد: وقد رأيته على القادر بالله رَضي الله عنه[1].

وَذكر أن مُوسى ـ عليه السلام ـ لقيه ملك وعليهِ مدرعة[2] صوف قصيرة الكمين، والمدرعة إلى أنصاف ساقيهِ، وقد تخلقت، وكان شبه عريان، فقال المَلَكُ: يَا رَب، رأيت مُوسى المكلِّم الذي ناجيته ـ عليه السلام ـ مثل عريانٍ، فقال الله عَزَ وَجَل: «ادخل الجنة، فأعطه أسنىٰ كسوة وأسراها»، فقال: يَا رَب دخلتها فلم أر فيها كسوة أسنى من العافية، فقال الله عز وجل: «اذْهَب فأعطه إياها».

وَقَالَ بعضهُم: إنما قَال الله عَزَ وَجَل: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ﴾ [الأعراف: ٢٦] لباس الظاهر قد عُلم، ولباس الباطن هو التقوى ولذلك قال الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢] لأنه لم يكن له كم يدخل يده فيه. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تحقر أحداً خلقان ثوبه، فإن ربك وربه واحد».

---

(١) الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي البغدادي مولده سنة ٣٣٦ هجرية، كان أبيض كث اللحية، ديّناً عالماً وقوراً متعبداً، من جلّة الخلفاء وأمثلهم، عده ابن الصلاح من الشافعية. (سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٢٧، تاريخ بغداد ٤/ ٣٧).

(٢) المدرعة ـ كمكنسة ثوب كالدراعة ولا يكون إلاّ من صوف (القاموس مادة درع).

قال أبو سعدٍ وأنشدوني:

قالوا غداً العيدُ ماذا أنت لابسُهُ فقلتُ خلعة سَاق حبه جزعَا
ضرٌ وفقر هما ثوبان تحتهما قلبٌ يرى إلفه الأعيادَ والجمعَا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بِهَا يَوم التزاور في الثوبِ الذي خَلَعَا
وَالدهر لي مأتم إن غبتَ يا أملي والعيد ما كنتَ لي أمراً ومستمعا
لاَ كنتُ إن كان لي قلب يحن إلى حِبٌ سِوَاكَ وَلَوْ قطعتني قطعا

آخر الخامس من تهذيب الأسرار

يتلوه في أول السادس

إن شاء الله تعالى في أول الكراس التي تلي هذه

ويحكى عن أبي عتبة الخواص أنه قال: لقيت شيخاً في بيت المقدسِ

وَكَانَ قد احترق بالنار

عليه مدرعة سودَاء وَعَمامة سوداء

الحمد لله وَحده، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وأزواجه، وسلامُهُ إلى يوم الدين.

الجزء السادس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبّ يسر برحمتِكَ

قَال أَبُو سَعْدٍ رَحِمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

وَيُحكَى عَنْ أبي عتبة الخواصِ أنه قَالَ: لقيتُ شيخاً فِي بَيْتِ المقدسِ كأنه قد احترقَ بالنَّارِ، عليهِ مدرَّعَةٌ سودَاء، وَعِمَامَةٌ سودَاء، طويل الصَّمتِ، كَرِيْهَ المَنظَرِ، كثير الشّعَرِ، شديد الكَآبَةِ، فَقلتُ: لَوْ غيرتَ لِبَاسَكَ هَذَا، وَقَدْ علمت مَا جَاءَ فِي البيَاضِ، فَبَكَىٰ وَقَالَ: هَذَا أشْبَهُ بثيابِ أَهْلِ المصيبةِ، إنَّمَا أنا وَأنْتَ فِي إحْدَادٍ، وَكَأني بِي وبك قَدْ دُعينَا، فَمَا تَمّ كَلاَمَهُ حَتّى غشي عَلَيْهِ.

وَعَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قلتُ: يَا رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ ادْعُ الله تَعَالَى أنْ يزوَجُنِي إياك فِي الجنةِ، قَالَ: «إنْ أردْتي ذلك فلا تجمعي طَعَامَاً لِشَهْرٍ، وَلاَ تَضَعِي ثوباً حتى ترقعيهِ».

وَرُوِيَ عَنْ أنَيسِ بنِ الضَحَاك، أن النَّبي ﷺ قَالَ لأبي ذرٍ: «يَا أَبَا ذَرٍ، الْبس الخشنَ الضيقَ، حَتّى لاَ يجدَ العز والفخر فيك مَجَالاً»(١).

وَعَنْ أنسٍ أنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: «مَنْ ترك اللباسَ تواضعاً لله وَهُوَ يَقْدرُ عَلَىٰ ذلك، دَعَاهُ الله يومَ القِيَامَةِ على رُؤوسِ الخَلائِقِ، فيخيره حلل الإِيْمَان أيَهَا شَاءَ»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَا كَلَّمَ الله مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَتْ عليهِ جُبّة صُوْف، وَكِسَاء صُوْف وَسَرَاويل صُوْفٍ، ونعله مِنْ جلدِ حِمَارٍ غير ذَكِي»(٣).

---

(١) رواه ابن منده عن أنيس بن الضحاك السلمي ولفظه (مساغاً). وقال: غريب وفيه انقطاع (الكنز ٣/٨٨ الحديث رقم ٥٦٢٣).

(٢) حديث (من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها) أخرجه الترمذي والحاكم عن معاذ بن أنس الجهني وقال في تحفة الأحوذي ٧/١٨٤ رواه أبو داود والبيهقي كذا في الترغيب وقال: حديث حسن ورواه الحاكم في موضعين من المستدرك قال في أحدهما صحيح الإسناد (الكنز ٣/١١٢).

(٣) لم أجده.

وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَا لَبسَ مُوْسَىٰ عليهِ السَّلاَمُ إلا الصوفَ حتى قُبِضَ وَلاَ لبس عيسى عليهِ السَّلاَمُ إلاّ الشعر حتى رُفِعَ، وَلاَ رَفَع مَدَرةً على مَدَرةٍ»[1].

قيل لوكيع: لو لَبْستَ الصُوْفَ، فقالَ: مَا أرُاني أهلاً لِذَلِكَ، وبكى، ثُم قَال: ينبغي أنْ يكُونَ عَمَلُ الرجُل أرْفَعَ مِنْ منظرِهِ.

وَعَنْ محمد بن مَنْصُور الطوسي، قَالَ: رأى معروفُ الْكَرْخِيّ مَعِي ثوباً، فقالَ لِي: يَا محمَدُ مَا تَصْنَعُ بِهَذَا؟ قلتُ: أقطعُهُ قَمِيْصاً، قال: أقطعه قصيراً ترح فيهِ ثلاث خصال، أولهَا اللحوق بالسُنَةِ، والثانِيَةُ: يَكونُ ثوبك أنظَفَ، والثالِثَةُ: تَرْيُحُ خَرْقه.

وَلَبِسَ الشبلي يَومَ العيدِ ثوبَيْنِ جَدِيدينِ، فرأى الناسَ يسلمُ بعضهم على بَعْض على قدرِ ثيابِهِمْ، فمضى الشبلي وطرحَ ثيابَهُ فِي تَنُورٍ، فَقِيْلَ لَهُ: لم فعلت؟ فَقَالَ: أرَدْتُ أن أحرقَ مَا يَعْبَدُ هُؤلاءِ ثُمَّ لَبِسَ الثيابَ الزُرْقَ والسُوْدَ.

وأنشأ يقول:

تَزَيَّنَ النَاسُ يَوْمَ العيدِ للعيدِ وَقَدْ لبست ثيابَ الزُرْق وَالسُوْدِ
وأصبحَ الناسُ مَسْرُوراً بعيدِهِمُ وَرُحتُ فيك إلى نَوْحٍ وَتَعْدِيْدِ
وَالناسُ فِي فَرَحٍ وَالقَلْبُ فِي تَرَحٍ شَتَّانَ بَيْنِي وَبَينَ الناس فِي العيدِ

قَالَ أبُو سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا نحو هَذِهِ الحِكَايَةِ أبو عَلِي الأندلسُي ببيتِ المَقْدِسِ، قَالَ: سمعتُ أبَا زُرْعَةَ الطَبَرِي بِفَارِسَ يقولُ: رأيتُ الشِبْلِي فِي يَوْمِ عيدٍ وَذَكَرَ بِمَعْنَىٰ الحِكَايَةِ.

وَكَانَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيز يلبس الفَرْوَ الغليظ، وَكَانَ سِرَاجُهُ على ثلاثِ قَصَبَاتٍ فوقَهُنَّ طِينٌ.

وَحُكِيَ عَنْ أبِي سليمان الدَارَانِي، أنَّهُ كَانَ لَبِسَ قمِيصاً أبْيَضَ، فقال لأحْمَدَ بنِ أبي الحَوَارِي: يَا أحمد ليت قلبِي في القلوبِ مِثْلَ قميصي فِي الثيابِ.

وَيُقَالُ: الفقير الصادِقُ أي شيءٍ لَبِسَ يحسن عليهِ، فإنه يلبس مَا يَجِدُ وَلاَ يحكم على الله عَزَ وَجَلّ.

وَكَانَ يَحْيَى بن مُعَاذِ الرَازِي يلبس الصوفَ والخلقانَ فِي ابتداء أمرِهِ، وَكَانَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ يَلْبَسُ الخَزَ والْبَزَ، فقيل ذَلك لأبِي يزيدِ البسطَامِي، فقالَ: مسكين، لم يصبر عَلَى

(١) المدر: قطع الطين اليابس واحدته مَدَرة (القاموس مادة م د ر).

الدُون فكيف يصبر على التخت[1].

وَقَالَ أَبُو سليمان: يَلْبَس أحدُهُمْ عَبَاءةً بثلاثة دَرَاهِمَ، وَشهوته فِي قلبهِ بخمسة دَرَاهِمَ، فَمَا يستحي أن تجاوِز شَهْوَتُهُ لِبَاسَهُ.

وَحُكِي عَنْ أبي جَعْفَرِ الحَدَّاد أنَّهُ قَالَ: إذَا رأيت ضَوءَ الفقيرِ فِي ثوبهِ، فَلاَ تَرْجُ خَيْرَهُ.

وَدَخَل جَمَاعَة عَلَى بِشر بنِ الحارثِ وَعليهم المرقَّعَاتِ، فقال لَهُمْ بشرُ: يَا قوم، اتقوا الله وَلاَ تُظْهِرُوا هَذا الزِّيَّ، فإنكُمْ تُعْرَفُونَ بِهِ وَتُكْرَمُونَ لَهُ، فَسَكَتُوا، فقامَ شَابٌ مِن بينهمْ فقال: الحمد لِلَّهِ الذي جعلنا مِمّنْ يعرفُ بهِ ويَكْرَمُ لَهُ، والله ليظهَرَنَ هَذَا الزيَ حتى يكونُ الدين كله لله عز وجل، فقال لَهُ بشر: أحسنت يَا غُلاَمُ مثلك مَنْ يَلْبَسُ المُرقَّعَة.

وَعَنْ ابن عباسٍ رَضِيَ الله عنه قَال: لأن أرقع ثوبَاً وألبسُهُ فيرفَعُني عند الخالقِ، ويضعنُي عِند المخلوقين، أَحَبُ إليَّ مِنْ أن ألبسَ ثياباً تَضَعُني عند الخالق، وترفعُني عند المخلوقينَ.

وَكَانَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ الله عَنْهُ يقطعُ مِنْ كُمِهِ مَا جَاوَزَ الأَصَابعَ.

وَعَنْ الجُرَيري قَالَ: كَانَ فِي جَامِعِ بغداد فقير لم يجتمع لَهُ ثوبانِ قط فِي الشتاء وَلاَ فِي الصيفِ، فسئل عَنْ ذلك، فقال: كنتُ مولعاً فيما سَبق بكثرة الثيابِ ولُبْسِهَا، فرأيتُ فِي مَنَامِي كَأني دَخلتُ الجنة، فرأيتُ فيها جَمَاعَةً مِنْ أصحَابِنَا الفقراء على مائدة، فَأردْتُ أنْ أجْلِسَ مَعهم، فإذا جَمَاعَةٌ مِنَ الملائكَةِ قد أخذوا بيدي وَأَقَامُوني، وَقَالُوا: هُؤلاءِ أصحابُ قميصٍ وَاحدٍ، وَأنتَ لك قميصان فلا تجلس معهم، فانتبهتُ ونذرتُ أن لاَ ألبسَ غير ثوبٍ وَاحدٍ، إلى أن ألقى الله عز وجل.

قَالَ عَبْدُ الملك رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنشدتُ:

جَعَلَتْ تَأمّل زُرْقةً فِي خَاتَمِي	وتقولُ فصك ذَا لباسُ المأتَم
فأجَبْتُهَا مُذ بَانَ وَصْلُكِ وَانْقَضَى	بَكَيتُهُ بِدَمٍ وَدَمعٍ سَاجِمِ
وَرَغبتُ فِي لُبْسِ الحدادِ لأنه	لبس الحزينة والحزين الكَاظِمِ
وخشيتُ إن أنا فِي الثيابِ لَبِسْتُهُ	أن يفطنوا فجعلتُه فِي الخَاتَمِ

(1) فارسي بمعنى السرير.

بَابٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ آدَابِ الفُقْرَاء فِي صُحْبَتِهِمْ سَفَراً وَحَضَراً وأحْوَالِهِمْ فِي أسفَارِهِمْ.

حَدَّثَنَا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أخْبرَنَا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الْغسَانِي بِصَيْدَا، قَالَ: حدثنا الحسنُ بنُ محمَد بنِ النعمانِ أبو علي الصَيْدلانِي، حَدَّثَنَا الحسن بن محمَدٍ بِصُور، قَالَ: حَدّثنا بَكّارُ بنُ قتيبةَ، قَالَ: حدثنا أبو المطرفِ بن أبي الوزيرِ الأكبر، قَالَ: حدّثنا مُوْسَى بنُ عبد الملكِ بن عمير، عن أبيهِ عَنْ شَيْبَة الجعبِي، عَنْ عمِهِ، قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «ثلاث يصفّينَ لك وُدَّ أخيك؛ تسلم عليهِ إذا لقيته، وَتُوسِّعُ لَهُ فِي المجلسِ إذَا جَالَسْتَهُ، وَتَدْعُوهُ بِأحَبِّ أسْمَائِهِ إليهِ»(١).

وَعَنْ النَّبِي ﷺ أنَّهُ قَالَ: «أكثروا مِنْ الإخْوَانِ، فإنّ رَبكم حيي كَرِيمَ، يستحَيي أن يُعَذبَ عَبْدَهُ بين إخوانه يَومَ القِيَامَةِ»(٢).

وَعَنْ بَكْرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ المزنِي، قَالَ: إذا صحبتَ الرجل فانقطَعَ شِسْعُهُ فَلَمْ تَقُمْ عليهِ، فلستَ لَهُ بِصَاحِبٍ.

وَعَنْ مَالك بن دِينارٍ أنَّهُ قَالَ، للمغيرة بن حبيبٍ وَكَانَ ختنهُ(٣): انظر يَا مغيرة كُلَّ أخٍ، وَصَاحِبٍ وَجَلِيْس لَمْ تستفد مِنْهُ فِي دينك خيراً، فَانبذ عنك صحبته.

قَالَ أبو سَعْدٍ سمعتُ أبَا عبد اللَّهِ الرَازِي الصُوْفِي يقولُ: خرجتُ مِنْ طرسوسَ حَافياً، وَكَانَ لِي رفيق، فدخلنا بعض قرى الشامِ، فَجَاءنِي رَجلٌ بحذاء فقال: احتذِه فَأنْتَ حَافِي، فَامتنَعتُ، فقالَ لِي رَفِيقي: البس هَذَا فقد عميت، فقلتُ: مَا لك، فقالَ: نزعت نَعلي موافقة لك وَرِعَاية لحق الصحبةِ، قَالَ: فأخذتهُ لأجلِهِ وَلبسته.

وَحُكِي أن إبراهيم بن أدْهَمَ كَانَ فِي سفرٍ معه ثلاثة نَفرٍ، فبلغُوا مسجداً فِي بعضِ المفاوزِ وَكَانَتْ ليلة بَارِدَةً، وَلَمْ يَكن للمسجدِ بَابٌ، فلما كَانَ وقتُ النومِ نَامُوا، وَقَامَ إبراهيم فوقف على البابِ إلى وَقْتِ الصَبَاحِ، فقيل لَهُ: لِمَ لم تَنَمْ؟ فقالَ: خشيت أن يصيبكُمْ البردُ فقمتُ مقامَ البابِ.

وَعَنْ مَالك بن دِينارٍ، قَالَ: أوحى الله تَعَالى إلى مُوْسَى بنِ عمران عليهِ السلام: «أن

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن عن عثمان بن طلحة الحجبي، وكذا البيهقي عن عمر موقوفاً. ورمز السيوطي لضعفه. (الجامع الصغير ١/ ٤٧٣ الحديث رقم ٣٤٩٠).

(٢) لم أجده.

(٣) الخَتَنُ: (محركة: الصِّهر أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ) القاموس (مادة خ ت ن).

اتخذ نعلين مِنْ حَدِيدٍ، وَعَصاً مِنْ حديدٍ، ثم سُحْ في الأرضِ، فاطلُب الآثار والعبر، حتى ينخرق النَعْلاَنِ، وَتنكَسِرَ العصا».

واسْتَأذَنَ الكَتَانِي أمَّهُ فِي الحجِ، فَأذِنَتْ لَهُ، فخرجَ فِي بَادِيَةِ تبُوك، فلما توسَطَ البادِيَةَ بال فَأصابَهُ مِنْ بولِهِ وترشش عليهِ، فانصرف، وقالَ: هذه عقوبَةُ كَرَاهيتهَا، فلما انتهى إلى بَابِ الدارِ وَجَدَ أمَهُ وَرَاء البَابِ، فقالَ: لِمَ فعلت ذَلِكَ، قَالَتْ: لما انفصَلْت عزمتُ أنْ لاَ أدخل البَابَ مَا لَمْ تنصرفْ إليَّ.

وَكَانَ شَاهُ الكرْمَانِي يقومُ بِخِدْمَةِ أصحَابِهِ، وَكَانَ يقولُ: نظرتُ فِي عَمَلِي ولَمْ أجد فيهِ شَيئاً أرْجَى عندي مِنْ خدمةِ امرىءٍ مُسْلم.

وَكَانَ أبو ترابٍ يقول: لاَ أعْلم شيئاً أضَرَّ بالمُرِيْدِينَ مِنْ أسْفَارِهِمْ على متابعة قُلُوبِهِمْ وأنفسهم، وَمَا فسدَ من فَسَدَ مِنَ المريدينَ إلا بالأسفارِ الباطلةِ.

وَقَالَ أبو حَاتم العطارُ[1] لأبي ترابٍ: يَا أبا ترابٍ، إلى كَمْ تسيح مَا جَازَتْ سِيَاحَتُكَ أقطارَ الأرضِ.

وَمِنْ آدَابِهِمْ فِي السَّفَرِ: مَا حكي عَنْ أبي عَبْدِ اللَّهِ بن الجَلاَءِ قَالَ: دَخَلَ أبُو ترابٍ مَكَةَ فرأيته طيبَ النفسِ، فقلتُ لَهُ: أين أكلتَ أيها الشيخُ، وَكَانَ يُخَاطَبُ بالأستاذِ، قَالَ: جئت بفُضُولك، أكلتُ أكلةً بالبصرَةِ، وأكلة بالنباج[2]، وَأكْلَة هَاهُنَا.

وَقَالَ إبراهيمُ القصار[3]: سَافَرْتُ ثلاثين سنة أصلحُ قلوبَ الناسِ للفقراءِ.

أنشدتُ:

إِذَا أنْــتَ صَــاحَــبْــتَ الــرجــالَ فَــكُــن ... فَــتــىً كــأنــك مــمــلــوك لــكــل رَفــيــق
وكــن مــثــل طــعــم الــمــاءِ عــذبــاً وَبَــارِ ... داً عــلَــى كــبــدٍ حَــرَّىٰ لــكــلِ صَــدِيــق

وَعَنْ أبِي الحسين المصري، قَالَ: اتفقتُ مَعَ السحري فِي السفرِ من طرابلس، فسرنَا أياماً لم نأكُل شيئاً، فرأيتُ قرعَةً مَطروحَةً فأخذتها لأكلهَا، فالتفت إليَّ الشيخ ولم يقل شيئاً، فعلمت أنه كَرِهَ ذَلِكَ، فرميت بِهِ ثم فتح عليه خمسة دَنَانير، فقلتُ: هُو يَشْتَرِي لنَا شيئاً، فلم

---

(١) أبو حاتم العطار البصري، سمع ابن سيرين، وروى عنه وكيع (الأنساب ٣٩٣).

(٢) نِبَاج: بكسر النون وفتح الباء آخرها جيم: قرية من بادية البصرة على نصف الطريق من مكة.

(٣) إبراهيم بن داود الرقي القصار، أبو إسحاق من جلّة مشايخ الشام من أقران الجنيد وابن الجلاء، وصحبه أكثر مشايخ الشام، وكان لازماً للفقر، مجرّداً فيه، محباً لأهله توفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة من الهجرة. (طبقات السلمي ٣١٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤، طبقات الشعراني ١/ ١١٩).

يشتر ودخلنا قُرىً جماعة وأنا آمل أن ينفقها علينا، حتى فتح عليه فلم يفعل، ونحن نمشي جياعاً، ثم قال: لعلك تقول لم لا يشتري لنا شيئاً، إن في اليهودية، وهي قرية على الطريق رَجُلاً صَالِحَاً ذَا عِيَالٍ، وَهُوَ إذا دَخلنا يشتغل بنا، فإذا دخلنا أعطينَاهُ لينفقه على فاقتنا وفاقة عياله، فلما دَخلنا القرية دَفع الدنانير إليه فأنفقها علينا وعلى عِيَالِهِ، فلمَا خرجنا قَالَ لِي: إلى أين يا أبا الحسنِ؟ قلتُ: أسير معك، قَالَ: لا تسر تخونني في قرع وتسير معي؟! لا والله، فلم يَدَعني أصحبُهُ.

قال أبُو سعدٍ ضاهر بن محمد، قال: أنشدني أبو بكر الإسْمَاعيلي لنفسهِ فِي أدَابِ الصحبةِ:

وإذا جلست وَكَانَ مثلك قائماً ... فمن المروءة أن تقوم وإن أبا

وإذا ركبت وَكَانَ مثلك ماشياً ... فمن المُروءة أن مشيت كَمَا مَشَا

وَإِذَا اتَّكَيْتَ وَكَانَ مثلك جَالِسَاً ... فَمِن المروءةِ أن تُنَحَّ المُتَّكا

وَأتى دَاوُدَ الطائي[1] رجلٌ من أصحابه، فقال: يَا أبا سليمان منذ كم تنازعني نفسِي إلى لقائك، فقال لَهُ دَاود: لا بَأسَ إذا كَانَتْ الأبدانُ هادِئةً، والقلوبُ سَاكِنَةً، فالتلاقِي أيْسَرُهُ.

وَقَال الأحنف بن قيس: خير الإخوان مَنْ إذا استغنيت لم يزدك في المودةِ، وإن احتجت لم ينقصك مما عهدته، وإن عجزت عضدك، وإن احتجت إلى معونته رفدك، وإن استغنيت عنه وصلك.

أنشدت:

وَإِذَا صَاحَبْتَ فَاصْحَبْ مَاجِداً ... ذَا حياءٍ وعفافٍ وَكَرَمْ

قولُهُ للشيء: لا، إن قلتَ: لا، ... وإذَا قلت: نعم قال: نَعَمْ

وَقال يحيى بن معاذٍ: بئس الصديقُ صَدِيقٌ تحتاجَ أن تقولَ لَهُ اذكرنِي فِي دُعَائك وبئس الصديق صديق تَحتاج أن تعيش معه بالمُدَارَاةِ، وبئس الصديق صديق يلجئُك إلى الاعتذار فِي زلةٍ كَانَتْ مِنْكَ.

---

(١) داود بن نصير، أبو سليمان الطائي، العالم الرباني، أحد الأعلام، الكوفي الزاهد، شغل نفسه بالعلم والفقه، وغيره من العلوم وكان يختلف إلى أبي حنيفة، ثم تزهّد، وأغرق كتبه في الفرات. مات سنة خمس وستين ومائة من الهجرة. (تاريخ بغداد ١١/٢٢١).

وَقَال أيضاً: كيف تعاشِرُ أقواماً يُعَاشِرُونك بأخلاقِ أهلِ النار، وأنت تحتاج أنْ تعاشرهم بأخلاق أهْلِ الجنةِ، فلا تثق بمودَةِ مَنْ لا يحبك إلا معصوماً.

وَعَنْ أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «المرء على دِين خليلهِ فلينظُرْ أحدكم من يخالِل»[١].

وَعَنْ عبدِ الرحمن بن علي، عَنْ أبيهِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَطوفُ بالبيتِ وَيقولُ: اللهم أصلح إخواني، فقيلَ لَهُ: ادعُ لِنَفْسِكَ، فقالَ: إني لي إخواناً أرجع إليهم، فإن صلحُوا صلحت، وإن فَسدُوا فَسدتُ.

وَقيل لابن يزدانيار: أريد أن أصحبَ فلاناً، قالَ: كيف هُوَ؟ قَالَ: دَينٌ، قَالَ: كيف عقلهُ؟ لأن دينه لَهُ وَعقله لك.

وَقَالَ أبو جعفرِ الحدَّادُ: كَانَ أستاذِي أبو عَمْرَوٍ إذَا صحبَهُ مريد فرآهُ عَابِسَ الوجهِ طَرَدَهُ، وقَالَ: أنتَ لاَ تفلح.

وَعَنْ أبي العباسِ بن عَطَاء، أن رَجُلاً قَالَ: تدعُوني نفسي إلى هجرة الناسِ، فقالَ لَهُ: فَمَنْ تواصل إذا هجرتَ المؤمنينَ، فقال: كَيف أصنع؟ قَالَ: أجعل لَهُمْ ظَاهِرَكَ، ولِلَّهِ عَزَ وَجَل بَاطِنك.

وَقَالَ لقمان لابنهِ: «يَا بُنَي اجعل للإخوان دَمك.وَمَالك، وَلِمَعَارِفِك معونتك وَرفدك، وللعَامَةِ محبتك وبِشرك.

وَعَنِ القاسم بن محمدٍ أنَّهُ قَال: قد جعل الله عزَ وجل فِي الصديق البارِ عوضاً من الرحمِ المدِبرَةِ.

وَقَالَ رَجُل لسهل بن عبد اللَّهِ إني أريد أن أصحبك، فقال سَهْلٌ: إذَا مَاتَ أحَدُنا فَمَنْ يصحب الآخر؟ فليصحبه الآنَ.

وَقَال سَهل بنُ عبد اللَّهِ: اجتنب صحبة ثلاثة أصنافٍ مِن الناسِ: الجبابرة الغافلين، وَالقراء المداهنين، والمتصوفَةَ الجَاهلينَ.

وَعَنْ سهل بن عبد اللَّهِ أيضاً أنَّهُ قَالَ لبعض أصحابِهِ يوماً: إن كنت ممن تخافُ السِبَاعَ فلا تصحبني.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، والبيهقي والقضاعي عن أبي هريرة رفعه، وتساهل ابن الجوزي فأورده في الموضوعات، ومن ثم خطأه الزركشي وتبعه في الدرر. وقال الحافظ في اللآلىء: والقول ما قال الترمذي، يعني أن الحديث حسن (كشف الخفاء ٢/ ٢٠١ الحديث رقم ٢٢٨١).

وَقِيل لِذِي النون المصري من أصحَبُ من الناسِ؟ قَالَ: مِن إذَا مرضتَ عادك، وإذَا أذنبت تابَ عنك.

وَقَال يُوسفُ بن الحسين: قلتُ لذِي النُونِ: مَنْ أصحبُ؟ قَالَ: مَنْ لا تكتمه شيئاً يعلمه الله تَعَالى منك.

وَقَالَ ذُو النُونِ: لاَ تصحب مَعَ الله تعالى إلا بالموافَقَةْ، وَلاَ مَعَ الخلقِ إلا بالمناصَحَةْ، وَلاَ مَعَ النفسِ إلا بالمخالفةْ، وَلاَ مَعَ الشيطان إلا بالعَدَاوَةْ.

وَقَال أبُو سعيدِ الخرَازُ: صحبتُ الصُوفية خمسين سنة مَا وَقع بيني وبينَهُمْ خِلاَفٌ، فَقيل لَهُ: وَكيف ذلك؟ قَالَ: لأني كنت معهم على نفسي.

وَكَانَ إبراهيم بن أدْهَم إذَا صَاحَبَهُ إنْسَانٌ شَارَطَهُ عَلَى ثلاثةِ أشْيَاءَ؛ أنْ تَكونَ الخدمَةُ منه، والأذَانُ لَهُ، وأنْ تكُون يَدُهُ فِي جميع ما يفتح الله عز وجل عليهم كأيديهِمْ. فقالَ رَجل مِنْ أصحابِهِ: أنا لاَ أقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فقالَ: أعجبني صِدْقُك.

وَقَالَ الجنيدُ: لأن يصحبني رَجُلٌ فَاسِقٌ حسن الخلق، أحَبُ إليّ مِنْ أن يصحبني رَجل قارِئٌ سِيَىء الخلقِ.

وَقَالَ إبْرَاهيمُ الخواص: اثنتا عشرةَ خصلةً مِنْ خِصَالِ الفقراءِ فِي سفرهم وحضرهِمْ؛ أوّلها: أن يكُونُوا بِمَا وَعَدَهُمْ الله تَعَالى مُطمئنين. وَالثانية: أن يَكُونُوا مِنَ الخلق آيسين. والثالِثَةُ: أن ينصبوا العَداوةَ مَعَ الشيطانِ. والرابعَةُ: أنْ يَكُونُوا لأمرِ اللّهِ تَعَالى متبعين. والخَامِسَةُ: أن يكُونُوا على جميعِ الخلقِ مشفقِيْنَ. والسَّادِسَةُ: أن يَكُونُوا لأذى الناسِ محتملينَ. والسّابعة: أن لا يدُعوا النصيحة لجميع المسلمِينَ. والثامنة: أن يَكُونُوا فِي مَوَاضِع الحق متواضِعِينَ. والتاسعة: أن يكُونُوا بخدمَةِ اللّهِ عَز وَجل ـ مشتغلين. والعَاشِرةُ: أن يكونوا الدهْرَ على الطّهَارةِ. والحَادِيَة عشر: أن يَكون الفقر رأس مَالهِمْ، والثانية عشرَ: أن يَكُونوا رَاضين عَنِ الله ـ عز وجل ـ فيما قلَ وَكَثُرَ، فيما أحبوا أوْ كَرِهُوا، شَاكِرينَ لَهُ واثقين بِهِ.

وَقَالَ الجنيد: إذَا لقيت الفقير فَالقَهْ بِبشرٍ، ولا تَلقهُ بعلم، فإن البشر يُؤنسه، وَالعلم يُوحشهُ.

وَقَالَ أيضاً: إذَا لقيت الفقير فالقَهْ بالرفق وَلاَ تَلْقهُ بِالعِلْمِ، فإن الرفق يُؤنسهُ، وَالعلم يوحشهُ.

وَقَالَ يعقوب السُوسِيُ: يحتاجُ المسافر فِي سفرِهِ إلى أربَعَةِ أشْيَاءِ؛ ذِكْرٌ يُونسهُ، وورع يحجزهُ، وَوَجْدٌ يحمله، وَخُلُقٌ يَصُونُهُ.

وَعَنْ أبِي عَبْدِ اللَّهِ النصيبي أَنَّهُ قَالَ: سَافرتُ ثلاثين سنة مَا خطتُ فيها خرقة على مرقعتي، وَلاَ عدلتُ إلى موضعٍ علمت أن لِي فيه رِفقاً، ولا تركتُ أحداً يحمل معي شيئاً.

وَسُئِلَ رُويمٌ عَنْ أدَبِ المُسَافِرِ فِي سفرهِ، فقال: لا يجاوِز همه قدمهُ، وحيث مَا وقفَ قلبه يَكون منزله.

وَجَاءَ رَجُلٌ إلى أبي علي الرُوذبارِي وَكَانَ عزمُهُ أنْ يُسَافِر، فقال: تقول شيئاً يا أبا علي، فقالَ: يا فتى، كَانُوا لا يجتمعون على موعد، ولا يتفرقون عن مشورةٍ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ السَّخَاءِ وَالمُوَاسَاةِ وَبَذْلِ المَعْرُوفِ

قَالَ أَبُو سعدٍ: ليسَ يختص بتكْلِيفِ السَّخَاءِ هذهِ الطبقة، إنما هُوَ عامٌ لِكُلِ مُكلفٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، ولَكِنَّهُمْ لَمَا كَانَتْ أصُولهُمْ جَمِيْعَاً مبنية على السَّخَاءِ، أحببت أن لاَ يخلو هذا الكِتَاب المصنف فِي ذِكْرِ أحوالِهِمْ عَنْ هَذَا البابِ على الاستقصاءِ، فيكون أجمع لأخلاقِهِمْ وَأوصافِهِمْ، واستقصينا فيهِ لأنَّهُ أصل مذهبهم، وَأخَصُ أخلاقهِمْ، وَالله المُوفِقُ وَهُوَ وَلِي التوفيق لما يُحبُ وَيَرْضَى.

أَخْبَرَنَا أبُو علي الحسين بنُ عُمَرَ بنِ الحسنِ بنِ إسحق الفقيه الغَافقيُ الاسْكَنْدَرَانِيُ بالاسْكَنَدَرِيَةِ، قَالَ: حَدَّثنا أبُو بكرٍ محمد بن محمد بن عُمر البغدادي، قَالَ: أملى علينا أحمد بن محمد بن عبد الله التمارُ المقرىء، قَالَ: حدثنا أبو تمامٍ، قَالَ: حدثنا سعيد بن سلمَةَ، عَنْ جعفر بن محمَدٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جدهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إن السخاء شجرة من شجر الجنةِ، أغصانها متدلية إلى الأرضِ، من أخذ منها غصناً قادَهُ ذَلِكَ الغصن إلى الجنَةِ»[(١)].

وَعَنْ جَابرِ بنِ عبد الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «قَالَ جبريل عليهِ السلام: قال الله عزَّ وَجَل: إن هَذَا الدِّينَ أرْتَضِيه لِنَفْسِي ولَنْ يصلح له إلا السخَاء وَحسن الخُلقِ، فَأكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا استطعتم». وَفِي بعضِ الرِوَايَاتِ «فَأكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا صَحَبْتُمُوهُ»[(٢)].

وَعَنْ عَائشة رَضِيَ الله عَنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَبَلَ الله لَهُ وَلياً إلا على السخاءِ وَحسن الخلقِ»[(٣)].

---

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه ابن حبان في الضعفاء، من حديث عائشة، وابن عدي، والدارقطني في المستجاد من حديث أبي هريرة، وأبو نعيم من حديث جابر. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٠٢٦).

(٢) قال في المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية: حديث صحيح تفرد بروايته سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل. (المقاصد السنية ـ المقدسي ١٩٨).

(٣) حديث: (ما جبل الله تعالى أولياءه إلاّ على السخاء وحسن الخلق) رواه ابن عساكر في التاريخ من رواية عروة مرسلاً، ورواه أيضاً الديلمي عنه عن عائشة بدون قوله (وحسن الخلق) وعن الحكيم الترمذي: (ما جبل الله تعالى ولياً قط إلاّ على السخاء ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل). وسند الديلمي ضعيف، وهو عند الدارقطني في المستجاد. وأبي الشيخ وابن عدي بدونه (وحسن الخلق). (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٢٨).

وَعَنْ جَابر بن عبد اللَّهِ قَالَ: قيل: يَا رَسول اللَّهِ أي الأعمالِ أفضل؟ قَالَ: «السخَاء، والكرمُ، وَحسن الخلق» فقيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ أيُ الإيمانِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الصبر والسمَاحَةُ»[1].

وَعَنْ عبدِ اللَّهِ بن عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خلقانِ يُحِبُهُمَا الله عَزَ وَجَل، وخُلقَان يبغضهما الله عز وجل فأمَّا اللذان يُحبهُمَا الله عز وَجل، فَحُسْنُ الخلقِ والسَخَاء، وَأمّا اللذَانِ يبغضهُمَا الله عَزَ وَجل، فسُوءُ الخلقِ والبُخْلِ، وَإذَا أرَادَ الله تعالى بعبدٍ خيراً استعمله عَلَىٰ قَضَاءِ حَوَائِجِ الناسِ»[2].

وَعَنْ المقدام بن شريحٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جدهِ، قَالَ: قلتُ: يَا رَسُولَ الله دُلني على عمل يدخلني الجنة، قَالَ: «إن من موجباتِ المغفرةِ بذلُ الطَعَامِ، وَافشاء السلام، وحسن الكَلاَمِ»[3].

وَعَنْ أبي الدَرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنما سمي المسلم مسلماً للمُوَاسَاةِ»[4].

وَعَنْ أبِي هريرة، قالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «السخاء شجرة فِي الجنةِ، فمن كَانَ سخياً أخذ بغصن منها فلم يتركْهُ ذلك الغصن حتى يدخله الجنة، والشح شجرة فِي النارِ، فمن كَانَ شحيحاً أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركهُ الغصن حتى يدخله النارَ»[5].

وَعَنْ أبي سعيدِ الخُدري، عَن النَّبي ﷺ قَالَ: «يقولُ الله عز وجل: اطلبُوا الفضل مِنَ

---

(١) قال العراقي رواه أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ (سئل عن الإيمان) وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعّفه الجمهور، وورواه أحمد من حديث عمرو بن عنبسة بلفظ (ما الإيمان) فقال الصبر والسماحة. ورواه البيهقي في الزهد بلفظ: أي الأعمال أفضل قال: الصبر والسماحة وحسن الخلق. وإسناده صحيح (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٢٩).

(٢) رواه الديلمي، والأصبهاني موقوفاً على عبد الله بن عمرو، وروى الديلمي أيضاً من حديث أنس: إذا أراد الله بعبد خيراً صيّر حوائج الناس إليه. وروى البيهقي جميع الحديث مرفوعاً من حديث ابن عمرو (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٣٠).

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام، وبلفظ الطبراني رواه أيضاً الخرائطي في مكارم الأخلاق. وروى البيهقي من حديث جابر (إن من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان) وروى البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير، والحاكم، والبيهقي من حديث هانيء بن يزيد بلفظ: عليك بحسن الكلام وبذل الطعام. وورواه ابن حبان بلفظ: عليك بحسن الكلام وبذل السلام. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٣١).

(٤) لم أجده.

(٥) قال الحافظ العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري ضعيف جداً. وكذلك رواه الخطيب في التاريخ وابن عدي والبيهقي. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٠٣٢).

الرحمَاءِ مِنْ عِبَادِي، تَعِيْشُوا فِي أكْنَافِهِمْ، فإني جعلتُ فيهم رَحمتي، ولاَ تطلبُوه مِنَ القاسية قلوبُهُمْ فإني جعلت فيهم سخطي»[1].

وَعَنْ ابنِ عباسٍ رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسول الله ﷺ: «تجافُوا عَنْ ذنبِ السخي، فإن الله تَعَالَى آخذ بيدِهِ كُلَّمَا عثرَ»[2].

وَعَنْ ابن مسعودٍ قالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «أبوابُ الجنةِ مفتوحَةٌ على الفقراءِ، والرحمَةُ نَازِلَةٌ على الرحمَاءِ، وَالله تَعَالى رَاضٍ عَنِ الأسخِيَاءِ»[3].

وَعَنْ ابن مسعود قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «الرزقُ إلى مطعم الطعَامِ أسرع مِنَ السِكين إلى ذَرْوَةِ البعيرِ، وإن الله تَعَالَى ليُبَاهِيْ بمطعم الطعَامِ الملائكَةَ»[4].

وَعَنْ كُريز بن سَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إنَ الله جَوَادٌ يحُبُ الجوادَ، ويحبُ معالي الأخلاقِ، ويَكْرَهُ سفسَافهَا»[5].

وَعَنْ أنسِ بنِ مَالكٍ «أنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ لم يسأل على الإسلامِ شيئاً إلا أعْطَاهُ فأتاهُ رَجل فسألَهُ فأمرَ لَهُ بِشَاءٍ كثير بين جبلين مِن شاء الصدقةِ، فرجع إلى قومهِ فقال: يَا قوم أسلموا فإن محمداً يعطِي عَطاء مَنْ لا يخشى الفاقة والفقر»[6].

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء، والخرائطي قي مكارم الأخلاق، والطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي ضعيف، ورواه العقيلي في الضعفاء. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٠٣٣).

(٢) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وقال الخرائطي: أقيلوا السخي زلته، وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه، وزاد الطبراني فيه، وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدارقطني (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٣٤).

(٣) لم أجده.

(٤) قال الحافظ العراقي: لم أجده من حديث ابن مسعود، ورواه ابن ماجة من حديث أنس، ومن حديث ابن عباس بلفظ: الخير أسرع إلى البيت الذي يُغشَى، وفي حديث ابن عباس (يؤكل فيه) من الشفرة إلى سنام البعير، ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر: الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء... الحديث، فكلها ضعيفة. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٣٥).

(٥) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز، وهذا مرسل. وللطبراني في الكبير والأوسط، والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد: إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور. وفي الكبير والبيهقي: معالي الأخلاق، الحديث وإسناده صحيح. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٣٦).

(٦) رواه مسلم.

وَعَنْ ابن عمر: قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «إن لِلَّهِ ـ عز وَجَل ـ عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العبادِ، فمن بخل بتلك المنافِعِ عَنِ العبادِ نقلها الله تَعَالى عَنْهُ، وَحوَّلهَا إلى غَيرهِ»(١).

وَعَنْ الهذلي قَالَ: أُتِيَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بِأَسَارَى مِنْ بني العنبر فأمر بقتلهم، وَأفردَ منهم رَجُلاً، فقال علي بن أبي طَالِب عليهِ السلام يَا رَسُوْلَ اللَّهِ، الربُ واحد، وَالدين واحدٌ، والذنب واحد، فَمَا بَالُ هَذَا مِنْ بينهمْ؟ فقالَ النبي ﷺ «نزلَ عليّ جبريلُ عليهِ السَّلاَمُ فقال: اقتل هَؤلاءِ وَاترك هَذَا، فإن الله تَعَالى شكَرَ لَهُ سَخَاء فيهِ، وَأمرَني أن لا أذيقَهُ حرارة الحديد فقال الأسير: لِمَ لم ألحق بأصحابي؟ فقال: «إن الله تعالى شكر سخاء فيك»(٢)، فأسلم وحسن إسلامه ببركة سخاوته وسابق العناية.

وعن رافع، عن ابن عمر قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «طَعَامَ الجوادِ دَوَاء وَطَعَام البخيل دَاء»(٣).

وَعَنْ النَّبي ﷺ قَالَ: «مَنْ عظمت نعمة الله عز وجل عنده عظمت مؤنَةُ الناسِ عليهِ، فمن لَمْ يحتمل تلك المؤنة عرَّضَ تلك النعمَةِ لِلْزَوَالِ»(٤).

وَقَالَ عيسَى ابن مريم عليه السلام: «استكثرُوا مِن شيء لا تأكلهُ النارُ» قيل: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «المعروفُ».

---

(١) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم، وفيه محمد بن حسان السمتي، فيه لين ووثقه ابن معين، يرويه عن أبي عثمان عبد الله بن زيد الحمصي. ضعفه الأزدي، انتهى. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٣٧).

(٢) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، والهلالي لا يعرف اسمه، وقال السبكي ٣٤٧/٦: لم أجد له إسناداً (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٣٨).

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك، وأبو علي الصدفي في عواليه وقال: رجاله ثقات أئمة. قال ابن القطان: وإنهم لمشاهير ثقات إلاّ مقدام بن داود فإن أهل مصر تكلموا فيه. انتهى. (تخريج أحاديث الإحياء. الحديث ٣٠٤٠).

(٤) قال الحافظ العراقي: رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ: ما عظمت نعمة الله على عبد إلا . . . فذكره، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بإسناد منقطع.

فائدة: في الحديث أن النعمة إذا لم تشكر زالت، ولذلك قال حكيم: النعم وحشية قيدوها بالشكر، ومن ثم قال الفضيل بن عياض: أما علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من نعم الله عليكم فاحذورا أن تملوا وتضجروا من حوائج الناس فتصير النعم نقماً. أخرجه أبو نعيم في الحلية. وقال محمد بن الحنفية: أيها الناس اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتتحول نقماً، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخراً، وأورث شكراً وأوجب أجراً، ولو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، أخرجه البيهقي.

وَقَال علي بن أبي طالبٍ عليهِ السلام: «حسب البخيل سُوء ظنهِ بربهِ عز وجل، وَمَنْ أيقنَ بالخلف جَادَ العطيةِ».

وَقَالَتْ ابنة عبد الله بن مُطيع لزوجها طلحَةَ بنِ عبيد الله بن عوف الزُهري ـ وَكَانَ أجود قريشٍ يُعرفُ فِي زَمَانِهِ، مَا رَأيتُ أقواماً ألأم مِنْ إخوانِك؟ قَالَ لَهَا: «مه ولم قلتِ ذلك؟ قالت: أراهُمْ إذا أيسرتَ لَزِمُوك، وَإذَا أعسرتَ تركوك، قَالَ: هَذَا واللهِ مِنْ كرَمهم يَأتونا فِي حَالِ القوةِ منا عليهم، ويتركوننا في حالة الضعف عنهم.

وَكَانَ جرير بن يزيد بن خالد جواداً، فكَتَبَ إليهِ رَوحُ بنُ حَاتم يُعَاتِبُهُ، وَأشَارَ عَلَيْهِ بالإمساك، وخوفهُ العواقبَ، فأجابَهُ: أنا أكرَه ترك حقٍ قَدْ وَجَبَ خوفاً مِمَّا لعله لا يقع.

وَعَن علي بن أبي طالبٍ أنه قالَ: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها، فإنها لا تفنى، وإذَا أدبرَتْ عنك فأنفق مِنْهَا فإنها لا تبقى.

وأنشد:

لا تبخلن بدنيا وَهي مقبلة ... فليس ينقصُهَا التبذيرُ والسَّرَفُ
فإن تَولَتْ فأحرى أن تجودِ بِهَا ... فالحمدُ منها إذَا مَا أدْبرتْ خَلَفُ

وَعَنْ محمد بن المنكدِرِ عن أم درة ـ وَكَانَتْ تخدمُ عَائشة رَضِي الله عنها ـ قَالَتْ: إن ابن الزبير بعث إليها بمَالٍ فِي غَرارتين ثمانين ومائة ألف دِرهم، فدعتْ بطبقٍ فجعَلَتْ تقسمهُ بين الناسِ، فلما أمست قالت: «يَا جارِيَةُ هَلُمِي فطُوري» فجاءتها بخبزٍ وزيتٍ، فقالتْ لها أم دُرة: ما استطعتِ فيما اقسمتي اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالَتْ عَائشة رَضِي الله عنها: «لا تعنفيني، لو كنت ذَكَّرتِيني لفعَلتُ».

وَقَالَتْ أمْ البنين أخْتُ عُمر بن عبد العزيزِ: أف للبخيل، لو كان البخل قميصاً ما لبستهُ، وَلَوْ كَانَ طريقاً مَا سلكْتُهُ.

وَعَنْ أبان بن عثمان رَضِي الله عنهما قَالَ: أرَاد رَجُلٌ أنْ يُضَارَّ عبد اللَّهِ بن عَبّاسٍ بنِ عبدِ المطَّلبِ رَضِيَ الله عَنْهُ فأتى وُجُوهَ قريش، فقالَ: يقُولُ لكم عبد الله تغدَّوا عندي اليومَ، فَأتوهُ حتى مَلؤُا عليهِ الدارَ، فقالَ مَا هَذَا؟ فَأخبرَ بالخبرِ، فَأمَرَ عبدِ اللَّهِ بشراء الْفَوَاكِهَ، وَأمَر قوماً فطبَخُوا وَخبزُوا، وَقدّمَتْ الفَاكِهَةُ إليهِمْ، فلم يفرغُوا مِنْ أكلِ الفاكِهَةِ حتى وُضعت الموائد فَأكَلُوا حتى صَدِرُوا. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لوكلائه: أمَوْجُودٌ كُلّمَا أردتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَال: فليتغد عندنا هؤلاءِ كل يَومٍ.

وَقَالَ مصعبُ بن الزُبير: حَجّ معاوية بن أبي سفيان، فلما انصرفَ مَرّ بالمدينَةِ، فَقَالَ الحسين بنُ علي لأخيهِ الحسن عليهِمَا السَّلاَمُ: لاَ تلقَاهُ وَلاَ تسلم عليهِ، فلما خرجَ معاوية قَالَ الحسن: إن علينا دَيناً وَلاَ بُد مِنْ إتيانِهِ، فركِبَ فِي أثرهِ فلحقه فسلم عليهِ وَأخبرهُ بدينِهِ فَمَرُوا ببختى عليه ثمانُونَ ألفَ دينارٍ وَقَدْ أعْيَاه تخلف عن الإبل، وقوم يسوْقونَهُ، فقال معاوية: مَا هَذَا؟ فقيل: إنه قد أعْيَا وعليهِ ثمانون ألفَ دِينارٍ، فقال معاوية: اصرفوه بِمَا عليهِ إلى أبي محمَدٍ.

وَعَنْ واقد بن محمد الواقدي قَالَ: حدثنا أبي أنَّهُ دَفع إلى المأمون رُقعة يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليهِ، فوقّع المأمون على ظهر رُقعته فإنك رَجل اجتمع فيك خصلتانِ؛ سَخَاء وَحَيَاءٌ، فأما السَخَاء فَهُو أطلق مَا فِي يديك، وَأمَا الحَيَاءُ: فهو الذي يَمنَعُك مِنْ تبليغنا مَا أنت عليهِ وَقَدْ أمرنَا لك بمائة ألفِ دِرْهَمٍ، فإنْ كنت قد أصبتُ فازددْ فِي بسطِ يدك، وَإنْ لم أكن أصبتُ فجنايتك على نفسك، وَأنتَ حَدثتني وكنت على قَضَاء الرشيد عَنْ محمد بن إسحق، عَن الزُهْري، عَنْ أنس بن مَالك، أن النَّبيّ ﷺ قَالَ للزبير بن العوام «يَا زُبَير، اعلم أنَّ مفاتيح أرزاق العبادِ بإزاءِ العرش، يبعث الله - عز وجَل - إلى كُل عبدٍ بقدرِ نفقته فمن كثَّر كُثِّر لَهُ، وَمَنْ قلل قلل لَهُ»[1]، وَأنت أعلم. قَالَ الواقِدِيُ: فوالله لمذاكرة المأمون إياي الحديث أحَبُ إليّ مِنَ الجائزة وَهِي مائة ألفِ.

وَسَأل معاوية الحسن بن علي عن المروءةِ والنجدة والكرمِ، فقال: أما المرُوءة: فحفظ الرجل دِينه، وحرزهُ نفسَهُ، وَحسن قيامِهِ بصنيعهِ، وحسن المنازعة، والإقدَامُ فِي الكَرَاهيةِ.

وأمَا النجدة: فالذبُ عَنِ الجار، والصبر فِي المواطنِ، وَأما الكَرَمُ: فَالتبرُعُ بِالمعروفِ، والإعطاء قبل السؤالِ، والإطعامُ فِي المحلِ، وَالرأفَةُ بالسَّائِل مَعَ بذلِ النائل.

قَالَ بعض الشعراء:

مَنْ يُرد أن ينالَ حمداً وشكراً ... يتجرع مَؤونَةُ الإخْوَانِ

إنما تدرك الصنائع والحَمْـ ... ـدُ ببذلِ الندى وصِدق اللسانِ

---

(١) قال العراقي: حديث أنس مذكور رواه الدارقطني في المستجاد في إسناده الواقدي عن محمد بن إسحاق عن الزهري بالعنعنة ولا يصح - يشير إلى أن محمد بن إسحاق يدلس - وفي الحديث أن من وسع على عياله ونحوهم ممن عليه مؤونتهم وجوباً أو ندباً أدر الله عليه من الأرزاق بقدر ذلك أو أزيد، ومن قَتَّر قُتِرَّ عليه، وشاهده الخبر: إن الله ينزل المعونة على قدر المؤونة.

وَرَفَعَ رَجل إلى الحسنِ بن علي رُقعةً فقال: حَاجتك مقضِية فقيل لَهُ: يَا ابن رَسولِ الله، لو نظرت في رُقعته ثم رَددت الجوابَ على قدرِ ذلك، فقالَ: يسألني الله ـ عز وجل ـ عن ذلِ مقامهِ بين يدي حتى أقرأ رقعتَهُ.

وَسُئِل بعضهم عَنْ الجودِ فقال: الجودُ: عَطَاء بِلاَ مَنٍ، وإسعافٌ على غير رؤية الجَزَاءِ وَالمكافأةَ.

وَقيل: الجود عَطَاء مِنْ غير مسألةٍ عَلى رُؤيةِ التقليل.

وَقِيل: الجودُ السرور بِالسَائلِ، والفرحُ بالإلحاحِ، وَالعَطَاءُ بِمَا أمْكَنَ.

وَقيل: الجودُ عَطَاء على رُؤيةِ أن المالَ لله ـ عَز وَجَل ـ والعَبدُ لله ـ عَزَ وَجَل ـ فيعطي عبدُ الله تَعَالى مالَ اللّهِ على غير رُؤية الفقيرِ.

وَقَالَ ابنُ السماكِ عجبتُ لِمَنْ يشتري الممَاليك بِمَالِهِ، وَلاَ يشترِي الأحرار بِمَعْرُوفِهِ، لأن الأحرارَ لا تُشْتَرىٰ بَالمَالِ.

وَقَالَ النضر بن شميل شعر:

عُـيُـوبُ الـفَـتَـى مَـدْفُـونَـةٌ فِـي لِـسَـانِـهِ　　وَيـظْـهـر مِـنْ عِـي الـلـسَـانِ مَـقَـابِـحُ
وإن تـمَّ فِـي الإنـسـان كُـلُّ خـصـالِـهِ　　مِـنَ الـخـيـر إلا الـشحَ فـالـشـحُ فـاضِـحُ

وَقَال جعفر الصادقُ: إن لله ـ عز وجل ـ وُجوهاً مِنْ خلقهِ خلقهم لِقَضَاءِ حَوائج عِبَادِهِ، يرونَ الجود مجداً، والأفضال مغنماً، والله يحبُ مَكَارِمَ الأخْلاَقِ.

وَذَكَر بعضُ أسخياء العرب قول لبيد:

قـلـيـل الـمَـالِ تـصـلـحـه فـيـبـقـى　　ولاَ يـبـقـى الـكـثـيـرُ مَـعَ الـفَـسَـادِ

فقال قَاتَلَ الله لِبيداً أفَلاَ كَانَ قائلاً:

فـلاَ الـجـودُ يـفـنـي الـمـال قـبـل فـنـائـه　　وَلاَ الـبـخـل فِـي مَـالِ الـبـخـيـل بـزائـدِ

وَسُئِلَ بعض الأعراب فقيل لَهُ: مَنْ سيدكُمْ؟ قَالَ: مِنَ احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا، وأغضى عَنْ جاهِلَنَا.

وَكَانَ الأشعث بن قيسٍ. يقول لقومِهِ: إنما أنا رَجل مِنْكُمْ لَيْسَ لِي فضل على أحدٍ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أبْسَطُ لَكُمْ وَجهي، وأبذلُ لكَمْ مَالِي، وَأقضي حقوقكُمْ، وأعودُ مريضكم، وأتبع جنائزكُمْ، فمن فعل هذا فهُو مثلي، وَمَنْ زَادَ عَلَيّ فَهُوَ خير مني، وَمَنْ قصر عني فأنا خير مِنْهُ.

وَسأل رَجُل الحسن بن علي حَاجَةً، فقالَ لَهُ: يَا هَذَا حق سُؤالك إياي يعظمُ لَدِي، ومعرفتي بما يَجِبُ لك تكثر عليّ، وَيَدِي تعجزُ عَنْ نيلك بِمَا أنتَ أهلُهُ، والكثير فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قليل، وَمَا فِي مِلْكِي وَفاء لِشكرِكَ، فإنْ قبلت الميسورَ ورفعت عني مَؤونة الاحتِيالِ والاهْتِمَام، لما أتكلفُهُ مِنْ وَاجبك، فعلتُ، فقالَ: يَا ابن رَسُوْلِ اللَّهِ، أقبل وَأشكُرُ العطيةَ، وَأعذِرُ عَلَىٰ المَنْعِ، فَدَعَا الحسنُ بوَكِيلهِ وَجَعل يُحَاسِبُهُ عَلى نفقَاتِهِ حتى استقصَاهَا، فقالَ: هَاتِ الفاضل من الثلثمائة ألف، فأحضر خمسين ألفاً، قَالَ: فَمَا فُعِلَ بالخمسمائة دِينارٍ، قَالَ: هِيَ عِنْدِي، قَالَ: أحضرهَا. فأحضرهَا، فدفع الدرَاهِمَ وَالدنَانِيرَ إلى الرجُلِ، فقالَ: هَاتِ مَنْ يحملها لك، فأتاه بحمالين، فدفع إليهمَا الحسنُ رِدَاءهُ لِكَراء الحملِ، فقال مَوَاليهِ: وَالله مَا عندنا دِرْهَمٌ وَاحِدٌ، قَالَ: لَكِنْي أرْجُو أن يكون لي عند الله أجر عظيم.

واجتمع قراء البصرة إلى عبد الله بن عَباس وَهُوَ عَامِلٌ على البصرة، فقالُوا: لَنَا جَارٌ صوّامٌ قوّامٌ يتمنى كُل وَاحدٍ مِنَا أن يكون مثله، وَقَدْ زوّجَ بنتاً لَهُ مِنْ ابنِ أخِيهِ وَهُو فقير، وَليسَ عنده ما يجهزها بِهِ، فقامَ عبد الله بن عباسٍ فأخَذَ بِأيْدِيهِمْ وَأدخلهم دَاره، ففتح صندوقاً فأخرجَ منه ستة بِدَرٍ، فقال: احملوا، وَحَمل ابن عباسٍ معهم حتى صَارُوا إلى منزلِ الرجل فسلموا المَالَ إليهِ وَرَجَعوا، فقالَ ابنُ عَبّاس: مَا أنصفناهُ، أعطينَاهُ مَا يشغله عَنْ قِيَامِهِ وَصِيَامِهِ، ارْجِعُوا بِنَا نكن أعوانَهُ على تجهيزهَا، فليسَ للدنيا مِنَ القدرِ ما يشغل مُؤمِناً عَنْ عِبَادَةِ رَبِهِ عَزَ وَجَل، وَمَا بِنَا مِنَ التكَبرِ مَا لا نخدُمُ أولياء اللَّهِ تَعَالَى، ففعل وَفَعَلُوا.

وَقَالَ عَلِي بن الحسين: مَنْ وُصِفَ ببذلِ مَالِهِ لطلابِهِ لم يكن سخياً، وَإِنَّمَا السخي مَنْ يبتَدِيء بحقوقِ اللَّهِ ـ عَزَ وَجَلَ ـ فِي أهْلِ طَاعَتِهِ، وَلاَ تنازِعُهُ نفسهُ إلى حب الشكْرِ لَهُ إذَا كَانَ يقينه بثوابِ الله عز وجَل تَامَاً.

وَقيل للحسن البصري: يَا أبَا سعيد مَا السخَاء؟ قَالَ: أن تجودَ فِي اللَّهِ تَعَالَى، قِيل: فَمَا الحزْمُ؟ قَالَ: أن تمنع مَالك فيهِ، قيل: فَمَا الإسْرَافُ؟ قَالَ: الإنفاق لِحُبِ الرياسَةِ.

وَحُكِيَ أنَّهُ لَمَا أجدبَ الناسُ بمصر وَعبد الحميدِ بن سعد أميرهُمْ فقالَ: وَالله لأعلمن الشيطَانَ أني عدوهُ: فَعَالَ مَحاويجهم إلى أن رَخصت الأسعار ثم عُزِلَ عَنْهُمْ، فرحل وللتجار عليهِ ألف ألف درهم، ورَهَنهم بها حُلي نِسائِهِ وَقِيْمَتهَا خَمْسَةُ آلاف ألف درهِمْ، فلما تعذرَ عليهِ ارتجاعُهَا كتب إليهم ببيعهَا وَدَفْعِ الفاضل منها عَنْ حقوقهِمْ إلى مَنْ لم تنله صِلاتُه مِنْهُمْ.

وَكَانَ أبُو صَالِح بنُ كثير شيعياً، فقالَ لَهُ رَجل: بحق علي بنِ أبي طالبِ لَمَا وَهَبْت لِي

نخلتك بموضِعِ كَذَا، قَالَ: قد فعلتُ وَحقّهُ لأُعْطِينَّك مَا يَلِيْهَا، وَكَانَ ذَلِكَ أضعافَ مَا طلب الرجُلُ.

وَكَانَ أبو مرثد أحد الكُرَمَاءِ، فمدحهُ بعض الشعراءِ، فقالَ لِلشاعر: وَاللَّهِ مَا عندي مَا أعطيك، وَلَكِنْ قَدِّمني إلى القَاضِي وَادّعي علي عشرة آلافِ دِرْهَم حَتَّى أقر لك بِهَا، ثم احبسني فإن أهلي لاَ يتركُوني محبوساً، ففعل ذلك، فلم يُمْسِ حتى دُفعت إليهِ عشرة آلاف دِرهم، وَأخرجَ أبو مرثدٍ مِنْ الحبسِ.

وَكَانَ معن بن زَائدةَ عَامِلاً على العراقين بالبصرة، فحضر بَابَهُ شَاعرٌ، فَأَقَامَ مدةً وَأرَادَ الدُخُولَ على معنٍ، فلم يتهيأ لَهُ، فقالَ يَوماً لبعضِ خدمِ معنٍ، إذَا دَخَلَ الأمير البستان فعرفني، فلمَا أرَادَ معن البستانَ أعلمَهُ، فَكَتَبَ الشاعرُ بيتاً على خَشَبَةٍ وَألقَاهَا فِي المَاءِ الذِي يَدْخل بستانَ معنٍ، وَكَانَ معن على رَأسِ المَاءِ، فلما بصر بالخشبة أخذَهَا وقَرأهَا، فإذا فيهَا مَكْتُوبٌ:

أيا جود معن ناج معناً بحاجتي ... فمالي إلى معن سواك شفيعُ

قَالَ: فقالَ: مَنْ صَاحِبُ هذهِ؟ فدعي بالرجل، فقالَ له كيف قلت؟ فقالَهُ: فَأَمَرَ لَهُ بعشر بِدَرٍ، فأخذهَا وَوَضَعَ الأمير الخشبة تحت بِسَاطة، فلما كَانَ اليومُ الثاني أخرجَهَا مِنْ تحتِ البِسَاطِ وَقرأ مَا فيهَا وَدَعَا بالرجل، فدفع إليهِ مائة ألف درهم، فلما كَانَ اليوم الثالثُ أخرجها فقرأها وَدَعَا بالرجل، فدفع إليهِ مائة ألف دِرهم، فلما أخذَهَا الرجل تفكر وَخَافَ أن يأخذ منه مَا أعطَاهُ وخرج، فلمَا كَانَ فِي اليوم الرابعِ قرأ مَا فِيْهَا وَدَعَا بِالرَجُلِ فطُلِبَ فلم يُوْجَدْ، فقال معن: حقّ علي أن أعطيهِ حتى لاَ يبقى فِي بيتِ مَالِي دِرْهَمٌ وَلاَ دِيْنَارٌ.

وَقَالَ أبُو محمدِ البلاذرِي: فرأيت أبا عثمان الحيري يَذْكُرُ هَذَا البيتِ ثم يقولُ:

أيا جودَ رَبِيّ نَاجِ رَبّ بحاجتي ... فَمَا لِي إلى رَبِي سِوَاك شفيعُ

وَعَنْ جعفر بن محمدِ الصادِق عليهِ السلام أنَّهُ قَالَ: لاَ مَال أعود من العقل، وَلاَ داء أعظم مِنَ الجهْل، وَلاَ مُظاهَرَةَ كالمشورة، ألا وَإن الله عز وجل يقول: «إني جواد كريمٌ، لاَ يجاوِرني لئيم»، واللؤمُ مِنَ الكفرِ، وَأهْلُ الكفرِ فِي النارِ، والجَود وَالكَرَمُ من الإِيْمَان، وَأهْلُ الإِيْمَانِ فِي الجنةِ.

وَعَنْ الحسن المدَائني قَالَ: خرجَ الحسنُ والحسين ابنا علي بن أبي طالبٍ وعَبد الله بن جعفرَ ـ عليهم السلام ـ حجاجاً ففاتتهم أثقالهم فَجَاعوا وعَطِشُوا، فمروا بعجوزٍ فِي خباءٍ لهَا فقالوا لَهَا: هَلْ مِنْ شرابٍ؟ فقالتْ: نَعَمْ، وأناخوا إليها وليسَ لَهَا غير شويهة

فِي كسرِ الخيمَةِ، فَقَالَتْ: احْلبُوهَا واشربوا لبنها. ففعَلُوا ذلكَ، ثُمَّ قَالُوا لَهَا: هَلْ مِنْ طَعَامٍ؟ قالتْ: لاَ، إلا هذهِ الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم منها ما تأكلون، فَقَامَ إليهَا أحدُهُمْ وَذَبحها وَكَشَطها، ثم هَيَأتْ لَهُمْ طَعَاماً فَأكلوا وأقَامُوا حتى أبردُوا فلما ارتاحوا قَالُوا لَهَا: نحن من نفرٍ مِنْ قريشٍ نريدُ هذا الوجه، فَإذَا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صَانعون بك خيراً، ثُمَّ ارتحلُوا وأقبل زوجُهَا، فأخبرته بخبر القوم والشاةِ، فغضب الرجل وقالَ: ويلك تذبحين شاتي لقومٍ لاَ تعرفينهم، ثم تقولين نفر من قريشٍ، قال ثم بعد مُدَةٍ ألجأتهما الحاجَةُ إلى دُخُول المدينةِ، فدخَلاَ وَجَعَلاَ ينقلان البعير إليها ويبيعانِهُ ويتعيشان بثمنِهِ، فمرتِ العجوز فِي بعض سكك المدينة، فإذا الحسن بن علي بن أبي طالب ـ عليهما السلام ـ جَالسٌ على باب دَاره، فعرفَ العجوز وَهِي لَهُ منكرة، فبعث الحسن غلامَهُ وَدَعَا العجوز، فقال لَهَا: يَا أمةَ الله أتعرفيني؟ قَالَت: لا، قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا، قالت العجوز: بأبي أنت وأمي، وأنتَ هُوَ، قَالَ: نعم، ثم أمر الحسن فاشتروا لها مِنْ شَاءِ الصَّدَقَةِ ألف شاةٍ وأمرَ لَهَا معها بألفِ دِينار، وبعث بهَا مَعَ غلامِهِ إلى الحسين، فقال لَهَا الحسين: بكَمْ وَصلكِ الحسن أخي؟ قَالَت: بألفِ شَاةٍ وألف دينارٍ، فأمرَ لهَا الحسين بألف شاةٍ وألف دينار ثُمَّ بَعثَ بِهَا مَعَ غُلامِهِ إلى عبدِ اللَّهِ بن جعفرٍ فقالَ لَهَا: بِكَمْ وَصلَكِ الحسنُ وَالحسينُ؟ قَالَتْ: بِألْفِي شَاةٍ وَألفِي دِينارٍ، فَأَمَرَ لَهَا بِألفِي شاةٍ وَألْفَي دِيْنَارٍ، وَقَالَ لَهَا: لَوْ بَدَأتِ بِي لأتعبتُهُمَا، فرجعتِ العجوز إلى زوجها بِأربعةِ آلافِ شاةٍ وَأربعةِ آلافَ دِينارٍ.

وَخَرَجَ عبد الله بن عَامر بن كُريز[1] مِنَ المسجد يريدُ منزله وَهُوَ وحَده، فقَامَ إليهِ غلام مِنْ ثقيفٍ فمشى إلى جَانِبِهِ، فقَالَ لَهُ عَبْدُ الله: ألَكَ حَاجَةٌ يَا غلامُ؟ قَالَ: صَلاحك وَفلاحَك، رَأيتك تمشي وَحدك فقلت: أقيك بنفسي[1]، وَأعوذ بِاللَّهِ إن صارَ بجنابك مَكْروه، فأخذ عبد اللَّهِ بيدِهِ وَمَشَى مَعَهُ إلى منزلِهِ، وَدَعَا بِألفِ دِينارٍ فدفعهَا إلى الغُلاَمِ، وَقَالَ: استنفِقْ هذه فنعمَ مَا أدبك أهلك.

وَقَالَ محمد بن سلامٍ: اشترى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ أبي بكرةَ جَارية بأربعين ألفاً، فلما خرج بِهَا حملها الصلتَانُ على فرسٍ كَانَ لَهُ بِالبَابِ، ثُمَّ قَالَ: أين أذهَبُ بِهَا؟ قَالَ: إلى بيتك.

---

(١) عبد الله بن عامر بن كريز، الأمير أبو عبد الرحمن القرشي العبشمي الذي افتتح إقليم خراسان، وقتل كسرى في ولايته وأحرم من نيسابور شكراً لله تعالى، وعمل السقايات بعرفة، وكان سخياً كريماً. قال ابن منده توفي النبي ﷺ ولابن عامر ثلاث عشرة سنة وكان من كبار ملوك العرب وشجعانهم وأجوادهم وكان فيه رفق وحلم، ولاه معاوية البصرة. توفي قبل معاوية في سنة تسع وخمسين. فقال معاوية: بمن نفاخر وبمن نباهي بعده؟! (سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨).

وَأَوْحَى الله تَعَالى إلى مُوسَى عليهِ السلام: «لا تقتل السَامرِي فإنه سخِي».

وَكَانَ يقالُ: مَنْ لَمْ يَضِنَّ بالحقِ عَنْ أَهْلِهِ فهُو الجوادُ.

وَقَالَ حُذَيفَةُ بنُ اليمَان: رُبّ فَاجرٍ فِي دِيْنِهِ، أَخْرَقَ فِي معيشَتِهِ، يَدْخُلُ الجنةَ بِسَمَاحَتِهِ.

وَيقال: لَمَا خلق اللَّهُ - عَز وجل - الجنة نظر إليهَا، فقالَ: «وَعزتي وَجَلاَلِي وَارْتِفَاعِي فوقَ عرشي، لا يدخلك لئيم ولا بَخِيلٌ».

وَقَالَ بعضُهُمْ فِي مَدْحِ الجُودِ:

وَفَتَىً خَلاً مِنْ مَالِهِ وَمِنَ المُروءةِ غَيرُ خَالِ
أعطَاك قبل سُؤالِهِ فكفاك مَكْرُوهَ السُؤالِ

وَرَأى الأحنف بنُ قيسٍ[1] رَجُلاً فِي يدِهِ دِرْهَمٌ، فقالَ: لِمَنْ هذا الدرهَمُ؟ فقالَ: لِي، فقالَ أمَا أنه ليسَ لك حتى يخرجُ مِنْ يدكَ[2].

وأنشد:

أنتَ للمَالِ إذَا أمسكتَهُ فَإذَا أنفقتهُ فَالمالُ لَكْ

وَقَالَ المهديُ لشبيب بن شَيْبَة: كَيف رأيت الناسَ فِي دَاري؟ فقالَ: يَا أمير المؤمنين، إن الرجُلَ منهم ليدخُلُ رَاجِياً ويخرجُ رَاضياً.

وَحَكي أن قوماً مِنَ العربِ جَاءوا إلى قبر بعضِ أسخيائِهِم للزيَارَةِ، فنزلوا عند قبرهِ وَجَاءوا مِن سفرٍ بعيدٍ، فباتُوا عند قبره، فرأى رجلٌ منهم في النَومِ صَاحب القبر وَهُو يقولُ لَهُ: هَلْ لَكَ أن تبادِلَ بعيرك بنجيبي، وَكَانَ السخي الميت خَلّفَ نجيباً معروفاً بِهِ ولهذا الرجل بعيراً سميناً، فقال فِي النَومِ: نَعَمْ، وَبايع فِي النَومِ بعيرهِ بنجيبه، فلما وَقَعَ بينهما العقد، عمدَ هَذَا الرجُلُ إلى بعيره فنحره فِي النومِ، فَانتبَه الرجل من نومِهِ يثج الدم من نحر بعيرِهِ، فقامَ الرجل مِنَ النومِ فنحره وَقسم لحمه، فطبخَهُ وقضوا حَاجتهم، ثُمَّ رَحَلوا وَسَارُوا فلما كَانَ الْيَومُ الثاني وَهُمْ فِي الطريقِ اسْتقبلهُمْ رَكبٌ، فقال رَجل منهم: مَنْ فُلاَنُ بنُ فلانٍ منكُمْ؟ - بِاسمِ ذلك الرجل - فقالَ: أنَا، فقالَ: هَلْ بعتَ مِنْ فُلانٍ شيئاً، وَذَكَرَ الميت صَاحبَ القبر، قَالَ: نَعَم، بعت منه جملي بنجيبه فِي النَومِ، فقالَ: خذهُ هذا نجيبُهُ ثُمَّ قَالَ: هُوَ أبي،

---

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين الأمير الكبير، العالم النبيل، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل، كان من قواد جيش علي يوم صفين، وكان ثقة مأموناً وكان سيد قومه مات سنة ٧١ هجرية (سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٦).

(٢) في سير أعلام النبلاء: ليس هو لك حتى تخرجه في أجر، أو اكتساب شكر. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٩٤).

وقد رأيته فِي النومِ، وَهُوَ يقولُ: إن كنت ابني فاذْفع نجيبي إلى فُلان، وسَمّاهُ أو كَمَا قَالَ.

وَتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفرَ عليهِ السّلام

إن الصنيعة لا تكونُ صنيعة حتى يُصَابَ بِهَا طريقُ المصنَعِ
فَإِذَا اصطنعت صنيعة فاعمد بِهَا لله أو ذَوِي القرابَةِ أو دَعِ

فقال عبد الله بن جعفر: إنِ هذين البيتين ليبخلان الناسِ وَلَكِنْ أمْطِر المعروفَ مَطراً، فإن أصابَ الكِرَامَ كَانُوا لَهُ أهْلاً، وَإن أصَابَ اللئام كنت لَهُ أهْلاً.

قَالَ الأصمعي: رأيتُ أعرابياً بأصبهان فقلتُ لَهُ: مِنْ أين أقبلت؟ قَالَ: مِنْ عند أمير هذهِ المدينةِ - يعني أبا دُلفٍ[1] - قلتُ: فيماذَا قصدتَهُ؟ قال: فِي بيتٍ شعر امتدحتهُ بِهِ فَأمَرَ لِي بِألفِ دِرْهَم وَرَدَّ عليّ بيتاً أحسن من بيتي، قلتُ: وَمَا قلت لَهُ؟ قَالَ: قلتُ:

إذَا كَانَ الكَرِيْمُ لَـهُ حِجَابٌ فَمَا فضل الكَرِيْمِ عَلَى اللئيمِ

فَأمَرَ لِي بألفِ درهم وكتب:

إذَا كَانَ الكَرِيم قليلَ مَالِ وَلَمْ يُعْذَرْ تعللَ بِالحجَابِ

وَسُمِي وَاصلٌ بن عَطَاء الغَزَّالَ، لأنَّهُ كَانَ يجلسُ إلى الغزالين، فَإِذَا رَأى امرأةً ضعيفة أعطَاهَا شيئاً.

وَقدِمَ رَجل مِنْ قريشٍ مِنَ السفرِ، فمر برجُلٍ مِنَ الأعرابِ على قَارِعَةِ الطريقِ قد أقعد الدهرُ وَأضَرَّ بِهِ المرضُ، فقالَ: يَا هَذَا أعِنَّا على الدهرِ، فقالَ الرجل لِغُلاَمِهِ: مَا بقي مِنَ النَّفقةِ فَادفعه إليهِ، فصبَّ الغُلاَمُ فِي حجر الأعرابي أربعةَ آلاف دِرْهَم، فَذَهَبَ لينهض فلم يقدر مِنَ الضعف فَبَكَى، فقال لَهُ الرجلُ: مَا يبكيكَ لعلكَ استقللت مَا أعطيناك، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ ذَكرت مَا تأكل الأرضُ مِنْ كرمك فأبكاني.

وَقَالَ الأصمعي: كتبَ الحسنُ بنُ علي إلى الحُسَيْنِ بن علي يعتبُ عليهِ إعطاء الشعراءِ، فَكَتَبَ إليهِ: خير المَالِ مَا وُقِي بِهِ العرض.

وَقَالَ أكثم بن صيفي: الشح فقر حيث كَانَ، والسَخَاء غِنَى حيث كَانَ، أوْ كَمَا قَالَ.

وَقَالَ طَلْحَةُ بن عبيد اللَّهِ إنا نجد بِأمْوَالنا مَا يجد البخلاءُ، وَلَكِنْ نَتَصَبر.

---

(١) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي صاحب الكرج وأميرها، كان فارساً شجاعاً مهيباً سائساً شديد الوطأة جواداً ممدَّحاً، مبذراً شاعراً مجوداً. قيل إنه فرق في يوم أموالاً عظيمة وأنشد لنفسه:

كفاني من مالي دلاص وسابحٌ وأبيضُ من صافي الحديد ومغفرُ

وكان موته ببغداد في سنة ٢٢٥ هجرية وفي ذريته أمراء وعلماء. (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦٣).

وَقِيل للحسنِ بن علي: مَنِ الجَوَادُ؟ قَالَ: الذي لَوْ كَانَتْ الدُّنْيا لَهُ فأنفقهَا لرَأى بعد ذلك عليه حُقُوقاً، والصبر على الجودِ أخو الصبر على الناسِ.

وَسُئِل سفيان بنُ عيينَةَ عَنِ السَخَاءِ، فَقَالَ: السَخَاءُ البِرُ بالإخْوَانِ، وَالجُودُ بِالمَالِ.

وَورث الحسن خمسين ألف دِرهم، فبعث بِهَا إلى إخوانِهِ صرراً، وَقَالَ: قد كُنْتُ أسأل الله تَعَالى لإخوانِي الجنة فِي صَلاَتِي، أفأبخل عليهم بالدُّنيا؟

وَكَانَ القاسم بن محمَدٍ يقولُ: خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِي الناسِ فذهبَتَا عَنْهُمْ؛ الجودُ بِمَا رَزقهم الله عز وجل وَقيَامُ الليلِ.

وَاشترى عبد الله بن عامرٍ مِنْ خالد بن عقبة بن أبي معيطٍ دَارَهُ التي فِي السوقِ بتسعين ألف درهم، فلمَا كَانَ الليل سَمِعَ بكَاء أهْلِ خَالد، فقالَ لأهْلِهِ: مَا لِهؤلاءِ؟ فقالوا: يبكون لِدَارِهِمْ، قَالَ: يَا غُلاَمُ، اذْهَبْ إليهم وَأعلمهم أن الدار وَالمال جميعاً لَهُمْ.

وَقيل: أنفذ هَارُون الرشيد أمير المؤمنين إلى مَالك بن أنسٍ ـ رَضِي الله عنه ـ خمسمائة دِينار فبلغ ذلك الليثَ بن سعدٍ فأنفذ إليهِ بألف دِينارٍ فغضب هَارُون وَقَالَ: أعطيه أنا خمسمائة دِينار وَتُعطيهِ ألفاً وَأنت مِنْ رعيتي، فقالَ: يَا أميرَ المؤمنين، إن لِي فِي كُل يَومٍ مِنْ غلتي ألف دينارٍ، واستحييتُ أن أعطي مثله أقل من دَخل يَوْم.

وَحُكِي عنه أنه لَمْ تجِبْ عليهِ الزَكَاةُ مَعَ أن دخلهُ فِي كُلِ يَوْم ألفَ دِينارٍ.

وَسَألت امرأة الليثِ بن سعدٍ شيئاً مِنْ عسلٍ، فأمَرَ لَهَا بِزِقٍّ[1]، فقالَ: إنها سَالتْ على قدرهَا وَنعطيها على قدر النعمةِ علينَا.

وَكَانَ الليثُ بن سعدٍ لا يتكَلَّمُ كُل يَومٍ حتَّى يتصَدَّقَ على ثلاثمائة وَستين مسكيناً عددَ أيامِ السنةِ.

وَقَالَ الأعمش: اشتكَتْ شاة عندي، فَكَانَ خيثمةُ بنُ عبد الرحمن[2] يَعُودُهَا بالغداة وَالعشي، ويسألني هَلْ استوفَتْ علفها، وَكَيف صبر الصبيانِ منذ فقدوا لبنهَا، وَكَانَ تحتي لبد أجلسُ عليهِ فَإِذَا خرجَ قَالَ لِي: خُذْ مَا تحت اللبدِ حتى وَصَلَ إلي فِي علةِ الشاةِ أكثر من ثلاثمائةِ دِينارٍ مِنْ برهِ، حتى تمنيتُ أن الشاةَ لا تَبرأ.

---

(١) الزِّقُّ: السِّقاء أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره.

(٢) خيثمة بن عبد الرحمن ابن أبي سبرة الجعفي الكوفي الفقيه، لأبيه وجده صحبة مع النبي ﷺ كان من العلماء العُبَّاد، وكان سخياً جواداً يركب الخيل ويغزو، روي عنه أنه لما ولد أبوه سماه جده عزيزاً ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: سمه عبد الرحمن. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٠).

وَقَالَ: جَاءَ عبد الله بن مَالكِ الخُزَاعي إلى مجلسِ محدثٍ ببغَدادَ، فقَامَ لَهُ رَجل مِنْ مجلسِهِ فأجلسه فيهِ، فانصرفَ إلى مَنزله وبَعث إليهِ بعشرة آلاف دِرْهَم.

وأنشدت:

وَإِذَا الـكَـريـمَ أتـيـتـهُ بـخـديـعـةٍ فـرأيـتَـه فـيـمـا تـحـبُ يُـسَـارِعُ
فَـاعـلـم بـأنـك لـن تـخـادِع جَـاهِـلاً إن الـكـريـم بـفـضـلـه يـتـخـادَعُ

وَقَالَ عبدُ الملكِ بن مَرْوانَ لأسماء بن خَارِجَةَ: بلغني عنكَ خِصَالٌ فحدثني بِهَا، فقالَ: هِيَ مِنْ غيري أحسنُ منها مني، قَالَ: عزمتُ عليك لما حدثتني بِهَا، فقالَ: يَا أميرَ المؤمنين، مَا مَددتُ رِجلي بين يدي جليسٍ قَطُ، وَلاَ صنعتُ طَعَاماً فدعوتُ عليهِ قوماً إلاَ كَانُوا أمَنَّ علي مني عليهِمْ، وَلاَ نصب لِي رَجُلٌ وَجْهَهُ قطُ ليسألني شيئاً فاستكثرتُ شيئاً أعطيتهُ إيَاهُ.

وَدَخَل سعيد بن خالدِ بن عبد الله على سليمان بنِ عبد الملكِ، وَكَانَ سعيد رَجلاً جواداً، فَإِذَا لم يجد شيئاً كتب لمن سَألهُ الصكاكَ على نفسهِ، حتى يخرج عطاؤُهُ، فلما نظر إليهِ سليمان تمثل بِهَذَا البيتِ:

إنـي سـمـعـتُ مَـعَ الـصَّـبَـاحِ مـنـادِيـاً يَـا مَـنْ يـعـيـن عـلـى الـفـتـى الـمـعـوَانِ

ثُمَّ قَالَ: حَاجتك، قَالَ: دَيني، قَالَ: وَكَمْ دَينك؟ قَالَ: ثلاثون ألفَ دِينارٍ، قَالَ: دينك ومِثله.

وَقِيل: مَرِضَ قيس بن سعد بنِ عبادة، فَاستبطأ إخوانَهُ، فقيل: إنهم يستحيونَ مِمّا لك عليهِمْ مِنَ الدين، فقالَ: أخزى الله مَالاً يمنعُ الإخْوانَ مِنَ الزيارَةِ، ثُمَّ أمرَ منادِياً فَنَادَىٰ: مَنْ كَانَ عليهِ لقيس حقٌ فَهُوَ منهُ فِي حلٍ، قَالَ: فكسرت دَرَجَته بالعشي لكثرة مَنْ عادَهُ.

وَقَالَ الحماني: بذلُ المجهودِ فِي بذلِ الموجودِ منتهى الجود.

وَقيل لبعض الحُكَمَاءِ: مَنْ أحَبُ الناسِ إليك؟ قَالَ: مَنْ كثرت أيَادِيهِ عندي. قيل: فإنْ لَمْ يكن؟ قَالَ: مَنْ كثرتْ أيادِي عِنْدَهُ.

وَقَالَ عبد العزيز بن مَرْوَان: إذَا الرجل أمكنني من نَفْسِهِ حتى أضع معروفِي عنده، فيده عندي مثل يدي عندَهُ.

وَعَنْ أبي إسحاقَ قَالَ: صليتُ الفجر فِي مسجدِ الأشعثِ بالكوفةِ أطلبُ غَرِيماً، فلما صليتُ وُضع بين يدي حلة وَنَعْلاَنِ، فقلتُ: لست مِنْ أهلِ هذا المسجدِ، فقيل: إن

الأشعث بن قيسٍ الكندي قدم البارحَةَ مِنْ مكة فَأَمَرَ لِكُلِ مَنْ صلى فِي المسجدِ بحلةٍ وَنَعْلين.

سمعتُ محمد بن محمد الحافظ يقولُ: سمعتُ الشّافعي المُجَاورَ بِمَكَّةَ قَالَ: كَانَ بمصر رَجل عرف بأنه يجمع للفقراء شيئاً، فولد لبعضهم وَلد، قالَ: فجئت إليهِ فقلتُ: وُلِدَ لِي مولود وليس معي شيء، فقامَ معي وَدَخل على جَمَاعَةٍ فلم يفتح شيء، فَجَاءَ إلى قبر رَجل وَجَلَس، وَقَالَ: رَحِمَك الله كنت تفعل وَتصنع وَإني أردت اليوم، وَكلفت جَمَاعة دفع شيء لمولودٍ، فلم يتفق لِي شيء، قَالَ: ثم قَامَ وَأخرجَ دِيناراً فكسره نصفين وَنَاوَلَنِي نصفه، وَقَالَ: هَذَا دَين عليك إلى أن يفتح الله لك شيء، قَالَ: فأخذتهُ وَانْصَرفتُ، فأصلحتُ مَا اتفق لِي بِهِ، فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص فِي مَنَامِهِ، فَقَالَ: سمعت جميع مَا قلت وَلَيسَ لنا إذن بالجواب، ولكن احضر منزلي وَقل لأَوْلاَدِي احفروا موضع الكانون[1] وليخرجُوا قرابَةً فيها خمسمائة دِينارٍ، وَاحملها إلى هذا الرجل، قَالَ: فلما كَانَ الغد تقدم إلى أولاد الميت، وقص القصة، قالُوا لَه: اجلس وحفروا الموضع فأخرجوا الدنانير، فجاءوا بِهَا فوضعُوهَا بين يديهِ، فقال: هَذَا مَالُكُم وَليسَ لِرُؤياي حُكم فَقَالوا: هُوَ يتسخَّى ميتاً ونحن لا نتسخّى أحياء؟ فلما ألحوا عليهِ حمل الدنانير إلى الرجل صَاحب المولود، وَذَكَر لَهُ القصة، قال فأخذ منها دِينارا ديناراً فكسره نصفين فأعطَاهُ النصف الذي أقرضَه، وحمل النصف الآخر، وَقَالَ: يَكفيني هذا، تصدق بهذا على الفقراء.

قَالَ أبو سَعْدٍ رَضِيَ الله عنه: فَمَا أدري أي هؤلاءِ أسخى؟ رحمهم الله.

قَالُوا: ولما مَرِضَ الشافعي رَضِي الله عَنْهُ مَرَضَ موته، قال: مُروا فُلاناً يغسلني فلما تُوفِي بلغه خبر وَفَاتِهِ فحضر وَقَال أئتوني بتذكرتهِ فَنَظَرَ فِيهَا فَإِذَا على الشافعي رَضِي الله عَنْهُ سَبْعُون ألف دِرهم دين فكتَبَهَا على نفسهِ وَقضَاهَا عَنْهُ وقال: هذا غسلي إياهُ.

قَالَ أبو سعدِ الواعظُ رَضِي الله عنهُ: لَمَا قَدِمْتُ مصر طلبتُ منزلَ ذَلِك الرجُلِ، فَدَلُوني عليهِ، فرأيتُ جَمَاعَةً مِنْ أحفادِهِ وَزُرْتُهُمْ، فرأيتُ فيهم سيما الخير وآثارَ الفضلِ، فقلتُ: بلغ أثرهُ فِي الخير إليهِمْ، وظهرت بركَتُهُ فِيْهِمْ، مستدلاً بقولِ اللّهِ سبحانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وَقَالَ علي بنُ أبِي طالبٍ ـ عليهِ السلام ـ لابنهِ الحسَنِ عليهما السلام: «اللؤمُ فِي ثلاثٍ: الشح، والبخل، والجَفَاء».

---

(١) الكانون: فارسي بمعنى المكان الذي توقد فيه النار. (قاموس الفارسية ـ مادة كانون).

وَعَن الشَافِعِي ـ رَضِي الله عَنْهُ ـ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ أزال أحبُ حماد بن أبي سليمان[1] لشيء بلغني عنه، أنه كَانَ رَاكِباً حمارَهُ فحركَهُ فانقطع زرهُ، فمر علي خياط فَأَرَادَ أَنْ ينزلَ إليهِ ليُسَوي زره فقال الخيَاطُ: وَاللّهِ لا نزلتَ، فَقَامَ الخياطُ إليهِ فسوى زره فأخرجَ إليهِ صِرةً فيهَا عشرة دَنَانير، فسلمها إلى الخياط وَاعتذرَ إليهِ فِي قلتهَا.

وأنشدونا للشَّافعي رَضِي اللّهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ:

يَـا لـهـف نـفـسـي عـلـى مَـالٍ أفـرقُـهُ   عـلـى الـمـقـلـيـن مـن أهـلِ الـمُـرُوءاتِ
وَإنَّ اعـتـذاري إلـى مَـنْ جَـاءَ يَـسْـألـنـي   مَـا لـيـسَ عـنـدِيَ مـن إحـدى الـمُـصِـيـبَـاتِ

وَعَن الربيع بن سليمانَ[2] قَالَ: أخذ رَجل بركَابِ الشافعي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ فقال: يَا ربيع أعطِهِ أربَعَةَ دَنَانير، واعتذِر إليهِ عَنّي.

وَقَالَ الربيع: سمعتُ الحميدي يقول: قدمَ الشافعي مِنْ صَنْعَاء إلى مَكَةَ بعشرةِ آلاف دِينارٍ، فضربَ خِبَاءهُ فِي موضعٍ خَارِجَاً مِنْ مَكَةَ، فَنَثَرَهَا على ثوبٍ ثم أقبل على كل مَنْ دَخَلَ عليهِ فقبض قبضةً فَأعطاهُ، حتى صَلّى الظُهْرَ، وَنفض الثوب وَلَيسَ عليهِ شيءٌ.

وَعَنْ أبي ثورٍ قَالَ: أَرَاد الشافعيُ الخُروجَ إلى مَكَةَ وَمعه مَال، وَكَانَ قلَّمَا يمسك شيئاً مِنْ سَمَاحَتِهِ، فقلتُ لَهُ: ينبغي أن تشتري بِهَذَا المالِ ضيعة تكون لك وَلِوَلدِكَ، قَالَ: فخرج ثُمَّ قَدِمَ علينَا، فَسَألتُهُ عَنْ ذَلِكَ المال، فقالَ: مَا وَجدتُ بِمَكَةَ ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها، وقد وُقِفَ أكثرهَا، ولَكِني بنيتُ بمنًى مضرباً[3] يَكون لأصحابنَا إذَا حَجُوا أن ينزِلوا فيهِ.

وأنشَدَ الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللّهُ:

أرَى نـفـسِـي تـتـوق إلـى أمُـورٍ   يُـقـصِّـرُ دون مـبـلـغـهـن مَـالِـي
فـنـفـسـي لا تـطـاوِعـنـي لـبُـخْـلٍ   وَمَـالِـي لا يـبـلـغـنـي فِـعَـالـي

(١) حماد بن أبي سليمان، العلامة الإمام فقيه العراق، أبو إسماعيل الكوفي مولى الأشعريين، أصله من أصبهان، روى عن أنس بن مالك وتفقه بإبراهيم النخعي وهو أنبل أصحابه وأفقههم وأقيسهم وأبصرهم بالمناظرة والرأي، وكان أحد العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، له ثروة وحشمة وتجمُّل. مات سنة ١٢٠ هـ. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣١).

(٢) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل، الإمام المحدث الفقيه الكبير، بقية الأعلام صاحب الإمام الشافعي، وناقل علمه، وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط، ومستملي مشايخ وقته ولد سنة ١٧٤هـ وطال عمره واشتهر اسمه وازدحم عليه أصحاب الحديث ونعم الشيخ كان، أفنى عمره في العلم ونشره. توفي رحمه الله سنة ٢٧٠ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٧، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٣٢).

(٣) المِضْرَب: الفسطاط العظيم (القاموس مادة ض ر ب).

وَبلغني عنْ محمد بن جهمِ البرمَكِي أَنَّهُ أنشد بعض الخُلَفَاءِ رَحْمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ:

نجودُ بالنفسِ إنْ ضَن الجوادُ بِهَا   والجود بِالنفسِ أقصى غاية الجودِ

فقالَ الخليفة: أحسنت وَوَلاَهُ أرمينية.

وَقَالَ ابن سيرينَ يوماً لِرَجُل كيفَ حَالك؟ فقالَ: مَا حَالَ رَجل عليهِ خمسمائة دِرْهم دَين وَهُوَ معيلٌ، فدخل ابن سِيْرِينَ منزله، فأخْرَجَ ألفَ دِرْهَم، فدفعهَا إِليهِ، فقال: خمس مائة اقضِ بها دَينك، وخمسمائة عُدْ بها على عيالك، ثم قال: والله لا أسأل أحداً عن حاله بعد.

وقال محمد بن عباد المهلبي[1]: دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم، فلما قام من عندهِ تصدَّقَ بِهِ، فأخبر بِهِ المأمون، فلما عَادَ إِليهِ عَاتَبَهُ المأمونَ فِي ذلك، فقالَ: يَا أمير المؤمنينَ، منعُ الموجود سوء الظن بالمعبودِ، فوصله بِمَائتي ألف أخرى.

وَعَنْ رَجَاء بنُ أَبِي سلمة قَالَ: قَضَى هِشَامٌ عَن ابن شهابِ أربعة آلافِ دِينارِ.

وَعَنْ شهر بن حَوْشبِ، أن عُمَرَ بن الخطابِ ـ رَضِيَ الله عنهُ ـ أرسل إلى سعيد بن عامر بألفِ دِينارِ فَجَاء إلى بيتِهِ كئيباً حزيناً، فقالت لَهُ امرأتهُ: مَا لك أحدث أمر؟ قَالَ: أشد مِنْ ذلك، قَالَتْ: مَاتَ أمير المؤمنين؟ قَالَ: أشد من ذلك، ثم قَالَ: أريني دِرْعك الخَلِقَ، فشقه وَجَعَل تلك الدنانير صُرةً صُرةً، ثُمَّ قَامَ يُصَلِي وَيبكي حتى أصبح، وَجيش ينطلق بالغدَاةِ غُزَاةً، فَقَامَ بِالطريقِ فجعل يعطيهم صرةً صرةً حتى أعطى آخرها صرةً والمخلاة التي كَانَتْ فيهَا الدنانيرَ، ثُمَّ قَالَ سعيد بن عامر: سمعت رَسُول الله ﷺ يقولُ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سَنَةٍ، حتى أن الرجل مِنَ الأغنياء يدخل فِي غُمَارِهِمْ فيؤخَذُ بيدهِ فيستخرَجُ»[2].

قَالَ سعيد: فَأرَادَ عُمْرَ أنْ يجعلني ذلك الرجل، فَمَا سرني أني كنتُ ذلك الرجل وأن لِي الدنيا بِمَا فِيْهَا.

---

(١) السيد الجواد، حاتم زمانه أمير البصرة محمد ابن محدث البصرة عباد بن عباد بن حبيب ابن الأمير المهلب بن أبي صفرة. توفي سنة ٢١٦هـ. (سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٩).

(٢) قال العراقي: روى أحمد القصة الموقوفة دون المرفوع، فرواه الطبراني القصة إلاّ أنه قال (بسبعين عاماً) وفي إسناده يزيد بن أبي زياد، تكلم فيه، وفي رواية له (بأربعين سنة) وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٥٧٢). وقال السبكي ٦/ ٣٦٧: لم أجد فيه إلاّ سبعين أو أربعين.

وَعَنْ عَامرٍ قَالَ: أرسل الأشعث بن قيسٍ إلى عدي بن حَاتم يستعير قُدُور حَاتم، قَالَ: فأمر بِهَا فملئت وَحملها الرجَالُ إلى الأشعث فَأَرْسَلَ الأشعث إليهِ إنما أَرَدْنَاهَا فَارِغة فأرسَل إليهِ عدي إنَّا لا نعيرهَا فَارِغَةً.

وَعَنِ الزُبير بنِ العوام ـ رَضِي الله عنه ـ أنه بَاعَ دَاراً لَهُ بستمائةِ ألف دِرهم فقيل لَهُ: يَا أَبَا عبد الله، لقد غُبنْتَ، فقَالَ: .والله لتعلمن أنى لا أُغبنُ، هِي فِي سبيلِ الله عز وجل.

وَعَنِ الحسين بن كثيرٍ قَالَ: شكوتُ إلى محمد بن علي الحَاجَةَ وَجَفَاء إخواني، فقال: بئسَ الأخُ أخٌ يرعَاكَ غنياً وَيقطعك فَقيراً، ثم أمرَ غلامَهُ فأخرجَ كِيْسَاً فيهِ تسع مائة دِرهم، وَقَالَ: استنفقْ هَذِهِ فَإذَا فنيت فَأعلمني.

وَعَنْ سفيان قَالَ: أرَادَ علي بن الحسين الخروج إلى الحج أو العمرةِ، فاتخذت لَهُ سُكينة بنت الحسين سفرة النفقة فيها ألف دِرْهَمٍ، وَأرْسَلَتْ بِهَا إليهِ فلما كَانَ بِظَهْرِ الحَرَّةِ أمر بِهَا فقسِمت على المَسَاكين.

وَقَامَ رَجل إلى سعيد بن العَاصِ فسألهُ، فأمَرَ لَهُ بِمَائةِ ألفِ دِرْهَم، فَجَلَسَ الرجل يبكي، فقالَ لَهُ سعيد: مَا يبكيك وَقَدْ أمرنَا لك؟ فقال: أبكي على الأرضَ أنْ تأكُلَ مثلكَ، فَأمَرَ لَهُ بِمَائةِ ألفِ أخْرَى.

وَدَخَلَ أبُو تَمامٍ علي إبراهيم بن شكلةَ بأبيَاتٍ امتدحَهُ بِهَا، فوجدَهُ عليلاً فقبل منهُ المدحة وَأمَرَ حَاجِبَهُ بنِيله مَا يصلحُهُ.

وَقَالَ: عسىٰ أنْ أقوم مِنْ مَرَضِي فَأكَافِئهُ، فَأقَامَ شهرين فأوْحَشَهُ طُولُ المقَامِ فكتب إليهِ:

إنْ حَراماً قَبُولُ مِدْحتنا ... وَترك مَا نرتجي مِنَ الصفَدِ
كَمَا الدنَانِيرُ وَالدرَاهِمَ فِي ... البيعِ حَرَامٌ وإلاَّ يَدٌ بِيدِ

فَلَمَّا وَصَلَ إلى إبراهيم البيتانِ قَالَ لِحَاجِبِهِ كَم أقَامَ بِالبَابِ؟ قَالَ: شهرين، قَالَ: أعطِهِ ثلاثين ألفاً وَجئني بِدَواةٍ فَكَتَبَ إليهِ:

أعجلتنا فَأتَاكَ عَاجل برنَا ... قُلاً وَلَوْ أمهلتنا لَمْ يقللِ
فَخُذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأنكَ لَمْ تقل ... ونكون نحن كَأننا لم نفعلِ

وسئل بندار بن الحسين قال: ما السخاء؟ قال: ترك الجفاء.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الإيثَارِ

أخبرنَا أبو سَعْدٍ، قَالَ: أخبرنَا أبو إسحق إبراهيمُ بن أحمد بن رَجَاء قَالَ: حَدّثنَا أبو بَكْرِ أحمد بن عبيدة، قَالَ: حدثنَا محمَدُ بنُ نَافِعِ المصري، حدثنا أَسَدُ بنُ موسَى، حدثنا سعيد بن زيد، حَدّثنَا عَمْرُو بن خَالِدٍ، حَدثنا حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ، عَنْ نَافِعِ قَالَ: اشتهى ابن عُمَر سَمَكَةً طرية لما نَقُهَ مِنْ مَرضِهِ، فَالتُمِسَتْ لَهُ بالمدينةِ، فلم توجد[1] ثم وُجدت بعد كَذَا وَكَذَا، فَاشتريت بدرهم وَنصف، فشويت وجيء بها على رَغِيفٍ حَتى وُضعت بين يديهِ، فقَامَ سَائل بِالبَابِ، فقالَ للغلام: تَعَال لفها برغيفها فادفعها إليهِ، فقالَ لَهُ الغلام: أصلحك الله، قد اشتهيتها منذ كَذَا وَكَذَا فلم نجدهَا حتى وجدناهَا، فاشتريناهَا بدرهَم ونصف ونحن نعطي السائل ثمنها، قَالَ: لفها وَادْفعهَا إليهِ، قَالَ الغلام للسائل: هَلْ لَكَ أنْ تأخذ دِرْهَماً وَتَرُدهَا؛ فأخذهَا وَوَضَعهَا بين يديهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا أبَا عبد الرحمنِ، قد أعطيتهُ دِرهَمَاً وأخذتها منه، قالَ لفها وَادفعها إليهِ وَلاَ تأخذ منه الدرهمَ، إني سمعت رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقولُ: «أيما امْرِي اشتهى شهوة فردَ شهوته وَآثر على نفسهِ غفر لَهُ»[2].

وَعَنْ أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع نيفٌ وثلاثون نفساً، وَكَانُوا فِي قريةٍ بقربِ الرّي، وَلَهُمْ أرْغفة معدودة لم تسع جميعهم، فكَسَرُوا الرغفان وأطفؤوا السِراج وجلسوا للطَعَام، فلما رُفع فإذا الطعام بِحَالِهِ وَلَمْ يَأكُل وَاحد منهم شيئاً إيثاراً لِصَاحِبِهِ على نفسِهِ.

وَرُوِي أن شعبة جَاءَهُ سَائل وَلَمْ يَكُنْ عنده شيء، فنزع خشبة من سقفِ بيتهِ فأعطاهُ، ثم اعتذرَ إليهِ.

وَقَالَ ابنُ عَطَاء: سَعى سَاعٍ بالصوفيةِ إلى الخليفةِ، فقال: إن هَاهُنَا قوماً مِنَ الزنَادِقَةِ يرفضون الشريعة، فأخذ أبو الحسين النوري، وَأبُو حمزةَ، والرقَام، وتستر الجنيد بالفقه، وَكَانَ يتكلم على مذهَبِ أبي ثورٍ، فَأدخِلُوا على الخليفةِ، فَأمرَ بضربِ أعناقِهِمْ، فبدر أبو الحسين إلى السيافِ ليضربَ عنقهُ، فَقَالَ لَهُ السيافُ: بَدرت مِنْ بين أصحابك، قَالَ: أحببت أن أوثر أصحابي بحياةِ هَذِهِ اللحظَةِ، فتعجب السيافُ وجميع من حضر من ذلك، وكتبَ إلى

---

(١) أي لم توجد في المدينة لبعدها عن البحر.

(٢) قال الحافظ العراقي: رواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب بإسناد ضعيف جداً، ورواها ابن الجوزي في الموضوعات وقال السبكي ٦/ ٣٣٥: ذكره ابن حبان في الضعفاء في ترجمة عمرو بن خالد غير موصول الإسناد.

الخليفةِ، فرد أمرهَمْ إلى قَاضِي القضاة فقام إليهِ النوري، فَسَأَلَهُ عَنْ أصول الفرائض فِي الطهارة والصلاة، فأجابَهُ، ثُمَّ قَالَ: وبعد هَذَا فإن لله عباداً يأكلون بالله، ويَلبسُون بالله، ويسمعون بالله، ويصدرون بالله، ويوردون بالله، فلما سمع القَاضِي كلامَهُ بَكَىٰ بكاءً شديداً ثم دَخَل على الخليفة، فقالَ: إن كان هؤلاء القوم زَنَادقة، فما على وَجهِ الأرض موحد.

وَقَالَ حذيفةُ العَدَوِي: انطلقت يَومَ اليرموك أطلبُ ابن عَم لِي، وَمَعِي شيءٌ مِنْ مَاءٍ، وَأنَا أقولُ: إن كَانَ بِهِ رَمق سقيته، ومسحت بِهِ وجهه، فَإذا أنا بِهِ، فقلتُ: أسقيك؟ فأشَارَ: أي نعم، فإذا رجل يقول آه، فأشار ابن عمي: أن انطلق به إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر، فقال: آه فأشار هِشَامُ: أن انْطَلق بِهِ إليه، فجئته فإذا هو قد ماتَ، فرجعت إلى هشام فإذَا هشامٌ قد مَاتَ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هُوَ قَدْ مَات.

وَعَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا شبع رَسول الله ﷺ ثَلاثة أيام مُتَوالية حتى فَارَقَ الدنيا، ولَو شئنا لشبعنا، ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا»[(١)]، ونزل بِرسولِ الله ﷺ ضيف فلم يَجِدْ عند أهله شيئاً، فدخل عليهِ رَجل من الأنصار، فذهَب بِهِ إلى أهلِهِ فوضع بين يديه الطعام، وَأمر امرأته بإطفاءِ السِّرَاج، وجَعَل يَمُد يده إلى الطعام كأنَه يأكُلُ وَلاَ يأكل، حتى أكل الضيف الطعَام، فلما أصبح قالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «لقد عجب الله ـ عز وجل ـ من صنيعكُمْ إلى ضيفكم» ونَزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][(٢)].

---

(١) قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب بلفظ (ولكنه كان يؤثر على نفسه)، وأول الحديث عند مسلم بلفظ: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله، وللشيخين: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعاً حتى قبض زاد مسلم: من طعام بر. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٠٧٤).

(٢) أخرج ابن أبي شيبة، والبخاري ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله. . . أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال: ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله تعالى؟! فقال رجل من الأنصار، وفي رواية، فقال أبو طلحة الأنصاري. . . أنا يا رسول الله، فذهب به إلى أهله فقال لامرأته، أكرمي ضيف رسول الله ﷺ لا تدخرين شيئاً، قالت: والله ما عندي إلاّ قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة لضيف رسول الله ﷺ، ففعلت ثم غدا الضيف على النبي ﷺ فقال: لقد عجب الله من فلان وفلانة وأنزل الله فيهما ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] (الدر المنثور للسيوطي ٦/ ١٩٥).
وأخرج مسدد في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب قرى الضيف وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي، رضي الله عنه أن رجلاً من المسلمين مكث صائماً ثلاثة أيام يمسي فلا يجد ما يفطر عليه فيصبح صائماً حتى فطن له رجل من الأنصار يقال له ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال لأهله: إني سأجيء الليلة بضيف لي فإذا وضعتم طعامكم فليقم بعضكم إلى السراج كأنه يصلحه فليطفئه، ثم اضربوا بأيديكم إلى الطعام كأنكم =

وَرُوِي عَنْ عمر - رَضي الله عنه - أنَّهُ قَالَ: أُهْدِي إلى رَجل من أصحابِ رَسول الله ﷺ رَأسُ شَاةٍ، فقَالَ: إن أخي كَانَ أحوج إليهِ مني، فبعث إليهِ بِهِ، فلم يزلْ يبعث به الواحد إلى آخر حتى تداولته سبعة أبياتٍ، حتى رَجَعَ إلى الأول، فنزلَتْ فيهم هذهِ الآية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

«وَبَاتَ علي بن أبي طالبٍ على فراشِ رَسُوْلِ الله ﷺ، فَأَوْحى الله تَعَالى إلى جبريل وَمِيْكَائيل - عليهما السلامُ - إني آخيت بَيْنكُمَا، وجعلتُ عُمُرَ أحدكُمْا أطولَ مِنْ عُمُرِ الآخر، فأيكُمَا يؤثرُ صَاحبهُ بالحياةِ؟ فآثر كِلاَهُمَا الحياة وَأحباهَا، فأوحى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالبٍ آخيَت بينه وبين محمَدٍ، فَبَاتَ على فِرَاشِهِ يفديهِ بنفسِهِ وَيُؤثرهُ بِالحيَاةِ، اهْبِطَا إلى الأرض فاحفظَاه مِنْ عَدُوهِ، فَكَانَ جِبْريلُ عليهِ السَّلاَمُ عند رَأسِهِ، ومِيْكَائِيل عليهِ السَلاَمُ عند رِجليهِ، وَجبريل يُنَادِيهِ بَخ بَخ مَنْ مثلك يا ابن أبي طالبٍ، يُبَاهِي بك الملائكَةُ، فَأنزلَ الله عَزَ وَجل ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] .

سمعت أبَا مُحَمَّدٍ الأزدِي بمصر السنة التي وَقع إحراق المسجدِ بمصر يقولُ: أحرقوا خاناً لِلنَصَارى مُكَافَأةً لَهُمْ على ذلك، وَظَنُوا أن النَّصَارى أحرقُوا ذلك المَسْجِدِ، فقبض السلطان على جَمَاعَةٍ مِنَ المسلمينَ الذين شرعُوا فِي إحْرَاقِ الخان، وَكَتَبَ الرقَاع، وَنثرَهَا عليهم، وَعَزَم أن يأخذ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رُقْعَةً مِنْهَا، فَكَانَ فِي بعضها القتل، وَفِي بعضها القطع، وَفِي بعضها الْجَلْدُ، فأخذ وَاحدٌ منهم رُقعة القتل، فقالَ: ما أبالي لَوْلاَ أم لِي، وَكَانَ بجنبه بعض الفتيان وكانت رُقعته الجَلد، فقال: ليست لِي أم فادفع إلي رُقعتك وَأدفع إليك رُقعتي، ففعل ذلكَ الفتى وَخَلَصَ هَذَا من القتل فهذا غَايَةُ الإيثارِ.

وَعَنْ عَيَاش بن دَهقان أنه قالَ: مَا خَرَجَ أحَدٌ مِنَ الدنيا كَمَا دَخَلَهَا إلا بشر بن الحارثِ فإنه أتاهُ فِي مرِضهِ، فَشَكَا إليهِ الحَاجَةَ، فنزع ثوبه وأعطاه إياه، واستَعارَ ثوباً فَمَاتَ فيهِ.

وَعَنْ أبي عَمْرو الخلقاني، قَالَ: خرجْتُ مَعَ سِرَي السقطِي يَومَ العيد مِنَ المسجدِ، فلقي رَجُلاً جليلاً فسلم عليهِ سلاماً نَاقصاً فقلت لَهُ: إن هذا فُلان، قَالَ: قد عرفته، قلتُ:

= تأكلون، فلا تأكلوا حتى يشبع ضيفنا فلما أمسى ذهب به فوضعوا طعامهم، فقامت امرأته إلى السراج كأنها تصلحه فأطفأته، ثم جعلوا يضربون أيديهم في الطعام كأنهم يأكلون ولا يأكلون حتى شبع ضيفهم وإنما كان طعامهم ذلك خبزة هي قوتهم، فلما أصبح ثابت، غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ثابت لقد عجب الله البارحة منكم ومن ضيفكم. فنزلت فيه هذه الآية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

(١) أخرجه الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر رضي الله عنهما.

فلم نقصتَهُ فِي السلامِ، قالَ: لأنه يَرْوي عَنِ النَّبي ﷺ أنَّه قالَ: «إذا التقى المسلمان قسمت بينَهُمَا مائة رَحمةَ تِسْعُونَ لأبَشِّهِمَا» فَأرَدتُ أن يكون معه الأكثر(١).

وَعَنِ الجنيد بن محمَدٍ قَالَ: السخَاء خلق مِنْ أخلاقِ اللَّهِ ـ عَزَ وَجَل ـ عَظيم، أَكْرَمَ بِهِ الأنبياء، والأبدال، وَالصَّالحينَ. والإيثار أعلى منزلةً منه، وَهُوَ خلق رَسول الله ﷺ، وَقَدْ قَالَ الله عَزَ وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] فَمَا ظنك بِشَيء سَماهُ اللَّهُ تَعَالى عَظيماً.

وَعَنْ عَاصِمِ بن محمد العمري قَالَ: حدثني رَجُلٌ كَانَ يلزمُ الأمُرَاء قَالَ: بَعَثَنِي عبد الملك بن مروانَ إلى أبي زينب العَابد(٢) وحمل معي ألف دينارٍ إليهِ، فأتيتُهُ وَقَد أقيمتِ الصلاة ولم يلتفت إليّ فلما قضى صَلاتَهُ قلتُ لَهُ: هذهِ ألف دِينارٍ بعث بِهَا أميرُ المؤمنين إليك، فقَامَ رَجُلٌ سَائل يَسْأل الناسَ، فَقَالَ لَهُ أبُو زَينب: قُمْ فادْفَعْهَا إليهِ، فقلتُ: إنها ألف دِينار، فَقَالَ: يَا ابن أخي، مَا عِنْدَ اللَّهِ أكْثَرُ أهِيَ أكثر أم الخلد والنعيم الدائم أكثر؟ ادْفعها إليهِ، قَالَ: فقمتُ فدفعتها إلَى السَّائل.

وَقَالَ محمَدُ بنُ الفرجيِّ: خَرَجْتُ مِنْ أرضِ الشَّام مِنْ طريق المفَازَةِ، فَوَقعتُ فِي التيهِ، فمكثْتُ فيهِ أيَاماً حتى أشْرَفْتُ على الموتِ، قَالَ: فَبينا أنَا كَذلك إذْ رأيتُ رَاهبين يَسِيْرَانِ كَأنَّهُمَا قَدْ خَرَجَا مِنْ مَكَانٍ قريبٍ يُريدان دَيراً لَهُمَا قريباً، فقمت إليهِمَا، فقلتُ: أين تريدان أنتُمَا؟ قَالاَ: لاَ ندري، قلتُ: فمن أين أقْبَلْتُمَا؟ قَالاَ: لاَ ندري، قلتُ: أتَدْرِيَانِ أينَ أنْتُمَا؟ قَالاَ: نَعَمْ، نحن فِي ملكِهِ وَمملكَتِهِ وَبين يديهِ، فأقبلت على نفسي أوبخُهَا، وقلتُ لَهَا: رَاهبان يتحققان بالتوكل دُونك!! فقلتُ لَهُمَا: أتأذَنَانِ في الصحبةِ؟ قَالاَ: ذَاكَ إليك، فَاتبعتهم، فلما جَنَّ الليل قَامَا إلى صَلاَتِهِمَا وقمتُ إلى صلاةِ المغربِ، فصليتُ بتيَمُم، فنظرا إليّ وَقد تيممت فضحكا مني، فلما فَرَغَا مِنْ صَلاَتِهِمَا بحث أحدُهُمَا فِي الأرضِ بيدِهِ، فَإذَا مَاء قد ظهر وَطعام مَوْضُوعٌ، فبقيت أتعجبُ مِنْ ذلك فقالا: مَالك ادنُ فكل وَاشرَبْ، فأكلنا وَشربنَا وتهيأت للصلاة، ثُمَّ نَضب المَاء فذهَبَ فلم يُر إلا فِي الصلاةِ، وَأنا أصلي على حدةٍ

---

(١) حديث: إذا التقى المسلمان فسلم كل منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للباديء) رواه البزار في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب. وروى الحكيم الترمذي في النوادر وأبو الشيخ في الثواب ولفظهم بعد قول (صاحبه): كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً بصاحبه، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما. .) والباقي سواء.

(٢) أبو زينب مولى حازم بن حرملة الغفاري، حجازي، لا يعرف اسمه، روى عن مولاه وأبي ذر وروى عنه خالد بن سعيد بن أبي مريم، ونعيم المجمر (تهذيب التهذيب ١٢/ ١٠٤).

حتى أصبحنا، وصليتُ الفجر، ثُمَّ أخذنا فِي المسير، فمكثنا على هذا إلى الليل، فلما جئنا الليل تقدمَ الآخر فصلى بِصَاحِبِهِ، ثُمَّ دَعَا بِدَعواتٍ وَبحث الأرض بيدِهِ، فنبع المَاء وَحضر الطعَامُ، فلما كَانَتِ الليلة الثالِثَةُ قَالاَ: يَا مسلم هلمَّ نوْبتك الليلة، فاستخر الله، قَالَ: فبقيت فيها واستحييتُ وَدَخل بعضي في بعضٍ، قَالَ: فقلتُ: اللَّهم إني أعلم أن ذُنُوبي لم تدع لِي عندك وَجهاً وَلاَ جَاهَاً، وَلَكن أسألك أنْ لا تفضحني عندهُمَا وَلاَ تشمتهما بِي، وبنبينَا محمد ﷺ وَبأمَّةِ نَبينَا، قَالَ: فَإِذَا بعينٍ جَرَارَةٍ وَطَعَامٍ كثير، قَالَ: فأكلنا كذلك وشربنَا ولم تزلْ كذلك، حتى بلغتني النوبَةُ الثانية ففعلتُ ذلك، فإذَا بِطَعَام يَكفِي اثنين وَشَرابٍ يَكْفِي اثنين، فَتَصَاغرتْ نفسي إليّ أريتُهُمَا أني آكلُ وأشربُ، وَلَمْ آكلْ وَلَمْ أشرَبْ، قَالَ: فسكتَا عني، فلما كَانَتِ النَوْبَةُ الثالِثَةُ أصَابني كذَلِكَ، قَال: فقالا لِي: مَا هَذَا يا مُسْلِمُ، قلتُ: لاَ أدري، فَلَمَا كَانَ جوفُ الليل حملتني عيناي، فإذا بقائل يقول: يَا مُحَمَّدُ: أرَدنا بك الإيثار الذي قد اختصَصْنَا بِهِ مُحَمَّداً مِنْ بين الأنبيَاءِ وَالرسُلِ عليهم السلام فهي عَلاَمَتُهُ وَكَرامتهُ وَكَرَامَةُ أمتهِ من بعدهِ إلى يَومِ القيَامَةِ.

قَالَ: فلما بلغت نَوْبَتِي وَكَانَ الأمر على هذه الصورة، قَالاَ لِي: يا مُسلم مَا هَذَا، مَا بالُنَا نَرَى طَعَامك نَاقصاً؟ قلتُ: أو لا تعلمانِ مَا هَذَا؟ قَالاَ: لاَ، قلتُ: هذا خُلُقٌ خص الله تعالى بهِ نبينَا محمداً ﷺ، وخص به أمتهُ، إن الله تَعَالى يريْدُ بِي الإيثارَ، وَقَد آثرتُكُمَا، قَالَ: فَقَالاَ: نشهد أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله، وَأنَّ محمداً رَسُوْلُ اللَّهِ، لقد صَدَقت فِي قولك، هذا خُلُقٌ نجده فِي كتبنَا خصَ الله عز وجل بهِ محمداً ﷺ وَأمته، فأسلمَا، فقلتُ لَهُمَا: هَلْ لَكُمَا فِي الجمعَةِ والجَمَاعَةِ؟ فقالا: ذَاكَ الوَاجِبُ؟ قلتُ: نَعَمْ، قال: فسألا الله تَعَالى أن يخرجنا مِنَ التيهِ إلى أقرب الأمَاكِنِ من الشَامِ، قَال: فبينا نحن نَسِيْرُ إذ نحن قد أشرفْنَا على بُويتاتِ بيتِ المقدسِ.

وَعَنْ سهل بن عبد اللَّهِ قَالَ: قَالَ مُوْسَىٰ بن عِمْرَانَ عليهِ السَّلاَمُ: «يَا رَبِّ أرني بعضَ دَرَجَاتِ محمدٍ ﷺ وَأمته، قالَ: يَا مُوْسَى، إنك لن تطيق ذلك، أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بِهَا عليك وَعَلى جميع خلقي، قَالَ: فكشفَ لَهُ عن ملكوتِ السَّمَاءِ، فنظر إلى منزلةٍ فَكَادَتْ نفسهُ تتلف من أنوارهَا وقربهَا من الله عز وجل. قَال: يَا رَبِّ، بِمَاذَا بَلَغْتَ بِهِمْ هذهِ النَزَاهَةِ؟ قَالَ: بخلق اختصصتهم بِهِ مِنْ بين خلقي وَهُوَ الإيثارُ، يَا مُوْسَى، لا يأتيني أحد مِنْهُمْ قَدْ عَمل بِهِ وقتاً مِنْ عُمْرِهِ إلا استحييت مِنْ مُحَاسَبَتِهِ، وَثوابُهُ مِنْ جنّتي حيث يَشَاء.

وَعَنْ بعض الصوفية قَالَ: كنا بطرسوس فاجتمعنا جَمَاعَةً وَخَرَجْنَا إلى بَابِ الجِهَادِ، فتبعنا كلبٌ مِنَ البلد فلما بلغنا بَابَ الجهادِ إذا نحن بدابةٍ ميتةٍ فصعدنا إلى موضعٍ خَالٍ

وَقَعَدنا، فلما نظرَ الكلبُ إلى الميتة رَجَعَ إلى البلدِ، وَبقينا سَاعَة أو سَاعتين وَإذَا بذلك الكلب وَمعه مقدار عشرين كلباً، فَجَاء إلى تلك الميتةِ، وَقعد نَاحِيَةً وَوقعت الكِلاَبُ على تلك الميتةِ فَمَا زَالَتْ تأكل تيك وَذلك الكلبُ قَاعِدٌ ينظرُ إليهَا حتى أكلتِ الميتة كلها، وَبَقِي العظام وَرَجَعَتِ الكِلاَبُ إلى البلد، فتقدمَ ذَلكَ الكلبُ إلى تيك العظام فأكل مِما بقي على تلك العظامِ قليلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ.

وَيُرْوَى عَنْ عَاصِم، عَنْ أبِي وَائل، عَنْ عبد اللَّهِ قَالَ: «كَانَ فيمن كَانَ قبلكم رَجل عَبَد الله سبحانَهُ سبعين عَامَاً، فَأَصَابَ خَطِيئةً، فأحبطَتْ خطيئته عِبَادَةَ سبعين عَامَاً، فأقعد من رجليهِ، فَخَرَجَ ذَاتَ ليلةٍ فقعد مَعَ قوم مَسَاكِين، وَكَانَ يأتيهم رَجُلٌ بخبز معدودٍ، فيعطي كل رَجل رَغيفاً، فَجَاء تلك الليلة فأعطاهُ فيمن أعطَى، وترك رَجُلاً مِمن كَانَ يعطِي، فقالَ لَهُ الرَّجُل: يَا عبد اللَّهِ، مَا منعك أنْ تعطيني كَمَا كُنتَ تُعْطِيني، فغضب وَقَالَ: جئت بخبز مَعْدُودٍ وَأَنْتُمْ عدة معلومَةٌ، فَأعْطيتُ كُلَ رَجُل رَغِيفاً وَأنت تقولُ لِمَ لَمْ تعطيني، وَالله لاَ أدْفَع لَكَ الليلة شيئاً، فتركَهُ وَذَهَبَ، فعمد الرجل إلى الرغيفِ الذي أعطيهِ فأعطَاهُ الرجل، فقبل الله تَعَالى منه عبادَةَ سبعين سَنة، وغفر له خطيئته، وَأقامَهُ على رِجليهِ، وَمَاتَ فأدخلَهُ الجنَّةَ».

وَاجتمع إبْرَاهيم بن أدهم، وشقيق البلخي في بلد من البلدان، فقال شقيق لإبراهيم: كيف تعملون أنتم؟ قال: فيماذا؟ قال: في التوكل، قال: إن أعطينا شكرنا، وإن منعنا صبرنا، فقال شقيق: كذا عندنا الكلاب ببلخ أن أطعمت بصبصت وَإنْ زُجِرَتْ انزجرتْ وَصَبرتْ فقال إبْرَاهيم: فكيف تعملون أنتم؟ قَالَ: إن أعطينا آثرنَا، وَإنْ منعنا شكرنا فَقَامَ إبراهيم وقبل رَأْسَهُ، وَقَالَ: أنت الأستاذُ.

ولمهدي بن سابق:

دردا[1] الشبابِ كيف تولَّي ... وَلثوبِ المشيب أيُ لِبَاسِ
جُودُ الجوادِ مِنْ فضلِ مَالٍ ... إنما الجود للمُقِلِّ المواسي

وَقَالَ آخر:

لَيْسَ العَطَاء مِنَ الفضولِ سَمَاحَةً ... حتى تَجُودَ وَمَا لَدَيك قَلِيلُ

---

(١) دردا: فارسية بمعنى آه، أسفاً، واحسرتاه فيكون البيت آه على الشباب كيف تولى... الخ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الضيافة

أَخْبرَنَا أبو سعدٍ، حَدثنَا الشيخ أبُو بَكْرٍ محمدُ بن علي بن إسْمَاعِيْلَ القفالُ، قَالَ: حدثنَا أبُو عروبَةَ الحَرَاني، قَالَ: حَدَثنَا إسماعيل بن يعقوب، قَالَ: حدثنا محمد بنِ أبي بَكْرٍ، قَالَ: حدثنا يزيد بن زُرَيعْ، قَالَ: حدثنا يونس، عن الحسنِ، عن أبي هريرة، عَن النَّبي ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاَللهِ وَاليومِ الآخرِ فليكرِم ضيفه، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخر فليقل خيراً أوَ لِيسكُتْ»(1).

وَقَالَ عَاصِمُ بنُ ضمرة: دَخَلْتُ على أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالبِ عليهِ السلام وَهُوَ يبكي، فقلتُ: مَا يبكيك يَا أمير المؤمنين؟ قَالَ: «أصابتني مُصيبةٌ، لم يَأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن الربَ جل جَلاَلُهُ قَدْ أهانَني».

وعن ابن عَطَاء قَال: اتخذ رَجل ضيافة فَأوْقد فيها ألف سِرَاجٍ فقيل لَهُ: أسرفْتَ، فقال: كُل سِرَاجٍ وجدته لغير الله عز وّجل فأطفئه.

وَكَانَ الحسن البصْرِيُ لا يأذن لأحدٍ أن يكون عندهُ طَعَام، فَإِذَا لَمْ يكن عنده طعَام خرجَ إليهم.

وَعَنْ شوذبِ بن مَطر قَالَ: كنت فيمن أخرجَ مِنَ البَصْرةِ إلى وَاسط أيام الحَجَّاج، فجعلت فيمن يقطع القثاء للضيوف في مطبخ قيس بن عاصِمْ، وَكَانَ قيس يُطْعِم فِي كُل ليلةٍ مِنْ شهر رَمضان على ألفِ مَائدةٍ.

وَقَالَ علي بن أبي طَالب: «لأن أجمع نفراً مِنْ إخواني على صَاعٍ أو صَاعين مِنْ طعامٍ، أحَبُ إليّ مِنْ أن أخرج إلى سُوقكُمْ هذِهِ فأعتق نسمَة».

وَقَالَ أنسُ بن مَالكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: «زَكَاةُ الدارِ أن يتخذ فيها بيت للضِيافَةِ».

وَقال أيضاً: «كُل بيتٍ لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة».

وَقال ابن عَطَاءِ: «كَانَ إبراهيمُ عليهِ السلامُ يُكنَى أبا الضيفانِ وَكَانَ إذَا أرَادَ الأكل خَرَجَ مِيْلاً أو ميلين يلتمِسُ مَنْ يتغدى مَعَهُ».

---

(1) حديث: من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت.

رواه الشيخان والإمام أحمد والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه، (الجامع الصغير ٢/ ٥٥١ الحديث رقم ٨٩٧٩).

وَسُئِل الأوزاعي مَا كَرَامَةُ الضيف؟ قَالَ: طَلاقَةُ الوَجْهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قولهِ عَزَ وَجل: ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] قَالَ: قيامُهُ عليهم بنفسِهِ.

وَقَالَ إبراهيم بن الجنيد: كَانَ يُقَالُ: أربع لا ينبغي للشريفِ أن يَأْنَفَ مِنْهُنَّ وَإنْ كَانَ أميراً؛ قيامُهُ مِنْ مجلسِهِ لأبيهِ، وخدمته لضيفهِ، وَخدمته للعَالِمِ يتعلم منه، وَالسؤالُ عما لا يعلم مِمّن هُوَ أعلم.

وَقَالَ عمر بن عبد العزيز رَضِيَ الله عَنْهُ: «لَيْسَ مِنْ مُرُوءةِ الرَّجُلِ أنْ يستعمل ضيفَهُ».

وَدَعَا بَكْرُ بن عبدِ اللَّهِ المُزَني نفراً مِنَ القُراءِ فعشاهُمْ وَطيبهُمْ وَأَمَرَ لَهُمْ بِمَائتي دِرْهَم، فَلَمّا خَرَجُوا قَالَ لحميدِ الطويْل: يَا أَبَا عَبْدَةَ، أتراني قضيت لهم حق الإجابة؟ فَقَالَ: إن حق الإجَابَةِ أعظم مِنْ ذلك، وَقَدْ بلغتُ منه مبلغاً.

وَقَالَ حَاتِم: وَاجبٌ على الضيفِ ثلاثة أشياءَ، وعلى المضيف ثلاثة أشياء؛ فأمّا على المضيفِ فأنْ يطعمه الحلاَلَ، ويحفَظَ عليهِ مَواقيت الصلاةِ، وَلاَ يَحْبِسَ عَنْهُ مَا قدر عليهِ من الطعَامِ، وَعَلى الضيفِ أن يجلس حيث يُجْلَسُ، وَيَرْضى بِمَا قدمَ، ولا يخرجَ حتى يَسْتَأذِنَ.

وَقَالَ أسماء بن خَارِجَةَ: مَا صنعت طعاماً فدعوت إليهِ نفراً، إلا كَانُوا أمنّ عليّ مني عليهِمْ.

وَقَالَ أبو سعيدٍ المقبريُ: مِفْتَاحُ المحبةِ لله عز وجل معرفة المنةِ مِنَ الله تَعَالى، وَمفتاحُ التوبةِ مجلسُ الموعظةِ، وَمفتاحُ السخاء حب الضِيَافَةِ.

وَعَنْ ابنِ عباسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي قولهِ عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] قالَ: كَانُوا يتحرَجُون وَيأنَفُونَ أن يأكُلَ الرجل الطعامَ وَحْدَهُ حتى يَكُون معه غيره، رَخَصَ الله تعالى لَهُمْ، فقالَ: ﴿ليسَ عليكم جناح﴾ الآية.

وَعَنْ أبي عبدِ اللَّهِ الْفَارِسِي قَالَ قَالَ أمير المؤمنين علي بنُ أبي طالبِ عليهِ السلام لرجل أضافه: «أجيبك بشرائطَ أربع؛ إحداهن: أن لا تقرض ولا تستقرض لأجلي، وَالثانيَةُ: أن لا تدخر عني شَيئاً، والثالثة: أن تقدم إلى العيال مثل ما تقدم إليّ، والرابعة: أن لا تمنعني مِنَ الصلاةِ.

فَإِذَا عملت مَعِي هذه الأربع عملتُ معك أربعاً. أَوَلاَ تسألني عنْ علم ذلك؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: لأن مَنْ تكلفَ للضيفِ أبغضَهُ، والله تعالى يبغضُ مَنْ يبغض الضيف، وَمَنْ بخل على الضيف أبغضَهُ الله تَعَالَى، وَمَنْ ظلَمَ أهْلَهُ أبغضه الله تَعَالى، وَأنَا لا أكون ضيفاً للظَالِمِ،

وَمَنْ منعَ مِنَ الصلاةِ فَهُوَ عَاصِي للَّهِ عز وجل، وأَنَا لاَ أكونَ ضَيْفَ مَنْ يعصي الله عزَ وَجَل.

وَأَمَا الأربَعُ التي أعاملك بِهَا، فَإِذَا دَخلتُ منزلك حفظتُ حُرْمَةَ منزلك وَحُرْمَتك، وَإِذَا خرجتُ لَمْ أهتك سِترك، وَمَا دَامَ طعَامُك فِي بطني لاَ أعْصِي الله تَعَالى، وإنْ كَانَ لِي فِي القيامةِ وَجه لم أدْخل الجنة دُونك».

وَعَنْ أبي بَكْرِ بن عياشٍ قَالَ: سئل حَاتم الطائيُ: هَلْ فِي العربِ أجود منك؟ قَالَ: كلُ العرب أجودُ مني، ثم قالَ: نزلتُ على غلامٍ مِنَ العربِ يتيم ذَاتَ ليلةٍ، وَكَانَتْ له مائة شاةٍ فذبحَ مِنْهَا شاةً وَأتَاني بِهَا فلما قرب إليّ مددت يَدِي إلى مخ العظامِ، فقلتُ: مَا أطيب هَذا فوثب الغُلاَمُ فَمَا زَال يأتيني به حتى قلتُ: اكتفيتُ فنظرتُ فإِذَا هُوَ قد ذبح مائة شاةٍ، وَأتاني بمخهن، وَبقي بلا شيء، فقيلَ لَهُ: مَاذا صنعت بِهِ؟ قَالَ: ومتى أبلغ شكره ولو صنعت بهِ مَا صنعت، ثم قال: أعطيته مائة نَاقةٍ مِنُ خِيَارِ الإبل.

وَكَانَ عبد الله بن عامر بن كريزٍ مِنْ أجودِ الناسِ وَأطعمهم للطعَام، وَكَان إذَا حضر غَداؤه دَخل عليه طباخُهُ، فيقولُ الطباخُ: عندي لون كذا وطعام كذا لِيَتَشَهَّىٰ كُل إنسانٍ شهوته، فَإِذَا وَضِعت المائدةُ وَلَمْ يرَ مِنَ القومِ جداً فِي الأكل أَكَلَ أَكْلَ الجائع ترغيباً لَهُمْ فِي الأكْلِ.

وَقَال بَعْضُهُمْ فِي مِثْلِهِ:

وَإِذَا بَسَطتُ الكفَ فيهِ تَأنُساً ... لِتأكُل أضيَافِي وَمَا بِي مِنْ أكْلِ
وَزَادٍ أكلنَاه فلم ننتظِرْ بِهِ غداً ... ألا إن سُوء الظن مِنْ أبخل البُخْلِ

وَعَنْ سعيد بن المسيبِ رَحمَهُ الله قَالَ: كَانَ إبراهيم خليل الله أول مَنْ أضَافَ الضيف، وَأول من اختتنَ، وأولُ مَنْ قَصّ شَاربه، وَأول من استحد وَقلم أظفاره، وَأول مَنْ رَأى الشيب فقَال: «مَا هَذَا يَا رَب؟ قَالَ: وقار، قَالَ: رَبِّ زِدْنِي وَقاراً».

وقدم على عبد الله بن عَامرٍ ضيف، فأضَافه أياماً، فلما ارتحل لم تعنه غلمان على الرحلةِ، فلمَا وَدعه قَالَ: مَا أنبلك لولا سُوء أدب غلمانِكَ، قَالَ: وَمَا أنْكَرتَ منهم، قَالَ: لَمْ يعينونَنا على شَدِ الأثْقَالِ، فضحك عبد اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: إنَا لا نعين الضيف على الارتحالِ عنا، فعجب الضيف مِنْ كَرَمِهِ.

وَقَال بَعْضُهُمْ:

وَلاَ أقولُ لضيفي حين يطرقني ... مَنْ أنت أم كَمْ تريدُ المكث يَا رَجُل
أُقْرِيهِ مَالي وبشري مَا أقَامَ بِنَا ... وَالدمع يجري مَا أقَامَ بِه الرحلُ

الـــرزقُ يـــبـــلـــغـــه والـــجـــودُ لِـــي شـــرفٌ وَالـــمـــالُ يـــفـــنـــى وشـــر الـــشـــيـــمـــة الـــبُـــخـــلُ

وَأوصَى عَبْدُ الله بن طَاهرٍ[1] بنيه فَقَالَ: يَا بني، إِذَا مَا أَبُوكُمْ عاقَهُ عائق عَنْ تفقد الأضياف فاكفلوهم ولو بِرُوحِ أبيكُمْ.

وأنشأ يقول:

لـــج الـــزمَـــانُ عـــلـــيّ فـــي تـــضـــيـــيـــقـــهِ كـــيـــمـــا إلـــيّ يـــحـــبـــب الأمْـــوَالاَ
وَعَـــلـــيَّ إثـــم الـــشـــركِ إن أنـــا شـــئـــتـــهـــا إلاّ لأنـــفـــق يـــمـــنـــة وشِـــمـــالاَ

وَحُكِيَ أن رَجَاء بن حيوة[2] عَاتب الزهري فِي كثرة الإسراف، فوعده أن يقصر عنه، فمر بِهِ رَجَاء بالغد والزهري قَدْ وَضع موائداً مِنَ العسلِ، فقال لَهُ يا أبا بكر، هذا الذي افترقنا عليه بالأمس؟ فقال له الزهري: انزل فإن السّخي لاَ تُؤذيهِ التجَارِبُ.

وَقَالَ الأصْمَعِيُ: دَخلت البادِية، فبينَا أنا أسيرُ فِي ليلةٍ بَارِدَةٍ، فَإِذَا بخيمة فيها فتىً وَعَلَى رَأسِهِ غلامٌ، وَالفتى ينشد:

أوقِـــد فـــإنَّ الـــلـــيـــلَ لَـــيـــلٌ قـــرٌّ وَالـــريـــحُ يَـــا وَاقـــدُ ريـــحٌ صُـــرٌّ[3]
عَـــسَـــى يَـــرَى نَـــارَكَ مَـــنْ يَـــمُـــرّ إنْ جَـــلـــبـــت ضَـــيْـــفَـــاً فَـــأنْـــتَ حِـــرُ

قَالَ: فتقدمْتُ إلى بَابِ الخيمةِ، فردَ عليّ السلام وَقَال: ادخل يَا مُبَارك علينَا وَعلى رَفيقنا، فَإِذَا فتىً مَا رَأيتُ مثله قط فِي حسن وَجهِهِ وَكَمَالِ عقله، وَكنت عنده ثلاثة أيام لَمْ يَسْألني عَنْ شيءٍ، وَكَانَ كُل يَومٍ يزدَاد بِراً وَكرَمَاً فلما كَانَ اليوم الثالثُ قَالَ: يَا ضيفُ ما قصتك؟ فطمعت فيهِ لكرمِهِ، فقلتُ: أيدك اللّهُ، إنَّ علي دِياتٌ وَهربت مِنَ البصرة، فقالَ: يَا غُلاَمُ اجمع المواشي، فجمع مَا كَانَ للفتى مِنَ المواشي، فقالَ: يَا ضيف لستُ أعلم مبلغ دِيَاتك، وَلَيْسَ لِي شيء سِوَى هَذَا، وَقَدْ جعلته معك نصفين!! فَانْصَرَفْتُ إلى البصرةِ، فلم أرَ أحداً أكرَمَ مِنْهُ.

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الأمير العادل أبو العباس حكم خراسان، قلّده المأمون مصر وإفريقية ثم خراسان وكان ملكاً مطاعاً سائساً مهيباً جواداً قيل إنه وقّع مرة على رقاع بِصِلاتٍ، فبلغت ألفي ألف وسبعمائة ألف. مات سنة ٢٣٠ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٨٤) تاريخ بغداد ٩/ ٤٨٣).

(٢) الإمام القدوة الوزير العادل الفقيه رجاء بن حيوة، من جلة التابعين، كان عالماً فاضلاً ثقة كثير العلم، وكان سيد أهل الشام في أنفسهم مات سنة ١١٢ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٤/٥٥٧، حلية الأولياء ٥/١٧٠، شذرات الذهب ١/١٤٥).

(٣) الريح الصّرّ: الشديدة البرد.

وَكَانَ دَاود عليهِ السلامُ يَرْفعُ فِي كُلِ يَوم دِرْعَاً فيبيعَهُ بستةِ آلافِ، فَألفَانِ لَهُ وَلأهلِهِ، وَأربعة ألاف يطعمُ بني إسرائيل الخبز الحواري[1]، وَكَانَ يَأكُل خبز الشعير.

وَقَصَدَ أعرابيٌ خَالِدَ بن يزيد الشيبَانِي[2]، فضافه ثلاثة أيام، فلما كَانَ اليوم الرابع شد على رَاحلتهِ رَحَلَة، ثُمَّ قال: أيها الأميرُ، الضيافةُ ثلاث، ثم السُؤالُ، قَالَ: سَل مَا بَدَا لَكَ. قَال: دِيةٌ لِزَمتني فقصَدْتُ الأميرَ فيهَا، قَالَ: بِمَاذَا قَصَدتنِي لقَرَابَةِ قريبةٍ، أوْ لمعرفةِ قديمَةٍ؟ قَالَ: بِأبيَاتِ قلتها، قَالَ: هَاتِ، فأنشأ يقول:

سَألتُ الندى والجودَ حُرَانِ أنْتُمَا ... فَرَدًا وَقَالاَ إننا لعبيدُ
فَقُلْتُ: وَمَنْ مَوْلاَكُمَا؟ فَتَطَاوَلاَ ... عليّ وَقَالاَ: خَالِدُ بنُ يَزِيدُ

قَالَ: صَدَقْتَ، يَا غُلاَمُ أعْطِهْ مَائة ألف دِرْهَمٍ، ثُمَّ قَالَ: زِدْنَا يَا فتى نَزدك، فأنشأ يقُولُ:

تَسَرعْتَني بالجودِ حتى بَهَرْتَنِي ... وَأعطيتني حتى حسبتُك تلعَبُ
فأنت الندى وابن الندى وأخُو الندى ... حليف الندى مَا للندى عنك مذهَبُ

فَقَالَ: صَدَقْتَ، يَا غلامُ أعطه مائة ألفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ قَالَ زِدْنَا حَتَّى نزيدُكَ.

فأنشأ يقول:

كَرِيمٌ كَرِيمُ الأمهاتِ مهذبٌ ... تُدَفِّقُ كفاهُ النَدَى وأنَامِلُهْ
تَعَوَّد بسْطَ الكفِ حتى لو انَّهُ ... ثَنَاهَا لِعَقْدِ لَمْ تُجبهُ مفاصِلُهْ
هُوَ البحر مِنْ أي النواحي أتيتَه ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ وَالجودُ سَاحله
وَلَو لَمْ يَكُنْ فِي كفه غير نفسِهِ ... لجاد بِهَا فليتَق اللَّهَ سَائِلُهْ

فقالَ: أحسنتَ، يَا غُلاَمُ أعْطِهِ مَائَةَ ألفِ دِرْهَم، ثم قَالَ: زِدْنَا نزدك، قَالَ: حسبي مَا أخذتُ وحَسبك مَا سمعتَ، قَالَ: وَلم يَا أعْرَابِي، قَالَ: بُقْيَا على مَالِ الأميرِ، وَكثرة مَنْ يقصدهُ مِنْ أمْثَالِي.

---

(١) الحُوَّارَيّ: بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء: الدقيق الأبيض وهو لُباب الدقيق وكل ما حُوِّر أي: بُيّض من طعام (القاموس مادة ح د ر).

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الإمام البارع القرشي الأموي الدمشقي أخو الخليفة معاوية، كان موصوفاً بالعلم وقول الشعر، وكان هو وأخوه من صالحي القوم. قيل له: ما أقرب شيء؟ قال: الأجل. قيل: فما أبعد شيء؟ قال: الأمل. قيل: فما أرجى شيء؟ قال العمل. توفي سنة ٨٥ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٢، تهذيب التهذيب ٣/١٢٨).

وَقَالَ أبو العباس أحمد بن مسروقٍ الطوسي: قَالَ لِي محمَّد بن مَنْصورٍ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أقم عندنَا ثَلاَثَاً، فإِنْ زِدْتَ على ثلاثٍ فهو صَدَقة منك علينا، لا مِنّا عليك.

وَعَنْ بعضهم قَالَ: العيادَة لحظَةٌ، والزِيَارَة سَاعَةٌ، والضِيَافَةُ أكْلَةٌ، ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

وَرُوِيَ أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «إن الضيف إذَا جَاءَ جَاء بِرزقِهِ. فإذَا ارتحل ارتحل بذنوبِ القوم»(١) .

وَكَانَ أبو علي الرُوذبَاري اتخذ مرةً أحمالاً مِنَ السكَّرِ الأبيضِ وَدَعَا جَمَاعَةً من الحلوانيين حتى اتخذُوا مِنْ ذلك السُكر جِدَاراً عليهِ شرافَاتٌ وَمحاريب على أعمدة منقوشة كُلهَا مِنْ سُكرٍ، ثُمَّ دَعَا الصوفيةَ حتى هَدَمُوهَا وَكَسَرُوْهَا وانتهَبُوهَا.

قَالَ شيخ مِنْ بني بكرِ بنِ كَلاَب: خرج عبد اللَّهِ بن جعفر إلى الشام، فألجأه المطر إلى أبياتٍ، فإذَا هُوَ بقبةٍ خَضْرَاء بفنائها رَجُلٌ يقولُ: إليَّ، قَالَ عبد الله: فدخلنَا القبة، ثم أتَانَا بِجَزُورٍ فَنحرهَا فبتنَا فِي شِوَاء وقديدٍ، وتحدث معنا حتى ذَهَبَ مِنَ الليل هُوى، ثم انْصَرفَ، فلما أصبحنا وَقف على القبة وَسلم وَسأل عَنْ مبيتِنا، ثم انصرفَ وَأتَانَا بجزورٍ آخر فنحرها فقلتُ لَهُ: رَحِمَكَ الله، مَا تريْدُ مِنْ هذا؟ قَالَ: كُلُوا رَحمكُمُ الله، فإنّا لا نطعم الضيف لحماً غِباً. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَدَعوتُ بثوبٍ وَجعلتُ فيهِ رُغفاناً، وَصَرَرتُ فِي كُل طرفٍ منه مائة دِينارٍ، ثم بعثتُ بِهَا إلى أهله، فقالوا: لاَ نجسرُ على أخذهِ إلا بإذنِهِ، فَسألتُهُ أن يقبلهُ مني، فأبى، فلما ارتحلنا وَوَدَّعته وَمَضى، انثنيتُ عليهِ فألقيتُ الثوبَ بين البيوت، فإنا نَسِيرَ إذْ لحقنَا هُو عَلَى فرسٍ مُسْرِعاً قد احمرت حَدَقَتَاهُ والثوب بين يديهِ، فصاحَ بنا: خُذُوا هَذَا مني، ونبذ الثوبَ إلينا وَوَلى وَهُوَ يقولُ:

وَإِذَا أخذت ثوابَ ما أعطيتهُ ... فكفى بذاك لنائلٍ تَكْديراً

وأنشد الترقفي:

الضيف أملك مِنّا فِي منازِلنا ... للنفس وَالمالِ ثم المنُ للضيف

إني وَقومِيَ في أنْسَاب قومهم ... كمسجد الخيف في بحبوحةِ الخيف

مَا قلد السيف مِنّا ابن عاشرةَ ... إلا وَهمته أمضى من السيف

---

(١) حديث (الضيف يأتي برزقه ويرتحل بذنوب القوم يمحص عنهم ذنوبهم) رواه ابن أبي شيبة عن أبي الدرداء وفي رواية: (إذا دخل الضيف على قوم دخل برزقه وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم) رواه الديلمي بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً (كشف الخفاء ١/ ٨٨، ٢/ ٣٦)، الكنز ٩/ ٢٤٢).

بَابٌ فِي الكسبِ وَذِكْر الاخْتِلاَفِ فِيْهِ بَيْنَ أهْلِ العِرَاقِ وأهْلِ خراسان

قالَ أبو سعدٍ رحمَهُ الله: اختلفوا في تفضِيل الكسب على تركهِ، ففضلَهُ أهل خُرَاسَانَ واستحب أهْلُ العراقِ تركَهُ.

فأما طريقة تفضيله فقد أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الصفار الهرويُ، قَالَ: حدثنا أبُو الفضل الشهيد، قال: حدثني أحمد بن محمد بن أحمد المقري، قَالَ: حدثنا نصر بن حريش، قَالَ: حدثنا دَاود بن سليمان، عَنْ إسماعيل بن يحيى التيمي، عَنْ مسعر، عن عطية، عَنْ أبي سعيد الخدري عَنْ النَّبي ﷺ قَالَ: «أفضل الأعمالِ الكسبُ مِنَ الحَلاَلِ»[1].

وَعَنْ البراء بن عَازب قَالَ: سُئل النَّبيُ ﷺ أي كسبٍ أطيبُ؟ فقالَ: «عمل الرَّجُلِ بيدِهِ، وَكُل بيع مبرورٍ»[2].

وَعَنْ أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الدُّنيا حَلالاً استعفافاً عَنِ المسألةِ، وَسعياً على أهلهِ، وتعطفاً على جَارِهِ بَعَثَهُ الله تَعَالى وَوَجهه مثل القمر ليلة البدر»[3].

وَحَكى عبد الله بن منازل عن أستاذه أبي صَالِحٍ، قَالَ: إن جلوسَنَا هَذَا يغني عن الكسب الحَاف بالمسألة.

وَعَنْ أبي صَالِحٍ أيضاً قَالَ: إذَا أصبحتم فأصبِحُوا مُفَوضينَ، وَفِي تفويضكُمْ مُكتسبين.

وَحُكي عن عبد الله بن منازل، عَنْ بعض السلفِ أنَّهُ قَالَ: لا خير فِي إنسانٍ لا يذوق المكَاسِبَ.

وَقَالَ سهل بن عبد الله: مَنْ طعن على الاكتسابِ فقد طعن على السنةِ، وَمَن طعن على السنة فقد طعن على الإيمان.

---

(١) حديث (أفضل الأعمال الكسب الحلال) رواه ابن لال عن أبي سعيد الخدري، ورمز السيوطي لضعفه (الجامع الصغير ١/ ١٦٠ الحديث رقم ١٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن عساكر عن ابن عمر، والطبراني عن رافع بن خديج بلفظ (أي الكسب أفضل؟ قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) ـ الكنز (٩/ ١٢، ١٢٤).

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه أبو الشيخ في الثواب، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ١٤٥٤).

وَحكي عن إبراهيم بن أدهم أنه كَانَ يقولُ: عليك بِعَملِ الأبطالِ؛ الكسبُ مِنَ الحَلاَلِ، والنفقَةُ على العيالِ.

وَقَال محمد بن الحسين: سمعتُ أن جيرَان أويس القرنى ظَنُوا أَنَّهُ مجنونٌ، فَبَنُوا لَهُ بيتاً على بَابِ دَارِهِ، فَكَانَ يَأتِي عليهِ السنَةُ والسنتان لا يَرَون لَهُ وَجْهاً، وَكَانَ طَعَامُهُ مما يلقط من النوى، فإذا أمسْى بَاعَهُ، وَإن أصَابَ حشفةً حبسَهَا لإفطارهِ.

وَقَالَ عبد اللّهِ بن منازل: اعلم أن مَكَاسبك لا تمنعك مِنَ التفويض فِي التوكُل، إذا لم تصنع هذين الأمرين في كسبك النيةُ والإخْلاَص.

وَكَانَ أَبُو القَاسِم المنادِي يخرجُ مِنْ منزلِهِ كُل يَوْمٍ، فَإذَا وَقع فِي يدهِ مقدارُ دَانقين يرجع مِنَ الطريقِ إلى منزلِهِ أي وقت كَانَ.

وَحُكِي أنه كَانَ بدمشق أسودٌ يصحبُ الصُوْفِيَة، وَكَانَ يمر فِي كُل يوم يَدُقُ الجصَ بثلاثة دَرَاهِمَ، وَلاَ يأكُلُ إلاَّ فِي ثلاثةِ أيام، فَإذَا أخذ الأجرة اشترى بِهَا طَعَاماً وَجَاء بِهِ إلى أصحابِهِ فَأكَلَ معهم أكلةً، وَرَجَعَ إلى عملهِ.

وَسَأل رَجلٌ إبراهيم بن سَالم بالبصْرَةِ وَكَانَ يتكَلَمُ فِي فضل المكاسِبِ، فقال: أيُها الناسُ، نحن متعبدون بالكَسْبِ أو بالتوكُل؟ فقالَ ابن سَالم: التَوكُلُ حَالُ النَّبِي ﷺ، وَالكَسْبُ سُنته، وإنما سن لَهُمَ الْكَسْبَ لعلمه بضعفهم، حتى إذَا سقطوا عَنْ دَرَجةِ التوكُلِ الذِي هُوَ حَاله، لم يسقطُوا عَنْ دَرَجَةِ طلبِ المعَاشِ بالمكَاسِبِ التي هِي سُنَتُهُ، وَلَوْلاَ ذلك لَهلكُوا.

وَعَنْ الأعمش، عن إبراهيم قَالَ: كَانُوا يَرَون العَامِلَ بيدِهِ أفضل من التاجِرِ، وَالتاجرَ أفضل مِن الجالِسِ.

وَعَنِ ابن مسعودٍ: قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنّ طلبَ الكسبِ الحلال فريضةٌ بعد الفريضةِ»(١).

وَعَنِ المقدامِ بن معد يكربِ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَا أكل أحَدٌ طَعَاماً قَطُ خير مِنْ أن يأكُلَ مِنْ عمل يديهِ، وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده»(٢).

وَعَنْ أنسِ بن مالكٍ، أن رَجُلاً مِنَ الأنصَارِ أتى النَّبِي ﷺ فقالَ: يَا رَسولَ اللّهِ جئتك

---

(١) حديث (طلب الحلال فريضة بعد الفريضة) رواه الطبراني عن ابن مسعود ورمز السيوطي لضعفه. (الجامع الصغير ٢/٩٨ الحديث ٥٢٧١).

(٢) رواه البخاري والإمام أحمد عن المقدام (الجامع الصغير ٢/٤١٨ الحديث ٧٨٣٣).

مِنْ أهل بيتي وَلاَ أرجعُ إليهم إلا وَقَد هلكُوا أو يهلك بعضهم، فقال النَّبي ﷺ: «وَمَا يهلككم [أو يهلكهم]» قَالَ: الجوعُ، فقالَ النَّبي ﷺ: «أمَا عندك شيء» فقالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ، إلاّ حلس[١] يلبسون بعضه ويفترشون بعضه، وَقدحٌ يشربُون فيهِ الماء، قالَ: «فأتني بِهِمَا» قَالَ: فجاء بِهِمَا، فقالَ رَسُولَ الله ﷺ: «مَنْ يشتري هَذَا الحلسَ وَهَذا القدحَ؟» فقالَ رَجُلٌ: آخذُهُمَا بدرهم يَا رَسُول اللَّهِ، فقال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ يزيد» فقالَ رَجُلٌ: عليّ دِرْهَمَانِ، قَالَ: «فَهُمَا لَك»، قالَ: فدفعهما إلى الأنْصَارِي، فقال: «انطلقْ وابتع بِأحَدِهِمَا طعاماً لأهلك، وابتع بالآخَرِ فأساً فأتني بهِ» ففعَل، قالَ: فأخذَهُ رَسولُ الله ﷺ فجعل له مقبضاً بيدهِ وقال: «انطلق فاحتطِبْ، ثم احزمْهُ فَأتِ بِهِ السُوْقَ، فَبِعْهُ، وَلاَ تأتني خمسة عشرَ يوماً» قال: ففعلَ، فَأصَابَ في تلكِ الأيَام عشرة دَرَاهِمَ، قَالَ: فَكَسَا أهلَهُ بخمسَةٍ وأطعمهم بِخَمْسَةٍ، فقال رَسُولُ الله ﷺ «ذلك خَيْرٌ مِنْ أن تأتني يَومَ القِيَامَةِ وَفِي وجهك نُكَتُ المسألة».

وَعَنِ ابن عَمَر، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «إن الله يحب المؤمن المحترف»[٢].

آخر الجزء السَّادِس والحمد لله رب العالمين

يتلوهُ إن شاء الله تَعَالى الجزءُ السابع والحمد لله وَحدَهُ

وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه

(١) الحِلس في الأصل كساء على ظهر البعير تحت البرذعة، ويبسط في البيت تحت حُرِّ الثياب (القاموس مادة ح ل س).

(٢) قال الحافظ العراقي: رواه الطبراني وابن عدي من حديث ابن عمر وضعَّفه، وكذا رواه الحكيم الترمذي والبيهقي.

الجزء السابع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ أبُو سَعْدٍ عَبْدُ الملكِ بنُ أبي عثمان الوَاعِظُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَرُوِي عَنْ عَائشة رَضِيَ الله عَنْهَا أنَّهَا قَالَتْ: إن رَسول الله ﷺ قَالَ: «إنّ أطيبَ مَا أكَل الرجل مِنْ كسْبِهِ، وَإن وَلده مِنْ كَسْبِهِ»(١).

وَعَنْ مُجاهِدٍ قَالَ: كسب الحَلاَلِ جِهَادٌ.

وَعَنْ أنسٍ قَالَ: جعلتِ العبادةُ عشرة أجزاءٍ، فتسعة منها كسبُ الحلالِ(٢).

وَقَالَ يوسف بن أسباطٍ: الصلاَةُ فِي جَمَاعةٍ لَيْسَتْ بمفروْضَةٍ عليك، وَطلبُ الحَلالِ فريضَةٌ عليك.

وَعَنْ عيينة بن حصن قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنّ مُوْسَى ـ عليهِ السلامُ ـ أجَرَ نَفْسَهُ عَلَىٰ شبع بطنِهِ وعفة فرجِهِ»(٣).

وَيُقَال: «أوْحَىٰ اللَّهُ تَعَالى إلى مُوْسَى ـ عليهِ السلام ـ درهم حَلاَلٌ تَكْسِبَهُ أحَبُ إليَّ من عبادةِ ستين سَنَةً، وعبد آبق تردهُ إليَّ أحَبُ إليَّ مِنْ عبادةِ مَائة سَنَةٍ فقَالَ: يَا رَبِّ، أمَّا دِرهَمٌ حَلاَلٌ فقد عرفته، فالعبد الآبقُ مَا هُوَ؟ قَالَ: عَبْدٌ تردُهُ إليَّ تُذَكِّرهُ آلائي».

وَقَالَ الحسنُ: لَكَسْبُ دِرهم مِنَ الحَلاَلِ أشدُ مِنْ لقي الرجف(٤).

وَقَالَ يزيد بن الربيع: سَادة أهل الجنةِ الذين يأكُلونَ مِنْ كَسْبِ أيدِيْهِمْ، وَعَرقِ جبينهِمْ.

---

(١) أخرجه أبو داود والحاكم عن عائشة، والشيخان، وعبد الرزاق في الجامع والإمام أحمد في المسند بسندهم عن عائشة أيضاً. (الكنز ٤/ ٨ الحديث ٩٢٢٤ و٩٢٣٣).

(٢) في الحديث الشريف: (العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت والعاشر كسب اليد من الحلال) رواه الديلمي عن أنس (الكنز ٣/ ٣٥٢ الحديث ٦٨٩١).

(٣) حديث: (إن موسى عليه السلام أجر نفسه ثماني سنين أو عشراً على عفة فرجه وطعام بطنه) رواه ابن ماجة في كتاب الرهون باب إجارة الأجير على طعام بطنه عن عتبة بن النُّدَّر. (الكنز ٤/ ٥ الحديث ٩٢٠١).

(٤) من (أرجف القوم) إذا تهيؤوا للحرب (القاموس مادة ر ج ف).

وَقَالَ سعيدُ بنُ الليثُ: كَانَ لُقمان خَيَّاطاً.

وَقَال ابن شوذبٍ[1]: كَانَ ابن إدريس خَيَّاطاً.

وقال عكرمة: كان آدم حراثاً، وكانت حواء نساجة تغزل وتنسج، وكان إبراهيم حراثاً، وكان موسى راعياً، وكان داود زراداً. وَكَانَ سليمان بن داود خواصاً. وَكَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأنبِيَاءِ ـ عليهِمُ السلامُ ـ جَائعَاً، فأوْحَى الله تَعَالى إليهِ: أنْ أئتِ فُلاناً الصّائغَ، فَمَا أمرك بِهِ فافعلهُ، فَأتَاهُ فقالَ: إني أُمرتُ أن أفعل مَا تأمُرُنِي بِهِ، فقالَ لَهُ الصَّايغ: اذْهَبْ فاحتش[2] حشيشاً وجئني بِهِ، قَالَ: فَذَهَبَ وَذَهَبَ معهُ أصحابُهُ، فاحتش واحتشوا مَعَهُ لَهُ، قَالَ: فجاءهُ بحشيش كثير، فقال لَهُ: أنت احتششت هَذَا؟ قالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أعانك عليهِ أحَدٌ؟ قَالَ: أصحابي، قَالَ: اذْهَبْ فألقه واحتش لاَ يعينك عليهِ أحَدٌ، قَالَ: فخرجَ يحتش وَقَام أصحَابُهُ يعينوه فنهاهُمْ واحتش فِي طرفِ كِسائِهِ، فجاء بِهِ، قَالَ: هَلْ أعانك عليهِ أحَدٌ؟ قَالَ: لا، قَالَ: اذْهَبْ فبعه واشتر بثمنه رغيفين، قَالَ: ففعل ثم أتَاهُ بِهِمَا فقال الصّايغ: اذهب الآن فَكُل هذين فإنه لَنْ يَدْخل بطنك قطُ أطيب مِنْهُمَا».

وَعَنْ المعتمرِ بن سليمانَ، عَنْ أبيهِ قَالَ: كَانَ سلمان الفارسي على عشرين ألف مقاتل بالمدائن وَهُوَ أميرهُ وَكَانَ عَطَاؤُهُ أربَعَةَ آلافِ دِرْهَم، فينفقها أجمع فِي سبيل الله عَزَ وَجَل وَيعمد إلى دِرْهَم فيشْتَرِي بِهِ خُوصاً[3]، فيعمله فيبيعه بثلاثة دَرَاهِمَ، فيردُ دِرهماً منهِ، ويأكُلُ دِرْهَماً، وَيتصَدقُ بدرهَمٍ، وَيقولُ: لَوْ نَهَانِي عُمَرُ رَضِي الله عَنْهُ مَا انتهَيْتُ.

وَقَالَ ابن المبارك فِي الذي يَكْسَبُ القُوتَ قَال: يعجبني إنْ مَرضَ أن يَكون عنده نفقة، وَلَوْ مَاتَ أن يَكونَ كفنهُ مِنْ مَالِهِ.

وَقَالَ الفضيل بن عياض: يقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابن آدَمَ حَرِّكْ يدك أَبْسُطْ لك فِي رِزقك ـ والمعنَى فيما آمرك بِهِ ـ فإني أعلم منك بِمَصَالِحَك.

وَقَالَ يوسفُ بنُ أسْبَاطِ: معنَاهُ حرك يَدَك بالحرفَةِ.

وَقَالَ ابنُ مسعودٍ: تَعَرَضُوا للرزق، فإنْ أعْيَاكُمْ فَاستقرِضُوا على اللَّهِ.

---

(١) المقريء المحدِّث أبو محمد عبد الله بن عمر بن أحمد بن علي بن شوذب الواسطي، قال عنه أبو بكر أحمد ابن بيري: ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله منه. توفي ٣٤٢هـ. (سير أعلام النبلاء ١٥/٤٦٦، شذرات الذهب ٢/٣٦٢).

(٢) احتشَّ الحشيش: طلبه وجمعه (القاموس مادة ح ش ش).

(٣) الخُوْص: ورق النخل واحدها خوصة (مادة خ و ص).

وَقَالَ محمدُ بنُ كَعَبٍ: مَنْ أعيته المكَاسِبُ فَلْيُرَبِّ صغيراً يعني: يتيماً.

وَقَالَ عبد اللَّه بن مسعودٍ: لو يعلم الناسُ فضل مَنْ كَسَبَ بيدِهِ لَمَا نَامُوا بِالليل، وَلَمَا استراحُوا بِالنَهَارِ.

وَقَالَ الحسنُ: لا يزالَ يخوضُ فِي رَحمةِ اللَّهِ سبحانَهُ مِن كان محترفاً مِنَ الحلالِ.

وَعَنْ مجاهِدٍ فِي قولِ الله عز وَجل: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] قَالَ: بالتجارَةِ.

وَعَنْ بعض أهلِ البيتِ أنَّهُ قَالَ: لا تَكْسَلُوا عَنْ معاشِكُمْ فتكونُوا كَلاً على الناسِ.

وَأمَّا أهْلُ العراق: فإنَهُمْ قَالُوا: إنّ الأفْضَل أن يُوثرَ التوكُل عَلَى الْكَسْبِ، فيترك الكَسْبَ وَيتوكَلْ على اللَّهِ عَزَ وَجَل، ويختار الاستيطَانَ فِي المساجِدِ التي هِي بيوتُ الله عَزَ وَجل أضافها إلى نفسِهِ إضَافة تخصيص وَتفضِيْل، فقالَ عز من قَائل ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] على السُكُون فِي الأسواقِ التي هي مقاعد الشيطانِ.

أخْبرنَا أبو الحسنِ محمد بنُ أحمد بن العباسِ السعدي الأخميمي بمصر، قَالَ: حدثنا مُحَمَّد بن إسماعيل بن الفرج، قَالَ: حدثنا محمدُ بن محرز، قَالَ حدثنا عفّانُ، قَالَ: حدثنَا أبانُ بنُ يزيد العطار، قَالَ: حدثنا يَحْيَى بن أبي كثيرٍ، عَنْ زَيد بن أسلم، عَنْ أبي رَاشِدٍ الحرَاني، عَنْ عبد الرحمن بن يَسَار، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «التجارُ هُمُ الفجارُ»[1] فقالَ رَجل: يَا رَسُولَ الله قد أحل الله البيعَ، قَالَ: «إنهم يقولُون فيكذبون، ويحلفون فيأثَمُون».

وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّهُ نَادَى: الصلاةُ جَامِعَةٌ، فلما اجتمعُوا قَالَ: «إني لا أجمعكُمْ لأمرِ حَدَثَ، ولكن جهدت أنْ يجتمِع لي التجارَةُ وَالعبَادَةُ، فلم تجتمَعَا، فمتى أخذتُ فِي التجارَةِ أضْرَرتُ بِالعبَادةِ، وَمَتَى أخذتُ فِي العبادَةِ أضْرَرْتُ بِالتِجَارَةِ، فَإذَا كَانَ على هَذَا فأضِروا بالفَانِي مِنْهُمَا».

وَقَالَ يحيى بن معاذ: المَكَاسِبُ تَدْعُو إلى حُبّ المَالِ، وَحُبُّ المَالِ يَدْعُو إلى حُب الدُنيا.

وَقَدْ رُوِي: «إن حُبّ الدنيا رَأس كُلِ خطيئة»[2]، وَإن مَنْ أُعطي منها شيئاً نقصَ مِنْ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن شبل (٢/ ٧) ـ كتاب البيوع، ورواه الديلمي بلفظ (التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً إلاّ من اتقى الله وبر وصدق). (سنن الدارمي ٢/ ٢٤٧).

(٢) حديث: (حب الدنيا رأس كل خطيئة) رواه البيهقي عن الحسن مرسلاً. ورمز السيوطي لضعفه (الجامع الصغير ١/ ٤٩٨ الحديث رقم ٣٦٦٢).

دَرَجَاتِهِ فِي الجنةِ، وَإِنْ كَانَ على الله كَرِيماً. وَسَأَلَ رَجل الثورِي عَنْ الكَسْبِ، فقالَ: اذْهَب فاتق الله عز وجل، فَمَا رأيتُ تقياً يحتاج. قوله عَزَ وَجَل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

وَعَنْ أبي عثمان قَالَ: إذا أصبحتم فأصبحوا متوكلينَ.

وَقَالَ الزَقاقُ: آفة هذه الطائفة حبُ الكسب، وَحبُ إظهار الكرَم، والسخَاوَةُ.

وَسُئِل يحيى بنُ مُعَاذٍ عَنْ ترك الكَسب والمَكَاسِب، فقال: كَيف لا يترُكُهَا وَفِي مُلازمتها انصرافُ قلبهِ عَنْ حُبِ الموتِ. وَفِي كَرَاهية الموتِ حبُ البقاء، وَفِي حب البقاء امتدادُ الأملِ، وفِي امتدادِ الأملِ وُقُوع الحرصِ، وَفِي وقوع الحرص حُبُ الجَمْعِ، وَفِي حُبُ الجمع كَرَاهِيةُ الموتِ، وَفِي كَرَاهيةِ الموتِ الفرار مِنَ اللَّهِ عَز وَجل لأن الله عز وجل قَالَ: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤] وحبُ الموتِ مِنْ علامَاتِ الصديقين، والجَمَّاعُ المُكِبُ على الدنيا لا يحبُ الموتَ أبداً.

وُسُئِلَ الجنيد عَنِ المكاسِبِ، فقَالَ: يستقي الماء ويلتقط النوى.

وَكتب اسحق البقولي ـ وَكَانَ مِنْ جلةِ المشايخ ـ إلى بشر الحافِي وَكَانَ بشر يَعْمَلُ المَغَازِلَ: أرأيتَ إن أخذ الله بسمعك وبصرك فالملتجَأ إلى مَنْ؟ قَالَ: فترك بشر ذلك العمل واشتغل بالعبادةِ.

وَحُكِي عن ذِي النونُ أَنَّهُ كَانَ يكره الكسب، وَيقولُ: إذا طلبَ العارف المعاشَ فَهُوَ في لاَ شيء.

وَقَالَ الشبلي لرجُل: أيش حرفتك؟ قَالَ: خزاز، قال: آه، نسيتَ الله تَعَالى بين الخز والخرز.

وَعَنِ الشبلي أَنَّهُ قَالَ فِي حديث رَسول اللَّهُ ﷺ «أطيب مَا أكل العبد مِنْ كِسبِهِ»[(١)] قال: الكسبُ عندنا أن يرفع يديه فيقول: يَا رَب.

وَقَالَ أبُو يزيدِ لرجل: أيش حرفتك؟ قَالَ: خربندة، فَقَالَ أكر خربنده بودن به بودن معناهُ: لو كنت عبداً لله تَعَالى كَانَ خيراً لَك.

---

(١) سبق تخريجه.

بَابٌ فِي ذكر الوحدة والانفراد

أخْبَرَنَا أبُو سَعْدٍ، قَالَ: أخْبَرَنَا أبُو عَمْرو بن حَمْدَان، قَالَ: حَدَّثَنَا أبُو يَعْلَى أحمد بن علي بن المثَنَّى المَوْصِلِيّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بنُ أبي مُزَاحِمٍ، قَالَ: يَحْيَى بنُ حَمْزَةَ، عَنْ محمد بن الوليدِ الزُبيدي، عَنِ الزُهْرِي، عَنْ عَطَاء بنِ يَزِيدَ، عَنْ أبي سعيدِ الخُدْرِي، أن رَجُلاً أتى النَّبِي ﷺ، فقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللَّهِ، أيُ النَاسُ أفضل؟ قَالَ: «رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سبيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنفسِهِ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «مُؤمنٌ فِي شِعْب مِنَ الشِّعَابِ يعبد الله تَعَالَى، ويدع النَاسَ مِنْ شرهِ»(١).

وَعَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ أنَّهُ قَالَ: «صَوَامِعُ المسلمينَ بِيُوتُهُمْ»(٢).

وَرُوي أن عقبة بن عَامِرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النجاةُ؟ قَالَ: «أَمَلك عليك لِسَانك، وَليسعك بيتك، وأملك نفسك على خَطِيْئتك»(٣).

وَعَنِ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لولاَ مَخَافَةُ الوِسْواسِ لدخلتُ بِلاَداً لاَ أنيسَ بِهَا، وَهَلْ يفسدُ الناسَ إلاَّ الناسُ».

وعَنْ ابنِ سِيرينَ قَالَ: «العُزْلَةُ عِبَادَة».

وَقَالَ عُمَرُ بن الخطَابِ رَضِي الله عَنْهُ: «اتقوا الله سبحانَهُ، واتقوا الناسَ، وَاجتنبوا مَا استطعتم مِنْهُمْ».

وَقَالَ سفيانُ الثوري: مَا مِنْ شيءٍ خير للإنسانِ مِنْ جِحِر يدخُلُ فيهِ.

وَعَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: إنْ كَانَ الفَضْلُ فِي الجَمَاعَةِ، فَإن السَّلاَمَةَ فِي العُزْلَةِ.

وَيُحْكَى عَنِ الفضيل، عَنْ بعضهم قَالَ: مَنْ استوحش مِنَ الوحدَةِ، وَاستأنسَ بالناسِ لَمْ يَسْلَمْ.

---

(١) حديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله. قال: ثم من؟ قال ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه. وفي رواية: يتقي الله ويدع الناس من شره. رواه البخاري ومسلم وغيرهما ورواه الحاكم بإسناد، على شرطهما إلاّ أنه قال: (عن النبي ﷺ أنه سئل: أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: الذي يجاهد بنفسه وماله ورجل يعبد ربه في شعب من الشعاب، وقد كفى الناس شره. (الترغيب والترهيب ٣/ ٤٣٩).

(٢) لم أجده.

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٢٥٢٩).

وَعَنْ يحيى بن أبي كثيرٍ، قَالَ: مَنْ خَالَطَ الناسَ دَارَاهُمْ، وَمَنْ دَارَاهُمْ رَاءاهُمْ.

وَقَالَ الأوْزَاعي: العَافية عشرةُ أجزاء: تسعة منها فِي الصّمتِ، وَجزء منها فِي الهربِ مِنَ الناسِ.

وَقَالَ الحسنُ بنُ عبد الرحمٰن هذا البيتُ فِي معناهُ:

توحشت لكن آنَسُ بِالوَحْشَةِ أحْيَانَاً وَفِي الوحشة مَا يُؤنِسُ مِنْ صحبةِ مَنْ خَانَا

وَعَنْ شعيب بن حربٍ[1] قَالَ: دَخلت على مَالك بن مغولٍ[2] بالكُوْفَةِ وَهُوَ فِي دَارِهِ وَحده جَالِسٌ، فقلتُ: أما تستوحشُ فِي هذهِ الدار وَحدك؟ قَال: ما كنت أرَى أن أحداً يستوحش مَعَ الله سبحانَهُ.

وَقَالَ سَرِي بن حيّان: أنست بالوحْدَةِ مِنْ بَعْدَمَا كنت بالوحدةِ مستوحشاً.

واعتزلَ بعضُ المشايخ بِطَرْسُوس مِنَ الناسِ فقيل لَهُ: أهَاهُنَا أحدٌ تستأنسُ بِهِ؟ قَالَ: نعم، قيل: فمن هُوَ؟ فمد يَدَهُ إلى المصحفِ وَوَضَعَهُ فِي حجرهِ وَقَالَ: هذا.

وَيُروى أن رَجُلاً جَاءَ إلى شعيب بن حربٍ وَهُوَ بمكة، فقالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِك؟ قَالَ جئت أؤنسُك، قَالَ: تؤانسني وَأنَا أعَالج الوحدة منذ أربعين سَنَةً.

وَجَاءَ رَجل إلى ابن الصياد، فقالَ: مَا جَاءَ بك؟ فقال: أكونُ معك ونعبد الله تَعَالى مَعَاً، قَالَ: يَا أخي، إن العبادَةَ لا تَكُونُ بالشّركة، وَمَنْ لَمْ يأنَسْ بالله عَزَ وَجَل لَمْ يَأنس بشيءٍ.

وَقَالَ شعيبُ بنُ حربُ لرجل: لاَ تجلس إلا مع أحد رجلين؛ رَجل جلست إليهِ يُعلمك خيراً فتقبل منه، وَرَجل تعلمه خيراً فيقبل منك، والثالث فَاهْرُبْ مِنْهُ.

وَقيل للحسَن: هَاهُنَا رَجُلٌ لَمْ نره قط جَالِسَاً إلى أحدٍ، إنما هُوَ أبداً خلف ساريةٍ وَحْدَهُ، فقالَ: الحسن إذا رَأيتمُوهُ فَأخْبرُوني بِهِ قَالَ: فَمَروا بِهِ ذَاتَ يَومٍ وَمَعهم الحسنُ،

---

(١) الإمام القدوة العابد شيخ الإسلام شعيب بن حرب أبو صالح المدائني المجاور بمكة من أبناء الخراسانية. من أهل بغداد تحول إلى المدائن واعتزل بها وكان له فضل، عن سري السقطي قال: أربعة كانوا في الدنيا أعملوا أنفسهم في طلب الحلال، ولم يدخلوا أجوافهم إلاّ الحلال وهيب بن الورد وشعيب بن حرب ويوسف بن أسباط وسليمان الخواص. مات رضي الله عنه سنة ١٩٦ هجرية بمكة (سير أعلام النبلاء ٩/ ١٨٨، شذرات الذهب ١/ ٣٤٩).

(٢) الإمام الثقة المحدث أبو عبد الله البجلي الكوفي، كان من سادة العلماء، عن ابن عيينة قال: قال رجل لمالك ابن مغول: اتق الله، فوضع خده بالأرض. توفي سنة ١٥٩ هجرية. (سير أعلام النبلاء / ٢/ ١٧٤، شذرات الذهب ١/ ٢٤٧).

فَأشَارُوا إليهِ، فقَالُوا: ذلك الرّجُلُ الذي أخبرناك بِهِ، فقالَ: امضُوا بِنَا حتى نأتيهُ، فلما جَاءَهُ قَالَ: يَا عبد اللّهِ، أرَاكَ حبب إليك العُزْلةُ، فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ مُخَالَطَةِ الناسِ؟ قَالَ: مَا أشغلني عن مخَالَطَةِ الناسِ، قَالَ: تأتي الرجل الذي يقالُ لَهُ الحسَنُ فتجلس إليهِ، قَالَ: ما أشغلني عَنِ الحسن!؟ قَال: فما شغلك رَحمك اللّهُ عَنِ الناسِ، قَالَ: إني أصبح وَأمسي بين ذَنْبٍ وَنِعمة، فرأيتُ أن أشغل نفسِي عَنِ الناسِ بالاستغفارِ للذنبِ وَالشُكر للّهِ عَزَّ وَجَل على النعمةِ، فقالَ الحسن: أنْتَ عندِي يَا عبد اللّهِ أفقه مِنَ الحَسَنِ، فَالْزَمْ مَا أنتَ عليهِ يَا عَبْدَ اللّهِ.

وَعَنْ بعضهم قَالَ: مَرَرْتُ ذَاتَ يَومٍ بالفضيل بن عيَاضٍ وَهُوَ خلف سَارِيةٍ وَحدَهُ، وَكَانَ صديقاً لِي فجئته فسلمتُ عليهِ وَجلستُ، فقالَ: يَا أخي، مَا أجلسك إليّ؟ قلتُ: رأيتك وَحدك فاغتممتُ لِوَحْدَتِك، فقالَ: أمَا أنك لو لم تَجْلِسْ إليَّ لَكَانَ خيراً لَك وخيراً لِي، فاختر إمّا أنْ أقُومَ وَإمّا أن تقومَ عني، فقلتُ: لاَ، بل أنَا أقوم عنك، فَأوْصِنِي بوصيةٍ ينفعني الله بِهَا، قَالَ: يَا عَبْدَ الله، أخفِ مَكَانَك، وَاحفظْ لِسَانك، واستغفر الله تَعَالى لذنبك، وللمؤمنين والمؤمِنَاتِ كَمَا أمرَك.

وَعَنْ عبد الواحد بن زَيْدٍ قَالَ هَبَطتُ مرّةً وَادِياً، فرأيتُ رَجُلاً معتزلاً للناسِ مؤثراً للوحدةِ، فقلتُ: مَا أشد مَا يصيبك فِي مَوْضِعِك هَذَا مِن الوحدة؟ فقالَ: لَيْسَ فِي الوحدَةِ شدة، إنما الوحدة أنسُ المريدين.

وَقَالَ رَجُلٌ لسفيانَ الثوري: أوْصِنِي، فَقَالَ: هَذَا زَمَانُ السُكُوتِ وَلزُوم البيوتِ.

وَقَالَ أبو قرة السائح: بينا أطوفُ فِي بعضِ الجبالِ، إذ سمعتُ صَوْتاً مِنَ الجَبَلِ، فقلتُ: إن هَاهُنَا لأمراً، فَاتبعتُ الصَّوْتَ، فَإِذَا أنَا بِهَاتفٍ يقولُ: يَا مَنْ آنسني بذكرهِ، وَأوحشني مِنْ خلقِهِ، وَكَانَ لِي عند مسيري، ارحم اليومَ غربتي، وَهَبْ لِي مِنْ معرفتك مَا أزدَادَ بِهِ تقرباً إليك، يَا عظيم الصنيعَةَ إلى أوليائهِ اجعلني اليوم مِنْ أوليائك المتقين، ثم سمعت صَرْخَةً وَلَمْ أرَ أحَدَاً، فأقبلتُ نحوهَا فإذَا أنا بشيخ ساقطٍ مغشى عليه، قد بدا بعض جسده، فغطيت عليه، ثم لم أزل عنده حتى أفاق، قال: فقال: من أنت؟ قلت: رجل من بني آدم، قال: إليكم عني، فمنكم هربت، قال: ثم بكى وَقَامَ، فَانطلق وتركنِي فقلتُ: رَحمكَ الله دُلَّنِي على الطريق، فأوْمَأ بِيدِهِ نحوَ السماءِ وَقَالَ: هَاهُنَا.

وَقَالَ بعضهم لإبراهيم بن أدهم: أوصني، قال: اتخذ الله صَاحباً، وَدَع الناسَ جَانِباً.

وَقَالَ مسلم بن حيان: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمنَاجَاة الله عز وجل.

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبد الكَرِيم[1]: لا تقرُ عيني إلا إذا خَلَوْتُ بِذِكْرِهِ، وَلاَ أستريحُ إلاّ وَحدي.

وَقيل لبعض أهلِ الصفوة: بِمَ تُسْتَجَلَبُ الأحزان؟ قالَ: بالعزلة مع الغربة.

وَقال رَجل لذي [النون] المصري: متى تصح العزلة عن الخلق؟ قالَ: إذَا قويتَ على عزلةِ النفسِ.

وَقال طَاوُوسُ بن كيسَان[2]: خير الناس في آخرِ الزمانِ، رَجل معتزلٌ يؤدِّي حق الله تعالى الذي عليهِ.

وَقيل لابن المُبَارك: ما دَواء القلبِ؟ قَال: قلةُ الملاقَاةِ.

وَقَال الحسن بن صالحٍ: كَانُوا يتحابُونَ وَقلمَا يتلاقَوْن.

وَزَارَ هرِم بن حيان أويس القَرَني، فقالَ لَهُ هَرِمُ: صِلنا يَا أويْسُ، صِلنَا بالزيارةِ واللقاء، فَقَال لَه أويسٌ: قد وَصلتك فيما هو أنفع لك مِنْ ذلك، وَهُوَ الدُعَاءُ فِي ظهر الغيب، لأن الزيارَة واللقاء تعرض فِيهمَا للتزين وَالريَاء.

وَقَالَ ابن عباسٍ: أفضلُ المجَالس مجْلِس فِي قعر بيتك حيث لا تَرَى ولا تُرَى.

وَقيل للفضِيل: إن علياً ابنك يقولُ: وَدِدْتُ أني بالمكان الذي أرى الناسَ وَلاَ يرونِي، فَبَكَىٰ الفضيل وقَالَ: ويح علياً أفلا أتمها، فقال: لاَ أرَاهُمْ وَلاَ يروني.

وَكَانَ عبد الله بن عُمر بن عبد العزيز لاَ يُجَالِسُ الناسَ، وَنزل مقبرة وَكَانَ لا يرى إلا وبيدِهِ كتابٌ يقرأه، فيسأل عن ذلك، فيقولُ: لم أرَ وَاعظاً أوْعَظَ مِنَ القبر، ولا ممتعاً أمتع مِنْ كِتَابِ الله عز وجَل، وَلاَ أنساً آنس مِنَ الوحدة.

وَقَالَ الحسنُ البَصْرِيُ: مَنْ أدرك آخِرَ الزمانِ فليكنْ حلساً مِنْ أحلاسِ[3] بيتهِ.

---

(١) عبيد الله عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي مولاهم توفي سنة ٢٦٤هـ. (اللباب ٣/٤٣، تذهيب الكمال ٢١٣).

(٢) طاووس بن كيسان، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي الحافظ روى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: إني لأظن طاووساً من أهل الجنة، روي عنه أنه جاء في السَحَر يطلب رجلاً، فقالوا هو نائم، قال: ما كنت أرى أن أحداً ينام في السحر! وكان رضي الله عنه من عبّاد أهل اليمن ومن سادات التابعين، مستجاب الدعوة، حجَّ أربعين حجة. توفي سنة ١٠٦ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨، حلية الأولياء ٤/٣، شذرات الذهب ١/١٣٣).

(٣) الحِلس: بالكسر كساء على ظهر البعير تحت البرذعة، ويبسط في البيت تحت حُرِّ الثياب (القاموس مادة ح ل س).

وَفِي مَعْنَاهُ أنشدوا:

كُنْ لِقَعْرِ البَيْتِ حِلساً   وَارْضَ بِالوحدَةِ أنساً
لا تَرى فِي النَاسِ مَنْ يَسْوَى على الخبرة فَلْساً

وَقَال ذُو النُون: لَمْ أرَ شيئاً أبعث على الإخلاص مِنَ الوحدة، لأنه إذَا خَلاَ لَمْ يَرَ غير الله تَعَالى، وإذَا لَم يَرَ غيرَ الله عز وجل لَمْ يحركْهُ إلاّ حبه وَمَنْ أحَبّ الخلوة فقد تعلقَ بعمودِ الإخلاص، وَاسْتَمْسَكَ بركْنٍ مِنْ أركَانِ الصدقِ.

وَقَالَ بشر بنُ منصورٍ: أقِلَّ مِنْ مَعرِفَةِ الناسِ، فإنك لاَ تَدْرِي مَا يَكون يَوم القِيَامَةِ، فإنْ كَانَتْ فضيحة كَانَ مَنْ يعرفك قليلاً.

وَقَالَ وَهْبُ بنُ منبهٍ: أوحَى اللَّهُ تَعَالى إلى بعضِ أنبياء بني إسْرَائِيل: «إن أحببت أن تلقَاني فِي حظيرة القدسِ، فكن فِي الدنيا مهمُوماً محزوناً، فريداً وَحيداً، مستوحشاً، بِمنزلةِ الطَائر الوَحْدَانِي الذي يَطِيرُ فِي الأرضِ القَفَارِ».

وَقَالَ ذُو النُونِ المصري: سُرُورُ المؤمِن ولذته فِي الخلوة بمناجاةِ سيدهِ.

وَقَالَ الهيثم بن جميل[1]: شَاوَرتُ القوارِيري أين ترى لي أنْ أنزل، فقالَ: أخفى المواضِعِ لشخصك، وَأخفضها لصوتِكَ.

وَكَانَ شرحبيل بن سمط معتزلاً مِنَ الناسِ الدَّهْرَ كله فقيل له يَوماً: ما يحملك على ذلك؟ فقال: أخافُ أن أسلبَ دِيني وَلاَ أشعرُ.

وَقَالَ طلحة بن عبيد اللَّهِ: إنّ أقرَّ لعين الرجلِ أنْ يجلِسَ في دَارِهِ.

وَقَالَ عُمَر بن الخطابِ رَضِيَ الله عَنْهُ: «خُذُوا حَظَكُمْ مِنَ العزلَةِ».

وَقال منصور بنُ عَمّارٍ[2]: طوبى لِمَنْ أصبح وَالعبادَةُ حرفَتُهُ، والفقر مَبيتُهُ، والعزلَةُ شهوتُهُ، والآخِرَةُ هِمَتُهُ، وَجعل الموتَ فِكرتَهُ وَرَجَا بالتوبَةِ رَحمتَهُ.

---

(١) الحافظ الإمام الكبير، الثبت أبو سهل الأنطاكي، وهو بغدادي سكن أنطاكية، وثقه الدارقطني. توفي سنة ٢١٣ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٩٦).

(٢) منصور بن عمار الواعظ أبو السري الخراساني ثم البغدادي، كان من أحسن الناس كلاماً في الموعظة، وكان من حكماء المشايخ، وقيل سبب وصوله أنه وجد في الطريق رقعة مكتوب عليها: (بسم الله الرحمن الرحيم) فأخذها فلم يجد لها موضعاً فأكلها، فأري في المنام كأن قائلاً يقول له: قد فتح لك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة، فكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة. توفي سنة ٢٢٥ هجرية. (طبقات السلمي ١٣٧، طبقات ابن الملقن ٢٨٦، حلية الأولياء ٩/ ٢٨٠).

وَكَانَ الثوري يقولُ: وَالله لقد حلت العزلَةُ.

وَسُئل بعضهم عَنْ قولِهِ عَزَ وَجَل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣] فقال: عَنِ الكونِ وَمَا سِوَاهُ متجردُونَ وبربهِمْ مَنفرِدُونَ.

وأنشدت:

أنست بوحدتي وَلزمتُ بيتي فطابَ العيش لي ونما السُرُورُ

وأدبني الزمان فليت أني هُجِرتُ فلا أُزَارُ ولا أَزُوْرُ

وَلستُ بِسَائل مَا صح عقلي: أسار الجند أم ركب الأمير

وقيل لِدَاودَ الطائي: لِمْ لا تجالس الناس؟ فقال: اللهم غفراً، إمّا صغير لا يُوقِرُك، أوْ كبير يحصي عليك عُيُوبك، قَالَ: فإذَا سلم الإمامُ جَاءَ دَاود الطائي مُسرعاً كَأَنَّهُ رَجل هَارِبٌ حتى يدخُلَ بيتَهُ.

وَقَدْ قِيل: إذا أَرَادَ الله - عز وجل - أن ينقل العبد من ذُلِّ المعصية إلى عز الطاعة، آنسه بالوحدةِ، وَأغناهُ بالقناعةِ، وبصّره عيوبَ نفسِهِ، فمن أعطي ذلك فقد أعطي خير الدُنيا والآخِرَةِ.

وَسُئِلَ بعض الحكمَاءِ: ما أكثر ما يجد الرجُل فِي الخلوةِ؟ فقالَ: الراحَةَ مِنْ مُدَارَاةِ الناس، والسَّلاَمَةَ مِنْ شَرِهِمْ.

وَقَال وهيب بن الوردِ: خَالطتُ الناس خمسين سنة، فَمَا وَجدت رَجُلاً غفر لِي ذنباً فيما بيني وبين نفسهِ، ولا ستر لِي عورة، ولا أَمِنتُهُ إذَا غَضِبَ، فالاشتغَالُ بهؤلاءِ حمق كبيرٌ.

وَقيل للجنيد: متى تصح الوحدةُ؟ قَالَ: إذا اعتزلت عن نَفسك، وَأخذت في دَرس مَا كَتَبْت في أمْسك.

وَقَالَ الفضيل بن عيَاض: إنه ليطلع عليَّ الليل فيسرني ذلك لخلوتي بربي عزوجل، وإنه ليطلع الصبح فيدركني منه غمّ لكراهية لقاء الناس، فإنهم يشغلوني عن ربي عز وجل.

وعن شقيق قال: العبادة عشرة أجزاء؛ فتسعة منها في الهرب من الناس، وواحدة في السكوت.

وسئل الجنيد عن الخلوة، فقال: إن السلامة مُصاحبة لمن طلب السلامة، بترك المخالطة، وترك التطلع إلى ما أوجب العلم مفارقته.

وقال أبو يعقوب السوسي: الانفراد لا يقوى عليه إلاّ الأقوياء من الرجال، ولأمثالنا الاجتماع أنفع، يعمل بعضنا برؤية بعض.

باب في الذكر وفضله وأحوالهم فيه

أخبرنا أبو سعدٍ، قال: أخبرنا أبو الحسن، علي بن محمد بن يزيد الجلبي القاضي بالفسطاط، قال: حدثنا جعفر بن أحمد الوراق، قال: حدثنا وهب بن سليمان، قَالَ حَدثنا مُؤملُ، قَالَ: حدثنا حَمّادُ بنُ سلمة، قَالَ: حَدَثنا سهيل بنُ أبي صَالح، قَالَ: أخبرني أخي، عَنْ أبي، عَنْ أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أكثر ذِكْرَ اللَّهِ عز وجل فقد برىء مِنَ النفَاقِ»[1].

وَقيل: ثلاثة أشياء مِنْ كنوز الجنةِ؛ لسانٌ ذَاكرٌ، وَقلبٌ شَاكِر، وَبدنٌ صَابرٌ.

وَقِيل: مَنْ كَانَ ذَاكر اللَّهِ عز وجل فِي الحَالاتِ، أَسْكَنَهُ الفَرَادِيسُ، وَمَنْ كَانَ غَافِلاً عَنِ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ، حُشرَ يَومَ القيامَةِ مِنَ المفَالِيس.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّد الأنبارِي: وُصف لِي ذَاكرٌ فِي بعض الجزائر، فقصدتُهُ فوَجَدْتُهُ فِي أَكَمَةٍ أو تحت شجرة، فسلمت عليهِ وَقعدت، وَأخذتُ فِي شيء مِمَّا كَانَ يختلجُ فِي صَدْرِي، أحب أن أسأله عنه، فأخذ الرجل يحدثني، إِذْ جَاءَ سبعٌ فربض بين أيدينا، فلم أشعر حتى وثب السبع وَعض على عضدِهِ، فاستلبَ منها ملء فيهِ ثم رَجَع رَابضاً كَمَا كَانَ بحذّائنا قَالَ: فغشي عليهِ وعليّ فلما أفقنَا قَال لِي: أزهبتك هذه الوثبة من هَذا السَّبُع؟ قلتُ: أي وَاللَّهِ، فَقَال: إن هذا مُؤكَّلٌ بِي، كلما دَخلتني فترة مِنَ الذِكْرِ عضني كَمَا تَرَى.

وَعَنْ محمد بن عبد الله قَالَ: مَا أقبح الغفلة عَنْ ذِكِرُ مَن لاَ يغفل عَنْ برك.

وَعَنْ بعضهم قَالَ: يقولُ إبليسُ خلقني الله تَعَالى مِنْ نَارِ، وَالنارُ تحرقُ كُل شيءٍ، ولست أخافُ مِنْ شيءٍ إلا مِنْ قلبٍ فيهِ ذِكْرُ الله عَزَ وَجَل، فإن ذكر الله عز وجل يحرقُ النار.

وَقَالَ شعيب بن حربٍ: دَخلتُ على فتحِ الموصلي وَهُوَ مَرِيضٌ، فقلتُ: يَا أَبَا مُحمدٍ أوصِني، فقالَ: أليسَ الإنسان إذا منع مِنَ الطعام والشرابِ يموت، قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَذَلِكَ القلبُ إذا منع مِنْ ذِكْرِ الله عز وجل مَاتَ.

وَقَالَ أبو العباسِ بن عَطَاء، قُوتُ المنافِقِ الأكل والشرب وَقوتُ المؤمن الذكرُ والحمد.

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير عن أبي هريرة. ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ٢/ ٥٠١).

وَقَالَ أبو زيد[1]: إذا كَانَ فِي القلبِ مَوْضع قد خَلاَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَ وَجَل، لم ينتفع صَاحبه بِهِ.

وَقَالَ أيضاً: الحياةُ بِالعلم، والراحةُ بالمعرفةِ، والرزقُ فِي الذِكْرِ.

وَقَالَ أيضاً: كَنْ فِي الدنيا كَأنكَ فِي الجنةِ، أهل الجنَةِ لا ينامون من النعيم، فلا تنم مِنَ الذكر.

وَقَالَ سهل بن عبد اللَّهِ: إن للَّهِ تَعَالى فِي كُلِ يَومٍ وَليلةٍ وَسَاعَةٍ عَطَايَا، وَأعظم العَطَايَا أن يلهمك ذكرهُ.

وَسُئِلَ سهل بن عبد الله أيضاً عَنْ حيَاةِ القُلُوبِ، فقالَ: حَيَاتها بحياة ذِكْرِ اللَّه تعالى فيهَا، وَموتها بموتِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالى عنها، وَالله تَعَالى حي لاَ يَمُوتُ.

وَقَالَ بعضهُمْ: كُل ذكرٍ غير ذكر اللَّهِ تَعَالى فهُو عيبةٌ.

وَسئل سهل بن عبد الله، مَا القوتُ؟ قَالَ: ذكر الحي الذي لاَ يَمُوتُ.

وَقَالَ ضيغم البصري: عجبتُ للخليقة كيف استنارتْ قلوبهم بِذِكْرِ غيرك.

وَعَنِ الحسن فِي قولهِ عز وَجل: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] قَالَ: لا يجتمع ذكر الله تَعَالى وَذِكْر غيرهِ في قلب إلاّ غلبَ أحدهما صَاحِبَهُ فنفاهُ.

وَقَال يَحيى بنُ معاذٍ: لَيْسَ مَنْ لَزِمَ بَابَ الملكِ لِحَاجتهِ كَمَنْ ألزمَهُ الملك مجلسه لِكَرَامته عليهِ. فقيل لَهُ: مَنْ هَؤلاءِ وَمَنْ هؤلاءِ؟ فقالَ: العَاملون والذاكرونَ.

وَعَنْ أبي الجلد قَالَ: أوحَى الله تَعَالى إلى مُوسَى عليهِ السلامُ: «يَا مُوسَى، إذا ذَكَرْتني فاذْكُرْني وأنْتَ تَنْتفضُ أعْضَاؤُكَ مِنْ مَخَافَتِي، وَكُنْ عند ذِكْرِي خَاشعاً مُطمئناً، وَإذَا دَعوتَنِي فاجعل لِسَانك مِنْ وَرَاءِ قلبك، فإذَا قمت بين يدي فقم مَقَامَ العبدِ الحقير الذليل، وَذُم نفسك فهي أولى بالذم، وَنَاجِ حين تناجي بقلبٍ وَجِل، وَلِسَان صَادِق.

وَقَالَ يحيى بن معاذ فِي قول الله عز وجل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣١] قَالَ: نِعَمُ الله تَعَالى أكثر من أن تحصى، وَلكن أعظمها أنهم كلما أرَادُوا ذِكْرَ الله عَزَ وَجَلَ ذَكَرُوه.

---

(١) أبو زيد المروزي الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الله، كان أحدأئمة المسلمين، حافظاً لمذهب الشافعي، حسن النظر، مشهوراً بالزهد والورع، ورد بغداد، وحدّث بها، ثم خرج إلى مكة، فجاور بها، توفي بمرو سنة ٣٧١ هجرية. (تاريخ بغداد ١/ ٣١٤).

وَقَالَ بعضهم: مِنَ المحالِ أنْ يعرفَهُ مَنْ لاَ يحبُه، وَمِنَ المحالِ أن يحبهُ ثم لا يذكره، وَمِنَ المحالِ أن تذكرهُ ثم لاَ يوجدك طعم ذِكرهِ. وَمِنْ المحالِ أن يوجدك طعم ذِكْرِهِ ثُمَّ لاَ يشغلك بِهِ عما دُونَهُ.

وَقَالَ سَرِي السقطِيُ: لولا أنك أمرتني أن أذكرك باللسَانِ، لما تجاسَرْتُ أن أذكرك.

وَكَانَ محمدِ بن وَاسِعِ جَالِسَاً فِي ناحيةِ المسجدِ فقيل لَهُ: لو دَنوت مِنْ حلقِ الذكرِ، فقالَ: أنا أرجُو أن أكون معهم وأنا بخراسان، أفلا أرجُو أن أكون معهم وأنا فِي ناحيةِ المسجدِ.

وَحكي أنَّه كَانَ فِي بني إسرائيل رَجل عبد الله تعَالى ستين سنةً، فأذنبَ ذنباً، فخط خَطاً، وَقَالَ: إلهي، لا أخرجُ مِنَ الخَطِ حتى تعلمني في أي شيءٍ رِضوانك، فأوْحى الله تَعَالى إلى نبي زَمانِهِ: «قل للعَابد اجْلِس فِي حَلْقَةِ الذِكْرِ بقدرِ مَا مَكثْتَ فِي الخطِ أرْضَ عنك».

وَعَنْ أبي سعيدِ الخُدْرِي، عَنِ النَّبي ﷺ أنَّهُ قَالَ: «أكثرُوا ذكْرَ الله عز وجل حتى يُقَال لَكُمْ مجانينَ»(١).

وَقَالَ دَاودُ عليهِ السلام: «يَا رَبّ، أين أطلبك؟ قَالَ: عند قوم لاَ يشبعون إذا شبع الناسُ، وَلاَ يلبسون إذا لبسَ الناسُ، وَلاَ يفرحون إذا فرحَ الناسُ، قَالَ: فكيف وَأنت العزيز لا يخلو منك مَكَان؟ قَالَ: يَا دَاود، أنا معَ الخَلاَئِق بعلمي، وَمَع أهْلِ محبتي بحفظي، وَجليسُ مَنْ ذَكَرني».

وَقَالَ سهل بن عبد اللَّهِ: مَا أعرفُ معصيةً: هِي أشد مِنْ نِسْيَان الرب عَز وَجَل.

وَقَالَ أيضاً: ثلاثة أشياء تذهبُ بقلب العبدِ وَعقله؛ الجهل، والمعصيةُ، وَالنِسْيَانُ. وثلاثة أشياء تردُ عليهِ عقله وقلبَهُ: العلم، وَالطَاعَةُ، والذِكْرُ.

وَقَالَ مَالك بن دينار: قرأتُ في بعضِ الكتبِ أن الله تَعَالى قَالَ: «لقد أعطيتُ أمَّة مُحَمَّد ﷺ شيئين، لَوْ أعْطيتهُمَا جبريل وَميكَائِيل كنتُ أجزلتُ لَهُمَا العطية، قولِي عَزّ كبريائي: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وَ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) حديث: (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون) أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري. ورمز السيوطي لحسنه وفي رواية: (أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون) أخرجه الإمام أحمد في الزهد، والبيهقي عن أبي الجوزاء مرسلاً (الجامع الصغير ١/١٧٨ ـ ١٧٩).

وَقَالَ رَجل ليحيى بن معاذ: مَنْ أجَالسُ؟ قَالَ: الذينَ لا يغيبُون عَن ذِكْرِ الله عز وجل. قَالَ: بِمَاذَا أتلذَذُ؟ قَالَ: بِذِكْرِ الله عَز وجل.

وَقَالَ وَهْبُ بن منبهٍ: وَجَدْتُ فِي بعضِ كتب الله تَعَالى: يَا ابن آدَمَ، إذَا ذَكَرتني ذَكَرْتك، وَإذَا تركْتَنِي تركتك، وَالساعَةُ التي لا تذكُرُنِي فيها عليك لاَ لك».

وَقَالَ أبو يزيد: رَأيت فِي المنامِ كأني رُفعت إلى السمَاءِ فاجتمعت الملائكَةُ عليّ، فقالوا: يَا أبَا يزيد تَعَال حتى نذكرُ الله عَزَ وَجل، فقلتُ: لِسَانِي ليس، فرفعتُ إلى السماءِ الثانيةِ والثالثة والرابعة، إلى أن رُفعت إلى السماءِ السَابعَةِ، فَقَالَتِ الملائكَةُ لِي: تَعَال حتى نَذْكر الله تَعَالى، فقلتُ: لِسَاني ليسَ، فقالُوا لِي: متى لا يكون لك لِسَان تذكُرُ الله تَعَالَى بِهِ؟ قُلْتُ: حتى يشتغل أهل النعيم بالنعيم، وَأهل الجحيم بالجحيم، ثم يعطيني رَبي عزَ وَجل لِسَانَ أهْلِ السمواتِ وَأهل الأَرض، فأقوم بينَ يدي العرش، وَأقولُ بِلِسَانِ الأبدِيةِ فِي أبدِ الأبديَةِ: **(اللَّهُ)**.

وَكَانَ أبو يزيد متى أرَادَ أنْ يذكُرَ الله تَعَالى تمضمض وَغَسَلَ فَاهُ بِمَاءِ الوردِ تعظِيماً لِذِكْرِ اللَّهِ.

وَيُقَال: ذكر اللَّهِ تَعَالى ذِكر ألطَافه فإذَا ذَكَرتَ ألطَافَهُ، فقد ذكَرْتَهُ.

وَسُئِل بعضهم: هَلْ فِي الجنةِ ذكْرٌ؟ فقالَ: الذِكْرُ طردُ الغفلة، فإذَا ارتفعت الغفلة فلا معنى للذِكْرِ.

ثم أنشد:

كَفَى حَزناً أني أنادِيك دَائباً ... كأني بَعِيدٌ أو كَأنك غَائِبُ

وَأطلبُ منك الفضل مِنْ غيرِ رَغبةٍ ... وَلَمْ أر قبلي زَاهداً فيك أرغَبُ

وَقَال الشبلي: ذِكْرُ الغفلةِ يَكُون جوابُهُ اللعنَ.

وأنشد:

ما أن ذَكَرتَكَ إلاّ هَمَّ يلعَنُني ... سِري وَفِكْرِي وَذِكْرِي عند ذِكْرَاكَا

حتى كَأنّ رَقيباً مِنك يهتف بِي ... إيَاك ويحك والتذكارَ إيَاكَا

وَعَنْ مالك بن دِينارٍ أنَّهُ قَالَ: قرأتْ فِي بعضِ الكتب: أن الله تَعَالى يقولُ: «أهون مَا أنَا صَانع بِالعالم إذا أحبَ الدُنيا، أنْ أخرجَ حلاوةَ ذِكْرِي مِنْ قلبهِ».

وَقَالَ سَهْلَ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: الأنفاسُ مَعْدُودةٌ، فكل نفس يخرجُ بغيرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالى فهو

ميت، وَكُل نفسٍ يخرجُ بذكرهِ فَهُوَ حي موصول بالله عَزَ وَجَل.

وَقَالَ ذُو النون: كُنْ عَارِفَاً خَائفاً، وَلاَ تَكُنْ عَارِفَاً وَاصفاً، وَلكُل شيء عقوبةٌ، وعقوبة المحب انقطَاعُهُ عَنْ ذِكرهِ عزَ وَجَلَ.

وَقَال أيضاً فِي تحميدٍ لَهُ: الحمدُ للَّهِ الذِي جعل أنس الذاكرين بحلاوةِ ذكرهِ، وَأرهبَ قلوب المفكِرين مِنْ مخافةِ مكرهِ، وَوَهَبَ المزيدَ مِنْ فضلِهِ لمديم شُكْرهِ، وَخَبَأ أهْلَ المعَاصِي تكَرُماً فِي خَفِيِّ ستره. وأنشد:

والله مَا عَثرتُ رجلِي وَلاَ خَدرتْ ... إلا ذَكرتك حتى يَذهَبَ الخدرُ

وَلاَ ذكرتك والحُمَّاءُ تقلقني ... ألا تكشف عني السقمُ والضَّرَرُ

وَقَالَ بعضهم: حقيقة الذِكْرِ مُشاهَدَةُ المذكورِ.

وَقِيلَ: ذِكْرُ اللَّهِ ـ عزَ وَجَل ـ خير الأعمالِ، فإنه يقصرُ الآمال، ويحيي القلوبَ فِي كُلِ الأحوالِ، ويثبت بالقولِ الثابتِ عند الآجَالِ.

وَقَالَ بعضهم: من ادعى الحَلاَوَة لِذِكْرِ خالقِهِ مَع حُب الدُنيا فَكَذِّبْهُ، وَمَنْ ادعى رِضَا خالقه بغير سخط نفسهِ فلا تصدقه.

وَعَنِ النبي ﷺ قَالَ: «أشد الأعمال ثلاثة: إنصافُ الناسِ مِنْ نفسِك، ومُواسَاةُ الأخِ مِنْ مَالك، وَذِكْر الله تَعَالى على كل الأحوال»(١).

وَقَالَ أبو سليمان: مَنْ عرف رَبَهُ فرَغ قلبه لذكرهِ، واشتغل بخدمتهِ، وَبَكَى على خطيئته.

وَقَالَ مَالك بن دِينار: قرأت في التورَاةِ: «أيها الصديقون تنعمُوا فِي الدُنيا بذِكْرِي، فإنَّهُ فِي الدنيا نَعيم وَفِي الآخرةِ جزاء».

وَقَالَتْ رَابِعَةُ العَدويَةُ: إلهي، أسألك أن تجعل همي في الدنيا من الدنيا ذِكْرك، وَفِي الآخرةِ مِنَ الآخرةِ رُؤيتك، ثم افعل بِي مَا تَشَاء.

وَقَالَ يحيى بنُ معاذ: أربعة أشياء أجدني اليوم لا أملها وَلاَ أشبع منها، ذكرهُ، وبرهُ، وشكرُهُ، وَذُخرُهُ.

وَقَالَ إبراهيمُ بن أدهَم: مِنْ لم يجد القلب عند ثلاثة مواطن فقد أغلق الباب عليهِ؛ عند قراءة القرآنِ، وعند ذكر الله عز وجل، وعند الصلاة.

---

(١) لم أجده.

وَعَنْ عَطَاء قَالَ: قَالَ موسَى عليهِ السلام: «أي رَبّ، أي عبادِك أحكمُ؟ قَالَ: الذي يحكمُ عني نفسَه كَمَا يحكُمُ على الناسِ. قَالَ: فأيّ عبادِك خير؟ قَال: أكثرهم لِي ذِكراً، قَالَ: أي عبادِك أغنى؟ قَالَ: الذي يقنع بِمَا أعطيتُهُ».

وَقَالَ ذُو النُون: مَنْ لم يذق مَرارة الكفر لم يجد حلاوة الإيمان، وَمَنْ لم يذق مَرَارة الغفلة لم يجد حَلاَوَةَ الذِكْرِ.

وَقَال ذُو النُونِ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالى لك أكثر مِنْ ذِكْرك لَهُ، لأنك ذكرتَهُ بعد أن ذكرك، وَحبه لك أسبقُ مِنْ حبك لَهُ، لأنه أحبك قبل أن خلقك وَمِنْ حبهِ لك تَوَلَّدَ حُبُك لَهُ.

وَقَالَ يَحْيَى: صفةُ العَارِف أنْ يكونَ أَحَبّ الطَاعَاتِ إليهِ ذِكْرُهُ.

وَقَالَ بعضهم: يَا رَبّ، مَا أحلى ذِكْرك فِي أفواهِ الأبْرَارِ، وَأَعْظَمَكَ فِي قُلُوبِ الموقنينَ الأخيار.

وَقَالَ ذُوْ النُونِ: لا تَحْزَنْ على مفقودٍ، وَذِكْرُ المعبودِ موجود.

وَقَالَ بعضهم: مَنْ جَمَعَ خِلالاً خَمْساً نَجَا: الصمتُ عَمَا لاَ يعني، وَغض البصرِ عَمّا لاَ يَحلُ، وَحَلاَوةُ الذِكْرِ فِي الخصب وَالمحل، وَسَلاَمَةُ الصبر فِي السِرِ وَالْجَهْرِ، وَحزنُ التقصير فيما مضى وَغَبَر.

وَعَنْ الحَجّاجِ بن دِيْنَارٍ[1] قَالَ: سَألتُ أبَا معشرٍ عَنِ الذكر الذي لا يتكَلّم العبدُ بِهِ كيف تكتبه الحفظةُ؟ قَالَ: تجد نَسِيْمَ الرِيْحِ الطيبةِ فتكتُبُهُ.

وَقَالَ ذُوْ النُونِ: مَنْ ذَكَرَ الله عَزَ وَجَل على الحقيقةِ نسي فِي جنبِ ذِكْرِهِ كُل شيءٍ، وَمَنْ نَسي فِي جنب ذِكْر اللَّهِ كُل شيء، حفظ اللَّهُ تَعَالى عليهِ كُل شيءٍ، وَكَانَ لَهُ عوضاً مِنْ كُلِ شيءٍ.

وَعَنْ أبي عبيد البسري قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ سبحانَهُ بالقلب صدق، وَذِكْر الله تَعَالى بالقلبِ وَاللِّسَانِ إخلاصٌ، وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالى باللسَانِ دُون القلبِ رِيَاءٌ، وَذكر الله تَعَالى باللسَانِ دُونَ

---

(١) الحجاج بن دينار الواسطي الأشجعي السلمي مولاهم، من الأئمة المشهورين، قال عنه ابن المبارك إنه ثقة، وقال الإمام أحمد: ليس بن بأس، وكان صالحاً صدوقاً يكتب الحديث. توفي قبل سنة ١٥٠ من الهجرة. (سير أعلام النبلاء ٧/ ٧٧، تهذيب الكمال ٥/ ٤٣٥).

القلب هَذيانٌ. وَذِكْر الله تَعَالى بالقلبِ دُون اللسَانِ وسواس، وَذكرُ الله بالقلبِ وَاللسان دُونَ رُؤية المذكورِ وَنسيان الذِكْرِ وَالذاكر جنون وَحمق.

وَسُئِل أبُو يعقوب النهرجُورِيّ عَنِ الطريق إلى الله عز وجل، فقال: اجتنب الجهلاء، واصحب العلماء، واستعمل العلم وَدَوَام الذِكْرِ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الإشَارَةِ[1]

رُوِي عَنْ عَامِرِ بنِ عبد اللَّهِ بنِ الزُبير، عَنْ أبيهِ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذَا تشهَدَ وَضَعَ يَدَهُ اليُسْرَى، على فخذهِ اليُسْرَى، وَيدَهُ اليمنى على فخذهِ اليمنى، وَأشار بإصبَعه السبابَةِ، لاَ يجاوز بصرُهُ إشارَتَهُ».

وَعَنْ ابن أبي وَقاصٍ قَالَ: مَرّ بِي رَسول الله ﷺ وَأنا قَاعِدٌ فِي التشهد، وَأنا أُشِير بالسَّبَابَةِ مِنْ كِلْتي يَدَيّ، فقَالَ رَسولُ الله ﷺ: «أحِّد أحِّدْ»[2].

وَرُوِي عَنْ سهلٍ بن عبد الله، قَالَ: قِيل لإبليس: أي شيء أشَدُ عليك؟ قَالَ: إشَارَاتُ المريدينَ إليهِ.

وَعَنْ علي بن عبد الرحيم[3]، قَالَ: مَنْ عجز عَنِ العبادةِ كيف يلحق بالإشارةِ، وَمَنْ لحق الإشَارَاتِ لَم يلتفت إلى العِبَارَاتِ.

وَعَنْ يُوسف بن الحسين قَالَ: إشَارَاتُ الخلقِ على قدرِ مَوَاجيدهمْ، وَمواجيدهُمْ على قدرِ مَعَارِفِهِمْ، ومعارفهم على قَدْرِ محبتهِمْ، وَلَيْسَ حَالٌ أحَبَّ إلى الله ـ عَز وَجل ـ مِنْ محبَةِ العبدِ لَهُ.

وَقَالَ ذُوْ النُونِ: أكثرُ الناسِ إشارةً إلى الله تَعَالى فِي الظَاهِرِ أبعدهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالى.

وَقَالَ رُويمٌ: النفسُ عند الإشَارَاتِ حَرَامٌ، وعند الخطراتِ وَالمكاشفَاتِ والمُعَاتَبَات حَلاَلٌ.

---

(١) قال العلامة الطوسي في اللمع: الإشارة ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه. وقال أبو علي الروذباري رحمه الله تعالى: علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خفي (اللمع للطوسي ٤١٤). وقال الهجويري: الإشارة: (إخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللسان. وعن ابن عربي قال: الإشارة تكون مع القرب مع حضور القلب، وتكون مع البعد. (معجم المصطلحات الصوفية د. أنور أبي خزام).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه والنسائي والحاكم عن سعد بن أبي وقاص، والترمذي والنسائي والحاكم أيضاً عن أبي هريرة، أنه قال لسعد أحِّدْ أحِّدْ حينما رآه يشير في دعائه بأصبعيه. وأصله: وحِّد: أمر مخاطب بالتوحيد، ومعنى هذا الحديث إذا أشار الرجل بأصبعيه عند الشهادة فلا يشير إلاّ بأصبع واحدة. وأخرجه النسائي والبيهقي في الدعوات الكبير (تحفة الأحوذي شرح الترمذي ٩/ ٥٤٤ ـ كتاب الدعوات رقم ٣٥٥٢) والكنز ٢/ ٧٣ الحديث رقم ٣١٨٦.

(٣) علي بن عبد الرحمن الواسطي القناد الصوفي، من أئمة الصوفية، وممن سافر على التجريد ولقي المشايخ، روى عن الحسين بن منصور الحلاج شيئاً من كلامه (الأنساب ٦٤٢).

وَعَنِ القَاسمِ النصرابَاذِي قَالَ: الإشَارَاتُ رُعُونَات الطبع، لا يقدرُ السِرُ على إخفائهِ فيظهرهُ بالإشَارَةِ.

وَقَالَ جعفر بن محمَدٍ الصّادِقُ: كَلاَمُ اللَّهِ تَعَالى أربعَةُ أشياء؛ إشارَة، وَعِبَارَةٌ. ولَطَائف وَحقائِقٌ. فالعبارَةُ للعَامِ، والإشَارَةُ للخَاصِ، وَاللطائفُ للأولياءِ. وَالحقائقُ للأنبياءِ عليهم السَّلاَمُ.

وَيُحْكى عَنْ أبِي بَكرِ الزقاقُ قَالَ: نهايَةُ الإرَادَةِ أن تشير إلى الله تَعَالى، فتجد الله سبحانَهُ فِي نفسِ الإشَارَةِ، فقالَ لَهُ رَجُلٌ: أيش الذِي يُسْتَوجَبُ بِهِ الإرَادَةُ؟ قَالَ: أن تشير إلى الله عَزَ وَجَل فتجد الله سبحانَهُ بِلاَ إشَارَةٍ.

وَقَالَ إبراهيم الخواصُ: مَنْ أشَارَ إلى الله وَسكن إلى غيرهِ، ابتلاَهُ اللَّه وَحَجب ذِكْرَهُ عَنْ قلبهِ، وَأجراهُ عَلِى لِسَانِهِ، فَإِذَا انتبَهَ وانقطَعَ مِمّنْ سَكَنَ إليهِ، وَرَجَعَ إلى مَنْ أشَارَ إليهِ كشف الله مَا بِهِ مِنَ البلوى وَالمحن، وَإنْ دَامَ على سكونه نَزَعَ الله تَعَالى رَحْمَتَهُ عَنْ قلوبِ خَلقهِ عليهِ، وَألبسَهُ لباسَ الطمع فِيهم، فيزْدَادُ مُطَالبته منهم مع فقدان الرحمةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَالشفقة عليهِ، فتصيرُ حياته عجزاً، وَموته كَمداً، ومعادُهُ أسفاً، ونحن نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ السُكُونِ إلى غيرِه.

وَسُئِلَ أبُو الحسين النُورِي عنَ الإشارة إلى الحق، فقال: تعبر الإشَارَةُ عَنِ العِبَارَةِ، وَوَجل الإشَارَةِ إلى الحق استغراقُ السرائر بالصِّدْقِ.

وَقَالَ ابن عَطَاءٍ: هَلاَكُ الأولياءِ بلحَظَاتِ القلوبِ، وَهَلاَكُ العَارِفين بالخطرات، وَهَلاَكُ الموحدين بالإشَارَاتِ الخفيةِ.

وَقَالَ رُويم: اللحظَةُ رَاحَةٌ، والخطرة إمارَةٌ، والإشَارَةُ بِشَارَةٌ.

وَقَالَ الجنيدُ: الخطرةُ إيمانٌ، والإشَارَةُ خُسْرَانٌ، وَالإعْرَاضُ كفرانٌ.

وَقَالَ النُورِي: الإشَارَةُ الكَلاَمُ الخفيُ.

وَقَالَ بعضهم: دَخَلَ رَجُلٌ على الجنيدِ، فَسَألَهُ مَسْألَةٌ، فَأشَارَ الجنيد بعينِهِ إلى السماءِ، فقال لَهُ الرجل: يَا أبَا القَاسِم، لاَ تُشِرْ إليهِ فإنَّهُ أقرَبُ مِنْ ذلك، فقالَ الجنيْدُ: صَدَقتَ، وَضحك.

وَقَالَ يحيى بنُ معاذٍ: إذَا رَأيت الرجُل يشير إلى العملِ، فطريقه طريق الورع، وإذَا رَأيتهُ يشير إلى الأمرِ فِي الرزقِ، فطريقهُ طريق الزُهْدِ، وَإذَا رَأيته يشير إلى الآيَاتِ، فطريقهُ

طريق الأبدالِ، وَإِذَا رأيتهُ يشير إلى الآلاء، فطريقهُ طريق المحبين، وَإِذَا رَأيته متعلقاً بِذِكْرِ اللّٰهِ تَعَالى فطريقه طريق العَارفين.

وَكَانَ رَجل يُكثر الإشَارَةِ عند الجنيد فقالَ لَهُ الجنيد: إلى كم تشير يَا هَذَا، دَعْهُ يشير إليك.

وَقَالَ بعضهم: كُلٌ يريد أن يشير إليهِ، لَكنه لم يجعل لأحدٍ إليهِ سبيلاً.

وَقَالَ الزقاقُ: حقيقة المريد وُجودُ المرادِ فِي أوْلِ الإشَارَةِ.

وَقَال أبو علي الرُوذَبَارِي: علمنا هذا إشارة، فإذا صَارَ عِبَارَةٌ خفي.

وَقَالَ الشبلي: كُلُ إشارَةٍ أشَارَ الخلقُ بِهَا إلى الحق، فَهِي مَرْدُودَةٌ عليهِمْ حتى يشيروا بِهَا إلى الحقِ بالحق، وَليسَ لَهُمْ إلى ذَلِك طريقٌ وَلاَ سَبِيل.

وَسُئِل عَنْ الفرقِ بين العِبَارَةِ والإشَارَةِ، فقالَ: العِبَارَةُ لِسَان العلم، وَالإشَارةُ خَاطرٌ، وَهُوَ لِسَانُ السرائر، والمعرفة مَوْهِبَة يتبعُهَا كسبٌ.

أنشدَ أبُو الْعَبّاسِ بنُ عَطَاء فِي مَجْلِسِهِ:

زجرتُ قلبي فلم ينزَجرْ   وَيطلُبُ شيئاً وَمِنْهُ يَفِرْ
يشيرُ إلى الحق مستظهِراً   وَإني عليه شفيق حذر

بَابٌ فِي ذِكْرِ الفِرَاسَةِ(١)

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: أخبرنَا أَبُو الحسنِ علي بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنُ جَهْضَم بِمَكَّةَ حرَسَهَا الله، قَالَ: حدثنا أَبُو بَكْرٍ محمد بنُ أَحْمَد بنِ دِينارٍ، قَالَ: حدثَنَا هَاشِمُ بنُ القَاسِمِ أَبُو العَباسِ، قَالَ: حَدثنا الحسَنُ بنُ عرفَة، قَالَ: حدثنا محمد بنُ كثير الكوفِيّ، عَنْ عمْرُو بن قيسٍ، عَنْ عطية، عَنْ أبي سعيدٍ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «اتقُوا فِرَاسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عزَ وَجل»(٢) ثُمَّ قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

وَسُئِل يُوسفُ بنُ الحسين الرَازِي عَنْ حَديثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «اتقوا فِرَاسَةَ المؤمِنِ فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللَّهِ عَزّ وَجَلّ» قَالَ: هَذَا مِنْ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ حق وخصوصية لأهْلِ الإيمان وَالوِلاية، وَزِيَادَةُ كَرَامَةٍ لِمَنْ نَوَّرَ الله تَعَالى قلبَهُ، وَشَرَحَ صدرهُ، وليسَ لأحدٍ أن يحكُمَ بذلك لنفسِهِ، وَإن كثُر صَوَابُهُ وَقلَ خَطَؤهُ، وَمَنْ لَمْ يحكم لنفسِهِ بحقيقةِ الإيْمَانِ وَالوِلاَية وَالسّعَادَةِ، فكيفَ يحكُمُ لنفسِهِ بفضلِ الكرامة، وإنما ذلك فضيلةٌ لأهْلِ الإيمَانِ مِنْ غير إشارةٍ إلى أحدٍ بعينه، والله أعْلَمُ.

وَسُئِلَ بعضهم عَنِ الفِرَاسَةِ، فقالَ: إذا استولَتِ الحقيقةُ على سرٍّ مَلّكَهُ الحقُّ الأسرارَ كلهَا، فَيُعَاينُهَا ويخبرُ عَنْهَا.

وَقَالَ أبو حفصٍ النَيسابُورِيُ: ليسَ لأحدٍ أن يدعي الفِرَاسَةَ، وَلاَ أن يتفرسَ فِي أحدٍ، وَلَكنَهُ ينبغي أن يتقي فِرَاسَةَ المؤمِنِ، لأن النَّبِي ﷺ قَالَ: «اتقوا فراسة المؤمن» وَلَمْ يقل تفرسوا فِي المؤمنين، وَكيفَ يَدَّعِي الفراسَةَ مَنْ هُوَ فِي محل اتقاء الفِرَاسَةِ.

وَقَالَ الكَتَانِي: الفراسَةُ مُكَاشفة اليقين، وَمَعاينَةُ الغَيْبِ، وَهُوَ مِن مقاماتِ الإيمَانِ.

وَقَالَ شَاهُ الكَرْمَانِي: ثلاثٌ مِنْ عَلاَمَاتِ الفِرَاسَةِ: الإصَابَةُ مَعَ خوف الظنِ، وَالاسْتِكَانَةُ مَعَ الإصَابَةِ بحسن الفَهْمِ، وَتلقي القَضَاء قبل وُقوعِهِ بفهم الفَهمِ.

---

(١) قال الجرجاني في تعريفاته: الفراسة في اللغة: التثبت والنظر، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب (التعريفات ١٧٢). وعند أهل السلوك: اطلاع مكاشفة اليقين ومعاينة السر، وقيل: الفراسة: اطلاع الله على القلب ويُطِلعُ القلب الغيوب بنور اطلاع الله وذلك نور قلب المؤمن الذي قال في حقه النبي ﷺ: (المؤمن ينظر بنور الله). وقيل: الفراسة هي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية. (معجم المصطلحات الصوفية ١٣٥).

(٢) رواه البخاري في التاريخ، . والترمذي عن أبي سعيد، والحكيم وسمويه، وللطبراني في الكبير ولابن عدي في الكامل عن أبي أمامة بن جرير عن ابن عمر (الجامع الصغير ١/ ٢٤).

وَقيل لأبي العباسِ بنِ عَطَاءِ: لِمَ جُعِلَ لبعضِ المؤمنين فراسَةٌ دُوْنَ بعض؟ فقال: مَنْ كَانَ حَظُهُ مِنْ مُشَاهَدَاتِ الخطابِ أكثر، كَانَ اطلاعَهُ على الأسرارِ أتَمَّ.

وَسُئِل آخر عَن الفِرَاسَةِ، فقال: أرواحٌ تتقلبُ فِي الملكوتِ، فتشرفُ على مَعَانِي الغيوب، فتنطقُ عَنْ أسرارِ الخلقِ نطق مشاهَدَةٍ لا نطق الظنون والحسبَانِ.

وَقِيل: أهْلُ الفِرَاسَةِ مخاطبون بِبَوَاطِنِهُمْ، كَمَا أنهم مخاطبونَ بظواهِرِهِمْ فلاَ يشكلُ على بواطنهِمْ خبر، كَمَا لا يشكل على ظواهِرِهِمْ حُكْمٌ.

وَعَنْ أنسِ بن مَالِكٍ قَال: دَخَلتُ على عثمان بن عفانَ رَضِيَ الله عَنْهُ، وَكنتُ لقيت امرأةً فِي الطريق، فنظرتُ إليهَا نظراً شزراً، وتأملتُ مَحَاسنها، فلما دَخلتُ عليهِ قَالَ لِي: يَدْخُل عليّ أحَدُكُمْ وَآثار الزنَاء ظاهرة فِي عينيهِ، أمَا علمتَ أن زِنَا العيونِ النظر، لتَتوْبَنَ أو لأُعَزِّرنك، فقلتُ لَهُ: أوَحيٌ بعد النَّبِي ﷺ؟ فَقَالَ: لاَ، وَلَكِنْ تبصرة وبُرْهَانٌ، وَفِرَاسَةٌ صَادِقَةٌ.

وَعَنْ حمزة بنِ عبد اللّهِ العلوي قَالَ: دَخلتُ على أبي الخير التيناني(١)، وَكنت قد اعتقدت فِي سِري فيما بيني وبين الله، أن أسلم عليهِ وَأخرج وَلاَ أتناوَل عنده طَعَاماً، ثم دَخلتُ وَسلمت عليهِ وَخرجتُ مِنْ عندِهِ، فلما تباعدت عَنْ القريةِ فَإذَا بِهِ قد حمَل معه طَعَاماً، فقال لِي: يَا حمزة كُلْ هذا فقد خرجت السَاعَة مِنْ اعتقادِكَ.

وَعَنْ أبي سعيدِ الخراز قَال: دَخلتُ المسجدَ الحرام فرأيت فقيراً عليهِ خرقتان فقلتُ فِي سِري: هذا وأشباهه كَلٌّ على الناسِ، فَنَادَانِي وَقَالَ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] فاستغفرتُ الله تَعَالى فِي سرى فنادَاني فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥] ثم غاب عني فلم أره.

وَعَنْ إبراهيم الخواص قالَ: بينما نحن جلوسٌ جماعَة مِنْ أصحَابِنَا فِي جَامِع المدينَةِ ببغداد، إذا أقبل إلينا شابٌ ظريف، عاقل، حسن الوجهِ، حسن اللباسِ، طيبُ الراحَةِ، حَسَنُ الأدب، فسلم وَجلس إلينا، فلما أن فاتحنا الكَلاَم وأنس بنا وجدنا مخبره أحسن من منظره

---

(١) حماد بن عبد الله الأقطع التيناني أبو الخير، أحد مشايخ الصوفية، صحب كثيراً من جلة مشايخ الصوفية، وأصله من المغرب، وسكن التينات ـ قرية على أميال من المصيصة ـ وكان من العُبّاد المشهورين، والزهاد المذكورين، كان ينسج الخوص بيديه، وكانت السباع تأوي إليه وتأنس به ولم تزل ثغور الشام محفوظة في حياته إلى أن توفي رحمه الله سنة ٣٤٣ هجرية. (طبقات ابن الملقن ١٩٠، طبقات السلمي ٣٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧).

وظَاهرِهِ، فما زَالَ معنا، فتفرستُ فيهِ أنه يَهُودي، فقلتُ لأصحابي مَا وَقَع لِي، فأنْكَروا ذلك لما كَانُوا يشاهدون من عقله وفهمه وحسن ثيابهِ، ثم غَابَ عنا وخرجتُ أنا فِي بعض أسفاري، فَعاوَدَهُمْ فسأل عني، فأخبر إني غائبٌ فسألهم وألح عليهم، وَقَالَ: مَا الذي قَالَ صَاحبكم فِيَّ فاحتشموا أن يُعَرفُوهُ مَا كُنتُ ذَكَرْتُ فِيْهِ، فَقَالُوا: مَا قَالَ إلا خيراً، فَنَاشَدَهُمْ بِمَا يَعتَقِدُونَهُ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قلتُ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إسلامُهُ، وَصَارَ مِنْ كِبَارِ الصوفيةِ. وَقَالَ: إنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِنَا أن الصديق المخلصَ مِنْ أمةِ محمَدٍ عليهِ السلام لاَ تخطِىء فراسَتُهُ.

وَقَالَ الفرغانِي[1]: كُنتُ أمشي يَوماً خلف دَابَةِ أبي عثمان، وَكَانَ وحلاً فوقع فِي خَاطِرِي، وَقلتُ: هَذَا الرجُل على هذهِ الدابة لاَ يعلم أنا نَجِدُ الْبَرْدَ، ويشق علينا المشي فِي هَذِهِ الأوْحَالُ، قَالَ: فنزل أبو عثمانَ فِي الوقتِ عَنْ دَابَتِهِ وَقَالَ لِي: اركَبْ، فركبتُ، فجعل أبُو عثمان يمشي خلف الدَابَةِ وَأنا رَاكِبٌ وَفِي قلبي مَا فيهِ، فلما بلغتُ بَابَ الدَارِ وَنزلت قَالَ لِي: يَا فرغاني أنت إذا مشيتَ خلف الدَابَةِ وَأنَا رَاكِبٌ يَكونُ فِي قلبي مثل الذي يكون فِي قلبك، وَأنَا أمشي وَأنتَ رَاكِبٌ أو أشد.

وَقَالَ شَاهُ الكَرْمَانِي: مَنْ غضَّ بصرهُ عَنِ الحرَام، وَأمسك نفسَهُ عَن الشهواتِ، وَعمر بَاطِنه بِدَوَامِ المُرَاقَبةِ، وَعَوّدَ نَفْسَهُ أكْلَ الحَلاَلِ، لَمْ تخطىء فِراستُهُ.

وَعَنْ زَكَريَا بن ذكرويُه[2] قَالَ: دَخَلَ أبو العباسِ بن مَسْرُوقٍ على أبي الفضل الهَاشمي وهو عليل، وَكَانَ ذَا عِيَالٍ ولم يعرفْ لَهُ سبَبٌ، فلما قمت قلتُ فِي نفسِي: من أين يَأكُل هَذَا الرجل؟ قَالَ: فَصَاحَ بِي: يَا أبَا العَبّاس رُدّ هذه الخواطِر الرّدِيئة، والهمة الدنية، فإن الله عَزَ وَجَل ألطافاً خفية.

وَعَنْ أبي مُوسَى الدَّيْبُلي قَالَ: سَألتُ عَبْدَ الرحمنِ بن يحيَى عَن التَوكُل، فقالَ لِي: لَو أدخلت يدك في فم التنين حتى تبلغ الرسغ، لم تخف مَعَ الله عز وجل شيئاً. قَالَ أبو مُوسَى: فخرجتُ إلى أبي يزيدِ البسطَامِي أسألهُ عَنِ التوكُل، فدخلتُ بِسْطَامَ وَدَققتُ عليهِ

---

(١) شيخ الصوفية، الأستاذ أبو بكر محمد بن إسماعيل الفرغاني أستاذ أبي علي الدقي، كان من المجتهدين في العبادة. قال الدقي: ما رأيت من يظهر الغنى مثله، يلبس قميصين أبيضين ورداء وسراويل ونعلاً نظيفاً وعمامة وفي يده مفتاح وليس له بيت بل ينطرح في المساجد. توفي رضي الله عنه ٣٣١ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٠، طبقات ابن الملقن ٣٠٢، الشذرات ٢/ ٣٢٩).

(٢) زكريا بن يحيى بن أسد أبو يحيى المروزي يعرف بزكرويه، سكن بغداد، وحدث عن جماعة منهم معروف الكرخي وروى عن جماعة منهم أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، وكان ثقة لا بأس به توفي سنة ٢٧٠ هجرية. (تاريخ بغداد ٨/ ٦٤٩).

البابَ، فقالَ لِي: يَا أبَا مُوسَى أمَا كَانَ لك فِي جَوَابِ عبد الرحمن قناعة حتى تجيىء وَتسْألني فقلتُ: افتح البابَ، فقالَ: لَوْ زُرتني لفتحت لك البابَ، جَاءَ الجوَابُ مِنَ البابِ، فانْصَرِفْ لو أن الحية المطوقة بالعرش جَاءَتْ تَهُمُ بك لَمْ تخف مَعَ الله عز وَجَلَ شيئاً. قَالَ أبُو مُوْسَى: فخرجتُ حتى جئت إلى دِيبل فأقمتُ بِهَا سَنَةً ثُمَّ اعتقدتُ الزِيَارَةَ فرحْت إلى أبي يزيدَ فقالَ: زُرْتَنِي مَرْحَباً بالزائِرِ ادْخُلْ، فأقمت عنده شهراً لا يقع لي شيء إلا أخبرني بِهِ قبل أن أسألهُ، فقلتُ: يَا أبَا يزيد، أخرج وَأريدُ الفَائِدَة منك أخرجُ بِهَا من عندك، فقالَ لِي: اعلم أن فَائدةَ المخلوقين ليست بفائِدةٍ وَلَكِنْ حَدثتني أمي أنها كَانَتْ حَامِلاً بِي فَكَانَتْ إذا قدمَتْ لَهَا القصعةُ مِنْ حلالٍ امتدتْ يَدُهَا فأكلت، وإنْ كَانَتْ مِن حَرَامٍ جفت فلم تأكل، اجعلها فائدة وَانصرف، فجعلتها فائدةً وانْصَرفتُ.

وَعَن الجَلاَجلي قَالَ: سمعتُ شيخي يقول: كنتُ قاعداً فِي الجَامِعِ ببغدَاد، فَإذَا أنا بالجنيد قد أقبل، فقلتُ فِي سِري: وَأي امرءٍ قد أقبل؟؟ فَجَاءني الجنيد فوقف عليّ، ثم قَالَ لِي: أيش حَالُك يَا مَنْ يغتابُ الناسَ فِي سِرِهِ.

وَعَنْ يُوسف بنِ الحسين أنَّهُ قَالَ: تركت الشهوات كُلها إلاّ الرُمَان، فإني لم أقدر على تركِهِ، فبينا أنَا فِي اللكَام[1]، إذْ رأيتُ شيخاً على ظهر الطريق مبتلى بالجذَام والنُورُ يسطع مِنْ جبينِهِ فجلستُ إليهِ وقلتُ لَهُ: إنّ مَعي دَعوةً مستجابَةً، أفتحبُ أن أدْعُو الله تَعَالى لك يذهبُ عنك هذا البلاء قَال: لاَ، أفلا سألتَهُ يذهبُ عنك شهوة الرُمَانِ!!؟.

وَقالَ إبراهِيم الخواص: دَخلتُ الْبَادِيَةِ فَأصَابَتني شدة، فَلما بلغْتُ مَكَّةَ قلتُ: مَنْ مِثْلي، فإذا عجوز تنادِيني: يا إبراهيم الخواصُ، أنا امرأةٌ ضَعيفَة وَكنتُ معكَ، وَلم أحب أنْ أكلمَك فِي مَكَانٍ يشتغل سرك، فأَخْرِجْ عنْ قلبَك الْوَسْوَاس. قال إبراهيم: فاستغفرتُ اللَّهَ عزَّ وَجَلّ.

وَعَنْ محمدِ بنِ حَاتم الترمذي، قالَ: كُنَا في أيام محمد بن علي الترمذي قد حضرنَا دَعوة لهُ اجتمَعَ فيها جميع الشيُوخ، قَالَ: فحمل إلينا سبطاً له لندعُو له، فدعَا لَهُ جمِيع مَنْ حضَر: إلاّ أبو بكر الورَاق وَأنا، قَالَ: فأخذتُهُ ونَظرتُ إليهِ وَلَمْ أدع لَهُ، وَنَظرتُ إلى أبي بكرِ الورَاق، فَقَالَ لي أبو بَكرٍ: لا تَدْعُ لَهُ وأَخرَجُوهُ، قَالَ: قَالَ أبو جعفرِ البلخي المعروف بالحَمَامِي: فَذَاكَ الصبي الآن صَاحِبُ جيش خراسَان، ثم كانَ صَاحبَ الصغاني فَقَتله ابن فيروز عَلَىٰ بَابِ جُرجان، فَفَارقته حياته وَهو سَكرَان، وكانَ أظلم الناسِ فِي عَصره،

(١) اللُكام ـ كغراب ورُمّان ـ: يسامت حماة وشيزر وأفامية ويمتد شمالاً إلى صهيون والشغر وبكاس وينتهي عند أنطاكية (القاموس مادة ل ك م).

وَأسفكهم للدمَاء.

وَعَنْ حبيب المغربي قالَ: لمَّا وَرَدْتُ مِصْرَ ذُكِرَ لي أبو الْحَسَنِ الدينوري، قالَ: فكأني استصغرتُهُ، ثُمّ جئت فلمَّا نَظَرَ إليَّ قَالَ: يتكلمون خلفنا ثم يَجِيئُونَ يقعدون إلينَا، فَقُلْتُ في نفسي سبحان الله يعلم الغَيبَ، فَقَالَ: لَيس هذا غيب ذا فضل الله يؤتيه من يشاء، فرجعت في سري إلى الاستغفار، فقال: الساعة رجعت.

وخرج سفيان بن عيينة للوعظ، فحضر من مجلسه أربعون ألفاً، فتنفس الصعداء وَقَالَ: سُبْحَان الله، رَجُلٌ جَالَسَ مَنْ جَالسَ مَنْ جالَسَ أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ عَاشَ حتَّى جَالَسَ أمثالكم. قَالَ: فَقَامَ يحيى بن أكثم[1] فَقَالَ وَأعجَبُ مِنْ هذا أبَا مُحَمَّدٍ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قال: أقوامٌ جَالَسُوا أصحابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَاشُوا حتَّى جَالَسُوا مثلَكَ، قَالَ: ممن الرجل؟ قالَ امرؤٌ مِنْ أهل خراسَان، قال: مِنْ أي بلدةٍ؟ قالَ: مِنْ مَرْو. قَالَ: أرَاكَ تتولَّى شيئاً مِنْ أمور المسلمينَ، فَإذا وَليت فاعْدِل، فولي القضاءَ والحكومَةَ.

وَذَكَر أن الفرغَانِي صَاحِبَ أبي عثمان الحيري كانَ يخرجُ كل سنَةٍ حَاجاً، فقيل لَهُ: هل تَزُور أبا عثمان الحيري إذا دَخَلْتَ نَيْسَابُور؟ فقَالَ: لاَ، فَقَالَ لَهُ الرجُلُ: زُرْهُ، فَإِنَّهُ فَاضِلٌ فَدَخَلَ عليهِ وَسلم عليهِ، فقالَ الفرغَانِي في نَفْسِهِ: هذا عَجَبٌ رَجُلٌ عَالِمٌ لَمْ يردّ السَّلامَ وَهُوَ الفرض، فَقَالَ أبُو عثمان لأصحابِهِ: مثل هذا يَخْرُجُ وَيقُولُ: أحج وَيترُك أُمَّهُ ولا يبرهَا أو كما قالَ، قالَ: فرجع الفرغَاني إلى فرغَانة وَنَوى أن لا يُسَافِرَ مَا دَامَتْ أُمُّهُ باقية، فلمَّا مَاتَتْ قصَد أبَا عثمان، فلما دَخل مجلسَهُ استقبلهُ وَأجْلَسَهُ، فَسَألَ الفرغَاني أبا عثمان سياسة دَابته فخدمهُ إلَىٰ أنْ مَاتَ.

وَرُوَي أن محمداً الرُّومي دَخَلَ دَارَهُ في وَقتِ خُرُوج الحَاج، وَقال لأهْلِهِ: هَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ؟ فَأخْرجَتْ امْرَأتُهُ خُريقة فيها دِرْهَمَان وثلثان، فَحَمَلَ كيساً لَهُ وَخَشَبَةً، فقالَتْ: إلى أين؟ فَقَالَ: إلَىٰ ظَاهِرِ البلد، فلمَّا خَرَجَ قَالَ: لاَ يجبُ أن أخْرُجَ دُونَ أنْ ألْقَىٰ الأستاذَ، فَدَخَلَ على أبي عثمان، فتفرّس فيهِ أنَّهُ مُسَافِرٌ فَقَالَ: أيش مَعَك؟ فَأخْرجَ الخِرْقة فَرَمَىٰ بهَا إليهِ، فَأَمَرَ حتَّى اشْترَى بِهِ زَبِيباً وَجَوزاً، ثم أمرَ بصبه بين يدي أصحابِهِ، قَالَ: كُلُوا، فَأكَلُوا مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إذا فَرَغُوا مِنَ الأكْلِ قَامَ، فَقَالَ: إن خرجت كيف أمضى، ولا شَيْءَ مَعِي، فَإنْ

---

(١) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن شيخ، من ولد أكثم بن صيفي التميمي، يكنّى أبا محمد، وهو مروزي، وكان عالماً بالفقه، بصيراً بالأحكام، ولاه المأمون القضاء ببغداد، كما كان أديباً شاعراً، توفي سنة ٢٤٢ هجرية بعد منصرفه من الحج ودفن بالربذة (تاريخ بغداد ١٤/ ١٩١).

دَخَلْتُ الدَّارَ، قيلَ لي: بهذا المقدارِ كنتَ تُريد الحج، فَقَالَ: بَلْ أَخْرُجُ منزلاً مِنَ البلدَةِ، فخرَجَ فَصَارَ إلى بيكند(1)، وَقَدْ أعيا فاستلْقَىٰ عَلَىٰ قَفَاهُ على باب خَانٍ، فَإِذَا بنفسَيْن يشتَريان الحوائج، ثم دَخَلاَ الخَانَ، ثم أقبَلَ شابٌ حسن الوجهِ فوقفَ عليهِ وَسَلَّمَ، ثم قالَ: يَا شيخ هَلْ لَكَ أَنْ تَنْوِي الحج، فإنَّكَ إن خرجت عدَّلتك بنفسي، وَهذا الشيخ عَدِيلي أعدله بإنسانٍ آخر، فَقَالَ محمد الرُّومي: قد نويتُ، فخرجَ بِهِ إلى الحجِّ فحَجَّ وَرَجَعَا إلى نَيْسَابُور، فنزلا خانَ حنظلة ببابِ مَعْمَر، ثم أخرج ممَّا حملَ من البلدان مِنْ تِلْكَ العُروضِ ودَعَا بحمال فَدَفعها إليهِ، وَصرةً فيها مائة وَخمسون دِرْهَماً، وَقَالَ: يَا شيخ اعذُرْني في تَقْصِيري مَمَا يجبُ عليَّ في حقِّكَ، وَلَوْلا أنَّكَ ذَكَرْتَ أنَّ لَكَ عيالاً هَا هُنَا لَحَمَلْتُكَ مَعِي إلى بلادِي وَوَدعه، فلمَّا بلَغَ محمد الرُّومي قرب الدار قال للحمَّال: قِفْ حتّى ألقى الأستاذ، فَدَخَلَ سكة أبي عثمان وَهُوَ يُؤذِن، فلمَّا فرغَ مِنَ أذانِهِ، قَالَ لَهُ بالفَارِسِيَّة: ثه يَك بوذَ كما ترا أذان جهان دانَك برهَا نيدم، معناه ما كَانَ جَيِّداً خلصناك من أربعة دوَانِيق؟!، ثم لحق محمد الرُّومي بداره وَعيالِهُ سَالِماً.

وَقَالَ ابن عباسٍ رضي الله عنه: أفرسُ الناسِ خمسة؛ بنتُ شعيب تفرست فِي موسَى عليهِ السَّلام، فقالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وَالملك الذي تفرسَ فِي يوسف، والقوم فيهِ زاهدُون. وَالعَزيز الذي تفرَّسَ في يوسف، فقالَ لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١] . وَأَبُو بَكرٍ الصديقُ رضي الله عنْهُ حين تفرَّسَ في عمر رضي الله عنه فاستخلفه. وَخَدِيجَةُ رَضي الله عنها حينَ تفرسَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فتبعته قبل أنْ يُوْحَىٰ إليهِ.

وَقِيلَ لبعضِ الحكَمَاء: ما الفِرَاسَةُ؟ قَالَ: الإصابةِ بالظنون، ومَعرفة مَا لم يكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ. وَقِيلَ لبعضهم: مَا عَلاَمَةُ الفِراسَة؟ قَالَ: إِصَابَة الظن بالحقِيقَةِ.

وَقَالَ خير النساج(2): كنتُ ذَاتَ يومٍ جَالساً، فجرَىٰ في خَاطِرِي أن الجنيدَ بالبابِ

---

(1) بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى، كانت بلدة حسنة كثيرة العلماء، خربت منذ زمان (معجم البلدان ١/ ٥٣٣).

(2) خير النساج وكنيته أبو الحسن، كان أصله من سامراء، وأقام ببغداد، وكان اسمه محمد بن إسماعيل، إنما سمي خيراً النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة فقال: أنت عبدي واسمك خير - وكان أسود - فلم يخالفه، فأخذه الرجل واستعمله في نسج الخز سنين وكان يقول له: يا خير، فيقول: لبيك، ثم قال الرجل - بعد سنين - أنا غلطت!! لا أنت عبدي ولا اسمك خير، فلذلك سمي خير النساج، وكان يقول: لا أغير اسماً سماني به رجل مسلم. عاش مائة وعشرين سنة (طبقات السلمي ٣٢٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٧).

أَخرجُ إليهِ، فنفيته عَنْ قَلْبِي وَاعتقدتُ أنه وَسْوَسَة مِنَ الشيطان، فخَطَرَ بِقَلْبِي ثانية أن الجُنَيدَ بالبابِ أخرجُ إليه، فنفيت ذلك عن سِرِّي، فوقع لي خاطر ثالث فعَلمت أنه حق وَلَيسَ بِوَسْوَسَةٍ، ففتحت باب الدَّارِ فَإِذا الجنيد قائمٌ، فَقَالَ لي: لِمَ لم تخْرج مَعَ الخاطِر الأول؟؟.

وَقَالَ أبو عثمان المقري: جاء إبراهيم بن المولد[1] إلى أبي الخير التيناتي فصلى خلفَهُ، فَقرأ أبو الخير فاتحة الكتاب فاستصغره إبراهيم بن المولد، وَخَطَرَ بِبَالِهِ أني جئت إلى هذا الرجل وَهو في نَفْسِهِ لا يقومُ فاتحة الكتاب، فَلَمَّا صَلَّىٰ حملَ الركوة لتطهره فحمل عليه السَّبُعُ، ففزعَ إبراهيم وَرَجع إلى أبي الخير فقال أبو الخَير: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: جاء الأَسَدُ، فجاء أبو الخَير فَقَالَ: أليس قلتُ: لا تتعَرَّضوا لأضيافنا؟؟ فرجع الأسد، فقالَ أبو الخير لإبراهيم: نَعَمْ أَنْتُمْ اَشْتَغَلْتُمْ بتقويم الظاهر، وَنَحْنُ اشْتَغَلْنَا بتقويم الباطن، فمن اشْتَغَلَ بتقويم الظاهر خَافَ مِنَ الأَسَد، وَمَنْ اشتغَلَ بتقويم الباطن خَافَ مِنْهُ الأَسَد.

سمعتُ أبا الحَسَن الهمذاني الوصي، قَالَ: سمعتُ أحمد النقيب، قَالَ: دَخلت على الشبلي فَقَالَ: صفعونا يا أحمد، فقُلْتُ: ما الخبر؟ فقَالَ لي: كنتُ جالساً فجرى بِخَاطِرِي أَنَّك بخيلٌ، فقلتُ: مَا أَنَا ببخِيل فقاومني خَاطِرِي وَقَالَ: بَلَىٰ إنَّكَ بخيلٌ فقلت: ما فتح اليوم علي بشيء إلاّ أدفعه إلى أول فقير يلقَانِي، فما استتمَّ الخَاطِر حتّى دَخَلَ عليَّ صَاحِبُ يونس الخادِم. ومعه خمسون دِيناراً، فَقَالَ: اجْعَلْهَا في مصَالحك، فأخذتها وقمت فخرجت، فإِذَا أنا بفقير مكفوف بين يدي مُزَين يحلق رأسَهُ، فقدمتُ إليهِ وَنَاولته الصرَّة، فَقال: أعطها المزين، فقلتُ: إنَّها دَنانير فقال: أوليسَ قلتُ لكَ إنَّك بخيل؟؟ قال: فناولتها المزين فقالَ: عقدنَا لمَّا جلسَ الفقير بينَ يديْنَا أن لا نأخذ عليهِ أجراً، فرميت الدنانير في دِجْلِةَ وَقُلْتُ: ما أعزَّك أحدٌ إلا أذَلّهُ اللّه.

سمعت أبا محمدٍ المحاوري في مسجدِ الخيفِ بمكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ يَحْكِي عَنْ أبي الحسَن بن زريق وَكَانَ صَحبَهُ، قَالَ: قَالَ لي يوماً أبو عَبْدِ اللّهِ المَروعَبْدِي تخرجُ إلَى طوسٍ؟ قلتُ: نَعم، فخَرجنَا فَلما بلغنا أجرد[2]، قَالَ: اشتَر الخبز، قَالَ: فاشتريتُ مِنَ الخبزِ مَا يَكفي اثنين، فقالَ اشتر أكثر منه، فتعمدتُ واشْتَرَيْتُ الكثيرَ منهُ، وَقُلْتُ في نفسي أيش يعمل بجميع هَذا الخبز، فلما بلغنَا الجبل إذا بثمانية أنفسٍ مقيدين قيدهم اللُّصوص، فَقَالوا: نحنُ

(١) إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المولَّد الرقي، أبو الحسن الزاهد الصوفي الواعظ، شيخ الصوفة أخذ عن الجنيد وجماعته، توفي سنة ٣٤٢ هجرية (شذرات الذهب ٢/ ٣٦٢).

(٢) اسم جبل بين المدينة والشام (ياقوت ـ معجم البلدان ١/ ١٠٢).

هَاهُنَا منذ يَوْمَيْن جِياعٌ، قَالَ: فأطلقناهم مِنْ وثَاقِهم، وَطَرحنا الخبز بين أيدِيهم، فَقَالَ أبو عبد اللَّهِ: لعل هَذَا الخبز لأَجْلِهِمْ حَمَلْنَاهُ.

قَالَ: وَكَانَ أبُو عبيد البسْري بِعَرَفَةَ، قَالَ: وَالِى جنبِهِ ابنُهُ. فَقَالَ: يا بني يهنيك الفارسُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ وَأي فَارِسٍ؟ قَالَ: وَلدَ لَكَ السَّاعَةَ غُلاَمٌ، قَالَ ابْنهُ: فَلمَّا صِرْنَا إِلَى بُصْرَىٰ وَجَدْتُ المرأة قد وَلَدَتْ غلاماً يَومَ عَرَفة فِي السّاعَة التي أخبرنِي وَالدِي بِولاَدتها فِيهَا.

وَقَالَ الهمْذانِي العلوي: اشتريْتُ بَطَّةً وَجعلتها في التَّنُّورِ، وَجَعَلتُ تحتها شيئاً، وَخْرَجْتُ إلى جعفرَ الخَلِدِي، فلما أردتُ أن أخرجَ مِنْ عندِهِ، قَالَ لي جعفرُ: أَقِمْ عندنَا اللَّيلةَ فَأَبَيْتُ وَخَرَجْتُ إِلَى البيتِ، فإذا كَلبٌ دَخَلَ وَحَمَلَ البَطَّة فَاستوحشت وبَقي الذي وَضَعْنا تحتها، فَلَمَّا كَانَ الغَدُ دَخَلْتُ على جعفر، فَقَالَ لِي: مَنْ خَالَفَ المشَايخ سُلطَ عَلَيْهِ كلبٌ.

وَحُكِيَ عَنْ ذِي النُّون أنه قَالَ: حُرِّمَ الزِّيَادَةُ في الدين، وَالإلهام في القلبِ، وَالفِراسَةُ في الخلقِ، على ثلثَه نَفَرٍ، بخيل بدنياه، سخيّ بدينه، سَيىءِ الخلقِ مع اللَّهِ عزّ وجلّ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الحَاضِرِينَ: بخيل بدنياه قد عرفنَاه، سخي بدينِهِ قد عرفناهُ، صف لنا من سَيىء الخُلق مَعَ اللَّه عزّ وجلّ، قَالَ: نَعَمْ، يقضي اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى قضَاء ويمضي قدراً، وينفذ علماً، وَيختار لعبده أمراً، فَيُرىٰ صَاحِب سُوءِ الخُلُقِ مضطرباً مَعَ اللَّه سبحَانَهُ، وذَلكَ كله غير رَاجعٍ إليهِ وَلاَ رَاضٍ بهِ، وإنما يشكُو اللَّه جَلَّ جَلاَلَهُ إلى خَلْقِهِ فما ظَنُّكَ بِهِ؟.

بَابُ فِي ذِكْرِ السَّمَاع

رُوِيَ عَنْ بكَّارِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ وَهْبٍ، قَالَ: سمعتُ ابنَ أبي مَلِيكَة يقولُ: سمعتُ عَائشة رَضِي اللَّهُ عنها تَقُولُ: كَانَتْ امرأةٌ تَسمعني، فَدَخَل رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهْيَ على تِلْكَ الحَالَة ثم دَخَل عمر بن الخطاب رَضي الله عنه، ففرّتْ، فضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقال عمر رَضِي اللَّهُ عنه: ما يُضحكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فحدَّثه، فَقَالَ عمر: واللَّه لا أخرجُ حتّى أسمعَ مَا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَها فسمَّعتْهُ.

قَال: وسئل الجنيد بن مُحمد عن السَّماع، فقَالَ: كل من سمعَ فِي قوة حَالِهِ قلَّ وُجوده، ومن سمعَ في ضعف حالِهِ كثر وُجُودهِ وَتَوَاجُدُهُ.

وَسُئِلَ الحصري عن السماعِ، فَقَالَ: ينبغِي أن يكونَ ظمأ دَائم، وشِربٌ دَائِمٌ، كُلَّما ازدَادَ شرباً ازدَادَ ظَمَأً.

وَقِيلَ: السَّمَاع مُكَاشَفَة الأَسْرَار إِلَى مشاهَدَةِ الجبار.

وَسئل ذُو النُّون عن السماع، فقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حقٌّ جاء يزعج القلوبَ، إلى حقٍّ، فمَن اصْغَى إِليهِ بحقٍّ تحقق، وَمَنْ أَصْغَى إِليهِ بنفسٍ تزندق»[1].

وقال يحيى بن معاذ: على قدر حسن الاستماع تجد حسن الانتفاع.

وحكي أن شاباً سمع سماعاً فسقط، فحرك فإذا هو ميت، فلما أرادوا غسله خرج فؤاده قطعاً.

وقَالَ أبو عثمان الحيري: أَهْلُ السَّماعِ في الاستماع طبقاتٌ؛ تائبٌ، وَصَادِقٌ، ومَستقيمٌ. فالتَّائبُ: إذا سمع شيئاً مِنَ الذكر خَطَر على قلبهِ شيء من ذكرِ اللَّهِ عزّ وجلّ، فَأَرَادَ إظهاره حتى يعرف الناسُ رُجُوعَهُ إلى التَّوْبة. والصَّادِقُ: إذا خطر على قَلبهِ ذكر مذكوره كفاه الله تَعَالَى بِأَحْوَالِهِ. والمُسْتَقِيمُ: إذا خَطَر على قلبهِ بينة مِنْ رَبهِ، نَظَر من ربِّهِ إلى ربِّه تَبَارَك وتَعَالَىٰ.

وَقَالَ الفضيل بن عياضٍ: ينبغي للمستمع أن يَكونَ غَائباً كشاهِدٍ، وَلاَ يكون شَاهداً وهو غَائِبٌ عَنْ معنَاهُ.

---

(١) لم أجده حديثاً، وهو في اللمع وكشف المحجوب من كلام ذي النون المصري. (راجع اللمع ٣٤٢، وكشف المحجوب ٦٥٢).

وَسُئلَ أبو بكر بن طَاهِرٍ عن السماع، فَقَالَ: لذة كسائرِ اللّذات، وَتركُهُ أوْلى لا مَحَالَة.

وَسُئِلَ الجنَيْد بن محمدٍ عنِ السَّماع، فَقَالَ: السمَاعُ على ثلاثة أوجهٍ؛ مستمع بقلبِهِ، ومستمع بنفسِهِ، ومِسْتَمع بربِّهِ.

وَقَالَ يحيى بن معاذٍ مَنْ استمعت أذنُهُ لِرَبِّهِ صمت عنْ خلقِهِ.

وَقَالَ سَريٌّ: تطربُ قلوب المحبين عند السَّماع، وتخافُ قلوبُ المذنبِينَ، وتَلتهب قلوبُ المشتاقين.

وَقَالَ الجنيد: تنزل الرَّحمة على الفُقَراء فِي ثلاثة مَوَاطِنَ؛ عند السَّماع يَسْتَمِعُون مِنَ الحقِّ، وعندَ العلم يتكلمون عَنْ وَجْدٍ، وعند الطَّعَامِ يَأكلونَ عَنْ فقرٍ.

وَقِيلَ: الصوتُ الطيبُ رَوحَانِي، فمَنْ تشاكُلهمَا أن كُل ذِي رَوحٍ سليمَة تحب الأصواتَ الطيبَة.

وسئلَ بعضهم عَن السمَاع فَقَالَ: ظاهرُهُ فتنة وبَاطِنُهُ عبرةٌ.

وَقَالَ الواسِطِي، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مَا الذي يزعج الخلقَ في وَقْتِ السماعِ، وَمَا هُوَ، وَمِنْ أينَ هُوَ؟ قالَ: بُرُوقٌ تلمعُ ثم تخمد، وأنواء تَبْدُو ثم تخفَى مَا أحلاها لَوْ بقيت مَعَ صَاحِبِهَا طرفة عين. ثم أنشأ يقول:

خَطْرَةٌ في القلبِ منْهَا خَطَرتْ   خطرة البرقِ ابتدا ثم اضمحَلْ
أي زَورٍ لَكَ لو حقاً سَرىٰ   وَملمٍ بِكَ لو حقاً فَعَلْ

وَقَالَ النصْرأبادي: لكلِّ شيءٍ قوتٌ، وَقوتُ الرُّوح السَّماع، لأنه صَادرٌ عن الحق وَرَاجع إليهِ.

وَقَالَ محمد بن عليٍّ الكتَاني المستمع يَجبُ أنْ يكونَ سَمَاعهُ غير منْترَوحٍ إليهِ، يهيج منهُ السَّماعُ وَجْداً وَشَوْقاً، أو غَلْبَةً، وأرَادَ غَلبَةً تُعينُهُ عَنْ كُل مَسْكُون مَألوفٍ.

وأنشد على أثره:

فَالوَجْدُ والشَّوْقُ في مَكَانٍ   قد منعاني من القرار
هُمَا مَعِي لاَ يفَارِقَانِي   فَذَا دِثَارِي وذا شِعَاري[1]

---

(١) الشعار ما يلامس الجسد من الثياب والدثار ما يلبس فوق الشعار.

وَسُئِلَ بعضهم عن السَّماعِ، فَقَال: مَا وَجَدْتَ قلبَك يصلح عليهِ فَافْعَلْهُ[١].

وَقَالَ بعضهم: السَّماع الطيبُ إذا قَرَعَ القَلْبَ مثل الغيثِ إذا وَقَعَ على الأرضِ المجدبة، فتصبح الأرضُ مخضرَّة، كذلك القلوبُ الزكيَّة تظهر مَكْنُوَن فَوائدِهَا عندَ السَّماعِ.

قَالَ أبو سعدِ الواعِظِ النيسابُورِي رَضِيَ اللَّهُ عنه: سَأَلْتُ الوهْطية امرأةً كَانَتْ صَاحبة اللِّسَان عن السمَاعِ، فقَالَتْ: السماع يُخرج مَا يَنْطَوِي عليهِ القَلْبُ مِنَ السُّرُورِ وَالحزنِ، فربما يخرجه إلى البكَاء، وَرُبَّما يخرجُه إلى الطرب، كالرَّقْصِ وتَصْفِيق الأيدي.

وَقَالَ أبو سعدِ الوعَظ: سمعتُ أبَا سليمان الخَطَّابي قَالَ: قَالُوا: السماعُ فيهِ حظ لكلِّ عضوٍ مِنَ الإِنْسَان، فَرُبَّما يزعقُ وَرُبَّما يُصَفِّقُ، فَمَا وَقَع منه إلى الرِّجْلِ يرقص، وَمَا وَقَعَ إلى العين يبكي.

وَقَالَ أبو سعدِ: سمعتُ الدمشقي صَاحِبُ الموسِيقَىٰ وَقدمَ نَيْسَابُورَ يقولُ: إنَّ بعضَ ملوكِ العجمِ مَاتَ وَخَلَّفَ صبياً صغيراً، فَأَرَادُوا أن يُبَايِعُوهُ، وَقَالُوا: كيف نَصلُ إلى عقلِهِ وَذَكَائِهِ، فَتَواطؤوا بأن يأتوا بِقَوَّالٍ يقول شيئاً فإن أنعم النظر إليه وأحسن الإصغاء عَلمُوا ذكاءهُ، وإن لها[٢] عنه إنه لا يصلح له، ففعلوا ذلك فكلما أخذ القوّالُ في القول أقبل عليه وَضحك، قال فقبلوا بين يديه الأرض سروراً بإقباله عليه وبايعوه.

وكان الجنيد يقول: السماع يحتاجُ إلى ثلاثة أشياء وإلاّ فتركُهُ أولى: الإخوان والزمان والمكان.

قالوا وقد مَرَّ بعض العجم مصر وكان بها قوالٌ فكان إذا أخذ في القول يتواجد الفتى الذي قدم عليهم مَن العجم ويسأله التكرار حتى كاد ينادي به القوال، فدعي القوَّالُ ذات ليلة إلى ضيافة فقال: إن كان الفتى العجمي حاضراً فلست أحضر، قال: فعزموا على الفتى أن لا يزعق ولا يتحرك فأجابهم إلى ذلك فحضر القوال فلما أخذ في القول، صبر وعضّ على أصبعه جتى سال منها الدم فلما رأى ذلك منه قال القوّال: تُبتُ دعوه يعمل ما يشاء. وأنشدت:

تَحَرَّ من الطرق أوساطها	وخلِّ عن الجانب المُشْتَبِهْ
وسَمْعَك صُنْ عن سماع القبيـ	ـحِ كصونِ اللسان عن النطقِ بهْ
فإنّك عند سماع القبيح	شريك لقائله فانتبِهْ

(١) ضمن إطار الشرع الشريف وأحكامه.

(٢) من اللهو.

وقال محمد بن عبد العزيز الصوفي: سمعت أبا طالب الحافظ يقول: كنت مع سمنون وهو يتكلم في شيء من المحبة وقناديل معلقة، فرأيت القناديل تصفقت حتى تكسرت.

وعن داود بن الجراح قال: لو كان شيء يزيد في الدماغ لكان السماع.

وعن عبد الحميد الصوفي قال: سئل رويم بن محمد عن وجد الصوفية عند السماع فقال: يشهدون المعاني التي تعرب عن غيرهم فتشير إليهم إليَّ إليَّ إليَّ فيتنعمون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يصيح ومنهم من يخرق ثيابه أسفاً ومنهم من يبكي، كُلُّ إنسان على قدره.

وسئل ذو النون المصري عن الصوت الحسن، فقال مخاطبات وإشارات من الحق أودعها كل طيب وطيبة.

وقيل لأخي أبي سليمان: ما تقول في القلب يسمع الصوت الحسن، فقال: كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف يريد أن يُدارىٰ كما يدارىٰ الصبي إذا أراد أن ينام فقال له السائل: ويكون في القلوب قلب لا يريد الصوت الحسن، قال: نعم فحدَّثت به أبا سليمان فقال: ما صنع أخي داود شيئاً إنَّ الصوت الطيب الحسن لا يدخل في القلب شيئاً إنما يحرك من القلب ما فيه.

وسئل أبو علي الروذباري عن السماع فقال: رضينا أن نتخلص منه رأساً برأس.

وقال الجنيد: إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة.

وقال أبو القاسم النصرابادي لأبي عمرو بن نجيد: أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون منهم قوّال يقول خير من أن يغتابوا. قال أبو عمرو: الرياء في السماع أعظم وأكثر وهو أن ترى من نفسك حالاً ليست فيك شرٌ من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك.

وسئل إبراهيم المارستاني[1] عن الحركة في السماع وتخريق الثياب فقال: بلغني أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل فمزّق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قال له: مزِّق قلبك ولا تمزّق لي ثيابك.

وقال سهل بن عبد الله: السماع علم استأثر الله تعالى به، لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ هُوَ.

---

(١) إبراهيم بن أحمد، أبو إسحاق المارستاني أحد شيوخ الصوفية، أصله من بغداد حكى عنه أبو محمد الجريري، وكان مؤاخياً للجنيد، (تاريخ بغداد ٦/٦).

وقال إسماعيل بن نجيد: المستمع ينبغي أن يستمع بقلب حي، وبَدَنٍ ميت، فمن كان قلبه ميتاً، وبدنه حياً، لا يحل له السماع.

وَقَالَ أبُو عثمانَ المغربي: قلوبُ أهْل الحق قلوبٌ حَاضِرَة، وَأسمَاعهم أسَمَاع مفتوحَةٌ.

وَكَان أبُو حفصٍ الدرَاج يقولُ: جَالَ بِي السمَاعُ في مَيَادِين مِنْ ميادين البهَاء فأوْجَدَنِي وُجُودَ الحقِّ عندَ العطا، وَسَقَاني بكَأسِ الصفا فَادْرَكتُ بهِ منازلَ الرضَا، وَأخْرَجَنِي إلى رِيَاض النزهَةِ وَالعَطَا.

وَقَالَ أهْلُ السَّمَاع: السماعُ على ثلاثةِ أضْرُبٍ؛ ضَرْبٌ منهم أبناء الحقائق، وهم الذين يَرْجِعُونَ منهم إلى مَخَاطَبَةِ الحَقِّ لَهُمْ فيما يَسمعون. وَضَرْبٌ منهم يَرجعونَ فيما يسمعون إلى مخاطبات أحْوَالِهِمْ وَأوْقَاتِهِمْ وَمَقَامَاتهم، وَهم مرتبطون بالعلم، ومطَالبون بالصدق فيما يُشيرُونَ إلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ. والضَرْبُ الثالثُ: هُمُ الفَقْراء المُجَردُون، الذين قَطَعُوا العَلاَئقَ وَلَم تتلوث قلوبهُم بمحبة الدنيا بالجمعِ، والاشتغالِ وَالمَنْعِ، فهم يسمعون بطيبة قُلُوبِهِمْ، وَيليق بهم السَّمَاعُ، وَهم أقربُ الناس إلى السَّلامة، وَأسلمهم مِنَ الفتنَة.

وَسُئِلَ الجنيد: مَا بَالُ الإنسان يكونُ إذَا سَمِعَ اضطربَ؟ فَقَالَ: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى لمَا خَاطَبَ الذرّ في الميثاقِ الأولِ بقوله له: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1] استفرغت الأرواح عُذُوبَة الكلام، فَإذَا سمعوا السمَاع حَركهمْ ذكرُ ذَلِكَ. وَقيلَ: إنَّك كنتَ تتحركُ عند السَّمَاع، فما بالك سكت؟ فقرأ الجنيد ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] فكأنه قالَ: إنَّكُمْ ترَوْن سُكون جَوَارِحِي وَلا تَرونَ مَا فِي قَلْبِي.

وَقَالَ ذُو النون: السَّمَاعُ لَهْوٌ لمن تَلَهَّى بهِ، وَحَقِيقَة لمن تحقق فيه.

وَقِيلَ: السمَاع سرٌّ وفي السرِّ معنًى وللمعنى وَقتٌ، وَللوقْتِ صفَاء.

قَالَ عبدُ الملَك الوَاعِظُ رَضِيَ اللَّهُ عنه: أنشدني الحسينُ بن الحسن الكَاتِبِ لبعضهم في السَّمَاع:

إن كنت تنكر أن للصوت فائدة ونَفعَا ... فَانْظُرْ إلى الإبل اللواتي هن أغلظ منكَ طبعا
تصغي إلى صَوت الحداةِ ... فتقطع الفلواتِ قطعا

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

بَابٌ فِي ذِكْرِ سَمَاعِ الْقُرْآنِ والانْزِعَاجِ فِيهِ

أَخْبَرَنا الإمَامُ أَبُو سَعْدٍ عَبْد الملَك رَضِي اللَّهُ عنه، قَالَ: أخبرنا أَبُو الحسن عَلي بن عُمَر بن مُوسَىٰ بمكَة حَرَسَهَا اللَّه، قال: أَخْبَرَنا أبو أحمد الحسن بنُ عَبْدِ اللَّهِ بن سعدٍ، حَدّثنا بَكر بن أحْمَدَ، قَال: حدّثنا نَصْر بن علي، قالَ: حَدّثنا عبد اللَّهِ بن يزيدَ، عن حمزَةَ، عَنْ حمران بن أعين، أن النَّبِي ﷺ قرأ أو قرىء عنده: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢ ـ ١٣] فصعق ﷺ.

وَقالَ المطلبُ بنُ زيادٍ: كَانَ في وَجهِ عمر بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه خطَّان أسْوَدَان من أثر الدُّموع، وَلقد كانَ ذَاتَ ليلةٍ يعسُّ(١) بالمدينة، فسمع رجلاً يَقُولُ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ [الطور: ٧ ـ ٨] صَاحَ صيحة خرّ مغشياً عليه، فحمل إلى بيتهِ، فلم يزلْ مريضاً في البيتِ شهراً.

وَرُوِيَ عنْ خُلَيْد بن حَسَّان الهجري قال: أمسى الحسنُ صائماً، فَأُتي بعشائه، فعرضتْ لَهُ هذهِ الآيةِ: ﴿إن لدينا أَنْكَالاً وَجَحِيماً وطَعَاماً ذَا غُصَّة وَعَذَاباً أليماً﴾ فقبضَ يده وَقَالَ: ارْفَعُوا، وأصبح صَائِماً، فلما أمسى أتي بفطوره، فعرض لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: ارفَعُوا. فقلنا: يا أبا سعيدٍ تضعف، فأصبح اليوم الثالث صَائماً، فذَهَبَ ابنه إلى يحيى البكاء وثابت البُنَاني وَيزيد الضبى فَقَالَ: أدركُوا أبي فإنَّهُ هالكٌ، فجاؤوا فلم يَزَالوا به حتى سقوه شربة سويقٍ.

وَعَنْ محمد بن السَّماك قَالَ: وَعَظتُ يوماً في مجلسٍ، فَقَامَ شابٌ مِنَ القومِ فقَالَ: يا أبا العَبَّاسِ، لقد وَعظت اليوم بكلمةٍ مَا كُنَّا نبالى أن لا نسمع غيرها، قلتُ: وَمَا هِي رَحِمَك اللَّهُ؟ قالَ قَولك: لقد قطع قلوبَ الخَائفين طولَ الخلودَيْن إمَّا في الجنَّةِ أوْ فِي النارِ، ثم غابَ عني فتفقدتُهُ في المجلسِ الآخرِ، فلم أرهُ، فسألتُ عنهُ فأخبرتُ أنه مَريضٍ يُعَاد، فأتيته أعودُهُ فقُلْتُ: يَا أخي، مَا الذي أرى بك، فقالَ: يَا أَبَا العَبَّاس ذلك مِنْ قولك لقد قطعَ قلوبَ الخائفين طولُ الخلودين إمَّا فِي الجنَّةِ أوْ فِي النَّارِ. قَالَ: ثم مَاتَ فرأيته في المنَامِ، فقلتُ: يَا أخي، مَا صنع بكَ رَبك عزّ وجل؟ قَالَ: غَفَرَ لي وَرَحِمَني وَأَدْخَلَنِي الجَنَّة. فقلتُ: بِمَاذا؟ قَالَ بِالكلمة.

---

(١) العَسُّ: الطواف بالليل.

وَرُوِيَ عَنْ بعضهم، قَالَ: بَكَىٰ عمر بنُ عبدِ العَزيز، فبَكَتْ فَاطِمَة، وَبَكَىٰ أَهْلُ الدارِ لا يدْرِي هؤلاء ما أبكى هؤلاء فَلَمَّا تخلت عنهم العَبْرة، قَالَتْ فَاطِمَة: يَا أَمِير المؤمنين، ممَّ بكيتَ؟ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، ذكرتُ منصرف القوم من بين يدي الله عزّ وجلّ فريقين؛ فَرِيْق فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ في السَّعِير. قَالَ: ثم صرخَ فغشي عليهِ.

وَعَنْ مالك بن ضيغم قَالَ: قرأ بكر بن معاذ بن جَبَلٍ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] فاضْطَرَب ثم صَاحَ: ارحم مَنْ أَنْذَرته وَلم يُقبل إليك بعد النذِير بطَاعَتِك، ثم غُشِيَ عليْه.

وَكَان إبراهِيم بن أدهم إذا سمع أحداً يقرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١] اضطربتْ أوصَاله حتى كَانَ يرتَعِدُ.

وَعَنْ صَالِحِ بن يحْيَى العَدَوي، قَالَ: كنت عند محمد بن السَّماكِ وعنده رَجل يقرأ وَهُو على شَاطِئ الفراتِ، فقرأ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية. قَالَ: وَرَجل خلفنا في الفراتِ يغتسل، فلمَا سمعَ القراءة اضْطربَ فغَرَّقَ نَفْسَهُ.

وَعَنْ أبي بَكْرِ بن عياشٍ، قالَ: صليتُ خلف الفضيل بن عِيَاضٍ وإلى جنبي علي ابنُهُ[1]، فَقرأ الفضيلُ: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُر﴾ فَلَمَّا بلغَ إلى قولِهِ: ﴿لَتَرَوُنَّ الجحيم﴾ سَقَطَ علي مغشياً عليهِ، وَبَقي الفضيل لا يقدرُ أن يُجَاوِزَ الآيَة، ثمَّ صَلَّى بِنَا صَلاَةَ خائفٍ، فجعلتُ أقولُ فِي نَفْسِي: يا نفس مَا عندكَ مِنَ الخَوْف مَا عِنْدَ فضيل وابنهِ، ثمَّ رَابطتُ علياً، فَمَا أفاقَ إلى نِصْف اللَّيلِ.

وَعَنْ بِشْرِ بن مَنْصُور السليمي قال: قَالَ عَطاء السليمي: يَا بشر، الموت فِي عُنُقِي، وَالقَبْرُ بين يدي، وفِي القِيَامَةِ مَوْقِفِي، وعلى جسر جَهَنَّم طريقي، وَرَبي عزّ وجلّ يفعل بي مَا يَشَاءُ مِنْ حَيْثُ لاَ أَدْرِي، قَالَ: ثم شهق شهقةً غُشِيَ عليهِ، وَتَرك خمس صَلَواتٍ، فَلما أفاق رأيت الضعفَ في وجههِ، فذهَبْتُ إلى صَالِح المري، فَقلتُ له: إنه كَانَ مِنْ أمرِ عَطَاءٍ كَذَا وَكَذَا، فَمُر مَعِي إليه عسَى أن نطعمه شيئاً أو نَسقيه شيئاً، فَإِنِّي أرى الجُوع قد بانَ عليهِ.

---

(١) علي بن الفضيل بن عياض، كان شاباً من كبار الصالحين وهو من جملة من قتلته المحبة وهم جماعة أفردهم الثعلبي في جزء. قال ابن عيينة: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه. وقال الفضيل ـ أبوه ـ: بكى ابني علي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: يا أبت! أخاف أن لا تجمعنا يوم القيامة. (طبقات ابن الملقن ٢٧٠، حلية الأولياء ٨/ ٢٩٧).

قَالَ: فجئنَا إليهِ فَلَمْ نزَلْ نطلُب إليهِ، فقال: انظرُوا ما تحت هذهِ اللبدة فارْفعوهُ، فرفعنا فَإِذَا هُوَ درهَم فاشتريْنَا لَهُ سويقاً فنظفناهُ جهدنَا ثم سقيناهُ، فَلما صَارَ في حَلقه شَرِقَ بِهِ فخشيت أنْ يَمُوتَ، فقلتُ لهُ: وَيْحَكَ يَا عَطَاء لقد نظفنا السَّويقَ جهدنا، فَما الذي أصَابكَ، فقالَ: وَيْحَكَ يَا بشر، حين صَارَ في فمِي وَجَدت بردَ الماءِ، ذكرتُ هذه الآية: ﴿إنَّ لدينا أنكالاً وجَحيماً وطعاماً ذا غصة وعَذاباً أليماً﴾، فَوَاللَّهِ مَا مَلَكْتُ نَفْسِي أن أصَابني مَا رَأَيتَ.

وَعَنْ صَالِح بن عبد اللَّهِ الخراز قالَ: خرجنا نُريد عَبادان، فصرنَا فِي بعضِ الأزِقَّة ومَعنا صَاحِبٌ لَنَا يقرأ، فإذا امرأةٌ على بعضِ تلكَ السُّطوح، فصَرخَتْ ثم سقطت، فحملت، ثم أدخِلَت الدارَ، والله مَا بَرِحْنَا حتّى ماتَتْ، وَنُودِي فِي أهلِ البصرة فَاحْتَشَدَ الناسُ، فلما حملت على النَّعْشِ صاحَ الناسُ وَضَجُّوا بالبُكَاءِ، فَمَا رَأَيْتُ بَاكِياً أكثر مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ.

وَعَنْ مُضَرِ القَارِىء، قَالَ: كنتُ أقرأ على عبد الواحِد بن زيدٍ يَوماً ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] فَجعل يشهقُ حتّى ظننتُ أنَّ نفسَه ستخرج، ثم أفاق إفاقة وَقَالَ كيفَ بالقُلُوبِ إذا كَانَتْ لدى الحناجر، ثم غُشِي عليهِ فحملَ إلى أَهْلِهِ.

وَقرأ مُضرُ القارىء يوْماً ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] فبكَىٰ عَبْدُ الواحِد حتّى غُشِيَ عليهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فقال: وعزّتك لاَ عصيتُك جَهْدِي أبداً فَأَعِنِّي بِتَوْفِيقكَ على طاعتِكَ.

وعَنْ بعضهم قَالَ: تَلاَ رَجُلٌ عند عَبْدِ اللَّهِ بن حنظَلَة[1] هذِهِ الآية ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] فبكَى حتّى ظننتُ أنَّ نفسه ستخرج، ثم قالُوا: صَارُوا بين أطباق الثرى، ثمَّ قامَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ فقالَ قائلٌ: يَا أبا عبد الرحمٰن اقعد، فقالَ: منعني ذِكْر جهنم عَنِ القعودِ وَلاَ أَدْرِي لعلي أجدُ أهلَها.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ شيخ يُقَالُ لَهُ مسور بن مَخرَمَةَ، وَكَانَ لا يقوى أنْ يسمع القرآن مِنْ شدةِ خوفهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُقْرَأ عنده الآية فيصيح الصيحة فَمَا يعقل أياماً حتى أتى عليهِ رَجُل مِنْ خثعم، فقرأ عليهِ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥ ـ ٨٦] فقالَ: أنا مِنَ المجرمين ولست مِنَ المتقين، أعد عليّ القول أيها القارىء فَأَعَادَهَا عليه فَشَهقَ شهقة فلحق بالآخرة.

---

(١) عبد الله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر أبو عبد الرحمن الأنصاري الأوسي المدني، من صغار الصحابة، استشهد أبوه يوم أحد فغسلته الملائكة لكونه جنباً، وكان رأس الثائرين على يزيد نوبة الحرة سنة ٦٣ من الهجرة وفيها قتل مع أبنائه جميعاً. (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٢١).

وَعَنْ عثمان قَالَ: كَانَ شَابٌ مِنْ أهلِ فَارِس، وَكَانَ طرف منخريهِ وَأصَابِع يديهِ مقطوعة، وَكَانَ يشهق شهقة فيبتدِرُ الدم مِنْ أطرافِ أصَابِعِهِ وَطرف منخريه، فلم يزل ذلكَ دَأبَهُ حتى أتى يوماً على مسجدٍ بالبصرة، وإذَا قارىء يقرأ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ [ص: ٢٧] فشهق ولحق فيها بالله عز وجل.

وعن حماد بن سلمة[١]، قال: كنا جلوساً عند يحيى البكاء، فإذا قارىء يقرأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾[٢]، فَصَاحَ صيحة وَمَكثَ فيها مريضاً أربعة أشهر يعاد مِنْ أطرافِ البصرةِ.

وَعَنْ أبي عثمان قَالَ: اتخذ بعض أصحابنا لنا طعَامَاً، فَدَعَا رباح بن عَمرو، فلما اجتمعنا قرأ قَارِىء ﴿بِسْمِ الله الرحمن الرحيم﴾ فشهق رباح شهقةً خر مغشياً عليه، فحملناهُ إلى منزلِهِ فِي كسائِهِ، وتنغص علينَا الطعام وتفرقنا عنه.

وَعَنِ المعتمر بن سليمان قَالَ: سمعتُ عبد العزيز يذكر أن سلمان الفَارِسِي رَضِي الله عنه أبصر شَابَاً يقرأ، فأتى على آيةٍ فاقشعر جلده فَأحبه سلمان ثم فقدَهُ أيَامَاً، فسأل عنه فقيل لَهُ إنه مريض، فأتَاهُ يعوده، فإذَا هُوَ لما بهِ، فقالَ: يَا أبا عبد الله أرَأيت تلك القشعريرة التي كانت مني، فإنها أتتني في أحسن صورةٍ، فأخبرتني أن الله تعالى قد غفر لِي بها كل ذنبٍ.

وَعَنْ محمد بن صبيح بن السماك[٣] قالَ: كَانَ رَجل يغتسل فِي الفرات فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ عَلَى الشطِ يقرأ: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: ٥٩] فَلَمْ يَزَلَ الرجُلُ يضطربُ حَتّى غرقَ وَمَاتَ.

وَعَنْ مَسْمِعِ بنِ عَاصِم قَالَ: دَخَلَ عليّ كلاَّبُ بن جَرير وَأنا أقرأ ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فصرخَ حتى اجتمع الجيرَان، وَقَالُوا: يَا أبَا سِنَان أمَاتَ ميتٌ؟

---

(١) حماد بن سلمة الهاشمي ـ مولاهم ـ أبو أسامة الهذلي الكوفي، كان ثقة لا يكاد يخطىء، مات بالكوفة وهو ابن ثمانين سنة ٢٠١ هجرية. (خلاصة تذهيب الكمال صفحة ٧٨).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

(٣) الزاهد القدوة سيد الوعاظ أبو العباس محمد بن صبيح العجلي ـ مولاهم ـ الكوفي، ابن السماك وهو القائل: كم من شيء إذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم إذا لم ينفع ضر. قيل: وعظ مرة فقال: يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي الله مقاماً، وإنه لك من مقامك منصرفاً، فانظر إلى أين تكون، فبكى الرشيد كثيراً. توفي سنة ١٨٣ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٨/٣٢٨، حلية الأولياء ٨/٢٠٣).

قلتُ: لاَ، وذكرتُ القصة، فقالَ لِي كَلاَّبُ: يَا مسمَعُ، قلتُ: لبيك، قَالَ: مَا للخائفين دُونَ الأمَانِ مِنْ رَاحةٍ، ثُمَّ صَرَخَ وَنَادَى يَا وَيلتَاهُ وَكَيف تَكُون الراحَةُ لِمَنْ أشْرَفَ عَلَى الهلكَةِ.

وَعَنْ هِشَام بنِ حَسَان[1] أنَّهُ قَالَ: انطلقتُ أنَا وَمَالك بنِ دينارٍ إلى الحسنِ، فانتهينا إليهِ وَعنده رَجُل يقرأ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾﴾ [الطور: ٧ ـ ٨] فَبَكَى الحسنَ وَبَكَى أصحَابُهُ، وَجَعَل مَالك يضطَرِبُ حتى غُشِيَ عليهِ.

وَعَنْ أعين بنِ عبد اللَّهِ الخَيّاط، قَالَ: شَهِدْتُ رَجُلاً قرأ عند يزيد الضبي ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩ ـ ٥٠] فجعل يزيد يبكي حتى غُشِيَ عليهِ.

وَعَنْ الحارثِ بنِ يزيدٍ قَالَ: كُنَا عند مَالك بن دِينارٍ وَعندهُ قَارىء يقرأ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [الزلزلة: ١] فَجَعَل مَالك بن دينارٍ يَنْتَفضُ وَيَشْهَقُ، وَأهلُ المجلسِ يبكونَ، حتى انتهى إلى قولهِ عز وَجَل ﴿فمن يَعْمَلْ مثقالَ ذَرَةٍ خَيْرَاً يَرَهُ وَمَنْ يعمل مثقالَ ذَرةٍ شَرَاً يَرَهُ﴾ قَالَ: فجعل مَالك يَشْهَقُ حتى غشِي عليهِ، فحمِلَ مِنْ بَيْنِ يدي القومِ صَرِيعاً.

وَكَانَ عُمَرُ الإفْرِيقي لاَ يخرجُ مِنْ منزله إلا للصلاةِ فِي جَمَاعةٍ، أوْ عيادَة مريضٍ، أوْ حُضُور جَنَازَة، قَالَ: وَكَانَ قد انحنى مِنَ العبادَةِ، قَالَ: فَكَانَ إذا خرجَ أشرفَ الجوارِي مِنَ الجُدْرَانِ ينظرنَ إليهِ، قَالَ: فخرجَ ذَاتَ يوم فِي جنازة كَانَتْ فِي الحي، فبينا هُوَ قاعِدٌ ينتظرُهَا إذْ سمع غلاماً يقرأ على معلم ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠]، قَالَ: فصَرَخَ كَمَا تصْرُخُ الثكْلَى ثُمَّ خَرّ مغشياً عليهِ فحمل وأدخل منزله.

وعن أبي بكر بن عياش، قال: دخلت على العلاء بن عبد الكريم، فذاكرته شيئاً من أمر الآخرة، قال: فسقط مغشياً عليه فقمتُ لأخرج فقالَتْ لِي مَوْلاَةٌ لَهُ: قتلت مَوْلاَي، قَالَ: فقلتُ: لا، إنما ذَاكَرْتُهُ شيئاً مِنَ الآخرةِ، قَالَتْ: أمَا علمتَ أن مَوْلاَي لاَ يحتمل الذِكْرَ.

وَعَنْ هَمّامِ بنِ الحارثِ[2] أنَّهُ سَمِعَ الجنيدَ يقولُ: دَخلتُ على أستاذِي سَري السقطِيِّ

---

(١) هشام بن حسان القُردوسي ـ نسبة إلى القراديس، بطن من الأزد نزلوا البصرة فنسبت المحلة إليهم ـ الأزدي ـ مولاهم، أبو عبد الله البصري. مات سنة ١٤٨ هجرية. (خلاصة تذهيب الكمال ٣٥١).

(٢) همام بن الحارث النخعي الكوفي الفقيه، قال ابن الجوزي: كان الناس يتعلمون من هديه وسمته، وكان طويل السهر رحمه الله، وكان يدعو: اللهم اشفني من النوم باليسير وارزقني سهراً في طاعتك، لا ينام إلاّ هنيهة وهو قاعد، توفي زمن الحجاج. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٣، الحلية ٤/ ١٧٨).

فوجدتُ عنده رَجلاً مغشياً عليهِ، فقالَ لِي: يَا أَبَا القَاسِم، هَذَا رَجل مِنْ أصحَابك الصُوفيةِ، سَمِعَ آيةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فغشي عليهِ، ثم قُرئت عليهِ فَأَفَاقَ، فقلتُ: يَا سيدي مِنْ أين هَذَا لَكَ؟ قَالَ: رَأيت يعقوب نبي الله ﷺ كَانَ عمَاهُ مِنْ أجْلِ مخلوق، فبمخلوق أبْصَرَ، وَلَوْ كَانَ عَمَاهُ مِنْ جهة الحق مَا أبصر إلا بالحق.

وَحُكِي عَنْ بعض الصوفية أنهُ قَالَ: كنت أقرأ هذهِ الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ذَاتَ ليلةٍ، فجعلتُ أرَدِدُهَا، فَإِذَا أنا بهاتفٍ يهتف: إلى كَمْ تَرِددُ هذه الآية، قد قتلت أربَعَة مِنَ الجنِ لَم يرفَعُوا رُؤوسهم إلى السَّمَاءِ مُنْذُ خُلقُوا.

وَقَالَ أبو الطيب العكي: كنت مَعَ الشبلي ليلةً فِي مسجدهِ فِي شهر رَمَضَان وَهُوَ يُصَلِي خلف إمَامِهِ وَأنَا بجنبهِ، فَقرأ الإمامُ هذهِ الآيَة: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] فزعق الشبلي زعقة، قلتُ: طَارَتْ رُوحُهُ، وَرَأيت وَجهه قد أخضرَّ وَهُوَ يرتعد ثم كَانَ يقولُ بعد ذلك: بمثل هَذَا يخاطِبُ الأحبابَ يُرَددُ ذلك مِرَاراً.

وَقرىء فِي مجلسِ الشبلي يَوماً قوله عزَ وَجَل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨] فَقَامَ رجل وَزَعَقَ زعقة فقال الشبلي: الله، فزعق ثانياً، فقال الشبلي: الله، فزعق ثالثاً ثم زعق رَابعاً وَمَاتَ، فَجَاء والداه وَطَالبَا الشبلي بدمِهِ، وَرُفع الخبرُ إلى الخليفَةِ، فأحضر دَارَ الخليفة، فسئل الشبلي عَنْ ذلك فقالَ: رُوح حنّت فرنت فسَمَتْ فَصَاحت فعلمت، فدُعيت فَأجَابَتْ، مَا ذَنبي؟ فقالَ الخليفة: لاَ ذَنْبَ لَهُ خَلُوا سبيلهُ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ السَّمَاعِ
مِنْ حَيثُ السَّامِعُ لاَ مِنْ حَيْثُ القَائِلُ

رَوى الأعرج، عَنْ أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ: «انظر كيف يصرف الله تَعَالَى عني شتم قريشٍ، إنهُمْ يشتمونَ مُذَمماً وَأنَا محمّد»[1].

وَرُوِي أن بشر الحَافِي صَامَ وَكَانَ يشتهي منذ مدةٍ هَرِيسَة، فأخذ قطعة ليشتري بِهَا، فسمعَ الهَراسَ يقولُ: مَاذَا خبأتُ لَكَ يَا صَائِمُ، فقَالَ: إنما يعني مَا خَبأ الله تَعَالَى لك مِنْ ثوابِ الصَّائمين، ثم غلبتْ عليهِ الشهوة فأخذ القطعة وقصد الهراس، فسمعه يقول: مَا بَقِي إلا قَلِيْلَ، قَالَ بِشْرٌ إنما عنى بهذا أن يقولَ مَا بقي مِنَ الدنيا إلا قليل، قَالَ: فرجعَ وَلَمْ يتنَاوَلْ شهوتَهُ.

وَرُوِي أنّ بعض الطّوافينَ مَرّ على أبي بَكْرِ الشبلي وَهُو يصيح: السعتر البَرّي، فغشي عليهِ وَقَالَ: حسبته يقولُ السَّاعَةَ تَرَى بري.

وَحَكى أبو القَاسِم النصرابَادي قَالَ: كُنتُ بِمصر وَرَكْبَ الوَالِي، وَكَانَ الخدم تقول: وقفه وقفة، فسمعها صَاحِبُ مُرقعةٍ، فغشي عليهِ، وَقَالَ: تذكرتُ قوله تَعَالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٤] .

وَحُكي أن بعضَ الصَّالحين مَرّ بِطَوّافٍ[2] وَهُوَ يبيع ويقول: الخِيَارُ عشرة بَدَانق، فغشي عليهِ، وَقَالَ: إذَا كَانَ الخيَارُ عشرة بِدَانق، كيف تكون الأشرارُ.

وَحكى أبُو الحسن البنا أنّهُ مَرَّ بالسويقةِ العتيقة، فإذا بطباخٍ يصيح: لَمْ يبق لنا إلا القليل وَيل لِمَنْ لاَ يَجدُهُ، قَالَ: فوقع لِي أنه يعنيني وَيقولُ: لَمْ يبقَ لك مِنَ العُمْرِ إلا قليل، وَويل لِمَنْ لاَ يجد رَحمَةَ رَبهِ.

قَالَ أبو الحسنِ: وَسمعت صَائحَاً يصيح يبيع وَرَقَ الفرصَاد التوفُ، يقول: بركِي بركِيْ فحسبته يقولُ مَن كِيْ مَن كِي.

وَحُكِي أن رَجُلاً كَانَ يعرفُ بجمل عَائشة قَالَ: ما زعقتُ فِي عُمْري إلا دَفْعتينِ، فَذكرَ

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟؟ يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد ﷺ. رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣٧٣، والبخاري في المناقب في أسماء رسول الله ﷺ.

(٢) أي بائع متجول يطوف في الأسواق.

إحَدُاهُمَا وَقَالَ: وَأمّا الزَعقة الأخْرَى، فهي أني رَأيت رَجلاً مُد علي السِيَاطِ وَهُوَ يضربُ، وَكَانَ سَاكتاً لا يصيح فقدمتُ وَقلتُ: مسألة، فقال: وَأنّىٰ لِي مَوْضعُ المسألة؟؟! فقلتُ: لابد، فقال: هَاتِ، فقلتُ: مَتى يَكُون الضربُ أهْوَنَ عليكُمْ؟ قَالَ: إذَا كَانَ مَنْ نُضرَبُ لأجْلِهِ نَاظراً إلينَا، فحينئذٍ يَهُونُ علينَا الضَرْبُ.

وَلِبَعْضِهِمْ فِي مَعْنَاهُ:

بعينيك مَا ألقى إذَا كُنتَ حَاضِراً ... وَإنْ غِبتَ فَالدُنيَا عليَّ مَحَابِسُ

فلا تحتقِرْ نفسي وَأنت حبيبُهَا ... فكلُ امرء يصبو إلَى مَنْ يجَالِسُ

قَالَ أبو سعدِ: سمعتُ أبَا محمدِ المحتسب بِمَكَةَ يحكي عَنْ ثقةٍ لَهُ، فَقَالَ: كنتُ مَعَ الشبلي خَارِجين مِنَ مسجدِ المنصورِ، فمررنا بِجَمَاعَةٍ على بَابِ السلطان، فقالَ: فيم اجتمع هؤلاءِ؟ قَالُوا: اجتمعوا على رَجلٍ يُضرب، فنحا نحوه لينظر إليهِ، فوجده سَاكِتَاً، فقالَ: لِمَ لاَ يصيح؟ قلتُ: لعله شاطر، قَالَ: فدنى منه الشبلي وَأخذَ بيدهِ وَأخْرَجَهُ مِنْ بين أيديهِمْ، وَتَابَ الرجُلُ على يديهِ، وَصَارَ مِنْ كِبَارِ أصحابِهِ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الوَجْدِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أبو عَمْرٍو محمد بن جعفر بن محمد بن مَطر، حدثنَا أَحْمَدُ بن دَاودَ السمناني، حدثَنَا أبو كَامِلٍ، حَدثنا فضيل بن سليمان، عَنْ يُونسَ بن محمد بن فضَالةَ، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ - وَكَانَ أَبُوهُ مِمَّنْ صَحبَ النَّبِي ﷺ هُوَ وَجدهُ - أنّ رَسول الله ﷺ أَتَاهُمْ فِي بني ظفر، فجلسَ على الصخرة التي فِي مسجد ظفر، وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهُ بنُ مسعودٍ وَمُعَاذُ بنُ جبلٍ وَأُنَاسٌ مِنْ أصحَابِهِ، فَأَمَرَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ قَارئاً يَقْرَأ، حَتـى إذا أتـى عَـلَـى هـذهِ الآيـةَ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] بَكَى رَسُولُ الله ﷺ حتى اضْطَرَبَ لحياه وَوَجنتاهُ، فَقَال: «يَا رَبِّ هَذَا، شَهِدْتُ عَلى مَنْ أنا بين ظهريهِ، فكيف بمن لم أرَهُ».

وَحُكِي عَن الجريري قَالَ: سَألتُ الجنيدَ عَنِ الوجدِ، فقال لِي: المُصَادَفَةُ، كُلُّ مَا صَادَفَهُ القلبُ فَهُوَ وَجْدٌ.

وَسُئِل أَبُو الحسين النوري عَنِ الوجدِ، فقال: يمتنع وَاللَّه اللسَانُ عَنْ نعت حقيقتِهِ، وَتَكل بَلاغَةُ الأدِيبِ عَنْ وصف جَوْهَرِهِ، فإن خَطبَه مِنْ أعْظَمِ الخُطوبِ، وَلاَ داء أعْيَا مُعَالَجَةً مِنَ الوجْدِ.

وَقَالَ الكَتَانِي: الوجْدُ يَنْفِي عَنِ العين الوسَن، وَسكْرُهُ يزيد على سكْرِ الشبَابِ، وَسُكْر المَالِ، وَسُكر الشرابِ.

وَقِيل: الوجْدُ أهونُهُ شديد، وشَديدهُ لاَ غَايَةَ لَهُ.

وَقَالَ الكَتَانِي: أول الوجد حلو، وَأوسَطُهُ مُر، وآخره سقم.

وَعَنْ أبي الحسنِ المزينِ قَالَ: أرْوَاحُ الوَاجدين عَطرةٌ لطيفةٌ، وَأبدَانُهُمْ رَقيقةٌ خفيفه، وَكَلامهم يحيى مَوَاتَ القلوبِ، وَيَزِيْدُ فِي العقولِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ بهذِهِ الصفة فهو فاسِدُ المزاجِ، يحتاجُ إلى العلاجْ.

وَسُئِلَ الرُوذَبَارِي عَنِ الوجْدِ فِي السماعِ، فقالَ: مُكَاشَفةُ الأسْرَارِ إلى مشاهَدَةِ المحبوبِ.

وَقَالَ أبو بَكْرِ بن طَاهر الأبهري: تحرك الواجدين عند السماع احتراق الأحشَاءِ، ولهب القلوب، وتقطُعِ الأكبادِ مِنَ البُعْدِ بعد القربِ.

وَعَنْ جعفر الخالدي قَالَ: أنشدني الجنيد بنُ محمد:

وُجُــوْدِي أن أغـيــب عَــنْ الــوُجُــودِ   بِــمَــا يَــبْــدُو عــلــيَّ مِــنَ الــشــهــودِ
وَمَــا فِــي الــوجْــدِ لِــي فــخــر ولــكــن   فــخــرتُ بــوَجْــدِ مَــوْجُــودِ الــوجُــودِ

وَقَالَ الجُرَيري: سَألتُ الجنيدَ عَنْ هؤلاءِ بِمَاذَا رُفعت هممهم، وصحت خَوَاطِرُهُمْ، وَصفت قلوبهم، فقالَ: بالاعتقاد الصحيح، والعبادَةِ التامَّة، وَالوجد الغالب.

وأنشد لأبي الحسن الطَّويل:

سَـمَـوْتُ سـمُـواً غَـابَ عَـنِـي وُجُـوده   وَغـبتُ عـن الـوجدِ الـذي كَـانَ فِـي الـوجـدِ
بـقـيـتُ بِـلاَ وَصـفِ مَـعَ الـحـق شَـاهِـداً   أشَـاهـدُ مَـا شـاهـدتُ فـي ريـبـة الـوجـد

آخر الجزء السَابع من تهذيب الأسرار،

يتلوه فِي الجزء الثامن: وسمع أبو حمزة رَجلاً من أصحابِهِ وَهُوَ يلوم بعض إخوانه.

والحمد للَّهِ رَبِّ العَالمين، وَصلواته على سيدنا محمدٍ خَاتم النبيين،

وعلى آله وأصحابِهِ وأزواجِهِ وذريتهِ إلى يومِ الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَبّ يَسّر برحمَتِك

أخبرنَا أبو عبد اللَّهِ، قَالَ: أخبرنَا الإمامُ أبو سعدٍ عبد الملك الخركوشي الوَاعِظُ الزَاهِدُ قَالَ: وَقَالَ أبو حمزة[1] وَسَمِعَ رَجُلاً مِنْ أصحابِهِ وَهُو يلوم بعض إخوانهِ على إظهارِ وَجده وَغلبة الحالِ عليهِ، وإظهار سِرهِ فِي مجلسٍ فيهِ بعضُ الأضدَادِ، فقالَ أبُو حمزة: أَقصر يَا أخي فالوجدُ الغالبُ يسقط التمييز، وَيَجعلُ الأمَاكِن كُلَهَا مَكَاناً وَاحداً، والأعيانَ عيناً وَاحِداً، وَلاَ لَوم على مَنْ غلبَ عليهِ وَجْدُهُ فَاضْطرهُ إلى أن يبديهِ، وَمَا أحسنَ مَا قَالَ ابنُ الرُوميِ:

فَـدَعِ الـمـحـبُ مِـنَ الـمـلامَـةِ إنـهـا بـئـسَ الـدَوَاء لـمـوجـعٍ مـقـلاقِ
لاَ تـطـفـئـن جَـوى بـلـومٍ إنـه كَـالـرِيـحِ تـغـري الـنـار بـالإحْـرَاقِ

وَسُئِلَ أبو الطيب السَاجِي عن الوجدِ، فقالَ: نِيرَانُ الأنس تثيرها رِيَاحُ القدس.

قَالَ أبو سعيدٍ الخرازُ: كُل وَجدٍ يَظهر على الجَوَارِحِ الظاهرة، وَفِي النفسِ أدنى حُمُولَةٍ فَهُو مذموم. وَكُل وَجدٍ يَظْهَرُ فتضعف النفسُ عَنْ حملِهِ فَذَاكَ محمُودٌ.

قَالَ أبو القاسم النصرابَاذي رَحِمَة اللَّهِ عليهِ: مَوَاجيد القلوبِ تظهر برَكَاتُها على الأبدانِ، وَمَواجيد الأرْوَاحِ تظهر بَرَكَاتُهَا على الأسْرَارِ.

وَعَنْ مُحمَدِ بنِ العباسِ العصمي[2]، قَالَ: كنتُ وَاقفاً على حلقة الشبلي، فقالَ رَجَل:

---

(١) أبو حمزة الخراساني أحد المشايخ، أصله من نيسابور، صحب مشايخ بغداد وهو من أقران الجنيد صحبه أيضاً وغيره، وكان ورعاً ديناً. مات سنة ٢٩٠هـ. (طبقات ابن الملقن ١٥٥، طبقات السلمي ٣٥٦، طبقات الشعراني ١/ ١٥٠).

(٢) محمد بن العباس بن أحمد بن عصم، أبو عبد الله بن أبي ذهل الضبي ويعرف بالعُصْمِي من أهل هراة، ورد نيسابور فسمع بها، وكذلك بغداد، سنة عشرة وثلاثمائة ثم وردها بعد ذلك دفعات، وكان ثبتاً، ثقة جليلاً، من ذوي الأقدار العلية، وله أفضال بينة على الصالحين والفقهاء والمستورين، ولد سنة ٢٩٤هـ، ومات سنة ٣٧٨هـ، ودفن بهراة. (تاريخ بغداد ٣/ ١١٩).

يَا أَبَا بَكْرٍ، الرَّجُل يسمع الشيء فلا يفهم معناهُ فيتواجَدُ عليهِ لم هَذَا؟ فأنشأ يقول:

رُبَّ وَرَقَـاءَ هَـتُـوفٍ بـالـضُّـحَـىٰ ذَاتِ شـجـو صَـدَحَـتْ فِـي فَـنَـنِ

ذَكَـرَتْ إِلـفـاً ودَهَـراً صَـالِـحَـاً فـبـكـت حُـزْنَـاً فَـهَـاجَـتْ حَـزَنـي

فَـبـكَـائـي رُبـمـا أرقـهـا وَبِـكَـاهَـا رُبَّـمـا أرقـنـي

وَلَـقَـدْ أشـكـو فـمـا أفـهـمـهـا وَلـقـد تـشـكـو فـمـا تـفـهـمـنـي

غـيـر أنـي بـالـجَـوى أعـرفـهـا وَهِـي أيـضـاً بـالْـجَـوى تـعـرفـنـي

وَسُئِل ذُو النُون عَنِ الوجدِ فقال: هُو سِرٌّ فِي القلبِ.

وَقَالَ الشبلي: الوجد اصطلامٌ، ثم قَالَ:

الـوَجْـدُ عـنـدي جـحـودُ مَـا لَـمْ يَـكُـنْ عَـنْ شُـهُـودِ

فَـشَـاهِـدُ الـحـق عـنـدي يـعـنـي شُـهُـودَ الـوجـودِ

وَكَانَ لأبي يزيد قبان[1] منصوب عند السماع، وَأربعة قيامٌ، كُل مَنْ لحقه وَجدٌ يحمل فيوضَع فِي القبان فمن أخرجَ لَهُ القبانُ وَزناً لَمْ يُسلم لَهُ الْوَجْدُ شَيئاً.

وَكَانَ أبو يزيد إذا وَجَدَ شيئاً مِنَ الوجْد ظهر فِي جسَدِهِ مثل الدَرَاهِمِ الصحَاحِ حمرة.

وَيُقال: لما دخل ذُو النُون المصري بغداد، اجتمع إليهِ قوم مِنَ الصوفية وَمعهم قوالٌ يقولُ، فَاستأذَنُوهُ أنْ يقول شيئاً بين يديهِ، فَأذِنَ لَهُمْ فِي ذَلِك، فَابتدأ الْقَوالُ يقولُ:

صـغـيـر هَـواك عَـذَّبـنـي فـكـيـف بِـهِ إذا احـتـنـكَـا

وَأنـت جـمـعـت مِـنْ قـلـبـي هـوىً قَـدْ كَـانَ مـشـتـركَـا

أمَـا تـرثِـي لـمـكـتـئـبٍ إذَا ضـحـك الـخـلـي بَـكَـا

قَالَ: فقَامَ ذُو النُون وتواجد وَسقطَ على وَجهه وَالدَمُ يقطُرُ مِنْ جبينهِ، ثم قَامَ رَجُلٌ فقالَ لَهُ ذُو النُون: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨] فجلسَ ذلكَ الرجُلُ.

وَحُكي عَنْ الجنيدِ أَنَّهُ قَالَ: لاَ يضر نقصَانُ الوجدِ مَعَ فضلِ العلمِ، وإنمَا يضرُ فضل الوجدِ مَعَ نقصَانِ العلمِ.

وَقَالَ عمرُو بن عثمان المكي: لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنَّه سِرُ الله تَعَالى عند المؤمنين الموقنينَ.

---

(١) قبان: فارسية: ميزان كبير لوزن الأشياء الثقيلة.

وَقَالَ أحمد بن بشرٍ: الوجدُ أول دَرَجَاتِ الخصوصِ، وَهو ميراث التصديق بالغيب، فلما ذَاقوه وسطعَ فِي قلوبِهِمْ نُورُهُ، زَالَ عَنْهُمْ كُل شَكٍ وَرَيْبٍ.

وَقَال أبو سعيد بن الأعرابي رَحَمَةُ اللَّهِ عليهِ: أول الوجد رَفع الحجابِ، ومشاهَدة الرقيب، وحضور الفهْمِ، وَمُلاَحَظةُ الغيب، وَمُحَادَثَةُ السِّرِ، وإيناسُ المفقُودِ.

وَقَالَ الجنيد: ذُكرتِ المحبَةُ بين يدي سَرِي السقطي، فضربَ يَدَهُ على جلدةِ ذِراعهِ فمدها، ثم قالَ: لَوْ قُلتُ إنما جف هَذَا على هَذَا مِنَ المحبةِ لَصَدَقْتُ، ثم أغمي عليهِ حتى غَابَ ثم توَرَّدَ وَجْهه حتى صَارَ مثل دَارَةِ القمرِ، فما استطعنا أن ننظرَ إليهِ مِنْ حُسْنِهِ حتى غطينا وَجْهَهُ.

لأبي عثمان المزين:

وَسُكْرُ الوجدِ فِي مَعْنَاهُ صحو وصحو الوجدِ في سُكِر الوصَالِ

وَحُكي عن الشبلي أنه تواجَدَ يوماً فِي مجلسِهِ، وَقَالَ: آه، ليسَ يدري مَا بقلبي سواهُ فقيل لَهُ: آه مِنْ أي شيءٍ؟ فقال: آهِ مِنْ كُل شيءٍ.

وَقِيل: الوجْدُ مُكَاشفات مِنَ الحقِ، ألا ترى أن أحَدَهُمْ يكون سَاكِناً فيتحرك، فيظهَرُ منهُ الزفير والشهيق، وقد يكون مَنْ هو قوي ساكناً فِي وَجده لا يظهر منه شيء مِنْ ذلك، قَالَ الله عَزَ وَجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

وَقَالَ المرتعش: مَنْ تواجد وَلَمْ يَرَ فِي تواجدِهِ زِيَادَةً فِي دِينهِ، فينبغي أن يستحيي ويتوب منهُ.

وَقيل: الوجد ضَرْبَانِ؛ أحَدُهُمَا: وَجدُ مِلْك، كقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن﴾ [البقرة: ١٩٦] مَعْنَاهُ: فمن لم يملك. والثاني: وَجد لقاء، لقولهِ عز وجل: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا﴾ [الكهف: ٤٩] يعني لَقُوا.

وَسُئِل أبو سَعِيدْ القرشي عَنِ الفرق بين الوجدِ وَالوجودِ، فقال: الوجد أتم من الوُجُودِ، لأن الوجد لا تطلبُهُ أنت فتجده بِكسبك وَاجتهادِكَ وَالوجُود مَا تجدهُ مِنَ الله تَعَالى الجواد الكريم، وَالوَجْدُ من غير تمكين وَالوجود مع التمكين، وَالوجد شبه العزم، وَالوجود العطية.

بَابٌ فِي ذِكْرِ مَا انتهَىَ إليَّ مِنَ الهَوَاتف

قَالَ أبو سعدٍ: اختلفوا فِي إثباتِ الهواتِفِ، فأثبتها قوم وَنفَاهَا آخَرُونَ، ثم قال بعض المثبتين لَهَا: إذَا جَازَ أنْ يختلفَ الدُعَاة فِي العِيَانِ، جَازَ أن يختلفُوا فِي غيرِ العيان.

وَقَالَ بعضهم: رُبما سبب الله تَعَالى تنبيهَ عبد مِنْ عبادِهِ مِنْ وَجهِ هَاتِفٍ، إما بِمَلكٍ أوجني صَادِق مسلم، وَقيل: هتف بك الحق بزواجِرِ التنبيهْ عن التوريطِ فِي عين التمْوِيهْ.

أخْبَرَنَا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي، حدَثَنَا أبُو العباسِ محمد بن إسحق، أخبرنَا يعقوب بن إبراهيم، وَأبُو كُرَيبْ محمد بن العَلاَءِ، قَالا: حَدثنا وَكِيع، حدثنا علي بن المبارك، عَنْ يحيى بن أبي كثيرٍ، قَالَ: سَألتُ أبَا سلمة بن عبد الرحمن عَنْ أولِ ما نزلَ مِنَ القرآنِ، قَالَ: ﴿يَا أيها المدثر﴾ قلتُ: إنهم يقولُونَ: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ قَالَ أبو سلمة: سَألتُ جابر بن عبد الله عَنْ ذلك فقلتُ مثل الذي قلتَ، قَالَ جَابر: لاَ أحدثك إلاَ مَا حدثنَا بِهِ رَسولُ الله ﷺ قَالَ: «جَاورتُ بحراءِ، فلما قضيت جوارِي هبطتُ، فنودِيتُ عَنْ يميني فلم أرَ شيئاً، وَنظرت عَنْ شمالي فلم أر شيئاً، وَنَظرتُ أمَامِي فلم أرَ شيئاً، فَنظرتُ خلفي فلم أرَ شيئاً، فأتيت خديجة فقلتُ: دَثروني وَصُبُوا علي مَاء بَارِداً فدثروني وصبوا عليَّ ماءً بارداً، فنزلَتْ ﴿يَا أيها المدثِرُ﴾[1].

وَعَنِ الحسن بن معاذ قَالَ: كَانَ بالبصرة رَجل ورع، وَكَانَ قد اعتقد أنهُ لا يترك شيئاً مِنْ أجل شيءٍ إلا من أجل الله تَعَالى، فَمَر فِي بعضِ أسفارِهِ فِي يوم صَائِفٍ شديد الحر فِي صحراءِ، وَهُوَ حَافِي فاحترقت رِجلاه، فعدل عَنِ الطريقِ إلى مَاءٍ للقصارينَ فغمس رجليهِ فيهِ، وَجَلَسَ فَإذَا هُو بقائل يقول لَهُ: مَنْ نسينا فِي اعتقادِهِ نَسيناهُ عند آفَاتِه، فنظر فلم يرَ شيئاً، فَصَاحَ صيحة فَمَاتَ فِي مَكَانِهِ.

وَعَنْ أبي الحسين النُوري قَالَ: سألتُ الله عز وجل أن يخفيني فِي بلادِهِ عَنْ عبادِهِ، فنودِيت: يَا أبَا الحسنِ إن الحق لا يستره شيءٌ.

وَعَنْ إبراهيم الخواص قَالَ: أويتُ ليلةً فِي طريقِ مَكَةَ إلى خربَةٍ، فمكثتُ فِيْهَا إلى بعض الليل، فإذَا سبع كَأنَهُ فيل، فهممتُ أن أتقدمَ خطوةً مِنَ الموضِعِ الذي كنتُ فيهِ قَائماً

---

(١) أخرجه الطيالسي وعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن الأنباري في المصاحف عن أبي سلمة (الدر المنثور ـ السيوطي ٦/ ٢٨٠).

أصلي، فإذَا هَاتِفٌ يقولَ: يَا إبراهيم، اثبت مَكَانَك فإن حولك سبعين ألف ملكٍ يَحرسُوْنَكَ، وَهَذَا إبليس يطمَعُ أنْ يفتنك، وليسَ فِي هذهِ الحجَةِ مِنَ المسلمين مَنْ خلفَهُ مِنَ الملائكَةِ سَبْعُون ألفَ ملكٍ غيرك. فالتفتُ وأردْتُ أن أضرِبَ رَأسَ السَبُع مِنْ قوةِ قلبي فلم أرَهُ.

وَمَر أمير المؤمنين علي بن أبي طالبِ عليهِ السَّلاَمُ بِالمقابرِ، فقالَ: السلاَمُ على أهْلِ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، مِنْ أهْلِ لاَ إله إلا اللَّهُ، بحق لاَ إله إلاَّ الله، كيف وَجَدْتم لاَ إله إلا الله قَالَ: فهتف بِهِ هَاتِفٌ مِنْ بين القبُورِ: وَجَدْنَاهَا منجيةً مِنْ كُلِ هَلَكَةٍ.

وَحُكِيَ عَنْ بُنَانَ قَالَ: بقيت سبعة أيَام عَلى بَابِ بني شيبة، فهتف بِي هَاتفٌ فِي آخِرَ ليلتي، وَهُوَ يقولُ: من طلب من الدنيا فوقَ مَا يكفيهِ أو يَحْتَاجُ إليهِ، أعْمَى الله تَعَالى عين قلبهِ.

وَعَنْ أبي سعيدِ الخَرَاز قَالَ: دَعَانِي دَاعٍ مِنْ نفسي إلى سُؤالِ غيرِ الله عَزَ وَجَل شيئاً، فهتف بِي هَاتِفٌ: أَبَعْدَ وُجُودِ الله عَز وَجَل تسل غير الله عز وَجل؟؟.

وَعَنْ إبراهيم بن أدهَمَ، قَالَ: كَابَدْتُ العبادَةَ خمس عشرة سَنَةً، ثم نُودِيت: كن عبداً فاسترحت.

وَقَالَ أبو عبد الله النباجي: سمعتُ هَاتِفاً يهتف: عجباً لِمَنْ وَجد حَاجَتَهُ عند مَوْلاَهُ فَأنْزَلَ حَاجته بالعبيدِ.

وَحُكِيَ عَنْ دَاود بن رشيد أنه قَالَ: قَامَ أخي من الليلِ يُصلي، وَكَانَتْ ليلة شديدَةَ البردِ، فبَكَى مِنْ شدةِ البردِ، ثم إنَهُ سَجَدَ فَذَهَبَ بِهِ النَومُ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَإِذَا هاتف يهتف بِهِ: أنمناهُمْ وأقمناك وأنت تبكي علينَا.

وَقَالَ أبو جعفر السقا: بينما أنا أصلي وقَدْ بقي مِنْ صَلاَتِي، فذهَبَ بِي النومُ، وأنا قاعد، فسمعت هَاتفاً يهتف بِي: بَادِر طي الصحيفة!!، فلم أترك التهجد بعدها أبداً.

وَقَالَ خالد بن يزيد: صعد وَهيبٌ جبل أبي قبيس، فَكَانَ يصلي عليهِ ليلتَهُ، فلما كَانَ فِي السحر هتف بِهِ هاتف وَهُوَ سَاجِدِ: يَا وهيب ارفع رَأسك فقد غفر لك.

وَجلسَ فتح يَوماً مَعَ أصحابِهِ، إذْ مرت صبية فَدَعَاهَا، فأجلسها بين يديهِ، فقيل لَهُ ضمها إليك، فقالَ: إني ضممتها يوماً، فهتف بِي هَاتف: ما ظننت أن فِي قلبك لغير الله عز وجل موضعاً.

وَعَنْ أبِي العباسِ الهاشمي قَالَ: كُنتُ فِي بستانٍ بالشَام مضطجعاً ملتفاً بِكساء على شاطىء نهرِ فِي البستان، يَصُبُ ذلك النهر إلى رَجا[1] فهتف بِي هَاتِف، فرفعت طرفِي فنظرتُ إلى ورق الشجر، فقلتُ فِي نفسِي مَنْ يحصي هَذَا، فوقعت عليّ ورقة منها مكتوبٌ عليها: الله الوَاحدُ القهارُ، فسقطتُ فِي النهر وأغمي عليّ، وَمَدني الماء إلى الرجا، وأتى أصحابُ الرَجَا فأخرجُوني، وألقوني عنهم فِي الرجَا بقية ليلتى، فما أفَقتُ إلَى غدِ ذَلكَ اليَوْمِ الظُهرِ.

وَعَنْ منصورِ المغربي قَالَ: كَانَ رَجلٌ بينَهُ وَبين الحرم عشرة أيام، فَنوى الحجَ وَقطعَ ذَلِكَ فِي عَشرِ سِنِيْنَ، ثُمَّ وَقَفَ بِالموقِفِ، فقالَ: أنَا أعلم أنَهُ لاَ تصلح هذهِ الحجَةُ لك، فلا تَنسَنى فِي حَيَاتِي وَلاَ مَمَاتِي، فهتفَ بِي هَاتِفٌ: قَدْ قبلنَا حجَ الجميع مِنْ أجلك.

وَقَالَ سفيانُ الثوري: كَانَ لِي جَارٌ بالكوفَةِ، وَكَانَ يذهَبُ مَذْهَبَ التوكُل، فخطر ببالهِ المعيشة، فقالَ لنفسِهِ: يَا نَفْسَاهُ مِنْ أين المأكَلُ؟ فعزمَ عَلَى اتخاذ الخوص، فهتفَ بِهِ هَاتِفٌ مِنْ وَرَاءِ البيتِ: يَا هَذَا ألسْتَ توكلت علينَا فكفينَاكَ، والتجأتَ إلينَا فآوَينَاك، وَهَرَبْتَ مِنّا فتركنَاكَ، فإن رَجعت إلينَا قبلناك.

وَعَنْ عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ بِلاَدِ الرُوْمِ قَافِلينَ، فبينَا نحن برصَافَة هِشَامِ إذَا نحن بهاتفٍ يهتف مِنْ جوِّ السَّمَاءِ وَلاَ نَرَاهُ وَهُوَ يقُولُ: يَا محفوظ، يَا مَسْتُورُ، اعقل فِي ستر من أنتَ، فإنْ لَمْ تعقل فِي ستر مَنْ أنت، فاعقل أن الدنيا حمَى الله فاتقها، فإنْ لَمْ تعقل كيف تتقيها، فاجعلها شوكَةً بين عينيك، ثم انظرْ أين تضع قدمك مِنْهَا.

وَقَالَ الكتَانِي: وَجدتُ ضعفاً فِي بدَني وَحَالي، وَفِي يَدِي وَفِي رِجْلِي، فَاعتقدتُ أن أدْخُلَ الطوافَ فأدْعُوَ، فدخلتُ الطوافَ، فَإذَا قومٌ يَدْعُونَ بغرائب الدُعَاءِ، فقطعني قربُ الله تَعَالى عَنْ سُؤالِهِ، ثم دَعَانِي دَاعٍ مِنْ نفسي إلى الدعاءِ، فسمعتُ هَاتفاً يقولُ: بعد وُجُودك إيانَا تسأل غيرنَا.

قَالَ بعضُ المشايخ: كنتُ أقرأ على شيخ، وَكَانَ على سَاقِهِ خدش، وَكَانَ فِي أوقاتٍ يمد رِجْلَهُ ليستريح، فَإذَا وَقعت عينه على الخدشِ بكَى، فَأطَالَ البكَاء فسألتُهُ يوماً عَنْ بُكَائِهِ، فقالَ: كنتُ أمشي بالليل فوقعتُ فَأصَابَتْ رِجلي خشبة فخدشتها فوضعت يَدِي عليهَا وقلتُ: بِسْمِ اللَّهِ، فهتف بِي هَاتِفٌ فِي سِري: أمَا تستحي بدلت اسمي فِي مَنَافع بدنك، فكلما نظرت إلى الخدشِ ذكرتُ ذلك فأبكَانِي.

---

(١) الرَجا: الناحية، أو ناحية البئر (القاموس مادة ر ج ي).

وَعَنْ أبي حمزة الصُوْفِي الخراساني أَنَّهُ قَالَ: دَخلتُ البادِيَةَ وَسَطَ السنة فبينا أمشي إذ وقعتُ فِي بئرٍ طولهَا خمسَةَ عشر ذِرَاعَاً أقل أو أكثر، فنازعتني نفسي أن أستغيث، فقلتُ لاَ وَاللَّهِ، فَمَا استممتُ هَذَا الخاطر حتى مَرّ بِرَأس البئر رَجُلاَنِ، فقال أحدهما للآخرِ: تَعَالَ حتى نَسُد رَأسَ البئرِ مِنَ الطريق، فأتيا بِقضب وَطَرَحَاهُ عَلى فمها، فهممتُ أنْ أصيحَ، فقلتُ: لاَ أستغيث بغيرِهِ وَهُوَ أقربُ إليّ منهما، فسكتُ حتى سَدَا وَأوثقا، قَالَ: فَإِذَا بشيءٍ قد دَلَّىٰ رجليهِ فِي البئرِ وَهُوَ يقولُ: تعلق بِي، فتعلقت فأخرجني فإذا هو سَبُعٌ، وَإِذَا بِهَاتِفٍ يهتف بِي يقول: يَا أَبَا حمزة نَجَّيْنَاك مِنَ التلفِ بالتلفِ ـ أي: مِنَ البئر بالسَبُعِ ـ.

وَيقال: إن الجنيد لَمّا حضرته الوفَاةُ كَانَ يُسَبِحُ الله بلسَانِهِ وَيعقِدُ بِأصَابِعِهِ، ففارقته الحيَاةُ وَهُو عَاقد أصَابعه، فلما وُضِعَ على المغتسلِ أرَادَ غَاسِلُهُ أنْ يفتحَ أصَابِعَهُ فلم تنفتح وَلَمْ يقدِرْ على ذلك، وَهتف بِهِ هَاتِف عقد عقده بِكَلاَمِنَا فلا ينفتح إلا بلقائنا.

وَحُكِي عَنْ أبي جعفر بن بُرية الجُرجَانِي قَالَ: كنتُ فِي البَادِيَةِ فأصابتني شدة عظيمة، فقلتُ فِي نفسي: مَا كلفَ الله تعالى هذا كُلَهُ، فإِذَا بِهَاتِفٍ مِنْ سِرِي يَا ابن بريّة اترك الفتوة حتى نرفق بك فقلتُ لاَ وَعزتك وَإِنْ تلفتُ فِي الشِدَةِ.

وَعَنْ أبي عبد الله الموصلي ـ وَكَانَ مِنْ أفاضلِ المؤمنين ـ قَالَ: مررت بِرجُل مِنْ بني هَاشِمٍ وَلَمْ يكن في بعض أخلاقِهِ محموداً، وَهُوَ محمُومٌ، فقلتُ: أبشِرْ فإن حُمّى يوم كَفَارَةُ سَنَةٍ، فلما صِرتُ إلى البيتِ حممتُ، فجعلتُ أقولُ: يَا رَبّ، هَذَا بأي جُرْم هَذَا، قَالَ: فهتفَ بِي هَاتِفٌ: أنت القائل لفلانٍ حمَى يَومٍ كَفَارَةُ سنةٍ لاَ ولا كَرَامَة، حمى يَومٍ كفارَةُ سَنَةٍ لِتَائب، فأمّا المُصِرُّ لا وَلاَ كَرامَةُ.

وَعَنْ أبي الفرج الخراط البَغْدَادِي قَالَ: دَخلتُ البصرة، فأتَيْتُ الجَامِعَ، فرأيتُ فيهِ فتىً حسنَ الوجهِ وبيدهِ وَرَقٌ، وَهُوَ يَكتُبُ، فقلتُ لَهُ: يَا بُنَي أيش تكتب؟ فقالَ: أسَامي المحبين فِي هذه المدينةِ، فقلتُ لَهُ: يَا فتى هَلْ كتبت اسمي فيمن كتبت؟ فقالَ: لاَ، قَالَ: فوقع في نفسي شيءٌ لَم أطقه مِنَ البُكَاءِ، فَقَالَ لِي الفتى: مَا لَك تبكي؟ قَالَ: فقلتُ لَهُ: سَألتك باللَّهِ العظيم إلا كتبت اسمي فِي المحبين أوْ فِي مَنْ يحب المحبين؟ قَالَ: فلمّا جنَّ عليَّ الليل فإِذَا بِهَاتِفَ يهتف: قد غفر لك بقولك اكتُبْ اسمِي فيمَنْ يُحبُ المحبينَ.

وَعَنْ أحمد بن عَطَاء الرُوْذَبَارِي قَالَ: كَانَ لِي مذهبٌ فِي الوضوءِ، قَالَ: فكُنْتُ أتوضَأ ليلةً إلى أن مضى مِنَ الليل رُبْعُهُ فبكَيْتُ، وقلت: يَا رَبّ، العفو. فهتف بِي هَاتِفٌ لَمْ أرَ شخصه يقولُ: يَا عَبد اللَّهِ العفو فِي العلم.

قَالَ أَبُو سعدِ الواعظُ رَضِيَ الله عَنْهُ مصنف هَذَا الكِتَابِ: كنتُ فِي الطوافِ فَدَعوتُ اللَّهَ تَعَالى بدعوةِ بعضِ الأنبيَاءِ عليهم السلام مِمّا فِي القرآنِ، فهتف بِي هَاتِفٌ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١١٨] فعلمتُ أنّ دَرَجَةَ الأنبياءِ عليهم السلام فِي بعضِ الدعَوَاتِ غير دَرَجَةِ العوام.

وَقَالَ أبو سعيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكنتُ فِي طريقِ العمرة فسمعت هَاتِفاً يقولُ: يَا ابنَ أبي، يَا ابنَ أمي، وَذلك فِي وَقتِ السحر فاشتغل قلبي وَوَقفتُ مَلياً، وَكَانَ قدامي بعضُ المجاوِرينَ فوقفَ، فقال: مَالك؟ قلتُ: سمعت كَذَا وَكَذَا، فقال: يشبه أنْ يَكونَ مَاتَ لهذا الهاتِف أخٌ، فتحيرتُ وَتقسَّمَ خَاطِرِي، فَلَمَا رَجعتُ إلى حجرتِي أرَدْتُ أنْ أكْتُبَ الوقتَ ثم تركْتُ ذلك تفاؤلاً، وَكَانَ فِي شعبان، فلما قَدِمَ الحاجُ نعَوا إليَّ أخي رَحِمَهُ اللَّهُ وَذَكَرُوا أنَّهُ تُوفي فِي شعبان فِي تلك السَاعَةِ التي كَانَ يهتف الهاتِفُ بقولِهِ: يا ابن أبي يَا ابن أمي.

وَقيل: لَمَا مَاتَ إبرهِيمُ بن أدْهَم هتف هَاتِفٌ: ألا إنّ أمَانَ الأرْضِ قَدْ مَاتَ.

وَعَنْ وَلِيْدِ السَّقَا بنصِيبيْنِ ـ وَكَانَ يُقَالُ إنَّهُ مستجابُ الدَعْوَةِ ـ قَالَ: قَدَّمَ إليّ بعض أصحَابِنَا يَوماً لبناً، فقلتُ: هَذَا يَضُرُني ارفعُوهُ، فلما كَانَ يوماً مِنَ الأيام، دَعوتُ الله تَعَالى فقلتُ: اللَّهُمّ اغفر لِي فإنك تعلم أني مَا أشركتُ بِكَ طرفة عينٍ، فسمعتُ هَاتِفَاً مِنْ سِري وَهُوَ يقول: وَلاَ يَومَ اللبن.

وَدَخَلَ رَجل غيضةً فقَالَ: لو خلوتُ هَاهُنَا بمعصيَةٍ مَنْ كَانَ يَرَانِي؟ فسمع هَاتِفَاً مِنْ لابتي[1] الغيضة، قَالَ الله تَعَالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤] .

وَقَالَ أبو الحسن النُوريُ: سَألتُ الله تَعَالى أنْ يديم لِي حالةً، فهتف بِي هَاتِف يَا أبَا الحسنِ لاَ يصبر على الدّائم إلاّ الدَائِمُ.

---

(١) اللاّبة: الحَرَة ذات الحجارة السوداء (القاموس مادة ل و ب).

بَابٌ فِي ذِكْرِ الكَرَامَاتِ

قَالَ الإِمَامُ أبو سعدٍ الْوَاعِظُ: حَدَّثنا أبو سعدٍ إسماعيل بن أحمد بن مُحمّدٍ التَّاجرُ، قَالَ: أخبرنا أَبُو بَكْرٍ أحمد بن مُحَمد بن عبد الخَالِقِ بن الوليدِ بن شَجَاعٍ، قَالَ أخبرنَا أبو معاوية، عَنِ الأعمش، عَنْ سَالم بن أبي الجعَدِ، عَنْ ثوبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إن مِنْ أمتي مَنْ لَوْ أتي بَابَ أحدكُمْ يسأله دِيناراً لَمْ يعطِهْ، وَلَوْ سَأَلَهُ فلساً لم يعطِهْ، وَلَوْ سَأَلَ الله تَعَالى الجنة أعطاهَا إياها، ولو سَأله الدنيا لَمْ يَعْطِهِ، ذُو طمرين لا يوبه لو أقسم على اللَّهِ تَعَالى لاَ بَرَّه»(١).

وَقِيلَ مَنْ أَرَادَ النجاةَ فعليهِ بترك السَّيِّئَاتِ، وَمَنْ أَرَادَ الدرجَاتِ فعليهِ بكثرة الطَاعَاتِ، وَمَنْ أَرَادَ الكَرَامَات فعليهِ بحب الخلواتِ.

وَقِيل: مَنْ رَأى نَفسَهُ فِي الكَرَامَاتِ كَانَتْ الكَرَامَاتُ عليهِ عقوبَاتٌ، وَمَنْ لاَ يَرَى نفسَهُ فِي الكَرَامَاتِ كَانَتِ الكَرَامَاتُ لَهُ قَربَاتٌ.

وحُكِي عَنِ أبي عمران أَنهُ قَالَ: كنتُ فِي مَركبٍ فِي البحرِ فَانكسرَتِ السفينة وَبقيت أنا مَع امْرَأتِي عَلَى لوحٍ وَقَدْ وَلدت صبياً ولَمْ أشعر بِهِ حتى صَاحَتْ بِي، وَقَالَتْ لِي: قتلني العطش، فقلتُ: يَا هَذِهِ قد ترين حَالنَا، فبينا أنا كذلك إذ سمعتُ حَسِيْسَةً فوقي فرفعت رَأسِي، فَإِذَا أنَا بِرَجُلٍ فِي الهَوَاءِ جَالِسٍ فِي يَدِهِ سلسِلَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِيْهَا رَكوة مِنْ يَاقوتٍ أحمر فقال: هَاكُمَا وَاشربَا، فأخذتُ الركْوةَ فشربنا مِنْهَا فإذَا هُوَ أطيَبُ مِنَ المسكِ، وأبرَدُ مِنَ الثلج، وَأحلى مِنَ العَسَلِ، فقلتُ: مَنْ أنت رَحمك اللَّهُ؟ قَالَ: أَنَا عبد لمولاك قلتُ: بأي شيءٍ بَلَغتَ مَا بلغتَ؟ قَالَ: تركتُ هَواي لِرِضَاهُ فَأَجْلَسَنِي كَمَا ترى، ثم غَابَ عني وَلَمْ أرهُ بعد ذلك.

وَحُكِي أن إبراهيم بن أدهمَ قَالَ: مررتُ برَاعٍ فقلت لَهُ: هَلْ عندك شربة مِنْ مَاءٍ أو لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أيّهُمَا أحَبُ إليك؟ قلتُ المَاء، قَالَ: فضرب بعصَاهُ حجراً صلداً لاَ صَدْعَ

---

(١) حديث (إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ولو سأله درهماً لم يعطه ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ولو سأل الله تعالى الجنة أعطاه إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعه الدنيا لهوان عليه، ذو طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه).
قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله: (ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعه إياها لهوانه عليه) وروي مرسلاً. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٠٩٨).

فيهِ فانبجسَ مِنهُ المَاء فشربتُ مِنهُ، فَإذَا هُوَ أبرد مِنَ الثلج، وَأحلى مِنَ العسلِ، فبقيت متعجباً فقَالَ الراعي: لا تتعجب فإن العبدَ إذَا أطاع مَوْلاَهُ أطاعَهُ كُل شيءٍ.

وَعَنْ أبي الخير البصري قَالَ: كَانَ بعبادان رَجل أسود فقير يَأوِي إلى الخرابَاتِ، فحملتُ إليهِ معي شيئاً وَطلبتُهُ، فلما وَقعت عيناهُ عليّ تبسم وأشَارَ بيدِهِ إلى الأرض، فرأيتها كلها ذَهَباً يلمع، ثم قَالَ لِي: هَاتِ مَا معك، فناوَلتُهُ مَا كَانَ مَعِي وهربتُ مِنْهُ وَهَالَنِي أمرُهُ.

وَعَنِ الجنيد قَالَ: دَخلتُ على سَرِيٍّ يَوماً فقال: أُعْجِبُكَ مِنْ عصفور يجيء فيسقط عَلَى هذا الروَاق[1] فيأخذ لقمة فِي كفي، فيسقط على طرف أناملي فيأكُلُ، فلما كَانَ فِي وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ سقطَ على الروَاقِ ففتتُ الخبز فِي يدي فلم يسقط على يدي كَمَا كَانَ يسقطُ قبل ذلك، ففكرت في سبب وحشته مني، فذكرت أني أكلتُ ملحاً بإبرارٍ فقلتُ: يَا سيدي أنا تائبٌ مِنْ الملح الطيب فسقط فِي يدي فأكل وَانصرفَ.

وَعَنْ أبي محمدٍ المرتعش قَالَ: سمعتُ إبراهيمَ الخواص يقول: تهتُ فِي الباديَةِ أيَامَاً، فإذَا بشخصٍ وَافاني فقال لِي: السلام عليك، فقلتُ: وعليك السلام، فقال: تهتَ؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: ألا أدُلك على الطريق؟ قلتُ: بلى، فمشى بين يدي خطواتٍ وَغَابَ عَنْ عيني، فإذا أنا على الجادَةِ وَمنذ فارقْتُ الشخص مَا تهتُ وَلاَ أصَابَنِي الجُوعُ وَالعطش.

وَعَنْ سليمان بن يَسَارٍ العجلي قَالَ: كَانَ لإبراهيم بن أدهم صَاحبٌ يقالُ لَه: يحيى يتعبد فِي غرفة لَهُ ليس لَهَا دَرَجَةٌ ولا سلم، فَإذَا أرَاد الخُرُوج لِحَاجَةٍ وَقَفَ على باب الغرفةِ فقالَ: لاَ حَوْل وَلاَ قوة إلا باللَّهِ، ثم يَمُرُ فِي الهواءِ كَأنَهُ طَائر حتى يَأتي النهر فيتوضأ، فإذا فرغ مِنْ حاجته قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قوة إلا باللَّهِ، ثم يَمُر حتى يَدْخُل الغُرْفَةَ، قَالَ: فَكَانَ العُبّادَ إذَا اشتاقُوا إليهِ جَاءوا فوقَفُوا حذاء البابِ مَا شَاء الله ثم يَنْصَرفُونَ.

وَعَنْ أبِي زَيدٍ - رَجُلٌ مِنْ أهْلِ البحرين - قَالَ: غسّلتُ ميتاً فإذَا عَلَى نَحْرِهِ مَكْتُوبٌ: طوبَاكَ يَا غريبُ، فَذَهَبتُ أنْظُر فإذَا هُوَ بين اللحم والجلدِ.

وَعَنْ أبي سعيدٍ الخراز قَالَ: كَانَ حَالِي مَعَ الله سبحانَهُ أن يطعمني فِي كُلِ ثلاثةِ أيَام، قَالَ: فدخلتُ البادية فمضى علي ثلاث مَا طعمتُ، فلما كَانَ اليوم الرابع وَجدتُ ضعفاً، فجلَسْتُ مَكَانِي فَإذَا أنَا بِهَاتفٍ يقولُ لِي: يَا أبَا سعيدٍ، أيـمَا أحبُ إليك سبب أو قوة،

---

(١) الرُّوَاق: بضم الراء وكسرها، مقدَّم البيت (القاموس مادة ر و ق).

فضحكتُ وقلتُ: لاَ، إلا القُوة، فقمت مِنْ وَقتِي وَقَدْ استقللتُ، فمشيت بعد ذلك اثنتى عشرَ يوماً مَا طعمت شيئاً وَلاَ وَجدت ألمَاً لذَلِكَ.

وَعَنْ عَبْدِ الملكِ بن قريب الأصمعي قَالَ: كنتُ فِي طَريق مَكَةَ وَقَدْ قطعَ بي وَلَيسَ معي شيء، فرفعتُ رَأسِي إلى السَّمَاءِ فقلتُ: يَا سيدي وَمَوْلاَي، خلقت خلقاً لا رِزقَ لَهُمْ، فَإِذَا أنا بشيء قد سقط مِنْ وَرَائي، فالتفتُ إليهِ فَإِذَا أنا بِطَبقٍ وَعَليهِ أقراصٌ مِنْ خبزٍ وسمكةٌ مَشويةٌ، فَأكَلْتُ حتى شبعتُ، ثم مَرَرتُ فحولتُ وَجْهِي فَلَمْ أرَ شيئاً.

وَعَنْ أبِي عَاصم قَالَ: لما مَاتَ خليل المحلمي مَاتَ فِي بيتٍ مُظْلِم، فَأرَدْنَا غسله فَأرَدْنَا أن نطلبَ لِذَلِكَ سِرَاجَاً، فدخل مِنَ الكوةِ ضوء فأضَاء البيت، فلما غسلنا خرجَ الضوءُ كأنَّهُ لَمْ يَكُنْ قطَ.

وَعَنْ بعضِ الخراسَانيين قَالَ قصدت قبر أبي يزيد البسطامي للزِيَارَةِ، قَالَ: فذهَبْتُ وَكَانَ قَدْ سقطَ الثلج فلم أعرفْ قبره مِنْ قَبْرِ غيرهِ، فسمعتُ صَوْتَاً يقولُ: إليّ إليّ هَاهُنَا، حتى قصدت قبر أبي يزيد وَكسحتُ عنه الثلج وَدَعوتُ الله عند قبرهِ.

وَعَنْ آدَمَ بن أبي إيَاسٍ قَالَ: كَانَ شَابٌ بعسقلانَ يغشانَا وَيُجَالِسُنَا، فَإِذَا تحدثنَا سمع كَلاَمَنا، وَإِذَا فرغْنَا مِنَ الحديثِ قَامَ إلى الصلاةِ، فقَالَ لِي يوماً: أريدُ الإسْكنْدَرِيَةَ، وَأريدُ أن أُوَدِعك، قَالَ: فصلينا الجُمْعَة وَخَرجنا مِنْ بَابِ السَاحِلِ، فلما صِرْنَا فِي الطريق دَفعتُ إليهِ دُريهِمات وَقلتُ: أنفقْهَا فِي الطريقِ، فقال: لاَ حَاجَةَ لِي فيهَا، فكررتُ عليهِ فلم يقبلْ، وَأخَذَ كَفاً مِنْ رَمْلِ السَاحلِ فَطرَحَهُ فِي ركوتِهِ وَصَبَّ عليهِ مِنْ مَاءِ البحرِ، وَقَالَ لِي: اشرَبْ يَا أبَا محمَّدٍ قَالَ: فَشَربتُ سَوِيقاً طيباً بِسُكرٍ كثير فقالَ لِي: يَا أبَا محمَدٍ مَنْ يكونَ هذا معَهُ يحتَاجُ إلى دَرَاهِمَك؟ ثم أنشأ يقول:

لَيسَ فِي القَلبِ والفُؤادِ جَميعاً ... مَوْضعٌ فَارغ لِغَيرِ الحَبيبِ
هُو سُؤلي وَغَايَتي وَحَبيبي ... وبِهِ مَا حَييت عَيشي يَطِيبُ
فَإِذَا مَا السِقَامُ حَل بقَلبي ... لم أجد غيرهُ لِسقمي طَبيبْ

وَعَنْ سفيانَ الثوري قَالَ: قرأ وَاصِلٌ الأحدب ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] فقالَ: أرى رِزْقِي فِي السماءِ وَأنا أطلبُهُ فِي الأرضِ، وَاللّهَ لاَ طلبتَهُ بعد الْيَوْم، فعمد إلى غيضةٍ فدخلها فمكث فيها يَومين فجهد، فلما كَانَ فِي اليوم الثالث قَال: يَا رَبّ أين رزقي؟ فالتفتَ فَإِذَا هُوَ بدوخَلةٍ[1] مِنْ رُطَبٍ، فَمَا زَالَ ذلك غِذَاءه حَتى مَاتَ.

---

(١) الدَّوْخَلَّة ـ وتخفف ـ: سفيفة من خوص يوضع فيها التمر. (القاموس مادة د خ ل).

وَقَال إبراهيمُ الآجُري الخُرَاسَانِيُ: جَاءني يهودِيٌ يقتضي دَيناً كَانَ لَهُ عليَ وَأنا قاعِدٌ عند الأتون[1] أوقِدَ تحت الآجُر، فَقَالَ لِي: يَا أبَا إسحقَ، أرني آيةً حتى أسلم، قَالَ: فقلتُ لَهُ: تفعل؟؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قلتُ: هَاتِ ثوبك، فأخذتُ ثوبَهُ فلففتهُ وَأخذتُ ثوبي فجعلتُ ثوبهُ فِي جوف ثوبِي ولففته ورَميتُ بِهِمَا فِي الأتونِ، ثم دَخَلتُ مِنْ بَابِ الأتُونِ فأخذتهما من الأتون وَخَرَجتُ مِنَ البابِ، وفتحت ثوبي وَمَا ضرتْهُ النارُ شيئاً، وَنشرتُ ثوبَ اليهودي وَقَدْ صَارَ حُراقاً أسْودَ فأسْلَم.

وَعَنِ الجنيدِ بن مُحَمَدٍ قَالَ: مَرَّ بِي الحارث المُحَاسِبيُ، فرأيتُ فيهِ أثر الجُوعِ، فقلتُ لَهُ: يَا عم تدخل إلينَا، فدخل فقدمتُ إليهِ مَا كَانَ فِي بيتي وَاشتهيتُ أنْ يَكونَ أكثرَ، فدخلتُ إلى بَيْتِ عَمِيّ وحملتُ طَعَامَاً وَاسِعَاً وَكَانَ عمي يعمل مَعَ هؤلاءِ السّلاَطين، فلما وضعته بين يديهِ لم يمد يَدَهُ إليهِ، فلقمتُهُ لقمة وَطيبتُهَا وَأكثرتُ فيها الأدْمَ وَأومَأتُ إلى فيهِ، فأخذَهَا وَأدَارَهَا مِنْ كَذا إلى كَذَا وَلَمْ يسغها، ثم قَامَ وَرَمَى بِهَا، فقلتُ لَهُ: يَا عَمْ دَخلتَ إلى عِنْدِنَا وَلَمْ تصب شيئاً، ثم لقمتك لقمة فرميتها، فقالَ: نعم، بيني وبينَ اللّهِ تَعَالَى عَلاَمَةٌ، إذَا كَانَ شيءٌ فِيهِ كَرَاهَةٌ لم تمتد يَدِي إليهِ، فلما لقمتَنِي أحببتُ أن أسُرك فَأدرتُهَا لأبلعها وَجَهدْتُ فلم أسغْهَا فَرَميتُ بِهَا.

وَعَنْ إبراهيم بن الحكمِ بنِ أبانٍ قَالَ: كَانَ أبي إذَا أخذه النومُ باللّيْلِ دَخَلَ البحر فسبَّح، فتجتمع إليهِ حيتانُ البحر فتسبِّح مَعَهُ.

وَعَنْ عبدِ الواحدِ بنِ زَيدٍ قَالَ: خرجْتُ حَاجَاً فصحبني رَجلٌ، فَكَانَ لا يقومُ وَلاَ يقعد ولا يذهَبُ وَلا يَجيء إلاّ صلى على محمدٍ النبي ﷺ، فقلتُ لَهُ فِي ذلك، فقالَ: أخبرك عَنْ ذلك، خرجتُ منذ سنوات إلى مَكَة وَمَعِي أبي، فلما انصرفْنَا قِلْنَا[2] فِي الطريقِ فِي بعضِ المنَازل، فبينا أنا نَائِمٌ إذْ أتَانِي آتٍ فقالَ لِي: قم فقد أمَاتَ الله أباك، وَسَوّدَ وَجْهَهُ، قَالَ: فقمت مَذْعُوراً وكشفت الثوبِ عَنْ وَجِه أبِي فإذَا هُوَ ميت أسود الوجهِ، قَالَ: فدخلَنِي مِنْ ذلكَ أمرٌ عَظِيمٌ، فبينا أنَا على ذَلِكَ مِنَ الغَمِ إذْ غلبتني عيني فنمت، فَإذَا على رَأسِ أبِي أرْبَعَةُ سُوْدَانَ معهم أعمدَة مِنَ حَدِيدٍ عند رَأسِهِ وَرِجْلَيْهِ وَعَنْ يمينهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، إذْ أقبلَ رَجل حسَنُ

---

(١) الأتون: أخدود الخباز أو الجصاص ونحوه وهنا بمعنى التنور الذي يخبز به.

(٢) من القيلولة وهو النوم ظهراً.

الوجْهِ بينَ ثوبين أخضرين، فقالَ لَهُمْ: «تَنَحُوا» فتنحوا، فرفع الثوبَ عَنْ وَجْهِهِ ومَسَحَ وَجهه بيدِهِ ثُمَّ أتَانِي فقالَ لِي: «قم فقد بيضَ الله وَجه أبيك» فقلتُ: مَنْ أنتَ بِأبِي أنت وَأمِي؟ فقالَ: «أنا محمد ﷺ» قَالَ: فكشفتُ الثوبَ عَنْ وَجْهِ أبي فَإِذَا هُوَ أبيضُ الوجْهِ، فَأصلحتُ مِنْ شَأنِهِ وَدفنتهُ، فَمَا تركتُ بعده الصلاة على النَّبي ﷺ.

ذِكْرُ طَائِفَةٍ أُخْرَى مِمّن كَانَتْ لَهُمُ الكَرَامَاتُ

[قال] أبو سعدٍ: حدثنَا عبد الله بن مُحَمّد الأشعري، أخبرنَا الحسين بنُ محمدٍ بن الحسين البلخي، حدثنَا أحمد بنُ الليثِ، حَدثنا أحمدُ بن محمَدٍ بن عبد اللَّهِ بن القَاسِمَ بن نَافِعِ بنِ أبي برة مُؤذن المسجدِ الحَرَامِ، قَالَ: حَدَثَنَا عبدِ اللَّهِ بن مُوْسَى قَالَ: أَخْبَرَنَا الأعمش عَنْ زَيْد بن وَهْبٍ، عَنْ أبي ذَرٍ، قَالَ: بعثني رَسُولُ الله ﷺ أدعو علياً رضي الله عنه، فأتيت بيته فناديته فلم يجبني، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقالَ: «بَلْ هُوَ فِي البيتِ، فَاذْهَبْ فادْعه» فرجعتُ إلى البيتِ فَنَادَيْتُهُ وَالرحَا تطحَنُ فتشارفت، فَإِذَا الرحَا تطحَنُ وليسَ مَعَهَا أحَدٌ فنادَيْتُهُ فخرجَ إلي مُتَوشحاً برداً، فقلتُ لَهُ: إن رَسول الله ﷺ يَدْعُوك، فخرج مَعِي فَأصغَى إليهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقالَ لَهُ شيئاً لَمْ أفْهَمْهُ، ثم ذَهَبَ وَجعَل ينظُرُ إليّ وأنظرُ إليهِ، فقالَ لِي: «يَا أبَا ذرٍ مَالك تنظرُ إليّ؟» فقلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عجبتُ مِنْ رَحَا تطحَنُ فِي بيْتِ عَلِيَ ليسَ مَعَهَا أحَدٌ يديرهَا، فقالَ: «يَا أبَا ذَرٍ أمَا علمتَ أنّ لله تَعَالَى مَلائكَةً سَيَّاحين فِي الأرضِ مُوَكّلِيْنَ بمعونَةِ آل محمدٍ ﷺ»[1].

وَعَنْ عُمر بنِ الخطابِ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَهُ كَتبَ إلى نيل مصر لما رفع إليه عمرو بن العاص أن النيل يقف كل سنة فلا يجري حتى يرمى إليه بجارية مزينة فكتب إليهِ: مِنْ عمر أميرِ المؤمنين إلى نيل مِصر أمّا بعدُ: فإنْ كُنْتَ تَجري بأمر من الله عزَّ وجلَّ، فاجْرِ، وإن كنت تجري بأمر نفسك فلا حاجة لنا فيك، والسلام. فلما بلغ ذلك نيل مصر جرى كما كان يجري قبل وَلَمْ يقفْ بَعْدَ ذلكَ.

وَعَنْهُ أيضاً أنَهُ أنفذ جيشاً وَأمّرَ عليهمْ سَارِيَةَ، فَكَانَ يَومَ جمعةٍ يَخْطُبُ، فقالَ فِي خلالِ خطبتِهِ: يَا سَارِيَةُ الجبلَ، فَلَمَا رَجع الجيش مِنَ الجِهَادِ سَألَهُمْ عَمْرُ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ أمرهِمْ فقالُوا: إنا كنا نحارِبُ يومَ جمعَةٍ، فاشتد بِنَا الأمر حتى كَادَ العَدُو أن يغلب علينَا، فسمعنَا صوتاً: الجبلَ الجبلَ، فَرَزقنا اللَّهُ تَعَالى الظفر عليهِمْ، وَكَانَ بينهم وَبين عُمر مسيرة شهر.

وَرُوِي أنَهُ زُلْزِلَتِ الأرضُ فِي أيَامِهِ، فقالَ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ: أحْدثتمْ، لاَ أسَاكِنكُمْ أوْ تَتُوبُوا، فَتَابُوا بأجمعهم، فزلزلتِ الأرضُ بعد ذلك فضربَ عمرُ رَضِي الله عَنْهُ الأرضَ بدرتِهِ وَقَال: أتزلزِل على قومٍ تائبينَ، فَسَكَنَتِ الأرضُ.

(١) لم أجده فيما لدي من مصادر.

وَخَرَجَ ابن عُمَر فِي بعضِ أسفَارِهِ، فبينا هُوَ يسير إذا بقومٍ وُقوف، فقالَ: مَالِ هَؤلاءِ؟ فقالُوا: أسد على الطريقِ وَقَد أخافهم قَالَ: فنزلَ عَنْ دَابتِهِ ثم مشى إليهِ فأخَذَ بأذُنيه وَنحاهُ عَن الطريقِ ثم قَالَ: مَا كذبَ عليك رَسُولُ الله ﷺ إذْ قَالَ: «إنهُ إنما يسلط على ابنِ آدَمَ إذْا خَافَ غير الله عَزَ وَجَل، ولَوْ أن ابن آدَمَ لَمْ يخف إلا الله تَعَالى لما سلط عليهِ وَلَوْ لَمْ يرج إلا الله عَزَ وَجَل لَمَا وَكَلَهُ إلى غيرِهِ»(١).

وَعَنْ عتبةَ الغُلاَمِ أنَهُ دَخَلَ على رَجُل وَهُوَ فِي شربٍ، فقالَ لَهُ: يَا أبَا عتبة، الناسُ خبروني عنك بأمور فأرني بعضها فقالَ: تمن ما شئت، فقلتُ: رطباً ـ وَذلك فِي الشتاء ـ فقالَ: هَاه فناوَلني دوخلة فيها رُطب.

وَعَنْ محمد بنِ يعقوب قَالَ: قَالَ لِي ذُو النُونُ: قَالَ لِي رَجل: أنه رَأى أخاً مِنْ أهْلِ الصَّفَا قَاعداً على ظهر التِمْسَاحِ يغسل رَأسَهُ.

وَعَنْ ابن شوذَبٍ قَالَ: كَانَ حبيب يُرَى يَوْمَ الترويةِ بالبصرةِ، وَيومَ عَرَفَةَ بعرفاتٍ.

وَقَالَ بعضهم: كنا مَعَ فضيل بن عياضٍ على جبل من جبال منىً، فقال: لَوْ أنّ ولياً مِنْ أولياءِ الله عَزَ وَجل أمَرَ هذا الجبل أن يميد لماد، فتحرك الْجَبل، فقالَ فضِيل: إنَا لَمْ نردكَ بهذا، فسكن الجبلُ.

وَرَكبَ أبو رَيحانَةَ البحر فامتد عليهم البحر، فقال لَهُ أبو ريحانَة: اسْكَنْ فإنما أنت عَبْدٌ!! فسكن حتى صَارَ كَالزيتِ.

وَقَالَ عبدُ الواحدِ بن زيد: قلتُ لأبي عَاصِم البصري: كَيف صَنَعت حين طلبك الحجَاجُ؟ قَال: كُنْتُ فِي غرفتي فَدقوا عليّ البابَ ليدخلوا، فَدَفعتُ بِهِ دَفعةً، فإذَا أنا على أبي قبيس بمكَةَ، قَالَ: فقلتُ لَهُ: مِنْ أينَ كُنت تأكلُ؟ قَالَ: إذَا كَانَ عِنْد إفطَارِي صعدت إليَّ عجوز منحنية مَعَهَا رَغِيفَاي اللذَان كُنْتُ آكلهَما بالبصرة وَكوز مَاءٍ، فقالَ عبد الواحدِ: تلك الدُنيا أمَرَهَا الله أن تخدُم أبا عَاصِمٍ.

وَأصَابَتِ الناسَ مجاعَة بالبصرة فاشترى حبيبٌ طَعَامَاً بالنسيئةِ للمَسَاكِين وَخَاطَ كيساً

---

(١) عن وهب بن أبان القرشي عن ابن عمر أنه خرج في سفر، فبينا هو يسير إذا قوم وقوف، فقال: ما بال هؤلاء؟ قالوا: أسد على الطريق قد أخافهم، فنزل عن دابته ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه وفركها، ثم نفذ قفاه ونحاه عن الطريق ثم قال: ما كذب عليك رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما يسلط على ابن آدم ما خافه ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يخف إلاّ الله لم يسلِط عليه غيره، وإنما وُكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يرج إلاّ الله لم يكله إلى غيره)، أخرجه ابن عساكر، وبعضه الحكيم الترمذي عن ابن عمر. (كنز العمال ٣/ ١٢٩ الحديث رقم ٥٨٦٥، وج ١٣ صفحة ٤٧٨ الحديث رقم ٣٧٢٥٧).

وَجعلةَ تحت رَأسِه، فَلَمّا جَاؤوا يتَقَاضُونَهُ أخذَهُ فَإِذَا هُوَ مَمْلوء دَرَاهِمَ، فوزَنَهَا لَهُمْ وَأدى حقهُمْ مِنْهَا.

وَكَانَ عَامِرُ بن عبد القيسِ[1] يأخذ عطاءه فيجعله في طرفِ رِدَائهِ فلاَ يلقى أحداً مِنَ المَسَاكِين يسأله إلا أعطَاهُ، فلما دَخل على أهلِهِ رَمَى بِهَا إليهِمْ فعدوها فَوْجَدُوهَا سَوَاء كَمَا أعطي.

وأرَادَ إبراهيم بن أدْهَم أنْ يركبَ البحر فقَالُوا: إلا بِدِينار، فصلى على الشطِ ركعتين وَقَالَ: اللَّهُمّ إنهُمْ سَألُونِي مَا ليسَ عندي فصارَ الرَمْلُ دَنانيرَ.

وَقَالَ أبو نصر بن منصورِ بن عبدِ اللَّهِ الهَرَوِي: كنتُ بِمَدِينةِ الرسُولِ ﷺ جَالساً مع جَمَاعةِ مِنَ المستُورينَ بينَ القَبْرِ والمنبَرِ نتحرَى فِي الآيَاتِ، وَكَانَ رَجل ضَرير جَالِسَاً بالقربِ مِنَا يسمع فتقدم إلينا، فقالَ: قد أنستُ بحديثكُمْ آنَسَكم الله، اسمعوا هذهِ الحِكَايَة مِنِي:

كَانَ لِي عيالٌ وَصبيان وَكنت أخْرُجُ إلى البقيعِ أحتَطِبُ، فرأيتُ يَوماً شَاباً جَاز بِي وَعليهِ قميصُ كَتَانٍ وَنعله معلقٌ فِي أصبعهِ كَأنَهُ رَاجع مِنْ دُكَانِهِ إلى بيتِهِ مَارَاً على غير الجَادّة، فوقع فِي نفسي أن هَذَا تائه مِنَ الطريق أمضي خلفَهُ، وآخذَ ثيابَهُ، فمضيت حتى بلغت قريباً منه فقلت: انزع ما عليك، فقال: مُرَّ في حفظ الله تعالى، فقلت الثانية: انزع ما عليك، فقال: مُرَّ حفظك الله، فقلت في الثالثة: انزع مَا عليك، فقال: لاَ بُدَّ، فقلتُ: لا بُدَ، فَأشَارَ مِنْ بعيد إلى عيني بأصبعيهِ فسقطت عيناي إلى الأرض، فقلتُ: بِاللَّهِ عليك مَنْ أنتَ؟ فقَالَ إبْراهِيم الخواص.

وَقَالَ عبد الرحمن بن عبد الله سمعت رَجلاً يقول: رَكبتُ البحر وَكَانَ معنا رَجُل عليل، فلما لَججنَا فِي البحر مَاتَ الرجُل، فأخذنا فِي جهَازه فَأرَدْنَا أن نلقيهِ فِي البحر، فصار البحر كُله جَافاً ثم نزل المركَبُ فصَار على قرارِ البحر، فنزلنا وَحفرنَا لَهُ وَألحدنَاهُ، فلما سوينا عليهِ التُرابَ استوى المركب على وَجهِ المَاءِ وسِرْنَا.

---

(١) عامر بن عبد قيس، القدوة الولي الزاهد أبو عبد الله التميمي العنبري البصري كان ثقة من عُبّاد التابعين، رآه كعب الأحبار فقال: هذا راهب هذه الأمة قيل له: إنك تبيت خارجاً أما تخاف الأسد؟ قال: إني لأستحي من ربي أن أخاف شيئاً دونه. ولما احتضر بكى، فقيل ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل. توفي زمن معاوية رضي الله عنه (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥، الحلية ٢/ ٨٧).

وَكَانَ رَجل مِنْ بني إسرائيل يعبد الله تعالى فِي غَار، وَكَانَ غرابٌ يَأتيه كُلَّ ليلةٍ برغيفٍ يجد فيهِ طعم كل شيء حَتَّى مَاتَ.

وَكَانَ وَهيب بنُ الوردِ إِذَا اشتهى شيئاً وَجَدَهُ في بيتهِ وإنَاء مكفوء عليهِ.

وَعَنِ الحسن قَالَ: مَاتَ هرِم بن حيان فِي غَزَاةٍ لَهُ فِي يوم صَائِفٍ، فلما فُرغ من دَفنهِ جَاءتْ سحابة فرشَّت قبره لا تجاوزُه منه قطرة إلى مَا سِوَاهُ، ثم عَادَ عودَهَا على بدئهَا.

وَقَالَ عثمان بن أَبِي عَاتِكَةَ: كُنَا فِي غزاةٍ فِي أرضِ الرُومِ، فبعث الوالي سريَةً وَضَرَبَ لَهُمْ أجلاً، فمضى الأجل وَلَمْ تقدم السرية، قَالَ: فبينا أبو مسلم قَائِمٌ يُصَلِي إلى رُمحهِ إِذْ وَقَعَ طَائر على سنان الرمح، فقال: إن السرية قَدْ سَلِمَتْ وغنمت وَهِي فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا وَهِيْ قَادِمَةٌ عليك يَومَ كَذَا وَكَذَا، قلتُ: مَنْ أَنْتَ يرحمك الله؟ قَالَ: أَنَا منائيل مذهبُ الحزنِ مِنْ قلوبِ المؤمنين، ثـم طَارَ، فأتى أبو مسلم الوالي فأخبره، فقَدِمتِ السرية مِنْ ذلك الموضِع فِي ذلك اليومِ وَقَدْ سلمت وَغَنمت.

وَعَنْ أنسِ بنِ مَالكٍ رَضِيَ الله عنهُ أن عمرَان بن حصينٍ وعباد بنِ بشر كَانَا عند رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ فِي ليلةٍ ظلماء خدشٍ، قَالَ: فَخَرَجَا مِنْ عنده فَأصاب عَصَا أحدهُمَا مثل السِراج، فَكَانَا يمشيَانِ بضوئهَا، فلما أَرَادَا أن يتفرقَا إلى منازِلِهِمَا أضاءت عَصَا الآخرِ.

وَقَالَ أبو سليمان الدارَانِي: خرج عامر بن قيسٍ إلى الشام ومعه شكوةٌ[1]، إذَا شَاء صَب منها الماء فتوضَأ للصلاةِ وَإِذَا شَاءَ صَبَّ منها اللبن فشرب منهُ.

وَقَال سعيد الأردم: كَانَ عندنا رَجل يقالُ لَهُ: شكْرُ الناظِرينَ، وَكَانَ يأخذ نشَارةَ الخشَبِ فيدعُو الله تعالى فيصير لَهُ دقيقاً، ثم يقول: كُلْ يَا شكرَ الناظرين ما لم تزرعه أيدي الزارِعينَ.

وَعَن عَطَاء الأزرق: أن امرأتَهُ دَفعت إليهِ درهماً يشتري بهِ الدقيق، فاستقبلته خَادِمَةٌ تبْكِي، فقالَ لَهَا: مَا يبكيكِ؟ قَالَتْ: دَفَعُوا إليّ دِرْهَمَاً اشتري بهِ حَاجَةً فسقط مني، قَالَ: فأعْطَاها الدرهم وَانطلقَ إلى صديقٍ له يسقي السَاجَ[2] قَالَ: وفكر فِي سوءِ خلق امرأتِهِ، فقال: لا آتيها حتى يذهَبَ اللَّيْلُ، فقَالَ لَهُ صَديقه: خُذْ فِي هذا الجراب مِنْ نحاتة هَذَا الساج تنتفع بِهِ، قَالَ: فملأه ثم جَاءَ بِهِ ففتح بَابَهُ ثم رَمَىٰ بِهِ فِي دَارهِ وَأغلق الباب، وَذَهَبَ فلم يزلْ

---

(١) الشكوة: وعاء من أدم للماء واللبن (القاموس مادة ش ك ا).

(٢) الساج: نوع من أنواع الشجر (القاموس مادة س ا ج).

يصلي حتى ذَهَبَ نحو مِنْ ثلثي الليل، قال: ثُمَّ جَاءَ، فإذا السِرَاج فِي بيتهِ يزهر وأهله لَمْ يَنَامُوا فقالُوا: أبطأتَ عَلَيْنَا الليلةَ ونحن ننتظرُكَ وَإِذَا بين أيديهم خبز كثيرٌ، فقالَ: مِنْ أين لَكُمْ هذا؟ فقالُوا: مِنَ الدقيق الذِي جئت بهِ لا تشتري لَنَا إلا منه فإنَّهُ جَيدٌ.

وَقَالَ حَامِدٌ الأسود: كنتُ معَ إبراهيم بن أحمد الخواصِ فِي سَفرٍ، فدخلنا الغياض، فلما أدْرَكنا الليل إذا السباع قد أحَاطَتْ بِنَا، فجزعْتُ لِرؤيتها وَصعدت شجرة، ثم بَصُرتُ بإبراهيم وقد استلقى على قفاهُ وَأقبلت السِبَاعُ تشمه مِنْ قرنهِ إلى قَدَمِهِ وَهُوَ لا يتحرك، ثم أصبح وَخَرَجْنَا إلى قريةٍ على عشرة فراسخَ وَبتنا تلك الليلةِ فِي مسجدٍ فرأيت بقةً وَقعت على وَجْهِ إبراهيمَ فقرصَتْهُ، فقَالَ إبراهيمُ: آه، فقلت: يَا أبا إسحق، البَارِحَةَ كنت متمدداً بين السباعِ وَلَمْ تتنفس وَالسَاعة أراك تَأوّهْتَ مِنْ قرصِ بعوضٍ فكيف هَذَا؟ قَالَ: أما مَا رأيت البارِحَةَ فتلك حَالة كنت فيهَا بالله عَزَ وجلَّ وَهَذِهِ حَال أنَا فيهَا بنفسي.

وَعَنْ إبراهيم بن أدهم أنهم كَانُوا فِي رِفْقَةٍ فعرضَ لَهُمْ السَبُعُ فقطعَ عليهم الطريق قَالَ: فَجَاءَ إليهِ إبراهيم فقالَ للسَبُعِ: إن كنتَ أمرت فينا بشيءٍ فامض لما أمرتَ وَإلا فارجع، قَالَ: فرجعَ الأسَدُ وَهُو يهمهم، فقال إبراهيم: أين أنْتُمْ عَنِ هُؤلاءِ الكلماتِ: اللَّهُمَّ احرسنَا بعينك التي لا تنامَ، وَاكنفنا بركنك الذِي لا يُرَام، اللهم ارحمنا بقدرتك علينَا فَلاَ نهلكَ، وَأنتَ الرَجاء.

قَالَ عبد الرحمنِ بن الجَارُودِ سمعت خلف بن تميم يقولُ: فأنَا أقولُ هذهِ الكلمات على ثيابِي، وَعَلى نفقتي، فما فقدت شيئاً وَلاَ ذَهَبَ لِي شيءٌ.

وَحُكِي عَنْ إبراهيم الخليل عليهِ السلام: أَنَهُ مَرّ فرأى عبداً يتعبد فِي الهواءِ، فقالَ لَهُ: بِمَ نِلْتَ هَذِهِ المنزلة؟ فقال: بأمر يسيرٍ، فطمت نفسِي عن الدنيَا، وَلَمْ أتكلم فيما لا يعنيني، وَنظرتُ فيما أمَرَنِي بِهِ فعملتُ بِهِ، وَنظرتُ فيما نهاني عنه فانتهيت عَنْهُ، فأنا إن سَألتهُ أعطَاني، وَإنْ دَعوته أجَابَنِي، وَإنْ أقسمت عليهِ أبَرّ قسمي، سألتُهُ أن يُسْكِنَني الهواء فَأسْكَنَنِي.

وَعَنْ يحيى بن أبي كثيرٍ[1] قَالَ: اشترى كهمس بن الحسن دَقيقاً فَأكل منهُ، فلمَا طَالَ عليهِ كَالَهُ فَإذَا هُوَ كَمَا وَضعَهُ، فنقص بعد ذلك حتى فني.

وَعَنْ أبي علي الرازي قَالَ: لَقَدْ مررتُ يوماً على الفراتِ فعرضَتْ لقلبِي شهوة السمَكِ

---

(١) يحيى بن أبي كثير الطائي - مولاهم - أبو النضر اليمامي، أحد الأعلام. قال شعبة: يحيى بن أبي كثير أحسن حديثاً من الزهري. وقال أبو حاتم: إمام لا يحدث إلاّ عن ثقة. توفي سنة ١٢٩ هجرية. (خلاصة تذهيب الكمال ٣٦٧).

الطري، فَإِذَا الماءُ قد قذف لِي بسمكةٍ نحوي، فَإِذَا رَجل يعدُو فقالَ لِي: أشويهَا، قلتُ: نعم، قَالَ: فشواها فقعدتُ فأكلتهَا.

وَعَنْ عمرو بن شعيب الأنْصَارِيّ قَالَ: كَانَ عتبة الغُلام[1] يقعد فيقولُ: يَا وَرَشَان[2] إن كنت أطوع للَّهِ تَعَالى مني فتعَال فاقعد على كَفِي، قَالَ: فيجيء الورَشَانُ فيقعد عَلَى كَفِهِ.

قَالَ أبو الحارثِ الأولاسِي: كنتُ مَعَ أَبِي إسحقَ إبراهيم بن سعيدِ العلوي الزاهِدِ، وَكَانَ عليهِ كَسَاء أخضر، فرأيتهُ قد بسط كِسَاءهُ على البحر وَهُوَ قَائم يُصَلِي.

وَعَنْ أبي يعيشٍ البغدادِي قَالَ: كَانَ يحيى بن عثمان الحمصي إذَا دَخَلَ المسجدَ فسلم أرتج المسجدُ مِنْ تسليم المَلائِكَةِ: وعليك يَا وَلِيَّ اللَّهِ.

وَحُكِي أن سَرِياً لما ترك التجارَة كَانَتْ أختهُ تنفق عليهِ مِنْ ثمن غزلها، فأبطأتْ عليهِ ذَاتَ يَوْمٍ فقال: لِمَ أبطأتِ؟ قَالَتْ: لأن غزلي لم يشتر اليومَ، وَذَكَرُوا أنَهُ مخلط، وَأَنَّ مَا ظَهَر منه جيد وَمَا خفي رَدِيء، فامتنعَ سِرَي من طعَامِهَا وَنَوى أن لا يأكُل مِمَّا عندهَا شيئاً، ثم إن أخته دَخَلَتْ عليهِ ذَاتَ يَوم فرأت عنده عجوزاً تكنسُ بيتَهُ، وَكَانَتْ تأتيهِ كُلَ يَوم بقرصَيْنِ، فاغتَمَّتْ أخته لذلك وَأتت أحمد بن حَنْبَل فَشَكَتْ إليهِ أخَاهَا فقالَ له فِي ذلك، فقال لَهُ: إني لما امتنعتُ مِنْ طعَامِهَا قيض اللَّهُ تَعَالى لِي الدُنْيَا تخدمُنِي وَتَأتيني بقوتي.

وَحَجَّ سفيان الثوري مَعَ شيبان الراعي، فعرضَ لهم سبعٌ، فَقَالَ لَهُ سفيانُ: مَا تَرَى هذا السبع، فقالَ: لاَ تَخَفْ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ السَّبْع كلامَ شيبان بصبص وَأخَذَ شيبان أذنه وعَرَكَها فَتبصبصَ وحرك ذنبه، فَقَالَ لَهُ سُفيانُ: مَا هَذِهِ الشهرة قَالَ: هَذِهِ شهرة؟ لولا مَكان الشهرة مَا وَضَعْتُ زَادِي إلا على ظهره حتّى آتي مَكّة.

وَقَالَ الجُنَيْد بن محمدٍ: جِئتُ إِلَى مسجدِ الشونيزيه فَرَأَيْتُ جَمَاعَة من الفقَراء مجتمعين وَهُمْ يَتَكَلَّمُون في الآيَات وَالمعجِزات، فَقَالَ رَجُلٌ منهم: إني أعرفُ رجلاً لو قَالَ لهذه الأسْطُوانة إنه يكون نصفها ذهباً ونصفها فضةً لكانت، قالَ: فَرَفعتُ رَأْسِي فَإِذَا الأسْطُوانة كما قالَ نصفها ذهب ونصفها فضة.

---

(١) الزاهد الخاشع الخائف عتبة بن أبان البصري، كان يشبه في حزنه بالحسن البصري، وكان من نسّاك أهل البصرة يصوم الدهر، ويأوي السواحل والجبانة. عن أبي عمرو البصري: كان رأس مال عتبة فلساً يشتري به خوصاً يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس فيتصدق بفلس ويتعشى بفلس، وفلس رأس ماله. (سير أعلام النبلاء ٧/ ٦٢).

(٢) الوَرَشَان: طائر لحمه أخف من الحمام (القاموس مادة و ر ش).

وَعَنْ عبد اللَّهِ المعري قَالَ: خَرَجْتُ حَاجاً فَبينَا أنا في مدينة تبوك، إذا أنا بامرأة بلا يدين وَلاَ رجلين وَلاَ عينين، فتعجبْتُ منها ثمَّ قُلْتُ لها: يَا أَمَةَ اللَّهِ من أين أقبلت؟ قَالَتْ: مِنْ عِنْده، قلتُ: فَأَيْنَ تُرِيدِينَ؟ قالت: إليه، قلتُ: يا سُبْحَانَ اللَّهِ بادية تبوك وَلَيْسَ فيها مُغِيثٌ وأَنْتِ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ، قَالَتْ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ أغمض عينيك فغمضتها ثم فتحتها فإذا أنا بها متعلقة بأستار الكعبة، ثمَّ قَالَت: يَا أَبَا عبدِ اللَّهِ أتعجبُ مِنْ ضعيفٍ حملَه قوي، ثمَّ صَارَتْ بين السَّمَاءِ والأرضِ.

وَاعتقل بطن يعقوب بن الليث[1] في بُلدان فارسَ، فجمع الأطباء فلم يغنوا عنْهُ، فَوُصِفَ لَهُ سهل بن عبدِ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ من العَمَّارِيَّة[2] فأحضر بالعجلَة، فلمَّا دَخل عليهِ قعد عندَ رأسِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ كما أريته ذُلَّ المعصيةِ فَأَرِهِ عِزّ الطَّاعَةِ، ففُرِجَ عنهُ مِنْ سَاعَتِهِ، فَأَخْرَجَ إليهِ بِدراً أو ثياباً فردَّهَا وَمَا قَبِلَ منْها، فَلَمَّا رَجَعَ إلى تُسْتَر قَالَ لَهُ بعضُ أصحابهِ في الطريق: لَوْ أخذت تلك الدرَاهم ففرقتها على الفقراء، فَقَالَ: انظر إلى الأرضِ فإذا الأرض كلهَا ذَهَب، ثمَّ قالَ: مَنْ كَانَتْ حَالُهُ مَعَ اللَّهِ تعالى هكذا لا يستكثر مَالَ يعقوب بن الليث.

وَقَالَ أبو القاسم بنُ مرْوَانَ النَّهَاوَنْدِي قَالَ: كنتُ أنا وأبو بكر الورَاق مع أبي سعيدٍ الخَراز نمشي على سَاحِل البحرِ نحو صيدا، فَرَأى شيخاً بالبُعْد فَقَالَ: اجْلِسُوا لاَ يخلُو أن يكونَ هَذَا وَلِياً مِنْ أولياء اللَّهِ عزّ وجلّ، فَمَا لَبِثَ أن جَاء فإذا فتىً شَابٌ حسن الوجهِ عليهِ مُرَقعَةٌ وَمَعَهُ رَكوةٌ وَبِيَدِهِ محبرة، فالتفت أبو سعيدٍ إليهِ منكراً عليهِ حمله المحبرة مَعَ الركوة، فقال لهُ: يَا فَتَى كيف الطريق إلى الله عزّ وجلّ؟ فَقَالَ لَهُ: يَا أبا سعيدٍ أعرفُ إلى اللَّهِ عَزّ وجَلّ طريقين: طَرِيقاً خاصّاً وَطَرِيقاً عَامّاً، فَأَمَّا طريقُ العَامِ: فَمَا أنتَ عليهِ. وَأَمَا طَرِيقُ الخاص: فَهَلُمّ ثم مَشَىٰ على الماءِ حتى غابَ عن أعيننا، فبقي أبو سعيدٍ حيرَان متفكراً فيما قد رَأى ناظِراً في أثرهِ ونَحنُ كَذَلِكَ، ثم التفتَ إلينَا فَقَالَ إخواني: لا تنكروا شيئاً وَارجِعُوا إلي قريتكُمْ.

وَقَالَ بَكْرُ بن عَبْدِ الرَّحمٰن: كنتُ مَعَ ذي النون في سفينةٍ، إِذْ سرقَتْ قطيفة فطَلبوهَا، فَاتُّهِمَ شَابٌ في السفينةِ، فقالَ ذُو النُّون: دَعوه حتّى أرفق بهِ، فجاءه فإذا الشابُ نائمٌ فِي عباءةٍ فوقفَ عليهِ ذِو النُّون ينبهه، فأخرج رَأْسَهُ مِنَ العبَاءةِ. وَقَالَ إلي تقولُ هذا؟ ثم قَالَ:

---

(١) الملك أبو يوسف يعقوب بن الليث السجستاني المستولي على خراسان، قيل كان هو وأخوه عمرو بن الليث يعملان في النحاس فتزهدا وجاهدا مع صالح المطّوِّعي المحارب للخوارج قَلَّ أن رؤي مبتسماً. مات بنيسابور سنة ٢٦٥هـ. (سير أعلام النبلاء ١٢/٥١٣، الشذرات ٢/١٥٠).

(٢) العَمَّارية: قرية باليمامة (القاموس مادة ع م ر).

أقسمت عليكَ إلٰهي أن لا تدَع شيئاً مِنَ الحيتان إلا استقل بجوهر، قال: فَرَأينَا وجه البحر حيتاناً في أفواهها الجَواهِر، ثم ألقى بنفسه في البحرِ ومَشى علَى الهَّاجِل.

وَقَالَ بكر بن عبدِ الرحمٰن: كُنَّا معَ ذي النون فِي البَادِيةِ، فنزَلنَا تحت أمِّ غيلان[1] فقلنا: مَا أطيبَ هذا الموضع لو كَانَ فيهِ رُطب، فتبسَّمَ ذُو النون وَقَالَ: تشتهون الرطب! فحرّك شَجَرة وَقَالَ: أقسمت عليكَ بالذي ابتلاك وَجَعلكِ شجرة إلا نثرت علينَا رُطباً جنِيّاً، ثم حركها فنثرت علينَا رُطباً جَنِيّاً، فأكلنا وشَبِعْنَا ثم نِمْنَا، فانتبهنا وحركنا الشَّجَرةَ فنثرت علينَا شَوْكاً.

وَقَالَ جعفر الخالدِي: استقبلني إبراهيم الخواص في الباديةِ فقلتُ له: احك لِي أيها الشيخُ حكَايةً أذْكُرك بهَا، فأطرقَ ملياً ثمّ قَالَ: خرجْتُ مرةً مِنْ بغداد وعقدتُ أن لا أتكلَمَ مَعَ أحدٍ حَتّى أدخل مَكَّة، فلما بلغتُ مسجد سعد سمعت حِسّاً، فالتفتُ فَإِذَا برجلٍ نصراني وَعليهِ كساء فِي وسَطه زِنَّارٌ عَرِيضٌ، فسلم عليّ فقلتُ: وعلى من اتَّبَعَ الهدى السلام، فَقَال: هل لكَ في الصحبَة؟ فقلتُ: لا سبيلَ لكَ إلى مقصدي، فَقَالَ: وَإِلَى أينَ مقصدكَ؟ قلتُ: إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ: أمشى معكَ مقدارَ مَا عَلَيْك، قال: فَمَشينَا سبعةَ أيام بِلَيَالِيها وَكانَ يحفظ عليّ أوقات صلواتي، وأحفظ أوقاتَ صَلَواتِهِ، فلما كَانَتِ اللَّيلة الثامِنةَ قالَ: يَا رَاهِبَ الحنفِيَّة، هَاتِ مَا عندكَ من الانْبِسَاطِ فقد جِعْنَا، فقلتُ: إلٰهي وسيدي، بأي وسيلةٍ أتوسلُ إليكَ فتحيرتُ ثم قلتَ: إلٰهي وسيدي، بحق محمد نبيك وصَفيّكَ ﷺ لاَ تفضحني بين يدي هذا الكَافِر، قَالَ: فَأَشْرَفْتُ على طَبق فيهِ خبز حَواري وشُواء وَرُطب وَكُوزُ مَاءٍ، فقلتُ: تعال وَكُلْ فأكلنا وَمَشَينَا سبعَة أيامٍ بلَيالِيهَا، فلما كَانَتِ اللَّيلة الثامِنَة قلتُ: يا رَاهِبَ النَّصَارىٰ هَاتِ مَا عندك مخافة أن يعَارِضني مرةً أخرىٰ، فأفتضح، قَالَ: اقعد فقعدت، فَاتكأ على عصاهُ وَاطرق مَليّاً، ثم قالَ لِي: قُمْ فقمت فأشرفت على طبقين ضعف مَا كَانَ على طبقي، فتحيّرت فمرة كنت أتَّهِم نفسِي، ومَرةً كنتُ أتَّهِمُ ديني، ومَرةً أقولُ ذَا سحرٌ وشعبذة، فلم آكل فَأَلَحَّ عليَّ وَقَالَ: كُلْ، فَإِنِّي مبشرك ببشارَتين، فقلتُ له: بشِّرني أولاً، فقالَ: أشْهَدُ أَنْ لاَ إلٰه إلاّ اللَّهُ وأنَّ محمداً رَسُولُ اللَّهِ، وَقَطع الزنَّار مِنْ وَسَطِهِ. وَقَالَ: البشارة الأخرى أني مَا سألتُ اللَّه تعَالَى هذا الطَّعام إلاّ بك. فَقُلتُ: إلٰهي وسيِّدي وَمَولاي، إن كانَ لهذا العبد الصَّالح عندك منزلةٌ فَلاَ تفضحني بين يديهِ، قالَ: فأكلنَا وَمَشينا حتّى دَخَلْنَا مَكَّةَ وَأَقَمْنَا بها سنةً، وَمَاتَ بِهَا وَدُفن بِبَطْحَاءِ مكّة.

---

(١) أم غيلان: شجر السَّمُر (مادة غ ي ل).

وَقَالَ الدُّقي: رَأَيتُ أبا عبد الله بن الجلاء في منامي كأنه مَارّ في الهواءِ، وَرَأَيتُ الطيلسَان على كَتِفِهِ، وَرَأَيْتُ على شَفَتِهِ أثر سَوَادٍ فَقَالَ شيخ ممن عند الدقي: ذاكَ السَّوَادُ الذي رأيتهُ لأنَّه كَانَ يتناول مِنْ طَعَامٍ غير رطب.

وَقَال محمد بن المبارك الصوري: كنت مَعَ إبراهيم بن أدهم في طرِيق بَيْتِ المقدس، فنزلْنَا وَقْتَ القيلولَة تحت شَجَرَة الرُّمَانِ، فصلينَا رَكعاتٍ فجَلَسَ إبراهيم عند الشجرة، فسمعت صوتاً مِنْ أصْل الرُّمَان: يا أَبَا إسحاق أكرِمْنَا بأنْ تأكل مِنَّا شيئاً، وَطَأطأ إبراهيم رَأْسَهُ ولم يتكلم، فسمعتُ ثانيَةً مثله، فلم يتكلَّم، ثمَّ سمعتُ ثالثةً: يَا مُحَمَّد بن المبَارك الصوري كُنْ شَفِيعِي إليهِ ليتناوَل منَّا شيئاً، فقلتُ: يا أبا إسحاق لقد سمعتُ، فقامَ إبراهيم وَأخذ من الشجرة رُمَانتين فَأكَلَ وَاحِدةً وَنَاوَلَنِي الأخرى، فأكلتها، فَإِذَا هِيَ حَامِضَة والشجرة قصيرة، فلمَّا رَجَعْنَا مِنْ بيتِ المقدس مررنا بها، فإذا الشجرة قد صَارَت عَالِيَةً وَصَارَ رُمانها حلواً وَهِي تثمر فِي كُلِّ عامٍ مرَّتين، وَسموها رُمان العابِدين، ويأوي إلى ظلّها العُبَّادُ.

قَالَ أبو معمر كنتُ مع أيوب السختياني[1] في سَفَرٍ فَأَعْيَانَا طلبُ الماءِ، قَالَ أيوبُ: أتسترون عليّ ما عشت؟ قلنا: نعم، فدور دَائرة فنبع الماء فشرِبْنَا، فلما قدمنَا البصرة أخبرنا بذلك حماد بن زيد فقالَ: أخبرني عبد الواحد بن زيدٍ أنه شَهِدَ مَعَهُ فِي ذلكَ اليومِ.

وَعَنْ غلام الخليل[2] أنهُ قالَ: وقع حريقٌ بالبصرة ودُهَيْم فِي عُلَيَّة لَهُ، فَنُودِي: يَا دُهَيْم الحريق الحريق، فَقَالَ: أقسمت علىٰ رَبِّ النَّارِ أن لا يحرقني بالنَّارِ، فَكَانَت النَّارُ تَدُورُ حول العليةِ ولا تَعْمل فيها.

وَقَرأ وَاصِلُ الأحدب ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] فقالَ: إن رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرضِ، وَاللَّهِ لا طلبتُهُ أبداً، فَدَخَلَ خَربَةً فمكث فيها يومين فلم يَأْتِهِ شيءٌ فاشتد عليهِ، فلمَّا كان اليوم الثالث إذا بدوخَلةٍ مِنْ رُطبٍ وكانَ له أَخٌ أحسَنَ نِيَّةً مِنْهُ، فصارَ معه فإذا قد صَارَتْ دوخَلَّتَيْنِ فلم يزلْ كَذَلِكَ حَالُهُمَا حتى فَرَّقَ الموتُ بينَهُمَا.

---

(١) الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العنزي مولاهم البصري، مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين، عن حماد بن زيد قال: كان أيوب صديقاً ليزيد بن الوليد، فلما ولي الخلافة، قال أيوب: اللهم أنسِهِ ذكري قال معمر: كان في قميص أيوب بعض التذييل، فقيل له، فقال: الشهرة اليوم في التشمير (سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥، حلية الأولياء ٣/ ٢).

(٢) الشيخ العالم الزاهد الواعظ شيخ بغداد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غالب بن خالد ابن مرداس الباهلي البصري غلام خليل كان فصيحاً معرباً، يحفظ علماً كثيراً ويقتات بالباقلاء وكان له جلالة عجيبة وصولة مهيبة وأمر بالمعروف مات سنة ٢٧٥ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٢، تاريخ بغداد ٥/ ٧٨).

وَعَنْ بعضِ أصحابِ بشر بن الحارث أنَّهُ قالَ: جئت يوماً إلى بشر فَإِذَا بشر نَائِمٌ في ظلّ قبرٍ، وإذا حيَّة فِي فيها طَاقَةُ نرجسٍ تُروحُهُ بِهَا.

وَقَالَ أبو جعفر الأعور: كنتُ يَوْماً عِنْدَ ذِي النون نُذَاكِرُهُ الطّاعَة، وَكَانَ في البيتِ سَرِيرٌ في زَاوِيةٍ منهُ، فقال: منَ الطّاعَةِ أن تقول لهذا السَّرير أن يدورَ مِنْ أربع زوايا البيت ثم يرجع إلى مَكَانِهِ فيفعل. قالَ: فَدَار هذا السَّرير في زَوَايَا البيتِ ثم رَجَع إلى مكانِهِ، قَالَ: فبكَىٰ الفتى حَتّى ماتَ مَكَانَهُ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ الفَرْقِ بَيْنَ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَمُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ

قَالَ أبو سعدٍ الواعظُ رَحمه اللَّه: الأصلُ في ذلكَ أَنَّهُ علاَمَة صِدْق حيث وُجِدَ، لأنّه لاَ يظهرُ إلاَّ عَلَىٰ الأولياءِ عند دَعْواهُمْ، وَهَذَا هو الفَرق بينه وبَينَ المعجزات. وَمِنَ الفرقِ بين معجزاتِ الأنبياءِ عليهم السَّلاَمُ وَكَرَامَات الأوْلِياء، أن جنس معجزة النَّبي ﷺ يَتَعَذَّر على غيره أصلاً، وجنسَ كرَامَةِ الولي لا يعجز عنه غيره مِنْ زِيَادَة معنىً مِنْ طولِ مدةٍ وغيره.

مثل مَا رُوي عن الخضر عليهِ السَّلام أنه بنىٰ بناء في يَوْمٍ، يتعذر مثل ذلك على غيره في سنةٍ. وهَذَا على قولِ من قالَ: الخضر وَلِيٌّ لاَ نَبيٌّ.

قالَ أبو سعدٍ: وقد حَدّث أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن الأزدي بمصر، قال: أخبرنا القَاضِي أبو طَاهِرٍ محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصرٍ إملاءً بمصر في مجلس حُكمه، قال: حدَّثني أبي، قالَ: حَدّثَنا أبو عبد الرحمٰن أحمد بن العلاء بن هلاَل الرقي، حدّثَنا سليمانُ بن عُبيد اللَّهِ الخطَّاب، حدثنا بقية، قال: حدثنا محمَّدُ بن زِيَادٍ الألهاني، عن أبي أمَامَة، أن النبي ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لأَصحابِهِ: «ألاَ أحدّثكم عن الخضر؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يسير فِي سوقِ بني إسرائيل إذْ أبصره رَجُلٌ مُكَاتَبٌ فَقَالَ: تصَدَقَ عَلِيّ بَارَكَ اللَّهِ فِيكَ، فَقَالَ الخضر: آمَنْتُ بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ أمرٍ يَكُونُ، مَا عندي شيء أعْطِيك، فقَالَ المسكين: أسألك بوجهِ اللَّهِ عزّ وجلّ لما تصدقت عليّ فإني نظرت سِيمَا الخير في وجهك، ورجوت البركة عندكَ، فَقَالَ الخضر: آمَنْتُ بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّه، كَانَ مَا عندي شيء أعطيك إلا أن تأخذني فتبيعني فَقَالَ المسكين: وهل يستقيم هذا، فَقَالَ: نعم، الحقَّ أقول لك لقد سَألتني بأمر عظيم أما أني لاَ أخيبك بِوَجه رَبي عزّ وجلّ، فقدمَهُ السوق فباعه بأربع مائة دِرهم، فمكث عِنْدَ المشتري زَمَاناً لا يستعمله في شيءٍ، فَقَالَ له: إنَّما ابتعتني التماسَ خيري فَأَوْصِنِي بعملٍ، فَقَالَ المشتري: أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير، قالَ: ليس يشق عليَّ، قَالَ: فانقل هذه الحجارة، قَالَ: وكان لا ينقلها دون ستة نفرٍ، فخرج الرجل في بعض حاجته، ثمّ عاد الرجل وقد نقل الحجارة في ساعةٍ، فَقَالَ لَهُ: أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أراك تطيقه، ثمَّ عرض للرجل سفرٌ فَقَالَ: إني لأحسبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافةً حسنة قالَ: أوْصنى بعمل فقال: إنّي أكره أن أشق عليكَ قالَ: أيش يشق عليّ؟ قالَ: فاضرب لي من البناء حتى أقدم عليك، قال: فمضَى الرجل في سفره فرجع الرجل وقد شيد بناؤه، فقال له: أسألك بِوَجْهِ اللَّهِ تعَالَى مَا سببك وَمَا أمرك فَقَالَ له:

سألتني بِوَجه اللَّهِ ووجه الله تعالى أوقعني في العبوديّة وسأخبرك، أنا الخضر الذي سمعت به، سألني رَجُلٌ مسكينٌ صدَقَة فلم يكن عندي شيء أعطيه فسَأَلني بوجه الله تعالى فأمكنته من رقبتي فباعني، وأخبرك أنه مَنْ سأَلَ بوجه الله تعالى فردّ سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة وليس بوجهه جِلْدٌ ولا لَحْمٌ يتقعقع، فَقَالَ الرجُل: آمنت بالله عزّ وجلّ، شققت عليك ولم أعلم، قالَ: لاَ بَأْسَ وأحسنت، قالَ الرجل: بِأبي وأمي أنت احكم في أهلي ومَا لي مَا أراك الله تعالى أو أخيرك فأخلي سَبِيلك، فَقَالَ: أحبُّ أن تخلي سبيلي فخلَّىٰ سبيله، فقَالَ الخضر: الحمد للَّهِ الذي أوقعني في العبوديّة وأنجاني منها[١].

وَقَالَ سهل بن عبد الله: الآيات لِلَّهِ تَعَالَى، والمعجزات للأنبياءِ عليهِمْ السَّلاَم، وَالكَرَامَات للأولياء وَخِيَار الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنَ الفَرقِ بَيْنَ المُعجِزَاتِ وَالكَرَامَاتِ: أن زِيَادَةَ المعجزات للأنبيَاءِ تزيدُ قُلُوبُهِم تَثَبُّتاً، وَزِيَادَات الكَرَامَات للأولياء تزيدُ قُلُوبهم وَجَلا وَخوفاً وَحَذراً أن يكون ذلكَ استدْراجاً لَهُمْ.

ومنها أن الأنبياء مُتَعَبّدون بِإظهار معجزاتهم والأولياء مُتَعَبَّدون بكِتْمَانِ كَرَامَاتِهِمْ.

ومنها أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ يَحْتَجُّون بالمعجزات على المشركين، والأولياء يحتجون بالكَرَامَاتِ على أنفسهِمْ لتصلحَ وَعَلَىٰ قُلُوبِهِمْ لتطمئن.

ومِنْهَا أنَّ النَّبِي ﷺ تَظهَرُ لَهُ المعجزة في السَّماء كما تظهر في الأرض، كانشقاق القَمَر، وَالمعراج وتَكلِيم مُوسَى عليهِ السَّلام وَإِحْيَاء المَوْتَىٰ لِعَيسَىٰ عَليهِ السلام. وَقصة إبراهيم عليهِ السلامُ حَيثُ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وَهَذِهِ الأشياء لاَ يَظهر مثلها لِلولِي.

وَمِنْهَا أن المعجزة تَبْقَى بعدَ مَوت النبي ﷺ، وَالكَرَامَةُ لاَ تَبْقَى بَعْدَ موت الوَلِيّ[٢].

ومنها أن الْكَرَامَةَ تَتَوَلَّد من الاجتهاد، والمعجزة تظهر ابتداء ولا تتولّدُ من الاجتهادِ.

---

(١) لم أجده.

(٢) لم يبق من معجزات الأنبياء شيء إلاّ معجزة القرآن الخالدة إلى يوم الدين.

بَابُ ذِكْرِ الدِّلاَلَةِ عَلَى جَوَازِ كون الكَرَامَاتِ للأولياءِ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٤] فَأَثْبَت الخُصوصيَّة لأَقوام دُونَ غيرهم، كما خصَّ الأنبياء عليهم السلام بالنبوة دون غيرهم، وخص المؤمنين بالهداية دون الكافرين، فكيف يستبعد أن يخص بالكرامات خواص الأولياء، إذ هو القادر على ما يشاء، وقد نطقت بتفصيلها آيات من كتاب الله عز وجل.

مِنْهَا مَا قَالَ اللَّهُ في قِصَّة مريمَ عَلَيْهَا السَّلاَم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ﴾ [آل عمران: ٣٧] . قَالَ الضَّحَاك: هُوَ فَاكِهَةُ الشِّتَاء فِي الصيفِ، وَفَاكِهَةُ الصيف في الشِّتَاءِ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَزّ وَجَلّ في قِصَّة آصَف بن برخيَا أَنَّهُ قَالَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ﴾ [النمل: ٤٠] في نَظَائِر لها يكثر ذِكْرُهَا.

قَالَ أبو سَعْدِ الوَاعِظ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: اعْلَم أَن المذهَبَ في هَذَا الباب أن الكَرَامَة في معنى المعجزة، مِنْ جهَة أن كُلّ واحِدَة منهما خارقةٌ لِلعَادَةِ نَاقِضَةٌ لها، ولا يجوزُ أن يدُل على ولاية الوَلي كمَا يدُلُّ على نُبُوَّةِ النَّبِيِّ، لأنَّ الأصلَ أن المعجزة دلاَلَة الصِّدْق وَالنَّبِي لاَ يَكونُ إلاَّ صَادِقاً، فَكَذَلِكَ الْوَلِي لا يكون إلاَّ صَادِقاً. وَلمَّا كانت المعجزة دلالة على صدقِ الصَّادِقِ وَجَبَ أَنْ لاَ تَخْتَصَّ بِبَعْضِ الصَّادِقِينَ، كَمَا أَنَّ أحكَام الفعل لما كانت دَلاَلَةً على الحي العَالم القَادِرِ لاَ تختص ببعض العَالمين ولاَ ببَعْضِ القَادِرِينَ، وإنَّمَا لَمْ يجز ظُهُورُ المعجزَةِ وَالكَرَامَةِ على غير النبيّ والْوَليّ، لجوازِ الكذبِ عَلَىٰ غَير النبي وَالوَلِي، ومَنْ جَاز عليه الكذب لم يجز إظهَار المعْجزَة والكَرَامَة عليهِ إذ لو جَاز عليه إظهار المعجزة والكَرَامَة لانسدَّ طريق الفرق بين الصَّادِقِينَ وَالكاذِبِينَ. وَالْتَبَسَ الأمرُ فيهِ، ولَمَا عُلِمَ الصَّادِق مِنَ الكَاذِبِ وَلأن الفرقَ بين الصَّادِقِ وَالكاذِبِ وجود المعجزة والكرامة مع الصادق، واستحالة وجودهما مع الكاذب. وأيضاً فإنه لو جاز ظهور المعجزة والكرامة على الكاذب لكان البارىء جلَّ جلاله غير موصوف بالقدرة على أن يعرفنا الفرق بين الصادق والكاذب وكون البَارِىء جَلّتْ عَظَمَتُه غير موصوفٍ بالقدرة عليه مع تصور إمكَان وُجودِهِ مِنَ العَقْلِ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ عَاجِزاً، إذ العَاجِزُ لا يستحق اسمَ الإِلٰهِيَّة وَهَذَا كَمَا عرفْنَا الفَرْقَ بين القَادِرِ وَالعَاجِزِ والعَالِم والجَاهِلِ، بظهورِ الفِعْلِ المتقِن المحكمِ مِنْ أحدهما دُونَ الآخرِ، إذْ لَوْ كَانَ جَازَ ظهور

الأفعال المحكَمَة مِنْ غَيْرِ قَادِرٍ وَلاَ عَالِمٍ، لَكَانَ البَارِيء جَلّتْ عَظَمَته غير مَوصوفٍ بالقدرةِ عَلَى أَنْ يُعَرِّفَنَا الفَرْقَ بينَ العَالِمِ وَالجَاهِلِ، وَبَيْنَ القَادِرِ والعَاجِزِ. ثُمَّ إن الكَرَامَةَ وَإِنْ كَانَتْ في مَعنى المعجزة، فَإِنَّ الاختِلاَفَ في العبارتَينِ وَقَعَ لاختِلاَفِ الحَالَيْنِ، فَما يظهَرُ مِنْهُ للنبيِّ يُسَمَّى مُعْجِزَة، وَمَا يَظْهَر مِنْهُ للوَلِي يسمى كَرَامَةً.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ إِظْهَارِ المعجزَةِ والكَرَامَة عَلَى النَّبي وَالوَلِي أنهُ لاَ يَخْلُو فِي الأصلُ مِنْ أَنْ يَكُونَ جَائِزاً أَوْ مُحَالاً، فَإِنْ كَانَ جَائِزاً فهو مَا قلنا، وَإِنْ كَانَ محالاً لم يختص بالإحالَةِ فِيهِ بشخص دُونَ شَخْصٍ، ووَقتٍ دُونَ وَقْتٍ، فَلَمَّا لم يكن ظُهُورُهما مُحَالاً فِي الجَمْعِ بَلْ جَازَ ظُهُورُهُ بهذا الجِنس عَلى الأنبياء عليهم السَّلامَ، كَذَلِكَ يصحّ ذَلِك عِنْدَ دعاء الأولياءِ، وَلَمْ يَسْتَحِلِ ذَلِكَ. وَأيضاً كلّ مَا كَانَ مَقْدُوراً يصح فعله إذا لم يَكن في وُجُودِهِ إثبات حُدُوثِهِ، أَوْ حُدُوث معنىً فيهِ سبحانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو قَلباً للشيءِ عَنْ حقيقتِهِ أَوْ تَجْوِيزِ البَارِيء عَزّ وَجَلّ فِي حُكْمِهِ أَوْ تَكْذِيبِهِ فِي خبرِهِ، أَوْ تَشْبِيهِهِ بخلقهِ تَعَالَىٰ عَن جميع ذَلِكَ، كما قلنا في ظهور المعجزات عَلَى وَاحِدٍ مِنَ البَشَرِ إِذَا كَانَ نَبِيّاً صَادِقاً، فَكَذَلِكَ مِثْلُهُ إذَا كَانَ وَلِيّاً صَادِقاً.

وَالَّذِي يدلُّ عَلَى كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ دُونَ الأَنْبِيَاءِ، مَا ظَهَرَ لمريم عَليهَا السَّلاَمُ مِنَ الفَوَاكِهِ الشتويَّة فِي الصيفِ وَالفَوَاكِهِ الصيفيّة فِي الشِّتَاءِ. وَمَا ظَهَرَتْ مِنَ الكَرَامَاتِ عَلَى يَدِهَا، حيثُ أُمِرَتِ بهز النَّخْلَة، قَالَ اللَّهُ عَزّ وَجَلّ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ٢٥] وَكَانَتِ النَّخْلَة يَابِسَةً فَأَثْمَرَتْ فِي الوقتِ، فَدَلّ ظهورها على كَرَامتها وَلَم تَكُنْ رَسُولاً وَلاَ نَبِيّاً، إِذْ الرِّسَالَةُ وَالنُّبُوَّةِ لا يثبتان فِي النِّسَاءِ بِدَلِيلِ قوله عزّ وجَلّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩] .

فإن قَالَ قَائل: مَا ظَهَرَ عَلَى مَرْيَم عليهَا السَّلاَمُ يَكُونُ معجزةً للأَنْبِيَاءِ فِي زَمَانِهَا. قُلْنَا: لاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا يَظْهَرُ عَلى يد واحد مضافاً إلى غيره في باب الإعجاز والكرامة، ألا ترى، لو كان نبيان في وقت واحدٍ لا يضاف ما يظهر من الإعجاز على يد أحدهما إلى الآخر كما أَنَّ قلب العصَا لِمُوسَى عَلَيهِ السلام مِنَ الإعْجَازِ وَلَمْ يُضف ذلكَ إلى هَارُونَ. وَكَذلك فَلْقُ البَحْرِ، وَاليدُ البيضاء، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ، وَإِنَّما دَلّ على صِدْقِ مَنْ ظَهَرَ عَلَى يَدِهِ، فَإِنْ قَالَ: أَنَا نَبِيّ وَحْدِي، دَلّ على صِدْقِهِ، وَإِنْ قَالَ أَنَا وَصَاحِبِي دَلَّ عَلَى صدقِهِمَا.

وَكَذَلِكَ قصة صَاحِبِ سليمان عليهِ السَّلام آصف وَزيرهُ مِنَ الجِنّ، فقد وَعَدَ سليمان

عليهِ السَّلام أن يأتيه بعرشِ بَلْقِيس قَبْلَ أَنْ يَرْتَدّ إليهِ طَرْفُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٤٠] وَهَذَا خَارِقٌ لِلعَادَة. ثُمَّ أجْمَعُوا جميعاً على أنَّ هَذَا مَا كَانَ شَرِيكاً لسليمانَ فِي نُبُوَّتِهِ، فدلّ على أنَّ هَذِهِ كَرَامَة لِولاَيَتِهِ، ولاَ يجوزُ أَنْ يكونَ معجزاً لسليمانَ عليهِ السَّلام دُونَ مَنْ ظَهَرَ علَى يَدِهِ، لأنَّ سليمانَ طَلَبَ هَذَا فَكَيْفَ يكونَ هذا معجزاً لَهُ.

وَقَدْ ذَكرنَا أَنَّ مَا ظَهَرَ عَلى يَدِ مَنْ ظَهَرَ لاَ يَجُوزُ أن ينسب إلى غيره، وَلَو جازَ أَنْ يُقَال مَا ظَهَرَ عَلَى يَدِ غير سليمان عليهِ السَّلام كَانَ معجزاً لهُ، لجاز أَنْ يقال مَا ظَهَرَ على يدِ سليمان كَانَ معجزاً لغيره[1].

ثمّ فِي الجملةِ قائل هذهِ المقَالَةِ وَاصف لله عزّ وَجَلّ بالقُدْرَةِ وَالكَرَامَةِ، وَقَائِلٌ ضِدّهَا وَاصف إيّاهُ بالعَجْزِ، وَأولُ القَوْلَيْنِ أوْلَى بالقبولِ وَأَحَقُّ بالاتِّبَاعِ، وَاللَّهُ تَعَالَىٰ الموفق للصَّوَابِ.

---

(١) ذكر في هامش الورقة تعليق نصه: هذا الكلام مردود فإن كرامات الأولياء معجزة الأنبياء وقوله: إذا جاز ذلك، جاز أن يكون معجزة سليمان مثلاً لموسى معنى كلامه، وهذا كلام من لا يفهم فإن الأنبياء حالهم غير حال الأولياء لأن النبي مؤيد بالوحيِ معصوم عن المعجزة منه مراده لأنها بالتحدي ليكون إظهاراً لحقيقة ما جاء به بخلاف الولي فإنه لما أطاع الله واتبع رسله كانت كرامته دليل حقيقة من اتبعه من الأنبياء ومعجزة لهم، وخبر آصف معجزة لسليمان، وطلب لذلك إظهاراً أن من أتباعه مثل آصف مستجاب الدعوة ولما كان على الحق ظهر على يد متبعيه من الكرامات هذا وغيره ولهذا قد نقل في بعض التفاسير أنه المراد بالذي عنده علم من الكتاب سليمان عليه السلام فحينئذٍ صح أن كرامة الولي معجزة للنبي لتفاوت الدرجتين فإن النبي ولي ولا عكس والله أعلم. وكتبه علي بن... وفقه الله.

بَابٌ فِي ذِكْرِ مَنْ لَمْ يُظْهِرِ الْكَرَامَاتِ

أخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ، قَالَ: أخْبَرَنا أَبُو الفتحِ محمد بن إبراهِيم المَعْرُوفُ بِابْنِ البَصْرِي بِبَيْتِ المَقْدِس، حدثنا مُحَمَّدُ بن جعفرَ الفِرْيَابي، حَدّثنا أَبُو صَالِحٍ عبد الله بن صالح، قَالَ: حَدّثَنِي اللَّيْثُ بن سعْدٍ، عَنْ عيَّاشِ بنِ عَبَّاسٍ، عَنْ زَيد بن أسلمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَر بنَ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عنه خَرَجَ إلى المسجِدِ يَوْماً، فوجد معاذ بن جَبَلٍ على قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْكِي قَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: يُبْكِينِي حَدِيث سمعتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الريَاء شِرْكٌ، وَمَنْ عَادَى أولِيَاءَ اللَّهِ عز وَجَلّ فَقَدْ بَارَزَ اللَّه تَعَالَى بالمُحَارَبَةِ فَإنَّ الله تَعَالَى يحبّ الأتقياء الأخفياء الذينَ إذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذا حَضَروا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهمْ مَصَابِيح الهُدَىٰ ينجون مِنْ كُلّ غبراء مُظلمة»[1].

وَقَالَ أحمد بن الهيثم المتطبب، قَالَ لي بِشْرٌ الحَافِي: قل لمعروف الكَرْخِي إذَا صليت جئتك، قَالَ: فَأَدّيت إليهِ الرِّسَالَة وَانْتَظَرْته فَصَلّيْنَا الظُّهْرَ وَمَا جاءَ، وَصَلّيْنَا العَصْرَ وَمَا جَاءَ، وَصَلّينَا المغرب وَمَا جَاءَ، وَصَلّينَا العتمة وَمَا جَاءَ، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مثلُ بشرٍ يقولُ شيئاً ولا يفي بهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لأنتظرن مَا يَكُونُ من موعده فجلست حتّى أغلق الدُّرُوبَ وَبَقِيتُ فوقَ مسجد على مَشْرَعَةٍ[2]، فَلَمَّا مضى هوى مِنَ اللَّيْلِ رأيت بشراً جَائياً من مَسْجِدِهِ، وعَلَى صَدْرِهِ سجادة فَتَقَدّمَ إلى دَجلة فَقُلْتُ لعلّه، يَتوضأ فَمْشىٰ عَلَى المَاءِ وَأَنَا أَنْظُرُ إليهِ حَتّى بَلَغَ إلَىٰ الجَانِبِ الآخَرِ، فَجَلَسْتُ وَأَنَا قلقٌ أتَمَنّى لَوْ كنتُ عندهما فَأَسْمَعُ دُعَاءهما، فلما كَانَ عند السَّحَر رَأَيْتُهُ رَجَعَ مثلَ مَا ذَهَبَ، فَرَمَيْتُ بنَفْسِي مِنْ سَطْحِ المسجِدِ وقبلتُ يدَيهِ وَرِجْلَيهِ، وَقُلْتُ لَهُ: الله الله ادع الله تَعَالَىٰ لي، فَقَالَ: تَحْلِفُ لاَ تُخْبِر بِهِ أحداً، فَقُلْتُ: نَعَمْ، أحْلِف بِأَنْ لاَ أُخْبِرَ به أحداً مَا عِشْتُ، فَمَا قُلْتُ ذَلِكَ لأَحَدٍ حَتّى مات.

وَعَنْ ابنِهِ: عَبْدِ الوارِثِ قَالَتْ سَأَلْتُ رَابِعَة العَدَوِيَّة وَكَانَتْ رَابِعَة رَضِيعَة لعبدِ الوارِث فَقُلْتُ: يَا عَمَّة إنَّ النَّاسَ يكثِرونَ القولَ عَلَيْكِ، يَقُولُونَ رَابِعَة يصيب في منزلها الطَّعَام وَالشَّرابَ وَهِيَ لاَ تَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شيئاً، فقَالَتْ لي: يا ابن أخِي لو أصبتُ فِي منزلي شيئاً مَا وَضَعْتُ يدي عليهِ أو مَا مَسَسْتُهُ.

---

(١) رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد له وغيره قال الحاكم: صحيح ولا علة له (الترغيب والترهيب ١/ ٦٨).

(٢) المشرعة: العتبة (مادة ش ر ع).

وَحُكِيَ أَنَّ قوماً دَخَلُوا على محمَّد بن وَاسِعٍ رَحْمَةَ اللَّهِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَسْتَسْقِي الله عزّ وجلّ لَهُمْ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أحد ممن تستجيبُ دُعَاءهُ وتتقبل تضرعه، فأسألك به إلا سقيتنا، قال الرجل: فقلت في نفسي: إن كان أحد فأنت هو، فما خرجنا من عنده حتى جاءت سحابة فأرسلت ماءً ثجاجاً، فلما أردنا أن نَقُومَ مِنْ عنده. قَالَ لنا: لاَ تَقُولُوا للنَّاسِ أنَّ محمد بن وَاسِعٍ دَعَا الله فَسَقَانَا، فَإِنِّي دَعوتُ وأَمَّنتم أنتم، فَلاَ نَدْرِي لأينا استُجِيب.

أبوابٌ في ذكر المسائل التي اختُصَّت بها هذه الطائفة كالجمع والتفرقة والقبض والبَسْطِ والبقاء وعين التحكيم وذكر الخواطر والإصابة فيها وذكر الغين على القلب

[الجمع والتفرقة]

أخبرنا أبو سعدٍ، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي القاضي بمصر، قال: حدثني جدي إسحاق بن محمد، حدثنا علي بن عثمان، حدثنا علي بن عياش، حدثنا شعيب بن أبي حمزة، قال: حدثني أبو الزناد، قال: حدثني عبد الرحمن الأعرج، ذكر أنه سمع أبا هريرة يحدث عن محمدٍ رسول الله ﷺ قال: «قال رجل لم يعمل خيراً قط لأهله: إذا مت فأحرقوني وذروا رمادي بعضه في البحر وبعضه في البر، والله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فلما مات فعلوا ذلك به، فأمر الله عز وجل البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر له»[1].

وسئل أبو علي الروذباري عن الجمع والتفرقة فقال: الجمع سر التوحيد، والتفرقة لسان التوحيد.

وقال أبو الحسن المزين[2]: الجمع الخصوصية، والتفرقة العبودية، موصول أحدهما بالآخر غير مفصول عنه.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ القُرَشِيّ: الجمعُ معْرِفَةُ الحقِّ بمشاهدة الحقِّ مِنْ حَيْثُ الحق، وَالتَّفْرِقَةُ مُشَاهَدَةُ الحقّ مِنَ البَاطِلِ.

وَسُئِلَ أَبُو عثمان عَنْ قَوْلِهِ عَزّ وجَلّ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، قَالَ: نَقْضُ الميثاق: الرجوعُ إلى الخلق بَعْد الإقْرَار الأولِ بِالوَحْدَانِيَّةِ.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، والنسائي ومالك (الترغيب والترهيب ٤/ ٢٦٠).

(٢) الأستاذ العارف أبو الحسن البغدادي علي بن محمد المزيِّن، صحب سهل بن عبد الله التستري والجنيد، وجاور بمكة وكان من أورع القوم وأكملهم حالاً. توفي سنة ٣٢٨ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، تاريخ بغداد ١٢/ ٧٣، الرسالة القشيرية ٢٧).

وَقَدْ قيلَ هُوَ: إذَا قَالَ اللَّهُ عزّ وجلّ، فقد جمع. وإذَا قَالَ الخلق فَقَدْ فرق.

وَسُئِلَ أبو سعدِ القرشيّ مَا معنى الجَمْعِ وَالتَّفْرِقَةِ؟ قَالَ: الجَمْعُ عين التوحيد، وَالتَّفْرِقَةُ حقيقة التجْرِيد، وَهُوَ أَنْ يَكونَ العبد قائِماً بِاللَّهِ تَعَالَى يَرَى الأشياء كلّها بِهِ وَإِلَيْهِ ومنه، كَمَا قَالَ عَامِر بن قيسٍ: مَا نَظَرْتُ إلى شيءٍ إلاّ وَرَأَيْتُ الله تعالى فيهِ.

وَأَنْشَدَ في معناه:

تَحَقّقْتُكَ فِي سِرّي فَنَاجَاكَ لِسَانِي فَاجْتَمَعْنا لِمَعَانٍ، وَافْتَرَقْنَا لِمَعَانِي
فلئن غيبك التعظيمُ عَنْ لَحْظِ عَيَانِي فَلَقَدْ صيّركَ الوجْدَ مِنَ الأَحْشاءِ دانِي

وَسُئِلَ بنْدَارُ بن الحسين عن الجمع وَالتَّفْرِقَة، فَقَال: الجمعُ مَا جَمعهُ الحقُّ بين الكَافِ والنونِ، والتفْرِقَةِ: مَا فرقَ بالأسامِي وَالرسُومِ ثم قَالَ: الجمعُ: مَا كَانَ بالحقِّ وَالتفرقة مَا كَانَ للخلق.

وَعَنْ خير النَّسَاجِ قَالَ: الجمعُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أهلُ العلمِ، والتفرقةُ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.

وعَنِ الثَّوْرِي قَالَ: الجمعُ بالحق تفرقة عن غيره، والتَّفْرِقَةُ عَنْ غَيْرِهِ جمعٌ بِهِ.

وَيقال: معنى الجمعِ وَالتفرقَةِ: أن الحق عزّ وجلّ جمعهم في آدَمَ عليهِ السَّلامُ وفَرّقَهُمْ في ذُرِّيّتِهِ.

وَقَالَ الأبْهَرِي: معنى الجمع والتفرقة أن الحق عز وجل جمعهم فِي المعرفةِ وفرقهم فِي الأَحْوَالِ.

وَعَنِ الجنيدِ أنَهُ قَالَ: الجمعُ هُوَ القربُ بِالوجدِ، والتفرقَةُ هِيَ الغَيبَةُ فِي البشريَةِ.

وَقِيل: الجمعُ اليقين، والتفرقة علم اليقين، وَجمع الجمع حقُ اليقين.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الوَاسِطِيُ: إذَا نظرت إلى نفسك فرقت، وإذَا نظرت إلى رَبك جمعت، وَإِذَا كنتَ قائماً بغيرهِ فأنت ميت.

وَحُكِي عَنْ أبي الحسنِ المزين أنَهُ قَالَ: الجمع عَين الغِنَى باللَّهِ عَز وجل، والتفرقَةُ مَعْرِفَةُ الافتقارِ إلى اللَّهِ عَزَ وَجَل.

وَقَالَ بعضهم: معنى الجمعِ أن الله تَعَالى جمعهم فِي علمه، ومعنى التفرقة أنه فرقهم في حكمهِ.

وَقَالَ بعضهم: الجَمْعُ أصلٌ، والتفرقَةُ فرع، والجمع بلا تفرقة زَندقَة، والتفرقة بلا جمعٍ تَعْطِيلُ.

وَيُقَالُ: الجمعُ أن يقولَ (اللَّهُ) فحَسب، والتفرقة أن ينظرَ إلى الكونِ.

وَيقال: الجمع لسان التوحيد والتفرقة لِسَانُ العلمِ.

وقيل: جمعهم فِي الدَعوةِ وفرقهم فِي الهدَايَةِ.

وَهُوَ قوله عَزَ وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

وَقيل: جمعهم فِي الأمرِ وفرقهم فِي التَوفِيقِ.

وَقِيل: جمعهم فِي النهي وفرقهم فِي العصمةِ.

وَقَالَ: بُنْدَارُ بن الحسين فِي هذا المعنَى:

لـلألـفِ الـقَـائـم سِـر عَـجَـبْ وَقـيـامُ الـلامِ أيـضـاً كَـالألِـفْ

أقـبـل الـلام بـتـعـويـج لَـهُ فَـالـتـقَـى الـحـرفـانِ هَـذَا لام الـفْ

كـل حـرف قَـائِـمٌ مـنـفـردٌ وَكَـذَاكَ الـلام مِـنْـهُ وَالألـف

فَـإِذَا اجـتـمـعـا وَاعـتـنـقـا صَـارَ حـرفـاً واحـداً لا يـخـتـلـف

بَـيِّـن الـتـفـريـق والـجـمـع لـنـا بِـوجـيـزِ الـقـولِ نـظـم مُـؤتـلـف

ذِكْرُ القَبْضِ والبَسْطِ

قَالَ أبُو سعدِ الوَاعِظ رَضِيَ الله عَنْهُ: هذه المسألة دَائرة بين أهل الحقيقةِ. والقَبْضُ مَا أشارَ إليهِ رَسولُ الله ﷺ: «إنّ لِي حَالَةً لاَ يَسَعنُي فِيْهَا غيرَ الله تَعَالى»[١].

وَالْبَسْطُ مَا قَالَهُ ﷺ: «حبب إليّ مِنْ دُنياكم ثلاث: النساء والطيبُ وَجعلت قرة عيني فِي الصَّلاَةِ»[٢].

وَقَالَتْ عَائشة رَضِي الله عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يصنع فِي بيتهِ مَا يصنعُ رِجَالِكُمْ، حتى كَانَ يُسابقني فسبَقْتُهُ كَرّةً، فلما بدنت سبقَنِي، فَضَرَبَ على مَنْكَبِي وَقَالَ: «هذهِ بتلك»[٣].

فهذهِ حَالَةُ البَسْطِ.

ثُمَّ قَالَتْ عَائشة رَضِي الله عنها: «كَانَ إذَا سَمِعَ الأذَانَ كَأنَهُ لا يعرفنَا وَلاَ نعرفهُ»[٤]. هَذِهِ حَالةُ القبضِ.

وَفِي مِثْلِ هَذَا مَا رُوِيَ أنَهُ قِيْلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، مَنْ أحَبُ الناسِ إليكَ؟ فقالَ ﷺ: «عَائشة». قيل لَهُ: وَمِنَ الرجَالِ؟ فقال ﷺ: «أبوها»[٥] رَضِيَ الله عنهما، فهذه حَالَةَ البَسْطِ.

فلما غلبت عليهِ حَالةُ القبض، قَالَ: «لَوْ كنت متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبَا بَكْرِ خَلِيْلاً، وَلَكِنْ صَاحبكُمْ خليل الله عز وَجَلّ»[٦].

---

(١) لم أجده.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أنس ورمز السيوطي لحسنه، وليس في الحديث لفظ (ثلاث): إنما هو من زيادة من شراح الحديث سارت على الألسنة حتى أدرجت في الحديث فظنت منه، (الجامع الصغير ١/٤٩٩ الحديث رقم ٣٦٦٩).

(٣) أخرجه الأمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها. (الكنز ١٥/٢١١، الحديث ٤٠٦١٤).

(٤) عن عائشة رضي الله عنها: قالت: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالاً بعظمة الله عز وجل) قال الحافظ العراقي رواه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلاً كان النبي ﷺ إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحداً من الناس. وقال السبكي: ٦/٢٩٤: لم أجد له إسناداً. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث رقم ٣٨٧).

(٥) أخرجه النسائي في سننه (الكنز ١٢/٥٢٣ الحديث ٣٥٦٨٧).

(٦) أخرجه الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رقم ٢٣٨٧.

وَأمَا حَالُ الصحَابَةِ رَضِي اللَّهُ عَنهُمْ فِي القَبْضِ والبَسْطِ، فَمَا رُوِي عَنْ حَنْظلَةَ أنَهُ قَالَ: نَافَقْنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «لِمَ» قَالَ: إنّا إذَا كنا عندك كنا على حالٍ، فَإذَا شَمِمْنَا أهَالِيْنَا تَغيّرتْ أحْوالنَا، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَدُومُونَ على مَا تكونون عندِي لصَافحتكم المَلائكِة»(١) فَإذَا كَانُوا عند رسولِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُمْ حَالَةُ القَبْضِ، فَإذَا رَجَعُوا إلى أهَالِيهِمْ كَانَتْ لَهُمْ حَالَةُ البَسْطِ.

وَقَالَ ابن عَطَاءِ: معنى القَبْضِ وَالْبَسْطِ: أنْ يقبضك عنك ويَبْسُطك لَهُ وَبِهِ.

وَقَالَ الواسِطِيُ رَحِمَهُ اللَّهُ: يقبضك عما لك وَيبسُطك فِيمَا لَهُ.

وَقِيل فِي قولِهِ عَزَ وَجَلّ: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أنَهُ يقبض أهْلَ صفوتِهِ وَيُوحشهم عَن رؤيةِ الكرَامَات، وَيبسُطُهُمْ بالنظر إلى الكَرِيْم.

وَكَانَ الجنَيْدُ يقولُ: الخوف يقبضُني، وَالرجاء يَبْسُطُنِي، فَإذَا قَبَضَني بالخوف أفناني عني، وَإذَا بَسَطَنِي بِالرَجَاء رَدَّني عَلَيّ.

قَالَ أبُو سَعْدٍ صَاحِبُ الكِتَابِ رَضِي الله عنه: كَانَ لعيسَى عليهِ السلامُ حَالُ القبض وَهِيَ الزُهدُ. وَلسليمان عليهِ السلام حَالَة البسطِ حيث قَالَ: لأطوفن الليلة على مائةِ امَرأةٍ.

قَالَ: والقبضُ يقرب مِنَ الخوفِ، وَالبَسْطُ يقرب مِنَ الرَجَاء.

وَكَانَ الغالبَ على يحيى عليهِ السلام حَالُ القبْض والخوفِ، وعلى عيسَى عليهِ السلام حَالُ البسطِ وَالرجَاء، كَمَا رُوي أن يحيى وَعِيسَى عليهما السلام التقيا، فقالَ عيسَى ليحيى: تلقاني عابسٌ كَأنَك آيسٌ، وَقَالَ لَهُ يحيى عليهِ السلام: تلقاني ضَاحك كَأنك آمِنٌ، فأوحَى الله تَعَالى إليهِمَا «إن أحبكمَا إليّ أحسنكما ظنّاً بِي».

وَقَالَ فارسُ(٢): أولاً القبض ثم البسطُ، ثم لاَ قبضَ وَلاَ بسط، وَهُوَ محل التمكين.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأبو يعلى في مسنده عن أنس (الكنز ٤/ ٤٢٣ الحديث رقم ١٠٣٥٢).

(٢) فارس بن عيسى ـ وقيل ابن محمد ـ أبو الطيب الصوفي، صحب الجنيد بن محمد، وأبا العباس بن عطاء وغيرهما، وانتقل إلى خراسان فنزلها، وكان له لسان حسن، يقال إنه مات بسمرقند قال أبو نعيم: فارس بن عيسى الصوفي بغدادي وكان من المتحققين بعلوم أهل الحقائق ومن الفقراء المجردين للفقر وترك الشهوات، جالس الجنيد بن محمد ويوسف بن الحسين وأقرانهما من الشيوخ، ورد نيسابور وخرج ـ على أكبر ظني ـ سنة أربعين ومائتين، وسكن مرو. (تاريخ بغداد ١٢/ ٣٩٠).

ذِكْرُ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ

وَقَالَ أبو سَعْدٍ الواعظ: أخبرنَا أبو عمرو بنُ حمدَان، وَأبو إسحق إبراهيمَ بنُ أحمد قَالاَ: أخْبرَنَا الحسنُ بنُ سفيانَ، حَدثنا أميَّةُ بن بسطام، حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا رَوح بن القَاسِمِ، عَنْ العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيهِ، عَن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «يقول: العبدُ مَالِي مَالي، وَإنمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثلاثة؛ مَا أكل فأفنى، أو أعطَى فأمْضَى، أو لبسَ فأبلى، وَمَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ فهو ذاهبٌ وَتَارِكُهُ للناسِ»(١).

وَقَالَ بعضهم: الفَنَاء فناء العبد عَنْ كُل شيءٍ بالتَوحِيدِ، وَالبقاء بقاء علم التوحيدِ، وَاحتجوا بقولِ الله عز وجل: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وَقَالَ بعضهم: الفناء فناء العبدِ عَنْ رُؤيةِ العبودية، وَالبقاء بقاء العبد شاهداً الإلَهيّة.

وَقَالَ بعضهم: إن الفَنَاء حق الفناء فناء النفسِ فِي النفسِ، حتى تبقى النفس بلاَ نفس.

ويقال: الفناء أن تفنى النفس عَنْ إرادةِ الشهوةِ، وَكُل إرَادةٍ فَاسِدَةٍ ليسَ لله تعالى فيهِ رَضىً مِنْ أسبابِ الدين والدُنْيَا.

وَقَال بعضهم: الفناء فناء الخلق، والبقاء بقاء الله تَعَالَى. قَالَ الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

وَقَالَ بعضهُمْ: علم الفناء مجهول، وعلم البقاء مَوْجودٌ.

وَسُئِلَ أبو سعيدِ الخراز عَنْ علامة الفاني، فقال: من علامَة الفاني ذَهَابُ حَظهِ مِنَ الدنيا والآخرةِ، إلا من الله تَعَالى، ثم يبدو له الآيات من قدرة الله تَعَالى، فيريه ذَهَابَ حَظهِ، مِنْ رُؤيةِ حَظهِ ويبقى عليهِ مَا كَانَ لله عَزَ وَجَلّ.

وسُئِل الشبلي عَن الفناء والبقاء، فقال: إذا نزع الصفة ملبوسها وليس مخلوعها.

وَقَالَ الجنيد: هوَ بَقَاء الحق وفَنَاء كُلّ مَا دونهُ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن مردويه من حديث أبي هريرة بلفظ (يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاثة ما أكل فأفنى وما لبس فأبلى أو تصدق فأبقى وما سوى ذلك فهذا ذاهب وتاركه للناس، وأخرج عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً: يقول ابن آدم مالي مالي وماله من ماله إلاّ ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأمضى. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٢٩٤٥).

وَسُئِل أبو الحسين النوري عنِ الفَنَاءِ فقَال: والذي نفسي بيدهِ إنه أولُ مقام من مقام التصوف.

وَسُئِلَ أبو سعيدِ الخراز عَن البقاء، فقال: اعلم أن أول البقاء في حقائق البقاء الأثرة لله عز وجل على جميع خلقه، والفناء عَنْ كل شيء إلا الاشتغال بِدَوامِ ذكره، وَكمال الفناء صدق الانفراد لصحة الشغل بهِ، حتى يكون هُوَ الحظ بسقوط كل حظٍ معه، فيبدو عند ذلك بَادٍ مِنَ الكبرياءِ فيغيب في جنب مَا بَدَا لَهُ من وجودِ حظهِ مِنْهُ، فيكون في أول دَرَجَاتِ الفناء.

وَقَالَ الشبلي: أفنِ كلك لمن أحببتهُ حتى لا يبقَى لَكَ منك شيء.

وَقَالَ أبو سعيدِ الخرازُ فِي معنَى قوله عَزَ وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] قَالَ: أخلاهم فِي أفعالِهِمْ مِنْ أفعالِهم وهو أولُ حَالِ الفَنَاءِ.

وَسُئِلَ أبُو يعقوب النهرجُوري عَنْ صحةِ علمِ الفَنَاءِ والبقَاءِ، فقال: صحة العبوديةِ فِي الفَنَاءِ، وَالبقاءِ، وَاستِعْمَالُ علم الرضَاءِ وَمَنْ لَمْ تصحبه العبودِيَّةُ فِي الفناءِ وَالبقاءِ فهو مُدَعٍ.

وَقَالَ الجنيدُ: إذَا فني العَبدُ عَن أوصَافهِ أدرك البقَاء بتمامِهِ.

وأنشدتُ:

وَطَاحَ مقَامِي وَالرسُومُ كَلاَهمَا ... فَلَسْتُ أرَى فِي الوقتِ قرباً وَلاَ بُعْدا

فَنَيْتُ لَهُ عَنيّ فَبَانَ لَهُ بِهِ ... فَهَذَا ظهور الحق عند الفنا قصدَا

أحَاطَ بِي التعظيم مِنْ كُلِ جَانبِ ... وَعَادَ صفات الحقِ حقاً تلي العبدَا

وَقَالَ إبراهيم بن شيبان: علم الفناء وَالبقاءِ يَدُور على إخلاصِ الوحدانية وَصحة العبوديةِ، وَمَا غير هذا فهو الأغَاليطُ والزندقةُ(١).

وَعَنْ أبي سعيدِ القرشي قَالَ: الفَنَاء أن تبدو العظمة على العبدِ فتنسيهِ الدُنيا والآخرة، والأحوالَ، والدرَجَاتِ، وَالمقَامَاتِ، والأذْكَارَ، وتُغيّبهُ عَنْ عقله ونَفسِهِ، وَعَنْ فنائِهِ عَن الأشياءِ، وَعَنْ فنائهِ عَن الفناءِ، فيكون الله تَعَالى يقويه للأشياء كَمَا أنطقهم حين أخرجهم مِنْ ظهر آدم عليهِ السلام وَأُخذَ عليهم الميثاقَ.

---

(١) وليت من ينتقد السادة الصوفية يفهم هذا الكلام ويتوب عن الوقيعة بهم قبل أن لا ينفع الندم، نفعنا الله بهم في الدارين آمين.

وَقَالَ بعضهم: الفناء فناء الجهل ببقاء العلم، وَفَناء الغفلةِ ببقاء الذِكْر، وَفَناء المعصيةِ ببقاء الطاعَةِ.

وَقَالَ الجنيدُ: كنتُ فِي أحوالِ ثلاثة؛ أمّا الأولى فلو بَكَتْ عليَّ السمواتُ والأرضُ لَمْ يكن عجباً مِنْ شدة تحيري، ثم حَدثت حَالَةٌ لَو بكت عَلَيَّ أهْلُ السَّمَواتِ وَالأرْضِ مِنْ غَيْبَتِهِمْ عَنِ الحقِ وَجَهْلِهِمْ بِهِ لم يكن عَجَباً. ثم حَدَثَتْ حَالة أخرى لَمْ أر إلاّ نُعُوتاً قائمَةً قدرَةً ومشيئة وَمُلْكاً وقَضِيّةً، فَطَالَعْتُ الأوّليَّةَ والآخِرية فَغِبْتُ عَن الكُل وَفنيتُ عنها وَفيهَا بقائي.

وَقَالَ أبُو العَبّاسِ بن عَطَاءِ: أوْل مَا دَخَلُوا فِي الفناءِ أسقطوا عَنْ أنفسهم كُل شيءٍ إلاّ التِزَام العبوديةِ، فإن صحة الفناء والبقاء بصحة العبوديةِ، وَيقال: أمْر الفناء لا يصح إلا لمن فَنِيَتْ نفسُهُ عَنِ الآثَامِ كُلِهَا، وَعَنْ الفُضُول، وَعَما لا يَعْنِيهِ.

وَيُقَالُ: علم الفناءِ والبقاءِ، هُوَ علم فناءِ الدُنْيَا وَزَوَالهَا، وعلم بقاءِ الآخرةِ وَدَوامِهَا، قَالَ الله تَعَالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٧].

وأنشدت:

لاَ كُنتُ إنْ كُنْتُ أدرِي	كيف السبيل إليكَا
أفنيتني عَنْ جَمِيْعِي	فصِرتُ أبكي عَلَيْكَا

ولذي النّون المصري رَضِي اللّهُ عَنْهُ:

وقومٌ تَاهَ فِي أرضِ بِقَفْر	وَقومٌ تَاهَ فِي مَيْدَانِ حُبّهْ
فَأُفْنُوا ثم أُفنُوا ثُمَّ أفْنُوا	وحي صَارَ فِي مَيْدَان قربهْ
فأبقُوا ثم أُبْقُوا ثم أبقُوا	وأُدْنُوا بالدُنو مِنْ قرب قُرْبه

أفنوا عن حظوظِ أنفسهم، وَعَنِ الخلقِ، وَعَن المرادِ والهِمّةَ.

وَثلاثَةُ أنواعِ مِنَ البَقَاءِ يبقون ببقاءِ المعرفة، ثم ببقاء الأنس، ثم ببقاءِ الرُؤيةِ، ومعنى يبقيه أي يحييهِ.

ذكر أنواع الفناء وثلاثة أنواع من البقاء

قَالَ أبو سعدِ الواعظ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعتُ أبَا محمدٍ بَكْرَ بن مُحَمّدٍ العَابِدِ الطبراني بِأرضِ كنعان قَالَ: سمعت أبَا الحسن علي بن الحسنِ الموفق قَالَ: سمعتُ أبَا الحَسَنِ المالكِي يقولُ: سمعتُ أحمدَ بنَ عَطَاء يقول: سمعتُ إبراهيم الخواص يقولُ: كَانَ عندي رَجل: يتصوف، فتكلمتُ يَوماً وَالنُورِي فِي الفناءِ والبقَاءِ، فرددتُ عليهِ فهتف بِي هَاتِفٌ: يَا أَبَا إسحقَ نُرِيدك للسُكوتِ لاَ للكَلاَمِ، فقلتُ: كَانَ غرضِي فِي الكلامِ أن تريدُوني، فإن أردتمُوني للسكوتِ فإني لاَ أتكَلّم أبداً.

ذِكر عين التحكِيم

قَالَ أبُو سَعدٍ الواعظ: إنْ لفظ عين التحكيم تستعملها هذه الطائفة فِي الدُعَاءِ على غَايةِ الانبِسَاط، كَمَا حُكِي عَنْ حَمّادِ بنِ مُوْسَى أنَهُ قَالَ: كنتُ بمكّةَ فَأرَدْتُ الخروج إلى المدينةِ، فأتيت كهمساً(١) وَمَعِي دَنَانِير فَأستودعتُهَا إياهُ، فقال: ضعهُنّ فِي الكوةِ، فوضعتها وَذَهبت إلى المدينةِ، فلما رَجعتُ طلبتُ الدّنَانير، فقال: خذهن مِنْ حيث وَضعتهن، فَلَمْ أجد شيئاً، فَقَامَ وَطلبَ فلم يجد، ثم تطهر وأخذَ نعله وَخَرَجَ إلى المسجدِ وَقَامَ بين الرُكْنِ وَالمقام، وَقَالَ: أينَ دَنَانيرُ حماد - كأنَهُ يُخَاطِبُ إنْسَاناً - رُدهَا السَاعَة، ثُمَّ قَالَ: عَزَمْتُ عليك لما فعلتَ، ثم التفت إليَّ وَقَالَ: اذهب وخذ الدنانير، فذهبتُ فوجدتُ الدنانير مَكَانَهَا، فقالَ: وَالله مَا رَأيتها بعيني.

وَحُكِي عَنْ ذِي النُون أنَهُ قَالَ: ركبتُ البحر أريدُ مَكّةَ وَمَعَنَا فِي المركبِ رَجل عليهِ أطْمَارٌ رثة، فوقعت فِي الركب تهمة فدارتِ النَوبَةُ فِي التفتيش حتى صارت إليهِ، فقلتُ إن القوم قد اتهموك، فقالَ: إياي تعني، قلتُ: نَعَمْ، فنظرَ إلى السماءِ، وَقَالَ: أقسمتُ عليك ألا أخرجتَ مَا فيهِ مِنْ حوتٍ بجوهَرَةٍ فقالَ: لقد خُيّل إليَّ إن مَا فِي البحر مِنْ حُوْتٍ إلاّ وَفِي فيهِ لُؤلؤةٌ أوْ جوهَرَةٌ، ثم رَمَى بنفسِهِ فِي البحرِ ونحن ننظرُ إليهِ، فقلتُ: يَا غُلاَم، بِالله إلاّ رجعت فالتفَت إليَّ وَسَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: لا تذكر مَنْ لا تعرفهُ، وَمَشَى عَلَى البَحْرِ حتى غَابَ عَنْ أبْصَارِنَا.

---

(١) كهمس بن الحسن الحنفي البصري العابد أبو الحسن من كبار الثقات، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، فإذا ملَّ قال: قومي يا مأوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله ساعة، وكان يقول في الليل: أتراك معذبي وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه!! مات رضي الله عنه سنة ١٤٩ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٦/٣١٦، شذرات الذهب ١/٢٢٥).

وَحُكِي عَنْ الشعبي أَنَهُ قَالَ: إنّ قَوْمَاً أقْبَلُوا مِنْ نَاحيةِ اليمن مُتَطوعين فِي سبيل اللَّهِ عَزَ وَجَل، فنفق حَمَارُ رَجُل منهم، فقالَ لَه أصحابهُ: نَتوزَعُ أمتعتك على حميرنَا، فقالَ لَهُمْ: لاَ حَاجَة لِي فِي ذلك فَامْضُوا، فمضى أصحَابُهُ فقَامَ وَتوضَأ وَصَلى ركعتين ثُمّ قَالَ: اللَّهُمّ إني خرجت مُهَاجِراً فِي سبيلك وابتغاء مَرْضَاتِك، وَإني أشهد أنك تحيي الموتَى وتبعث مَنْ فِي القبورِ، فابعث حِمَارِي وَلاَ تجعل عليّ اليوم لمخلوقٍ مِنّةً، فقامَ الحمار ينفض أذنيهِ فركبه وَأدرك أصحابَهُ.

وَعَنِ الحسن قَالَ: احترقت أخصاصٌ[1] بالبصرة فبقيَ فِي وَسَطِهَا خصٌ لَمْ يحترق، وَأبُومُوسَى يَومئذٍ أمير على البصرة، فأخبر بذلكَ فبعث إلى صَاحب الخصُ، قَالَ: فأتي بشيخ فقالَ: يَا شيخُ مَا لخُصُك لَمْ يحترقْ؟ قَالَ: إني أقسمتُ على رَبِي عَزَ وَجَلَ أن لا يحرقه، فقالَ أبو مُوْسَىٰ: إني سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «يَكُونُ في أمتِي قومٌ شِعثةٌ رُؤسُهُمْ دَنِسَةٌ ثيابُهُمْ، لَوْ أقسموا على الله تَعَالى لأبرهم»[2].

وَعَنْ أبي علي المفلوج ـ وَكَانَ مِنْ أعبد الناسِ ـ قَالَ: وَقَعَ حريق بالبصرة، فَجَاء أبُو عبيدة الخواص فجعَل يتخطّىٰ النارَ، فقال لَهُ أمير البصرة: انظر لا تحرقك النار، فقالَ: إني أقسمت على رَبِي عَزَ وَجَلَ أن لاَ يحرقني بالنارِ، قَالَ: فاعزم عليهَا أنْ تطفأ، قَالَ: فعزمَ عليهَا فطفئت.

قَالَ أبُو سعدِ الوَاعِظُ: سمعتُ أبَا القَاسِم بن بَالويهِ الصُوْفِي يقولُ: كَانَ أبو حَفْصٍ يمشي ذَاتَ يَومٍ، فَانتهى إلى القنطَرَةِ المعروفة بقَنْطَرَةِ الشيخ، فاستقبله رَستاقي[3] مَدْهُوش فقال لَهُ أبُو حفصٍ: مَا أصَابَك؟ فقال: ضل حِمَارِي وَلاَ أملك غيرَهُ، قَالَ: فوقفَ أبو حفصٍ وَقَالَ: وَعِزَتِكَ لاَ أخْطُو خطوةً مَا لَمْ تَرُدّ عليهِ حِمَارَهُ، قَالَ: فظهر الحمارُ فِي الوقتِ وَجَاز أبُو حفصٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

آخر الجزء الثامِن مِنْ كِتَابِ تهذيب الأسْرَارِ

يتلوهُ فِي الجزء التاسع ذِكْر الخواطر إن شَاءَ الله تَعَالى

وَالحمدُ للَّهِ وَحده وَصلواته على سيدنا محمد نبيّه وَآلهِ وَصَحبهِ وَسَلاَمُهُ

---

(١) الخُصّ هو البيت من القصب أو البيت يسقف بخشبة وجمعه خِصاص وخُصوص ولم أر له جمعاً (أخصاص). (القاموس مادة خ ص ص).

(٢) لم أجده وإن كان له شواهد كثيرة قريبة من معناه ولفظه.

(٣) نسبة إلى (رُسداق) أي قروي وتسمى أيضاً رستاق ورزداق (قاموس الفارسي مادة ر س د ا ق).

ذِكْرُ الخَوَاطِرِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدِ الواعِظ، أَخْبَرَنَا أبو عبد اللَّهِ الشيرَازِي بندار، قَالَ: أَخبَرَنَا الشيخُ الإمَامُ أبو سعدٍ عَبْدُ الملك الخركوشي الْوَاعِظُ النيسَابُورِي، قَالَ: أخبرنَا أَبُو بَكْرٍ محمدُ بن عبد اللَّهِ بن قريشٍ الرِّبُونَجي إجَازةً، قَالَ: أخبرنَا أَبُو الحسنِ بنُ سفيان، حدَّثنا هناد بنُ السرِي، حدثنا أبو الأحوصِ، عَنْ عَطاء بن السَّائِب، عَنْ مرة، عَنْ عبد الله بن مسعودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إن للشيطانِ لمةً وَإنْ للملكِ لمة، فأمَّا لمةُ الشيطانِ فإيعاد بالشّر وَتكذِيبٌ بالحَقِ. وأمَا لمة الملك فَإيعَاد بِالخير وتصديقٌ بالحقِ. فَمَنْ وَجَدَ ذلك فليعلم أنَهُ مِنَ الله عز وجل فليحمد الله وَمَن وَجَد الأخرى فليتعوذ بالله مِنَ الشيطانِ»[1] ثم قرأ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً﴾[2] الآيَة.

قَالَ بعضهم: الخَوَاطِرُ نطقُ القلب، فبحسب صفائه وَكدره ينطقُ.

وَيُقَال: الخواطر رُسُلُ القلوبِ إلى الله عز وجل، فلينظر أحَدُكُمْ رِسَالتَه إلى ربهِ عز وجل.

وَقِيل: الخواطر هَوَاتفٌ غيبية ولَطَائف لَدُنيةٌ.

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عبد اللَّهِ: لَيسَ للخواطِر قيامٌ، إنَّما هِيَ حُجَّةٌ.

وَقيل: لا يدرك الخَاطِرُ فِي أولِ وَهْلَةٍ حَتَّى يُمَدَّ بخطرةٍ أُخْرَى فِي عقبه، لأنَهُ ألطف مِنْ أن يُدرك خَاطر منفرد غير مُمَدٍ بخاطر آخره.

وقيل: الخاطر خاطران؛ خاطر سقيم، وخاطر صحيح، فالخاطر السقيم: ما أوقع صاحبه في الخلال الذميمة، والخاطر الصحيح: ما دلّ صاحبه على الأمور المستقيمة.

وَقيل: الخَوَاطِرُ لا تنقطع ولا تتصل.

وَقيل: كل خطرةٍ دَاعية تدعوك إلى شيءٍ.

وَقِيل: الخَوَاطِرُ أربعَة: خَاطرٌ مِنْ جهةِ العدو، وَهُوَ مَا يدعوك إلى المذمومات،

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه (الكنز ١/٢٤٦ الحديث رقم ١٢٤٠).

(٢) قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وَخَاطِرٌ مِنْ جهةِ نفسك، وَهُوَ مَا يَدْعوك إلى الهوى وَالشهواتِ، وَخَاطِرٌ مِنْ جهة إلهامِ الملكِ، وَهُو مَا يدعوك إلى قِيامَة شَرَائطِ التوفيقات، وَخَاطِرٌ مِنَ الحقِ يُوردُهُ على سرك لينبهك بِهِ على مُرَادِهِ فيك ومنك وَلَهُ.

وَقِيل: خَاطِرُ التنبيهِ رَسُولٌ مِنْ رُسْلِ اللَّهِ عَزَ وَجَل، وَحُجَّةٌ مِنْ حجج اللَّهِ عَزَ وَجَل، ودَاعِية من دَوَاعِي اللَّهِ سبحانَهُ.

وَسُئل بعضُ الحُكَمَاءِ: مَا أكثر الأشياءِ؟ قَالَ: رياحُ الخوَاطِر.

وقِيل: خاطرُ الفهم يزيد لذي الفهم فهماً مِنْ نَوع فهمه.

وَقِيلَ: الخاطر خَاطِرَان؛ خَاطرُ الإِلْهَام، وَخَاطِرُ الوسواس، فخاطر الإلهَامِ مَا حَمَلَك على معالي الأخلاق والإصابة في جميع الأسباب. وَخَاطِرُ الوسواس يوقعك في الأباطيل ويصرفك عن سلوك منهج الحق، وما يليق بعمل الحق، ويلقيك في الحسابات الكاذبة والظنون الرديئة والأخلاق الذمِيَمة.

وَقِيْل: خَاطِرُ الإلهامِ ما يتولدُ منه الإصَابَة فِي المرسُومِ وَالموسوم.

وَقِيْل: الخواطر تمطر على القلوبِ شِبْهَ أمطار السحائب مترادفة وتذهب بالسرعة كَالبَروقِ الخَاطِفَةِ، وإن اختلف وُجودهَا وتفاوت كونها، فَمَنْ رَاقَبَهَا أخذ مِنْهَا مَا حصل وَخلاَّ عَنْهَا ما بطل.

وَقيل: الخطرات بُدَواتٌ يهيجن الأفكارَ، ويَبعثن على أنواع الأذكَارِ، ويغرسن فنون الهمم فِي الأسرَار.

وَقِيلَ: الخطرة كلام السِّرِ.

وَقِيل: علامَةُ خَاطِرِ الإلْهَام أن يترك الأشياء على مَا أنزلها الله عزَ وَجَلّ عليهِ، وَلاَ يَعظِّم مَا صغَّره الله عَزَ وَجَل، ولا يصغِّر مَا عظَّمه الله، وَلاَ يؤخِّر مَا قدمهُ الله عزَ وَجل، ولا يقدم مَا أخَّره الله تَعَالَىٰ.

وَقِيل: الوقوف على منبر الخواطِر أنفع مِنْ عَمَلِ الأركان بالجوارح، لأن الأعمال مِنَ الخواطِرِ عَمَلٌ ببدوء نشوئهَا.

وَقِيل: بِداية خَاطِرِ التنبيهِ أن يخطر ببال العبد نفي التعطيل، ثم إثباتُ التوحيدِ، ثم إثباتُ صفاتِهِ على ما هو به موصوفٌ أولاً، ثُم إثباتُهُ نفي الأضداد عنه، ثم هويته، ثم ترى

الأشياء كلها لله عزَ وَجل ملكاً، وَمِنَ الله عز وجل ابتداء وَبالله تَعَالى قياماً، وإلى الله سُبْحَانَهُ رُجوعاً.

وَقِيل: إن مِنْ أعلام خَاطِر الإلهام أن يَرُدَكَ فِي الفصولِ إلى الأصولِ، وَيوصلك إلى حقائق المحصول، وَيبين لك بَرَاهين صحةِ الدليل على المدلُول.

وَقِيْلَ: إنما يكون خَاطِرُ المرء على حسب همته، فمن علت همتهُ عَلاً خَاطِرُهُ وَمَنْ دَنَا همته دَنَىٰ خَاطِرُهُ.

وَيُقَال: للخَاطِرِ إضافتان؛ يقالُ للحق صَاحب الخَاطِرِ بمعنى أنَهُ مورده على الأسْرَارِ، وللعبد صَاحِب الخَاطِرِ بِمَعْنَى أنَهُ حَالٌ فيهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ عَلاَمَاتِ الخَاطِرِ الإلْهَامِي؛ أنْ يَكُونَ العلمُ لَهُ بَاعِثاً قبل أنْ يَبْعَثَهُ، وَالحَقُ لَهُ وَاصِفاً قَبْلَ أنْ يَصِفَهُ، وَمَعْنَاهُ عَنْهُ نَاطِقاً قَبل أن ينطقَ بِهِ.

وَقِيل: الخَوَاطِرُ كَمَا تخاطب الألْسُن ظاهِرَهَا[1].

أَخْبَرَنَا أبو سعدِ، قَالَ: أخبرنَا أبُو الحسن علي بن عَبْدِ اللَّهِ بِنْ جهيم بمكة حَرَسَهَا الله قَالَ: سَمعت جعفر الخواصَ يقولُ: سمعتُ أبَا القَاسِم الجُنَيدَ يَقُولُ: الخُواطِرُ أربعَة: خطرةٌ مِنَ الله عَزَ وَجَل تدعو العبد إلى الانتباهِ، وخطرةٌ مِنَ الملك تَدْعو العبد إلى الطَاعَةِ، وَخطرة من النفس تدعو إلى التزين والتنعم فِي الدُنيَا، وَخَطرة مِنَ الشيطانِ تدعو إلى الحقد والحَسدِ وَالعَدَاوَةِ.

قَالَ أبو سعدِ الواعِظُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعتُ أبَا عثمان النَّصِيْبِي يقول: سمعت محرزاً الرازي يحكي عَن أبي الحسين النُوري أنَهُ قَالَ: سَألتُ بعضهم: كيف تغير الخطَرةُ فِي قَلْب العَارِفِ؟ قَالَ: كَمَا يغير التَوردُ فِي وَجهِ الخجلِ، فإن كَانَ لَهَا أصْلٌ مِن الحق ثبتَتْ وإلاّ مَرّتْ هَبَاءً.

وَقَالَ أبو سعدِ: سمعتُ أيضاً أبَا عثمان النصيبي قَالَ: سمعتُ عمر البنا، قَالَ: وَقَفَ رَجُلٌ على أبي الفرج الجرَار، فَكَانَ يتكلم فِي التصوفِ وَأكثرُ جواباتِهِ مِنَ القرآنِ، فقالَ: يَا أبَا الفرج كيف تنشأ الخطراتُ في قلوب العارفين؟ قال: فأطرق الشيخ ثم رفع رأسه إليه

---

(١) هكذا وردت في المخطوط وواضح أنها عبارة ناقصة ولعل تمامها (الخواطر تخاطب القلوب أو البواطن كما تخاطب الألسن ظاهرها).

فقال: أما علمت أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور: ٤٣] فإذَا كَانَ الخَاطِرُ مِن اللَّهِ تَعَالى ظهرت الحكمَةُ على لِسَانِ القائل، على قَدْرِ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الخَاطِرِ، فَإذَا كَانَ مِنَ النفْسِ أو مِنْ الْعَدو يَمر كَمَا يَمُرُ الغيمُ.

ذِكْرُ الغين على القلبِ

أخْبَرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: حَدَّثنا أبو سعيدٍ إسماعيل بن أحمد الجرجَانِيُ، قَالَ: حدَّثنا حَامِد بن مُحَمد بن شعيبِ القنطِريُ، حدثنا سعيدُ بن مهران الشَروْطِي، حدَثَنَا حَامِدُ بن مسلمةَ، حَدّثنا ثَابِتٌ البنَانِيُ، عَنْ أبي بُرْدَةَ، عَنْ الأغَرْ المزني، قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «إنَهُ ليُغَانُ على قلبي حتى أستغفر اللَّهَ تَعَالَى في كُلِ يَومٍ مَائَةَ مَرَةٍ»[1].

قالَ أبُو سعيد بنُ الأعرابي فِي معنى هَذَا الخبر: كَأنَهُ ﷺ أحَبَّ أنْ يكونَ ذَاكِراً الله تَعَالى على الدَوام، بلا فُتُورٍ وَلاَ سَهو وَلاَ غفلةٍ، وَكَانَ مِنَ الذنُوبِ معصوماً محفوظاً، إلاّ أنّهُ وَإنْ كَانَ نَبياً، قَالَ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] وَكَانَ بذكر الله تَعَالى مُسْتَهْتِراً[2]، ولاَ يَجُوزُ أنْ يُقَالَ إنَهُ كَانَ فِي حَالٍ مِنْ أحوالِهِ غافلاً، وَلَكِنْ كَانَ يلحقهُ مِنَ البشريةِ مَا لاَ بُد لَهُ منه، إذِ الكَمَالُ لِلَّهِ عَزَ وَجَلّ، فَإذَا لحقهُ أقل مَا يكون دُونَ ذَلِكَ الاستهتَارِ رَأى غيناً، واستغفر تيقظاً وَزِيَادَةً، فَهُوَ فِي كُلِ حَالٍ مِنْ أحوالِهِ زَائد، وَفِي رُؤيتهِ الغين ذَاكرٌ، فَأمّا أنْ يكونَ عن غَفْلَةٍ أوْ سهوٍ أو نَقْصٍ فقد أعَاذَهُ الله عَزَ وَجَلّ عَنْ ذلك وَعصمه من الغفلة، وَإنَّمَا ذلك لإظهارِ الرقِ وَالعبودِيةِ فيهِ للبينونَة عَنْ الملكِ، وَالرُبوبيةِ، لا غَيْرَ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالى.

وَقَالَ الجَنيدُ فِي هَذَا الخبر: إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مُدبراً بِالزِيَادَةِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أحوالِهِ، مَرْفُوع الدرَجَةِ فِي مستقبل أوقاتِه، فكُل وَقتٍ هُوَ عليهِ وَارِدٌ فهو بِمَا يردُ عليهِ منه زَائد.

وَقَدْ جعلَ الله تَعَالى للخير مَنَازِلَ مُتفَاوِتةً، فَإذَا أدَخلَ الله عزَ وَجل عبداً مِنْ عبادِهِ فِي مَنْزِلَةٍ مِنَ المنَازِلِ الرفيعة استعمله بِهَا، ثم سيَّره فيها على سننها، حتى يكون عَامِلاً بِكُلِ مَا فيها، حتى إذا بلغ آخر تلك المنزلَةِ أخْرَجَهُ مِن الأولى إلى المنزلةِ التي تليهَا فِي الفضل، وَأوجده فضل مَا بين المنزِلَتينِ، ليعرف بذلك حُكْمَ مَا مضى، وَحُكْمَ مَا أتى، وَيعرفَ مع معرفته تناهِي الحالِ الأولى، وَوُرُود الحَالِ الثانية، فضل مَا بينهَما، وَذَلك أبلغ فِي العلم، وَأشْرَفُ فِي المعرفةِ، وَأحرى أن يستوعِبَ فضل العلم بذلك كُلِهِ، وَكَانَ نبينا ﷺ سَيدَ الأنبياءِ وَأكرمَ خلقهِ عليهِ، وَكَانَ إذَا نقل مِنْ حالٍ إلى حَالٍ وَجَدَ فضل مَا بينَهُمَا، ففزع إلى الله تَعَالى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي بسندهم عن الأغر المزني (الجامع الصغير ١/ ٣٥٣ الحديث رقم ٢٦٢١).

(٢) أي صارفاً أوقاته كلها لذكر الله مشغولاً بالله عن سواه.

مستغفراً، وَأسْرَع إليهِ رَاغِبَاً، وَلاَ يعرفُ مثل تلك الرِّقَة إلا هُوَ، لأنه أعلى الخلق منزلَةً وَأسْرعهم ترقياً فِي منازِل الرفعةِ، وَأبلغهم علماً ومعرفة وَالله تَعَالى أعلم بالصّوابِ.

وَقَالَ أبو سَعِيدِ الخراز: إنَّمَا قَالَ ﷺ ذلك لأنَّهُ كُشفَ لَهُ مِنْ عظيم حقوقِ الله عَزَ وَجل الواجبة على جميع خلقهِ ممن جرى عليهم اسم الخلقِ، أن مِنْ شأن كُل مصنوع مُكَوّنٍ الوهنَ وَالعجز، وَالضعفَ والفُتُورَ، وَالغفلةَ، وَأن عليهم فِي هذهِ الحَالات كُلِهَا التمسك بِمَواجِب الحقوق عليهِمْ، وَلَوْ قد صح فِي فطر عقول الغافلين أنَّهُمْ لاَ يقومُون فِي حقٍّ مِنَ الحقوقِ الواجبة بما يلزم، فيجبُ أن يكون النَّبِي ﷺ نظر مِنْ هذا الوجهِ، وَشهود هذا المعنى، لأنَ حَالَهُ أتم وَأعْلَى، وَإنما قلته مِنْ حيث أنا لا من حيث المصطفى ﷺ.

وَقَالَ أبو الحسين المزين: كَانَ قلب المصطفى ﷺ يَتَلألأ نُوراً وَضِيَاءً وَبَصِيرةً، يرى ذِكْرَ الله عَزَ وَجَل لَهُ قدماً فِي دَوام أزليته، وَسَوابغ نعمه عليهِ، وتواتر كَرَامَاتِهِ، وَألطَافِهِ، فيرى ذلك بِصَفَاءِ قلبهِ، وَيتلقَاهُ بالبِشرِ وَالالْتِذَاذِ، وَيجب أنْ يقابله بذكرهِ وَشُكْرِهِ، فيجد العجز عَنْ ذلك وَلاَ يرى القوة فيرى عدم القوة، وَوُجود العجز غيناً، ويستغفر الله عَزَ وَجل مِنْ وُجُودِ العجز عَن بُلوغِ الوفَاءِ بِمَا أوْجَبَهُ الله تَعَالى مِنَ الشُكْرِ على النعمةِ على عبادِهِ.

وَقَالَ بندار بن الحسين: استحسَنْتُ قولَ أبِي بَكْرِ بنِ طاهر الأبهرِيَ فِي الغين، فإنه قَال: إنَّ الله تَعَالى أطلع نبيَهُ عليهِ السَّلام على مَا يَكونُ فِي أمتِهِ مِنْ بعدهِ مِنَ الخَلاَفِ وَمَا يصيبهُم، فَكَانَ إذَا وَجد ذكر ذلك، وجد غيناً فاستغفر لأمَتِهِ.

وَعَنِ الحارثِ المحاسِبِي قَالَ: كَانَ قلبُ المصطفى ﷺ دَائم الأحْزَانِ، وَلَهُ أزيز كَأزيز المرجل مِنَ البكاءِ، وَكَانَ ذلك مَانِعَاً لمرافِقِه وَحَائِلاً لَهُ بينَهُ وَبين اليسِيْر مِمّا لاَ بُدّ مِنْهُ، وَكَانَ الله جَلّ جَلاَلُهُ بِهِ حفياً رَحِيمَاً، يُحِبُ رفقه وَإيصَال مَا يعود إليهِ نفعهُ، فَكَانَ يدخل قلبه شيئاً يُسْكِنُ بِهِ الغليَان وَالفَوَران رَحْمَةً مِنَ الله عَزَ وَجَلّ بِهِ، فَكَانَ إذَا أحسَ بذلك فزعَ إلى الله عَزَ وَجَلّ، وَكَانَ استغفارُهُ مِنْ ذلك.

وَقَالَ أبو عبدِ اللّهِ القرشيُ: كَانَ قلبه ﷺ نَاظِراً إلى رَبِهِ عَزَ وَجل دَائماً، وَكَانَ الله عز وَجل ينادِيهِ بِالكَرَامَاتِ فِي الوقتِ، فَكَانَ إذَا لاَحَظَ الكرامَاتِ استغفر مِنْ نظرهِ إلى مَا سِوى رَبهِ عَزَ وَجَل، وَهَذِهِ الحال الواردة.

بَابٌ فِي ذِكْرِ وَصَايَاهُمْ

أَخْبَرَنَا أبُو سعدٍ، قَالَ: سَمِعتُ الشريف أبَا الحسن محمد بن علي بن الحسين الحسني يقولُ: سمعتُ القاسم بن محمدٍ الصُوفيّ، يَقُولُ: سمعتُ أحمد بن أبي الحَوَارِيّ، يقولُ: سمعتُ أبَا سليمَان الدارَانِيّ، يقولُ: سمعتُ علقمة بن يزيد بن سويد الأزدِي، يقولُ: سمعتُ أبي يقولُ: سمعتُ جدي يقول: قدمتُ على رَسُولِ الله ﷺ وَأنا سَابع سبعةٍ مِنْ قومي فسلمنا على رسول الله ﷺ، فكلمناه فأعجبه الكلام، قَال: «مَا أنتم؟» قُلْنَا: مُؤمنون، قَالَ: «لِكُلِ شيءٍ أو قول حقيقةٌ، فما حقيقة إيمانكُمْ؟» قلنَا: خَمس عشرة خَصلة؛ خمس أمرتنا بِهَا، وَخمس أمرتنا بِهَا رُسلك، وَخمس تخلقنا بِهَا فِي الجَاهِليةِ، ونحن عليهَا إلى الآن، إلا أنْ تنهانَا عَنْهَا، قَالَ: «فَمَا الخُمسُ التي أمرتُكُمْ بِهَا؟» قلنَا: أمرتَنَا أنْ نؤمِنَ باللَّهِ تَعَالى، وَمَلائِكَتهِ، وَكتبه، وَرُسُلِهِ، وَالقدر خيرهِ وَشرهِ، قَالَ: «وَمَا الخمسُ التي أَمَرَتْكُمْ بِهَا رُسُلِي؟» قلنَا: أمرتنا رُسلك أنْ نشهَدَ أن لاَ إلَـه إلا الله وَحدهُ لا شريك لَهُ وَأنك عبدهُ وَرسوله، ونقيم الصلاة المكتوبة، وَنُؤدِي الزكاةَ المفروضة، ونصوم شَهرَ رَمضَان، ونحج البيتَ إن استطعنا إليهِ سبيلاً، قَالَ: «وَمَا الخِصَالُ التي تخلقتم بِهَا فِي الجاهليةِ؟»، قلنَا: الشكر فِي الرخاء، والصبر على البلاءِ، وَالصدقُ فِي مَوَاطِنِ اللقَاءِ، وَالرضَا بِمُر القضاءِ، وَترك الشمَاتَةِ [بالمصيبة] إذا حَلَّتْ بِالأعداءِ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فقهاء أُدَبَاءُ كَادُوا أن يَكونُوا أنبياء مِنْ خِصَالٍ مَا أشرفَهَا» وتبسم إلينا ثم قَالَ: «وَأنَا أوصيكُمْ بِخَمس خِصَالٍ ليكمل الله تَعَالى لَكُمْ خِصَالَ الخير، لاَ تَجْمَعُوا مَا لاَ تأكُلونَ، ولا تَبْنُوا مَا لاَ تَسْكُنُونَ، وَلاَ تَنَافَسُوا فيمَا عَنْهُ غَداً تزولون، وَاتقوا الله الذِي إليهِ تُرْجَعُون وَعليهِ تقدمون، وَارغَبُوا فيما إليه تصِيرونَ وفيهِ تخلدونَ»(١).

وَقَالَ رَجُلٌ لمعروف الكرخِيّ: أوصني؟ فقالَ: احذْر، احذر، لاَ يرَاك الله تعالىٰ إلاَّ فِي زي مسكينٍ.

واستوصَى رَجل أبَا سعيدٍ الخرَاز، فقال: يَا أخِي خَالِصْ أصحابك مُخَالصَةً، وَخَالِطْ أهْلَ الدُنيا مُخَالطَةً، شَاهِدْهُمْ بِظَاهِرك وَخالفهم بعملك وَدِينك، إنْ ضحكوا فابك، وَإنْ فرحُوا فاحزن، وَإنْ استراحُوا فَجُدّ، وإنْ شَبِعُوا فَجُعْ، وَإنْ ذَكَرُوا الدُنيَا فاذكُرِ الآخرةَ، وَاصبر على قلةِ الكَلاَمِ والنظَر وَالطعامِ وَالشرابِ واللبَاسِ وَالحركَةِ.

وَقِيل لبعضهم: أوصني، فقالَ: عليكَ بِالقلةِ وَالذِلَةِ، وَاللُحُوقِ بِاللَّهِ عَزَ وَجل.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك من مسند علقمة ابن سويد (الكنز ١/ ٢٧٤ الحديث ١٣٦٣).

وَاستوصَى رَجل الجنيد فقال: أوصيك بقلة الالتفاتِ إلى الحال الماضِيةِ عند ورود الحالِ الكَائِنة.

وَقَالَ رَجُلٌ لذِي النُون: أوْصِني، فقالَ: لاَ تُؤثِرَن الشكَّ على اليقين، وَلاَ تَرضَى بنفسك مِنْ غير التسكين، وَإنْ نابتك نائبةٌ فتَحَمّلهَا بالصَّبْرِ وارمِ بآمالك نحو الدائم الخبير.

وَقَالَ رَجُل لمعروفِ الكرخي: أوصني، فقالَ: اجعله موضع شكواك وأنسك، والتَمس الدواء مِمَّنْ نزل مِنْ عندهِ الداء، وَاعلم أن كل ما نزل من عنده من دَاءَ أو بلاءٍ أو فاقة فإن الفرج فِي كتمانِهِ.

وَعَنْ عثمانَ بن أبي العَاصِي أنّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أوصني وخبرني بعمل لا أسأل أحداً بعدك، فقالَ: «لاَ تغضب»(١) فنظرتُ فَإذَا رَأسُ كُل شيءِ الغضب.

وَلَمَّا أرَادَ موسَى مفَارَقَةَ الخضر عليهما السَّلام قَالَ: أَوصني، قَالَ: أُوصيكَ بتقْوَى اللَّهِ، وأَنْ تجتنب: اللّجاجة(٢)، وَأَنْ تَمْشِي لِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَأَنْ تَضْحَكَ مِنْ غَيْرِ عجَب.

وَقَالَ يُوسف بن الحسين: قُلْتُ لذِي النُون: أوصِنِي، فَقَالَ: أوْصِيكَ، اجعل باطِنك لِلَّهِ عزّ وجلّ وَظَاهِركَ للخلق، وأَعِزّ أَمْرَ اللَّهِ يعزّك الله عزّ وَجَلّ.

وَقَالَ بشر بن الحارث الحَافِي: لقِيت الجرجاني عَلَى عَيْنِ مَاءٍ، فَلَمَّا بَصرَنِي عَدَا وقَالَ: بذنب مني لَقِيتُ اليومَ إنسيّاً!! فَعَدَوْتُ، وَقُلْتُ: أوصِنِي فالتفت إليَّ وقَالَ: أَمُسْتَوْصٍ أنتَ؟؟، عَانِقِ الفَقْرَ، وَعَاشِرِ الصبرَ، وعَادِ الهَوَى، وخَالِف الشَّهَوَاتِ، وَاجْعَلْ بيتك أخلا مِنْ لَحْدِكَ يومَ تنقل إليه، وعلى هَذَا طاب المسيرُ إلى اللَّهِ عَزّ وَجَلّ.

وَقَالَ قَاسِمُ الجوعي(٣) أو غيره لبعض أصحابِهِ: أُوصِيكُمْ بخمسٍ؛ إِنْ ظُلِمْتُم فلا

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال: لا تغضب ثم أعاد عليه فقال: لا تغضب. رواه البخاري من طريق أبي حصين الأسدي عن أبي صالح عن أبي هريرة، والترمذي، والإمام أحمد والبغوي والباوردي وكذا الإمام أحمد والحاكم عن جارية بن قدامة (الجامع الصغير ٥/ ٦٣٩ الحديث رقم ٩٨٣٥).

(٢) اللَّجاجة: الخصومة.

(٣) الإمام القدوة الولي المحدِّث أبو عبد الملك القاسم بن عثمان العبدي الدمشقي شيخ الصوفية ورفيق أحمد بن أبي الحواري عُرف بالجوعي ـ نسبة إلى الجوع ـ، كان عابد أهل الشام. من كلامه: رأس الأعمال الرضا عن الله، والورع عماد الدين، والجوع مع العبادة، والحصن الحصين الصمت.
قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء: (قلت: كان زاهد الوقت هذا الجوعي بدمشق، والسري السقطي ببغداد، وأحمد بن حرب بنيسابور، وذو النون بمصر، ومحمد بن أسلم بطوس. وأين مثل هؤلاء السادة؟ ما يملأ عيني إلاّ التراب، أو من تحت التراب، توفي سنة ٢٨٤ هجرية) (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٧، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٢، طبقات ابن الملقن ٣٩٣).

تظلموا، وإن مُدِحتم فَلاَ تفرحوا، وإن ذممتم فلا تجزعوا، وإن كذبتم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا.

وَقَالَ يُوسف بن الحسين: قُلْتُ لذي النُّون: أَوْصِنِي بِوَصِيَّةٍ أحفظها عنك، فَقَالَ: لا تكن لنفسك خصماً على الله تَعَالَى تَستزيده في رزقِكَ وَجَاهِكَ، ولكن كُنْ خصم الله تَعَالَى عَلَى نفسك، فإِنَّهُ لاَ يَكُونُ خصم معك عليك، وَلاَ تَزْدَرِي أحداً من الناسِ تلقاهُ وَإِنْ كَانَ مُشْرِكاً، وَانْظُرْ فِي عَاقِبَتِهِ وَعَاقِبَتِك فلعلّك تُسْلَبُ المعرفَةَ وَلَعَلَّهُ يُرْزَقُهَا.

وَقَالَ رَجُلٌ لِمَالِك بن دِينَار: أَوْصِنِي، قَالَ: ارْضَ بِمَا يُرِيدُ لَكَ رَبّك عزّ وجلّ.

وَقَالَ رَجُلٌ لأبي حفصٍ: أَوْصِنِي، قَالَ: يَا أَخِي احْفَظْ بَاباً وَاحِداً تُفْتَحْ لَكَ الأَبْوَابُ، وَالْزَمْ سيداً وَاحِداً تخضع لَكَ الرِّقَابُ.

وَعَنْ أحمد بن عَاصم قَالَ: قَالَ هَرِم بن حيان لأُوَيْس القرني: أَوْصِنِي، قَالَ: توسَدِ الموتَ إِذَا نمتَ، وَاجْعَلْهُ نصب عينيك إِذَا قمتَ، وَلاَ تنظُر في صغر الخَطيئة، وَلَكِن انظر عظمَةَ مَنْ عَصَيته، فَإِنك إِنْ صغرتها فقد صغرت الله عزّ وجلّ، وإِنْ عظمتها فقد عظمت الله عزّ وجلّ.

وَقَالَ رَجل لذي [النون] المصري: أَوْصِنِي بعلم يجمع همّتي ويجمع قلبي، قالَ: لاَ تَتَقدّم فِي همّة وَلاَ تَتَأَخّر في أُخْرَى. قَالَ: اشرَحْ لِي ذلك، قَالَ: لا تلقي عَنْ قلبكَ ذِكْر مَا مَضَى مِنَ الأمورِ كلّها، وَذِكْر مَا هُوَ آتٍ وتكون بِهَمّ ساعتِك.

وَمِنْ وَصِيّة الجُنَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ: إعلم أَن الله سبحانه وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَك كفَاكَ فَتَوَلاّك وَأغنَاكَ، فتعرض لطلبِ إِرَادَتِهِ لك بصدقكَ في إِرَادَتِكَ لَهُ، وَاعلَمْ أَنّكَ إِذَا كُنتَ لطاعةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ مُؤثراً، كانَ عَلَيْكَ بمنافِعِكَ مقبلاً، وكذلكَ إِذَا كنت لعهده رَاعِياً وَبِأَمْرِهِ عَاملاً، كَانَ بالتَّأييد وَالتسديد لَكَ حَافِظاً.

وَقَالَ عَطاء السليمي لعمر بن ذَرّ[1]، أوصنِي، فَقَالَ لَهُ عُمَرَ: يَا مُحَمَّدٍ حتّى متى تسهو وتَلْعَبُ وَمَلك الموت في طلبنا لا يغفل!!؟، فخرّ عطاء مغْشِيّاً عليهِ.

وَقَالَ الكتَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: صحب محمد بن محيريز رَجُلاً مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَة بِأَرْضِ

---

(١) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة، الإمام الزاهد العابد أبو ذر الهمداني ثم المُرهبي الكوفي، كان رجلاً صالحاً ثقة محله الصدق ومن خيار الناس. توفي سنة ١٥٣ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٥، حلية الأولياء ٥/ ١٠٨، الشذرات ١/ ٢٤٠).

الرُوم، فَلَمَّا أَرَادَ أَن يُفَارِقَهُ قَالَ لَهُ أوصِنِي، قَالَ: إن اسْتَطَعْتَ أَنْ تعرِفَ ولا تُعرف فَافعَل، وَإِنْ استطعت أَنْ تَمْشِي ولا يمشى إليكَ فافعل.

وَقَالَ رَجُلٌ للعمري: أَوْصِنِي، فقَالَ: كَمَا تحب أن يكون لك الله سبحانه غداً، فكُنْ لَهُ اليومَ. وَجَاءَ رَجُلٌ إِلى إِبْرَاهِيمَ بن أدهـمَ فَقَالَ لَهُ: يَا أبا إِسْحَاق، أنا رجل مسرف على نفسي، وقد أحببتُ أن تحدثني بشيء من الرخص فلعلّ الله عزّ وجلّ يلين قَلْبِي وينَوّره، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيم: إن قبلت عني ست خِصَالٍ أوصيك بها لم يضرك مَا عملت بعدها. قَالَ: يَا أبَا إسحاق مَا هُنَّ؟ قَالَ: أمّا أول خصلة: إذا أردت أن تعصي الله عزّ وجلّ فلا تأكل من رزقه. قَالَ: إذا كَانَ مَا في الشرق وَالغرب، وَالبر وَالبحر، وَالسهل وَالجبل، رزقه فمن أين آكل؟ قَالَ: يا هذا أَيحسن أن تأكل رزقه ثم تعصيه؟؟ فَقَالَ: فهات الثَّانية. قَالَ: إِذَا أردت أن تعصيه فَلاَ تسكن في بلادهِ، فَقَالَ له: يَا إِبراهيم هذهِ وَاللَّهِ أشدّ من الأولى، إِذَا كَانَ الشرق وَالغرب وَكلّ البلاد له فَأَين أسكن؟ قَالَ: يَا هذَا أَفيحسن أن تأكل رزقه ثم تسكن بلاده ثُم تعصيه؟؟ قَال: لاَ، فهات الثالثَةَ، قال: إذا أردت أن تعصيه فانظر موضِعاً لا يراك فيه فَقَالَ: يَا إبراهيم كيف يكونُ هذا؟ وَهو يعلمُ جميع السرائر ومَا تحويهِ الضمائر، فَقَالَ له: يَا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وَتسكن داره ثم تعصيه وَهو يراك؟ قَالَ: لاَ، فهات الرابعة، قَالَ: إذا جاءكَ ملك الموت عليهِ السلام لقبض رُوحك فقل له: أخرني حتى أتوب، قالَ: لا يقبل مني، قَالَ: يَا هذا، فَأَنت لاَ تقدِرُ على أن تدفع عنك ملك الموت، فكيف تقول سوف أتُوب ولعلّه يجيئك قبل أن تتوب، فتحصل على الإفلاس والذنب وَالندم وَالغبن، قَالَ له: يا إبراهيم هاتِ الخامسة، قَالَ: إذا جاءَك منكر وَنكير فخاصمهما بقوتك إن استطعت، قَالَ: ليسَ إلى ذلك سبيل، هَاتِ السادسة. قَالَ: إذا وقفت غداً بين يدي الله عزّ وجلّ وَأمرَ بكَ إلى نار جهنم فقل لا أمر إليهَا، فَقَالَ: يَا إبراهيم حسبي حسبي أنا أستغفر الله وأتوب إليه، قالَ إبراهيم بن أدهم: فَتَابَ وَأَنَابَ وَأقامَ معي ست سنين إلى أن مَضَى لسَبِيلهِ.

وَقَالَ رَجل ليحيى بن معاذٍ الرازي: أوصِنِي، فَقَالَ: نفسي لاَ تَقبل مني فكيف يقبل مني غيري؟.

وَقَالَ رجل لسفيان الثوري: أوصِنِي، قال: أقلَّ من معرفة الناس.

وَقَالَ عبد الله بن منازِل: مَرِض أبو صَالِحِ يَوْماً فقيل: لو أوصيتَ لأولادك بشيء فَقَالَ: إنّي كنت من الغنى أخوفَ عليهم من الفَقر.

وَقَالَ رجل لدَاود الطائي: أوصِني، قَال: فرّ من الناس كفرارك من الأسدِ.

وَعَنْ يوسف بن الحسين، قَالَ: قُلت لذي النون المصري وَقت مفارقته: أوصِنِي، قَالَ: عَليك بصحبة مَنْ تسلم منه في ظَاهر أمرِك، فتَبعثك على الخير صحبته، وتَذكرك الله تعالى رؤيته.

وَعَنِ الحسن الحداد قال: قلت: لمحمد بن عبد الله وَقت مفارقتي إياه: أوصِني، قَالَ ارض من الدنيا برغِيفين، وَمنْ صحبة الناس بفقيرين فإنَّك لا تعدم هذين.

وَقيل للواسطِي عندَ وفاتِهِ: أوصِنا، قَالَ: احفَظُوا إرادة الله عزّ وجلّ فيكم.

ورُوِي أن النبي ﷺ أوصى رَجلاً فَقَالَ: «عليكَ يالإياس مما في أيدي الناسِ، وَإياك وَالطمع فَإِنَّهُ فقر حاضر، وَإِذَا صليت فصل صلاة مودع، وَإياك وَمَايعتذرُ منه»[١].

وَقَالَ رَجل: يا رسولَ اللّهِ أوصِنِي، فقَالَ له: «عظم أمر الله عزّ وجلّ وعَظم ما عَظمه الله عزّ وجلّ»[٢].

وَجَاء رَجل إلى حَامِد اللفاف[٣] فقَالَ: أوصِنِي، فقالَ: اجعل لدينك غِلافاً كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفاتُ. قيلَ لَهُ: مَا غلاف الدين؟ قال: ترك طلب الدنيا إلا ما لا بدّ منه، وَترك كثرة الكلام إلاّ فيما لا بدّ منه، وترك مخالطة الناسِ إلا فيما لا بد منهُ.

وَقَالَ رَجل ليحيى بن معاذِ الرازي: أوصِنِي، فَقَالَ: أوصِيكَ بالحقّ فكن مَعَهُ، وَأوصيك بعَملك فطيِّبه، وَأوصيك بنفسك فَارحمها، وَاتقِ السَّيئات كما تتقي الحرب، واصدق في كل مَا تأتي وَتذر، وهلم فاقرع بَابَ الجنَّةِ.

وَأوصَى رَجل بنيه فقَالَ: تعَاطوا الحق أو مَا هو أفضل من الحق، قيل: وَمَا الذي هو أفضل من الحَقّ، قَالَ: العفو، فإذَا استقصيتم الحق فَلاَ فضل لكم.

وَعَنْ سعد بن خيثمة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يَا أبا ذرٍّ، أوصيك بوصيةٍ إن لزمتها قرّت عينك، انظر إلى مَن هو دُونك وَلاَ تنظر إلى من هو فوقك، فَإِنَّكَ إذَا فعلت ذلك خَشَعَ قلبك، وإن لم تفعل ذلكَ شمخَ قلبك، فشمخ معه السمعُ والبصرُ، فَإذَا شمخت بقلبك وَطمحت ببصرك عمي قلبك وَغَشي بصرك، وَكَانَ حينك بيدك، وَأتلفت نفسَك. وَاعْلم أن

(١) حديث: (عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصلّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه) أخرجه الحاكم في المستدرك عن سعد (الجامع الصغير ٢/ ١٢٦ الحديث رقم ٥٤٨٥).

(٢) لم أجده.

(٣) حامد بن محمود بن حرب النيسابوري، أبو علي، مقدم القراء بنيسابور، مات سنة ست وستين ومائتين. (غاية النهاية ١/ ٣٠٢).

من حمد ما ذَم الله تعالى وَأَحب مَا أبغَض الله عزّ وجلّ، فقد خَالف الله تعالى في صحبته، ومن أعانَ محباً للدنيا على طلبها وزينها له، كان كمن طلبها وأحبها».

وَقَالَ رَجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أوصِنِي، فَقَالَ: «إذَا أردتَ أمراً فتدبَّر عاقبته، فإن كانَ رَشَاداً فامضهِ، وَإنْ كَانَ غير ذلك فاتركهُ»[1].

وَأَوصَى عليّ بن أبي طالب ابنه الحسن عليهما السلام فقَالَ: «يَا بني، احفظ عني أربعاً وَأربعاً لا يَضُرك مَا عملت معهن. قَالَ: وَمَا هُنَّ يا أبتِ؟ قَالَ: يا بني، إن أغنى الغنى العقل، وَأكبر الفقر الحمق، وَأوحش الوحشة العُجْبُ. وأكرمَ الحسب حسن الخلقِ» قَالَ: يَا أَبَتِ، هذه الأربع فأعطني الأربع الأخَرُ، قَالَ: «يَا بُني، إياك وَمُصادقة الأحمق فَإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإيَّاك وَمُصَادَقة الكَذُوب فَإنَّهُ يقربُ البعيد ويبعد القريبَ، إياكَ ومُصَادَقَة البخيل فإنَّهُ يقعد بك أحوج ما تكون إليهِ، وَإيّاك وَمُصَادقة الفاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعك بفلسٍ وَاحِدٍ».

وَقَالَ إبراهيم بن بكارٍ قُلتُ لمعروفٍ الكرخي: أوصنِي، فقال: توكّل على الله عزّ وجلّ يكون هو معَكَ وأنِيسُك وموضِع شكواك، فَإِنَّ الناسَ لا ينفعونك وَلاَ يَضُرُّونكَ.

وَقَالَ رَجل لإبراهيم بن أدهم: أوصِنِي، فَقَالَ: اترك الحسَدَ تنجُ من الغَمِّ، وَدَعِ اللذة تنجُ مِنَ الإثمِ، وَلاَ تحب ألطاف الناسِ كيلا تبعد عَنِ اللَّهِ عزّ وجلّ، وَاذْكُر هَادِمَ اللَّذاتِ تسلم مِنْ شغلِ الدنيا.

وقَالَ يوسف بن الحسين: سألتُ ابن خَبيق بِالمصيصة قلتُ: أوصني، قَالَ: انظُر إلى مَا بدَا لَكَ منه فلا تؤثر عليه شيئاً.

وقَالَ رَجل لحَاتم الأصمّ: إنِّي أريد السفر فأوصِنِي، قَالَ: إن أردتَ الأنِيس فعليكَ بِالقرآن، وَإن أردت الرفيق فالملائكة الكِرَام رفقاؤك، وإن أردتَ الحبيب فالله تعالى فرح قلوب أحبابِهِ.

وحُكِيَ أن موسَى عليه السلام قَالَ للخضر عليه السَّلام: اجمع لي وصيتك في كلمتين، قال: اجمع همك في موضعين؛ عند نظرك وعند هَمِّكَ، قَالَ: أوصيكَ فاذهب حيث شئت.

---

(١) حديث: (إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته، فإن كان خيراً فأمضه، وإن كان شراً فانتهِ) ابن المبارك في الزهد عن أبي جعفر عبد الله بن مسور الهاشمي مرسلاً. (الكنز ٣/ ٩٩ الحديث رقم ٥٦٧٦).

وَقَال الجنيد رَحِمَةُ الله عَليهِ: قُلْتُ لِسَري السقطي: أوصِنِي، فقالَ: لاَ تشتغل عن صحبةِ اللَّهِ عزّ وجلّ بصحبة الأغيار. قلتُ له: وَاللَّهِ لو كنت سمعت منك قبل هذا هذه الكلمة لما اشتغلتُ بصحبتك.

وَقَالَ فتح الموصلي: صحبت ثلاثين شيخاً مِنَ المشايخ كلهم أوصاني عند مفارقتهم بترك عشرة الأحداث وبقلّة الأكلِ.

وقَالَ رَجل لرُويم: أوصني، قَالَ: يَا أخي ليسَ إلاّ بذل الروح، فإِنْ قدرتَ على ذلكَ وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفيّة.

وَقيلَ للواسِطي: أوصِنَا، فقَالَ: عُدُّوا أنفاسكم وأوقَاتَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ.

وَقَالَ رَجل لإبراهيم بن شيبان: أن أوصِنِي، [قال]: اذْكر الله عزّ وجلّ وَلاَ تنسه فَإِنْ لم تستطع ذلك فلا تَنْسَ الموت.

بَابٌ فِي ذِكْرِ أدْعِيَتِهِمْ

أخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ، قَالَ: أخبَرَنَا إِسْمَاعِيل بن أحمد الجلائي، حدثنا عمْران بن مُوسَى السختيَاني، حدّثَنَا أبو إبراهيم إسماعيل الرحماني، حدّثنا صالح المري قَالَ: سمعتُ الحسن يُحدث عَنْ أنس بن مالكٍ، عن النبيّ ﷺ: فيما يروي عن رَبِّهِ عزّ وجلّ قَالَ: «أربع خصالٍ وَاحدة منهن لي، وَوَاحِدة لكَ، وواحدة فِيما بينَك وبيني، وَوَاحِدة فِيما بينك وبَين عبادي. فأمّا التي لي: فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك عليَّ، فَما عملت مِن خير جزيتك به، وأمّا التي بيني وبينك فمنك الدعَاء وعلي الإجابة، وأمّا التي بينك وبينَ عِبَادي فارض لهم مَا ترضى لنفسك»[1].

وَعَنْ جعفر بن محمّد الصّادِقِ رَضِي اللَّهُ عنه قيلَ: مَا بالنا لا يُستجابُ دعاؤنا، قَالَ: لا تَدعُونَ من لا تعرفون.

وَقَالَ الحسين: خير الدعاء ما مسحته الأحزان.

وعن أبي بكر الحربي قَالَ: كَانَ منزلي إلى جنب سري السقطي بعبادَان، فكنت أسمعه طول اللَّيل وَهُوَ يقولُ: اللَّهُمّ إني أعوذ بك من ذلِّ الحجاب، وسوء المصير وأن تصرفني عنك وتعذبني بالنار. فلمّا مات رآه رَجل من العباد في المنامِ فقال أخبرني ما فعل الله بك؟ قَالَ: غفَرَ لي وتَرَكَنِي حَيّاً أنظر إليهِ.

وكَانَ يحيى بن معاذٍ يقولُ: في دعائه: إلهي، حسبي من ثوابك النجاة من عقابك. إلهي، أدْعوكَ بلسان نعمك فأجبني بلسان كرمك، فإن الذي لا ينطقه في الدنيا إلا لسان نعمك لاَ ينجيه غداً في القيامة منه إلا غوث كرَمك.

وَقَالَ بعضهم في دعائه: إلهي، أنت أعلم مني وأقدر عليّ مني وَامْلك لي مني فخذ بعناني إلى عفوك.

وعَنْ أبي نعيم أنه قَالَ في دعائهِ: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من قرب من يزيدني قربي منه بعداً منك.

وعَنْ بعضهم: اللَّهُمَّ إني أعوذُ بِكَ مِنْ آفاتِ الغفلاَتِ وَزَلاّتِ القُلُوبِ.

---

(١) أخرجه أبو يعلى، وأبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك، وضعّف، (الكنز ١٥/ ٨٧٨ الحديث رقم ٤٣٤٨٨).

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بعضهم: اللَّهُمَّ عيُوبي لاَ يستُرْهَا إلاّ محاسِنُ عطفك، وَذُنُوبِي لاَ يغفرها إلاّ مكارِمِ [لطفك]، الٰهي إن عذبتَني فعبد خلقتَه كَمَا أرَدْتَهُ، ثُمَّ عَصَاكَ فعذبتَهُ، وَإن رحمتني فعبد خَلَقْتَهُ مذنِباً مسَيئاً خاطئاً ثم رَحمتَه فأنجَيْتَهُ!

وَدَعَا بعضهم فقال: اللَّهُمّ ارزقني حياةً طيبة في طاعتِكَ، وَعيْشاً فِي محبتك، وَتَلَذُّذاً في مُنَاجَاتِكَ، وَرَوحاً في معَامَلَتِكَ، وتَنَعُّماً بكَ في خلواتِكَ، حتى ارتقى في دَرَجَاتِ العز إلى منازِلِ كَرَامَاتِكَ.

وَكَانَ عبد الملك بن مروان يقول في دعائه: اللَّهُمَّ إن ذُنُوبي كَثُرَتْ فجلَّتْ عَنْ أن تُوصف، وهي صغيرة فِي جنبِ عفوِكَ فاعفُ عَنِّي.

وَسَأَلَ أعرابي رَجُلاً فمنعه فَقَالَ: اللّٰهم كفلت لنا بالرزق وخَلَقْتنا لما أنتَ أعلم به مِنّا، فَاكفنا مَا شغلتنا بِهِ عمّا خلقْتنا لَهُ، فإِنَّ ما عندك يبقى وَمَا عندنا ينفدُ.

وَقَالَ بعضهم فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمّ ألبسني لِبَاساً من رآنِي رَآكَ فيهِ وَلَمْ يَرَنِي.

وَكَانَ مِنْ دعَاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام: اللّٰهم إن ذنوبي لا تضرك، وَإن رحمتك لا تنقصك، فاغفر لي مَا لا يضرك وَأعطني ما لا ينقصك.

وَعَنْ أبي محمدِ الجريري قَالَ رَأيتُ الخضر عليه السلام في المنَامِ فعلمني عشر كلِمَاتٍ، قَالَ: وَأَحْصَاهَا علي بِيَدِهِ. اللّٰهم إني أسألك حسن الإقبال علَيك، والإصغاء إليك، وَالفهم عنكَ، والبصيرة في أمرِكَ، والنفاذ فِي طَاعَتِكَ، والمواظبَةَ على إرادتك، وَالمُبَادَرَةَ إلى خدمتك، وَحسن الأدَبِ في مُعَامَلَتِك، والتسليم إليك، وَالرِّضَا بك والإنصاتَ لك.

وَقَالَ أبو يزيد: منْ أَرَادَ أن يدْعُوهُ فَإِنَّهُ يحتاج أن يصل قلبه إلى الرّب عزّ وجلّ قبل أن تصل الراء إلى الباء.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ محمد بن النضر: اللّٰهم أنت أدْخلتني في الإسْلاَمِ ومننت عليّ، فلا تخرجني منه كما أدخلتني فيهِ حتّى ألقاكَ.

وَكَانَ عَطَاء كثيراً ما يقولَ فِي دعائه: اللّٰهم ارحم غربتي فِي الدنيا، وَارحم مصرعي عندَ الموتِ، وَارحم وَحشتي في القبْرِ، وَارحَمْ مقامي بَيْنَ يَدَيْكَ.

وَكَانَ بعضهم يقولُ في دُعائِهِ: اللّٰهم إنِّي أعوذُ بكَ من الذلّ إلاّ لكَ، ومِن الفقرِ إلا إليكَ، ومِن العزّ والغنى إلا بكَ.

وَكَانَ أبُو عبد الرحمٰن الزاهد يقول فِي دُعَائِهِ: إلٰهي غيبت عني أجلي، وَزَيَّنْت لي

أملي، وَأحصيتَ عليّ عَملي، وَلاَ أدرِي إلى أيِّ الدارين تُصيرني، لقد أوقفتني مَوْقِفَ المحزونِين ما أَحْيَيْتَنِي.

وَكَانَ أَبُو سُليمان الدّارَاني يَقول في دعائِهِ: يَا من لا يأنس بشيء أبقاه، ولا يستوحش لشيء أفناه، وَيَا أنيسَ كُلّ غَرِيب، ارحم فِي القبر غربتي، وَيَا أنيس كلّ وَحِيدٍ آنس فِي القَبْرِ وَحْدَتي وَوَحْشَتِي.

وَكَانَ بعض التابعينَ يقولَ فِي دِعَائِهِ: إلٰهي أنت تعطِيني من غير أن أسألك فكيف تحرمني وَأنا أسألك، اللّهم إني أسألك: أنْ تُسْكِنَ عَظمتك قلبي، وَأَنْ تسقيني شَرْبَةً مِنْ كَأسِ حبك.

وَكَانَ جعفر بن محمدٍ الصَّادِقُ يَقُولُ إذا أصابه مَكرُوهٌ: اللّهم اجْعَله أدَباً وَلاَ تجعله غَضَباً.

وَكَانَ يحيى بن مُعَاذٍ يقولُ فِي دعَائِهِ: يَا مَنْ بالجُودِ قَدْ وُصِفَ، ارْحَم مَنْ بالذنبِ قَدْ عرف.

وَكَانَ يحيي يقول فِي دُعَائِهِ أيضاً: إلٰهي لا أقوى لشُرُوطِ التَّوْبَةِ فَاغفِر لي بِلاَ تَوْبةٍ.

وَكَان عليّ بن أبي طالبٍ يقولُ فِي دُعَائِهِ: إلٰهي عصيتك وَرَجوتك أنْ تستر عَلَيَّ عَوْرَتِي فسترتني، وَأَطَعْتُكَ، وَرَجَوْتَك أن تقبلَ طاعتي، فيا مَنْ حقق رَجائي عند المعصِيَة حقّقْ رجائي عندَ الطَّاعَةِ.

وَكَانَ يقولُ أيضاً: إلٰهي إنْ قبلتني فذاك مُرَادُ حبيبك محمد ﷺ، وَإِنْ رَدَدْتَنِي فذاك مُرَادُ عدوك إبليس، وأَنَا أعلم أنَّك تحبُّ مُرَادَ حَبيبك على مرادِ عدوك فَلاَ تَرُدنِي.

وَكَانَ الفضيل بن عِيَاضٍ يقولُ ويَدْعُو كثيراً: ارحمني فإِنَّكَ بي عَالِمٌ، ولاَ تعذبني فإِنَّكَ عليَّ قَادِرٌ.

وَدَعَا بعض الصَّالِحِينَ فقال: اللّهم إنَّك لا تنسانِي فاجعلني ممن لا ينساك.

وَقَالَ جعفر بن محمدٍ فِي دُعَائِهِ: اللّهمّ أَدِّبْنَا بِالتَّوْبَةِ وَلاَ تعذبنا بالعقوبةِ، اللّهمّ اجعل سُرُورِي فيما يقربني إليك.

وَعَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قالتَ: «اللّهم أقلِلْ مَؤُونَتِي» وَأَحْسِنْ مَعُونَتِي، وَأَعِنِّي عَلَى أَمْرِ دنياي وَآخرتي.

وَقَالَ ذُو النونِ المصري: إلٰهي أنْتَظِرُ عقوبتك كما ينتظرُهَا المذنِبُونَ، وَلاَ آيَسُ مِنْ

رَحْمَتِكَ التي يَرْجُوهَا المحسنون، إلٰهي جُودك بَسَطَ أَمَلِي، وَشكْرُكَ قبل عملي، فسُرني بلقائكَ عند اقترابِ أجلي.

وكَانَ بعضُ السَّلَفِ يَقُولُ: إلٰهي كمَا صُنْتَ وَجهي عن السجودِ لغيرك فَصُنْ وجْهي عن مسألة غيرك.

وَقَال يُوسف بن الحسين: إنا نَبَاتُ نِعَمِكَ فَلاَ تجعلنا حَصَائِدَ نِقمِكَ.

وَقَالَ أبو القاسم الحكيم رحمه الله: أولَى الدُّعَاءِ بالإجابة دُعاء الحال، قالَ الله تعالى ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ [الآنفال: ٦٦] قال: كفاهم علم الحال مؤنة الدعاء وتكلف السُّوال.

وَكَانَ من دُعَاءِ سَرّي السقطي: اللَّهم اجعل حَظي منك علمي بك، وَاجعل فِرَاري منك دَليلي عليك.

وَكَانَ منصور بن عَمَّارٍ يقولُ في دُعَائِهِ: اللَّهم حَوّلني عما يسخطك مني إلى ما يُرْضِيكَ عَنّي.

وقال بعضهم في دعائه: اللهم ما قَدْرُ طاعاتٍ يُقابَل بِهَا نعمُك. وما قدر ذنوب يُقابَل بها كرمُك فإني لأرجو أن تكون ذنوبنا في كرمك، أقل من طاعتنا في نعمك.

وَقَالَ إبراهيم عليه السلام حين ألقي به في النار: بك نالني ما تَرَى وَبِك أنجو مما أرى. وقَالَ يحيى بن مُعَاذ الرازِي: إلٰهي، تحجبني حَاجتي وَوَسِيلَتي، فَإِنَّنِي إلٰهي أدعوكَ اضطِراراً وَأَنتَ تجيبني اختِيَاراً.

وكَانَ الشبلي يقولُ: يَا مَنْ لاَ بُدّ لنَا منه هَب لنَا مَا لا بدّ لنا منه، وَهُوَ أنتَ.

وَقَالَ يَحْيَى بن معاذٍ: إلٰهي، لسوءِ ما عندي أخافك، ولِفضل مَا عندكَ أرجُوك، فَلاَ تمنعني فضل ما عِنْدَكَ بِسُوءِ مَا عندي يَا مولاي.

وَقَالَ يحيى بن معاذٍ: هبني لكَ لأنّي لَكَ.

وَعَنْ جعفر بن محمدٍ، عن أبيهِ قال: كَانَ بعض التابعين يقول: إلٰهي، أمَتّ قلبي بخوفِك وخَشيتِك فاحْيِه بحبك وَذكرك.

وَسَألَ الناس الشبلي الدعاء، فمد القوم أيديهم وَجعل الشبلي يقولُ: اضربهم بسياط الخوفِ، وَأَقبل بهِم بأزِمَّةِ الشوق، وَأفنهم عَنْ مُوافَقاتِ الرسوم، وَأَعنهم بِملاحظات الفُهُوم، وَلاَ تقطعهم بحواجب العلم، وَأوصلهم بأعلامِ السلام، اهتك أستارهم عَنْ غفلتِكَ، وَاسْتُرهُمْ

عَنْ مطَالَبَاتِ وَحشتك، عرفهم مَواضع الفهم.

وَقَالَ سرِي السقطي في دُعَائِهِ: افعل بِنَا ما يفعَل الكريم بآمليه، فإن الكريم إذا قدر عَفَا. وَكَان يقولُ أيضاً في دُعَائِهِ: إلٰهي، مهما عذبتني بشيء فلا تُعذبني بذلِّ الحجابِ.

وكَانَ يحيى بن معاذ يقولُ فِي دعَائِهِ: إلٰهي، أدعوك في الملأ كما يُدعَى الأربابُ، وأدعوكَ في الخَلاَ كما يدعى الأحبابُ، فأَقولُ في الخلا: يا حبيبي، وَأَقولُ في الملأ: يَا إلٰهي.

وَفِي دعائِهِ أيضاً: إلٰهي وسيدي، وأملي، ومن به تمّ عملي، اللّٰهم إني أدعوك بلسان أملي، حين كَسَل لسانُ عملي، اللّٰهم إن أنجيتني أنجيتني بعفوك، وإن عذبتني عذبتني بعدلك.

وَكَانَ من دُعاء ذي النُون: اللّٰهم إن الحولَ حولُكْ، وَالطَوْلَ طولُكْ، وَلَكَ في كلّ خلقَك حَولٌ وَقوة، أنت الفعال لما تشاء، يا منْ كُلُّ مُدْرَكٍ فَمِنْ خَلْقِهِ، وكلُّ محدودٍ فمن صنعه، أنت الذي لا تُدْرَكُ في الدنيا بالعِيَان، وَلاَ يستغني عنكَ مَكَانٌ، وَلاَ يشغلك شأن عن شأنْ.

وَدَعَا يُوسف بن الحسين فَقال: اللّٰهم أعطِنَا مَا تريده منا يَا مَنْ أعطانا الإيمان مِنْ غَيْرِ سؤال، لا تمنعنا عفوكَ مَعَ السؤال، وإنا إليك آيبون تَائِبُونَ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ الشبلي: اللّٰهم إني أسألُك بحقّك عليك، فلا حقَّ أحقُّ من حقك عليكِ، وبحقك عَلى أهل الحقّ وبحقِّ الحقّ عليك، وبحقّ كل ذي حقٍّ عليك، بأزليَّتك وقِدَمِكَ، وبعلمك بكلّ شيء، وملكك لِكُلِّ شيء، وقدرتِك على كل شيءٍ، أن تصلي على محمد عليه السلام، وأن تفعل بي كذا وكذا.

وقَالَ بعضهم لسري: ادع لي، فقالَ: [أسأل الله] أن يجمع بيني وبينك تحت شجرة طوبى.

وَقَالَ رَجل لبعضهم: ادع الله تعالى لي، فقالَ: أدْعُو لكَ وَلكن ينبغي أنْ تكونَ أنت بالحضرة، فإذا دعوتُ لكَ ولم تكن بالحضرة لم ينفع الدعاء.

وقيل: صدق الإجابة منْ رَبِّك عزّ وجلّ في صِدْقِ الدُّعَاءِ مِنْكَ.

وَرَأى بعضهم عَائشة رضي الله عنها في المنام فَقَالَ لها: عَلِّميني دُعَاء، فقالت: «قل: اللّٰهم أقلِل مؤونتي، وَأحسِن معونتي، وَأَعني على دنياي وآخرتي» فَقَالَ: زيديني، فقالت: «يكفيك».

وَكَانَ مِنْ دُعَاء إبراهيم بن أدهم: يَا رَجَاء كلّ قويّ وقوّة كل ضعيف، وَيَا عِزّ من اعتزَ بِكَ ويا ذُلّ كلّ من اعتزّ بغيرك، أنتَ القوي العزيز.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ أبي عثمان: اللَّهُمَّ أغننا بالافتقار إليك، ولا تفقرنَا بالاستغناء عنكَ، اللَّهم عظمني بالتَّواضعِ لكَ، ولا تصغرني بالتعظيم عليك.

وَأَنْشَدَ شعراً فِي الدُّعَاءِ:

دعَوتك يا رب البريةِ راجِياً ... لتجلوَ أحزاني وتجبُرَ حاليا

وَمَا لي إلٰهي أرتجي جمع حاجتي ... لديه سواك، اليوم فاسمع دعائيا

أتيتك والإسلام ديني ومنهجي ... إليك، صروفاً مِنْ زماني شاكيا

إذَا كنتَ ربِّي غيرَ كافٍ لحاجتي ... فمنِ الَّذي أرجوه بعدك كافيا

وكانَ مِنْ دُعَاءِ بَعضِ المشايخ لنا الليل والنهار: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار.

بَابُ مَنْ أُجِيبت دعوته منهم

أخبرنا أبو سعدٍ أخبرنا أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي، قَال: حدّثنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفي، حدّثنا محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدّثنا أبي عن محمد بن المهاجر، حدّثنا إبراهيم بن محمد بن سعدٍ، عن أبيه، عن جده قال: كنا جلوساً عند رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: «ألاَ أدلّكم أو ألا أخبركم بدعاءٍ إذا نَزَلَ بأحدكم هم أو بلاء من الدنيا دَعَا بِهِ ففرج عنه»، قالوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «دَعَاء ذي النون بـ ﴿لا إِله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له، فنجيناه من الغَمّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾»[1].

وَقَالَ سَيار: إن وهباً دَعَا الله تَبَارك وتعالَى أن يرفع عنه النوم باللَّيل، فذهب عنه النوم أربعين سنةً.

وَقَالَ الواقِدِي: سمعت يوسف بن المنكدر يقول: قَدِم رَجل مِنْ خراسان فأودع أبي أربعمائة دينار، فقال أبي: ربما احتجتُ إليها فأخذت منها، فقالَ: لا بأسَ أليسَ تردها عليّ، فقال بلى إن شاء الله، فأنفقها أبي كلها، فَقَدِم الرجل فقال أبي: ترجع غداً فلما كان في بعض اللَّيْل قَامَ فَتَوضأ وَصَلَّى وَدَعَا، فَقَالَ: إلهي، قد انْقَطَعَ رَجَائِي عَنِ الخلقِ وأنتَ ثقتي ورجائي، فَلاَ تفضحني، فإِذَا رَجُلٌ دفَع إليه منديلاً فيهِ أربعمائة دِينَارٍ، فَقَالَ: خذها وَاجعَلها في حَاجتك.

وعَنْ عطية بن بقية قال: كَانَ إبراهيم بن أدهم بمدينةٍ تسمى مرو الروذ وَهُوَ يتوضأ إذ وقَعَ رَجل من القنَطرة، فَقَالَ إبراهيم: اللَّهم امسكه فثبت معلقاً بين السماء والأرض حتى دَنَا الناس منه فأخذوهُ.

وَحُكِيَ أَنَّ أَبَا حفصٍ النيسابوري دَخَلَ مَكَّةَ فَرَأَى جَمَاعَةً فأراد أن يبرهم بشيء فلم يكن يفتح له بشيء، فلما جنه اللَّيل أخذ كفاً من حِجَارة المسجد، وَقَالَ: وَعِزّتِكَ إن لم يفتح لِي بشيءٍ لأكسرنّ القناديل، قالَ: فأخذ في الطّواف فناوله إنسان صرّة فقضى بها حاجته.

---

(١) حديث: ألا أخبركم بشيء إذا نزل بأحدكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به فيفرج عنه، دعاء ذي النون: لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج والحاكم عن سعد. وفي رواية: دعوة ذي النون الذي دعا بها وهو في بطن الحوت لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلاّ استجاب الله له. رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي والضياء بسندهم عن سعد. (الكنز ٢/١١٨ الحديث ٣٤١٨ ـ ٣٤١٩).

وَعَنْ مَهْدِي بنُ مَيْمُون قَالَ: خرجتُ فِي بعضِ الليل إلى الجنان، فإذَا عتبة الغُلاَمُ، فقالَ لِي: جئت لَقَدْ دَعوتُ الله: أنْ يجيء بك، قلتُ: ادع الله تَعَالى أنْ يطعمنا رُطَباً، قَالَ: فدعَا الله سبحانَهُ وَتَعَالَىٰ فَإِذَا دَوْخَلّة مِنْ رُطَبٍ.

وَكَانَ لإبراهيم الهَروي[١] جَاهٌ عظيم بهراة، قَالَ إبراهيم: حججتُ حجاتٍ على التَوكُّلِ ادْعُو الله فيهَا وَأقولُ: اللَّهُمَّ اقطع رِزقي عَنْ أموالِ أهل هرَاة، وَزَهِّدْهُمْ فِيّ قَالَ: فَكنتُ بعد ذلك أجوع الأيام فَأمُرُّ بالسوقِ فيقولون: هَذَا الفاعل ينفق فِي كُلِ ليلةٍ كَذَا وَكَذَا درهماً.

وَقَال ذُو النون: أتتني امرأةٌ فقالَتْ: إن ابني أخذه التمساحُ السّاعَةَ فرأيت حُرقتها، فَأتَيْت النيل، وَقلتُ: اللَّهُمّ أظهر التمساحَ، فخرجَ إليّ فشققتُ جوفَهُ وَأخرَجْتُ ابنهَا صحيحاً حَيًّا، فَقَالَتْ: كنت إذَا رَأيتك سَخِرْتُ منك فَأنَا تَائِبَةٌ إلى اللَّهِ.

وَعَنْ أبي إسْحَاق الحَنبلِيّ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى علي بن عبد الحميدِ الغَضَائري[٢]، فوجدتهُ مِنْ أفضل خلق الله وَأعْبَدِهِمْ، وَكَانَ لا يتفرغ مِنَ الصلاةِ آناء الليل والنهار، فانتظرتُ فراغهُ، فقلتُ لَهُ: إنا قَدْ تركنَا الآبَاءَ والأمهاتِ وَالأهل والمواطنَ بالرحلةِ إليك، فلو تفرغتَ لَنَا سَاعة فَتُحَدثنا مِمّا أتاك اللّه تَعَالى مِنَ العلم، فَقَالَ: أدْرَكَنِي دُعَاءُ الشيخ الصَّالحِ سري السقطِي جئت إليهِ يوماً وفرغْتُ بِهِ فقالَ: مَنْ ذَا؟ قلتُ: أنا، فسمعتهُ يقولُ قبل أن يخرجَ إليَّ يناجي: اللَّهُمَّ مَنْ جَاءني يشغلني عَنْ مناجَاتِك فاشغلهُ بِكَ عَنّي، فَمَا رَجَعْتُ مِنْ عندهِ حتى حببت إلَيّ الصلاةُ والاشتغال بذكرِهِ حتى لاَ أفرغ إلى شيء سواهُ ببركَةِ ذلك الشيخ.

وَعَنْ بعضِ الصَّالحِين قَالَ: كنتُ مَاراً فِي بعضِ الطريق فرأيتُ جَارية حسناء، فقلتُ: اجعل حَظِي مِنْ نظرِي إلَيْهَا إنْكَارِي عليهَا، فقلتُ لَهَا: يَا جَارِية تمشِيْنَ وَأنتِ مَكشوفة الوجهِ فقالَتْ: بِأبِي مَنْ يُحَمّشُ بالتُقى، فلمَا علمتُ أنها قد عَلمَتْ مَا فِي نفسِي صحت صيحة وَسَقطتُ، فجاءت وَأخذت رَأسِي وَوَضَعَتْهُ عَلَى فخذهَا وَرَفعت رَأسَهَا، وَقَالَتْ: سيدي

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن حاتم أبو إسحاق المعروف بالهروي، أصله من هراة، سكن بغداد، قال عنه إبراهيم الحربي: كان إبراهيم الهروي حافظاً متقناً تقياً ما كان ههنا أحد مثله يديم الصيام إلى أن يأتيه أحد يدعوه إلى طعامه فيفطر. مات في شهر رمضان بسر من رأى (أي سامراء الآن) سنة ٢٤٤ هجرية. (تاريخ بغداد ٦/ ١٢٠).

(٢) علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان، أبو الحسن الغضائري، سكن حلب، وحدّث بها وكان ثقة، سمع السري السقطي، توفي في شوال من سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة هجرية. (تاريخ بغداد ١٢/ ٢٩).

خلقت لِي صورَةً تُعْصَىٰ مِنْ أجلهَا، سَألتُكَ بِكَذَا وَكَذَا إلاَّ شَوهْتَ خلقِي، فرفعت رأسي فإذا وَجه الجاريةِ أسود، ثُمَّ قَالَتْ: أنتُمْ صوفية الْبَرِّ والسَّفَرِ، وَنحن صوفية البيت والحضر.

وَعَنْ جعفر الدبيلِي قَالَ: دَخَل أبو الحسين النوري الماء، فَجَاءَ لِصٌ فَسَرَقَ ثيابَهُ، فَجلَسَ وَسَطَ المَاءِ، فلم يكن إلاَّ قليل حتى أقبل اللِّصُ مَعَ ثيابِهِ فوضعهَا بين يديهِ وَقَدْ جفت يده اليمنى، فَقَالَ النوري: قَدْ رَدّ على ثيابِي، فردَ الله يَدَهُ عليهِ.

وَعَنْ محمدِ بن الفرجي قَال: دَخلتُ مكة فوجدت بِهَا شَاباً ضَريراً، ثم غبت عَنْهَا أربعينَ سنة وَدَخَلتها فوجدتهُ شيخاً بَصِيراً، فقلتُ لَهُ: إني لأرى شيئاً عجباً، قَالَ: وَمَا الذي ترى؟ قلتُ: رَأيتك شاباً ضَرِيراً وَأراك اليوم شيخاً بصيراً، قَالَ: نَعَمْ خرجتُ ليلةً مقمرة أطوفُ حول البيتِ، فلما أتَيْت الركْنَ لأستلم الحجر وَقعت عيناي على امرأةٍ حَسْنَاء جميلة، فَأَخَذَتْ بقلبي، فقلتُ: اللَّهُمَّ إنَك تعلم أني مَا تعمدتُ معصيتك، وَلاَ كَانَتْ نيةٌ مِني، لَكن عيناي عصتاك فخذهُمَا فلا حاجة لي فيها، فأصبحت ضريراً كما رأيت، فلما كانت ليلة مظلمة مرعدة مبرقة ممطرة، قمت لوردي فطلبت طهوري فاستصعب على طلبه، ثم قلتُ: اللَّهُمَّ إني قد احتجت إلى عيني لإقَامَةِ حقك، اللهمَّ فَرُدَّهُمَا عليّ، فأصبحت كَمَا ترى.

وَعَنْ أبي مهلهل سعيد بن صَدَقة قال: جَاءَ إبراهيم بن أدْهَمَ إلى قوم قَدْ ركبُوا سفينة فِي البحر، فقال صَاحِبُ السفينة: هَاتِ دِينارين، فقالَ: ليسَ مَعِي شيء، وَلَكِنْ أعطيك بين يدي، قَالَ: فعجب منه وَقَالَ: إنما نحنُ فِي بحر، فكيف تعطيني؟ قَالَ: ثم أدْخَلَهُ فَسَارُوا حَتّى انتهَوا إلى جَزيرةٍ فِي البحرِ، فقالَ صَاحِبُ السفينةِ: وَاللَّهُ لأنْظرن مِنْ أينَ يُعطيني هَلْ خَبأ هُهُنَا شيئاً، فقالَ لَهُ: يَا صَاحب الدينارَين أعطني حقي، قَالَ: نَعَمْ، فخرجَ إبراهيم وَمَضَى فاتبعه الرجل وَهُوَ لاَ يدري، فانتهى إلى الجزيرةِ فركع، فلما أرَادَ أن ينصرف قَالَ: يَا رَبّ إن هذا قد طلبَ مِنِي حقه الذي لَهُ عليّ فاعطِهِ عني، قَالَهُ وَهُوَ سَاجد، فرفع رَأسَهُ فَإذَا حوله دَنَانير قَالَ: وإذَا الرجل عنده، فقالَ: خذ حقك وَلا تذكره لأحدٍ، قَالَ: وَمَضَوا فأصَابتهم عجاجَةٌ وَظلمة فَأحَسُوا بِالموتِ، فقالَ الملاحُ: أينَ صَاحِبُ الدينارَين أخْرجوه، قَالَ: فَجَاؤهُ فقالُوا لَهُ: أمَا ترى مَا نحن فيهِ، ادعُ الله معنا، فرفع يديهِ وَأرْخَا عينيهِ وَقَالَ: يَا رَبّ يَا رب قد أريتنا قدرتك فَأرِنَا رَحمتك، قَالَ: فَسَكَتت العجاجَةُ وَسَارُوا.

وَقَالَ ثابتٌ البنَانِي: قيل لأنس بن مالك رَضِيَ الله عنه: قد عطشت أرضك، قَالَ: فتوضأ وَخَرجَ إلى البريةِ فصلى وَدَعَا، فنشأت سحابَة حتى مَطرت بِأرضِهِ فملأتْ كُل شيء

فقال أنسٌ: لبعض مَنْ مَعَهُ انظُرْ أين بلغتِ السحَابَةُ، قَالَ: فنظرُوا فلم تَعْدُ أرضهُ، قَالَ: وَكَانَ ذلك فِي الصيفِ.

قَالَ: وَأصَابَ عبدَ الواحد بن زيد فَالج وَصَارَ فِي حَالٍ لا يمشِي وَلاَ يتحرك فاحتاجَ إلى الوضُوءِ، فقالَ: مَنْ هَاهُنَا؟ فلم يجبه أحد، فقالَ: يَا رَبِّ احللني مِنْ وِثَاقِي حتى أقضي حَاجَتِي ثم أمرك فِيّ بعد، قَالَ: فنشطَ والله حتى قضى حَاجَتَهُ مِنْ وُضوئِهِ ثُمَّ عَادَ إلى فِرَاشِهِ فعاودهُ دَاؤهُ بعد ذلك.

وَعَنْ معتمر أنَّ رَجُلاً كَانَ فِي سفر مع أصحابه، فأبقَ غلامُهُ بفرسِهِ، فلما أرَاد أصحابُهُ أنْ يرتَحِلُوا توضَأ الرجل وَصَلى رَكعتين وَقَالَ: اللهم إنك تعلم حَاجَتِي فأقسم عليك لَمَا رَددت عليّ فرسي، قَالَ: فسمع وجبةً[1] فَإِذَا هُوَ بالغُلاَمِ مكتوفاً بشطن[2] الفرسِ.

وَقِيل لحيوة بن شريح[3] وَكَانَ ضيق الحالِ جِدّاً: لو دَعَوتَ الله تَعَالى لوسع عليك، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فأخذ حصَاةً مِنَ الأرضِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجعل هذهِ ذهباً فحولهَا الله تَعَالى تبرةً فِي كفهِ مَا رُؤيَ أحسن مِنْهَا، فَرَمَى بِهَا إلى بعضِ أصحابِهِ وقال: وَمَا خير الدنيا إلا للآخِرَةِ، هُوَ أعلم بما يصلح عِبَادَهُ.

وَقَالَ كعبٌ: قَال الصبيانُ لأبي مسلم الخولانيّ: ادْعُ الله تَعَالى أن يحبس علينَا هذا الظَبْيَ، فدعَا الله تَعَالىٰ فحَبَسَهُ عليهم حتى أخَذُوهُ.

وَسَقطت إبرة أبِي رَيحانَة فِي البحرِ فقالَ: أي رَبِّ، عزمتُ عليك لما رَدَدْتَهَا، قَالَ: فظهرتْ حتى أخذها.

وَعَنْ أحمدَ بن عطاء الجهيمي قَالَ: قَالَتْ أمِيّ: قل لبعضِ فتياننا يجيء بفسيلة فَجَاء بِهَا وَغَرَسْنَاهَا فِي الدارِ، وَخَرَجت أمي فتوضَأتْ للصلاةِ فِي أصلها، وَخَرَج بنَاتُ بَنَاتِهَا

---

(١) الوَجْبَةُ: السَّقْطة مع الهدَّة، أو صوت الساقط (مادة و ج ب).

(٢) الشطن: الحبل الطويل.

(٣) حيوة بن شريح بن صفوان الإمام الرباني، الفقيه شيخ الديار المصرية، أبو زرعة التجيبي المصري، وثقه أحمد بن حنبل وغيره، وكان مستجاب الدعوة قال ابن المبارك: وصف لي حيوة فكانت رؤيته أكثر من صفته، عن خالد الغزر قال: كان حيوة بن شريح من البكائين، وكان ضيق الحال جداً يعني فقيراً مسكيناً، فجلست وهو متخلٍ يدعو، فقلت: لو دعوتَ الله أن يوسع عليك!؟ فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، فأخذ حصاة، فرمى بها إليّ، فإذا هي تبرة في كفي، والله ما رأيت أحسن منها، وقال: ما خيرٌ في الدنيا إلاّ للآخرة، ثم قال: هو أعلم بما يصلح عباده. فقلت: ما أصنع بهذه؟ قال: استنفقها، فهبته والله أن أردها. توفي سنة ١٥٨ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٤، الشذرات ١/ ٢٤٣).

فقلن: يَا أمَّاهُ كَأنك قد أكلت مِنْ ثمرتِهَا، فقالَتْ: اللَّهُمَّ إنهن يهزأن بِي، اللَّهُمّ لا تمتني حتى تعجل علي مِنْ ثمرتها، وَدَخلتِ البيتَ وَخرجْنا فَإذَا الأغداق على النخلةِ متدلية، وَإذَا بينَ القمح والبُسَر مثل القند(١)، قَالَ: وَتَداعَى الناسُ فحمل إلى المهدي من ثمر تلك النخلةِ.

وَعَنِ النضر بن شميل قَالَ: ابتعت إزاراً فوجدته قصيراً، فسألتُ الله عَزَ وَجَل أن يزيدني فيهِ ذِرَاعَاً، ففعل ذلك، وَلَو سألتهُ أن يزيدني لزَادني.

[وعن] إسحاق بن إبراهيم الصوفي قَالَ: إن رجلاً كَانَ فِي مَرْكَبٍ فِي البحرِ فِي ليلةٍ مظلمة شديدة الريح، إذْ قَامَ يتوضَأ فزلَّتْ رِجْلُهُ فسقطَ فِي البحر، فقالَ: يَا حي، لاَ إلَه إلاَّ أنْتَ، ثم غمرهُ الموجُ حَتَّى إذا لم يُرَ دَفَعَهُ مَوجٌ آخَرَ، فقال: يَا حي، لاَ إله إلاَّ أنْتَ ثلاثَ مَرَاتٍ، قَالَ: فسمعِ أهْلُ المركبِ منادِياً: لبيك لبيك نِعْمَ الرَبُ نَادَيت، ثم اخْتُطفَ من وسطِ البحرِ حتى وضع فِي وسَطِ الناس.

وَكَانَ فِي عسكر خالد بن الوليد مِنْ يشرب الخمرَ، فركبَ فرسَهُ، فَإذَا رَجل على مسح فرسهِ زقٌ فيهِ خمرٌ، فقَالَ لَهُ خَالِد: مَا هَذَا؟ فقالَ: خَل، فقَالَ: اللَّهُمَّ اجعلهُ خَلاً، فلما رَجَع إلى أصحابهِ قَالَ: قد جئتكُمْ بخمرٍ لم تشرب العرب قط مثلها، ففتحوهَا فَإذَا هِي خلٌ، فقالَ: هَذَا وَالله دَعوة خَالد بن الوليد.

وَعَنْ شريح العابد قَالَ: ذَهَبَ بصري فرأيت فِي المَنَام: إحْصِ تهليلات القرآن، وَادْعُ الله عَزَ وَجَل بِهَا، فإنَّ الله عَزَ وَجَل شَافٍ بَصَرَك، ففعلتُ ذلك فردَّ الله عَزَ وَجَل علي بصري، فأتيت فُلاناً رَجُلاً سَمَاهُ، فسألني عَنْ حَالِي، فقصصتُ عليه القصة، فقالَ لِي: هَلْ استخرْت الله تَعَالى فيهِ، فقلتُ: لاَ، فقالَ استخر الله تَعَالى فِي ذلك، فاستخرتُ الله تَعَالى فَذَهَبَ بصري. وَقَالَ ابن رِفاعة: فأنا رأيتهُ بَصِيراً، ثُمَّ رَأيْتهُ ضريراً، ثُمَّ رأيتهُ بَصِيراً، ثُمَّ رَأيتُهُ ضَريراً.

وَأصيبَ أبو معاوية الأسود ببصره فقالَ: يَا رَبّ، قد عرفت محبتي للقرآن نظراً فَحُلْتَ بيني وبين ذلك؟ فَكَانَ إذَا أخذ المُصْحَفَ أبصر مَا فيهِ، فَإذَا وضعهُ عَادَ إلى حَالتِهِ.

وكان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه عز وجل فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها.

---

(١) القَنْدُ: عسل قصب السكر إذا جُمِّدَ (القاموس مادة ى ن د).

وَكَانَ حَيْوة بن شُريحِ مستجابَ الدَّعْوةِ، فَكَانَ يوماً يتوضأ وَبين يديهِ دِيك يصيح، فقالَ: أعمى الله بصرك، فعمي ذلك الديك، فَنَدِمَ حَيْوةُ وَقَالَ: أستغفر الله تَعَالى، اللَّهُمَّ رُد بصره فردَ الله تَعَالى بصره، فاستجيبت لَهُ دَعوتان فِي سَاعةٍ واحدةٍ.

وَعَنِ ابن عباسٍ رَضِي الله عَنْهُ قَال: كنتُ جَالِساً مَعَ زياد وأتاني رَجل يحمل مَا نكاد نشك فِي قتلهِ، قَالَ: فرأيتهُ حرك شفتيهِ فَخُلي سبيلُهُ، فَقَامَ إليه رَجل من القوم فقالَ: لقد جيء بِكَ وَمَا نكاد نشك فِي قتلك فحركت شفتيك بشيء فخلّىٰ سبيلك، فما قُلتَ؟ قَالَ: قُلتُ: اللَّهُمَّ رَبّ محمد، وَرب إبراهيم، وَرَبَّ إسحاق، وَرَبّ يَعْقُوب، منزلَ التورَاةِ وَالإنجيل وَالقرآن اصْرفْ عَنّا شَرَّ زِيَادٍ.

وَرُوِيَ أنَّ رَجُلاً كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَنَفَقَتْ دَابتُهُ، وَجَعَلَ يَشْكُو إلى مَنْ يَمر بِهِ، فيدعُونَ لَهُ حتى مَرّ بِهِ أبُو مسلم الخولانِي[1]، فمشى إليهِ فنزل فتوضأ مِنْ إدَاوةٍ كَانَتْ مَعَهُ، ثم رَكعَ رَكعتين ثُمَّ دَعَا الله عَزَ وَجل أن يُجيبه، فانتفضَ الفرسُ فنهضَ إليهِ، فقالَ لِصَاحِبِهِ: شد عليهِ سَرجك فوضعَ عليهِ سَرْجَهُ ثُمَّ رَكِبَهُ حتى إذا بلغ مَأمَنَهُ خَرّ الفرسُ فَنَفَقَ.

وَعَنْ منصورِ بن إسماعيل الفقيه قَالَ: كنت إذا نظرتُ إلى الشيء الحسن أخذ مِني مأخذاً، فسألتُ الله عَزَ وَجل أن يذهب بصري فَذَهَبَ.

وَيُروى عَن صَالح المري قَالَ: كَانَ عَطَاء السلمي رَحِمَهُ الله لاَ يكاد يَدعو إنَّما يَدْعو إخوانُهُ وَيؤمِنُ هُوَ، فَحُبِسَ إنسَانٌ فَقِيْل للمحبوسِ: ألك حَاجَةٌ؟ قَالَ نَعَمْ، دُعَاء عَطَاءِ السُلمي، قَالَ صَالح: فأتيتُهُ فقلتُ: يَا أبَا مُحَمّد إن أخاك فُلاَنٌ قَدْ حُبِسَ فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى أنْ يفرجَ عَنْهُ، قَالَ: فرفع يده وَقَالَ: اللَّهُمَّ إنك تعلم حاجَتَنَا قبل أن نَسْألَهَا فاقضِهَا لَنَا يَا رَبّاهُ، قَالَ صَالح: فوالله مَا بَرِحْنَا مِنَ البيتِ حتى دَخل علينا الرجلُ.

وَخرقت الفَأرَةُ جراباً لِوُهيب بن الوردِ فيهِ سَوِيقٌ، فقالَ: اللَّهُمَّ أَخْرِجْهَا فَقَدَ أفسَدَتَ عَلَيْنَا جَرَابنَا، فخرجَتِ الفَأرَةُ مِنْ جحرِهَا فاضطَرَبَتْ بين يديه حَتى مَاتَتْ.

وَعَنْ عَمْرو السَرَايَا قَالَ: كنت أدخل بلد الرُومِ كثيراً، فدخلتُ مرةً فأوثقت فرسِي إلى

(١) أبو مسلم الخولاني الداراني سيد التابعين وزاهد العصر اسمه عبد الله بن ثوب على الأصح، قدم من اليمن وأسلم أيام النبي ﷺ ودخل المدينة في خلافة الصديق وكان من العابدين الساجدين. عن شرحبيل أن رجلين أتيا أبا مسلم فلم يجداه في منزله فأتيا المسجد فوجداه يركع فانتظراه فأحصى أحدهما أنه ركع ثلاثمائة ركعة. وكان مستجاب الدعاء، يروى أن امرأة أفسدت عليه زوجه فدعا عليها فعميت فأتته فاعترفت وتابت فقال: اللهم إن كانت صادقة فاردد بصرها فأبصرت. توفي سنة ٦٢ هجرية (سير أعلام النبلاء ٤/ ٧، الحلية ٢/ ٢٢، الشذرات ١/ ٧٠).

شَجَرَةٍ، ثُمَّ قمتُ أصلي فإذا أنا برومي قد طلع عليّ فهالني، فقال: يا أعرابي اختر إن شئت مطاعنة وإن شئت مسايفة، وإن شئت مصارعة، قلت: أما المطاعنة والمسايفة لا بُقْيَا لَهُمَا، فإنْ كَانَ لاَ بُدّ فالمُصَارَعَةُ، قَالَ: فنزلَ فَصَارَعَنِي، فما لبثتُ أنْ قعدَ على صدرِي قَالَ: فقالَ: يَا أعرابي اختر أَيَّ قتلةٍ أقتلك، فذكرتُ هَذَا الدعاء فرفعت طَرْفِي إلى السَمَاءِ وَقلتُ: أشهَدُ أن كُلَّ مَعْبُود، مِنْ دون عرشك إلى قرار أرضك، بَاطِلٌ غيرَ وَجهِك الكَرِيم، قد ترى مَا أنَا فيهِ ففرج عني، قَال: فكأنَّمَا أُغمِيَ على بَصَرِي، ففتحتُ عَيني فَإذَا هُوَ صَرِيع مقتولٌ بين يدي.

وَعَنْ حَمّادِ بنِ زيدٍ قَالَ: خرجتُ مَعَ أيُوبَ السختياني إلى مَكَةَ ـ حرسهَا اللَّهُ تَعَالى ـ فَأصَابني عَطَشٌ، فَشَكَوْتُ إلى أيوبَ فقالَ: أتكْتُمُ، قلتُ: نَعَمْ، قَالَ: فاعتزل الطريقَ وصلى رَكعتين، ثُمَّ دَعَا، ثم بَحَثَ الأرضَ بيدهِ فنبعَ الماء، فقالَ: اشْرَبْ، فَشَرِبتُ حتى رويت، ثُمَّ سَوى عليهِ التُرابُ ثم انطلقنَا.

وَعَنْ بعضهم أنَهُ مَرِضَ مرضاً شَدِيداً، فدخل عليهِ بعض أصدقائِهِ فقرأ عنده فاتحةَ الكتابِ مِرَاراً، ثم قَالَ: أسألك باسمك العظيم رَبّ العرشِ العظيم أنْ تمسح مَا بِهِ فشفي.

وَعَنْ هَارُونَ بن هلالٍ قَالَ: خرجَ رَجل فِي سفرٍ فِي غزوةٍ فِي البحرِ وَكَانَتْ امرأتُهُ حَامِلاً فأمَرّ يَدَهُ عَلى بطنها، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمّ اسْتَوْدَعْتك مَا فِي بَطْنِهَا، قَالَ: فَماتَت تلك المرأةُ فِي حبلها فَكَانَ أهلُ المدينةِ يَرَون كُل ليلةٍ فِي قبرِهَا سِرَاجاً، فلما قدم زوجُهَا أخْبَرُوهُ بِمَوْتِهَا ثُمَّ أخبر بالسِراجِ، فقالَ: لأنظرنّ هَذَا، فخرجَ ذَاتَ ليلةٍ فرأى السِرَاجَ، فأتى القبر فحفرهُ فَإذَا هِيَ ترضِعُ ابنها، فكلمتْهُ وَهِي ميتة خُذْ مَا استودَعت رَبك عَزَ وَجَل، أما أنك لو كُنْتَ استَوْدَعْتَنيهِ لَمَا مُتُ.

وَذُكِرَ أن ذا النون المصري خَرَجَ يستسقي وَهُوَ بِمِصر، فاستعانَ بمفلوجٍ قد قطعَ الجُذَامُ يَدْيهِ وَرِجلَيْهِ وَسَألَهُ أن يستسقِي، فنظر المفلوجُ إلى السماءِ وَضحك وَقَالَ: بقرب مَا بيننا البارِحَةَ ثُمَّ قَالَ: إلٰهي، خَلقتني وَرَزقتني وسترتَنِي، وَعَنْ العِبَاد بفضل مَا خَوّلتنِي أغنيتَني، وَإذَا مرضتُ شفيتني، وَإذَا دَعُوتُ أجبتني، وَإذَا هربت رَدَدْتَنِي، وَإذَا زَللتُ أَقَلْتَنِي، وَإذَا غَضِبْتَ رَحمتني، وَإذَا اطلعتَ جَزَيِتِنِي، يَا سَيّدِي كُنْ رَاضِياً عني فقد أرضيتني، ثُمَّ قَالَ يَا ذَا النُون، إن الله عَز وَجل يريد قربَ القلوب لا عَمَل الجوارح، فَمُطِرْنَا كَأفواهِ القِرَبِ.

بَابٌ فِي ذِكْرِ آدَابِهِمْ فِي التَّزوِيجْ

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ، أخبرنَا أَبُو عَمْرو محمد بن جعفر بن مَطرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أحمد بن حَمْدَان بن إسحَاقَ الْعَسْكَرِيُ، حَدَّثَنَا أَبُو الوليدِ أحمد بن عبد الرحمن بن بَكَارِ القرشي، حَدَّثَنَا الوليدُ بن مسلم، حَدَثَنَا شَيَبَانُ بنُ شبيبٍ، عَنْ عرقدة البَارِقِي، عَنْ سُليمان بن عَمْر بن الأحوصِ، عَنْ أبيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي خطبتهِ يَوْمَ النحرِ فِي حجةِ الوَدَاعِ: «ألا فاتقوا الله تَعَالَىٰ فِي النِسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، ليسَ عليهن سبيل إذا أطعنكُمْ لَكُمْ عليهنَ حقٌ، وَلَهُنَّ عليكُمْ حقٌ، إنَّما أخذْتمُوهنَّ بأمَانةِ عَز وَجَلّ، واستحللتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكلمة اللَّهِ تَعَالى، وَحقكُمْ عليهنّ أن لا يُوطِئنَ فرشكُمْ مَنَ تكرهون، وَلاَ يأذَنونَ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، فإنْ فعلن فاهجُرُوهن واضربُوهُنَّ ضربًا غَيْرَ مُبَرحٍ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، وَإِنَّ مِنْ حقهن عليكم رزقهنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالمعروفِ»[1].

وَقَالَ بعض الحُكَمَاءِ: ينبغي للمتزَوِجِ أنْ تكون الأهلُ دُونه بِأرْبع وَإلاَّ استحقرتْهُ؛ بِالسِنِ، وَالطولِ، وَالمَالِ، والحَسَبِ، وأن تكون فوقه بأربع خِصَالٍ بالجَمَالِ، وَالأدَبِ، والخلق، وَالورَعِ.

وَخَطَبَ عَرْوةُ بن الزبير إلى ابن عُمَر أخته على أخيهِ مُصْعَب، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصداقِ ثلاثين ألفاً، فقالَ ابنُ عمر: مَا لَنَا فِي ذلك مِنْ حَاجَةٍ، أترغَبُ أنت يَا عُرْوة؟ فَقَالَ: إن أخي سَألني أن أخْطُبَهَا عليهِ، قَالَ: قَدْ علمت، إن رَغبت فيهَا زوجتك، قَالَ: إني أرغَبُ فِيها فزوَّجَهَا إياه، فبلغ ذلك أم الجارية فقَالَت: يَا وَيلاه أزوج ابنتي فَقِير قريشٍ؟ فَقَالَ لَهَا: اسكتي فإنني رأيتهُ يُصَلِي فيحسن الصَّلاَة.

وَقَالَ النَّبي ﷺ: «تنكح النساء على أربعة؛ على المالِ، وَالحسبِ، والحسنِ، والدين، فعليكُمْ بذَاتِ الدين»[2]، فإنه «مَا استفادَ امرؤ بعد الإسلام خيراً مِنْ زوجةٍ مُؤمِنَةٍ تسرهِ إذا

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة في: ١٥ ـ كتاب الحج (١٩) باب حجة النبي ﷺ، الحديث رقم ١٤٧، .وذكره البيهقي في الدلائل ٥/ ٤٣٢ وما بعدها).

(٢) حديث: (تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحَسَبِها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة بسندهم عن أبي هريرة رضي الله عنه. (الترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٤٥).

نظرَ إلَيْهَا، وَتطيعه إذا أمرهَا، وتحفظه فِي نفسِهَا، وتحفَظُ مَالَهُ إذَا غابَ عَنهَا»[1].

وَعَنْ مُحَمّد بن الحنفِيةِ قَالَ: مَنْ تزوَجَ امرأة لحسنِها رَأى العبرة، وَمن تزوجها لِغِنَاهَا وُكِلَ إليهَا، وَمَنْ تزوَجَهَا لدينها متع بِهَا ورزق حسنَهَا وَمَالَهَا.

وَقَالَ عُمَر بن الخَطَّابِ رَضِي اللَّهُ عَنهُ: «لاَ تغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاءِ، فإنَّهُ لو كَانَ مكْرمَةً فِي الدُنيَا أو تقوى عند اللَّهِ عَزَ وَجَل، لَكَانَ أولاكُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا أصْدَقَ امرأةً مِنْ نِسَائِهِ وَلاَ مِنْ بناتِهِ أكثر مِنْ اثنتي عشرة أوقية».

وَقَالَ الشعبي: مَنْ زَوجَ كريمتهُ فاسقاً فقد قطعَ رَحمَهَا.

وَحُكِي أنَ رَجُلاً [من] المتصوفة تزوج امرأةً، فكان لا يزال يَخدمُهَا حتى استحيتِ المرأةُ وشكت إلى الأبِ، وقَالَت: قد تحيرت في هذا الرجل، أنا في منزلِهِ منذ سنين مَا ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إلى المستحم.

وَحُكِي أن رَجُلاً منهم تزوجَ امرأةً ذَاتَ جمالٍ، فلمَا قَرُبَ الزفاف صَابَ المرأة الجدرِي فحزِنُوا لذلك، فأرَاهُمُ الرَّجُلُ أن بِهِ رمداً، ثم أظهر أن بصره ذَهَبَ، حتى زُفتِ المرأةُ إليه وَزَالَ عَنْ أهلِ بيتها ذلك الحزنِ، فبقيت مَعَهُ عشرين سنة، ثم توفيت ففتح عينيه، فقيلَ له فِي ذَلِك، فقالَ: إنما كنت أتعمد لها لأجل أهل بيتها كيلا يحزنُوا، فقيل لَهُ: قد سبقت أقرانك وأصحابك بهذا الخلق.

وَحُكِي أن بعض الصوفيةِ كَانَتْ عنده امرأة سيئة الخلقِ، وَكَانَ يصبر عليهَا وعلى خلقها، فقيل لَهُ: هَلاَ طلقتها؟ فقال: أخشى إن طلقتها أن يتزوجَهَا مَنْ لاَ يَصبرُ على خلقها.

وَكَانَ لأبي شعيب الحرَّاني[2] كُوخٌ، فمرت بِهِ امرَأةٌ مِنْ أبناء الدُنيا، فَقَالَتْ لَهُ: إني أريد أن أتزوجك وأخدمك، ثم خرجَت مِنْ جميعِ مَا كَانَتْ تملك وتزوَجَهَا أبو شعيب، فلما أرَادَتْ أن تدخل الكوخ نظرت إلى قطعَةِ خِصاف فقالَتْ: ما أنا بداخلة حتى تخرجَهَا، أليسَ

---

(١) حديث: (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرَّته، وإن أقسم عليها أبرَّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله). رواه ابن ماجة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه (الترغيب والترهيب ٣/ ٤١ الحديث رقم ٦).

(٢) أبو شعيب الحراني الشيخ المحدِّث، المعمَّر، المؤدِّب عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب نزيل بغداد ولد سنة ست ومائتين هجرية، قال عنه الدارقطني: ثقة مأمون مات سنة ٢٩٥ هجرية، (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٦، تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٥).

سمعتك تقول إن الأرض تقول: يا ابن آدم لا تجعل اليوم بيني وبينك شيئاً وأنتَ غداً في بطني، فما كُنتُ لأجعل بيني وبينهَا حجَاباً، فأخذ الخصاف فأخرجهَا وَرَمى بِهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا: ادْخُلِي فدخَلَتْ، فمكثا يتعبدان فِي ذلكَ المكَانِ سنين كثيرة حتى تُوفيَا وهما على تلك الهيئةِ رَحمهما اللَّهُ.

وَأرَاد بعض الصالحين أن يطلِّق امرأتَهُ، فقيلَ لَهُ: مَا يريبك منها؟ فقالَ: العاقل لا يهتك ستر امرأتِهِ، فلما طلقها قيل لَهُ: لِمَ طلقتها؟ فقالَ: مَا لِي وَلامرأةِ غيري؟؟.

وَقَالَ مُعاذ بنُ يَعْقُوب النسفي: مَنْ تزوجَ غنية كَانَ لَهُ منها خمس خِصَال؛ مُغَالاةُ الصداق، وتسويف البناء[1]، وَدَفعه، وَفوت الخدمة، وَإِذَا أرَادَ طلاقهَا لم يقدر عليه لذهَابِ المَالِ مَعَهَا.

وَمَنْ تزوجَ امرأةً فقيرةً كَانَ لَهُ منها خمسُ خِصَالٍ: قلة الصَّداق، وسرعة البناء، وخفةُ النفقة، وتكون خادِمتهُ، وإذَا أراد فراقها هَانَ عليهِ طلاقُهَا.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: زوجَ النبي ﷺ ابنتَهُ فَاطِمَة عليها السلام على ثوبِ قيمتهُ ثمانية دَرَاهم، قَالَ علي بن أبي طَالبِ عليهِ السلامُ: مَا كَانَ لنا إلا إهاب كبشٍ أبيت معَ فاطمَة عليها السلام عليهِ بالليلِ ونعلف عليهِ الناضح بالنَّهَارِ.

وزوج المأمون بنتهُ، فقالَ: المَحْمُودُ هُوَ الله تَعَالَىٰ، وأفْضَلُ مَنْ يُصَلَّىٰ عليهِ رَسول اللَّهِ ﷺ، وإن أولى ما تُلي كتابُ الله، وقد زوّجناكَهَا على صداق نِسَاء رَسُول الله ﷺ وبناته، فأجَابَهُ الخَاطِبُ فقالَ: المحمود: مَنْ حمدته، وَأفضَل مَنْ يُصَلَّىٰ عليهِ مَنْ ذَكَرْتَهُ، وأولى ما يتلى مَا تلوته، وقد قبلناها على ما وضعتهُ، وَعَلى ما أمَرَ الله تَعَالى بِهِ مِنْ إمسَاك بمعروفٍ أو تسريح بإحسان.

وَقَالَ عمرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِي الله عنه: خلق النساء مِنْ ضعفٍ وعورة، فداوِ ضعفهن بالسُّكوتِ، وعَوْراتهن بالبيُوت.

وَعَنْ النَّبِي ﷺ قَالَ: «إن أعظم النساءِ بركَةً أحسنهن وَجْهاً وأرخصهن مهوراً»[2].

---

(١) أي التزويج.

(٢) الإهاب بكسر الهمزة: الجلد أو ما لم يدبغ (القاموس مادة أ هـ ب).

(٣) حديث: (خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً) رواه ابن حبان من حديث ابن عباس (خيرهن أيسرهن صداقاً) وعن عائشة: إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوهاً وأقلهن مهراً) (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ١٣٣٧).

وَقَالَ طَاوس: لاَ يتم نسك الشاب حتى يتزوَجَ.

وَقَالَ النَّبِي ﷺ: «استوصوا بالنِّسَاءِ خيْراً فإنَّهنَّ عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنما أخذتموهُنّ بأمَانَة الله تَعَالَى، واسْتَحللتُمْ فروجهن بكلمة الله»(١).

وَقِيلَ: إذَا أرَادَ الرجل أن يتزوجَ فلينو فيه خمس خِصَالٍ حتى تكون على أحسن الوجوه؛ أولها: أنْ يقيم سنة النبي ﷺ حيث يقول: «شرارُكُمْ عزابُكُمْ»(٢). وَالثاني: أن ينوي أن يعلمها إنْ كَانَتْ جاهلة بأمر دِينهَا. وَالثالثُ: أن يطفىء شهوته بشهوتِهَا. وَالرابع: أن يطفىء شهوتها وشهوته. والخَامِس: إن وُلد لَهُ مِنْهَا وَلدٌ يزيدُ فِي أمّهِ مُحَمّدٍ ﷺ وَاحداً فإنه ﷺ يفخر على الأنبياءِ عليهم السلام بكثرة الأمة.

وَقَال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالتزويج فإنَّهُ يَجْلُبُ الرِزْقَ»(٣).

وَقَالَ ابن أبِي الحوارِي: قِيل لأبي سُلَيْمَان الدَارَانِي: مَا أحوجك إلى أن تكون لك امرأةٌ تسْتَأنِسُ بِهَا؟ قَالَ: لاَ أنَسى الله بِهَا أبداً.

وَقَالَ: وُهيب بنُ الوردِ: فِي التزويج ثلاثُ خَلالٍ: إتباعُ السُنَّةِ، وَوَقَارُ المُروءةِ، وتحصين الفرجِ.

وَقَالَ أبو عَوَانَةَ: كَتَبَ بعض الحُكَمَاءِ إلى أخ لَهُ مِنْ إخْوَانِهِ يَسْتشيرُهُ فِي التزويج وَسَألَهُ مَاذَا يتقي مِنَ النِسَاءِ، فكتبَ إليه: لاَ تتزوجن حَنَّانةَ، وَلا مَنَّانَةَ، وَلاَ أنَانَةَ وَلاْ حدّاقةَ، ولا خَفَّاقة، وَلاَ ذَاتِ دَايَاتٍ، فكتب إليهِ فَسِّرْ لِي مَا قُلْتَ، فقالَ: أمّا الحنَّانَةُ: فالتي كَانَ لَهَا زُوجٌ فطلقهَا فَهِي تحن إليهِ وتذكره أبداً، وأمّا المنَّانَةُ: فهي التي تمن باليسير مِنْ مَالهَا على زَوْجِهَا، وَأمَّا الأنَّانة: فهي التي تَئِنُّ أبداً مِنْ غير وَجعٍ، وَأمَّا الحَدّاقةُ: فَهِي التي لاَ ترى شيئاً إلا رَمَتْهُ بحدقتها فتقولُ: رَأيتُ كَذَا فاشتر لِي مثله، وَأمَّا الخفَاقَةُ: فهي التي تعصب رَأسهَا وتقول فؤادِي يخفقُ، وَأمَا ذَاتُ الدَاياتِ: فهي التي كُلَّمَا دَخَلَ عليهَا زَوْجُهَا رَأى عندهَا عجوزاً فتقولُ: هِيَ دايتي.

وَقَالَ الدارَانِي: بَعَثَ رَجُلٌ مِنَ العربِ إلى صَوَابِ الجزريةِ يَخْطُبَهَا وَبَذلَ لَهَا أربعين

---

(١) مَرَّ تخريجه في خطبة الوداع.

(٢) رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط وابن عدي عن أبي هريرة رضي الله عنه ورمز السيوطي لحسنه (الجامع الصغير ٢/٤٦ الحديث ٤٨٦٦).

(٣) لم أجده.

ألفاً، فقَالَتْ للرَسُوْلِ: قُلْ لَهُ مَا يَسُرُنِي أنك لِي عَبْدٌ وَجميع مَا تملك لِي، وَأنك شغلتَنِي عَنِ الله عَزَ وَجَل سَاعَةً وَاحِدَةً.

وَطلق خالد بنُ الوليد امرأتَهُ فَقَالَ: أمَا إني لَمْ أطلقها لِشَيء رَابني منها، وَلكنها لَمْ يصبها بَلاَءٌ منذ كَانَتْ عِنْدِي.

وَقَالَ يحيى بن معاذٍ: اخْطُبْ زوجةً لاَ تسلبهَا منك المنايَا، وَأعرسْ بِهَا فِي دَارٍ لاَ يخربهَا نُزُول البلايَا وَشبك لَهَا حجلةً لاَ تحرقها نيرَانُ الرَزَايَا.

وَجَاءَ رَجل إِلى الحسين يَسْتَشيرهُ فِي تزويج ابنتهِ فقَالَ: زَوّجهَا مِنْ رَجُلٍ تقي، فإنَهُ إنْ أحبَهَا أكرمَهَا، وَإنْ أبغضها لم يظْلِمهَا.

وَقَالَ شقيْقٌ الْبَلْخِيُ: قَدْ اغتربَ[1] اليومَ خمس خِصَالٍ: النكَاحُ للعفة، وَالبِنَاء للعدَةِ، وَالصَّدَاقَةُ بالنِيَة، والجِهَادُ بالسنةِ.

وَقَالَ الحسَنُ: أنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ طلقَ حفصَة تَطْلِيْقَةً فَأتَاهُ جِبْرِيل عليهِ السلام فقالَ: «إنَّ الله عَزَ وَجَل يَأمُرُكَ أنْ تراجعهَا فإنَهَا صَوّامَةٌ قوَامَةٌ»[2].

وَرُؤي بِلاَل بن رَبَاحٍ، وَسلمَانُ الفَارِسِي رَضِيَ الله عَنهُمَا يَطُوفان عَلَى أحْيَاءِ العَربِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُوْلِ الله وَيقولاَنِ: «كُنَّا ضالِّيْنَ فَهَدَانَا الله عَزَ وَجَلّ، وعبدين فاعتَقنا الله عَزَ وَجَلّ، وَفقيرين فأغنَانَا الله عَزَ وَجَلّ، فإنْ تُزَوِجُونَا فالحَمْدُ لِلَّهِ، وَإنْ تَرُدُونَا فَلاَ حَولَ وَلاَ قوةِ إلاّ بِاللَّهِ».

أَخْبَرَنَا أبو سعدِ الواعِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عبدُ الوهَابِ بن الحسنِ الكلاَبِي، حَدَّثَنَا أحْمَدُ بنُ الحُسَين القُرشي، حَدَّثَنَا محمَدُ بنُ الْعَبَّاسِ العطَّار، حَدّثَنَا شيبانُ بن فَرُوخ، حَدَّثَنَا جعفر بن سليمان الضبعي، قَالَ: ملك محمد بن سليمان الهَاشِمِي غَلَة ثمانين ألفَ دِرْهَم فِي كُلِ يَوْمٍ، ثُمَ كَتَبَ إلَى أهْلِ البصرةِ وَعُلمائِهِمْ يستشيرهُمْ فِي امرأةٍ يتزوَجُهَا، فَأجْمَعُوا كلهم فِي مشورَتِهِمْ علىٰ رَابِعَة رحمها الله فكتب إليهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم، أمَّا بَعْدُ، فإن الله عَزَ وَجَل قد مَلكَنِي مِنْ غلة الدنيا ثمانينَ ألفَ دِرْهَم فِي كُلِ يَوْم، وَلَيْسَ تمضي الأيام وَاللَّيالي حتى أتمها ألفَ دِرْهَم، وَأنَا أصير لك مثلها، وَمثلها، وَقَدْ شَاورتُ علماء أهْلِ البَّصْرَةِ فِي امرأةٍ أتزوَجُهَا فَأجْمَعُوا كلهم عليكِ فأجيبيني. فَكَتَبَتْ إليهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيْمِ، أمَّا بعدُ، فإن الزُهْدَ فِي الدُنْيَا رَاحَةُ البَدَنِ، وَالرغبة فيها يورث الهَمَّ وَالحزن، فَإذَا

---

(١) أي: صار من الأمور المستغربة النادرة.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٣٣٦ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

أَتَاكَ كتابي هَذَا فَهِيء زادك، وَقدم لِمعَادِك، وَكن وَصِيَ نفسِكَ، وَلاَ تَجْعَل الرِّجَالَ أوصيَاءَكَ فيقسِمُوا تُرَاثك، وَصُم الدَّهْرَ وَاجعل فطرك الموت، وَأمَّا أنا فلو أن الله عَزَ وَجَلّ خَوّلني أمثال الذِي خولك وَأضعافَهُ مَا سَرّني أن أشتغل عَنِ الله عَزَ وَجَلّ طَرْفَةَ عين.

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الفتح محمد بن إبراهيم الطرسُوْسِي ببيت المقدسِ قَالَ: أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الله، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بن عبدِ اللَّهِ بن عبد الحكَم، حَدَّثَنَا علي بن معبدٍ، حَدَّثَنَا أبو المليح الرَقِي، قَالَ: جَاءَ رَجُل إلى ميمونَ بنِ مِهرَان يخطبُ إليهِ ابنتَهُ قَالَ: لاَ أرضَاهَا لك، قَالَ: وَلِمْ؟ قَالَ: لأنَّهَا تُحبُ الْحُليَّ والحُللْ، قَالَ: فعندي مِنْ هَذَا مَا تُرِيدُ، قَالَ: فالآن لاَ أَرضَاك لَهَا.

وَقِيلَ: تزَوجَ بعضُ العَربِ امرَأةً ثم طَلَقَهَا، فلما تَحمَّلت قَامَتْ إلَى نَادِي الحي فقَالَتْ: جَزَاكُمْ الله خيراً فما أكرم الجوَارَ وَأكف الأذى، إني أشهدكم أنِي حَامِلٌ، قَالَ: فَوَثَبَ زَوْجُهَا فقالَ: عاتق كل ما يملك إنْ كَانَ كَشَفَ لَهَا كنفاً، فَقَالَتْ: الله أَكْبَرُ إنمَا أردتُ أنْ تعلموا أني لَمْ أطلق عَنْ بغضٍ وَلا قِلَىّ.

وَسَمِعَ رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ أربع نسوةٍ قد اجتمعن فنعتن بَنَاتَهُنّ فَأحسن، فَتَزَوَجَ جميعهن ثم دَخَلَ عَلَى إحْدَاهُنَّ فقالَ لَهَا: بِأي شيء وَصَّتْكِ أمكِ؟ فقالَتْ: قَالَتْ لِي: لاَ تَجلسي بالفِنَاءِ وَلاَ تُكثِرنَّ المراءَ، وَاعلمِي أن أطيب الطيب المَاءُ. وَقَالَ للأخرى: بأي شيءٍ وَصتكِ أمُكِ؟ فَقَالَت قَالَتْ لِي: عطري جِلدكِ، وَأطيعي زوجكِ، وَاجعلي الماء آخر طيبك. وَقَالَ للأخرى: بأي شيءٍ وَصتك أمُكِ؟ فَقَالَتْ: قَالَتْ: لاَ تُطَاوِعِي زوجكِ فتمليه، وَلاَ تُعَاصِيهِ فتبغضِيْهِ، وَاصدقيه الصفاء، وَاجعلي آخر طيبك المَاء. وَقَالَ للأُخْرَى: بأي شيءٍ وصتكِ أمُكِ؟ فقَالَتْ: قَالَتْ أكْرِمِي زوجكِ، وَأدني سترِكِ، وَاجتنبي محادَثَةَ الإماءِ واستنظِفِي بِالماءِ.

وَسُئِلَ إعرابِيٌ عَنْ زَوجتِهِ فقالَ: غُل فِي وِثَاقٍ، وَخلقٌ لا يطاق، حُرِمتُ وِفاقَهَا وَمُنعتُ طلاقَهَا.

وَسُئِل آخر عَنْ زوجتهِ فقالَ: حسن رَائع وَبيتٌ ضَائِعٌ.

وحُدث عَنْ سعيدِ بنِ حميد قَالَ: كُنَّا عند نيران جَارِية النحاسِ وَمعنا أبو هفان فأخذتِ الجَمَاعَةُ فِي وَصْفِ أخلاقِهِ وتقريظهِ، فقلتُ لَهَا: يَا نيران يَسُرُكِ أن أبَا هفان مَوْلاَكِ على مَا فيهِ مِنْ جَمِيْل الأخلاقِ، وقبح المنظَرِ، وَعُلُو السِّن، فَقَالَتْ: عفو اللَّهِ تَعَالى أوسَعُ وَاللَّهِ مَا هو إلا كَمَا قَالَ الشاعر:

فَلَوْ بِكَ كَانَ الله عذَّبَ خَلْقَهُ ... لَتَابُوا وَلَكِنْ رَحمَةُ اللَّهِ أوْسَعُ

وقَالَ رَجل لامْرَأتِهِ وَكَانَتْ أشرَفَ مِنهُ: إنّمَا أنتِ بغلةٌ لاَ تَلدِينَ، قَالَتْ: يَأبى كرمي أن يُدَنِّسَهُ لؤمُكَ.

تزوَجَتِ امرأة رَجُلاً قبيح المنظَرِ ثُمَّ طلقها، فجزعَتْ عليهِ فَسُئلَتْ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: عُسَيْلَةٌ طَائفية فِي ظرفِ خَبِيْثٍ.

تَزَوَجَ رَجُلٌ قبيحُ الخلقِ بامرأةٍ جَميلةٍ، فلمَا طَالَتْ صحبتُهُمَا قَالَتْ: إنك وَإياي لعلى خَيْر، أُعْطيتَ مثلِي فشكرتَ، وَابتليتُ بك فَصَبَرْتُ.

رُوِي أنَّهُ لما زُفَّتْ بنتُ عبد اللَّهِ بن جعفر إلى الحجاج بَكَتْ فَقَالَ: مَا يبكيكِ؟ فقالَتْ: أبْكِي لشرفِ اتَضَعَ وَوَضيعَةٍ شَرُفَتْ.

رُوِي أنَّهُ قَالَ لَهَا فِي مُحَاوَرَتِهِ: إنَّ أمير المؤمنين كَتَبَ إليَّ بطلاقكِ، فقَالَتْ: هُوَ وَاللَّهِ أبَرُّ بِي ممّن زوّجني بك.

وَرُوي أنَّ الحجاج دَخَل على الوليدِ بن عبد الملكِ وَهُوَ فِي غِلاَلَةٍ[1] وَعَلَى الحجاج سِلاَحُهُ، فأقبل يُحَدثُهُ بِمَا جَرَى لَهُ مَعَ ابنِ الزبير وَابن الأشعثِ، إذْ أقبلَتْ جَارِية فَسَارَرتِ الوليد بشيء ثم انْصَرَفَتْ، فقَالَ لَهُ: تَدْرِي يَا أبَا مُحَمَّدٍ مَا تقولُ هَذِهِ الجَارِيةُ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، قَالَ: أرْسَلَتْ إليّ أمُ البنين بنتُ عبد العزيز بن مَرْوَان: «مَا مُجَالستك هذا الأعرابِي وَهُوَ فِي سلاحهِ، وَأنتَ فِي غِلاَلَةٍ وَقَدْ قتل الناسَ، وَإنّما خلوتُهُ بك كَخَلْوَةِ مَلك الموتِ، فإنَّهُ غير مَأمونٍ عليك».

فَقَالَ الحجَاجُ: يَا أمير المؤمنينَ إنَّمَا المرأةُ رَيحانَةٌ وَلَيسَتْ بقهرمَانَةٍ، لاَ تُطْلِعْهُنَّ على أمرك، وَلاَ تُطمِعْهُنَّ فِي سِرك، وَلاَ تدخِلْهُنَّ فِي مَشُورَتِكَ، وَلا تَكُنْ لَهُنَّ بَروْوم، وَلاَ للمُجَالَسَةِ لهُنَّ بلزُوم، فَإنّ ذلك مِنَ الصَّغَارِ وَاللُّؤمِ. ثم نَهَضَ الحجَاجُ مُنْصَرِفاً وَدَخَلَ الولِيْدُ على أم البنين فأخبَرَهَا بمقالةِ الحَجَاج، فقَالَتْ لَهُ: أحبُ أنْ تَأمُرَهُ أن يُسَلِّمَ عَليّ فِي غَدٍ، فلمَا أصبح غدا الحجَاجُ على الوليدِ فَقَالَ: اعْدِلْ إلى أم البنين، فقالَ: اعفني يَا أمِير المؤمنين، فقالَ: لتفعلن ففَعَلَ فحجبته طويلاً ثُمّ أذنَتْ لَهُ فَأقَرَّتهُ قَائماً وَلَمْ تأمُره بِالجُلوْسِ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا حجاجُ أنت الممتن على أمير المؤمنينَ بقتل ابن الزبيرِ وَابنِ الأشعثِ، وَالله لولا أنك أهون خلقهِ عليهِ لما ابتلاكَ بِرَمِي الكَعبةِ وَلاَ بقتلِ ابنِ ذَاتِ النطاقين. وَأمَا ابن الأشعثِ فلعمري لقد استفحل عليك وَوَالَى الهزائِمَ لَكَ حتى غوّثْتَ

---

(١) الغِلالة: شِعار تحت الثوب، مما يمسُّ الجسد (القاموس مادة غ ل ل).

بأمير المؤمنين وَأنتَ فِي أضيقِ مِنَ القرنِ فأظلتك رِمَاحُ أهْلِ الشَامِ، وَنجَاكَ كِفاحُهُمْ، وَمَعَ هَذا فإن نِسَاء أمير المؤمنين نَفَضْنَ العطر مِنْ غدائرهن، والحُلِيّ مِنْ أيديهِنَ وَأرْجُلِهِنّ، فبعثنَهُ فِي أعْطِيَة أوليائهِ الذين أغَاثُوكَ. وَأمّا ما نهيت عَنْهُ أمير المؤمنين مِنْ لَذَاتِهِ وَحثثته عليهِ مِنْ تركِ مَآربه وَاجْتِنَابِ أوطارهِ مِنْ نِسَائِهِ، فإنْ كُنَّ ينفرجْنَ عَنْ مثل أمير المؤمنين فهو غير مجيبك إلى ذلك، وَإنْ كُنّ ينفرجْنَ عَنْ مثل مَا تفرجَتْ عنهُ أمك فَمَا أحقهُ أنْ يقتَدِي بقولك، ولِلَّهِ دَرُ الذي يقول:

أسـدٌ عـلَـيّ وَفِـي الـحُـرُوبِ نَـعَـامَـةٌ ... ربـداءُ تـنـفـرُ مِـن صـفـيـر الـصـافـر[1]

ثُمَّ أمَرَتْ جَارِيَةً لَهَا فأخرجته، فدخَلَ على أمير المؤمنين، فقالَله: مَا كُنْتَ فيهِ يَا أبَا مُحَمّدٍ؟ فقالَ: يَا أمير المؤمنين، ما سَكنتُ حتى ظننتُ أنّ روجي خرجَتْ، وَحَتى كَأن بَطْنَ الأرضِ أحَبُّ إليّ مِنْ ظهرها، وَمَا ظننتُ أن امْرأةً تبلغ فَصَاحتهَا وبلاغتها، فقال: يَا أبَا محمد إنها بنت عبد العزيز بن مروان.

قَالَ معاوية لامْرَأةٍ مِنَ العربِ كَانَ صَافَهَا: هَل لَكِ فِي أن تَدْخُلي بيني وَبين امرأةٍ مِنَ العَربِ أحبُهَا، قَالَت: وَكَمْ سنوك؟ قَالَ: ثلاث وستونَ سَنةً، قَالَتْ: وَكَمْ لَهَا؟ قَالَ: ثلاث وَثَلاثُون، قَالَتْ: واللَّهِ يَا أمير المؤمنين إنها تنظُر فِي سنك فيسوؤهَا فهل عندك مِنْ شيء؟ ـ تعني الجِمَاع ـ قَالَ: نَعَمْ، قَالَت: فَلاَ حَاجَةَ بِك إلى أحدٍ يَدْخُلُ بينك وبينها، فذلكَ يرضِيهَا عنك.

وَقِيل: إن عبد الملك بن مروان تزوج امْرَأةً مِنَ العرب، فبعث إليها عَجُوزاً مِن مواليه لِتَراها فَتَصِفَهَا لَهُ فاحتجبت عنها، فألحت العجوز عليها فأغلظت لها فيّ القول فرجعَتْ إلى عبد الملكِ فَأخْبرتْهُ: فَجَاء حتى دَخَلَ عليهَا فَقَالَ: مَا حملكِ على مَا صنعْتِ بعجوزناً هذه؟ قَالَتْ: يَا أمير المؤمنين، أردتُ إن كَانَ خيراً أن تكون أولَ مَن لقي بهجته وَإن كَانَ شراً أن تكون أحقَّ مَنْ ستره.

---

(١) هذا البيت من جملة أبيات قالها الشاعر عمران بن حطان في الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان من الجبناء المعدودين بقبيح الجبن، وغزالة اسم امرأة من الخوارج دعت الحجاج إلى المبارزة فجبن عنها فقال الشاعر يعيره:

أسـدٌ عـلـي وفـي الـحـروب نـعـامـة ... ربـداء تـنـفـر مـن صـفـيـر الـصـافـر
هـلا بـرزت إلـى غـزالـة فـي الـوغـى ... بـل كـان قـلـبـك مـثـل قـلـب الـطـائـر
صـدعـت غـزالـة قـلـبـه بـفـوارس ... تـركـت دوابـره كـأمـس الـدابـر

(الدر الفريد وبيت القصيدة ـ ابن آيدمر ج ٢ صفحة ـ ١٣٠).

وَرُوِيَ أَن تميم الداري كَانَ يَبيع العطْرَ، فخطبَ أسماء بنت أبي بكرٍ في الجاهِلِيَّةِ وَمَاكس في مهرها فلم يزوجوه، فلما أسلم جاء بعطرِهِ يبيعه فساومته أسماء في شيءٍ منه وقد عرفته وهو لا يعرفها، فماكسها في ثمنِهِ، فقَالَتْ: طَالَما ضرّك مِكاسك!! فعرفها فاستحيا مِنها وسامحها في بيعهِ.

ويُرْوَى أن عبد الملكِ خطَبَ رملة بنت الزبير فردّته، وقالت لِرَسُولِهِ: إنِّي لا آمنُ على نفسي من قاتل أخي ـ تعني أَخَاهَا عبد الله بن الزبير ـ ورملة أخت عبد الله لأمِّهِ.

وَقَالَ الأصمعي: رَأَيْتُ أعرابياً ذميماً يضربُ امرأةً لَهُ جميلة، فقلت له: يا عبد الله أتضرب مثلَ هذا الوجه الحسن، فَقَالَت: يا هَذَا دَعْهُ فإن لَهُ عذراً، إنه قَدَّمَ إلى الله تعالَىٰ حَسَنَةً فجزاه بي وَقدمت سَيِّئة فعاقبني بِهِ.

وِرُوِيَ أن ابن الزُّبَيْر دَخَلَ عَلَى أمِّهِ أسْمَاء بنت أبي بكرٍ في الْيَوم الذي قُتل فِيهِ فَقَالَ يَا أُمَّهْ خَذَلني النَّاس حتّى أَهْلِي، وَقد أعْطاني الْقَوْم مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنيَا فمَا رَأيك؟ قالَتْ: إنْ كُنْتَ عَلَى حقٍّ فَامضِ لَهُ وَلاَ تمكن غلْمَان بني أمية من التغَلُّبِ برقبتك، وَإِنْ قلت: إنِّي كنت على حق فَلَما وَهَنَ أصحَابِي ضعفت نيتي فَلَيْسَ هَذَا فعل الأحْرَارِ، وَاللَّهِ لضربةٌ بِالسَّيْفِ في عزّ أحب إليَّ من ضربةٍ بالسَّوْطِ فِي ذل. فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ رأيي، واللَّه مَا دَعَانِي إلى الخُرُوج إلاَّ الغَضَبُ لِلَّهِ عزّ وجَلّ أن تهْتك محَارِمه، ولكِن أحببت أن أطلعَ عَلَىٰ رَأيك فَيَزيدني قوةً وَبَصِيرَةً، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ ارْتِكَابَ منكرٍ، وَلاَ عَمَلاً بفاحشةٍ، وَلاَ جَوْراً في حُكْم، وَلاَ غَدراً في أَمَانٍ، وَلاَ كَانَ عندي شيء آثر مِنْ رضا الله عزّ وجلّ، اللَّهُمَّ إني لا أقولُ ذَلِكَ تزكِيةً لِنَفْسِي وَلَكِنْ تعزيةً لأمي لتسلو عنّي. قَالَتْ: وَاللَّهِ لأَرْجو أنْ يكونَ عَزائي عنكَ حسناً. ثم قَالَتْ: اللّهم إنِّي قَدْ سَلَّمْتُ فِيهِ لأَمرِكَ، وَرَضِيت فِيهِ بقَضَائِكَ، فَأَثِبْنِي فِيهِ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ، فَوَدّعَهَا وَخَرَج فقتل رَحمةُ اللَّهِ عليهِ ورِضوانِهِ.

وَرُوِيَ أنَّهُ دَخَلَ عليهَا وَهِيَ عَلِيلَة فَقَالَ: كَيْفَ أنْتِ؟ فَقَالَت: أجِدُنِي شَاكِيَة، قَالَ: يَا أُمَّهْ إنَّ فِي الموتِ لَرَاحَة، فَقَالَتْ: يا بُنَيّ، لعلّك تتمَنّى مَوْتِي، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أنْ أَمُوتَ حتّى تأتِي علىٰ أحد طرفيك، فإمّا أنْ تظفر بعَدُوِّكَ فتقرعيني، وَإمّا أنْ تُقْتَلَ فَأحتَسبك عند الله عزّ وجلّ. فَلَمَّا كَانَ في اللَّيْلَة التي قُتِلَ فِيهَا دَخل عليها فشاورَها، فَقَالَتْ: يَا بُنَيّ، لاَ تَجِيئن إلَى خطَّةٍ تخاف على نفسك فيها القتل؛ قال: إنَّمَا أخافُ أَنْ يمثلوا بي، قَالَتْ: يَا بُنِي إنَّ الشَّاةَ لا تَأْلَمُ السلخ بعد الذَّبح.

وَرُوِيَ أنَّ رَجُلاً مِنْ قريشٍ قَالَ لامرَأَتِهِ يَوماً: أَمْرك فِي يديكَ، فَقَالَتْ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ

كَانَ فِي يَدِكَ عِشْرِينَ سَنَةً فحفظتهُ وَأَحْسَنْتَ صحبته، فأضيعهُ إنْ صَارَ فِي يدي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، قد رَدَدتُ عليكَ حمقتك، فَقَالَ: حمقه، وَأعجبه قولها وَأحسنَ مُعَاملتها وَأَجْمَل عشرتها.

وَرُوِيَ أَنَّ الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام تزوج امْرَأَةً مِنْ تَميم، فماتَ عَنْهَا فخطبَها بعده يزيد بن معاوية، وعَبد الله بن الزبير، وعَبد الله بن عامرٍ أميرُ البصرة، فقيل لها: هَذَا ابنُ عمةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وابن حَوَارِيهِ، وَهَذَا ابن أمير المؤمنين، وهذا ابنُ عامرٍ أمير البصرة، فردتهم جميعاً وَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأتخذ حَمْواً بعدَ ابن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَيُرْوَى أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بن زِيَادٍ قَطَعَ رجل امرأة مِنَ الخوارجِ، ثم قَالَ لهَا: كيفَ ترينَ؟ فقَالَتْ: إنَّ في الفكر في هول المطلعِ لَشُغْلاً عَنْ حديدتكم هَذِهِ، فَأَمرَ بقطعِ رجلها الأخرى فجذَبُوهَا فانكشَفَتْ فستَرَتْ نَفْسَهَا بِيَدِهَا، فَقَالَ: وَإِنَّكِ لتسترينهُ فَقَالَتْ: لكن أمَّك سُمَية لَمْ تسترهُ.

وَيُرْوَى عَنْ أبي العيناء أنه قَالَ: كُنْتُ أهْوَى جَارِيَةً، فبلَغَنِي عنها أنها قَالَتْ: هُوَ أعْمَى قبيح المنظر، فكتبتُ إليهَا بيتين:

وَأَنْبَتُهَا لَمّا رَأَتْنِي أقبلَتْ تُعِيبُ وَقَالَتْ: أعورٌ نَاحِلُ الجِسْمِ
لِسَانِي وَأَخْلاَقِي تُعفِي على الذي تعيبين مني فاسألي بي ذوي العلمِ

قَالَ: فكتبت إليَّ وَقَالَتْ: أو للخصومَةِ عِنْدَ القَاضِي تُرَادُ الأَحْبَابِ يَا بَغِيض؟!.

وَيُقَال: إنَّ رَجُلاً قَالَ لِهِنْد أمّ معاوية: إنْ عَاشَ مُعَاويةُ سادَ قَومهُ، فَقَالَتْ هند، أمه: ثكلتُهُ إنْ لم يَسُدْ قَوْمَهُ.

وَرَوَى الزبير بن بكارٍ: أن امرأةً جَسِيمةً جميلةً أتت كُثير وَهُو بِقَدِيدِ جَالِسٌ في الموسم وَقَالَتْ لَهُ: أنْتَ الذي يقولُ:

وكنت إذا مَا جئتُ أكرمْنَ مجلسي وأعرضْنَ عني هيبة لا تَجَهُّمَا

فَقَالَ: نعم فقَالَتْ: أَفَعَلَى هذا الوجه هيبة، إنْ كنت كَاذِباً فعَلَيْكَ لعنة الله، فأغْلَظَ لهَا وَهِيَ سَاكِتة، فَلَمّا سَكَنَ قَالَتْ: أَفَأَنت الذي تقولُ:

متى تَنْشِرُوا عني العمامَة تُبْصِروا جميل المُحَيّا أعلفته الدواهِنُ

أأنتَ جميل المُحَيّا، إن كنتَ كَاذِباً فعليك لعنة اللَّهِ، فاحتدّ، وَقَالَ: لَوْ أَعْلَم من أنتِ

لقطعتك وَقَطَعْتُ قومك، فأمهلته حتى سكنَ ثمّ قَالَتْ: أأَنْتَ الذي يقولُ:

يَـرُوقُ الـعـيـون الـنـاظـرات كـأنَّـهـا هِـرَقـلـي جـنـسٍ أحْـمَـر الـتـبـر وازِنُ

أأَنتَ الذي تروقُ العيونَ، إن كنتَ كَاذِباً فعَلَيكَ لعنة اللَّهِ ثمَّ تركته ونَهضت، فأَقْبَلَ يَسْأَلُ عنها فَلاَ ينسبها أحدٌ لَهُ، فَقَالَ: إنْ قتلني شيء فجهلي بِهَا.

وحَكَىٰ المدائني أن الوليد بن عبد الملكُ كان كثير التزويج وَالطَّلاَق، وأَنَّهُ تزوّجَ في مُدّتِهِ بثَلاَثٍ وستين امْرَأَةً، وَإنّ إحْداهُنَّ لَمَّا دَخَلَ بِهَا قامَ لينصرف فأخذت بثوبه. قَالَ: مَالِك؟ قالَتْ: إنِّي شرطتُ على الحمالين الرجعةَ، فما تأمرُ؟ قَالَ: تقيمين، فَكَانَتْ أطول نِسَائِهِ لبثاً عندَهُ.

وَحَكَى المدائني أنه كَانَ في قُرَيْشٍ رَجُلٌ يتزوج النساء كثيراً، وَيُطَلِّقهن لِسُوءِ خُلُقٍ كَانَ فِيهِ لاَ يَصْبِرنَ عليه وَلاَ يطقن احتماله، فخَطَبَ امرأَةً وَقَالَ لها لمَّا اتفقَ مَا بينهُمَا: إنَّ فيّ لسُوء خلقٍ، فإنْ كَانَ فِيكِ صَبْرٌ وإلا فلاَ أَغرُّكِ من نفسي، فَقَالَتْ: إنَّ أسْوَأَنَا خُلقاً مَنْ يُحْوِجكَ إلى سُوءِ الخلقِ، فَأَقَامَتْ معه إلىٰ أنْ فَرّقَ الموتُ بينهما ولم يجرِ بينهما خِلاَفٌ.

وقِيلَ لرَمْلَةَ بنت الزبير: مَا بَالك تكوني أهزل مَا تكونين إذا قدم عليك زوجك، قَالَتْ: إن الحُرَّةَ لا تُضَاجعُ زوجها بمِلء بطنِهَا.

وَذَمّ رَجُل خُلق امرأتِهِ بحضرة جَارِيَةٍ لَهُ، فَقَالَتْ الجارية: لَوْلاَ سُوء أخلاق الحَرَائِرِ مَا كَانَ للإماء حظْوَةٌ.

وَرُوِيَ أَنَّ امرأَةً مِنَ العربِ اجتَازَتْ برجل فأعجبَهُ حسنها، فبعث إليهَا رَسُولاً يخطبها لَهُ، فَقَالَتْ: مثلي لا يخطبُ على الطريقِ، وَلاَ يخدع بالرّسُل، ولَكن من هو؟ فأسْمَاهُ لَهَا فَقَالَتْ: ما حرفته؟ فقَالَ: أرجعُ إليه وَأسأَلُهُ، فَقَالَتْ: قَبّحَكَ اللّه وقبح مَنْ سَأَلَكَ، فما أعياك؟ فَجَاءهُ الرسولُ فأبلغهُ قولها فقالَ: ارجِعْ إليهَا وقُلْ لَهَا:

وَسَـائِـلَـةٍ مـا حـرفـتـي قـلـتُ حـرفـتـي مـقَـارَعَـةُ الأبـطـالِ فـي كـل مَـارِقِ

وضـربـي طـلـى الأقـران بـالـسـيـف مُـصْـلَـتـاً إذا رجـف الـصـفّـار أحـمـي حـقـائـق

فَلَمَّا سمعت الشعر قَالَتْ لِرَسُولِهِ: ارجِعْ إليهِ وَقُلْ له: أنتَ أسدٌ طلب لبوة، فإنني ظبية أطلب غزالاً.

وَقَالَ رَجُلٌ لامْرَأَةٍ: التمسي لي امرأةً لا تعرف إلا أهلها، وَلاَ تهْوَى إلا بعلها. قال: اخطب هذه إلى ربك العزيز بالعمل الصّالِح، فلعلّه أن يرزقك إيّاها في الجنَّةِ، فأَمَّا في الدنيا فما أحسبك تجدها فِيهَا.

ويَروى أَنَّ زياداً أخذ امرأةً وأمَرَ بقتلها فتسترتْ بثوبها، فقَالَ: أتسترينَ وقد هتك الله ستركِ؟! فَقَالَتْ: إي واللَّهِ أتستر، ولَكن الله أبدى عورة أمك على لسانك إذْ أقررتَ أن أبا سفيان زَنىٰ بهَا.

آخر الجزء التاسع يتلوه إن شاء الله في أول الجزء العاشر:

وَقَالَ الأصمعي: رَأَيتُ امرأةً مِنَ العربِ وقد وقفَت على قطيع أرضٍ لها

قد كَانَ لنَا فيها زرع يسير فأتى عليها البرد فأَتلفهُ

الحمد الله رب العالمين، وصلواتُهِ على سيدنا محمد خاتم النبيين

وعَلَى آلِهِ الطيِّبين الطَاهرين وَأَزْوَاجِهِ أُمّهَاتِ المؤمنين

وَأَصحابِهِ أجمعين، صلاةً دَائمة إلى يوم الدين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخبرَنا الشيخ أبو عبد اللَّهِ محمد بن مُوسَى الشيرازي بمكة حرسَها الله قَالَ: أخبرنا أبو سعدِ عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ النّيسابُوري الزاهِد المعروفُ بالخركوشي، قَالَ: وَقَالَ الأصْمعِي: رَأَيْتُ امْرَأَةً مِنَ العَرَبِ وقفت على قطعةٍ مِنْ أرضٍ لَهَا قد كَانَ لَهَا فيهَا زَرْع يسيرٌ فأتى عليها البردُ فَأَتْلَفَهُ، فنظرت إلى الزرعِ ثمّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إلى السّمَاءِ فَقَالَتْ: اصْنَع مَا شِئْتَ رِزْقِي عليك.

رَوَى محمد بن حبيب قال: طلبَ قومٌ ابنَ هرمة في منزله فقَالَتْ لهُمْ ابنة لَهُ صغيرة: إنّه خرجَ لبعضِ شَأْنِهِ، فَقَالُوا: فَإِنَّا أضْيَافٌ، فَقَالَتْ: مَا ذَاكَ عندنا لكم وَلاَ يمكننا فيكم. فَقَالُوا: فَأَيْنَ أبوكِ لا أتبع العود بالفِصَال وَلاَ ابتَاع إلاّ قريبةَ الأجَلِ، قَالَتْ: ذَاكَ أفنى مَالَهُ وَأَلْزَمَنَا العجز عنْ قرَاكم، فتعجَبُوا مِنْ ذَكَائِهَا وَسرعةِ جوابِهَا.

قِيلَ لِرّابعة العدويّة: هَلْ عمِلتِ عملاً ترينَ أنه يتقبل منك؟ قالتْ: إن كان شيء فخوفي مِنْ أنْ يردّ عَلَيّ.

وَقَالَ الحجاجُ لامرأَةٍ مِنَ الخوارج: وَاللَّهِ لأحصدنَّكم، فَقَالَتْ: أنت تحصد وَاللَّهُ يزرعُ، وَأين اجتهادُ المخلوق مِنْ قدرةِ الخالِقِ؟!.

وَرُوِيَ أَنّ امرأَةً قَالَتْ لكُثيِّر: أكْثَرتَ في عزّة وَلَيسَتْ كَمَا تصفُ، فلو صرفْتَ ذلكَ إلى غيرها مِمَن هُوَ أوْلَى بذلك منها فَقَالَ:

إذا مَا أرَادت خلةٌ أنْ تزيلَنا أَبَيْنَا وَقُلْنَا الحاجبية أوَّلُ
سَأوليكِ عرفاً إن أردتِ وِصَالَنا ونَحْنُ لتلك الحاجبية أوصل

فَقَالَتْ لَهُ: وَاللَّهِ لقد سَمّيتني خلةً وَمَا أنا كذَلِكَ، وَعَرَضْتَ عَلَيّ وَصْلَك وَمَا أُرِيدُهُ، وغدرت بصاحبتك وَلاَ ذَنْبَ لَهَا إليكَ، فهلا كنت كسيّدك جميل حيث يقولُ:

يَا رُبَّ عَارِضَةٍ علينا وَصْلَهَا بالجِدّ تخلطُه بقول الهازل
فَأَجَبْتُهَا في القولِ بعد تستّر: «حبي بثينةَ عن وِصَالِكِ شَاغِلِي!»

هَذَا وَاللَّهِ الحبُّ لا تصنيعك وتزويقك.

وَقَالَ: اعترضَ جَارِيَةَ رَجُلٌ فكرهَته وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ، فَقَالَ: إنمَا أُرِيدكِ لنفسِي، فَقَالَتْ: من نفسِك أفِرُّ.

وقَالَتْ امرأَةٌ: اللَّهُمَّ اجعَل الموت خير غائب ننتظِرُهُ، فسمعتها ابنة لها صغيرة فَقَالَتْ: إنَّ غيابك يا أمّة غيابُ سوءٍ، إن كان الموتُ خيرَه.

وَقَالَت امرأةٌ لسَوارِ القاضي، وقد مطلها بفصل حكومةٍ بينهَا وبينَ خصم لها: «قد أمللتني بمطلك إياي بفصل الحكومة بيني وَبين خصمي، أيتم اللَّهُ وَلَدكَ وَسَلّط عليه ظَالِماً، وَابتلاهم بِقَاضٍ مثلك!»

دَخَلَت عزة على عبد الملك بن مروان فَقَالَ: لها: تروين قولَ كثير:

وقَـد زَعَـمْـتِ أنـي تـغـيـرتُ بـعـدهـا ... وَمَــن ذَا الــذي يــا عــزّ لا يــتــغــيّــرُ

تـغـيـر جـسـمـي، وَالـخَـلِـيـقَـةُ كـالـتـي ... عَـهِـدْتِ ولـم يُـخـبِـر بـسـرك مُـخْـبِـرُ

قالت: لا، ولكني أروي قولَهُ:

كـأنّـي أُنَـادِي صـخـرةً حـيـن أعـرضـتْ ... عـن الـصّـمّ لـو تـمـشـي بـهـا الـصـمُّ زلَّـتِ

ثم أمَرَهَا بالدُّخولِ على إحدَى نسائه فدخَلَتْ فَقَالَتْ لَهَا: أخبريني عن قولِ كثير:

قـضـى كـلُّ ذِي دَيْـن فـوفّـى غـريـمَـه ... وَعَـزّةُ مـمـطـولٌ مـعـنًّـى غـريـمـهـا

مَا كَانَ هذا الدين؟ قَالَتْ: كُنْتُ وَعَدْتُهُ قبلةً فلم أفِ لَهُ، فَقَالَتْ: أنجزيها وعليّ إثمها!

وَقَالَ جرير: سمعتني امرأة أنشدُ قولي:

كَـمْ لـيـلـة قـد بِـتُّـهـا غـيـرَ آثِـمٍ ... بـمـهـضـومـة الـكِـشْـحـيْـنِ ريّـانـة الـقـلـبِ

فَقَالَتْ: ألا أثمت جزاك الله.

وَمَرَّتْ امرأةٌ وَفِي رجلها خفٌّ مخرق برجل فقالَ: يَا أَمَةُ ما لِخفِّكِ يضحك؟، فَقَالَتْ: رَأَى صلعتك فلم يتماسك فرحاً!

ويقال أن امرأةً مرّتْ بِقَوْمٍ من نُمير وَمَعَهَا دِيكٌ، فأَخَذُوا يحدقون النظَر إليها، فقالَتْ: وَاللَّهِ مَا حفظتم أَمْرَ اللَّهِ وَلاَ وصيةَ الشاعر، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠][(١)].

وَقَالَ الشاعر:

فـغُـضَّ الـطـرفَ إنّـك مـن نـمـيـر ... فـلاَ كـعـبـاً بـلـغـتَ ولا كـلابـاً

---

(١) قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠].

فَقَالَ لها أحدهم: مَا هَذَا الديك؟ فَقَالَتْ:

هُوَ النار المطلّ على نُمَيرٍ أفتح مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَاباً

وَتَزَوّجَ عَبْدُ الملك بن مرْوان أمّ البَهَاءِ بنتَ عبد الله بن جعفر فَقَالَت لَهُ يَوْماً: لو استكتَ[1] فَقَالَ: ما أستاكُ منكِ ثم طلقها، فتزوجها علي بن عبدِ اللّهِ بن عَبّاس وَكَانَ أقرعاً وَكَانَتْ القلَنْسوَةُ لاَ تُفَارِقُهُ، فَدَسّ عليه عَبْدُ الملكِ بن مروان جَارِيَةً له وَقَالَ: اكْشِفِي القُلَنْسُوَةُ بحضرتهَا، فَلَمَّا فَعَلَتْ، قالَتْ لهَا: قد علمتُ مَنْ أَمَرَكِ بهذا، فقولي لَهُ هَاشِمِيٌّ أقرع أحبُّ إليَّ من أُمَوِي أبخر[2].

وَدَخَلَ ضمرة على النُّعْمَان فاستقصر بِهِ وَأَجْلَسَهُ في ذيل مجلسِهِ، فقال ضمرة: أيها الأميرُ، إن الرجال لاَ تكال بالصيعان[3]، وَإنَّما المرء بأصغريه قلبه وَلِسَانِهِ إنْ تَكَلّمَ تكلم ببيان وإن قاتل قاتل بجنان. قَالَ لَهُ النُّعمان: أفأسألك عن أشياء تخبرني بها؟ قَالَ لَهُ: سَلْ، فَقَالَ النُّعمان: ما أنفعُ الأموال، وَمَا أنفعُ العلوم، وَمَا أضرّ العلوم وَمَا المقتُ اللازم، وما الذل الدائم، وَمَا الداءُ العُضَال، وَمَا السّوءةُ السَّوْءاءِ؟ فَقَالَ ضَمْرَة: أمّا أنفعُ الأموال فالمعادن والأرضون. وأمّا أنفعُ العلوم فالعلم الذي يشتهر بِهِ الإنسان فيغنيه عن السُّؤال والتذلّل لَهُ. وَأَمّا أضرّ العلومِ فَالذي يَصل إلى الإنسانِ مِنْ غير مسألة فيأخذ بتصغير وتَحقير وقد أسر المحبة. وأمّا المقتُ اللازم فكثرة السُّؤال. وَأمّا الذُّلُ الدائم فَكثرة الدَّين وكثرة الأعداءِ، وقِلّة الأصفياء. وَأَمّا الداء العُضَالُ فالجَار السوء إنْ كَانَ فوقك قهرَك، وَإنْ كانَ دُونكَ هَزَمك، وإنْ أعطيتَهُ كفرك، وَإنْ منعتهُ شتمك، فإذا كَانَ ذاك جَارُك فخَل دَارَك وعَجل فرارَك وإلا فأَقِم بذل وصَغَارٍ وَكُنْ ككلب هَرّارٍ. وَأمّا السّوءة السَّوْءاء فالحليلة السخابة، الخفيفة الوثّابَةُ، السليطةُ السَّبّابَةُ، التي تغضَبُ مِنْ غير غَضَبٍ، وَتضحك مِنْ غَيْر عَجَبٍ، المخوفُ غيبُها، وَالظّاهِرُ عيْبُهَا، فبعلها لاَ تحسنُ لَهُ حَالٌ، وَلاَ ينعم لَهُ بَالٌ، فهو يحومُ حَولها ويستمع قولها، إنْ غَضبَتْ ترضّاها، وَإنْ رَضِيتَ تفداها، إنْ كَانَ غَنِياً لَمْ ينفَعهُ غِنَاهُ، وَإنْ كَانَ فقيراً أبدت لهُ قِليَ[4]، فأراح اللّهُ منها بعلها، وَلاَ أمتعَ بها أهلها وَملأَ منها قبرها وَالسَّلامُ. فأعجب النعمان وَعرضَ على ضمرة شيئاً من المالِ فأبى أن يقبلَهُ.

---

(١) أي: استعملت السواك.

(٢) الأبخر: من البَخَر وهو النتن الفم ذو الرائحة الكريهة (مادة ب خ ر).

(٣) من (الصَّوْع) وهو الذي يكال به ويجمع على أصوع وأصؤع وصُوع وصيعان (مادة ص و ع).

(٤) أي جفته وابتعدت عنه.

بَابٌ فِي ذِكرِ الألْفَاظِ المُتَدَاوَلَة فيما بَيْنَ الصُّوفِيَةِ مِمَّا لَهُ أصْلٌ في الكتَابِ والسُّنَّة

فمنها الوقْتُ: وَهُوَ مَا بينَ المِاضِي وَالمستقبل.

قَالَ الجنَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ: الوقْتُ عزيزٌ إذا فَاتَ فلاَ يُدْرَك.

وَقيل: وقتك أعزّ الأشياءِ فاشغله بِأَعزّ الأشياء.

ومنها الحَال: وَهِيَ نَازِلَةٌ تنزِل بالعَبْدِ في الخَيْر فيصفُو لهُ في الوقتِ حَالُهُ وَوَقْتُهُ.

وَمِنْهَا المقامُ: وَهُوَ الذي يقومُ بالعبد في الأوقاتِ مِنْ أنْوَاعِ المُعَامَلاَتِ، وَصِدْقِ المُجَاهدات، فمتى أقيم للعبد في شيءٍ منها على التمامِ فهو مقَامُهُ، حتى ينتقل منه إلى مقَامٍ آخر.

ومنها المكان: وَهُوَ لأَهْلِ الكمال والتمكين وَالنِّهايَةِ، فَإذَا كَمُلَ العبد في مَعانيهِ، فقد تمكن في المكان.

ومنها الحَقُّ: وَهُوَ اللَّه جلّ جلالُهُ وَتَعَالَى ذكرُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢].

ومنها الحقيقة: وَهِيَ وُقُوفُ القلبِ بدوامِ الانتصاب بين يدي سيدهِ الذي آمَنَ به، فلو تَخَلل القلب شك أو ريبٌ فيمن آمن بهِ اضمحلّ الإيمان وبَطُلَ، وَهُوَ قول النبي ﷺ لِحَارِثَة «لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك»[1]. وَقَالَ الجنيد: أَبَتِ الحقائق أن تدع فِي القلوبِ مقالة للتأويل.

وَمِنْهَا الإشارة: وَهُوَ مَا لاَ يتأتى للمتكلم الإبانةُ عنهُ عِبَارةً لِكَوْنِهِ لَطِيفاً فِي معناهُ.

---

(١) قال الحافظ في الإصابة في ترجمة الحارث بن مالك الأنصاري: روى حديثه ابن المبارك في الزهد عن معمر عن صالح بن مسمار أن النبي ﷺ قال: يا حارث بن مالك كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أسمع عواء أهل النار، فقال: مؤمن نوّر الله قلبه.

وفي رواية البزار قال: لما قال حارثة لرسول الله ﷺ أنا مؤمن حقاً. قال: وما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها، وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزاً. فقال ﷺ: عرفت فالزم، عبد نور الله قلبه بالإيمان. وكذا رواه الطبراني من حديث الحارث بن مالك. وسنده ضعيف (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث رقم ٣٦٠٨).

ومِنْهَا الصَّفَاء: وَهُوَ الخُلُوصُ مِنْ آثارِ الطبعِ، والتَّعلُّق بالحقائق، ومزايلة المذمومات.

ومِنْهَا الفوائدُ: وَهُنَّ هدَايا الحق سبحانه تحفة لأصحاب المُعَامَلاَتِ، وَإِكْرَامُهُ إياهُمْ بزِيَادَةِ الفهم في وَقْت إقامتهم الخدمة، ليجدُوا حَلاَوَة الطاعَةِ، ويستلذوها، ويتنعموا بِهَا.

وَمِنْهَا الخَاطِرُ: وَهُوَ حَرَكَةٌ تظهر فِي القلبِ وتَطيف بِهِ، ولا تلبث بل تزول بخاطرٍ آخَرَ مثله. وَقَالَ الجنَيْد: إن الخاطر الصحيح أول الخاطر.

وَمِنْهَا الحَيْرَةُ: بديهة ترد على قلوب العَارِفِينَ عند تأملهم. وقيل: هي حالة تردُ على قُلُوبِهِمْ بين اليأسِ وَالطَّمَعِ في الوصولِ إلى المقصود، وَوُجود المطلوب لا يتحقق لهم بالطمَعِ وَحْدَهُ؛ وَلاَ بالإياس وَحْدَهُ فيستريحون، فعنْدَ ذلكَ يتحيرونَ.

وَمِنْهَا الدَّهْشَة: وَهِيَ هَيْبَةٌ من المحبوب تَصْدُمُ قلوب المحبين، كَمَا قيل:

حُـبُّ مَـنْ أهـواه قـد أذهَـشَـنِـي ... لاَ خَـلَـوْتُ الـدَّهْـرَ مِـنْ ذَاكَ الـدَّهَـشْ

وَمِنْهَا الطَّوَارِقُ: وهي ما تطرق قلوب أهْل الحقائق مِنْ طريقِ السمعِ، فتجرد عليهم حقيقتهم، ومعناه في اللغة: ما يطرق بالليل، كَمَا كَانَ النبي ﷺ يقول في دُعَائِهِ: «اللَّهم إني أعوذُ بكَ مِنْ كُلِّ طَارِقٍ إلا طَارِقاً يطرُقُ بخير»[1]. وَفِي معناه أنشدوا:

يـا راقـد الـلـيـل مَـسْـروراً بـأَوّلِـهِ ... إن الـحَـوَادِثَ قَـدْ يـطـرُقْـنَ أسْـحَـاراً

لاَ تَـأْمَـنَـنّ بـلـيـلٍ طَـابَ أوّلُـهُ ... فَـرُبَّ آخـرِ لَـيْـلٍ أجّـج الـنَّـارَا

ومِنْهَا الشَّطحُ: وَهُوَ كَلاَمٌ يترجمه اللِّسَانُ عَنْ وَجْدٍ يفيضُ عَنْ معدنِهِ، مقرونٌ بالدعوىٰ إلا أن يكونَ صَاحبه محفوظاً. والشطح في قولِ العربِ الحركَة.

وَمِنْهَا الطَّوالِعُ: وَهِيَ أنْوَار التَّوحِيدِ تطلَعُ عَلَى قلوبِ أهْلِ المعرفةِ بشَعشعها، فيطمَئن ما في القلوب من الأنوار بسلطان نورها، كَمَا أن سلطان الشمس يَطمس أنْوَار الكواكب.

ومِنْهَا الذَّهَابُ بمعنىٰ الغَيبة: وهو أن يغيب القلبُ عَنْ حسِّ كلِّ محسوسٍ بمشاهدة المحبوب.

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى، والإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسلاً، والنسائي في سننه من حديث ابن مسعود.

وَمِنْهَا النَّفَسُ: وَهُوَ روح من ريح الله يسلطه الله عزّ وجلّ على نار القلوب ليطفىء شرَرَها. وَقِيلَ هو أنفاسُ العبد على مرورِ الأوقاتِ المعدودة عليهِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤].

وَمِنْهَا التّفريد: وهُوَ إِفْرَادُ المفرد برفع الحدث، وإفراد القِدَم بوجود حقائق الفردانية.

ومِنْهَا التّجريدُ: وَهُوَ مَا تجرد للقلوب من شواهدِ الأُلُوهِيّة إذا صَفَا مِنْ كَدُورَةِ البشرية.

وَمِنْهَا المُنَاجَاةُ: وَهُو مُخَاطَبَةُ الأسرَارْ، عند صفاء الأذكارْ، للملك الجبارْ.

وَمِنْهَا المُسَامَرَةُ: وَهِيَ عتاب الأسْرَارْ، عند خفي التذكَارْ، وقِيلَ استدَامَةِ طُولِ العِتَابِ مَع صحة الكتمان.

وَمِنْهَا الذَّاتُ: وَالذَّاتُ مَاهية الشيء القَائم بنفسِهِ.

وَمِنْهَا الدَّعْوَى: وَهُوَ إضَافَة النفس إليها ما ليس لها.

وَمِنْهَا الاخْتِبَارُ: وَهُوَ امتحان الحقّ للصادِقِينَ إِثْبَاتاً لحجتِهِ على سَائِرِ المؤمنين.

وَمِنْهَا الْبَلاَءُ: وَهُوَ ابتلاء الحق عبده لدَى حقائق الأحوال، قَالَ النبي ﷺ: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الصَّالحُونَ ثم الأمثل فالأمثل»[1].

وَمِنْهَا اللِّسَانُ: وَهُوَ بيانُ الحقائق. وسُئِلَ الشبلي عن الفَرْقِ بين لسان العلم ولسان الحقيقة فقَال: لسان العلم ما تأدّى إلينا بواسطة، ولسان الحقيقة ما تأدّى إلينا بلا واسطةٍ.

وَمِنْهَا العَقْدُ: وَهُوَ عقد السرّ مَع الله عزّ وجلّ[2]، قولُهُ عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وَمِنْهَا السرّ: وَهُوَ ما غيبه الحقُّ عن الخلقِ فلم يطلعهم عليهِ.

وَمِنْهَا المحو: وَهُوَ ذهابُ الشيء حتى لا يبقى له أثر.

وَمِنْهَا الطّمس: وَهُوَ ذهاب الشيءِ مع بقاء الأثر.

---

(١) رواه البخاري والإمام أحمد والترمذي وابن حبان عن سعد. (الجامع الصغير ١/١٣٦).

(٢) وهو ما يعتقد العبد بقلبه بينه وبين الله تعالى أن يفعل كذا أو لا يفعل كذا.

وَمِنْهَا الوَصْلُ: وَهُوَ إِدْرَاكُ الفائت.

وَمِنْهَا الفصل: وَهُوَ فوتُ مَا ترجوه مِنْ محبوبكَ.

وَمِنْهَا المَحْقُ: وَهُوَ أتم من المحو.

وَمِنها الأصل: وَهُوَ ما ترد إليه الفروع وَلَهُ تزايد.

وَمِنْهَا الوسائط: وَهِيَ الأسباب التي بين الحق والخلق. وكذلك الْعَلاَئِق.

ومِنْهَا البَادِي: وَهُوَ ما يَبْدو على قلوبِ العارفين من الأحوال.

وَمِنها التّحَلّي: وَهُوَ التشبه بالصَّادِقِينَ في الأَحْوَالِ وَإِظْهَارِ الأعمال. وقِيلَ في معناه: من تحلّى بغير ما هو فيهِ فَضَحَتْهُ شَوَاهِد الامتحان.

وَمِنْهَا التجلي: وَهُوَ إشراقُ أنوارٍ من الحق على قلوب المريدين، قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] والتجلي اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحقّ.

وَمِنْهَا العلة: وَهِيَ تنبيه على الحدث.

وَمِنْهَا الأزل: أخصّ من القدم لأنّه لا يوصف به المخلوق كما يوصَف بالقِدَمِ.

وَمِنْهَا الأبد: وَهُوَ إشارة إلى فقد انقطاع العدد[1].

وَمِنْهَا اللّجا: وَهُوَ قصد القلب إلى الله عزّ وجلّ بإخلاص الضمير، وَصِدق الافتقار، وحقيقة الرجاء، وقيلَ: ما نجا عبْدٌ لا يصدق اللجا.

ومِنْهَا الانزعاج: وهُوَ انتباه القَلْبُ من سنةِ الغفلة وَهُوَ الحركة إمّا للوجد أو للأنس.

واللوايح: مَا يلوح للأَسْرَارِ الصَّافِيَةِ الظاهرة من السمو من حَالَةٍ إلى حالة أتم منها، والارتقاء إلى دَرَجَةٍ أعلىٰ منها.

ومِنْهَا المُشَاهَدَةُ: وَهِيَ المقاربة على اليقين، وهي المُدَاناةُ.

وَمِنْهَا المُكَاشَفَةُ: وَهِيَ أبلغ وأتم وأكمل مِنَ المُشَاهَدَةِ.

وَمِنْهَا التلبيس: وَهُوَ إظهارالشيء في وصف ضده.

---

(١) أو ما ليس له آخر.

وَمِنْهَا الحريّة: وهي كناية عن إقامة غاية حقوق العُبُودية، فيكون لله تعالى عبداً، وعن غيره حراً.

وَمِنْهَا الكلية: وَهِي اسم يجمع كل شيء، من غيرِ استثناء شيء منه.

وَمِنْهَا اللطيفة: وَهِيَ إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم، ولا تسعها العبارة.

وَمِنْهَا الوَسْم، والرّسْمُ: وَهُمَا نعتان من نعوت الحق يجريان في الأبد كما جريا في الأزل.

وَمِنْهَا البسط: وَهُوَ عبارة عن حال الرجاء.

وَمِنْهَا القبض: وَهُوَ عبارة عن حالِ الخوفِ.

وَمِنْهَا الفَنَاء: وهو فناء المعاصي.

وَمِنْهَا البقاء: وَهُوَ بقاء الطّاعات.

وَمِنهَا الجمعُ: وَهُوَ السويّة في أصلِ الخلقِ.

وَمِنْهَا التّفْرِقَةُ: وَهُوَ التفريق في الحكم.

وَمِنْهَا عيْنُ التحْكِيمِ: وَهُوَ إِظْهَارُ غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاءِ.

وَمِنْهَا الزّوائِدُ: وَهِيَ زِيَادات الإيمان بالغَيْبِ واليقينِ.

وَمِنْهَا الشّاهِدُ: وَهُوَ الحاضر. قالَ الجُنَيْد فِي قولِ اللّهِ عزّ وجلّ ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣] أن الشاهد الحقُ، وَالمشهودَ الكونُ.

وَمِنْهَا الصَّحْوُ والسكر: وَهُمَا أتمّ في المعنى وأقوى وأبلغ من الغيبة والحضور، فإن الحضور دَائِم وَالصَّحو حادثٌ.

ومنها المريد: وهو الذي صحت إرادته لمراده ابتداء، وَشَهِدَت بصحة إرادته قلوب الصادقينَ.

وَمِنْهَا المراد: وَهُوَ أبلغ حَالاً من المريد، وهو الذي انتهت إرادتُهُ حَتّى لَمْ تبق لَهُ إرادةٌ.

وَمِنْهَا الغَشَيان: وَهِيَ حَالَة ترد على القلبِ فيتعدّى من باطنٍ إلى ظاهرٍ.

وَمِنْهَا الحُضُورُ: وهو حُضُور القَلْبِ لمّا غَابَ عن العين بصفاءِ اليقين، حتّى يصير الغائب عَنْهُ كَالحَاضِرِ عنده، والمخبر كالمُعاينِ لَهُ.

وَمِنْهَا الغَيبَة: وَهُوَ غيبة القلبِ عما سِوى الحق حتّى عن النفسِ. ثم الغيبة عن غيبتِهِ لئلا يعجب بِهَا.

وَمِنْهَا المُنَاجَاةُ: وَهِيَ مُسَاررةُ الحبيبين لاَ يسمعهما ثالث، قال النبي ﷺ: «لو يعلم المصلي من يُنَاجِي ما التفت» وَقَد قال الله عزّ وجلّ في قِصّة مُوسَى عليه السلام: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْحَيَاءِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: أخبرنَا أَبُو بَكرٍ محمد بنُ جعفر البستي، حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بن مُحَمَّدِ بن شتروَيهِ، حَدَّثَنَا إسحاق بن إبراهيم الحنظَلِيُ، حَدّثنا جريرُ بن عَبْدِ الحميد، حَدَّثَنَا سهيلُ بنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عبد اللَّهِ بن صَالِحٍ، عَنْ أَبي هُرَيرةَ، عَنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الإيمان بضع وَستونَ ـ أو قَالَ سَبْعُونَ ـ شعبة، فَأَرْفعهَا لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأدناهَا إمَاطَةُ الأذى عَنِ الطريقِ، والحيَاء شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ»(١).

قَالَ أَبُو بكرٍ الحسين بن علي بن يزدَانيار: الحَيَاء عَلَى وُجُوهٍ؛ فَأَوّلُ وَجُوهِهِ حَيَاء الجنايةِ وذلكَ مَا رُوِي أن آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ هَامَ بعد الجنايةِ على وَجهِهِ فِي الجِنَانِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ عَزَ وَجل: «أفراراً مني يَا آدَمُ؟» قَالَ: «بَلْ حياءً مِنْكَ».

وَحَيَاء التقصِير قولُ المَلائكَةِ عليهم السلام: سُبحَانَكَ مَا عبدْنَاك حق عِبَادَتِكَ قيل: إنَّ فِيْهِ ذِكْرَ الحياءِ مضمر.

وَحَيَاء الإجْلاَلِ: وَهُوَ مَا أتت بِهِ الروَايَةُ عَنْ إسرافيلَ عليهِ السَّلاَمُ أنه تسربل بجناحِهِ حَيَاءً مِنْ رَبهِ عَزَ وَجَلَ.

وَحَيَاء الغيْرَةِ: وَمَا يُروى عَنِ النَّبِيﷺ أن عيينة بن حصن دَخَلَ عليهِ، فرفع رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ ليسترَ عَائشة عليهَا السلام، فقالَ: يَا محمد مَا هَذَا؟ قَالَ: «هَذَا الحيَاء الذي أُعطِيْنَاهُ ومُنِعْتِموهُ»(٢) أو لفظة هذا معنَاها.

وَحَيَاء الكرَم: في قولِهِ عَزَ وَجَلّ فِي تأديب الصَحَابَةِ رَضِي اللَّهُ عَنهُمْ: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وَحَيَاءُ المَعْرُوفِ: مَا رُوِي عَنْهُ ﷺ أنَهُ قيل لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ الله تَعَالى لَمْ يُكَلِفك هَذَا، فقَالَ: «تَسْأَلُونِي وَيَأبَى الله عَزَ وَجَلّ أن أبخل» فهَذَا حَيَاء الكرمِ وَالمعروف.

وَحَيَاء الآفَةِ: مَا رُوِيَ عَنْ عمر بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ دَخَلَ فِي الصَّلاَةِ أو

---

(١) حديث: الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) أخرجه الإمام مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة (الكنز ١/ ٣٥ الحديث رقم ٥٢).

(٢) لم أجده.

أَرَادَ أنْ يدخُلَ فِي الصلاةِ، فَذَكرَ أنَهُ على غير طُهْرٍ، فقالَ: «إني أرَدتُ أن أمُرَّ فِي الصَّلاَةِ حَيَاء مِنَ الناسِ».

وَحيَاء التحقيقِ: إسقاطُ رُؤيةِ الخلقِ مِنْ قبل الآفَةِ، وإثباتُهَا مِنْ قبل الحقيقةِ، وَذلك مَا رُوي عَنْ عمر بن الخطابِ رَضِي الله عَنْهُ أو عَنْ غيرِهِ أنَهُ قَالَ: فاتته صَلاَةٌ وَهُوَ يأتي المسجِدَ، فتلقَاهُ الناسُ منصرفينَ، فانصرفَ بِوَجهِهِ.

الْحَيَاء حَيَاءٌ بِلاَ عِلَّةٍ وَلا آفَةَ عندنا، وَهَذَا معروفٌ عند أهلِ المعرفةِ بالقلوبِ.

وَحَيَاءُ الاسْتِحْقَارِ: مَا رُوِي عَنْ كليم الله مُوسَى عليهِ السلام حين قَالَ: إنَهُ لتعرُضُ لِي الحَاجَةُ مِنْ أمرِ الدنيا فاستحيي أن أسْألك، قَالَ: سَلني حتى ملح عجينك وَعَلفَ شاتك».

وَحَيَاء الصِّيَانَةِ والعفةِ: قولُ عثمان بن عفان رَضِي الله عَنْهُ: مَا زنيت فِي الجَاهليةِ وَلاَ فِي الإسْلاَمِ.

وَحَيَاءُ الْوَقَارِ: لعثمان أيضاً وَذَلِكَ حَيَاؤهُ مِنَ الملائكةِ عِنْدَ الخَلاْءِ.

وَحَيَاءُ التوقيرِ: حَيَاء الملائكَة عليهم السَّلاَم مِنْ عثمان عليهِ السَّلاَمُ.

وَحَيَاءُ النَّبِي ﷺ مِنْ عثمانَ، قولُهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: «إني لأستحيي مِمّنْ تستحيي مِنْهُ الملائِكَة»[1].

وَحَيَاء الْحِشمَةِ: قولُ علي بن أبي طالبِ عليهِ السلام للمقدادِ بن الأسودِ الْكِنْدِي: «سَل رَسولَ الله ﷺ عَنِ المذِي فإن ابنتَهُ تحتي وَأنَا أستحيي أن أسْألَه لِمَكَانِهَا مني».

وَفِي حَيَاءِ الْغيرَةِ: الحَدِيثُ الذِي يُروى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، وقد سَألَت امرأةٌ رَسُوْلَ الله ﷺ عَنِ المرأةِ ترى مَا يرى الرجُلُ فِي المنام، فقالتْ عَائشَة رَضِي الله عَنْهَا: أو ترى المرأةُ مَا يرى الرجل، وَإنَّمَا قالتهُ استحيَاء، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فمن أين يَكون الشَبَهُ»[2].

---

(١) أخرج ابن عساكر عن محمد بن جعفر عن أبان عن علي قال: دخلت على النبي ﷺ وهو مستلقٍ رافعاً رجلاً عن رجل وفخذه مكشوفة فدخل عليه أبو بكر وعمر، ثم جاء عثمان فاستأذن فلم يدخل حتى أرخىٰ النبي ﷺ على فخذه فغطاها فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قد كنا عندك جماعة فما غطيتها وجاء عثمان فغطيتها، فقال: إني لأستحيي ممن استحيت منه الملائكة. (الكنز ١٣/ ٦٠ الحديث رقم ٣٦٢٥٠).

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: استفتت امرأة رسول الله ﷺ عن المرأة تحتلم؟ فقلت لها: فضحتِ النساء أو ترى المرأة ذلك؟ فالتفت رسول الله ﷺ فقال: فمن أين يكون الشبه تَرِبتْ يمينك؟ وأمر النبي ﷺ بالغسل إذا أنزلت المرأة. (أخرجه عبد الرزاق في المصنف) ـ الكنز ٩/ ٦٣٧ الحديث رقم ٢٧٧٦٣).

وَحَيَاء العَزبَةِ قولُهُ عزَ وَجَلّ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥] .

وَحَيَاء ضْرب الأمْثَالِ لِبَيَانِ الحقِ: قولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] .

وَأمَّا حَيَاء الْحَقِ فقولُهُ عَزَ وَجَل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[١] .

وَحَيَاء التَنبِيهِ: قولُهُ ﷺ: «إن الله لاَ يستحيِيْ مِنَ الحق، لاَ تَأتُوا النِّسَاء فِي أدْبَارِهِنَ»[٢] .

وَحَيَاء المُراقَبةِ: فِي الاتِّعَاظِ لدىٰ الوعظ قَالَ الله تَعَالَىٰ لِعِيْسَى عليهِ السَّلامُ: «عِظْ نَفْسَكَ فإن اتعظَتْ فعظ الناسَ، وَإلاَّ فاستحْيِ مني» .

وَحَيَاء المُرَاجَعَةِ: حين كَانَ النَّبِي ﷺ يتَردَدُ بينَ رَبِّهِ عَزَ وَجَلَ وبين كليمهِ مُوسَى عليهِ السَّلاَمُ فِي التخفيف عَنِ الأمَةِ فِي الصَّلاَةِ، فَقَالَ ﷺ فِي آخر المراجعة: «إني قد استحييت مِنْ رَبِي عَزّ وَجَلّ»[٣] .

والْحَيَاءُ الَّذِي بالحديثِ: وهُوَ قول الراعي للإبل لبعضِ الصَحَابَةِ: إني لآتي الغَائط وَأنا أستحييهِ.

وَحَيَاءُ قِصَرِ الأملِ: وَهُوَ حَدِيثُهُ ﷺ: «استحيُوا مِنَ الله تَعَالى حق الحيَاءِ» قَالُوا: كلنا نستحيي يَا رسولَ اللّهِ، والحديث بتمَامِهِ[٤] .

وَحَيَاء الإحْسَانِ: قولُهُ ﷺ: «يقولُ الله عَزَ وَجَلّ: وَأمّا الورعون فإني أستحيي أن أحاسبهم إذَا حَاسَبْتُ الخلائق» وَإنَّما قُلْنَا حَياء الإحْسَانِ لقولِهِ عَزَ وَجَلّ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] ، فَجَازَاهُمْ بإحْسَانٍ وَرغبهم إحسان ترك المحَاسَبَةِ.

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

(٢) عن خزيمة بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى لا يستحيي من الحق، لا يحل لأحدكم أن يأتي النساء في أدبارهن) أخرجه الطبراني في الكبير. (الكنز ١٦/ ٣٥٣ الحديث رقم ٤٤٨٩٠).

(٣) في حديث المعراج المشهور في كتب السنن.

(٤) حديث: استحيوا من الله تعالى حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء (أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي بسندهم عن ابن مسعود. ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ١/ ١٩٧ الحديث رقم ٩٧٢).

وَحَيَاء المُعَاتَبَةِ: الرِوَايَةُ بأن العبد فيما يُعَاتِبُهِ ربه عَزّ وَجَلّ: «أي رَبّ عَذابُك أحَبُ إلي مِنْ عِتَابِك».

وَحَيَاء المُعَاوَدَةِ فِي السُؤَالِ: الرِوَايَةُ المرويَةُ فِي قولِ العبدِ: «إذَا دَعَا فقالَ: أي رَبّ فيعرض عنهُ، فيقولُ: أي رَبّ، فيعرضُ عَنْهُ، فيقولُ فِي الثالثَةِ أي رَبّ أوْ فِي الرابعَةِ، فيقول الرّبُ عَزَ وَجَلّ: قد استحييت مِنْ عبدِي مِنْ كثرةِ مَا يقولُ أي رَبّ فأعرض عنهُ»[1].

وَحَيَاء التَّوَكُل: قولُ عَامِرِ: إني لأستحيي مِنْ رَبي عَزَ وَجَلّ أن أخَافَ شيئاً سِوَاهُ.

وَحَيَاء الصَّلاَحِ: مَا رُوِي فِي الخبر: استحِ مِنَ الله عَزَ وَجَلّ كَمَا تستحيي مِنْ رَجُلِ صَالِحِ مِنْ قومِك[2].

وَحَيَاءُ الغِنَى: الحِكَايَةُ المروية عَنِ الثوري، أنَّهُ دَخَل على رَابعة، فذكر الحِكَايَة إلى أن قَالَ: قَالَتْ لِي رَابِعَةُ: إني لأستحيي أنْ أسْأَلَ الدُنْيَا مَنْ يملكُهَا، فكيف أسألُهَا ممَنْ لا يملكهَا.

وَحَيَاءُ الْوَاجِبَاتِ: الحَدِيث المروي أنَّ عَائِشَة عَلَيْهَا السلام، قَالَتْ، فيما أثنت على نِسَاءِ الأنْصَارِ: «وَأنهن لَمْ يكن يمنَعُهُنَ أنْ يَسَألْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَن الصفرة وَالكدرةِ» والحديث بتمامهِ.

وَحَيَاء الحُرْمَةِ: مَا فِي الرِوَاية أنَّ أبَا مُوْسَى الأشعري قَالَ لِعَائشَة رَضِيَ الله عَنْهَا: قَالَتْ: «مَا كنتَ سَائلاً عَنه أمك فسلني»، فقالَ «الرجُلُ يُجَامِعُ أهله وَلاَ ينزلُ، قَالَتْ: إذَا التقى الخِتَانَانِ فقد وَجَبَ الغُسْلُ، فعلته أنَا وَرَسُولُ اللهﷺ فاغتسَلْنَا».

وَلَهُ وَجه آخرٌ وَهُوَ الْحيَاءُ مِنْ الحيَاء لأن المجامعة وَذكرها بما يلحق النِّسَاء فيهِ حياءٌ، وَأبُو مُوْسَى الأشعريُ استحيًا لِمَا علم أنَّ النِّسَاء يلحقهن الحياءُ فِي هذا المكان، استحيَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا مِنْ رَسولِ اللَّهِ ﷺ حين سَألته أمُ سليم عَنِ المرأةِ ترى مَا يرى الرجُلُ وَالحديثِ بتمامِهِ. . .

---

(١) وفي الحديث (إن الله يستحيي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبتين) أخرجه الإمام أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم بسندهم عن سلمان (الكنز ٢/ ٦٩ الحديث ٣١٦٥).

(٢) حديث: (استخي من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك) أخرجه ابن عدي عن أبي أمامة (الكنز ٣/ ١١٨ الحديث رقم ٥٧٥٠).

وَحَيَاءُ الرَّحْمَةِ: وَهُوَ الحديث المروي: «أن الله تَعَالى يستحيي مِنْ ذِي الشيبةِ المسلمِ أن يعذبَهُ غداً فِي نَارِ جَهَنَّمَ»(١).

وَلَهُ وَجْهٌ آخَرٌ، وَهُوَ حَيَاءُ الكِبَرِ، إذ قَدْ كَبِرَ فِي الإِسْلاَمِ سنه، وَرَقَّ جلده، وَتغيرتْ حَالُهُ.

وَحَيَاءُ الغرورِ: وَهُوَ قولُ أَبي الدَّرْدَاءِ حين قَالَ لأَهْلِ حِمْصَ: «مَا تَسْتَحيُونَ مِنْ ربكم عَزّ وَجَلّ تَبْنُونَ مَا لاَ تَسْكنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لا تَأكُلُونَ، وَتُؤمِلُونَ مَا لاَ تَدْرِكُون».

وَحيَاء المَعْرِفَة: الحَدِيثُ المروي أَنَّ رجُلاً رَأى فيما يَرَى النائمُ بالبصْرَةِ أن هَاتفاً هتف بِهِمْ: يَا أَهْلَ البصرَة، يَا أشباهُ اليهود، كُونُوا على حَيَاءٍ مِنْ ربكم عَزَ وَجَلّ.

وَحيَاء استعْظَامِ الجنايةِ: مَا ذكر عَنْ دَاود عليهِ السَّلاَمُ أَنَّهُ كَانَ لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بعْدَ الخطيئةِ إلى السَّمَاءِ حَيَاء مِنْ رَبِهِ عَزَ وَجَلّ.

وَحيَاء الإِيمَانِ: الحدِيث المَرْوِيُ عَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ: «الحَيَاءُ مِنَ الإيمانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجنَةِ، وَالبذاءُ مِنَ الجَفَاء، والجفَاء فِي النارِ»(٢).

وَحَيَاءُ الزينةِ: يُتزيَنُ بِهِ، وَهُوَ الحديث المروي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شيءٍ إلاَّ زَانَهُ»(٣) فالحياء فِي الآدَمِي المسلم فِي الأشيَاءِ الَّتِي يأتيهَا إذَا كَانَتْ فِي صحةِ الحيَاءِ زان ذلك، فإذا نزع مِنْهُ شَانَهُ. ووجهُهُ أَنَّهُ أي امْرِءٍ أوتي مِنْ أمر دينٍ أو دنيا شيئاً ولَمْ يصْحَبهُ الحيَاء الذي هو من حياء الإيمان، فقد صَارَ شيناً لأنَهُ لَمْ يُرَدْ بِهِ الله عَزَ وَجَلّ، فَكَانَ مِنَ البَذَاء، وَهُوَ مِنَ الجَفَاء، الَّذِي يستحقُ العقوبةَ بِهِ.

والأشياء كثيرة، كذلك صحبة الحَيَاءِ مَعَهَا كثيرة، كَمَا رُوي فِي الحديثِ: «إنَّ مِمَّا أدركَ الناسَ مِنْ كَلاَمِ النُّبوةِ الأولى إذَا لَمْ تَسْتَحِ فاصنع مَا شئت»(٤).

وَقَدْ رُوي: إن آخرَ ما ينزعُ مِنْهُ الحيَاءُ فتلقاهُ شيطاناً مِرِيداً.

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في الدرة الفاخرة، ورواه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار بسند ضعيف بلفظين آخرين.

(٢) أخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة، والحاكم والبيهقي عن أبي بكرة، والطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ١/ ٥٢٣ الحديث رقم ٣٨٦٥).

(٣) حديث: (ما كان الفحش في شيء قط إلاّ شأنه، ولا كان الحياء في شيء قط إلاّ زانه) أخرجه الإمام أحمد والبخاري في الأدب والترمذي وابن ماجة عن أنس. (الكنز ٣/ ٥٩٩ الحديث رقم ٨١٠٠).

(٤) أخرجه البخاري والإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة بسندهم عن أبي مسعود والإمام أحمد عن حذيفة. (الكنز ٣/ ١٢٢ الحديث رقم ٥٧٧٩).

وَحَيَاء الخَيْر: وَهُوَ حديثهُ ﷺ حين سُئِلَ عَنِ الحياءِ فقال: «الحيَاء خير كُله»[1]، خير الدين والدُّنْيَا.

وَقِيل لِيحيى بن مُعَاذٍ: مَنْ أدْوَمُ الناسِ حَيَاءً؟ فَقَالَ: أقربهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَل قرباً.

وَقَالَ أبو أحمدِ القَاضِي: إن العباد عملوا على أربعةِ مَنَازِلَ؛ الخوفِ، والرَّجَاءِ، والتعظيم، وَالحيَاء، فأشرفها منزلَةً الحياء، لَمَّا أيقنَ القوم أنَّ الله تَعَالى يراهم عَلَى كُلِ حَالٍ اكتفوا بِذَلِكَ وَقَالُوا: سَوَاء علينَا رَأينَاهُ أو رَآنَا، فَكَانَ الحَاجِزَ لَهُمْ عَنْ مَعَاصيهِ الحياءُ مِنْهُ.

وَقَالَ أبو سليمان: إذَا استحيا العبدُ فقد استكمل الخيرَ.

وَقَالَ جعفر بنُ سليمان: كَانَ مِنْ دُعَاءِ مَرْيم أم عِيسَى عليهما السَّلاَمُ: اللَّهُمَّ املأ قلبي بك فرحاً، وغَشِّ وَجهي منك حيَاءً.

وَقَالَ الكتَانِي: العبادَةُ اثنان وَسَبْعُونَ بَاباً، واحدٌ وَسبعونَ مِنْهَا فِي الحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ، وَوَاحِدٌ فِي أنْوَاعِ البِرِّ.

وَعَنْ إبراهِيم بن أدْهَمَ قَالَ: اللَّهَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الأرْوَاح وَالأبدَانِ الضعيفة، الحَذرَ الحذَرَ كونوا عَلَى حَيَاءٍ مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ، فَواللَّهِ لقد ستر وأمهل، وَجَادَ وأحسن، حتى كَأَنَهُ قد غفر كَرَماً منه بخلقِهِ.

وَعَنْ أبي سُلَيْمَانَ قَالَ: إذَا سَكَنَ القَلْبَ الحَيَاءُ مِنَ الله عَزَ وَجَلّ، فقد ارتحلت عَنْهُ الشهوات.

وَسُئِلَ عبد الله بن سليمَان الزاهدُ: مَا أنفع الحَيَاء؟ قَالَ: أن تَسْتَحيي مِنَ اللَّهِ أن تَسْأَلَهُ مَا تُحِبُ وَتَأتِي مَا يكْرَهُ.

شِعْرٌ:

إذَا قَلَّ مَاءُ الوجْهِ قَل حَيَاؤُهُ ... ولاَ خَيرَ فِي وَجْهٍ إذا قَلَّ مَاؤهُ

حَيَاؤُكَ فاحفَظْهُ عليك فإنَّما ... يَدُلُ عَلى وَجْهِ الكريم حَيَاؤهُ

وَعَنِ الزُهْرِي أنَّ أبَا بَكْرِ الصديق رَضِي الله عَنْهُ قَالَ يَوْمَاً وَهُوَ يَخْطُبُ الناسَ: «استحيوا مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ، فوالله مَا خرجتُ لِحَاجَةٍ منذُ بايعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أرِيْدُ الغَائِطَ إلا وَأنَا مقنع الرأس، حَيَاء مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلَّ».

---

(١) حديث (الحياء خير كله) أخرجه مسلم وأبو داود بسندهما عن عمران بن حصين (الجامع الصغير ١/٥٢٣ الحديث رقم ٣٨٦٣).

وَقَالَ يحيى بن جعدة: إِذَا رَأيتَ الرَّجُلَ قَلِيْلَ الحَيَاءِ، فَاعْلَمْ أنَهُ مَدْخُولٌ فِي نَسَبِهِ.

وَيُقَالُ: لاَ دَوَاء لِمَنْ لاَ حَيَاءَ لَهُ، وَلاَ حَيَاءَ لِمَنْ لاَ وَفَاء لَهُ، وَمَن اشْتَدّ حياؤهُ صَانَ عرضهُ، وَمَنْ قل حَيَاؤهُ صنع مَا شَاءَ، وَقَالَ مَا أحبَّ.

وَقَالَ أبو عثمان: من تَكَلَّم فِي الحيَاءِ وَلَمْ يَسْتَحِ مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ فيما يتكَلَم بِهِ، فهو مستدْرَجٌ.

وَعَنْ أبي علي الرُوذبَاري قَالَ: إِنَّ لِكُلِ شيءٍ وَاعِظاً، وَوَاعِظُ الْقَلْبِ الحيَاء، وَأفضلُ كَنز المؤمنِ الحيَاءُ مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ.

وَقَالَ سَري: ترك الذنُوبِ على ثلاثةِ أوْجُهٍ؛ خوفُ النارِ، وَالرغْبَةُ فِي الجنَّةِ، وَالْحَياءُ مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ.

وَقَالَ بعضهُم: أحْيُوا الحيَاء بِمُجَالَسةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ.

وَقَالَ أبو سليمان الدَارَانِي: قَالَ لقمانَ الحكِيمُ لابنهِ: يَا بُنِي، كُل أمرٍ حَدّثْتَ بِهِ نَفْسَكَ مِمَّا لَو أخْرَجْتَهُ للناسِ استحيَيْتَ منهم، فَأخرجْهُ مِنْ قلبك، فإِنَّ اللَّهَ عَزَ وَجَلّ أحَقُ أنْ تَسْتَحيِيَهُ.

وَأنشَدَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ:

إذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

فَلاَ وَاللَّهِ مَا فِي العَيشِ خَيرٌ ... وَلاَ الدُّنْيَا إذا ذَهَبَ الحَيَاءُ

يَعِيشُ المرءُ مَا اسْتَحْيَا بخيرٍ ... ويبقى العُودُ مَا بَقِي اللِّحَاءُ

وَقَالَ وُهَيْبُ بن الوردِ: كُنْتُ أطوفُ حَوْلَ البيتِ ـ يَعْنِي الكعبَة ـ فَإِذَا رَجل قَدْ وَضَعَ يَدَهُ على مَنْكِبِي، فقالَ: يَا وُهَيبُ خفِ اللَّهَ تَعَالى لقدرتهِ عليك، واستحْيِ مِنْ اللَّهِ عَزَ وَجَل لقربِهِ مِنْك. قَالَ وُهيب: فلم أرَ أحداً، قَالَ: وَكَانُوا يَرَونَ أنَّهُ الخضر عليهِ السَّلاَمُ.

وَقَالَ أبُو سُلَيمانَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَ وَجَلّ: «عِبْدِي، إنك إذا استحييتَ مِنِي أنسيت الناسَ عيوبك، وَأنْسَيْتُ بقَاعَ الأرض ذنُوبك، وَمحوتُ مِنَ الكِتَابِ زَلاتِك، وَلاَ أنَاقِشك فِي الحسابِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَبْدِ الله بن منَازِل، فَقَالَ لَهُ: مِنْ أين تَجيءُ؟ فقال: مِنْ مجلسِ أبي القَاسِم المذكِّر ـ وَكَانَ يتكَلَمُ فِي الحيَاء ـ فقالَ: وَاعجبَاهُ مَنْ لاَ يستحيي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كيف يتكلم فِي الحيَاء.

وَقَالَ سَهْلُ بن عبد اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أولُ دَاء فِي النفسِ الجهل، ثم حُبُ الأشياء، ثم قلةُ المُبَالاة، ثم قلَةُ الحَيَاء.

وَقَالَ أبُو الفضل: بلغنا أن الله تَعَالَى قَالَ: «مَا أنصفني عَبْدِي، يَدْعُوْني فَاسْتحيي أنْ أَرُدَهُ، وَيَعْصِيْني وَلاَ يستَحْيي مني»!

وَقَالَ يحيَىٰ بن مَعَاذ: مَنِ استحيا مِنَ اللَّهِ تَعَالى مُطيعاً، استحيَا الله تَعَالى مِنْ عذابِهِ مُذْنِبًا.

وَقَالَ أيضاً: عجبتُ مِنْ التقاء الحَيَاء من العبد حياء النَدَمِ، وَمِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَل حياء الكرمِ.

وَسُئِل بعضهم عَنِ الحياءِ فقالَ: الاحتشامُ بأنْ يراك تقوم بغير إذْنِهِ، أو تَحبَّ غَيْرَهُ، أوْ تطلُبَ سِوَاهُ.

وَقَالَ يُوسفُ بنُ أسْبَاطِ: مِنْ عَلاَمَاتِ الحيَاء انقبَاضُ الْقَلْبِ، وَتَعظِيم رُؤيةِ الرَّبِ، وَوَزْنُ الكَلاَمِ قبل النُطْقِ، وَمُجَانَبَةُ مَا تريد أن تعتذِر مِنْهُ، وترك الدُخُوْلِ فيما يستحيا منه، وترك إجَابَةِ السفيه تحلماً عَنْهُ، وَحفظُ اللّسَانِ وَالبَطْنِ وَمَا حوى، وترك زِيْنَةِ الحَيَاةِ الدُنْيَا، وَذِكْرُ المقَابر وَالبِلَى.

وأنشد:

وَلَيْسَ بِمَنْسُوبٍ إلَى العلم والنُهَىٰ ... فتىً لاَ تُرَى فيهِ خَلاَئِقُ أرْبَعُ
فواحِدَةٌ: تقوى الإلَهِ التي بِهَا ... يُنال جسيمُ الخير وَالفضلُ أجْمَعُ
وَثَانِيةٌ: صِدْقُ الحَيَاءِ فَإنَهُ ... طباعُ عليهِ ذُوْ المُروةِ يُطْبَعُ
وَثَالِثَةٌ: حلم لِذِي الجَهْلِ عَالِمَاً ... بأن شباةَ الجَهل بالحلم تُقطَعُ
وَرَابِعةٌ: جُود بِمِلْكِ يمينهِ ... إذا نَابَهُ الحق الذِي لَيْسَ يُدْفَعُ

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: الحيَاء أعلىٰ مِنَ الخوفِ، لأن الحيَاء للخاصِ، وَالخوفَ للعَامِ.

وَعَنْ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبِ عليهِ السَّلاَمُ قَالَ: «مَنْ لَمْ يكن ذَاكِراً لفضلِهِ، نَاصِحَاً لِنَفْسِهِ، مُشفقاً عَلَى ذنبِهِ، مستحيياً مِنْ رَبهِ، نَادِمَاً عَلَى ذَنْبِهِ، كيف ينجُو مِنْ بلاء الدُنْيَاوعذَابِ الآخِرَة».

وَقَالَ أيضاً: نعم الخلُقُ التكرم، والحيَاء سَبَبٌ إلى كُلِ جَمِيل.

وَقَالَ مَالِكُ بن دِيْنَارِ لَقَدْ استحييْتُ مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ مِنْ كثرةِ مَا أختلف إلى الخَلاَء، فَوددتُ أن الله تَعَالى جعل رزقِي فِي حَصَاةِ أمُصُهَا حتى ألقَى الله تَعَالَى.

وَقَالَ عِيْسَى ابنُ مريم عليهِ السَّلاَمُ: «واستحيُوا مِنَ الله عَزَ وَجَلّ فِي سَرِيْرَتكُمْ كَمَا تستحيون مِنْهُ فِي علانِيَتكُمْ.

وَسُئِلَ المُحَاسِبِي عَنِ الحَيَاء، فقالَ: الامْتِنَاعُ مِنْ كُلِ خُلقٍ دَني لاَ يرضَاهُ الرَّبُ عَزَّ وَجَلّ، وَعَلاَمَتُهُ أنْ لاَ يُرَى فِي المكانِ الذِي يُستحيَا مِنْهُ، وَمعرفة القلبِ بِظَاهِرِ سترِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعلمُ القَلْبِ بمعرفةِ السُؤالِ، وَالوقوف بين يديهِ، وَالمعرفَةُ بأنَهُ بِعَينِ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ فِي جميعِ منقلبهِ وَأحْوَالِهِ.

وَقَالَ حُذَيفَةُ: مَا مِنْ أحدٍ يَتَعَرضُ للدُنْيَا إلا قطَعَتْ بينَهُ وَبين اللَّهِ عَزَ وَجَلّ، ثُمَّ قَالَ: قلة الحَيَاءِ كُفْرٌ.

وفِي بعضِ الكُتب: إن الرجل إذَا جَلَسَ ليعظ الناسَ يُنَادِيه مَلَكَاهُ الموَكلان بِهِ: يَا عَبْد اللَّهِ عِظْ نفسك مما تعظ بِهِ أخَاكَ، وَاستَحْيِ مِنْ سَيّدِك فإنَهُ يَرَاكَ.

وَعَنْ جعفر الخالِدِي قَالَ: سَألْتُ الجنيد عَن الحيَاء، فقالَ: رَؤيَةُ الآلاَء، وَرؤيَةُ التقصير، يتولَدُ مِنْ هَاتين الحَالتِين حَالٌ تسمى: الحيَاء.

وَحُكيَ أنَهُ كَانَ لمعروفِ الكرخِي خالٌ وَكَانَ والي البَلَدِ فدخل معروفٌ، ذَاتَ يوم خَربةً وَمَعَهُ رَغيف وَفِي الخربَةِ كَلْبٌ، فَكَانَ يأكُلُ لقمَةً وَيلقي للكَلْبِ لُقْمَةً فمر خَالهُ بباب الخَربَةِ فأخبر بحالِ مَعْرُوفٍ، فقالَ لَهُ: أمَا تستحيي تؤاكِلُ الكِلاَبَ؟ فَالتفت مَعْرُوفٌ إلَى طَائر فدعَاهُ فَأتَاهُ الطائرُ، فسقطَ على يَدِهِ وَغطى إحْدَى عَيْنَيْهِ بِجَنَاحِهِ، فخجل خَالُهُ وَقَال: هَذَا خير مِمَّا نحن فيهِ، ثُمَّ قَالَ: هبك دَعوتَهُ فأجَابك، فما بالهُ غطَى عينَهُ عَنك؟ فقالَ: استحييتُ مِنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلّ فاستحيا مِنِي.

وأنشدتُ:

فَــرُبَّ قــبـيـحَــةٍ مَــا حَــالَ بــيـنـي ... وَبــيـــن رُكُـــوبِـــهَـــا إلا الـــحَـــيَـــاءُ
فَــكَـــانَ هُـــوَ الـــدَوَاءُ لَـــهَـــا وَلَــكِـــنْ ... إذَا ذَهَـــبَ الـــحـــيَـــاءُ فَـــلاَ دَوَاءُ!

بَابٌ فِي حُسْنِ الظَّنِ بِاللَّهِ عَزّ وَجَلّ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ محمد بن عَلي بن عِيْسَى الْخَبَّازُ بِتُسْتَرَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا علي بن جعفر بن مُسَافر، حَدَّثنا أبي، حدَّثَنَا مُؤمِلُ بن إسْمَاعِيْلَ، حَدَّثَنَا إبْرَاهِيم بن يزيدَ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بن عبد اللَّهِ، أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «لاَ يَمُوتَنَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إلاَّ وَهُوَ يحسن الظن بِاللَّهِ عَزَ وَجَلّ فإنَّ العبدَ عند ظَنهِ بِرَبهِ عَزَ وَجَلّ إن خير فَخيراً وَإن شراً فَشَرّ.

وَرُوِيَ أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ قبل موتِهِ بثلاث: «لاَ يموتن أحدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يحسن الظن باللَّهِ عَز وَجَلَّ، فإن العبد عند ظنه بربه عز وجل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»(1).

وروي أن النبي ﷺ قال قبل موته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلاّ وهو يحسن الظن بالله عز وجل: «فإن قوماً قد أرْدَاهُمْ سُوء ظنهم بربِهِمْ».

وَذَلِكَ قوله عَزَ وَجَلّ: فِي سورة فُصِّلَتْ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] .

وَقَالَ ﷺ: «إن حُسْنَ الظنِ باللَّهِ تَعَالَى لَمِنْ حُسْنِ العِبَادَةِ»(2).

وَعَنْ سهلِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ أنَهُ قَالَ: بحسن ظني بربي رَجوتُ غفرانَ رَبِي.

وَعَنْ سهلِ بن أبي حَزْمِ القطعي قَالَ رَأيتُ مَالك بنَ دينارٍ فِي مَنَامِي، فقلتُ: يَا أبَا يحيى، ليت شِعري مَا قدمتَ بِهِ على الله عَزَ وَجَلّ، قَال: قدمتُ بذنوبٍ كثيرةٍ محاها عَنِّي حسن الظن باللَّهِ عَزَ وَجَلّ.

وَقَالَ عُمَر بنُ ذرٍّ: إنّ لِي فِي رَبِي عَزَ وَجَلّ أملين؛ أحدهُمَا: أن لاَ يعذبني بالنَّار، فإن عذبني لَمْ يُخَلدْني فِيْهَا مَعَ مَنْ أشرك بِهِ.

وَقَال أَبُو عِمْرَان: دَخَلَ إخوة يُوسفَ على يُوسُفَ فعرفَهُمْ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، فَخَلاَ بكبيرهم فقَالَ: بِمَ أوصَاك أبُوكَ؟ فقالَ: بِأربعِ خِصَالٍ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قَال: لا تتبع هَواك فَتُفَارِقَ إيْمَانك، وَلاَ تُسِيء بالله العَظِيْم الظَنّ فلا يستجيب دعَاءك، وَلاَ تبذل منطقك فِيْمَا لاَ يعْنيك فتسقُطَ مِنْ عَينِهِ، وَلاَ تظلم الناسَ فإنَ الجنةَ لَمْ تخلق للظالمينَ.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم والإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة. (الجامع الصغير ٢/ ٦٥٤ الحديث رقم ٩٩٨٧).

(٢) حديث: (إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم بسندهم عن أبي هريرة رضي الله عنه (الكنز ٣/ ١٣٥ الحديث رقم ٥٨٤٨).

وَقَالَ بعضهم: لِكُلِ تَاجِر بِضَاعَةٌ، وَبضاعَةُ العَارِفين حسنُ ظنهِم بِرَبِهِمْ عَزَ وَجَلّ.

وَقَالَ الحسَنُ: يتمادَى أحدهم فِي المعصِيَةِ وَيقولُ إني حَسَنُ الظن بِرَبِي عَزَ وَجَلَ، وَكَذَبَ فَإِنَّهُ لَوْ أَحْسَنَ الظنَ أحسنَ العَمَلَ. قَالَ الله تَعَالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظنكُمُ الذِي ظننتمْ بربكُمْ أَرَادَكُمْ فأصبحتم مِنَ الخاسِرين﴾.

وَقَالَ أحمدُ المغربي: كُل مَنْ لاَ يحسن عمله لا ينفعه حسن ظنِهِ.

وَقِيل ليحيى بن معاذِ: مَنْ أحسنُ الناسِ ظناً بالله عَزَ وَجلّ؟ فقال: أشدهم لَهُ خوفاً، قيل: لِمَ؟ قَالَ: لأن حُسْنَ الظن عَلَى افتِقَادِ الخوفِ اغْتِرَارٌ.

وَيُقَالَ: الاسْتِغْنَاءُ عَنِ الخلق، والافتقارُ إلى الحقِّ، بقدْر معرفتك بِغناهُ، وَحُسْنُ ظنك بِهِ بقدرِ معرفتك بكرمِهِ.

والحَيَاءُ جَوْهَرٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ بَين أهْلِ وِلايَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلاَ يملكُهُ إلا صِديقٌ عَارِفٌ.

وَقَالَ يحيى بن حسن: ظن العبد بِاللَّهِ عَلَى قدر معرفته بكرمِهِ، وَلَيسَ مَنْ ترك الذَنبَ لنفسِهِ كَمَنْ تركَهُ لِرَبِهِ سبحانه، وليس مَنْ تركه خوفاً على نفسه، كمن تركه حياء من ربه عَزَ وَجَلّ أن يراهُ على مَا يَكْرَهُ، فَيُعرضُ عَنْهُ.

وَقَالَ يحيى بن مُعَاذِ: حُسْنُ الظنِ باللَّهِ عَزَ وَجَلّ يَكون إذَا كَانَ مَعَ الأعْمَالِ وَالمُراقبَةِ، فأمَّا إذَا كَانَ مَعَ الغفلةِ وَالمعَاصِي فهي أماني تقعُ فِي رِيَاضِ الأخطَارِ.

وَقَالَ يحيى بن مُعَاذِ: مِنْ حُسن العمل يتولَدُ حُسْنُ الظنِ، وَمِنْ سُوءِ العملِ يتولَدُ سُوءُ الظنِ.

وَقَالَ أَبُو عليّ الجوزجاني: حُسْنُ الظَّنِ بِاللَّهِ تَعَالى غَاية المعرفة، وَسُوءُ الظَّنِ بالنفسِ أصْل المعرفةِ بِهَا.

ولمحمود الوراق:

حُسْنُ ظَنِي بِحُسْنِ عفوِكَ يَا رَبْ	بِ جميل وأنت مالِكُ أمْرِي
صُنْتُ سِرِي عَنِ القَرَابَةِ وَالأهْـ	ـلِ جميعاً وَأنْتَ مَوْضِعُ سِرِي
ثِقَةً بِالذِي لديك مِن السِّرْ	رِ فلا تُخْزِنِي بِهِ يَومَ نَشْرِي
يَوْمَ هتكِ السُتُور عَنْ حجبِ الغيـ	ـبِ فَلاَ تَهْتِكَنَّ للناسِ سِتْرِي

بَابٌ فِي ذِكْرِ الصَّمْتِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، أخبرنا الحَسَنُ بن أحمد بنِ مُوسَى القَاضِي، حَدَّثَنَا مُسَدَدُ بنُ قطنٍ، حَدَّثَنَا هَارُون بنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا ابنُ أبي فُدَيكٍ، عَنْ عُمَرَ بنِ حفصٍ، عَنْ عثمانَ بن عبد الرحمنِ، عَنِ الزُهْرِي، عَنْ أَنَسٍ بن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَم فليلزَمِ الصَّمْتَ»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ بن مَالِكٍ قَالَ: «لَقِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا ذَرٍ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍ ألاَ أدلُكَ عَلَى خصلتين؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «عليكَ بحسنِ الخلقِ، وطُولِ الصَّمْتِ، فوالذي نفسي بيدِهِ مَا تجمَّلَ الخلقُ بمثلِهمَا»(٢).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللَّهِ، مَا النجاةُ؟ قَالَ: «أملك عليك لسَانك»(٣).

وَعَنْ أنسٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ ستر الله عورتَهُ، وَمَنْ كف غضبه كَفَّ الله عَنْهُ عَذَابَهُ»(٤).

وَعَنْ ثوبَانَ مَولَى رسول الله ﷺ قَالَ: «طُوْبَى لمن ملك لِسَانَهُ، وَبَكَى على خطيئتهِ، وَوَسِعَهُ بيتُهُ»(٥).

وَعَنْ عيسى بن مَرْيم عليهِ السَّلاَم قَالَ: «أقِلُوا الكَلاَمَ إلا مِنْ ذكر الله عَزَ وَجَلّ، فإن كثرة الكلام تقسي القَلْبَ».

وَقَالَ لقمان لابنهِ: «يَا بني، لئن كَانَ الكَلام مِنْ فضة فإنَّ السُكوت مِنْ ذَهَبٍ، يَا بني، نَدِمْتُ على الكلام وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى السُكوتِ».

وَعَنِ الجنيد قَالَ: عِمَارَةُ القلبِ نعمة، وَعمارة اللِّسَانِ فتنَةٌ.

---

(١) أخرجه البيهقي عن أنس بن مالك. (الجامع الصغير ٢/٥٢٦ الحديث ٨٧٤٦).

(٢) أخرجه أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه. ورمز السيوطي لضعفه. (الجامع الصغير ٢/١٢٨ الحديث رقم ٥٤٩٨).

(٣) أخرجه ابن قانع والطبراني في الكبير (الجامع الصغير ١/٢٢٠ الحديث رقم ١٦٥٢).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ.

(٥) حديث: (طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته، وبكى على خطيئته) أخرجه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في الحلية، ورمز السيوطي لحسنه (الجامع الصغير ٢/١٠٣ الحديث رقم ٥٣٠٨).

وَفِي بعضِ الأمثالِ قِيْلَ:

الـصَّـمْـتُ حِـلـم وقـلـيـل فـاعـلُـهُ ... يُـسـعـد بـالـقـولِ ويـشـفـى قـائِـلُـهُ

وَعَنْ أبي المنذرِ قَالَ: تعلم رَجل مِنَ الحكماءِ الصمتَ بحصاةٍ وَضعها فِي فيهِ، لا ينزعُهَا إلا عند طعامٍ أو شرابٍ أربعين سنةً.

وَقَالَ عُمَرُ بن عبد العزيز: المتقي مُلْجَمٌ.

وَرُوِي أنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «لا يستقيم إيمان عَبْدٍ حتى يستقيم قلبه، وَلاَ يستقيم قلبه حتى يستقيم لِسَانُهُ»(١).

وَقَالَ بعضهم: يَا ابن آدَم، إنك مَا دُمْتَ سَاكتاً فَأَنْتَ سَالِمٌ، فَإِذَا تكلمت فخذ حذرك.

وَبلغنا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أمرنا بقلة الكلامِ إلا مَا كَانَ مِنَ الوحي»(٢).

وَكَانَ ﷺ يطيل الصمت، فَإِذَا آرَادَ أنْ يتكَلَّمَ وقفَ سَاعَةً، فإن كَانَ لكلاَمِهِ ثوابٌ نطقَ وإلا سَكَتَ.

وَعَنْ يحيى بن أبي كثيرٍ قَالَ: لاَ تَجِدُ رَجُلاً مُتَحفِّظاً فِي منطقهِ إلا وجدتَهُ صَالحاً فِي سَائر عَمَلِهِ، وَلاَ تَجِدُ رَجُلاً فَاسِداً فِي لِسَانِهِ، إلا وَجَدْتَهُ فَاسِداً فِي سَائر عَمَلِهِ.

وَقَالَ سعدٌ: وَدِدْتُ أن بيني وَبينَ الناسِ باباً مِنْ حَدِيدٍ لاَ أكَلِمُهُمْ وَلاَ يُكَلِمُوني.

وَعَنْ أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَفِظَ مَا بين لحييهِ وَمَا بين رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجنةَ»(٣).

وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ الله عبداً قَالَ خيراً فغنم، أو سكت عَنْ سُوءٍ فَسَلِمَ»(٤).

وَعَنْ سفيان، عَنْ أبيهِ قَالَ: قلتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أي شيء أتقي؟ فأشَارَ بيدِهِ إِلَى لِسَانِهِ وَقَالَ: «هَذَا».

وَقِيْل لذِي النُونِ: مَنْ أصون الناس لنفسِهِ؟ فقالَ: أملكُهُمْ لِلسَانِهِ.

---

(١) حديث: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه) أخرجه الإمام أحمد والبيهقي عن أنس، (الكنز ٩/٥٦ الحديث رقم ٢٤٩٢٥).

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي بسندهما عن أبي هريرة. (الكنز ١٥/٨٠٦ الحديث رقم ٤٣٢٠٣).

(٤) أخرجه ابن المبارك عن خالد بن أبي عمران مرسلاً ورمز السيوطي لحسنه. (الجامع الصغير ١/٥٩٦ الحديث رقم ٤٤٢٧).

وَقَالَ مُعَاذ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انْظُرْ أن تُكَلِّمَ الناسَ قليلاً وَتُكَلِّمَ رَبك كثيراً، لعل قلبك بين يدي الله عَزَ وَجَلّ.

وأنْشَدَ عَبْدُ العَزِيْز بنُ سُلَيْمَانَ الأبْرَش:

مَـا زَلَّ ذُو صَـمْـتٍ، وَمَـا مِـنْ مُـكْـثِـرٍ إلاّ يَـزِلُّ، وَمَـا يُـعَـابُ صَـمُـوتُ
إنْ كَـانَ مـنـطـقُ نـاطـقٍ مِـنْ فـضَـةٍ فـالـصـمـتُ درٌ زَانَـهُ الـيَـاقـوتُ

وَقَالَ خَارجة: صحبتُ عبدَ اللَّهِ بن عُمَر خمس عشرة سَنَةً، فما أظن الملائكة كتبت عليّ شَيئاً.

وَقَالَ مَرْزُوق العجلي: أمرٌ أنا فِي طلبهِ منذ عشر سنين وَلستُ بتارِكٍ طلبَهُ، قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أبَا المعتمر؟ قَالَ: الصمتُ عما لاَ يَعْنِينِي.

وَعَنْ إبراهيم التيمي[1] قَالَ: أخبرني مَنْ صحبَ الربيعَ بن خُثَيمٍ عشرين عاماً فلم يسمع منه كَلمةً يُعَابُ عَلَيْهَا.

وأنشدتُ فِي معناهُ:

وَأقْـلِـلْ إذَا مـا قُـلْـتَ قـولاً فَـإنَّـهُ إذَا قَـلَّ قـولُ الـمـرء قَـلَّ خَـطَـاؤهُ

وَعَنْ مُحارِب بنِ دِثارٍ[2] قَالَ: صحبنا القاسم بن محمَدٍ، فغلبنَا بثلاثٍ؛ بطولِ الصمتِ، وسَخَاء النفسِ، وَكثرة الصلاَةِ.

وَعَنْ خَالد بن الحارثِ[3] قَالَ: السكوتُ زين للعَاقِلِ، وَشين للجَاهِلِ.

وَعَنْ كعبٍ قَالَ: العافيةُ عشرة أجزاءٍ؛ تسعة منها فِي السكوتِ، وَوَاحد في التغافل.

---

(١) إبراهيم بن يزيد التيمي، تيم الرباب، الإمام القدوة الفقيه، عابد الكوفة أبو أسماء، قال عنه الإمام الذهبي: (كان شاباً صالحاً قانتاً لله عالماً فقيهاً كبير القدر واعظاً، كان إذا سجد كأنه حائط ينزل عليه العصافير. يقال: قتله الحجاج وقيل: بل مات في حبسه سنة اثنين وتسعين ولم يبلغ أربعين سنة. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٠، العبر ١/ ١٠٦).

(٢) محارب بن دثار بن كردوس بن قرواش السدوسي الكوفي الفقيه قاضي الكوفة، قال عنه سفيان: ما يخيل إليَّ أنني رأيت أحداً أفضله على محارب بن دثار. توفي سنة ست عشرة ومائة هجرية. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٢١٧، شذرات الذهب ١/ ١٥٢).

(٣) خالد بن الحارث بن عبيد بن سليمان بن عبيد بن سفيان الحافظ الحجة الإمام كان من أوعية العلم كثير التحري مليح الاتقان متين الديانة، عن الإمام أحمد أنه قال: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، ولد سنة عشرين ومائة ومات سنة ست وثمانين ومائة بالبصرة. (سير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٦، الشذرات ١/ ٣٠٩).

وَقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: وَاللَّهِ الذِي لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ مَا شيء أحقُ بِطُولِ سجنٍ مِنْ لِسَانٍ.

وَفي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا:

لـعـمـرك مَـاشـيء عـلـمـتَ مَـكَـانَـهُ أحَـق بـسـجـنٍ مِـنْ لـسـانٍ مـدلَّـلِ
عَـلَـى فيك مِـمَـا لَـيْسَ يَـعـنـيك أمـرُهُ بـقـفـلٍ وَثـيـق، إن قَـدَرْت فَـأقْـفِـلِ
فَـرُبَ كَـلاَمٍ قَـدْ جَـرَى مِـن مُـمَـازحٍ فَـسَـاقَ إلـيـهِ سهـم حـتـفٍ مُـعَـجـلِ
فـلـلـصـمـتُ خـيـرٌ مِـنْ كَـلامٍ بـمـأثـم فكـنْ صَامتـاً تَـسـلـم، وَإنْ قـلْـتَ فَـاعْـدِلِ

وَقَال عَليُ بن بَكَارٍ: جعل الله تَعَالى لِكُلِ شيءٍ بَابَيْن وَجَعَلَ للِّسَانِ أَرْبَعَةً؛ فَالشَفَتَانِ مصْرَاعان، والأسْنَان مِصْرَاعَانِ.

وَقَالَ عُمَرُ بن الخطَّابِ رَضِي الله عَنْهُ لأحنف: يَا أحنفُ مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ سقطُهُ، وَمَنْ كثر سقطُهُ قلَّ حَياؤهُ، وَمَنْ قلَّ حَيَاؤهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرعه مَاتَ قلبُهُ.

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عَيَاضٍ: شَيئان يُقَسِّيَان القَلْبَ: كثرةُ الكَلاَمِ، وَكَثرة الأكْلِ.

وَقَالَ سُفْيان الثوري: أولُ العِبَادَةِ الصمتُ، ثم طَلَبُ العلم، ثُمَّ طَلَبُ العمل بِهِ، ثم حِفْظُهُ، ثم نشرُهُ.

ولابن المُبَارَكِ:

تَـعَـاهـد لِـسَـانـك إنَّ الـلِّـسَـانَ سَـرِيـ ـع إِلَـى الْـمَـرءِ فِـي قَـتْـلِـهِ
فَـإنّ الـلِّـسَـانَ بَـرِيـدُ الـفُـؤادِ يَـدُلُ الـرجَـالَ عَـلَـى عَـقْـلِـهِ

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَهُ قَالَ: «إنَّ اللَّهَ تَعَالى عِنْدَ لِسَان كُل قَائل فلينظُر قَائل مَا يَقُولُ»(١).

وَقَالَ أيضاً: «رَحِمَ الله امْرءاً أمسك فضل لِسَانِهِ وَبَذَلَ فضل مَاله»(٢).

وَقَالَ ﷺ لِمعاذِ بن جَبَلٍ: «يَا مُعَاذ، أنت سَالِم مَا سكتَّ، فَإِذَا تكلمْتَ فعليك أَوْلَكَ»(٣).

وَقَالَ ﷺ: «وَمِنْ فقهِ الرَّجُلِ الصمتُ، وَهُوَ رَأسُ العبادَةِ، ثم التواضُعُ»(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر الحكيم عن ابن عباس ورمز السيوطي لضعفه. (الجامع الصغير ١/ ٢٣٥ الحديث رقم ١٧٥٠).

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري في التاريخ والبغوي والبيهقي (الجامع الصغير ٢/ ١٠٢).

(٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

وَسُئِل أبُو حفصٍ أي الحَالين للوَلِي أفضل الصمتُ أو النطق؟ فقالَ: لَوْ عَلِمَ النَاطِقُ ما آفة النطق لصمتَ إنْ استطَاعَ عُمر نُوحٍ. وَلَوْ علم الصّامت مَا آفةُ الصَمْتِ لَسَألَ الله تَعَالى ضعفي عُمر نُوحٍ حَتى ينطقَ.

وَقَالَ سَهْلُ بن عبدِ اللَّهِ: إذا حفظتَ لِسَانك فقَدْ حفظْتَ جَوَارِحك.

وَعَنْ محمد بن الحسينِ بن علي أنَهُ قَالَ لابنِهِ حينَ أرَادَ الاختفاء مِنَ المنصورِ: يَا بني، إني مُؤدٍ إلى اللَّهِ تَعَالَى حقه على نَصِيْحَتِكَ، فأدِ إلى الله تَعَالى حقهُ فِي الاستماعِ وَالقَبُولِ: كُفَّ الأذى، وأَفِضِ النَدى، واستعن على السَّلاَمَةِ بطُولِ الصمتِ فِي المواطِنِ التي تدعوك نفسك إلى الكلام فِيْهَا، فإن الصمتَ حسن على كُل حَالٍ، وللمَرء سَاعَاتٌ يَضُر فِيْهَا خَطؤهُ وَلاَ ينفع صَوَابُهُ.

وَقَالَ يحيى بن مُعَاذٍ: أطِعْ مَوْلاَكَ تنج مِنْ كُلِ آفَةٍ، وتباعد مِنْ قرين السُوءِ تنجُ مِنَ الملاَمَةِ، وَلاَ تحلف باللَّهِ سُبْحَانَهُ تنجُ مِنَ الكفَارَةِ، واحفظ لِسَانك تنجُ مِنَ المعذرة.

ولِلأحْنَف بن قَيْس:

قَالُوا نَرَاكَ كثيرِ الصمتِ، قُلْتُ لَهُمْ: مَا طُوْلُ صَمتِيَ مِن عِيٍّ ولاَ خَرَسِ
أأنْثُرَ الدُّرَّ فِيْمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ أمْ أنثرُ الدُرَ بين العُمْي فِي الغَلَس؟!

وَعَن ابن المُبَارَكِ قَالَ: دَخَلْتُ مَدينةَ الرسُولِ ﷺ فَإذَا أنَا بشابٍ يلقطُ النوى، فتوسمتُ فيهِ سمة الخير، فسلمتُ عليهِ فأوْمأ إلي بِرَدِّ السلام، فقلتُ: أنا أعلم أنك تتكَلَم، فأخذ عُوداً مِنَ الأرضِ وَكَتَبَ عَلَى الأرضِ:

مُنِعَ اللِّسَانُ مِنَ الخطابِ لأنَهُ هَدَفُ البلاَءِ ومعدن الآفاتِ
فإذَا نطقتَ فكن لِرَبك ذَاكِراً وَإذَا صمتَّ فكن مِنَ الأمواتِ

وَعَنْ أبِي بَكْرِ الصديقِ رَضِيَ الله عنهُ أنَهُ أمسك فِي فيهِ حجراً اثنتي عشرة سنَةً، وَكَانَ مِنْ أصْمت الناسِ.

وَقَالَ لقمان لابنِهِ: يَا بُنِيَ، مَنْ حفظَ لِسَانَهُ فقد أكْرَمَ نَفْسَهُ، وَمَنْ بَسَطَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ يندَمُ وَيُخْطِيء حظ نفسِهِ.

وَعَنْ جَابر بن سَمُرَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قليل الضحك كثير الصمتِ»[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن سمرة (الكنز ٧/ ١٤٠ الحديث رقم ١٨٣٩٧).

وَعَنْ أبي حمزة الصوفي أنَهُ قَالَ: تكلمتُ فِي المسجدِ الحرَام فأحسنتُ، فسمعتُ هَاتِفَاً يهتفُ بِي: قَدْ تكلّمت فأحسنتَ: بقي أنْ تسكتْ فتحسن، قَالُوا: مَا تَكَلَّم بعد ذلك إلى أن مَاتَ.

وَيُقَالُ: الصمتُ حلية المؤمِن، وَلَهُ فِي الصّمتِ ثَلاَثٌ: حسن التفكرِ، وَحُسْنُ الظنِ، وَحُسْنُ التّدبرِ.

وأنْشَدْتُ:

الصمتُ زينٌ والسكوتُ سَلاَمَةٌ ... فَإِذَا نَطَقْتَ فَجَانِبِ الإكْثَارَا
مَا إنْ ندمتُ على سُكوتٍ مرةً ... ولقد نَدِمْتُ عَلَى الكَلاَمِ مِرَارَا

وَيُقال: إن حَاتم الأصم سَأَلَ شقيقَ بن إبراهيم عَنْ قولهِ ﷺ: «الصمتُ أرفع العبادَةِ»[1] فقالَ لَهُ شقيق: إن للصمت تفسيرين؛ أحدهما أوسَعُ وَالآخَرُ أضْيَقُ، قَالَ: قلتُ اخبرني بالذِي هو أوسَعُ، قَالَ: فقالَ لِي: أبَا حَاتم اصمت فلا تتكلم حتى ترى ثوابَ كَلاَمِك.

قَالَ: قلتُ أخبرني بالذي هو أضيق من هذا، فقالَ: أصمت فلا تتكَلّم حتى تخشى إنْ لم تتكلم أن يُؤاخذك الله عَزَ وَجَلّ.

وَقَالَ ممشاد الدينوري: إن الحكماء وَرَثُوا الحكمة بالصمت والتفكر، فأطلقَ سبحانه وَتَعَالَى بِمَا لَيْسَ بينهم وبَيْنَه غيرَهُ.

وَقِيلَ: إذَا كَانَ الإنسان ناطِقاً بِمَا يَعْنِيهِ، وَفِيما لاَ بُدّ منهُ، فهو في حدّ الصمت، فإذا كَانَ ناطِقاً فِيما لا يعْنِيهِ، وفيما له منه بدٌّ، فذلك يزيل عنه حكم الصمت. وَقَالَ سَهْلٌ: لا تَصحّ لأحد التوبَةُ حتّى يلزمَ نَفسه الصمتَ، ولاَ يصحّ لأحدِ الصمت حتى يلزم نفسَه الخلوةَ.

وَعَن إبراهيم الخواص قالَ: كَان عِندي أن التصوف بالكلام فإذا تكلمت بالتصوف كنت صوفياً، فتكلمتُ يوماً معَ النويري في الفناءِ وَالبقَاء فرددتُ عليه، فهتف بي هاتِفٌ: يَا أبَا إسحَاقَ، نُريدك للسكوتِ لاَ للكلامِ. قلتُ: يَا سَادَتِي كَانَ غَرَضِي في الكلام أن

---

(١) حديث (الصمت أرفع العبادة) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه (الكنز ٣/ ٣٥٠ الحديث رقم ٦٨٨١).

تريدوني، فإذا أردتموني للسكوت فإني لا أتكلم أبداً.

ولأبي العباس ثعلب:

سـيـبـلـى لـسـانٌ كَـانَ يُـعـرِبُ لـفـظَـهُ فـيـا لـيـتـه مِـنْ وَقـفَـةِ الـحـشـر يَـسْـلَـمُ!
وَمَـا يـنـفـع الإعـرابُ إنْ لـم يـكـنْ تُـقَـىً وَمَـاضـر ذا تـقـوى لـسـانٌ مُـعَـجَّـمُ

بَابٌ فِي ذِكْرِ التفكر

أخبرنا أبو سَعْدٍ، أخبرنا أبو عليّ الحسين بن أحمد بن موسى القَاضي، حدّثنا أبو الحسين عليّ بن أحمد بن الحسين العجلي بالكوفة، حدّثنا محمّد بن طريفٍ، حدثنا عبد الحميد الحماني عن الأعمش، عَنْ عَمْرو بن مرة، عن ابن عباس عن النبي ﷺ: أنَّ قوماً تفكّروا في اللَّهِ عزّ وجلّ فَقَالَ النبيّ ﷺ «لا تفكروا في اللَّهِ عزّ وجلّ، فإِنَّكُمْ لَنْ تقدِروا قدره»[1].

وَعنِ النبي ﷺ أنه خرجَ على قوم ذَات يوم وَهُمْ سُكُوتٌ فَقَالَ: «مَا لَكُمْ لاَ تَتَكَلَّمُونَ؟» فَقَالُوا: نَتَفَكّر فِي خَلْقِ اللَّهِ عزّ وجلّ، قَالَ: «فكذلِكَ فَافْعَلُوا، وَتَفَكّروا فِي خَلْقِهِ، وَلاَ تَتفَكّرُوا فيهِ، فَإِنَّ بِهَذَا المغرب أرضاً بيضاء، نورها بياضها، أو بياضها نُورُهَا، مسيرَة الشمسِ أربعون يوماً، بها خلق مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عزّ وجلّ لم يَعْصوا اللَّهَ عزّ وجلّ طرفة عين» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فأَين الشيطانُ مَنْهُم؟ قَالَ: «مَا يَدْرُون خلق الشيطان أم لاَ؟» قَالُوا: من ولد آدَم هُمْ؟ قَالَ: «لا يَدْرُون خلق آدم أَمْ لاَ»[2].

وَعَنْ عَطَاء قَالَ: انطلقت أنا وعبيد بن عُمَير إلى عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عنها، وبيننا وبينها حجابٌ، فقَالَت: يَا عبيد مَا مَنَعَك من زِيَارَتنا؟ قالَ رسول الله ﷺ «زُرْغباً تَزْدَد حبّاً»[3]. قَالَ ابن عُمَير فَأخْبرِينَا بأَعْجَبِ شيءٍ رأَيْتِهِ من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فبكتْ وَقَالَتْ: «كُلّ أَمْرِهِ كَانَ عَجَباً أتاني في ليلتي حَتّى مسّ جلده جلدِي، ثمّ قَالَ: «ذَرِينِي أتعبّد لربي عزّ وجلّ» قَالَت: فقلتُ: وَاللَّه إني لأحبّ قربك، وأحبّ أن تتعبّد لربّك عزّ وجلّ، فَقَامَ إلى القِرْبَةِ فتوضأ منها، ثمّ قَامَ يُصَلّي فبكى حتّى بلّ لحيته، ثم سَجَدَ حتّى بلّ الأَرْضَ، ثُمّ اضْطَجَعَ

---

(١) حديث (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره) أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عباس (الكنز ٣/١٠٦ الحديث ٥٧٠٦) وقال العراقي في رواية (إن قوماً تفكروا في الله عزّ وجلّ فقال النبي ﷺ تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره) رواه أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث رقم ٣٨٨٠).

(٢) قال العراقي رويناه في جزء، ورواه أبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة، وقال الحافظ السخاوي: هذه الأخبار أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكسب قوة والمعنى صحيح تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٨٨١).

(٣) رواه البزار والطبراني في الأوسط والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه (الجامع الصغير ٢/٣ الحديث ٤٥٥٥).

عَلَى جنبهِ حتّى أتى بِلاَلٌ يُؤذنهُ بصَلاَةِ الصبح، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يبكيك؟ فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مَا تَقَدّم مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخّرَ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا بِلاَلُ، وَمَا يمنعُنِي أنْ أَبكِي وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عليَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ثُمّ قَالَ: «وَيْلٌ لِمَنْ قرأهَا ولم يتفكر فيها»[١].

فقيل للأوزاعي: مَا غَايَة التّفكّر فيهن؟ قالَ: تقرأهن وتعقلهنّ.

وَعَنْ مُحَمَّد بن واسع، أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ البصرةِ رَكب إلى أم ذرٍّ، بعد موتِ أبي ذرٍّ فسألها عن عبادةِ أبي ذرٍّ، فَقَالَتْ: كَانَ نهاره أجمع فِي ناحِيَةٍ يتفكرُ.

وَعَن الحسنِ قَالَ: تفكر سَاعَةٍ خير مِنْ قيام ليلةٍ[٢].

وَعَنِ الفضيل بن عِياضٍ، عن الحسن قالَ: الفكرة مِرَآةٌ تُرِيكَ حسَناتِك وسيئاتِك.

وَقيل لإبراهيم: إنَّكَ تطيلُ الفكرة فقال: الفكرة مُخ العبادَةِ وَأَصْلُ العَقْلِ.

وَكَانَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ كثيراً مَا يتمثل بهذا البيتِ:

إِذَا المـرءُ كَـانَـتْ لَـهُ فِـكْـرَةٌ ... فـفـي كُـلّ شـيءٍ لَـهُ عِـبْـرَةٌ

وَعَنْ طَاوُوسٍ قَالَ: قَالَ الحَوَارِيون لعِيسَىٰ بن مريم عليهِ السلام: «يَا رُوح اللَّهِ هل على الأرْضِ اليوم مثلك؟ قَالَ لهم نعم، مَنْ كَانَ منطقه ذكراً، وَصمته تفكُّراً، وَنَظره عبراً، فإنه مِثْلِي». وَعَنِ الحسنِ قَالَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ كلامُهُ حكْمَةً فهو لغو، وَمَنْ لم يكن سكوتُهُ تفكراً فَهُوَ سَهْوٌ، وَمَنْ لَمْ يكن نظره اعتِبَاراً فهو لهوٌ، وفِي قولِ اللَّهِ عزّ وجلّ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قَالَ: أمنع قلوبهم التفكر في أَمْرِي.

وَعَنْ أبي سعيدِ الخُدْرِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أعطوا أعينكم حَظّها مِنَ العِبَادَةِ»، قالوا: يا رسول الله، وما حظها من العبادة؟ قالَ: «النظرُ في المصحف، وَالتفكّر فيهِ، والاعْتِبَارُ عند عجائبهِ»[٣].

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ ومن طريق ابن الجوزي، ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء (تخريج أحاديث الإحياء الحديث رقم ٣٣٧٦).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية، وأبو الشيخ في العظمة، ورواه أحمد بن صالح في كتاب التبصرة من حديث أنس. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٨٨٤).

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر ومن طريقه أبو الشيخ في كتاب العظمة بإسناد ضعيف. ورواه أيضاً الحكيم في النوادر والبيهقي في الشعب وضعفه (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث رقم ٣٨٨٥).

وَعَن امْرَأَةٍ كَانَتْ تسكن البادِيَة قريباً مِنْ مَكَّةَ أنها قالتْ: لو تطالَعَتْ قلوب المتقين بفكرهَا إلى مَا قد ذخر في حجب الغُيُوب مِنْ خير الآخرة، لَمْ يصف لهُمْ فِي الدُّنْيَا عيش، وَلَمْ تقر لَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَيْنٌ.

وَكَانَ لُقمَانُ يُطِيلُ الجُلُوسَ وَحْدَهُ، فَكَانَ يَمُرّ بِهِ مَوْلاَهُ فَيَقُولُ: يَا لُقْمَانُ إِنَّكَ تديم الجلوسَ وَحْدَكَ، فلو جلستَ مَعَ الناسِ كَانَ آنَسَ لك، فيقول لُقْمَان: إن طول الوحدة أفْهَمُ للفكرة، وَطولُ الفكرة دَلِيلٌ على طريق الجنةِ.

وَقَالَ وَهبُ بن منبهٍ: مَا طالت فكرة امرءٍ قط إلا علم، وَمَا علم امرءٌ قطُ إلاَّ عَمِل.

وَقَالَ عمَرُ بن عبد العزيز: الفكرةُ فِي نعم الله عزّ وجلّ مِنْ أفضلِ العِبَادَةِ.

وَقَالَ عبد الله بن المبارك يَوْماً لسهل بن علي وَرَآهُ ساكتاً مفكراً: أَينَ بلغتَ؟ قالَ: الصِرَاطَ.

وَقَالَ بِشْرٌ بن الحارثِ الحَافِي: لو تفكَرَ الناس فِي عظمة الله تعَالَى مَا عَصَوا الله عزّ وجل.

وَعَن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَكْعَتَانِ مقتصدَتَانِ خير مِنْ قيام ليلةٍ بلا قلبٍ. وبَينَا أبو شريحٍ يَمْشِي إذْ جَلَسَ فتقَنّعَ بكِسَائِهِ، فجعل يبكي، فقلنا: مَا يبكيكَ؟ قَالَ: تفكرتُ في ذَهَاب عُمُري، وَقلة عملي، وَاقتراب أجلِي.

وَكَانَ يُقَالُ: جوامعُ البر في طولِ الفكرِ، وَالصمتُ سلامَةٌ، والخَوضُ فِي الباطِل حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ.

وَقَالَ الجُنَيْدُ: التفكر صحة الاعتبار.

وَعَنْ أبي علي الروذَبَاريّ أنّه قَالَ: التفكُّرُ علَى أربعة أوجُهٍ، ففكرة فِي آياتِ اللَّهِ عزّ وجلّ، وَعَلاَمَاتُهُ يتولدُ منها المحبةُ لِلَّهِ عزّ وجلّ، وفكرة في وعد الله عز وجل وثوابِهِ، يتولّد منها الرغْبَة، وَفكرةٌ فِي وَعيد الله عزّ وجلّ وعَذابه، يتولدُ منها الرهْبَة مِنَ اللَّهِ عزّ وجلّ، وَفِكْرَةٌ في جفاء النفسِ مَعَ إِحْسَانِ اللَّهِ تَعَالَىٰ إليها، يتولد منها الحياء مِنَ اللَّهِ عزّ وجلّ.

وَقَالَ أبو سليمان: عَوِّدُوا أعينكم البكاء، وقلوبكم التفكر.

وَقَالَ يوسف بن الحسين: خلق الله تعالى الخلق على الفِطْرَة، وَأَطْلَقَ لَهُمُ الفكرة، فبالفطرةِ عرفوه، وبالفكرة عَبدوهُ.

وَقَالَ أبو عثمان: مَنْ تَفَكّر في الدنيا وَفنائِها وَزَوَالِهَا وَرّثه الزهد فيها. وَمَنْ تَفَكّر في الآخِرَة وَبَقَائها ورّثه الرغبة فيها.

وَقَالَ أبو سليمان: الفكرُ في الدنيا حجَابٌ عَنِ الآخِرَة، وَعقوبة لأهل الولايةِ، وَالفكر في الآخِرة يُورِثُ الحكمة ويُحْيِي القلوب.

وَقَالَ حاتِم: مِنَ العبرة يزيد العلمُ، وَمِنَ الذكر يزيد الحب، ومِنَ التفكر يزيدُ الخوف.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه: التفكُّرُ في الخير يَدْعُو إلى العملِ بِهِ، والندم عَلَى الشرّ يَدْعُو إلى تَرْكِهِ.

وَيرْوَى أن الله تَعَالَى قَالَ في بعضِ كتبه: إنِّي لستُ أقبلُ كَلاَمَ كُلّ حكيم، ولكن انظر إلى همه وهواه، فَإِذَا كَانَ هَمّه وهواهُ لي جَعَلْتُ صَمْتَهُ تفكراً وكلامه حَمْداً وَإن لم يتكلم. وَعَنِ الحسنِ: أَنّ أهلَ العَقْلِ لَمْ يَزَالُوا يَعُودون بالذكر على الفكر، وبِالفكر عَلَى الذكر، حتى استنطقوا قُلُوبَهم فنطقَتْ بالحكمَةِ.

وَقَالَ إسحَاقُ بن خَلَفٍ: كَانَ داود الطائِي ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ عَلَى سطحٍ في ليلةٍ قمراء فتفكّرَ في مَلَكُوتِ السمٰواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ ينظُرُ إلى السماءِ وَهُوَ يَبْكِي، حتّى وَقَعَ فِي دار جَارٍ لَهُ، قَالَ: فوثَبَ صَاحِبُ الدارِ مِنْ فراشِهِ عريانٌ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ فَظَنّ أنَّهُ لِصٌ، فَلَما نَظَرَ إلى دَاودَ رَجع وَوَضع السيف مِنْ يَدِهِ وَلَبِسَ ثيابَهُ وَأخَذَ بيد داودَ وقَالَ: مَنْ ذَا الذِي طَرحك مِنَ السطح؟ قَالَ: مَا شعرتُ بِذَلِكَ!!. وَسُئِلَ أَبُو عَمْرِو الزجاجي عَنْ معنى الخبَر: «تفكر سَاعةٍ خيرٌ مِنْ عبَادَةِ سنةٍ»[1] فَقَالَ: ذاكَ التفكر هُوَ نِسْيَانُ النَّفْسِ.

وَقَالَ يَحْيَى بن معاذٍ: مَنْ تكلم قبل أن يتفكر نَدِمَ، ومن تفكر قبل أن يتكلم سلم.

وسئل الحارث المحاسبي عن الفكرة، فقال: التفكر في قيام الأشياء بالحق.

وقال الكتاني: إن أصوات الأحزان تهيج مِنْ مَيَادِين الفِكرَةِ.

وَقَالَ بعضهم: الفكرَةُ تصفيةُ القلب مِنْ وَسْوَاسِ التدبيرِ.

وَقَالَ ذُو النُّون: مَنْ أدْمَنَ الفكرة بقلبه أبصَرَ الغَيْبَ بروحِهِ.

وَقَالَ الجُنَيْد: أشرفُ المَجَالِسِ وَأَعْلاَهَا الجُلُوس مَعَ الفكرةِ فِي مَيَادِين التوحيدِ، والتنسم بنسيم المعرفة، وَالشربُ بكأس المحبة من بحر الودادِ، والنظَر بحسنِ الظَّنِّ بالله عَزّ وجلّ، ثمَّ قَالَ: يَا لَهَا مِنْ مَجَالِس مَا أجلها، وَمن شرابٍ مَا ألذه، طوبى لِمَنْ رُزِقَهُ.

---

(١) قال العراقي: رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ (ستين سنة) بإسناد ضعيف، ومن طريق ابن الجوزي في الموضوعات، ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضعيف جداً (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث رقم ٣٨٧٩).

بَابٌ فِي ذِكْرِ تواضُعِهِمْ وَفَنَائِهِم عَنْ أَنْفُسِهِمْ

أخبرنا أبو سعدٍ، أخبرنا عَبْدُ الرحمٰنِ بن محمّد التميمي، حدّثنا زَكَرِيّا بن يحْيَى بن الحارثِ، حدَّثنا أيُوبُ بن الحسن، حدّثنا محمد بن عكاشة، حَدّثنا علي بن عاصم، عن أبي هَارُون العبدي، عن أبي سعيدِ الخدري، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتاهُ اللَّهُ الإِسلام وَصورةً حسنةً، وَمَوضعاً لا يشينه، ومَوسعاً عليه في الرزقِ، ثم تواضعَ لِلَّهِ عزّ وجلّ كَانَ مِنْ خالِصِ اللَّهِ تَعَالَىٰ»(١).

وَرُوِيَ أَنّ النبيّ ﷺ قَالَ: «طُوبَى لمن تَوَاضَعَ مِنْ غيرِ منقصَةٍ، وذل في نفسِهِ مِنْ غير مَسْكَنَةٍ، وأَنْفَقَ مالاً جمعهُ مِنْ غَيْرِ معصيَةٍ، ورَحِمَ أَهْلَ الذّلِّ والمَسْكَنَةِ، وخَالَطَ أَهْلَ الفِقْه وَالحِكْمَة»(٢).

وَجَاءَ رَجُلٌ إلى الشبلي فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ وَكَانَ هذَا دَأْبُهُ، فَقَالَ: أَنَا النقطة التي تحت الباءِ، فَقَالَ لَهُ الشبلي: أَبَادَ اللَّهُ تَعَالَىٰ شَاهِدَك أو تجعَل لنَفسك مَكَاناً؟

وَقَالَ الشبلي فِي بعضِ كلامِهِ: ذُلّي عَطل ذُلَّ اليهُود والنصارىٰ.

وَيُقَالُ: مَنْ رَأَى لنفسِهِ قيمة فليس لَهُ مِنَ التواضُعِ نَصِيبٌ.

وَقَالَ أبو سليمان الدَّارَاني: مَنْ أَرَادَ الحظوة فليتواضع عِنْدَ الطَّاعَةِ، والتَّوَاضُعُ أَنْ لا تعجب بعَملك.

وَقَالَ أبو عبد الله بن الجَلاَء: لولاَ شَرَف التواضُعِ لكانَ حكم الفقير إذا مشَى يتبختر.

وعَنْ الفتح بن شخرفَ(٣) قَالَ: رَأَيْتُ عليّ بن أبي طالب في النَّوم، فقلتُ: يَا أَبَا الحسن عظني، فَقَال: مَا أحسنَ التواضُعِ بالأغنياء في مَجَالِسِ الفُقَرَاءِ، رَغْبَةً منهم في ثوابِ اللَّهِ عزّ وجلّ، وأحسن مِنْ ذَلكَ تيه الفقراء على الأغنياء ثقةً منهم بالله عزّ وجلّ.

وعَنْ أبي سليمان الدَّارَاني قالَ: لاَ يَتَواضَعُ العَبْدُ حتّى يعرف نفسَهُ.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ إنماورد قريب من لفظه حديث (من آتاه الله وجهاً واسماً حسناً وجعله في موضع غير شائن له فهو صفوة الله من خلقه). أخرجه البيهقي وابن عساكر بسندهما عن ابن عباس، (الكنز ١١/ ٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ والبغوي والباوردي وابن قانع، والطبراني والبيهقي عن ركب المصري ورمز السيوطي لحسنه (الجامع الصغير ٢/ ١٠٢ الحديث رقم ٥٢٩٩).

(٣) فتح بن شخرف المروزي هو الفتح بن داود بن مزاحم، كان أحد العباد السائحين ثم سكن بغداد وحدَّث بها عن رجاء بن مرجي المروزي وغيره، وروى عنه شعيب بن محمد ابن الراجيان وغيره، كان قليل المسانيد كثر الحكايات، توفي بالجانب الغربي من بغداد ليلة الثلاثاء للنصف من شوال سنة ثلاث وسبعين ومائتين هجرية. (تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٤).

وَقَالَ أبو يزيد: مَا دَامَ العبد يظنّ أن في الخلقِ مَنْ هو شرٌ منْهُ فهو متكبر، فقيلَ: متى يكون متواضعاً؟ فَقَالَ: إذا لم يَرَ لنَفْسِهِ مَقَاماً أو حالاً.

وَقَالَ: توَاضُع كلّ إنسان على قدر معرفته بربِّهِ عزّ وجلّ، ومعرفتِهِ بنفسِهِ.

وَقَالَ الدَّارَاني: لو اجتمعَ الخلقُ على أن يضعوني كاتضاعي عند نفْسِي مَا قدروا عليهِ.

وَقَالَ عروة بن الورد: التَّوَاضُعُ أحدُ مصائِدُ الشرفِ، وكل نعْمَةٍ محسودٌ عليها صاحبها إلا التواضُعُ.

وَقَالَ زِيَادُ النميري: الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر.

وَقَالَ ابن السماك: أَشْرَفُ التواضع أن لا ترى لك على أحدٍ فَضْلاً.

وقَالَ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه: من التَّوَاضُعِ أنْ يشرب الرجل من سُؤْرِ أخيه.

وقَالَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عنه: إنَّ من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام علَى مَنْ لقِيت مِنَ الْمُسْلِمِينَ وأن ترضى بدون المجلس من شرف المجلس، وأن تكره أن تذكر بالبرّ والتقوى.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إنّ الله تَعَالَى لَمَّا أَغرَقَ قَوْمَ نُوحٍ عليه السلام شمخت الجبال وَتَوَاضعَ الجُودي فرفعه الله وجعل قراراً للسَّفِينة عليه مِنْ بَيْنِ الْجِبالِ.

وَقَالَ يَحْيَى بن خالد البرمكي: الشريف إذا تنسك تَوَاضَعَ، والسفيه إذا تنسك تَعَاظَمَ.

وَقَالَ يحْيَى بن معاذٍ الرّازِي: التَّكَبُّرُ على ذي التكبر عَليكَ بماله تَواضُعٌ.

وَقَالَ يَحْيَى بن معاذٍ: وَلَبِسَ مُطَرفُ بنُ الشخير الصُّوْفَ، وَجَلَسَ مَعَ المساكِينِ، فقيل لَهُ فِي ذلكَ، فَقَالَ: إنَّ أبي كَانَ جباراً فأحببتُ أن أتَوَاضَع لِربي عزّ وجلّ، لَعَلّهُ يخفف عنه تجبره.

ورُوِيَ أَنَّ النبيّ ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ: «مَا لِي لا أرَى عليكم حَلاَوَة العِبَادَة» قالُوا: وَمَا حَلاَوَةُ العِبَادَة؟ قالَ: «التواضع»[1].

وَقَالَ ذُو النُّون: عَلاَمَةُ التواضع أَنْ لاَ يدع مَا يُؤجَر عليه كَرَاهِيَةَ عيبِ الناسِ.

وَيُقَالُ: التواضع في الخلق كُلهِم حَسَنٌ. وَفِي الأغنياء أحْسَنُ، وَالكِبْرُ فِي الخلق كِلهِم قبيحٌ، وفي الفقراء أقبحُ وأَسْمَجُ.

(١) قال الحافظ العراقي: غريب، وقال الإمام السبكي ٦/٣٥٣: لم أجد له إسناداً. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث رقم ٣٢٠٨).

وَيُقَالُ: لاَ عِزَّ إلاَّ لمنْ تَذَلَّلَ لِلَّهِ عزّ وجلّ، وَلاَ رِفْعَة إلاَّ لِمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ عزّ وجلّ، وَلاَ أَمْنَ إلاَّ لمن خَافَ اللَّهُ عزّ وجلّ، ولا رِبْحَ إلاَّ لمنْ ابتاعَ نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ عَزّ وجلّ.

وَأَنْشَدَ لِيُوسُفَ بنِ أَسْبَاطٍ:

وكـفـى بـمُـلـتـمِـسِ الـتـواضـع رِفْـعَـةً وَكَـفَـى بِـمُـلْـتَـمِـسِ الـعـلـو سَـفَـالاً

وَسُئِلَ عبد الله بن المبارك: مَا التَّوَاضُعُ؟ فَقَالَ: التكبر على المتكبرينَ.

وَقَالَ أَبُو علي الجَوْزَجَانِي: النَّفْسُ معجونَةٌ بالكبر والحسد والحرص فمن أَرَادَ الله تعالى هَلاَكَهُ منع مِنْهُ التواضُعَ والنَّصِيحَة وَالقَنَاعَة، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ خيراً فَإِذَا هَاجَتْ فِي نَفسِهِ نَار الكبر أَدْرَكَها التواضع مع نصرة الله تعالى، وَإِذَا هاجَتْ نَارُ الحسَدِ فِي نَفسِهِ أَدْرَكَتها النَّصيحة مَعَ توفيق الله عزّ وجلّ، فَإِذَا هاجَت نَارُ الحرص في نَفسِهِ أَدْرَكَتها القَنَاعَةُ مَعَ عون الله عزّ وجلّ.

وَقَالَ أبو سليمان الدَّاراني: اطَّلعَ اللَّهُ عَلَى قلوب العبَادِ، فَلَمْ يَجِد قَلْباً أَشدّ تَوَاضُعَاً مِنْ قَلْبِ مُوسَىٰ عليهِ السلام[1]، فَخَصَّهُ منه بالكلام، وَأَوْحَى الله تعالى إلى الجبال أني مُكَلّم عبداً مِنْ عِبَادِي عَلَيكِ فتطاوَلَتْ ليكلمه عَلَيها إلا الطورَ، وَقَالَ: إنْ قُدّرَ شيء كَانَ، قَالَ: فكَلّمَهُ اللَّهُ تعَالَىٰ عليهِ لتَواضُعِهِ.

وَقَالَ أبو عثمان: أصل التَّوَاضُعِ مِنْ ثلاثة أشياء: مِنْ ذِكْرِ العبد جهله، وَمِنْ ذكره ذُنُوبِهِ، وَمَنْ ذَكرِه فقره إلى الله عزّ وجلّ.

وَعَن الجُنَيْد أنهُ كَانَ يَقُولُ يَومَ الجمعة في مسلحة[2] لولا أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم»[3] ما تكلمت عليكم.

وقال الجنيد: التواضع عند أهل التوحيد تكبر. وَعَنْ محمّد بن شبة قال: كُنْتُ بمكةَ

---

(١) وذلك قبل بروز الحقيقة المحمدية إلى الوجود وإلاّ فسيدنا محمد ﷺ سيد المتواضعين بلا نزاع.

(٢) المَسْلَحَةُ: الثغر (مادة س ل ح).

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ: (إذا اتخذ الفيء دولاً. . . الحديث، وفيه (وكان زعيم القوم أرذلهم)، وعن سيدنا علي بن أبي طالب رفعه: (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً أو مسخاً. رواه الترمذي والبيهقي في البعث. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٣٢١١).

بين الصَّفا والمروةِ، فرَأَيْتُ رَجُلاً رَاكِباً بغلةً وبَينَ يديهِ غلمان، وَإِذَا هُمْ يُعنفون الناس، قالَ: ثم عبرت بعد حين فدخلتُ بغداد، فكنت على الجسر فَإِذَا أنا برجل حَافٍ حَاسِرٍ طويل الشعرِ، قَالَ: فجعلتُ أنظر إليهِ وَأَتَامَلُهُ فَقَالَ لِي: مَالك تنظر إليّ؟ فقلتُ لَهُ: شبهتك برجل رَأَيْتهُ بمكّةَ وَوَصفتُ لَهُ الصفة، فقال: أَنَا ذَاكَ الرجل، فقلتُ: مَا فَعَلَ اللّٰه بك، فَقَالَ: إنِّي ترفعت فِي موضعٍ يتواضع فيهِ الناسُ فوضعني الله في موضعٍ يترفعُ فيهِ الناسُ.

وَوَقَفَ بَكْر بن عبدِ اللّٰهِ بعرفاتٍ وَالنّاس يدعون، فَقَالَ: مَا أشرفها من بقعة وَأرجاها لَولا أنّي بِهَا.

وَكَانَ أيوب السختياني يقول: إنَّ أقواماً يريدون أن يتواضعوا وَيَأْبَى اللّٰه إلاّ أن يَرْفعَهُمْ، وَإِنَّ أقواماً يُرِيدوُنَ أن يترفعوا وَيَأْبَى اللّٰه إلا أن يضعهُمْ.

وَقَالَ المغيرة: كُنّا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير، وَكان يقولُ: إِنَّ زَمَاناً صِرتُ فِيهِ فقيه الكوفة زَمان سوءٍ.

وَكَانَ عطاء السلمي إِذَا سمعَ صوت الرعدِ قام وقَعد وأخذه بطنه كأنّهُ امرأة ماخض[1] وَقَالَ: هذَا من أجلي يُصِيبُكُمْ، لو مَاتَ عطاء لاستَرَاح الناسُ، وَكان يقول: إِذَا كانَ هَذَا منادي الرحمةِ فيكف منادِي النقمة.

وَقَالَ أبو سعيد المَقبري: مفتاحُ البلاء ترك الدُّعَاء، ومفتاح الراحة ترك الفضول، ومفتاح التواضع تقريب الفقراء.

وَعَن النبي ﷺ قَال: «إِذَا رَأَيتُمُ المتواضعين من أُمَّتِي فتواضعوا لَهُمْ، وإِذَا رَأَيْتُمُ المتكبرين فتكبروا عليهم، فإِنَّ ذلك لهُمْ مَذَلّة وَصَغَارٌ»[2].

وَكَانَ بشر الحافي يقول لأصحابِهِ؛ سلموا على أبناء الدنيا بتركِ السلام عليهم.

وسُئِلَ بَعْض أَهْل المعرفةِ عَنِ التواضعِ فَقَالَ: التكبر على الأغنياء، والتّذَلّل للفقراء.

وَقِيلَ للجنيد بن محمدٍ: ما التواضع؟ فقَالَ: التكبر على أهل الدارين بالاستغناء بالحقّ.

---

(١) الماخض: المرأة إذا أخذها الطلق (مادة م خ ض).

(٢) قال الحافظ العراقي: لكن له شواهد تؤيده ففي بعض الآثار: التكبر على المتكبر صدقة. وذلك لأن المتكبر إذا تواضعت له تمادى في تيهه وإذا تكبرت عليه يمكن أن ينتبه، ومن ثم قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: ما تكبر عليَّ متكبر مرتين. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٣٢٠٩).

وَقالَ أبو سليمان الدّاراني: لا يتواضَعُ العبد حتى يعرف نفسَه، وَلاَ يكون زاهداً حتى يعرف الدنيا أنها لا شيء.

وَقَالَ ابن الجَلاَء: التقوى شكر المعرفة، وَالتَّواضع شُكر العزّ، والصبر شكرُ المصيبةِ.

وَقالَ عبدُ اللّهِ بن منازل: كلّ مَنْ كَانَ أعظم قدراً عند الناس، كانَ هو أحْقَرَ النَّاس في نَفْسِهِ، أما تَرَى إلى قولِ إبراهيم الخَلِيل عليهِ السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣].

وَدَعَا رَجلٍ لعبد الله بن المبارك فقال: أعطاك الله تعالى مَا ترجو منه، فَقَالَ عبد الله: إن الرجاء يكون بعد المعرفة، فأين المعرفة؟.

وَقَال حمدونُ القَصّارُ: التواضعُ عندي أصله قبولُ الحق، لقولِ رَسُول الله ﷺ «الكبر سفه الحق»[1].

وَقَالَ أيضاً: إنَّمَا منقبة الفقير إذا كان مُتَوَاضِعاً، فَإِذَا تَرَكَ التواضع فقد تَرَكَ كلّ خيرٍ.

وَسُئِلَ عبد الله بن المبارك عن التواضع فقال: أَنْ تتكبّر على مَنْ فوقكَ في الدنيا لتريهُ أَنَّهُ ليسَ لَهُ بدنياه عليكَ فضل، وَأَنْ تَتَواضَعَ لمن هُوَ دُونَكَ في الدنيا لتريهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ بدنياك عليهِ فَضل.

وفي بعض الأخبار: ثلاثة لا يَزِيدُ اللّهُ تعَالَى العبد بهن إلا رفعة وخيراً؛ التواضع لاَ يزيدُ اللّه تعَالَى العبدَ به إلا عِزّاً، والتعفف لا يزيدُ اللّه تعالى به العبد إلا غنى. وَالورَعُ لا يزيدُ اللّه عزّ وجلّ العبد بِهِ إلاَّ شرفاً.

وَقَالَ يوسف بن أسباطٍ: مِنْ عَلاَمَاتِ التواضع قَبُول الحق من كل ناطقٍ بحق، وَالرفق بمن هو أسفل منه، وَتوقير من هو أعلى منه فِي دينه، وَاحتمالُ الزلل، وقِلة الغضب، وَالرجوع إلى الحق حيث كَانَ، وَالتكبر على الأغنياء، وَالشكر على كُلّ مصيبةٍ.

وسُئِلَ أبو طالب الهَاشِمِي عَنْ قولِ النبيِّ ﷺ: «الشيطانُ مع الواحد»[2] فَقَال: شيطانك نَفْسُكَ، فَإذا أفنيتها فلا شَيْطَان لكَ.

---

(١) حديث: (الكبر من بطر الحق وغمط الناس) أخرجه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ٢/ ٢٥٤ الحديث رقم ٦٤٥٣).

(٢) حديث: (الشيطان يهمُّ بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يَهُمَّ بهم) أخرجه البزار بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه (الكنز ٦/ ٧١٠ الحديث ١٧٥١٦).

وَقَالَ أبُو سليمان: التَّواضُعُ أَنْ تخرُجَ مِنْ بَابِ منزلك فلا تلقى مؤمناً وَلاَ كَافِراً إلا وَلاَ تدري لعله يوم القِيَامَةِ خيرٌ منكَ.

وسِئُلَ: مَا التَّواضُع؟ فَقَالَ: التواضع أَنْ لاَ تُعْجَبَ بعملِكَ.

وَقيلَ ليوسف بن أسبإ: مَا غَايَةُ التَّواضُع؟ فَقَالَ: أَنْ تخرج من بيتك لا تلقى أحداً إلا رأيتَ أنه خير منك.

وَقَالَ يحيى بن معاذٍ: أجلّ التقوى التواضع.

وَقَالَ علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام: «هَلاَكُ النفسِ في ثلاث: الكِبرِ، والحِرْصِ، والحَسَدِ».

وَعَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عنها قَالَتْ: «إِنَّ النَّاس ليغفلون عَنْ أفضل العبادة وَهُوَ التواضع».

وَقَالَ دَاود عليه السلام: «كما أن أبعد الناس من الله تعالى الجبارُون، كذلك أقرب الناس مِنَ اللّهِ تعالى المتواضعون».

وَدَخَلَ ابن السماك على هَارُون الرشيد فقالَ: يَا أميرَ المؤمنين، إن تواضعك في شرفك أشرفُ مِنْ شرفِكَ.

وَعَنِ ابن مسعودٍ قَالَ: مَنْ تَطَاوَلَ تعظُّماً خفضه الله عزّ وجلّ، ومَنْ تَوَاضَعَ تخشعاً رَفَعَهُ اللَّهُ عزّ وجلّ.

وَقِيلَ: التَّواضُع لا يشكُو أحداً.

وَقَالَ سفيان: مَنْ رَأَى لنفسه فضلاً على غيره فهو مستكبرٌ.

ولما قدم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عنه الشامَ نزل عن بعيرهِ وَنَزَعَ جُرمُوقيه[1] عن رِجْلِهِ فَأَخَذَهُمَا بيدِهِ وأَخَذَ زِمَامَ البعير فَقَالَ أبو عبيدة: لقد صنعتَ اليومَ صنيعاً عظيماً، فَقَالَ: يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذلَّ الناس وَأَحْقَرَ الناسِ فأعزكم الله تعالى بالإسلام، فمهما تطلبون العزّ بغيره يذلكم الله عزّ وجلّ. وتَفَاخَرَتْ قريش عند سلمان رضي الله عنه يوماً، فقال سلمان: لكني خُلقت من نطفةٍ قذرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم إلى الميزان، فإن ثقل فأَنا كريمٌ وإِنْ خَفَّ فَأَنا لئيم.

---

(١) الجُرْمُوق: (كعُصْفور) الذي يلبس فوق الخف.

وَعَنْ أبي بكرِ الصديق رضي الله عنه قال: وَجدنا الكرمَ في التقى، والغنى في اليقين، وَالشرف في التَّواضع. أنشد:

وَلاَ تـمـشِ فـوق الأرض إلا تـواضـعـاً فـكـم تـحـتـهـا قـوم هُـمُ مـنـك أرفـعُ
فَـإنْ كـنـت فـي عـز وحِـرزٍ ومـنـعـةٍ فـكـم مـات مـن قـومٍ هـم مـنـك أمـنـعُ

بَابٌ فِي ذكرِ التَّهَجد وَثوابِهِ وصِفَتِهِ

أخبرنا أبو سعدٍ، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الصفار الهروي، حدّثنا العباس بن عمران القاضي، حدّثنا محمد بن مزاحم، حدّثنا موسى بن علي، حدّثنا شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبدالله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»(١).

وَرُوِيَ عنْ معاذ بن جبل أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إن شئت أنبأتك بِأَبوابِ الجَنَّةِ»، قلت: أجّل يا رسولَ اللَّهِ، قال: «الصوم جنة، والصدقة تكفر الخطيئة، وَقيام الرجل في جوفِ الليل يبتغي وجه الله تعالى، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦](٢).

وعَنْ أَسْمَاء بنت يزيد قَالَتْ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا جمعَ الله تعالى الأولين والآخرين، نَادَى مُنَادٍ يسمع الخلائق كُلَّهُمْ: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل إلى الجنة بغير حساب، ثم يرجع المنادي. فينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم وَهُمْ أكثر من الصنف الأول، ثم يرجع المنادي فينادي: أين الحمادونَ لِلَّهِ عزّ وجلّ في السراء والضراء فيقومون وهُم أكثر من الصنف، الثاني ثم يحاسبُ من بقي من الناسِ(٣).

وعَن عبدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَال: «مَكتوب في التوراة للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مَا لا عينٌ رَأَتْ وَلاَ أُذن سمعت ولاَ خَطَرَ على قلب بشرٍ وأنتم تقرءون في الكتاب ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ـ باب ما جاء في فضل قيام الليل رقم (١٣٣٣) بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (الكنز ٧/ ٧٨٣ الحديث رقم ٢١٣٩٤).

(٢) الحديث لم أجده.

(٣) لم أجده.

وَعَنْ عطية في قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] قالَ: تهيج الوجه من سهر الليل.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: قُلْتُ للحسن: مَا بَالُ المُتَهَجِّدين مِنْ أَحْسَنِ النَّاس وُجُوهاً؟ فقالَ: لأَنَّهُمْ خلوا بالرَّحْمٰن فَكَسَاهُمْ مِنْ نُورِهِ.

وَعَن الضحّاكِ قَالَ: سيماهم في وُجُوهِهِمْ فِي الآخِرَةِ.

وَعَنْ ابِن عياضٍ في قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشرح: ٧] قَالَ: فراغك مِنَ صَلاَةِ اللَّيْلِ.

وَعَنْ إِدْرِيس بن يزيد الأَوْدِي فِي قولِهِ عزّ وجلّ ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال: أثر السَّهَرِ والصفرةِ.

بَابُ ذِكْرِ التَّشَمُّرِ لِقِيَامِ اللَّيْلِ

عَنْ مُحَمَّد بن عِمْرَانَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عِمْرَان بن الحُصَيْنِ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، دَخَلْنَا بَيْتاً لَهُ يَخْلُو فيه باللَّيْلِ، فَإِذَا قمطرة[١] فظننتُ أن فيها مَالاً ففتحناهَا، فَإِذَا فِيهَا صُوفٌ وَإِزار صُوف وَرِدَاء صُوفٍ، فسألنَا الخَادِمَ فَقَالَ: كَانَ يَلبس هذا باللَّيل ثمَّ يُصَلِّي حتَّى يُصْبِحَ، فَإِذَا أصبَحَ نزعه وَلَبِسَ القطْنَ وَخَرَجَ.

وعن زيد بن أسلم[٢]، عن أبيه قال: كان لعمر بن عبد العزيز سَفَطٌ[٣] فيه دُرَّاعة[٤] شعر وغل، وكان له بيت يصلي فيه لا يدخل البيت أحد غيره، فإذا كان النصف الآخر من الليل فتح سَفَطَهُ ذلك، ولبس الدُّرَّاعة، ووضع الغل في رقبته، فلا يزال يبكي وينادي حتى ينظر إلى الفجر، ثم ينزعه ويطويه ويجعله في ذلك السَّفَطِ ثم يخرج.

وعن بعض أصحابنا قال: كان رجل من أهل خراسان إذا جَنَّهُ الليل لبس أحسن ثيابه، فيقول له أهله: الناس إذا أصبحوا لبسوا أحسن ثيابهم، فذهبوا إلى أسواقهم، وأنت تلبس بالليل، فيقول: وأنا أذهب إلى سوقي، فيقوم إلى محرابه.

---

(١) القِمَطْرة: ما يصان به الكتب وغيرها (القاموس مادة ق م ط ر).

(٢) زيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، المدني، أحد الأعلام قال عنه الإمام مالك: كان زيد يحدث من تلقاء نفسه فإذا قام فلا يجترىء عليه أحد. مات في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة هجرية. (خلاصة تذهيب الكمال ١٠٨).

(٣) السَّفَطُ: ـ محركة ـ كالجوالق أو كالقُفَّة (مادة س ف ط).

(٤) الدُّرّاعة: ثوب لا يكون إلاّ من صوف. (مادة دَرَعَ).

باب ذكر قوم كانوا لا يطوى لهم فراش ولم يفرش لهم

يقال: كان سليمان التيمي طوى فراشه أربعين سنة، ولم يضع جنبه بالأرض عشرين سنة.

وكذلك حكى عن صفوان بن سليم[١]. ولم يفرش لأبي بكر بن عياش[٢] فراش خمسين سنة.

وعن معاذة العدوية[٣]: أنها لم تتوسد فراشاً بعد أبي الصهباء حتى ماتت.

وعن عطاء أنه كان في المسجد عشرين سنة لم يفرش له فراش.

باب ذكر كراهية التوسد بالقرآن

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تتوسدوا القرآن»[٤].

وعن أبي سالم قال: من قرأ في ليلة ثلاث آيات، لم يكن متوسداً للقرآن.

وعن أبي العالية قال: كنا نعد من أعظم الذنوب، أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه.

---

(١) الإمام الثقة الحافظ الفقيه صفوان بن سليم أبو عبد الله القرشي الزهري المدني قال عنه الإمام أحمد: من الثقات، يستشفى بحديثه. وينزل القطر من السماء بذكره وكان من خيار عباد الله الصالحين، وكان رضي الله عنه يصلي على السطح في الليلة الباردة لئلا يجيئه النوم. عن مالك بن أنس قال: كان صفوان بن سليم يصلي في الشتاء في السطح وفي الصيف في بطن البيت يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم. وإنه لترم رجلاه حتى يعود كالسِّقْطِ من قيام الليل ويظهر فيه عروق خضر. مات رضي الله عنه وعنا به سنة ١٣٢ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٤، الحلية ٣/ ١٥٨، الشذرات ١/ ١٨٩).

(٢) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الفقيه المحدث شيخ الإسلام وبقية الأعلام مولى واصل الأحدب، وثقه الإمام أحمد، وقال عنه ابن المبارك: ما رأيت أحداً أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش. روي عنه أنه كان يقول: يا مَلَكيَّ ادعوا الله لي فإنكما أطوع لله مني، وورد من وجوه أنه مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، قال الإمام الذهبي: وهذه عبارة يُخضع لها توفي سنة ١٩٣ هجرية: (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٩٥).

(٣) معاذة بنت عبد الله السيدة العالمة أم الصهباء العدوية البصرية العابدة زوجة السيد القدوة صلة بن أشيم، حديثها محتج به في الصحاح، كانت تحيي الليل عبادة وتقول: عجبت لعين تنام وقد علمت طول الرقاد في ظلم القبور ماتت رضي الله عنها وعنا بها سنة ٨٣ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٨، الشذرات ١/ ١٢٢).

(٤) لم أجده.

بَابٌ ذِكْرُ مَنْ كَانَ يَتَمَنّى الْبَقَاء لِقِيَامِ اللَّيْلِ

عَنْ قتَادَةَ، عَنْ عَامِرِ بنِ عبد قيسٍ، لَمَا احْتُضِرَ جعل يبكي، فقيلَ لَهُ: مَا يبكيك؟ فقالَ مَا أبكي جَزَعاً مِنَ الموتِ، وَلاَ حرصاً على الدنيا، ولَكِنْ أبكي على ظَمَأ الهواجرِ، وَعَلى قِيَامِ اللَّيْلِ فِي لَيَالِي الشِتَاءِ.

وَقد حُكِي قريب مِنْ هذهِ اللفظةِ عَن جَمَاعَةٍ.

بَابُ ذِكْرِ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ كَانُوا يُحْيُونَ اللَّيْل

عَنْ خباب بن الأرتُ قَالَ: رَمقت رَسولَ الله ﷺ حَتى كَانَ الفجر، فلما سلم رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ جئت فقلتُ: لَقَدْ صليت الليلةَ صَلاةً مَا رأيتك صليت مثلهَا، قَالَ: «أجل إنها صلاة رَغبةٍ وَرَهبةٍ»[1].

وَفِي بعضِ الأخبار أنه كَانَ يُكِرَرُ هذه الآية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] .

وَدَعَا لأمته فقيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَاذَا أُجبت؟ فقالَ: «بِمَا لو اطلَعُوا عليهِ اطلاَعَةً لترك كثير منهم الصلاة» فقالَ أبو ذرٍ: أفلا أُبَشِّرُهُمْ يَا رَسُول الله؟ قال: «بلى»، فخرج أبو ذر فاستقبله عمر رضي الله عنهما، فذكر أبوذر القصة، فقال: ارجع، فرجع فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول، إنك إن تبعث إلى الناسِ بِهَذا يتكاسلوا عَنِ العبادةِ، قَالَ: فردني ولم يقل شيئاً[2].

وعن محمد بن جعفرٍ قَالَ: بلغني أنَّ دَاودَ عليهِ السَّلاَمُ قَامَ ليلةً، فلما أصبح قَالَ: نَامَتْ عَيْنُ كُل ذِي عينٍ، وعين دَاود لم تنم، فَأَجَابَهُ ضفدع مِنَ البحرِ وَقَالَ: يَا دَاود أَتَمُنُّ على ربك عَزّ وَجَلّ بقيامِ ليلةٍ وَأَنَا لَمْ أغمض عيني منذ ثلاثمائة عَامٍ.

وَعَنْ أبي جعفر: أن أبَا إسحقَ الأزدِي لَمْ يضع جنبه بالأرض أربعاً وعشرين سنةً، وَكَانَ يُحْيِي الليل كُلهُ فِي رَكعتين.

وَعَنْ بَكْرِ العَابِد قَالَ: كَانَ عَابدٌ بالشَامِ قد حمل على نفسِهِ فِي العبادةِ، فذكر شيئاً

---

(١) أخرجه الطبراني والضياء عن خالد الخزاعي، والإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والضياء بن الأرت. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب (الكنز ١١/١٢١ الحديث رقم ٣٠٨٦٣).

(٢) لم أجده.

فَقَالَتْ لَهُ أمُهُ: يَا بني، عملت مَا لَم يعمل الناس، أمَا تريد أن تهجع، قَالَ: فأقبل يردُ عليهَا وَهِي تبكي: يقولُ: ليتَكِ كُنْتِ بِي عقيماً فإنّ لبنيك فِي القبرِ حبساً طويلاً.

وَعَنْ جعفرِ الضَبْعي قَالَ: كَانَ شَابٌ مِنْ بني تميم يتعبد يقالُ لَهُ علي بن زُفَرَ، وَكَانَ يُصَلِي الليلَ كلهُ، فَإِذَا أعيا شَدَّ وَسَطَهُ بحبل ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إلهي استراحت الطيرُ فِي جَوِ السَّمَاءِ، والحيتانُ فِي لجج البحار، وَالوحوشُ فِي قفر القِفَارِ، وعَلِيٌّ بن زُفر مُرْتهن بعملِهِ.

وَعَنْ نَافِعِ، عَن ابن عُمَر (رضي الله عنهما)، أنَهُ كَانَ إذَا فاتَتْهُ الصَّلاَةُ فِي جَمَاعةٍ أحيا تلك الليلة.

وَعَنْ عبدة وَكَانَتْ مِنْ خَيَارِ إماء اللَّهِ عَزَ وَجَلّ، وَكَانَتْ تخدم رَابِعَة، قَالَتْ: كَانَتْ تُصَلِي الليل إلى أنْ يطلع الفجرُ، قَالَتْ: وَسمعتهَا ذَاتَ ليلةٍ وَوَثَبَتْ من مَرْقدهَا فَزِعَةً وَهِي تقولُ: يَا نفس كَمْ تنامين وإلى كَمْ تقومين، يُوشك أنْ تنامين نَومَةً لاَ تقومِيْنَ مِنْهَا إلا بِصَرْخَة النُشُورِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُصَلِي الفجر وَالعشاء بوضوءِ وَاحِدٍ.

حَدّثَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: حدّثَنَا أبو الفتح محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد الطرسُوسِي المعروف بابن البصري ببيت المقدس، حدّثَنَا أبو دَاود، حَدّثَنَا عبد الرحمن، حدّثنا محمد بن عبد الأعلى، قَالَ: سمعتُ معتمِراً يقولُ: لولاَ أنك عندي مِنْ أهلي مَا حدثتُك، مَكَثَ أبِي أربعينَ سنة يصلي الفجر بوضوءِ العشاء الآخرة.

وَعَنْ أبِي عَمْرِو الرازِي: أنَّ سليمان التيمي صلى بِضْعاً وَثَلاثِينَ سنَةً الفجر والعشاء بوضُوءِ وَاحِدٍ، وَكَانَ بإحدَى رِجْلَيْهِ عِلة فقام على رِجل واحدةٍ.

وَعَنْ محمد بن إسحق قَالَ: قَدِمَ علينا عبد الرحمن بن الأسودِ[1]، فصلى العشاء والفجر بوضوءِ وَاحدٍ، وَكَذلك كان ليث بن أبي سليم.

وعَن المثنى بن الصباحِ قَالَ: لبث وَهْبُ بن مُنَبه عشرين سنةً لَمْ يحدث بين العشاء والفجر وُضُوءاً.

---

(١) عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس أبو حفص النخعي الكوفي الفقيه الإمام ابن الإمام، عن مالك بن مغول عن رجل أنه عدَّ على ابن الأسود يوم جمعة قبل الصلاة ستاً وخمسين ركعة، وقدم حاجاً مرة فاعتلَّت رجله فصلى على قدم حتى أصبح، ولما احتضر بكى فقيل له؟ فقال: أسفاً على الصلاة والصوم، ولم يزل يتلو حتى مات، وروي أنه صام حتى أحرق الصوم لسانه، توفي رضي الله عنه وعنا به سنة ثمان وتسعين من الهجرة. (سير أعلام النبلاء ٥/ ١١).

ومنهم مَنْ كَانَ يحيي الليل بالتفكر والاعْتِبَارِ وَالبكاء.

رُوي عَنْ مهلب بن عثمان الأزدِي: أن مالك بن دِينار صلى العتمة ثُمَّ دَخَلَ بيته فجلسَ فِي مسجدِهِ وَقَبَضَ على لحيتهِ، وَقَال: ارْحَم هذه الشيبة، فبقيت يده معلقة بلحيته حتى أصبح.

وَعَن الحسين بن حصين الفزارِي قَالَ: رأيتُ شيخاً مِنْ بني فزارة أَمَرَ له خَالِدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بمائة ألفِ دِرهم فأبى أنْ يقبلها، وَقَالَ: أَذْهَبَ ذكر جهنم حلاوة الدُنْيَا مِنْ قلبي قَالَ: وَكَانَ يقوم الليل إِذَا نَامَ الناسُ فيصيح: النار النار.

وَحُكِي أنَهُ كَانَ فِي عين يُوسف بن الحسين بن حَمْزَةٌ فتَرَةٌ بائنة مِنَ السهر، فقيل لأخْتِهِ: كيف تكون عبادة يُوسف بنُ الحسين؟ فقالَتْ: إنَهُ إذَا فرغ مِنْ صلاةِ العشَاءِ الآخرة له بيت يتعبد فيهِ، فَإِذَا دَخَله قَامَ قائماً إلى الصباحِ لا يركَعُ وَلاَ يسجد، فقيل ليوسُف بن الحسين: أي عَبادةٍ هَذِهِ؟ فَقَالَ: إن الفرضَ يسهل عليّ، فإذَا أردتُ أن أصلي صلاةَ الليل أبقى واقِفاً لاَ يمكنني التكبيرُ مِنْ تعظيم الله عَزَ وَجَلّ، فَإذَا أصبحت اشتغلت بصلاةِ الصبح.

وَعَنْ أبي يزيد أنَهُ صعد سطح بعض الرباطَاتِ فلم يكبر إلى الصباحِ كَمَا يُكبر سَائر الناس، فلما أرَاد أن يتوضَأ بَالَ دَمَاً، فقيلَ لَهُ: البارِحَةُ كَانُوا يكبرونَ وأنتَ ساكت وَاليومَ صَارَ بولك دَماً ما العلة فيهِ؟ فقال: نعم، كنتُ إذَا أَرَدْتُ أنْ أكَبِّرَ لَمْ يحضرني قلبِي، فَإِذَا حضر قلبِي لم يُطاوِعني لِسَانِي، فأمضيت الليلة على البطالةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يحيي الليل فِي رَكْعَةٍ.

رُوي أن عثمان بن عفان رَضِي الله عَنْهُ كَانَ يحيي اللَّيلِ فِي وَتْرِهِ، ويقرأ القرآنَ فِي رَكْعَةٍ.

وَكَذلك رُوِي عَنْ تَميم الدارِي.

وَعَن بَكر بن عبد الله المزني قَالَ: قَالَ أويس القرني رَحِمَهُ الله: لأعبدن الله تَعَالَى فِي الأرضِ كَمَا تعبدُهُ الملائكة فِي السَمَاءِ، قَالَ: فَكَانَ إذا أمسى قال: الليلة ليلة القِيامِ، فلا يزال قائماً حتى يصبح، فإذَا كَان الليلة الثانية قَالَ: يَا نفس الليلة ليلة الركوع، فلا يزال رَاكِعَاً حتى يصبح، فإذَا كَانَتْ الليلة الثالثة قَالَ: يَا نفس هذه ليلة السجود، فلا يزالُ سَاجداً حتى يُصْبح.

وَكَانَتْ امرأة تخدم مَعَاذة العَدوية قَالَت: وَكَانَتْ معَاذة تحيي الليل صَلاَةً، فَإذا غلبها النومُ قامَتْ فجَالَت فِي الدّارِ وَهِي تقول: يَا نفس الموت أمامك فلو مت الساعَة لطَالَتْ رقدتك فِي القبر، أعلى حَسْرةٍ أو على سُرُورٍ؟ فهي كَذَلك حتى تصبح.

وَكَانَ عبد الله بنُ الزبير جعل الدهر ثلاثة أثلاثٍ، فَكَانَ ليلةً قائماً حتى يصبح، وليلة رَاكِعَاً حتى الصبح، وليلة سَاجِداً حتى الصبحَ.

وَقَالَ سعيد بن جبير ذَاتَ يوم: ختمت البَارِحَةَ القرآن ختمتين مرّتين وَكَانَ منصور بن زَاذَانَ[١] يختم القرآن فِي كُلِ ليلةٍ مَرّتين.

ذِكْرُ كَرَاهية النَّوم إلى الصَّبَاحِ

رُوي عَن النّبِي ﷺ أنَهُ قِيْلَ لَهُ: إن فلاناً بات حتى الصباحَ، فقال ﷺ: «ذَاكَ رَجل بَالَ الشيطانُ في أذنِهِ»[٢].

وَذَكَر ابنُ عمر بن يدي رَسُول الله ﷺ فقالَ: «نعم الرجل عبد الله لوَ قَامَ مِنَ الليل»[٣].

وَذُكِرَ عَنْ عبدِ اللّهِ بن عُمْر أنَهُ قَالَ: رأيتُ في النوم كَأنَهُ أخذ بعضدي وقدم بِي إلى بئر ففزعت، فذكرتُ لرسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «كأنك كُنتَ تقوم من الليل فتركتهُ».

وَعَنْ ابن سيرين أنَّ رَجُلاً أتَاهُ فقالَ: رَأيتُ فِي المنامِ كأني أطير فِي الهواءِ بين ملكين

---

(١) الإمام الرباني شيخ واسط علماً وعملاً منصور بن زاذان أبو المغيرة الثقفي الواسطي، ولد في حياة ابن عمر، وكان ثقة حجة، كان يقرأ القرآن كله في صلاة الضحى، وكان يختم القرآن من الأولى إلى العصر، ويختم في اليوم مرتين ويصلي الليل كله، وكان يبل عمامته من دموع عينيه قال هشيم: كان منصور لو قيل له إن ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل، وكان يصلي من طلوع الشمس إلى أن يصلي العصر، ثم يسبّح إلى المغرب. توفي سنة ١٣١ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٤١، الحلية ٣/ ٥٧، الشذرات ١/ ١٨١).

(٢) عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود قال: قيل للنبي ﷺ فلان نام الليل فلم يصلي حتى أصبح. فقال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه. أخرجه ابن جرير. (الكنز ٨/ ٣٩٤ الحديث رقم ٢٣٤٠٩).

(٣) قال الحافظ العراقي: متفق عليه من حديث ابن عمر وكذلك رواه الإمام أحمد بلفظ: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل. رواه عن ابن عمر عن حفصة عن النبي ﷺ، فحفصة هي التي أخبرت عبد الله بقول النبي ﷺ المذكور (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ١١٧٣).

ثُمَّ رُدِدت إلى الأرضِ، فقالَ: كأنك كنت تقوم الليل فتركتهُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ عملك يرفع إلى السماء ثُمَّ رددْتَ إلى الأرضِ.

وَعَن المبارك بن فضَالَةَ: أنَّ رَجُلاً أتَاهُ فقالَ: كُنتُ أقوم مِنَ الليل ثُمَّ أعياني، فَقَالَ: يَا هَذَا قيدتك الذنوب.

وَرُويَ عَنْ عبد الله بن مسعود أنَهُ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «إنَّ الرجل ليذنب الذنب فيحرَمُ بِهِ قيامَ الليلِ»(١).

وَحُكِي عَنْ ابن عجلان أنَهُ قَالَ: عَنْ بعضهم قَال: إنَّ الرجلَ ليحرم قيامَ اللَّيلِ وَصِيامَ النهارِ بالكذبة يكذبُهَا.

آخر الجزء العاشر

يتلوه فِي أولِ الجزء الحَادِي عشر

ذكر مِنْ نوى أن يقوم مِنَ الليل

فغلبتهُ عينَاهُ عن أبي الدرداء ويبلغ بِهِ النَّبِي ﷺ

وَالحمد لله وحده وصلواته على سيدنَا محمد نبيه وآله وصحبه أجمعين

---

(١) لم أجده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يسر برحمتك

أَخْبَرَنَا الشيخ أبو عبدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ مُوسَى الشيرَازِيُ بمكة حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: أَخْبرَنَا الإمامُ أبو سعدٍ عبد الملك بن أبي عثمان الواعِظ النيسَابُورِي المعروفُ بالحركوشي الزاهِدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ:

ذِكْرُ مَنْ نَوَى أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ

عَنْ أَبِي الدرْدَاء يبلغ بِهِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَنْ أتى فراشَهُ وَهُوَ ينوي أَنْ يقومَ مِنَ الليل وَيُصَلِي، فغلبتهُ عينه حتى يصبح، كتب لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نومُهُ صدقة عليهِ مِنْ مولاه الكريم عَزَ وَجَلّ»[1].

وَعَنْ سلمان بن عامرٍ الضبي قَالَ: كَانَ يُقَالُ أَنَّ الرجُل لَيُصْبِحُ مَسْرُوراً مستبشراً فيقولُ الرَّبُ تَعَالَىٰ: «انظرُوا إلى عبدي أصبحَ مَسْرُوراً مستبشِراً وَمَا أَصَابَ مِنَ الدنيا شيئاً، إلاَّ أَنَهُ عملَ فِي هذه اللَّيلة عملاً أَرَادَ أن يرضيني بِهِ، اشْهَدُوا أني قد قبلتُ منه. ويَصبح العبد محزوناً فاتر النفسِ، فيقولُ الله عَزَ وَجَلّ: انظرُوا إلى عبدي أصبحَ محزوناً وَمَا ذَهَبَ لَهُ شيء من الدُّنيا، إلاَّ أَنَّهُ كَانَ يريدُ أَنْ يعملَ فِي ليلتهِ هَذِهِ عملاً يُرِيْدَ أَنْ يرضيني بِهِ، فَلَمْ يتيَسَرُ لَهُ ذَلِكَ، اشهدُوا أني قد بلغتهُ ثوابَ ذلك العمل الَّذِي كَانَ يريد أَنْ يعملَهُ».

ذِكْرُ التَّوْكِيدِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ

سئلت عائشة رَضِي الله عنها عَنْ قيامِ الليل فقالَتْ: «لاَ تدعوهُ، فإن رَسُول اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا مَرضَ صَلى قاعِداً».

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جبريل يُوصيني

---

(١) قال العراقي: رواه النسائي وابن ماجة من حديث أبي الدرداء بسند صحيح وكذا الطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي وابن حبان، والحاكم والطبراني أيضاً من حديث أبي ذر وأبي الدرداء معاً. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ١١٣٣).

بقيامِ الليل حتى ظننت أنَّ خيارَ أمتي لا ينامُونَ»[1].

ذِكر سنن التهجد وذكر بعض مَا كَانُوا يقولونَه ويفعلونهُ إذا استيقظوا من مَنَامِهِمْ

عَنْ عبادَةَ بنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تعارَّ من الليل فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقظُ: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله وَحدهُ لاَ شريك لَهُ، لَهُ الملك وَلَهُ الحمدُ وهو على كُلِ شيء قَدِيرٌ، سبحانَ الله، وَالحمدُ للَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إلاّ الله، وَاللَّهُ أَكبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قوة إلاَّ بِاللَّهِ العظيم، ثُمَّ قَالَ: رَبِّ اغفر لِي غفر لَهُ، أو قَالَ: استجيب لَهُ، فإن قَامَ وتوضأ وَصَلَى قُبِلَتْ صلاتُهُ»[2].

وَعَنْ سلمانِ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَهُ كَانَ إذَا استيقظَ مِنَ الليل قَالَ: سبحانك رَبَّ النبيين وَإِله المرسلين.

وَعَنْ عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذَا استيقظَ مِنَ الليل قَالَ: «سبحَانَك لاَ إِلَهَ إلاَّ أنتَ، أستغفرك وَأتوبُ إليك، وَأسألك رَحمتَك، اللَّهُمَّ زِدْنِي علماً، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وَهَبْ لِي مِن لَدُنك رَحمةً إنك أنتَ الوَهَابُ».

وَعَنْ أبي الدرْدَاءِ أنَهُ كَانَ يقومُ مِنَ اللَّيل فيقول: «نَامَت العيون، وَغَارَتِ النجوم، وَأنت الحي القيوم».

وَعَنْ عبدِ اللَّهِ بن عباسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّهُ قَالَ فِي حديثٍ لَهُ: وتقدم رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَنَامَ حَتَّى سمعتُ غطيطَهُ، ثم اسْتَوَى عَلَى فراشِهِ جَالِسَاً، فرفع أصبعهُ الداعية إلى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «سبحان الملك القُدُوس» ثلاث مراتٍ، ثم تلا هذهِ الآيَة مِنْ آخرِ آل عمران ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠] .

وَعَنْ جَابر بن عبد الله «أن النَّبِي ﷺ كَانَ إذَا قَامَ مِنَ الليل خرَ سَاجِداً».

ذِكْرُ السِّوَاك للتهجد

عَنْ حذيفة: «أنَّ النَّبِي ﷺ كَانَ إذَا قَامَ للتهجد يشوصُ فاه بالسوَاكِ»[3].

---

(١) أخرجه الديلمي بسنده عن أنس (الكنز ٧/ ٧٩٠ الحديث رقم ٢١٤٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أبواب التهجد باب فضل من تعارَّ من الليل والإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن عبادة بن الصامت. (الكنز ٧/ ٧٨١ الحديث رقم ٢١٣٨١).

(٣) رواه الشيخان والإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن حذيفة. والتشويص: دلك الأسنان بالسواك عرضاً (الكنز ٧/ ٦٦ الحديث ١٧٩٨٥).

ذِكْر التطيب والتجمل للتهجد

عَنْ أنس بن مَالكٍ قَالَ: «كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إناء يعرض عليهِ سواكه، فإذَا قَامَ من الليل خَلاً واستنجى وَاستاك وتوضأ، ثم يَطلُبُ الطيب في رباع نِسَائِهِ».

وَقَالَ عبد الرحمن بن أبي ليلى: كَانَ تميم الداري إذا تهجد دَعَا بِسِوَاكِهِ، وَدَعَا بطيبهِ، وَلَبِسَ حلةً كَانَ لاَ يلبسها إلا إذا تهجد مِنَ اللَّيلِ.

ذِكر ما يقوله إذا افتتح الصلاة بالليل

عَنْ نَافع بن جبير بن مطعم، عَنْ أبيهِ قَالَ: رَأيتُ رَسُوْلَ الله ﷺ قد افتتح صلاة الليل فقالَ: «الله أكبر كبيراً، الله أكبر كبيراً، الله أكْبَرُ كَبِيراً، الحمد لِلَّهِ كَثِيراً، الحمدُ لِلَّهِ كَثِيراً الحمد لله كثيراً، سبحان الله بكرةً وَأصيلاً، سبحان الله بكرةً وَأصيلاً، سبحان الله بكرةً وَأصيلاً، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الشيطان وهمزه ونفخه ونَفْثِهِ»[1].

وَعَنْ رَبِيعَةَ الجرَشي قَالَ: سَأَلْتُ عائشة رَضِي الله عنها، فقُلْتُ: «مَا كَانَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ يقولُ إذَا قَامَ يُصَلِي مِنَ الليل؟» قَالَتْ: «كَانَ يُكَبِرُ عَشْرَاً، ويحمد عشراً، ويُهَلِلُ عشراً، ويستغفر عشراً، وَيقولُ: «اللَّهُمَّ اغفِر لِي وَاهْدِني وَارزقني، وَيقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك مِنَ المضَيق يَومَ الحِسَابِ».

ذِكْرُ الوُضُوءِ باللَّيْلِ

عَن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بِتُ عند خالتي ميمونَةَ، فقَامَ النَّبِي ﷺ مِنَ الليل فتوضأ وُضُوءاً خَفِيفاً، فقمت فصنعتُ مثل الذِي صنع، وَقمت عَنْ يَسَارِهِ، فجذبني وَأقامني عَنْ يَمِيْنِهِ[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داود وابن ماجة عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي قال: فذكره (الكنز ٧/ ٤٣١ الحديث ١٩٦٤٢).

(٢) رواه ابن النجار من حديث طويل (الكنز ٩/ ٤٩٠ الحديث رقم ٢٧١١٢).

ذِكْرُ مَنْ أيقظَ أهْلَهُ

عَنْ أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رَحِمَ الله رَجُلاً قَامَ مِنَ الليل فصلى ثم أيقظ امرأتَهُ فصلت، فإن أبَتْ نضح وَجْهَهَا بالماءِ، رَحِمَ الله امرأةً قَامَتْ مِنَ الليل فَصَلّتْ وَأيقَظَتْ زوجَهَا فصلى، فإنْ أبَى نضحَت وَجهه بالماءِ»[١].

وَعَنْ علي بن أبي طالبِ عليهِ السَّلاَم قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُوقِظُ أهلَهُ فِي الْعَشْرِ الأوَاخِرِ»[٢].

ذِكْرُ ابْتِدَاءِ صَلاَةِ اللَّيْلِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، حَدَّثَنَا أبو مُحَمّدٍ عَبْدُ الرحمن بن عُمَر النحاسُ بمصر، قَالَ: حَدَّثَنَا أحمد بن إبراهيم، قَالَ: حَدّثنَا علي بن عبد العزيز، حدّثنَا الهيثم بن خَارِجَةَ، حَدّثَنَا شِهَابُ بنُ خِرَاشٍ، عَنْ هِشَامِ بن حَسَّانَ، عَنِ ابن سِيْرِينَ، عَنْ أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا قَامَ أحدكُمْ مِنَ الليل فَلْيُصَلِي رَكعتين خَفِيْفَتين»[٣].

وَقَالَ هِشَامٌ: كَانَ ابنُ سِيْرين يقرأ فِي الركْعَةِ الأولى بفاتِحَة الكِتَابِ وَآيةِ الكُرْسِي، وَفِي الأخرى بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ وَ﴿آمَنَ الرَسُولُ﴾.

ذِكْرُ طول القنوت

عَنْ جَابِرِ بن عبد اللَّهِ، قَالَ: سَأَلَ رَجُل النَّبِي ﷺ أنَهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أي الصلاة أفضَلُ؟» قَالَ: «طول القنوتِ» يعني: صلِّ بالليل أو بالنَّهَارِ[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن جرير والحاكم كما رواه الشيخان وابن حبان جميعهم بسندهم عن أبي هريرة رضي الله عنه. (الكنز ٧/ ٧٩٣ الحديث رقم ٢١٤٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير والإمام أحمد والترمذي في كتاب الصوم وقال: حسن صحيح، وابن أبي عاصم في الاعتكاف وجعفر الفريابي في السنن. (الكنز ٨/ ٦٣٠ الحديث ٢٤٤٦٩).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب افتتاح صلاة الليل بركعتين ١٣٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب أفضل الصلاة والإمام أحمد والترمذي وابن ماجة عن جابر. (الكنز ٧/ ٤٣٥ الحديث رقم ١٩٦٥٧).

ذِكْرُ تطويل الصلاةِ بالليل وَتَخْفِيْفِهَا

رُوِيَ عَن النَّبِي ﷺ «أَنَهُ كَانَ إِذَا افتتح صَلاَةَ الليل افتتح بركعتين خفيفتين»[١].

وَرُوِي عَنْهُ ﷺ إِنَهُ كَانَ يُصَلِي من اللَّيْل، فإذا كبر قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ ذُوْ الملكوتِ والجَبرُوتِ، وَالكِبْرِياء والعظمَةِ» ثم قرأ البقرة، ثم رَكَعَ فَكَانَ رُكوعهُ نحواً مِنْ قيامِهِ، وَكَانَ يقولُ فِي رُكُوعهِ: «سبحان رَبِي العظيم» فلما رَفَعَ رَأسَهُ مِنَ الركُوعِ قَامَ نحواً مِنْ رُكوعِهِ، فَكَانَ يقولُ فِي قيامِهِ: «لِرَبِي الحَمْدُ لِرَبِي الحَمْدُ» ثم سَجَدَ، فَكَانَ فِي سُجُودِهِ نحواً مِنْ قيامِهِ وَكَانَ يقولُ فِي سجودِهِ: سبحان رَبِي الأعلى ثم رَفَعَ رَأسَهُ فَكَانَ قعوده بين السجدتين نحواً مِنْ سُجُودِهِ وَكَانَ يقولُ فِي قعُودِهِ: «رَبِّ اغفر لِي» فصلى بين أربع رَكَعَاتٍ قرأ فيهن البقرة، وَآل عِمْرَانَ، وَالنِّسَاء، وَالمائدة، وَالأنعامَ[٢].

ذِكْرُ فَضْلِ الْقِيَامِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، أخبرنا أبو محمَّدٍ عَبْدُ الرحمنِ بن عمر بن مُحَمَّدٍ بن النحاسِ بِمَصْرَ قَالَ: أخبرنَا أبو العباسِ أحمد بن إبراهيم، حدثنا عليُ بن عبد العزيز، حدّثنا عَفَان، حدّثَنَا أَبُو عوانة، عَنْ عبدِ الملك بن عُمَيْرٍ، عَنْ محمد بن المنتشِر، عَنْ حميدِ بن عبد الرحمنِ، عَنْ أبي هريرة قَالَ: سمعتُ رَسولَ الله ﷺ يقول: «أفضل الصلاةِ بعد الفريضَةِ الصلاَةُ فِي جوفِ اللَّيل، وَأفضل الصيامِ بعد رَمضان شهر الله الذِي تدعونَهُ الحَرام»[٣].

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، أخبرنَا أبو عبد الله المزني حَدَّثَنَا أحمَدُ بن نجدة، حدثنا يحيى بن عبد الحميدِ الحِمَانِي حَدَّثَنَا ابن المُبارَكِ، عَنْ عوف، عَنْ أَبِي المنهالِ، عَنْ أبي مسلم قَالَ: سَألتُ أبا ذَرٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: «أيُّ قيام اللَّيلِ أفضل؟» فَقَالَ لِي: «يَا بني سَألتُ

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٦٥) ـ باب الدعاء في الليل وقيامه.

(٢) مسلم في صلاة المسافرين ـ باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل. والنسائي ٢/ ١٧٦ في الافتتاح باب تعوذ القارىء إذا مر بآية عذاب، وباب مسألة القارىء إذا مرَّ بآية رحمة.

(٣) حديث: (أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم)، أخرجه الإمام مسلم والأربعة عن أبي هريرة، والرؤياني في مسنده، والطبراني عن جندب (الكنز ٧/ ٧٨٤ الحديث رقم ٢١٣٩٧).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمَا سَألتني عَنْهُ، فقَالَ: «نصف الليل، أو جوف الليل، وَقليل فاعِلُهُ»[1].

وَرَوىٰ أبو ذرٍ قَالَ: سَألتُ رَسولَ الله ﷺ: أي الليل أفضل؟ قَالَ: «جوفُ الليل الأخِير».

بَابُ ذِكْرِ فضل الصلاة في آخرِ اللَّيل

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أن لا يستيقظ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فليوتر أوّل اللَّيل ليرقد، وَمَنْ رجا أن يستيقظ فليرقد آخر اللَّيْلِ، فَإِنْ قَرَاءة آخر الليل محضورة وذلك أفضل»[2].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ آخر الليل في التهجد أحبُّ إليَّ من أولهِ»[3] ثم قرأ عليه السلام: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٨].

وَعَنْ حَسَّان بن عطيّة يرفعه قَالَ: «ركعاتٍ فِي جَوْفِ الليل الآخر خير من الدنيا ومَا فيها، وَلولاَ أن أشقّ عَلَىٰ أمتي لفرضتها عليهم»[4].

ذِكْرُ الاستِعَانَةِ بالقيلولة على التهجُّد

يُرْوَى عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «استعينوا بسحور اللَّيل على صيام النهار وبقيلولة النهار على قيام الليل»[5].

---

(١) أخرجه البيهقي بسنده عن أبي ذر الغفاري (الكنز ٧/ ٧٨٠ الحديث رقم ٢١٣٧٩).

(٢) حديث: من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل فإن صلاة آخر الليل مشهودة محضورة وذلك أفضل. رواه مسلم والترمذي وابن ماجة وغيرهم (الترغيب والترهيب للمنذري ١/ ٤٠٧).

(٣) شاهده قوله عليه الصلاة والسلام: أفضل الساعات جوف الليل الآخر، رواه الطبراني عن عمرو بن عنبسة (الكنز ٧/ ٧٨٤ رقم ٢١٣٩٦).

(٤) حديث: (ركعتان يركعهما ابن آدم في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم) رواه ابن نصر عن حسان بن عطية مرسلاً. (الكنز ٧/ ٧٨٥ الحديث رقم ٢١٤٠٥).

(٥) أخرجه ابن ماجة في كتاب الصيام باب في السحور رقم ٦٦٩٣، والحاكم والطبراني والبيهقي بسندهم عن ابن عباس (الكنز ٨/ ٥٢٣ الحديث ٢٣٩٥٦).

ذكر اجتهاد النبي ﷺ في التهجد

عَنِ المغيرة بن شعبة قَالَ: «قَامَ النبيّ ﷺ حتى تورّمت قدماهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أليس قد غَفَرَ الله لَكَ مَا تقَدَّم مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟» فقال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكورا»[1].

وَكَانَ عامر بن عبد الله قد فرضَ على نفسِهِ كل يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعةٍ، وكان إذا صَلَّى العَصْرَ جلسَ وقد أثخنت قدماه من طُولِ القيام، فيقول: «يا نفس لهذا خلقتِ، وبهذا أمرتِ، يوشك أن يذهب الإعياء»، ويقول لنفسه: «قومي، يا مأوى كُلّ سُوءٍ، مَاذَا تُرِيدينَ بهذا؟»

ذِكْرُ تَخصِيصِ صلاة اللَّيل بالفضلِ

عَن ابن عمر قالَ: أمسكت لرسولِ الله ﷺ دابتهُ في مركبٍ ركبها إلى قباء، فَقَالَ: «نعم الرجل عَبد الله بن عُمَر، غير أنه قليل الصلاة باللَّيل»[2] قال: فَمَا مَاتَ ابنُ عُمَر حتّى كَانَ أكثر الناس صلاةً باللَّيْل.

وَكَانَ للحسن بن صالح جارية بيعت من قوم، فَقَامَتْ مِنَ اللَّيل تستقي الماء فقالَتْ: مَا تصلون باللَّيل؟ قالوا: لاَ، فَأَتت للحسن بن صالحٍ، فَقَالَتْ: «أبعتمونِي مِنْ قَوْمٍ لاَ يُصَلُّون باللَّيْلِ؟ استردوني»، فاستردوها.

ذِكْرُ تنعم المتهجد بتهجده وثوابه

وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ»[3]. وَقَالَ مُسْلِمُ بنُ يَسَارٍ: «مَا تَنعّمَ المتنعمون بمثلِ مُنَاجَاتِهِمْ رَبّهم عزّ وجلّ وَصَلاَتِهِمْ بِاللَّيْلِ».

وَعَنْ سُفْيَانَ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: ثلاث مِنْ قُرَّةِ العَيْنِ؛ فطر الصَّائِمِ، وَلِقَاءُ الإخوان، والتهجّد بِاللَّيْلِ.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي بسندهم عن المغيرة بن شعبة (الترغيب والترهيب ١/ ٤٢١).

(٢) قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عمر، وقد مرّ.

(٣) أخرجه الطبراني بسنده عن أنس بن مالك (الكنز ٧/ ٢٨٧ الحديث ١٨٩١٢).

ذِكْرُ رَفْعِ الصَّوْت في صَلاَةِ اللَّيْلِ

عَنْ أم هَانِىء قَالَتْ: «كنتُ أسمَعُ قراءة النبي ﷺ في جَوْفِ اللَّيْلِ عِنْدَ الكَعْبَة وَأَنَا عَلَى فِرَاشِي»(١).

ذِكْر الإسرار بالقرآن في صَلاةِ اللَّيْل

عَنْ عُقبة بن عامر، عن النبيّ ﷺ قال: «المسر بالقرآن كالمسر بالصدَقَةِ، والجَاهِرُ بالقرآن كالجَاهِرِ بالصدَقة»(٢).

وَقَالَ النبي ﷺ: «فضل السر عَلَى العَلاَنِيَةِ سبعين ضِعْفاً»(٣).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّه رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيلِ هَمْساً ثُمَّ تَوَضَّأ هَمْساً، ثمَّ صَلَّى هَمْساً ثمَّ رَجِعَ إلى فِرَاشِهِ هَمساً»(٤).

ذكر جواز الجهر والمخافتة فيها

عَنْ غضيف بن الحارثِ قالَ: قلتُ لعائِشَة عَلَيْهَا السلام: أكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يجهر بصلاته ليلاً أو يخافت؟ قالت: «ربّما جهر وربما خافَتَ» قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ أكبرُ، الحمد لِلَّهِ الذي جَعَلَ في الأمرِ سَعَةً»(٥).

وَكَانَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ يخافِتُ، وَعُمر رَضِي اللَّهُ عنهُ يجهَرُ، فَقَالَ النبي ﷺ لأبي بكرِ رَضِي اللَّهُ عنه: «أنتَ تسر قراءتك» قال: أُسْمِعُ نفسي وأنَاجي رَبي عزّ وجلّ. وَقَالَ لعمر: «أنتَ تجهَرُ» قالَ: «أطْرُد الشيطان وأوقِظُ الوسنان»، فقال لَهُ: «دُونَ ذَا» وَقَال لأبي بكرَ «فوقَ ذا».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ في مسند أم هانىء: (كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي). (الكنز ٨/ ١١٧ الحديث ٢٢١٧٣).

(٢) حديث: الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسرّ بالصدقة. أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن عقبة بن عامر، والحاكم في المستدرك عن معاذ بن جبل. (الكنز ١/ ٦٠٤ الحديث رقم ٢٧٥٨).

(٣) شاهده: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية. أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود. (الجامع الصغير ٢/ ١٧٥).

(٤) لم أجده.

(٥) رواه عبد الرزاق في الجامع من حديث طويل (الكنز ٥/ ٨٧٢ الحديث ١٤٥٧٧).

ذِكر البكاء في جوفِ اللَّيْل

عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عينٌ بكتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عزّ وجلّ، وَعَين تحرس سرية في سبيل الله عزّ وجلّ»(١).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بن قرة قالَ: مَنْ يَدُلني على رَجُلٍ بَسَّامٍ في النهار بكاءٍ بالليلِ؟

ذكر الترتيل في القراءة

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذا قرأ يقطع قراءته آية آيةً بسمِ اللَّهِ الرَّحْمن الرَّحيمِ. الحمد لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ»(٢).

ذكر أي الليل أفضل فيه الدعاء

عن أبي سعيدِ الخدري، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إذا ذهبَ ثلث الليل قال الله عزّ وجلّ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فيُعْطى، هَلْ مِنْ مستغفِر فيغفر لَهُ، هل من دَاعٍ فيجاب»(٣).

وَرُوِيَ أن النَّبِيَّ ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «أي الليل أفضل؟ قال: لا أعلم إلا أنه إذا كَانَ وَقْتُ السَّحَر سمعتُ للعرش أزيزاً - أو قال: إن العرش ليهتز - عند السَّحَرِ»(٤).

وَرُوِيَ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «يَا عَلِي ادع بالأسحار» قال: «فإن الدعاء بالأسحار لا يرَد» قالَ الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

---

(١) حديث: عينان لا تصيبهما النار: عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله. رواه الترمذي في سننه عن ابن عباس ورمز السيوطي لصحته. (الجامع الصغير ٢/١٤٦ الحديث رقم ٥٦٤٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٢٠)، وأبو داود في الصلاة (١٤٦٦) باب استحباب الترتيل في الصلاة، والترمذي، والنسائي بسندهم عن أم سلمة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، وأبو يعلى، والنسائي والطبراني والإمام البغوي وغيرهم بألفاظ مختلفة ومتقاربة عن أبي هريرة وابن مسعود. (الكنز ٢/١١٠ - ١١١).

(٤) وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار إلى سماء الدنيا - هكذا لفظ القوت - وغير ذلك من الأخبار. قال الحافظ العراقي: هذه الآثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجريري قال: قال داود: يا جبريل أي الليل أفضل؟ قال ما أدري غير أن العرش يهتز في السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجرة (تخريج أحاديث الإحياء بالحديث ١١٤١).

وَقَالَ الأوزاعِي «ينظر الله عزّ وّجلّ إلى الجَنَّة سحر كل ليلةٍ، فيقولُ: ازْدَادِي طيباً إلى طيبكِ، قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون».

وَعَنْ إبْرَاهِيم التيمي في قولِ اللَّهِ عزّ وجلّ حِكَايَةً عَنْ يَعْقُوبَ عليه السلام ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] قال: أخرهُمْ إلى وقتِ السَّحَرِ.

قال أبو سعدٍ مصنف الكتاب رحمه الله: رَأَيْتُ بعض مَشَايخ الحرَم كَانَ يكثر الصلاة بالليل، فإذا كان وقت السَّحر نادى بصوتٍ حَسَن.

وأنشدَ:

يَـا رِجَـال الـلـيـل مـا أجـمـلـكُـمْ، بـأبـي أنـتـم، وَمَـا أحـسـنـكـمْ

وَرُوِيَ أن أم سليم قالَتْ: يَا بُنَي، لا تكثر النوم فإن كثرة النوم تَدَع الرجل فقيراً يوم القيامة.

يَـا نَـائِـمـاً والـخـطـوبُ تـوقـظـهُ مـن كـان يـخـشـى الـمـعـادَ لـم يَـنَـمِ

وَعَنْ عُبَيْدِ بن عميرٍ أنه كَانَ إذا دَخَلَ الشِّتَاء يَقُولُ: «يَا أهلَ القرآن، طالَ لَيْلُكُمْ لِصَلاتِكُمْ، وَقَصر نهاركم لصيامكم فاغتنموا».

وقِيلَ لوهيب بن محمد: «ألا تَنَام؟» فَقَالَ: «وَكَيْفَ يَأَخذني النومُ مَعَ عَجَائِبِ القرآنِ».

وَقَالَ وَهْب بن منبهٍ: «إن أحبَّ بَنِي آدم إلى الشَّيْطان الأكول النؤوم».

وَعَنْ ثَابِتِ البناني قَالَ: «بلَغَنَا أن لله تعالى مَلاَئِكَةً معهم ألواحٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَأَقْلاَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، يكتبون قُوَّامَ اللَّيْلِ».

ذِكْرُ الدعاء في جوف الليل

أخبرنا أبو سعدٍ، حدّثنا أبو عَمْرو بن نجيد، حدّثنا محمد بن إبراهيم-البوشنْجي، حدّثنا أبو نصرٍ، حدّثنا ملك، عَنْ الزبير المكي، عن طاووس اليماني، عَنْ عبد الله بن عباسٍ، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إذا قَامَ إلى الصَّلاَةِ مِنْ جَوفِ اللَّيل يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الحمْدُ أنت نُورُ السمٰوات والأرض، وَلَكَ الحمدُ أنتَ قيومُ السمٰوات والأرضِ، وَلَكَ الحمدُ ربّ السمٰواتِ والأرض وَمَنْ فيهن، أنتَ الحق، وَقولُكَ الحق، ووَعدك الحقُّ، ولقاؤك الحقُّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، وَالسَّاعَةُ حقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أسلمتُ، وبكَ آمنْتُ، وَعَلَيك توكلت،

وَإليكَ أنبتُ، وبك خَاصَمتُ، وَإلَيْكَ حَاكَمْت فاغفر لي ما قدمتُ وأَخَرتُ، وأسررت وَأَعلنت، أنت إِلهي لاَ إِله ألا أنتَ»[1].

بَابُ ذِكْرِ الدُّنيا وبعض صفاتها وأمثالها وما قيل فيها وفي ذمها

الحمدُ لِلّهِ الذي جَعَلَ الدنيا دَارَ اختبارِ ومحل مضمارِ، ومتزوّداً لدار القرارِ، أَحْمَدَهُ وَأَشْهَدُ أنْ لا إِله إِلاَّ الله الواحدُ القَهَّار، الذي لا تدرِكه الأبصارُ، ولا تحده الأقطار، ولا تمثلهُ الأقدار، مُصَرفُ الدُّهور، مُدَبِّرُ الأمور، مفجر الصخور، مسخر البُحُورِ، وأَشْهَدُ أنَّ محمداً عبدُهُ وَرَسُولُهُ صلَّى الله عليه وَعَلى آلهِ وأَصْحَابِهِ.

قَالَ أبو سعدٍ رَحِمَهُ اللّه: قَدْ جَعَلَ الله تعالى الدنيا سجناً للمؤمنينَ، وجَنَّةً للكافرينَ، وزَهَّد فيها عباده بذكر معايبها لهم في آي من كتابِهِ العَزِيز، الذي لا يأتيه الباطلِ مِنْ يديه وَلاَ مِنْ خلفِهِ، مُرَغِّباً بتزهيدهم فيها إياهم في دَارِ القَرَار وَالسَّلام، وَدَارِ الخُلْدِ وَالإِكْرَام، فـقَـالَ عـزّ مِـنْ قَـائـلٍ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] . قيلَ فِي معناهُ: لعبٌ كلعبِ الصبيان، ولهو كلهو الفتيان، وَزينة كَزِينَةِ النِّسْوان، وتَفَاخُر كَتَفَاخر الأقران، وَتَكَاثُرٌ كَتَكَاثُرِ الدُّهْقَان[2]. وَقَالَ عزّ وجلّ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] . وَقَالَ تَـعَـالَـى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٢٤] قيل: إنَّ المعْنَى فِي تمثِيل الحياة الدنيا بالماء، أن قليل الماءِ يَرْوِي وكَثِيرُهُ يردى وَكذلِك مقدَار القوتِ مِنَ الدنيا يغني وكثيرُهَا يُطغي. وَرد في عدّة آي يَطولُ الكتاب بذكرها.

أخبرنا أبو سعدٍ، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن رَجَاءِ الإبزازِي، أخبرنا الحسن بن سُفْيَان، حدّثنا خبابُ بن مُوسَى، أخبرنا عبد الملكِ بن المُبَارَكِ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن قيس بن أبي حَازم، عن المسورِ بن شدّاد أخي بني فهْرٍ قَالَ: سمعتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يقُولُ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعهُ في اليمِ

(١) قال الحافظ العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس، ورواه ابن ماجة من حديث أبي موسى بألفاظ متقاربة (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ١١٤٢).

(٢) الدُّهقان بالكسر والضم: القوي على التصرف مع حِدَّة، والتاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم (مادة د هـ ن).

فلينظرْ بِمَ يرجعُ»[1].

وَقَالَ سَهْلُ بن عَبْدُ اللَّهِ: الدُّنْيَا كُلّها لإبليس إلا المسجد.

ورُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا خضرة حلوة، وَأَنَّ الله تعالى مستخلفكم فَنَاظِرٌ كيفَ تَعْمَلُونَ، فاتَّقُوا الله، وَاتقوا الدنيا، وَاتقوا النساء، واجملوا فِي الطلبِ»[2].

وَقَالَ ﷺ: «مَا لي وللدنيا، مَا أَنَا وَالدنيا إلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلّ تحتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتركها»[3].

وَقَالَ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنيا تزنُ عند الله جناحَ بعوضَةٍ، مَا سقى كَافراً منها شربة ماءٍ»[4].

وَعَن الضحَاك بن سُفيان الكلابي قَالَ: قَال لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ضحاك مَا طَعامك؟» قلتُ: «اللَّحم واللَّبن»، قَالَ: «ثمَّ يصيرُ إلى ماذا؟» قَالَ: «قلتُ: يصير إلى ما علمتَ» قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى ضَرَبَ مَا يخرجُ مِنْ ابن آدَمَ مثلاً للدنيا»[5].

وَرُوِيَ عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الدُّنْيَا دار مَنْ لا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لاَ مَالَ لَهُ، ولَها يجمعُ مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ»[6].

وَرَوَىٰ المستورِد بن شَدّاد قال: كُنتُ في الرَّكْبِ الذين وقفوا مَعَ النبي ﷺ على السخلة الميتةِ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَرَونَ هَذِهِ هَانَتْ على أهلها؟» قَالُوا: «من هوانها أَلْقوهَا يَا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية وقال: وهو غريب من حديث فضيل، ورواه الحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٢٩٧٣).

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي سعيد الخدري، وكذا رواه مسلم والنسائي وآخرون من طريق سعيد بن يزيد أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٢٩٤٣).

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم من حديث ابن مسعود ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٢٩٦٤).

(٤) قال العراقي: رواه ابن ماجة والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد، وأخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث رقم ٢٩٣٥).

(٥) حديث روي أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان الكلابي: ألست تؤتى بطعامك وقد مَلِحَ ـ أي أصلح بالملح ـ وقزح ـ أي أصلح بالأبزار ـ، ثم تشرب عليه اللبن والماء؟ قال: بلى. قال: فإلى ما يصير؟ قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله. قال: فإن الله عزَّ وجلَّ ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم). رواه أحمد والطبراني. (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٢٩٧٠).

(٦) رواه أحمد من حديث عائشة مقتصراً على قوله: «دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له) وزاد البيهقي وابن أبي الدنيا (ومال من لا مال له، وعليها يعادي من لا علم عنده، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له)، (تخريج أحاديث الإحياء ـ الحديث ٢٩٤٦.

رَسُولَ اللَّهِ»، قال: «الدُّنيا أهون على الله مِنْ هَذِهِ على أهلها»[1]. وَرُوِيَ أنَّ عِيسى عليه السلام قَالَ: «بحقٌ أقولُ لَكُمْ، رَأْسُ كُل خطيئةٍ حبُّ الدنيا»[2].

وَقَالَ أيضاً: «الدنيا قنطرة فاعبروهَا وَلاَ تعمرُوها»[3]. وَقَالَ الحسنُ البَصْرِي: يا ابن آدَمَ، لاَ تُخَالِف الله تعالَى في هَوَاه، فإنَّ الله تعالى لاَ يحبُّ الدنيا.

وَقَالَ الفضيل بن عياضٍ: جعلَ الشرّ كله في بيت وَجعل مفتاحه حبّ الدنيا، وَجُعِلَ الخير كلّهُ فِي بيت وَجُعِلَ مفتاحُهُ الزهدَ في الدُّنيا.

وَعَنْ عُمَر بن الخطاب رَضي الله عَنْهُ قال: وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا مِنْ أولها إلى آخرها إلاَّ كَرَجل نَامَ وَرَأَى فِي مَنَامِه شيئاً أعجبه فاسْتَيْقَظَ فَإِذَا لا شيء.

وَقَالَ الحسن البصري: الدنيا دَار ظعن[4] وليست بدار إقامة وَإِنَّمَا أهْبطَ آدَمُ عَلَيْهِ السلام إليها عقوبة لَهُ فيحسب مَنْ لاَ يَدْرِي ثَوَاب الله عَزّ وجلّ أنها ثوابٌ، ويحسب مَنْ لا يَدْرِي عقابَ اللَّهِ عزّ وجلّ أنها عِقَابٌ.

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام: «مثلُ الدنيا في الآخِرة كمثلِ رَجُلٍ لَهُ امرأتان إن أرضىٰ إحداهما أسخط الأخرى». وَقَالَ عَوْن بن عبد الله: «مثل الدنيا والآخرة كَكَفَّتَيْ الميزان. بقدر ما ترجح إحداهما تخف الأخرى».

قَالَ يَحْيَى بن معاذٍ الرازي: «الدنْيا حَانُوت الشيطان، فلا تسرقن مِنْ حَانُوتِهِ شيئاً فيجيء في طلبِهِ فيأخذك».

وقَالَ ابن السماك: «الدنْيَا مَعْبَرٌ على خَطَرٍ تُزِيلُ الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يرجع منها مَا تولى وأدبر، ولا يدرَى ما هو آتٍ فينتظر، فاحذروها فإنها كاذبة، وآمالها

---

(١) قال العراقي رواه ابن ماجة والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٢٩٢٥).

(٢) اشتهر على الألسنة: حب الدنيا رأس كل خطيئة واختلف فيه هل هو من كلام النبي ﷺ أم لا؟ ففي المقاصد للحافظ السخاوي: أخرجه البيهقي في الحادي والسبعين من الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مرسلاً، وأورده الديلمي في الفردوس وتبعه ولده بلا إسناد عن علي رفعه وهو عند البيهقي أيضاً في الزهد، وأبي نعيم في ترجمة الثوري من الحلية من قول عيسى بن مريم عليه السلام (تخريج أحاديث الإحياء ح ٤٣٢).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس بلا سند عن ابن عمر مرفوعاً (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٧١).

(٤) أي: دار رحيل.

باطلة، وعيشها نكد، وصفوُها كدرٌ، وابن آدم منها على خطر، إما نعمةٌ زائلة، وإما مصيبة حادثة وإما منيّة قاضية».

وَقَالَ يَحْيَى بن معاذٍ الرازي: «الدنيا خَمْرُ الشيطان، مَنْ سَكِرَ منها لم يفق إلا في عسكر الموتى، نادماً بين الخاسِرِينَ».

وعنه أيضاً: «الدنيا دَارُ خراب، وَأخرب منها قلبُ مَن يَعْمرها، والآخِرَة دَارُ عِمْرَان، وَأعْمَر منها قلب من يطلبها». وَقَالَ غيره: «مثل الدُّنْيَا مثل الخلفات يرحل واحد وينزل واحد».

وَعَنْ محمد بن علي الباقر أَنَّهُ قَالَ لجابرِ الجعفِي: «يَا جَابِرِ اجْعَل الدنيا مَالاً أصبته في مَنَامِكَ، ثم انتبهتَ، وَلَيسَ معكَ شيءٌ». وَقَالَ إبراهيم بن أَدْهَم لرجل في مجلسِ بقية بن الوليد: «أدِرْهَمٌ في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟» قَالَ: «دِينَارٌ في اليقظَة». فقال: «كذبت، لأن الذي تحبه في الدنيا كأَنَّك تحبه في المنام، وَالذي لا تحبه من الآخرة كذلك لا تحبه في اليقظة».

وَقَالَ أبو سعدِ رَحِمَهُ الله: مُصَادِقه مَا رُوِيَ في الخبر: «الناس نيامٌ، فَإِذَا مَاتُوا انتبهوا»[1].

قَالَ أبو سعدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الدُّنْيَا حلمُ المنام، وَأَهْلُهَا عَلَيْهَا مُجَازونَ وَمُعَاقَبُونَ»[2].

وَقَال أَبُو حَازِمٍ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّنْيَافَإِنَّهُ بَلَغَني أن العبد يُوقف يومَ القِيَامَةِ إِذَا كَانَ معظماً للدنيا، فَيُقَالُ: هَذَا عَظَّمَ مَا حَقَّرَهُ الله عزّ وجلّ».

وَقِيلَ لمحمد بن علي: «من أعظم الناس قَدْراً؟» قَالَ: «مَنْ لَمْ يُبَالِ الدُّنْيَا في يَدِ مَنْ كَانَتْ».

وعَنْ أبي حَازِمٍ قَالَ: «قليلُ الدُّنْيَا كَثيرٌ في عَيْنِ مَنْ لاَ يُبْصرهَا، وَكثيرُهَا قليل فِي عين من يبصرُهَا».

وَعَن ابن المنكَدِرِ قَالَ: «تجيء الدنيا يومَ القِيَامَةِ فَتَتَبختر فِي زِينَتِهَا فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، اجعلني لأحسن عبادِكَ دَاراً، فَيَقُولُ الله تعالى: لا أَرْضَاكِ لَهُ، اذهَبِي يَا لاَ شيء، كُونِي هباءً منثوراً».

---

(١) يعزى: إلى الإمام علي بن أبي طالب، وأورده الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي، وذكره أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري.

(٢) لم أجده.

وَعَن إسْمَاعِيل بن عَيّاش[١] قَالَ: «كَانَ أصحَابُنَا يُسَمّونَ الدنيا خَنْزِيرَة، فيقولون: إلَيْكَ عَنَّا يَا خَنْزِيرَة، فَلَوْ وَجَدُوا لَهَا اسماً أقبح مِنْ هَذَا لَسَمَّوهَا بِهِ».

وَعَنْ كَعْبِ الأحْبَارِ قال: «لتجِيئَنَّ إليكُم الدُّنْيَا حتّى تعبدُوهَا وَأَهْلَهَا».

وَقَالَ وُهيب بن الْوَرْدِ: «تَعَالَوا حتّى نَتُوبَ مِنْ ذَنْبٍ لا يتوبُ منه الناسُ: حُبُّ الدنيا».

وَقَالَ ابنُ السماكِ: «كُلُّ شَيْءٍ فاتك مِنَ الدنيا فَهُوَ غنيمةٌ».

وَعَنْ مالكِ بن دينارٍ قَالَ: «اتَّقُوا السحَّارة، فَإِنَّهَا تسحر قلوب العلماءِ» يعني: الدنيا!!

وَقَالَ الحسن: «وَاللَّهِ مَا عُبِدَتِ الأصنامُ بعد عبادة الرحْمٰن إلا بحبهم الدُّنْيَا».

وَقَالَ أيضاً: «رَحِمَ اللَّهُ أقواماً كَانَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ وَدِيعَةً، فَأَدَّوهَا إلى من ائتمنهم عليها، ثمَّ رَاحُوا خِفَافاً».

وَقَالَ يحيى ين معاذٍ: «العاقِلُ المصيبُ مَنْ عمل ثلاثاً؛ ترك الدنيا قبل أَنْ تَتْرُكَهُ، وبنى قبرَه قبل أَنْ يدْخُلَهُ، وَأَرْضَى خالقَه قبلَ أَنْ يَلْقَاهُ».

وَقَالَ حبيب العَابد: «النفسُ خاطِبَة، وَعَرُوسُهَا الدنيا، وَدَلاَّلتها الهَوى، وَمَاشطَتُها الشيطانُ، وَحِجالها[٢] النيرانُ».

وَقَالَ الفضيل بن عياضٍ: «لاَ يُعْطَى أَحَدٌ مِنَ الدُّنْيَا، إلا وَيُقَالُ لَهُ هاكَ مثله مِنَ الحرص، ومثليه مِنَ الشغل، ومثليه منَ الهَمِّ! وَلاَ يُعْطَى أحدٌ شيئاً مِنَ الدُّنيا إلاَّ وَيَنْقُص مِنْ أجرِه مثله، فلا وَاللَّهِ لا تَأْخُذُ إلاَ مِنْ كَسْبِكَ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَقْلِلْ، وإِن شِئتَ فَأَكْثِر».

وَقَالَ ابن عُيَيْنَةَ: «إِذَا اجتمعَ قوم يذكُرُونَ الله تعَالَى اعتزل الشيطان والدنيا، فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترينَ هؤلاء مَا يصنعون، فَتَقُولُ الدنيا: دعهم فلو تفرقوا لأخذت بِأَعْنَاقِهِم».

وَقَالَ الحسنُ: «إنْ أردتَ أَنْ تنظُرَ إلى الدنيا بَعْدَك، فانظر إليها بَعْدَ موتِ غيركَ».

وَقَالَ رَجُلٌ للمعافى بن عمرانَ: «هَلْ كَانَ لفتحِ الموصلي علم، قَالَ: كفاك بعلمه ترك الدنيا».

---

(١) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي أبو عتبة الحمصي عالم الشام وأحد مشايخ الإسلام، يروي عن شرحبيل بن مسلم وبحير بن سعد وغيرهما، ويروي عنه الثوري والأعمش وهما شيخاه وغيرهما، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة. (خلاصة تذهيب الكمال ٣٠).

(٢) جمع حَجَلَة: وهي موضع يزين بالثياب والستور للعروس (مادة ح ج ل).

وَكَانَ حَمَّاد يقولُ في دعائه: يا حَابِسَ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاَّ بِإِذْنِهِ احبس الدنيا عني.

وعَنْ المسور بن مخرمَةَ قَالَ: قَالَ النبي ﷺ: «مَا الفَقْرَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ولكني أخاف أن تُبسط عليكم الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ على مَنْ كَانَ قبلكم، فتَنَافَسُوا فِيهَا كَمَا تَنَافَسُوا وتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلكتهم»(١).

وَقَالَ العلاء بن زِيَادٍ: رَأَيْتُ الدنيا فِي مَنَامِي عليهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ فقلتُ: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: الدنيا، قُلْتُ: أَعُوذُ بَاللَّهِ مِنْ شَرِّكِ قالت إن سَرَّكَ أَنْ يعيذكَ الله تَعَالَى مِنِّي فأبغض الدرهم.

وَقَالَ النبي ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ همه، فَلَيْسَ مِنَ اللَّه تَعَالَى بشيء، والزم الله تعالى قلبه أربع خِصَالٍ: هَمّاً لا ينقطعُ أَبَداً، وَشغلاً لاَ يتفرغ عنْهُ أَبَداً، وفَقراً لا يبلغ منتهاهُ أبداً»(٢).

وَقَالَ الحسنُ البصري: المؤمن كَيِّسٌ فطنٌ، هَدَمَ دُنْيَاهُ فبنَى بها آخِرَتَهُ، وَلَمْ يَهْدِم آخِرَتَهُ فيبني بها دُنْيَاهُ.

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام: «يَا مَعْشَرَ الحوَاريِّين، ارضُوا بالدُّون مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الدين، كَمَا رَضِيَ أَهْلُ الدُّنْيَا بالدون مِنَ الدين معَ الدُّنْيَا».

وَقَالَ مَيْمُونَ بن مهرَانَ لجعفَر بن برقَان: وَيْحَكَ يَا جعفَر إن أبناء الدُّنْيَا بَاعُوا الأدْيَانَ مِنَ الدُّنْيَا بالقهوية والطيالسَة، فَصَارَتْ خزانتهم بطونُهُمْ وَظهورُهم، فَقَدِمُوا علَى الله عزّ وجلّ مفالِيس.

وَقَالَ لقمان لابنه: يَا بُنَيّ، بعْ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ فتربحهما جميعاً، وَلاَ تبع آخرَتَكَ بِدُنْيَاكَ فتخسرُهُمَا جَمِيعاً.

---

(١) قال الحافظ العراقي: في الصحيحين من حديث أبي سعيد: إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها. ولهما من حديث عمرو بن عوف البدري: والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا) الحديث (تخريج أحاديث الإحياء ج/ ٢٩١٩).

(٢) هما حديثان **أولهما**: (من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء) رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر والحاكم من حديث حذيفة. والحديث **الثاني**: (من أصبح والدنيا أكبر همه ألزم الله قلبه أربع خصال؛ هَمّاً لا ينقطع منه أبداً، وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً، وفقراً لا يبلغ غناه أبداً، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً) رواه الديلمي في الفردوس من حديث ابن عمر. قال العراقي: وإسناده ضعيف. والمصنف خلط الحديثين فجعلهما حديثاً واحداً. (تخريج أحاديث الإحياء ٢٩٤٧ ـ ٢٩٤٨).

وَعَنْ أَمِيرِ المؤمنِينَ علي بن أبي طالب عليه السلام قالَ: لا يَدَعُ الناسُ شيئاً مِنْ أمرِ دِينهم لاسْتصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إلاَّ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عليهم مَا هو أضَرُّ لَهُمْ.

وَقَالَ ذُو النون المصري: المؤمن يُخدَعُ عَنْ دُنْيَاهُ وَلاَ يُخْدَعُ عَنْ دِينِهِ. والمُنَافِقُ يُخْدَعُ عَنْ دينِهِ وَلاَ يُخْدَعُ عَنْ دُنْيَاهُ.

وَقِيلَ: إن أكبرَ الآفَاتِ حُبُّ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ إِنْ أَحْبَبْتَهَا أبغضتك، وَإِنْ أعززتها أَذَلَّتْكَ، وَإِنْ أكْرَمْتَهَا أَهَانَتْكَ، وَإِنْ خدمتها أتعبَتْكَ وَإِنْ أَقْبَلْتَ عَلَيْهَا أَدْبَرَتْ عَنْكَ، حبها رَأْسُ الخَطَايَا وَامُّ المَعَاصِي، وَالزهدُ فِيها أصل الخيرات وَقطبُ الطَّاعاتِ، وَإِلَى اللَّهِ تعالَى الرغبَةُ فِي إكرَامِنَا بالزُّهْدِ فِيهَا إنه مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ.

وَمَرَّ رَجُلٌ بِعَامِرِ بن عَبَدِ قيسٍ وهُوَ يَأْكُلُ ملحاً وبَقْلاً، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أرَضِيتَ مِنَ الدُّنْيَا بِهَذَا، فَقَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ على مَنْ رَضِيَ بِأَيْسَرَ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: مَنْ رَضِيَ بالدُّنْيَا عوضاً عَنِ الآخِرَةِ.

وَقَالَ أَبُو الدرْدَاءِ: لأَنَا أعرفُ بالناسِ مِنَ البيطَار بالحمَارِ، أمَا خيارهم فالزاهدون فِيهَا، وَأَمَّا شِرَارهم فمن أخذَ مِنَ الدُّنْيَا فوقَ مَا يَكْفِيهِ.

وَعَنْ يحيى بن معاذٍ قال: الدنيا بلغ مِنْ شؤمها أَن تمنيك لما يلهيك عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَيْفَ الوقوع فيها.

وَعَنْ بكرِ بن عبد الله قَالَ: مَنْ أَرَادَ أن يستغني عن الدُّنْيا بالدُّنْيَا كَانَ كمطفيء النار بالتبن وبالحلفَاء[1].

وَقَالَ إِبْرَاهِيم التيميُّ: كَمْ بينكم وَبَيْنَ القوم؟ أقبلت عليهم ففروا منها، وأدبرت عنكم فاتبعتموها!!.

وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: «يَا طَالِبَ الدُّنْيَا ليبر بها تركُكَ لَهَا أبرّ».

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مثل طالب الدنيا كمثل الماشي علَىٰ الماءِ، هَلْ يَستَطيعُ الماشي على الماءِ أنْ لا تبتل قدَمَاهُ»[2]؟

وَقَالَ الفضيل: وَاللَّهِ لو كانت الآخرة من خزفٍ يبقى، والدنيا من ذهب يفنى، لكان

---

(١) الحلفاء: نوع من النبات سريع الاشتعال.

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: هل من أحد يمشي على الماء إلاّ ابتلت قدماه؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب. رواه البيهقي في كتاب الزهد (الترغيب والترهيب ٤/١٧٨).

حقيقاً بالمرء أن يرغب في الخزف الباقي، ويزهد في الذهب الفاني، فكيف والدنيا مِنْ خَزفٍ فَانٍ، وَالآخِرَةُ مِنْ ذَهَبٍ باقٍ!

وَمِنْ أوصَاف الدُّنْيَا

الدُّنْيَا قَتَّالةٌ، الدُّنيا غَدَّارَة، الدُّنيَا فَتَّانَة، الدنيا خوانة، الدُّنيا جنَّة الكافر(١)، الدُّنيَا سجن المؤمن، الدُّنيَا مشحونة بالأسفِ، الدُّنيَا مشتملةٌ بالندَامَاتِ، الدُّنيَا مَمْلُوءة بالشَّهَوَاتِ المرديات، الدُّنيَا دَار الحسرات، الدُّنيَا معدن المصيبات، الدُّنيَا معالم المحن والآفاتِ، الدُّنيَا كالعروس المجلوة، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها وَالِهَة، وَالنفُوسُ لَهَا عَاشِقَة، والألْبَابُ لها وامِقَة وَهِيَ لأزواجها قاتلة.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى في الحديث القدسي: «لو أَنَّ الدُّنيَا بأجمعها كَانَتْ لكَ، لم يكن لَكَ منها إلا القُوتُ، فَإِذَا أعطيتُك القوتَ منها وَجَعلْتُ حسَابها على غيرك، فأنا المحسنُ إليك».

وَسُئِلَ بندار بن الحسين: مَا الدُّنيَا؟ قَالَ: مَا دَنَا مِنَ القَلْبِ، وَشَغَلَ عن الحق.

وَقَالَ: إذَا رَأَيْتَ أَبْنَاءَ الدُّنيَا يتكلّمونَ في الزهدِ، فاعلم أنهم في سخرة الشيطان.

وَسُئِلَ أَبُو عبدِ اللَّهِ بن خُنَيف عن إِقْبَال الحقّ على العبد، فَقَالَ: «علامتُه إدْبَارُ الدُّنيَا عَنِ العَبْدِ».

وَعَنْ بِنْدَارِ بن الحسين قَالَ: «مَنْ أقبلَ على الدنيا أحرقتْهُ نيرانُهَا - يعني الحرصَ - حتّى يَصيرَ رَمَاداً، ومَنْ أقبلَ عَلى الآخِرَة صفَّته نيرانها، فصار سبيكة ذَهَبٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَمَنْ أَقْبَلَ على الله عزّ وجلّ أحرقته نِيران التوحيد فَصَارَ جوهراً لاَ حدّ لقيمته.

وأنشدت:

أرىٰ الدُّنيَا لِمَنْ هي في يَديْهِ عَذَاباً كلما كثرت لديْهِ
تهين المُكْرِمين لَهَا بِصُغْرٍ وَتُكْرِمُ كل مَنْ هَانَتْ عليهِ
إِذَا استَغْنَيْتَ عَنْ شيءٍ فدعه وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إليهِ

وَقَدِ اخْتَلَفُوا في معنى الدُّنيَا، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ اسمٌ يشتملُ على الذهب والفِضَّة واللِّباس والعَقَار.

---

(١) في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) وكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وغيرهم. (تخريج أحاديث الإحياء ح/١٩٣٦).

وَقَالَ قومٌ: معنى الدُّنْيَا الهوَى. وَقَالَ قومٌ: معناه: حُبُّ الثناء والمحمدة. وَقَالَ قومٌ: الدُّنْيَا اسمٌ لكل مَا أظلَّتْهُ الخضراء وأقلّته الغبراء إلا مَا كَانَ للّهِ عزّ وجلّ مِنْ ذَلِكَ. وَضِدّ الدُّنْيَا الآخرة وَهِيَ اسمٌ لِكُلِّ مَا أريد به اللّه عزّ وجلّ.

وسُئِلَ يَحْيَى بن مُعَاذٍ الرَّازِي عن الدُّنْيَا فَقَالَ: «قَدْ رُويَ عَنِ النبيّ ﷺ، قَالَ: «الدُّنْيَا ملْعَونَة، مَلْعُون ما فيها، إلاَّ مَا كَانَ لِلّهِ عزّ وجلّ منها»[١]. ثُمَّ قَالَ يحيى: «مَا يحب الملعون إلاَّ مَنْ هُوَ أَلْعَنُ منهُ».

وأنشدت:

دَعِ الدُّنْيَا لِنَاكِحِهَا سَيُصْبِحُ مِنْ ذَبَائِحِهَا
أَرَى الدُّنْيَا وَإِن صَلُحَتْ تَدُلُّ عَلَى فَضَائِحِهَا
مُصَدِّقَةٌ لِعَائِبِهَا مُكَذِّبَةٌ لِمَادِحِهَا

وَعَنْ الطّنَافسِي قَالَ: كنتُ عَلَى بَابِ بني شيبة في المسجدِ سبعة أيّام طَاوِياً، فسمعتُ الليلة الثامِنَةَ مُنَادِياً وَأَنَا بَيْنَ اليَقَظَةِ وَالنَّوْمِ ألا مَنْ أخذ من الدُّنْيَا أكثر مَا يحتاجُ إليه أعمىٰ الله تعالى بَصَر قلبهِ.

وَحُكِيَ عن الشبلي أنه قالَ: الدُّنْيَا مذرة[٢] ويُصِيبُكَ منها غبرة. وَعَنْ علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أَمَّا الدُّنْيَا فستة أشياء مطعوم، ومشروبٌ، ومَلبوسٌ، ومَركوبٌ، وُمَنْكُوحٌ، ومَشمومٌ، فأشرف المطعومات: العسل، وَهُوَ مذقة ذباب. وأشرف المشروبات: الماء يستوي فيه البرّ والفاجر، وَهُوَ أعزّ مفقودٍ وَأَهْوَنُ موجودٍ، وأَشْرَفُ الملبوسات: الحرير وَهُوَ نسجُ دود. وأشرف المركوبات الفرس وعليه تقتل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال، تزين المرأة أحسن شيء فيها لأقبح شيء فيها، وأَشْرَفُ المشمومات: المسكُ وهُوَ مِنْ دَمِ غزالة.

وأَنشدت:

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هَوَاهَا تمزّقه وتعشق مَن جفَاهَا وتوهمه
بَأَنَّ المُلْكَ فِيهَا وَتَاجُ المُلْكِ فِي دَارِ سِوَاهَا

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه الترمذي، وحسنه، وابن ماجة من حديث أبي هريرة وزاد: إلاّ ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم. اهـ (تخريج أحاديث الإحياء الحديث رقم ٢٩٣٧).

(٢) المذِرَة: القذرة (مادة م ذ ر).

باب فِي ذِكْرِ بعض مَا يُنشد مِنْ أَشْعَارِهِم

أخبرنا أبُو سَعْدٍ، حَدّثَنَا أبو سَهْل مُحَمَّد بن سليمان الحَنَفِي، حَدّثَنَا أبُو بكرٍ محمد بن إسحاق الإِمَامُ، حدّثنا عَلي بن حجر، حَدّثنا شَريك، عَنْ عَبْدِ الملكِ بن عُمَيْرٍ، عَنْ أبي سلمةَ بن عبد الرحمْن، عن أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أشعر كلمةٍ تكلمت بها العَرَبُ كلمة لَبِيْدٍ: ألا كل شيء مَا خَلاَ اللَّهَ باطلُ»(١).

حَدّثنا أبو الحسن علي بن عبد الله البَجلِي بمكةَ حَرَسَهَا اللَّه، أَنْشَدَنِي أَبُو الحَسَنِ علي بن محمّدٍ، للجنيد بنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَجْدي عليك على أني أمجمجها ... وجْدُ السقيم بِبَرٍّ بغدادَ نافِ
أو وَجْدُ ثكلى إذا ما غاب واحدُها ... أو وَجْدُ مختلس من بين آلاف

قَالَ أبُو سَعْدٍ: سمعتُ أبا الفضل أحمد بن عِمْرَان المجاور بمَكَّة يقول: سمعتُ أحمد بن مُقَاتِل يقولُ: سمعتُ الجنيْدَ يَقُولُ: دَفَعَ إلى سَرِيٍّ رُقعة فَقَالَ: احفَظْ مَا فِي هذِهِ الرقعة فَإِذَا فِيهَا:

وإِذَا مَا شَكَوْتُ الحُبّ، قَالَتْ: كذَبتني، ... فَمَالي أَرَى الأَعضاءَ منك كَوَاسِيَا؟
فَمَا الحبُّ حتّى تَلْصِقَ الجلد بالحَشَا ... وتَخْرُسَ حتّى لا تجيبَ المُنَادِيَا
وتنحلَ حتى لاَ يُبْقِّي لكَ الهوَى ... سوى مُقْلةٍ تبكي بِهَا وَتُنَاجيا

وَأَنْشَدُونَا:

قَد بَانَ بَيْني بِبَيني ... فنِيتُ عن بينِ بيني
فتهتُ في كلّ قفرٍ ... وجداً بقُرَّةِ عيني

وَقَالَ آخر:

أَهَابُك أَنْ أقولَ فنيتُ وجداً ... عليك وقد فنيت عليك وجداً
ولو أن الرقاد جرى بعيني ... جلدت جفونها بالدمع جلدا

أنشدني بعضهم قال: أنشدني عطاء لنفسه:

اختارَ قوماً للنعيم ليهْنَؤوا ... واختار قوماً للعذابِ السرمَدِ
وَأَفَادَ قوماً مِنْ طرائف علمهِ ... فَسَعَوا إليهِ مِنَ الطريقِ الأَبْعَدِ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم والترمذي بسندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه (الجامع الصغير ١/ ١٣٨ الحديث رقم ١٠٦٧).

ولبعضهم:

مَلَكْتُ نفسي وكنت عبداً ... فصرتُ حُراً وَطَابَ عَيْشِي
ثُم لزِمْتُ الخُمولَ حتى ... سكنت حرصِي بِهِ وَطَيْشِي
وَصِرْتُ أرْضى بقسم رَبِي ... إنْ لَمْ أكن رَاضِياً فَأيْشي؟؟

آخر:

تَرى المحبين صَرْعى فِي دِيَارِهِمُ ... كفتية الكهف لاَ يَدرُونَ كَمْ لَبِثُوا
واللَّهِ لَوْ حَلَفَ الأحبابُ أَنَّهُمُ سَكـ ... ـرى مِنَ البين يَومَ البين ما حنثُوا

آخر:

أخذتُ ثلث الهَوى غَضْباً وَلِي ثُلُثٌ ... وللمحبين فيما بينَنَا ثلثُ

آخر:

إذَا أنت لم تزرع وَأبصرتَ حَاصِداً ... ندمت على التفريط فِي زَمَنِ البذرِ

أنشد الشِبْلِيُ:

جَورُ الهوى أحسنُ من عَذْلِهِ ... ويُخلُهُ أظرَفُ مِنْ بذلِهِ
لَوْ أنصف الحُبُ لأهْلِ الهوى ... لَمَاتَ كُل الناسِ مَنْ عذلِهِ

قَالَ أبو سعدٍ عبد الملك بنُ أبي عثمانَ، أنشدني أبو عبد الله الصُوفِي للشيخ الأوحد أبي الحسين النُوري:

ذَكَرْتُ وَلَمْ أذكُر حقيقة ذكرهِ ... وَلَكِنْ بَوَادِي الحق تبدي فأنطِقُ
إذا مَا بَدَا ذِكْرُ لذِكْرِ ذكَرْتُهُ ... يَغيِّبني عَنْ ذكرِ ذكري فأغرَقُ
وَأغرق بالذكر الذي قد ذكرتُهُ ... عَنِ الذكر بالذكر الذِي هُوَ أسْبَق

وأنشدني أبُو عَبْدِ اللّهِ الصُوْفِي قَالَ: أنشدنا محمد بن عَطِيَةَ لابن عَطَاءٍ:

ومستحسنٌ للهجرِ وَالوَصْلُ أعْذَبُ ... أطالِبُهُ وُدِي فَيَأبى وَيَهرُبُ
إذا جُدْتُ مني بالهوى أظهر الجفَا ... وَيُظْهِرُ أني مُذْنِبٌ وَهُوَ مذنبُ
وَلِي ألفُ وَجهٍ قد عرفت طريقَه ... وَلَكِنَّ لِيْ قلبٌ إلى أين أذهَبُ؟

آخر:

طَافَ الهَوى بين خلق اللَّهِ كلهم ... حتى إذا مَرّ بِي مِنْ بينهِمْ وَقَفَا

أنشدت:

فَوَجْدِي بِهِ وَجْدٌ لِوَجدِ وُجُودِهِ ... وَوَجْدُ وُجُودِ الْوَاجِدِينَ لَهِيبُ

فإن متُ حقاً فِي محبةِ سيدي ... فإنَّ المَنَايَا فِي الوِدَادِ تَطِيبُ

آخر:

وَلَقَدْ صَبَرْتُ عَلى المكروهِ أسمَعُهُ ... لَوْلاَ إشَارَةُ سَخطي فيكَ مَا نطقُوا

وَكَيف داريتُ قوماً لا دَرَاء لَهُمْ ... لَولاَكَ مَا كُنتُ أدْرِي أنَّهم خُلقُوا

آخر:

كَانَ فؤادِي تائه فِي مفازةِ ... بلا مُرْشِدٍ قَدْ ضَلَّ عَني دَليلُهُ

كَأنَّ لغات الناس، كُل يقولُ لِي: ... سقامُك سقم لا يفيق عليلُهُ

آخر:

تغَرَبَ أمري فانفردتُ بغربتي ... فَصِرْتُ فَرِيْداً فِي البريَةِ أوحَدَا

تَسَرْمَدَ وَقتي فيك فهُو مُسَرْمَدٌ ... فَأفنيتني عني فعدتُ مجردَا

فَكُلي بكل الكُل كَلاً بِكِلِهِ ... حقائق وَدٍ فِي دَوامٍ مُخَلَّدَا

وأنشد للجنيد بن محمد رحمه اللَّهُ:

وَنعتُ الحقيقة حَقٌّ فَحقُ ... معنى العبَارَةِ فيهَا تَدِقُ

يُبيدَ الصفات ويمحو الطِبَا ... عَ بموتِ الحواس فهذا أدَقُ

لسمنون المحب:

كَانَ لي قَلبٌ أعيش به ... ضَاعَ مني في تَقلبِهِ

رَبِّ فارْدُدْهُ عَلَيَّ فقد ... عِيلَ صَبْري في تطلُّبِهِ

وَأغِثْ مَا دَامَ بي رَمَقٌ ... يا غِياث المستغيث بِهِ

وأنشد أبو علي الروذباري:

رُوَيدَكَ أن الحب تطمى مناهلُهْ ... وَأي محب لم تهجه عَوَاذِلُهْ

وَكل قتيل بالصَبَابَةِ مُدْنَفٌ ... مَشُوْقٌ إلى محبوبِهِ وَهُوَ قَاتِلُهْ

وأنشد لأبي الحسين النوري:

أشَارَ قلبِي إليكَ كَيمَا ... يرى الذِي لاَ تَرَاهُ عيني

وَأنتَ تلقي على ضميري ... حلاوة السُؤلِ وَالتَمَني

يُرِيدُ مني اختيار سِرِي وَقَدْ علمتَ المرادَ مني
فَلَيْسَ لِي سِوَاكَ حَظ فَكيف مَا شئت فَاختَبِرْني

وأنشد أيضاً:

شَرِبْتُ الحُبَّ كَأساً بعد كأسٍ فما نفدَ الشرابُ وَلاَ رَويتُ
أموتُ إذا ذكرتُك ثم.أحْيَا وَلَولاَ مَا أُؤَمّل مَا حييتُ
فَأحْيَا بِالمنى وَأموتُ شوقاً فكم أحيا عليك وَكَمْ أموتُ

وأنشدتْ:

لاَ تَعْجَلُوا بِمَلامتي قَامَتْ عَلَيَّ قِيَامَتِي

وأنشد الشبلي:

بَاحَ مجنونُ عَامرٍ بِهَوَاهُ وَكتمتُ الهوى فلم أبْدِ وَجدي
فإذَا كَانَ فِي القِيَامَةِ نُودِي: مَنْ أسير الهوى؟ تقدمتُ وَحدي

رؤي الشبلي يوم عيد يرقص وَيقول:

عيدي مقيمٌ وَعَيدُ الناس منصرفٌ وَالقلبُ مني عَنْ اللذاتِ منحرفُ
وَلِي قَرِيْنَانِ، مَا لِي مِنْهُمَا خَلَفٌ: طُوْلَ الحَنينَ: وَعينٌ دَمْعُهَا يَكِفُ

وَقَالَ آخر:

أنظر إلى الناسِ بعين البَلاَ يقل فِي عينك أعلاهُمُ
فكلُهُمْ دنياهُ متروكة فلا تغُرَّنك دُنيَاهُمُ
لِلَّهِ إخوانٌ لنا قد مَضَوا لا شك يَهْوَونَا وَنَهْوَاهُمْ
ثم تولوا فَكَأنَ لَم يكن يوماً مِنَ الدهرِ عرفناهُمْ.

وَقَالَ آخر:

يَمنعني عَنْ عَيب غَيْرِي الذي أعرفهُ فِيَّ مِنَ العَيبِ
عيبى لَهُمْ بالظنِ مني لهُمْ وَلستُ مِنْ عيبي فِي رَيْب
إن يك عيبى غَابَ عنهم فقد أحصى عيوبي عَالم الغيبِ

لأبي الحسين النُوري:

ما محل القلوبِ أن تهواكَا لا وَلاَ قدر نَاظِري أن يراكَا
رَغبتي فِي رِضَاكَ لاَ فِي نعيمِ أي عيشٍ يطيب لِي معْ سِوَاكَا

إن فديناك بالنفوس ظلمناك ... وَلَكن تفدي محباً فداكا
مَا بُكَائي ذَهَابُ عيني لغيني ... بل بكائي مخافة ألاّ أرَاكَا

وَأنشد:

إن الأسىَ وَالأسَى فِي القلب معتكف ... وَالقلبُ منى بإياسي بِهِ كلِفُ
كيف أكتم أحوالي وأنكرها ... وَدَمع عيني إذا أنكرتُ يعترفُ
كتمت سِرَ الهوى كتمان ذِي جَلد ... فَنَمَّ بالسِّر مني السقمُ وَالدَنَفُ
قَدْ ذَابَ جسمي حتى لَوْ تَخطُ يدي ... فِي دَفترِ ألفاً لم تظهرِ الألِفُ
تخفَى على الحس والأوْهَام صورتُهُ ... فقد تحير في إتلافِهِ التلفُ

وأنشد رويم لنفسهِ:

شَغَلْتَ قلبي عَن الدُنيا وَلذتها ... فأنتَ وَالقلبُ مِنِي غيرُ مفترق
مَا تطابقتِ الأجفانُ عَن سِنَةٍ ... إلا وَجدتُكَ بينَ العينِ وَالحدَق

وقالت رابعة:

حبيبٌ لَيْسَ يعدلُهُ حبيبُ ... وَلاَ لِسِوَاهُ فِي قلبي نصيبُ
حبيبٌ غَابَ عَن طرفي وَجسمي ... وَعَنْ قلبي حبيبي لا يغيب

آخر:

الهَمُّ فضل وَالقضا غالبٌ ... وَكائن مَا خُطَ فِي اللوحِ
فالتمس الرُوحَ وأسبابه ... آيس مَا كنتَ مِن الرُوحِ

آخرُ:

قُلْ للزمَانِ الذِي تَبدُو عجَائبُهُ ... اللَّهُ مِنك وَمِنْ تَصرِيفك الكافِي
فَاجْهَرْ بجهدك فيما أنتَ فاعِلُهُ ... ففرجَةٌ منك بين النُون وَالكافِ

وأنشدونا:

رَأيتُ الهَوى حُلواً إذا اجتمع الوصْلُ ... وَمُراً على الهجْرَانِ لاَ بَلْ هُوَ القتْلُ
وَمَنْ لَمْ يذُقْ للهجرِ طَعْمَاً فإنَّهُ ... إذَا ذَاقَ طعم الوصْل لم يدر ما الوصْل

وَلِعَبْدِ اللَّهِ بن المبارك:

لاَ تخضعن لمخلوق على طمَعٍ ... فإن ذلك نقصٌ منك فِي الدينِ
وَاسترزِق اللَّهَ مِمَا فِي خزائنهِ ... فإن ذلك بين الكافِ وَالنُونِ

أمَـا تَـرَى كُـل مَـنْ تـرجـو وَتَـأمَـلَـهُ مِـنَ الـبـريـةِ مـسـكـيـن ابـن مِـسْـكـيـنِ

آخرُ:

إذا كـنـت قُـوْتَ الـنـفـس ثـم هـجـرتَـهَـا فَـكَـمْ تـلـبـثُ الـنـفـسُ الـتـي أنـت قُـوتَـهَـا

سـتـبـقـى بـقـاء الـضّـب فِـي الـمـاءِ أوكـمـا يـعـيـش بـبـيـداءِ الـمـفَـاوِز حـوتُـهَـا

آخر:

مَـا زَالَ وَسْـوَاسِـي لِـعـقـلـي غـالـبـاً حـتـى رَجَـا مـطـراً وَلَـيْـسَ سـحـاب

وأنشد مظفر القرمسيني:

أَفَـادَتـنـي الـقـنـاعَـةُ كُـل عَـز وَهَـلْ عِـزٌ أعَـزُ مِـنَ الـقـنـاعَـهْ

فَـصَـيِّـرْهَـا لـنـفـسـك رَأسَ مَـالٍ وَصَـيِّـرْ بـعـدهَـا الـتـقـوى بِـضَـاعَـهْ

لأبي سهل محمد بن سليمان:

سـخـوتُ عـن الـدنـيـا عـزيـزاً فَـنِـلْـتُـهـا وَجُـدتُ بـهـا لـمَّـا تـنـاهَـتْ بـآمَـالِـي

عـرفْـتُ مـصـيـر الـدهـر كـيـف زوالـهُ فـزايـلْـتُـه قـبـل الـزوالِ بِـأحْـوَالِ

وَقَالَ غيرهُ:

لـقـد عـجـبـت وَمَـا فِـي الـحـبُ مِـنْ عـجـبٍ فـيـهِ الـهـمُـومُ وَفـيـهِ الـوجـد والـكـلَـفُ

وأرى الـطـريـق قـريـبـاً حـيـن أسـلـكُـهُ إلـى الـحـبـيـب بـعـيـداً حـيـن أنـصـرفُ

ورُئي بعضهم بمنى وهو يبكي ويقول:

نـفـسـي عـلـيـك بـكـلـهـا قـد أجـمـعـت لـو أنّ فـيـك هـلاكـهـا مَـا أقـلـعَـتْ

وتـبـكـي عـلـيـك بـبـعـضـهـا عَـنْ بـعـضـهـا حـتـى يـقـال مـن الـبـكَـاءِ تـقـطَـعَـتْ

فـانـظُـر إلـيـهَـا نـظـرةً بـتـعـطـفٍ فَـلَـطَـالَـمَـا مـتـعـتـهـا فـتـمـتـعـتْ

قَالَ علي بن محمد: رَأيتُ إبراهيم الخواص يمشي في الشمس، فقلتُ لَهُ: تحول إليّ الظل فهو أرفق بك.

فأنشأ يقول:

لـقـدَ وضَـحَ الـطـريـقُ إلـيـك قَـصْـداً فـمـا خـلـق أرَادَك يـسـتـدل

فـإن وَرَدَ الـشـتـاء فـأنـت صَـيْـفٌ وإن وَرَدَ الـمَـصِـيْـفُ فـأنـت ظِـلُ

لابن عطاء:

تـنـفـس الـشَّـوْقُ فِـي قـلـبِـي فَـصَـعَّـدَهُ كَـمَـا تـنـفـسَ جَـزْيُ الـمـاءِ فِـي الـعُـودِ

الله يعلم إني في محبته لَمْ أبق شيئاً وقد أبلغت مَجْهُودِي

وَكَانَ مكتوباً على كتاب للشافعي رَحِمَهُ اللَّهِ عليهِ.

يَا نفس مَا هي إلا صبر أيا م كَأنَّ مُدتَها أضغَاثُ أحلام

يَا نفس جُوزِي عَنِ الدنيا مبَادِرةً وَخَلِّ عنها فإنَّ العَيْشَ قُدّامُ

لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

علمُ المحجة وَاضحٌ لمريدهِ وَأرى القلوبَ عَنِ المحبَةِ فِي عَمَا

ولقد عجبتُ لِهَالكٍ وَنجاتُهُ موجودَةٌ وَلقد عجبت لِمَنْ نَجَا

ولغيرهِ:

كتمتُ الهوَى فِي مطاوي الحشَا فلم تَدْرِ بالسِرّ متى الطلوع

لِسَانِي كَتومٌ لأسرارِكُمْ وَدَمعي عن السِرِّ مني مذيْعُ

فلولا دُمُوعي كتمت الهوى وَلَولاَ الهوى لَمْ تكن لي دُمُوعُ

وَقَالَ غيرهُ:

قَالَ لِي حين رُمتُه كُل ذَا قَدْ علمتُهُ

لَوْ بَكَا طولَ عمرهِ بدمٍ مَا رحمته فحبك حمى تعلهُ

فدمي لم تطله لك من قلبي الـ ـمنحل، فلِمْ لا تُحِلَّهُ

وَقَالَ بعضُ المشايخ:

للناسِ عيدانِ كُلّ عامِ وأنت لِي بالدوامِ عيدُ

لَوْ طَالَ مَا طَابَ يَومُ عيدٍ وَلاَ رَأى العيدُ مَا يُرِيْدُ

آخرَ:

محاسني اللاتي أدِلُّ بِهَا صَارَتْ ذُنُوْبِي فقل لِي كيفَ أعتذِر

وَقَالَ غيره:

للنَاسِ عيدٌ، وزَمَانُنَا مَا دُمْتَ عِيْدُ يَا مَنْ تملَّك مهجتي، اصنع بعبدكَ مَا تُرِيْدُ

لإبْرَاهِيْمَ الخَوّاصِ:

كَأنَّ فُؤَادِي تائِهٌ فِي مفَازَةٍ بلا مُسْعِدٍ قد ضل عنهُ دَليلُهُ

فصبري على قلبي حرامٌ لأنهُ بِي سِقَامٌ طويلٌ لا يطاقُ عَلِيْلُهُ

للشبلي:

النـاسُ بـالـعـيـد قـد سُرُوا وَقـد فـرحُـوا ... وَمَـا سُـرُوْرِي بـه وَالـواجِـد الـصـمـدِ
لـمَّـا تـيـقَّـنـتُ أنـي لاَ أعَـايـنـكـمْ ... غـمـضـتُ طـرفـي وَلَـمْ أنـظـرْ إلـى أحـدِ

آخر:

لَـوْ أنَّ الـلـيـالـي عُـذِّبـتْ بـفـراقِـنَـا ... محى دَمْعُ عيـن اللَّيـل نُورَ الـكـواكـب
وَلـو جـرِّع الأيـامَ كَـأسُ فِـرَاقِـنَـا ... لأصـبـحـت الأيـامُ شُـهُـبَ الـذَوَائـبِ

آخر:

أَظَـلَّـتْ عـلـيـنَـا مـنـك يَـومـاً غَـمَـامَـة ... أضـاءت لـنـا بـرقـاً وَأبـطَـا رَشَـاشُـهَـا
فـلا غـيـمُـهَـا يـجـلـو فـيـيـأسُ طـامـعٌ ... وَلا غـيـثـهـا يـأتـي فـيَـروي عَـطَـاشُـهَـا

آخر:

إذَا جـعـلـتُ الـقُـنُـوعَ شـانـي ... أَتَـى مِـنَ الـرزق مَـا كَـفَـانِـي
وَلِـيْ إلـى أنْ أمُـوتَ رزقٌ ... وَلَـو حـرصَ الـخـلـقُ مَـا عَـدَانِـي
فـاسـتـغـن بِـالـلَّـهِ عَـنْ فُـلانٍ ... وَعَـنْ فُـلاَنٍ وَعَـنْ فُـلاَنِ

لإبْرَاهيم بن شكله:

إذا خُـنْـتُـمْ بـالـغـيـب عـهـدي فـمـا لَـكُـمْ ... تَـدِلُّـونَ إدلاَلَ الـمـقـيـم عـلـى الـعـهـدِ
صِـلُـوا وَافْـعَـلُـوْا فـعـل الـمُـدِلِّ بـوصـلِـهِ ... وَإلا فَـصُـدُّوا وَافـعـلـوا فـعـلَ ذِي الـصـدِّ

لأبي العباس بن عطا:

دَاوئـي مَـكْـرُوهِـيْ وَدَائـي مـحـبـتـي ... وقـد عـيـل صـبـري كـيـف بـي أتـقـلـبُ
فـلا كـبـدي تـهـدَىٰ وَلا لَـكَ رَحـمَـةٌ ... وَلاَ عَـنْـكَ إقـصـارٌ ولا لِـي مـذهَـبُ

ولهُ أيضاً:

جـعـلـتـك دُنـيـايَ فـإنْ أنـت لـم تَـجُـدْ ... عـلـيّ بِـوصـلٍ فـالـسـلام عـلـى الـدُنـيـا
كـتـمـتُـك مَـا ألـقـى لأنـك مـهـجـتـي ... أخـافُ عـلـيـهَـا أن تـذوبَ مِـنَ الـشـكـوى

ولغيرهِ:

وَقَـدْ كَـانَ قـلـبـي قـبـل حـبّـك فَـارِغـاً ... وَكَـانَ بـودِ الـغـيـر يـلـهـو وَيـمـزحُ
فـلـمـا دَعَـا قـلـبـي هـواك أجَـابَـهُ ... فـلـسـتُ أرَاهُ عَـنْ وَدَادِك يـبـرحُ
رُمـيـت بِـبَـيْـنٍ مـنـك إن كـنـتُ كَـاذِبـاً ... وإن كـنـتُ فِـي الـدُنْـيَـا بـغـيـرك أفـرحُ

وأنشد لأبي الحسين النوري:

لاَ كُنْتُ إن كنتُ أدري كيف الطريق إليكَا أفنيتني عَن جميعي فصرتُ أبكي عليكَا

أنشد يحيى بن معاذ:

حرك فؤادك بالتشويق أحيانًا وَأنتَ مِنْ بعده للحزنِ ميدانا

متى قطعت مِن الأحزانِ ميداناً رَأيتُ مِنْ بعده للحزن ميدانًا

أذوق كَأسَ جَزَازَاتٍ على غضض أذوقها أبداً مَا عشت ألوانا

نموتُ باللّهِ موتاً نستريحُ بِهِ نَمُوت باللّهِ موتاً كَانَ مَا كَانَا

الآن طابَ لِقاءُ الماجِدِ الآنا والقلبُ مِنْ حبه قَدْ صَار مَلآنَا

وَقَالَ أبو جعفرِ الحداد: صحبتُ أنَا وشاب آخر إبراهيم الخَراز فكان الشاب يسأل الشيخ عَنْ مسائل، وَكَانَ الشيخ يقولُ: يَا بني انحطَ قليلاً والشَابُ يَأبَى إلا ذَاكَ، ثم افترقنا فلما كَانَ فِي بعضِ السنين مَرّ الشيخُ فِي بعضَ سواحلِ الشَام، فإِذَا الشابُ قائمٌ فِي موضِعٍ مِنَ المواضِعِ شَاخِصَاً ببصرهِ إلى السماء، وَقد أُخِذَ منه حسُهُ لاَ يعقل مَا هُوَ فيهِ وإذا هو يقولُ:

يا مُوقد النارِ فِي قلبي وَفِي كبدي لو شئتَ أطفأتَ عَنْ قلبي بِكَ النارَا

لاَ عَارَ إنْ مُوتُّ مِنْ وَجدٍ وَمِنْ ألم على فعالك بِي لاَ عَارَ لاَ عَارَا

فأجَابه الشيخ وهو يقول:

إنَّ الذينَ بخَيرٍ كُنتَ تَذْكُرُهُمْ هُمْ أَتلفوكَ وَعَنهُمْ كنتُ أنهاكا

لا تطلبن حَيَاةً عند غيرهمِ فليس يحييك إلاّ من توفاكا

وَعَنْ أبي الحسين النوري

سَرَائرُ سِري أن تُسَرَّ بما أو ليتني من سُرُورِ أسمِّيهِ

فصَاحَ بالسِّر سرٌ منكَ يرقبُه كيف السُرُور بسرٍ دُوْنَ مبديهِ

فَظل يلحَظني حظي لألحَظَهُ والحق يلحظني أن لا أراعيهِ

فأقبل السِرُ يفني الكُل عَنْ صفتِي وَأقبل الحقُ يفنيني وأفنيهِ

وَقَالَ آخر:

إذا أبقت الدنيا على المرء دِينَهُ فما فاته منها فليسَ بضَائرِ

فَمَا رَضِيَ الدنيا ثواباً لمؤمن وَلاَ رَضِي الأخرى جَزَاء لكافرِ

وَقَالَ آخر:

اسـتـغـن بـالـيـاسِ عـن الـنـاسِ فـالـعـز كـل الـعـز فِـي الـيـاس
لاَ أعـرفُ الـذُّلَ وأسـبـابـه إلا إذا احـتـجـت إلـى الـنـاسِ
أكَـرِّمُ نـفـسـي بـالـغـنَـى عَـنـهـمُ فـلا أرى بـي ثَـمَّ مـن بـاسِ

وقَالَ آخر:

الـيـأسُ أدبـنـي ورفَـعَ هِـمّـتِـي وَالـيـأسُ خـيـر مـؤدبٍ لـلـنـاسِ
وَلَـقَـدْ رَأيـت مـواضـع الـطـمـع الـذي يـضـع الـشـريـف مَـواضـع الأدنَـاسِ

وَقَال آخر:

أعـارك مَـا لَـهُ لـتـقـوم فِـيـهِ بـواجِـبِـهِ وَتـعـرف فـضـل حـقـهِ
فَـلَـمْ تـشـكـر لـنـعـمـتـهِ وَلَـكِـنْ قـويـت عـلـى مَـعَـاصِـيـهِ بـرِزقِـهِ
تـنـادِيـهِ بِـهَـا عـوداً وَبَـدْءاً وتـسـتـخـفـي بـهـا مـن شـر خـلـقـهِ

للخليل بن أحمد:

لَـطـيُّ يـومـيـنِ وَلـيـلـتـيـنِ وَلـبـسُ طِـمْـريـنِ بـالـيـيْـنِ
أيْـسَـرُ مِـنْ مِـنَّـةٍ لـقَـومٍ أغـضُّ مـنـهـم جـفُـون عَـيـنِـي
إنـي وَإن كـنـتُ ذا عـيـالٍ لـقـلـيـلُ مَـال كـثـيـرُ ديـنـي
لـمـسـتـعـف بـرزِق رَبِـي حَـوَائِـجِـي بـيـنَـهُ وبـيـنـي

وَأنشدَ:

أقـولُ حـقـاً لَـقَـدْ كـلـفـتـنـي شَـطـطَـا حـمـلـي نـواك وَصـبـري عـنـك تـعـجـيـبُ
جـمـعـت شـيـئـين فِـي قـلـبـي ذوي خـطـر نَـوعـيـن ضَـديـنِ تـبـريـد وتـلـهـيـب
نَـارٌ تـلـقـلـقـنـي والـشـوقُ يـضـرمـهـا فـكـيـف يـجـتـمـعـا رَوح وَتَـعـذيـبُ
لاَ كـنـتُ إن كـنـتُ أدرِي كـيـف يُـسـلـمـنـي ضِـري إلـيـك وصـبـري صـبـر أيُـوب

وَقَالَ آخر:

كَـم كـرةٍ مَـرّتْ بـك الـتـجَـارِبُ خَـار لَـكَ الله وَأنـتَ جَـارُه

وَقَالَ آخرُ:

لِـي نـفـسٌ يَـسُـرُهَـا كـل شـيءٍ يـضـرهَـا هـي تـبـلـى مـع الـزمـانِ وَيَـزْدَادُ شَـرُهَـا

لأبي بكر الوراقِ:

رَاقب اللَّهَ فِي الأمورِ جميعاً ... إنما الضُرُ قد يزولُ سَرِيْعا
إن بعد الظلام ضَوءَ نَهَارٍ ... إنّ بعد الشتاءِ تلقَى ربيعا
فَإِذَا مَا وضعتَ نفسك في العزْ ... زِفي الذُلّ صرتَ فيهِ رفيعا
لا تؤمل سِوى الإلهِ فإنْ ترجُ ... سُؤلهُ تَصِرْ مهيناً صَرِيعَا
فَإِذَا مَا دَعوتَ ربكَ للضُرِ ... تَعَالى فقد دَعَوتَ سميعا
إنّ في الصبر والعفافِ من الآفَـ ... ـات والغفلات حصناً منيعا
وَإِذَا مَا غَنِيتَ بِاللَّه فرداً ... نلت ما رُمت مِنْ مناك جميعا
لاَ تكونَنّ للمهم والسِر ... إلى الخلق مفشياً ومذيعَا
ليسَ يشفيك غيرُ من صوَّرَ ... الجسم ورباك ناشئاً ورضيعا

وَقَالَ آخر:

فلاَ تعجلْ على أحدٍ بظلم ... فإن الظلم مرتعُه وَخيمُ
وَلاَ تفحش وإنْ مُلِّيت غَيظاً ... على أحدٍ فإن الفحش لُوْمُ
وَلاَ تقطَعُ أخاً لك عند ذنب ... فإنْ الذنب يغفره الكريم
وَلَكِنْ دَاوِ عَوْرَتَهُ كَمَا قد ... يَرْفَعُ الخَلِق القَدِيْمُ
وَلاَ تَجزع لِرَيبِ الدَهْرِ وَاصْبِرْ ... فإنَّ الصَبْرَ فِي العقبي سليمُ
فما جَزَعٌ بمغنٍ عنك شيئاً ... وَلاَ مَا فَاتَ ترجعةُ الهُمُومُ

للشبلي:

شَقَقْتُ جيبي عليك شقَا ... وَمَا لجيبي أرَدْتُ شقَّا
أَرَدْتُ قلبِي فَصَادَفَتْهُ ... يَدَاي بالجيب قد تَوَقَّا
لَوْ كَانَ قلبي مَكَانَ جيبي ... لكَانَ للشقِ مستحقَا

وأيضاً:

كلما قلتُ قد دَنَا حلُّ قيدي ... قدَّمُونِي وَأوثَقُوا المسمَارَا

وَقَال آخَر:

أتتركني وَقَدْ آليتَ خلقاً ... فإنك لاَ تضيع مَنْ خلقتا
وإنك ضَامِنٌ للرزقِ حتى ... تُوفِي كل عبدِ مَا ضمنتَا
وَإني وَاثِقٌ بِكَ يَا إلَهي ... ولَكِنَ القلوبَ كَمَا علمتَا

ولسمنون المحب:

عَزَمْتُ على أن لاَ أهم بخاطرٍ ... على القلبِ إلاّ كنتَ أنتَ المقُدَمَا
وأنْ لا ترانِي عندمَا قد كرهتَهُ ... لأنك فِي قلبي كبيراً معَظَمَا
وَكَمْ رُمتُ أمراً خِرتَ لِي في انصرافِهِ ... فما زلتَ بي مني أبر وأرحَمَا

ولغيرِهِ:

استغن مَا أغناك رَبك وَحْدَهُ ... وَإِذَا تصبك خَصَاصَة فتجمَلِ
وَإِذَا افتقرتَ فلا تكن متجشعاً ... ترجو الفواضِلَ عند غير المفضِلِ

وَقَال غيره:

هبني وَجَدْتك بالعلوم وَدَرسهَا ... مَنْ ذَا يجدك بلا وُجودِ يَظهر
أيقظتني بالعلم ثم تركتني ... حَيْرَانَ فيك مُلَذَذاً لاَ أبْصِرُ

وَقَالَ آخر:

ترى الحريصَ كثير الهمِّ ذَا تَعَبٍ ... فكلما ازدَادَ حرصاً زَاده تعبَا
وَالقاعد الراضِي برازقه ... في رَاحةٍ لا يقاسي الهم والنصَبا
كلاهما رزقه المطلوبُ يطلبُهُ ... حتى يَصِيرَ إليهِ أين مَا ذَهَبَا

وَقَالَ آخر:

سبيلك فِي الدُنيا سبيل مُسَافِرٍ ... وَلاَ بُدَّ مِنْ زَادٍ لكل مُسَافرِ
وَلاَ بُدَ للإنْسَانِ من حَمْلِ عدةٍ ... وَلا سيما إن خفت صولة قاهرِ

ولعلي بن الحسين عليهِ السلام:

فإن تكنِ الدنيا تعد نفيسة ... فَقَدْرُ ثواب اللَّهِ أعلى وَأنْبَلُ
وَإنْ كَانَت الأبدَانُ للموتِ أنشئت ... فقتل امرء بالسيفِ في اللَّهِ أفضَلُ

وَقَالَ آخر:

لاَ تلمني على بكائي ... فإني قد عرفتُ دَائي

وَقَالَ علي بن أبي طالب عليه السلام:

الفضل مِنْ كَرَمِ الطبيعةْ ... وَالمن مفسدة الصنيعه
والخير أبعد جانباً ... من قلة الحِيَلِ المنيعه
والشر أسْرَع جَزيةً ... مِنْ جرية الماءِ السريعه

تــرك الــتــعــاهــدُ لــلــصــديــ ـق يــكــون داعــيــة الــقــطــيــعــه

وَقَال آخر:

وَإذا هــمــمــت لــصــاحــبٍ لــك حــاجــةً يــومــاً فــقــد وَجَــبَ الــضــمــان الــلازمُ
إن الــمــواعــد كــالــدُيــون ضــمــانُــهــا فــاعــلــم بــأنــك لــلــضــمــيــن مَــلاَزِمُ

لأحمد بن نصر:

إنَّ الــقَــنــاعَــةَ والــعــفــا ف لــيــغــلــبــان عــن الــمــنــا
فــإذا صــبــرت عــن الــمــنــا فــاشــكــر فــقــد نــلــتَ الــغِــنــا

النوري رَحِمَةُ اللَّهِ عليهِ:

كــفــى حــزنــاً أنــي أنــاديــك دَائــبــاً كَــأنِــي بــعــيــد أو كــأنــك غَــائِــبُ
وَأسْــأل مــنــك الــفــضــلَ عــن غــيــرِ رَغــبــةٍ ولــم أر مــثــلــي زاهــد فــيــك رَاغَــبُ

وذكر أن الشبلي اجتاز داراً على بعضهم وهو يقول:

مَــالِــي وَمَــالــك قــد أطــلــتَ عــذَابــي ومــسَّــنِــى عــقــلــي فــقــلَّ صَــوابــي
ورمــيــتــنــي بــعــد الــوصــالِ بــفــرقــةٍ وَالــمــوت دُونَ تــفــرق الأحــبــاب

فقالَ لَهُ الشبلي: عَسَى أسأتَ العشرة عليهِ فلا تتعرض فإنك إن تعرضتَ ندمت وإن تلفت ندمت وهلكت.

وَقَالَ ذُو النُون: كنت فِي الطوافِ وَإذَا أنا بجاريةٍ سَوْدَاء متعلقة بأستار الكعبةِ وَهِيَ تقول:

هــربــت إلــيــك مِــنَ الــفــراقِ فــعــاجــلــنــي بــتــعــجــيــل الــتَــلاَقِ

لأبي سهل محمد بن سليمان:

صَبرَتَ على صَبْرِي وَلَمْ تَدْرِ مَا وَجْدِي وَمَــاذَا عــلــى الــجــلاد مِــنْ ألــم الــجــلْــدِ

وَقَال غيرهُ:

لــيــسَ الــظــريــف بــكــامــل فِــي ظــرفــه حــتــى يــكــون عَــنِ الــحَــرَام عــفــيــفــا
وإذَا تــورع عَــن مــحــارم ربــهِ فــهــنــاك تــدعــوهُ الأنــام ظــريــفــا

ولأمير المؤمنين علي بن أبِي طَالبٍ عليهِ السَّلاَمُ:

تَــعَــزَّ عــن الــمــخــلــوقِ بــالــخــالــق تــعــزّ عــن الــكــاذِبِ والــصَّــادق
واســتــرزقِ الــرحــمــن مــن فــضــلــه فــلــيــس غــيــر الله مــن رازق
مــن قــال إن الــنــاس يــغــنــونــه فــلــيــس بــالــرحــمــن بــالــواثــق

أو ظن أن الرزق في كفه زلت به النعلان من حالق

ويُحكَى عَنْ علي بن أبي طَالبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أنَهُ إذا اهْتَمّ أنْشَأ يَقُولُ:

لاَ تَتَّهِمْ رَبّك فِيْمَا قَضَى وَهَونِ الأمْرَ وَطِبْ نَفْسَا
لِكُل هَمٍ فرجٌ عَاجِلٌ يأتِي عليَّ الصُّبْحَ وَالْمَمْسَا

للشبلي:

قَد تخلَّلْتَ مسلك الرُّوحِ مني وبِذَا سُمِّيَ الخليل خَلِيْلاً
فإذَا مَا نطقتُ كنتَ كَلاَمِي وَإذَا مَا سكتُ كنتَ الغليلا
أنتَ هَمِي وفَكرتي وَحديثي وَرُقَادِي إذا أرَدتُ مَقِيْلا

لبهلول:

بليتُ بقلب مَا يَمَلُ مِنَ البَلاَ فصرت سقيماً لَمْ أَجِدْ لِي مَدَاوِيا
لعلك غضبانٌ وَقلبي غافلٌ سلام على الدارين إن كنتَ رَاضِيَا
تواريتُ عَن جَارِي وَرَبِي مُشَاهِدِي يراني، فلم استحيِ لَمَّا رَآنِيَا

وَعَنْ أبِي العبَّاس أحمد بن سَهْل:

إذَا شرَّقت أذكَارهم ثُمَّ غربت وهَبَّتْ رِيَاحُ العَارِفِينَ شَمَالاً
وَإنْ أقبلت ريح الجنوب ونسَّمت رياحُ الصَبَا، فالحَاضِرون رِجالا
وَإنْ عَصَفَتْ ريحُ الدَّبُورِ بِصَولِهَا أهَالَتْ عَلَى كُثْبِ الرِّمَالِ رِمَالاً

وَقَالَ آخر:

افْعَل الخير مَا استطَعْتَ وَإنْ كَانَ قَلِيلاً فلن تحيط بِكُلِهْ
فمتى تفعل الكثير مِنَ الخَيْـ ـرِ إذَا كُنتَ تَارِكَا لأقَلِهْ

وَقَالَ آخَرُ:

ألا كل مُوْلُودِ فللموتِ يُولَدُ وَلستُ أرَى حياً على الدَّهْرِ يَخْلُدُ
تجرَدْ مِن الدُنيا فإنك إنما سقطتَ إلَىٰ الدُنيا وَأنت مُجَرَدُ

آخر:

يَا نَفسُ صبراً لعل الخير عُقبَاكِ خَانتكِ مِنْ بعدِ طُول الأمْن دُنيَاكِ
قد مَرّ بِي سَحَراً طير فقلتُ لها طوباك يَا ليتَنِي إياك طُوبَاك

وَقَالَ يُوسف بن الحسينِ الرازِي: كَانَتْ لِي مخلاةٌ مكتوب عَلَيْهَا:

لاَ يَومك ينساك وَلا رزقك يعدُوكَا فثق ويحك بالله فإن الله يكفيكا

وَقَالَ آخر:

فَإنك لاَ تَدْرِي متى أنْتَ ميتٌ ... وَقبرك لاَ تَدْرِي بأي مَكَانِ

وَحسبك قولُ الناسِ فيما تركْتَهُ ... لَقَدْ كَانَ هَذَا مرةً لِفُلاَن

لأبي العبَّاس بن عَطَاء:

العُذْرُ يلحقه التحريفُ وَالكذِبُ ... وَلَيْسَ فِي غَيْرِ مَا يرضيك لِيْ إرَبُ

وَقَدْ أسَأتُ فبالنعمى التي سلفَتْ ... إلاّ مننتَ بعفوٍ مَالَهُ سَبَبُ

لذي النون المصرِي

إذَا ارتحل الكرامُ إليك يَوماً ... ليلتمسُوك حَالاً بعد حَال

أنخنا فِي فنائك يَا إلٰهِي ... إليكَ مفوضينَ بِلاَ اعْتِلاَلِ

فَسَبِّبْ كيفَ شئت وَلاَ تَكلنَا ... إلى تدبيرنا يَا ذَا الجَلاَلِ

للشبلي:

ذَابَ مِمَّا بفُؤادِي بَدَنِي ... وَفُؤادِي ذَابَ مِمَّا فِي البَدَنْ

فاقطعوا حبلي وإنْ شئتم صِلُوا ... كُلُ شيءٍ مِنْكُمُ عندي حَسَنْ

ليحيى بن معاذ الرازي:

أمُوتُ بِدَاءٍ لاَ أصيبُ دَوَائِيَا ... وَلاَ فَرجاً مِمَّا أرَى مِنَ بَلاَئِيا

يقولونَ يحيى جُنّ مِنْ بعدِ صِحَةٍ ... وَلاَ يعلم العُذالُ مَا فِي حشائيا

إذَا كَانَ داء المرء حُبَّ مليكه ... فَمَنْ غيرَه يرجُو طبيباً مُدَاويَا

ذَرُوني وشَأنِي لا تريدُوا كرَامَتِي ... وَخَلوا عناني نحو مولى المَوَالِيَا

كلُوني إلى المولَى وَكفُوا مَلاَمَتِي ... لآنسَ بالمولَى عَلَى كُلِ مَا بِيَا

وَقَالَ ابنُ عَطَاءَ:

وَكَمْ يدٍ لك عندي مَا شكرتُ لَهَا ... حملتها أنت عني مع بَوَادِيكَا

ضعفتُ عن حملهَا عجزاً لتحملها ... لِكَيْ أباديك تحملها أيادِيكَا

آخرُ:

كنتُ مِنْ كربتي أفِرُّ إليهمْ ... فَهُمُ كربتي فأينَ القَرَارُ

آخر:

بهم كنت أسلو مِنْ ملم وَنَازِل ... فلمَا نأوا عني تفردتُ بِالفِكْرِ

بَابٌ فِي ذِكْرِ أَنْوَاعِ الحِكَمِ وَالمَوَاعِظِ وَالحكَايَاتِ

أَخْبَرَنَا أبو سعدٍ، قَالَ: أخبرنا الشيخُ أبو بكرٍ محمدُ بن عَلِيّ بن إسماعيل الفقيهُ حَدّثَنَا أبو محمد بن صَاعِدٍ، حَدّثَنَا يوسف بن سعيد بن مسلم المصيصي، حدّثَنَا عمرو بن حمزة، وَكَانَ مِنَ المتعبدين قَالَ: حَدّثَنَا صَالح، عَنِ الحسنِ، عَنْ أنسٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «إنَ الْحِكْمَةَ تزيدُ الشريف شرفاً، وترفع العبد المملوك حتى تجلِسَهُ مَجَالِسَ الملوكِ»[1].

وَعَنْ علي بن مُوْسَى الرضا، عَنْ أبيهِ أَنَهُ قَالَ: إذَا أقبلتِ الدنيا على إنسانٍ أعْطَتْهُ مَحَاسِنَ غيرِهِ، وَإِذَا أدْبَرَتْ عَنْهُ سلبته مَحَاسِنَ نفسهِ، وَإِذَا أَرَادَ الله عَزَ وَجَل أن يزيل عَنْ عبدٍ دَولة كَانَ أولَ مَا يغير منه عقلهُ.

وَقَالَ النضر بن شُمَيلٍ: الأيام ثلاثة؛ فأمسٌ حَكيْم ألقى فيك مَوَاعِظَهُ وَترك عِبَرَه، وَالْيَوْمَ كَانَ ضَيْفاً عندك طويل الغيْبَةِ وَهُوَ عنك سَرِيعُ الظعنِ. وَغد لا تَدْرِي مَنْ صَاحبه.

وَيُقَالُ: ألسنة الحكماء أبواب خزائن الربِ عَزَ وَجَلّ، فالزَمْ أَبْوَابَ خَزَائنهِ لعلك تَصِلُ إليهِ.

وَيُقَالُ مَا للمؤمن أنْ يَسْكُنَ قلبُهُ إلى غيرِ رَبِّهِ عَزّ وَجَلّ، لأنَهُ لَمْ يَرَ خيراً إلاً مِنْهُ، وَمَا أعرض أحد بقلبِهِ عَن الربِ الكَرِيْم إلا مَنْ فيهِ عِرْقٌ مِنَ البخل وَالسَفَهِ.

وَقَالَ أَبُو مُوْسَى: مَا تفرغ عَبْدٌ لِلَّهِ عَزَ وَجَلّ سَاعَةً إلا نَظَرَ الله تَعَالَى إليهِ بِالرحْمَةِ.

وَقَالَ أبو محمدٍ السفَر بن الحسنِ صَاحبُ سَهْل بن عبد اللَّهِ: اطْلُبُوا العلم، وَاطْلُبُوا مِنَ العلم علم حَالكُمْ، وَاطلبُوا مِنْ حَالكم يومَكُمْ، وَاطلبُوا مِنْ يَومِكُمْ سَاعتكم، وَاطلبُوا مِنْ سَاعتكُمْ أَنْفَاسَكُمْ، وَاطْلُبُوا مِنْ أَنْفَاسِكُمْ همَمكُمْ وَاطلبُوا مِنْ هِمَمِكُمْ خَطَرَاتكُمْ، وَاطلبُوا مِنْ خطرَاتكم مَا يُحرِكُكُمْ.

وَكَانَ عبد الله بن عَبّاسٍ يقولُ: المعروفُ أنمىٰ زرعٍ وَأفضل كَنزٍ، وَلا يتم المعروفُ إلا بثلاثٍ؛ تعجيلهُ، وَتصغيرهُ، وَسترُهُ، فإنك إذا عجلته فقد هَنّأتَهُ، وَإِذَا صغرتَهُ فقد عَظّمْتَهُ، وَإِذَا سَتَرْتَهُ فقد تممته.

وَرُوي عَنْ مُجَاهدٍ، عَن ابن عُمَرَ قَالَ: لَيسَ مِنْ عبدٍ إلاً بينَهُ وَبينَ رِزقهِ حِجَابٌ، فإن

(١) قال الحافظ العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في بيان العلم، وعبد الغني الأزدي في أدب المحدّث من حديث أنس بإسناد ضعيف. (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ١١).

اقتصد أَتَاهُ رزقهُ، وَإِنْ اقتحمَ هتك الحجابَ وَلَمْ يَزِدْ فِي رزقِهِ.

وَكَانَ خَالد بن صفوانَ(١) يقولُ: فواتُ الحَاجَةِ خير من طلبهَا إلى غير أهْلِهَا.

وَأشَدُ مِنَ المصيبَةِ سُوءُ الخلفِ مِنهَا.

وَقَالَ الحسنُ بن علي الدّامغاني: قَالَ لِي الشِبْلِي: يَا بني، عليك بِاللَّهِ تَعَالى، كُنْ مَعَ الله، دَعْ مَا سِوَى اللَّهِ، ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

وَدَخَلَ لصٌ دَارَ الحسنِ فلم يجدْ شيئاً وَالحسن ينظُر إلَيْهِ، فلمّا أعياهُ وَأرَادَ الرُجُوع صَاحَ بِهِ الحسَنُ وَقَالَ: بعد إذ دَخلتها صَل رَكعَتينِ ثم اخْرجْ.

وَقَالَ أبُو يَعْقُوبِ الخَيَاطُ طَاووسّ الحرمين: كنت أجَوّدُ خِياطة مَرقَعتِي يَوْمَاً فَإذَا بأبي جعفرٍ قد لَطَمَنِي فقلتُ: يَا سيدي مَالك؟ فقالَ: إيش الزهد عندك؟ قلتُ: قِصَرُ الأمَلِ؟ قَالَ: فمن قصر الأمل تجويد خياطة مُرَقعتك؟!.

وَرَأى بعض الصّالحين ابناً لَهُ صَغِيراً قد أطال السجودَ، فقالَ لَهُ: يا بني، ارفع رأسك فإنك صبي، قَالَ: يَا أبَه كَمْ من زَرْعٍ قد أصَابَتْه الآفَةُ قبل أنْ يبلغ الحصَادَ؟.

وَعَنْ عبد اللَّهِ بن المُبَارَكِ أنَهُ قَالَ: طَلبنَا العلم للدُنيا فأورثَنَا العلمُ ترك الدُنيا.

وَقَالَ بِلاَلُ بنُ سعدٍ(٢): عِبَادَ اللَّهِ، إنَكُمْ لَمْ تخلقُوا للفَنَاءِ وإنَّمَا خلقتم للبقَاءِ، وإنَّمَا تنقَلُونَ مِنْ دَارٍ إلى دَارٍ، كَمَا نقلتم مِنَ الأصلابِ إلى الأرحَامِ. وَمِنَ الأرْحَامِ إلى الدُنْيَا، وَمِنَ الدُنيا إلَى القُبُورِ، وَمِنَ القُبُورِ إلى الموقفِ، وَمِنَ الموقفِ إلَىٰ الجَنَةِ أوْ إلَىٰ النَارِ.

وَلَمَا مَاتَ الجنَيْدُ كَانَ فِي جِوَارِهِ إنْسَانٌ مُصَابٌ، فلما حُمِلَتْ جَنَازَتُهُ خرجَ المُصَاب معهم، فلمَّا دُفِنَ الجنيد وَانصرفُوا تقدمهم إلى تِلك الخربَةِ وَقَدْ فقدتُ هذا السيد لاَ وَاللَّهِ وأنشَأ يقول:

واأسفي مِنْ فراقِ قومٍ هُمُ المصابيحُ وَالحصُونُ

(١) خالد بن صفوان بن الأهتم العلامة البليغ فصيح زمانه أبو صفوان المنقري الأهتمي البصري وفد على عمر ابن عبد العزيز قال الإمام الذهبي: لم أظفر له بوفاة إلاّ أنه كان في أيام التابعين. وهو القائل: ثلاثة يعرفون عند ثلاثة الحليم عند الغضب، والشجاع عند اللقاء، والصديق عند النائبة. (سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦).

(٢) بلال بن سعد بن تميم السكوني الإمام الرباني الواعظ أبو عمر الدمشقي شيخ أهل دمشق، كان بليغ الموعظة حسن القصص نفاعاً للعامة. قال الأوزاعي: كان من العبادة على شيء لم نسمع أحداً قوي عليه، كان له كل يوم وليلة ألف ركعة وبعضهم يشبهه بالحسن البصري توفي سنة نيف وعشرة ومائة. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٩٠، حلية الأولياء ٥/ ٢٢١).

والـــمـــــدنُ وَالـــمــــزنُ الـــرَوَاسِـــي وَالـــخـــيـــر والأمْـــنُ وَالـــســـكـــون
لَـــمْ تـــتـــغـــيـــر لَـــنَـــا الـــلـــيـــالِـــي حـــتـــى تَـــوفَـــتْـــهُـــمُ الـــمَـــنُـــونُ
وَكُـــل نَـــادٍ لَـــنَـــا قُـــلُـــوبٌ وَكُـــل مَـــاءٍ لَـــنَـــا عُـــيُـــونٌ

وَفِي معناهُ يقولُ بعضهم:

لـولا مَـدَامـع عُـشَـاق وَلَـوْعـتـهُـمْ لـبـانَ فِـي الـخـلـقِ عـز الـمـاءِ وَالـنَـارِ
وَكُـل نَـارٍ فـمـن أنـفـاسِـهِـمْ ظـهَـرتْ وَكُـل مَـاءٍ فـمـن دَمـعِ لَـهُـمْ جَـارِ

وذُكِر عند أبي سليم المعصيَةُ فَبَكَىٰ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إنَّ فِي آفاتِ الطَّاعَةِ مَا لاَ يحتاج معنَا إلى المعصيةِ.

وَقَالَ رَجُلٌ لأبي الحسنِ البوشَنجِي: كيف أنْتَ؟ قَالَ: حفيت أضْرَاسِي مِنْ أكْلِ نعمهِ، وَكَلّ لِسَانِي مِنْ كثرة ما أشكوهُ.

وَقِيل للأحنفِ بن قيسٍ: مَنْ أحسن الناسِ عيشاً؟ قَالَ: من حسن عيش غيرهِ فِي عيشهِ.

وَقَالَ بعضهم أحيي معروفك بإمَاتِةِ ذِكْره، وَعظِّمْهُ بِالتصغير لَهُ، وتقرب إلى القلوب بالمعروفِ.

وَقَالَ عبد الرحمن بن مَهْدِي[1] الواعِظُ: بلغني أن حَاتِمَ الأصَم أرَادَ الخُرُوجَ إلى الحج فقالَ لامرأتِهِ: أريدُ الحجَ، فَقَالَتْ لَهُ: فِي حفظِ الله تَعَالى، فقالَ: كَمُ أخلف عندك مِنَ الرزق؟ قَالَتْ: مقدارَ مَا تخلف من الحياةِ أو من الأجَلِ، فمضَى فدخَلُوا عليهَا فقالُوا: أخَرَجَ زَوْجُكِ وَلَمْ يَدَع لك شيئاً؟ قالَتْ: هُو أكالُ الرزق لا الرزاقُ، فَذَهَبَ الأكَّال وَبقي الرَّزَّاقُ.

وَسَألَ رَجُل الحسن البِصَرِيَّ: مَا الحج المَبرُور؟ قَالَ: أنْ يرجعَ صَاحبهُ زَاهِدَاً فِي الدُنْيَا لا رَاغباً.

وَقَالَ أبُو سُليمانَ: إلهي، كيفَ يصلح لخدمتك مَنْ لاَ يصلح لخدمة خَدَمِكَ، أم كيف يَرْجُوَ رَحمتك مَنْ لاَ يستحق أنْ ينجو من عذابك؟! إلهي، حسبي مِنْ ثوابك النجاةُ مِنْ عقابك.

---

(١) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن الإمام الناقد المجود سيد الحفاظ أبو سعيد العنبري وقيل الأزدي مولاهم البصري اللؤلؤي. كان إماماً حجة قدوة في العلم والعمل قال عنه الشافعي: لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن. وقال عنه أحمد بن حنبل: عبد الرحمن أفقه من يحيى القطان. روي عنه أنه قال: لولا أني أكره أن يعصى الله لتمنيت أن لا يبقى أحد في المصر إلاّ اغتابني!!، أيُّ شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها؟!. توفي رضي الله عنه وعنا به سنة ثمان وتسعين ومائة. (سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٢، حلية الأولياء ٩/ ٣ ـ ٦٣، الشذرات ١/ ٣٥٥).

وَقَالَ عِيسَى ابنُ مريم عليهِ السَّلاَمُ: إنما زَلَّتْ الأقدامُ بثلاثة أشياء؛ قلة الشكر على مواهِبِ الله تَعَالى، وخوف غير اللَّهِ، وَأمَل المخلوقين.

وَعَنِ خَالدِ بن صفْوَان أنَّهُ سَألَ حَاتمَ الأصَمّ: علاَمَ بنيت أمرك؟ فقال: على أربعَةِ أشياء علمتُ أن لله تَعَالى عَلَيّ فرضاً لاَ يؤدِيه غيري فاشتغلتُ بِهِ، وعلمت أن الله تَعَالى مطلع عليّ حيث كنت فاستحييت مِنْهُ، وعلمت أن لي رزقاً لا يجاوزني فوثقت به، وعلمت أن لي أجلاً يبادرني فأنا أبادره.

وبلغنا أن يعقوب عليه السلام لما اشتد حزنه على يوسف أوحَى اللَّهُ تَعَالى إليهِ: يَا يعقُوب أتأسف على غيري؟! لآخذنَّ عينيك، وَلا أرُدُ عليك يُوسُفَ حتى تنساه.

وَقَالَ بَعْضُ المَشَايِخِ: لَمْ يَبْكِ يعقوب عليه السلام أربعين سنة على فقد يوسف، إنما بَكى على الساعة التي نظر فيها بقلبه إلى يوسف عليه السلام.

وَقَالَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام: من جَمَعَ سِتَّ خِصَالٍ لم يدع للجنة مطلباً وَعن النَّار مهرباً: مَنْ عرفَ اللَّهَ فَأطَاعَهُ، وَعَرَفَ الشيطان فعصاه، وَعَرَفَ الحق فاتَّبَعَهُ، وَعَرَفَ البَاطِلَ فاتَّقاهُ، وَعَرَفَ الدُّنْيا فرفضها، وَعَرَفَ الآخرة فطلبها.

وَقيلَ: الدنيا أميرة من طلبها، وخادمة من تركها.

يا ابن آدم دُنْيَاكَ دَارُ الشدة والأحزان، بكيت في أول يوم سقطت مِنْ بطنِ أمك صحت ولم تضحك إلا بعد إيام. وَقَالَ وهب بن منبه: مَعْرِفَةُ السُّلْطَان خطأ عَظِيم، وَخَطَرٌ جسيمٌ، إن أطعته أضرّ بدينك وإنْ عصيته أضرّ بدنياك، وَإنْ خالفته أضرّ بنفسك، فالصَّوابُ لكَ أَن لا تعرفه ولا يعرفك.

وَقَالَ يحيى بن مُعَاذِ الرازي: يقرُّ العبد لِلَّهِ تَعَالَى بالتقصير في عملِهِ، فيقبَلُهُ مِنْهُ. وَيعترف في عمَلِهِ بالذَّنْبِ في جهله علَى نفسِهِ فيعفو عَنْهُ، إنَّ ربَّنَا جَوَادٌ كريمٌ.

وَقَالَ أيضاً: إِذَا كَانَ الدُّخُولُ في التوحِيدِ يمحو الكُفْرَ، فالثَّبَاتُ فيهِ مَا يَصْنَعُ بالذُّنُوبِ؟؟ إنْ كَانَ دُخُولُكَ البُسْتَانَ يخرجك مِنْ كِلِّ غَمٍّ، فعيشك فيه مَا يصنَعُ بِكَ؟؟ ثُمَّ قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أن هذه الكلمة قالَها غَيْرِي وَأن لي مَا طلَعت عليه الشَّمْسُ.

وَذُكِرَ عند يحيى بن معاذِ الرازي آلاء الله سبحانه ونعماهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ: هَذَا بره بهم وهُمْ في السجن[1]، فكيف بره بهم وَهُمْ في مقعدِ صدقٍ عند مليك مقتَدرٍ.

---

(١) أي في الدنيا التي هي كما وردت في الحديث (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) وقد مرّ.

وَقِيل ليحيى بن معاذٍ: رَأينا قوماً يغتابونك، فَقَالَ: إنْ غَفَرَ لي رَبِّي لم يضرني ما يقولون، وَإنْ لَمْ يغفِر لي رَبِّي فَأَنَا شَرٌ مما يقولونَ.

ويروى عن عبد الواحد بن زَيْدٍ أنَّهُ مَرّ يوماً فِي سوقٍ من الأسواقِ في البصرة، فَإِذَا شيخٌ يبولُ فِي ناحيةٍ مِنَ السُّوق، قَالَ عبد الواحد: فقلتُ: سبحان الله في مثل هذا المكان يبولُ إنسانٌ، قَالَ: فمررْتُ بعد حَوْل في ذلك المكان فحركني بَطني حَتَّى لَمْ أتَمالك أو لَمْ أَتَمَاسكْ، فقلتُ: مَا هذا؟ ثم ذكرتُ ذَلِكَ الشيخ فقلتُ: أستغفر الله عزّ وجلّ لما كَانَ مني، واستغفرتُ للشيخ فسكن بطني حتّى رجعتُ إلى البيتِ.

وَقَالَ يحيى بن معاذٍ: رُوح المؤمن إذا خرجت مِنْ جَسَدِهِ تنظرُ إليهِ ثمَّ تقولُ: يَا جسدُ عليكَ السَّلام إلى يوم القيامَةِ.

وَقَالَ أيضاً: عجبتُ مِنْ ذِي عقل يقولُ في دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ لا تشمت بِي الأعداء ثم هُوَ يشمت بنفسه كلّ عَدُوٍّ، وقِيلَ لَهُ كيفَ ذاكَ؟ قَالَ: يعصي الله عزّ وجلّ فيشمت به في القيامة كل عدو.

وَقَالَ أيضاً: أكرم الكرماء مَنْ لم ينقص مِنْ قَدْرِكَ لديهِ حَاجَتُكَ إليه، وَأعلى من هذا مَنْ تَدِلُّ عليهِ دَلاَلاً لفضل كرمِهِ، وَاتساع خُلُقه، وَكَمَال عقلِهِ، وحسن أدبِهِ، فيرى المنة لَكَ عليهِ حين أخبرته بحَاجَتِكَ، وأَعلى من هذا من تدل عليهِ دلالاً كَمَا يَدل الولدُ على أبويه، وَهَذَا غاية الكرم أن يكون الرجل بهذه الصفة حتّى يكونَ سروره بما يعطيك كسرورك بمَا تأخذُهُ منهُ.

وَقَالَ أيضاً: التجئوا إلى اللَّهِ عزّ وجلّ في أعمالِكُمْ لا إلى أعمالكم لَدَيْهِ، لأنه إذا استقصى لم يبق لَكُمْ حَسَنة، وَإنْ تفضل لَمْ يبق عليكم سَيئة.

وَقَالَ أيضاً: أكرَمُ الكُرَمَاءِ المفضل عليك ابتداءً.

قِيلَ لَيَحْيَى بن معاذٍ: لو شَاءَ الله تعالى أن لاَ يعصي عبادُهُ لَمْ يخلق إبليس، فَقَالَ يحيىٰ: لَوْ شَاءَ الله أن لاَ يعصى لم يخلق النارَ خلق المسكن قبل الساكن، وأعدّ لهم العقاب قبل العمل.

وسُئِلَ يحيى بن معاذٍ عمن يكره المديح فقَالَ: كيف لا يكره المدحُ، وَقَدْ جَاءَ عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمْ المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب والإمام مسلم وأبو داود والترمذي عن المقداد بن الأسود والطبراني والبيهقي عن ابن عمر، والطبراني عن ابن عمرو، والحاكم في الكنىٰ عن أنس ورمز السيوطي لصحته (الجامع الصغير ١/ ٨٥ الحديث رقم ٦٤٦).

وَعَنْ عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عنهُ أنه قال: المدحُ هو الذبح.

وَقَالَ يَحْيَى بن مُعَاذٍ: طلبُ الخدمة لِلَّهِ عزّ وجلّ خيرٌ من تركها مع خِدْمَةِ الخلقِ.

وَعَنْ سُفْيَان الثوري، عَنْ لَيْث قَالَ: قَالَ لي طاووس: مَا تعلمت فتعلم لنفسِك، فإِنَّ الناس قد ذهبت منهم الأمَانَة.

وَقَالَ ميمون بن مِهْرَان: صنفان من الناس، لَوْ صَلُحُوا لصلح الناسُ كلهم؛ الأمراء والقراء.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن المُبَارَكِ، قَالَ: دَخَل رَجُلٌ على مُصْعَب بن الزبير وَكَانَ قد أحدثَ حدَثاً، فَأَمَرَ لَهُ بالسِّيَاطِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أسألك بِالَّذِي أنتَ بين يديه يومَ القيامةِ أَذَلُّ مِنِّي بين يديكَ السَاعَة لما عفوت عني، فنزل مصعبٌ عن السَّرِيرِ وَأَلْصَقَ خده بالأرضِ وَقَالَ: قد عفوتُ عنك.

وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: إذا كُنْتَ في زَمَانٍ يرضى فيهِ بالقولِ مِنَ الفِعْلِ: وبِالعلمِ مِنَ العملِ، فأَنْتَ في شرّ زمان وشرّ ناسٍ.

وَعَن ميمون بن مهران قَالَ: إنَّ رَجُلاً ليقرأ في الصَّلاَةِ فيلعن نفسَه!!. قيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قال: إِنَّهُ يقول في الصلاةِ: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وهو ظالمٌ.

وَقَالَ سُفْيَان الثوري: كم مِنْ طَعَامٍ أذلّ رِقَابَ الرِّجَالِ.

وَعَنْ مُعَاذ بنِ جَبَلٍ، أنَّ النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاه بذنبٍ لم يمتْ حتّى يَعْمَلَهُ»[١].

وَعَنْ أَبي أُمَامة قَالَ: قَالَ رَجل: يا رسول الله، ما السحت؟ قَالَ: «أن تشفع لرَجُل عند إمامٍ جَائرٍ فتدفع ظلمه أو تَرُدّ حَقّاً هُوَ لَهُ، فَيَهْدِي إليكَ هدية فتقبلها منه فَذَلِكَ السحتَ»[٢].

آخر الجزء الحادي عشر من تهذيب الأسرارِ، يتلوه في الثاني عشر إن شاء الله تَعَالَى عن أنس بن مالكٍ أنّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا مُدَحَ الفاسِقُ اهتزّ العَرْشُ وَغَضَبِ الربُّ».

الحمدُ لِلَّهِ وحده، وصلواتُهُ عَلى سيدنَا محمد نبيه، وآلهِ الطاهرين، وَأزواجهِ الطاهراتِ أمهاتِ المؤمنين، وَأَصْحَابِهِ أجمَعِينَ، صلاةً دَائمةً باقيةً إِلَى يومِ الدين.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه عن معاذ بن جبل ورمز السيوطي لحسنه (الجامع الصغير ٢/٥٣٩ الحديث رقم ٨٨٦٩).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ وإن كان له شواهد كثيرة تؤيده.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخبرنا أبو عبد الله، قال: أخبرنا الإمام أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد النَّيْسَابُورِي رَضِي اللَّهُ عنهُ: يَرْوِي عَنْ أنس بن مالك أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إذَا مُدِحَ الفاسقُ اهتزّ العرشُ وَغَضِب لَهُ الرَّب عزّ وجلّ»[1].

قَالَ أبو بكرِ الزاهدُ: مَبَادِيء عَلاَمَةِ تَرْكِ الدُّنْيَا ترك محبةِ أبناء الدُّنْيَا.

وَرُوِيَ أنَّ هَارون الرشيد كَانَ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ المشيَ إلى بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ حَاجاً رَاجِلاً، فَكَانَ في الطريقِ على هَذِهِ الحَالَةِ وَقَدْ مَسّه الإعياء، فأَسْنَدَ ظهره إلى ميلٍ مِنْ أَمْيَالِ المدينةِ مُسْتَظِلاً بِهِ وحَوْلَهُ قُوّادُهُ جلوسٌ، إذْ أَقْبَلَ شيخٌ مِن العَرَبِ يتخطى رِقَابَ الناسِ حتى وَقَف على رأس هَارُونَ الرشيد، فَقَالَ للرشيد: أَهَارون أنتَ؟ قَالَ: نعم، فَأَنْشَأَ يقولُ:

هَبِ الدُّنْيَا تُواتِيكَا ... أَلَيْسَ الموتُ يَأْتِيكَا
فما تصنع بالدُّنْيَا ... وظِل المِيلِ يَكْفِيكَا
كَمَا أضْحَكَكَ الدَّهْرُ ... كذاك الدّهر يبكيكا
فَلاَ تغتر بالدّهرِ ... فَإِنَّ الدَّهْرَ يغُرِيكَا
ألاَ يَا طَالِبَ الدُّنْيَا ... دَعِ الدنيا لشانيكّا

وَعَنْ جَعْفَر الخلدي قالَ: سَأَلْتُ الجنيد عَنِ الشَّفَقَة على الخلقِ مَا هي؟ فَقَالَ: تعطيهم مِنْ نَفْسِك مَا يطلبون، وَلاَ تحملهم مَا لاَ يطيقونَ، وَلاَ تخاطبهم بِمَا لا يَعْمَلُونَ.

وَقَالَ عبيدُ بن محمدِ الزاهِدُ: دَخلتُ على الشبلي وَكَانَ فِي نَفْسِي أَنْ أسألَه عَنِ اعتقاده في المعرِفَةِ مَا هِيَ؟ فلما دخلتُ عليهِ بدَأ فَقَالَ لِي: هل رَأَيْتَ بِخُرَاسَانَ مَنْ يُخْبِر عَنِ اللَّهِ عزّ

---

(١) رواه أبو يعلى وابن عدي بلفظ (إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش) وعند ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ (إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق)، (تخريج أحاديث الإحياء الحديث ٢٨١٤).

وجلّ، أو مَنْ يعرف الله عزّ وجلّ؟ قلتُ: لا، قال: فَأنا أطلبه بالعِرَاقِ منذ خمسينَ سنَةً فلم أجد أحداً يخبر عَنِ اللّهِ عزّ وجلّ، ثمّ سَألَنِي عن أبي علي الثقفي[1]، فقلتُ لَهُ: توفي رحمة الله عليهِ، فَقَالَ: كَانَ فَقِيهاً وَلم يعرف التوحيد، قال: فقمتُ عنه، فَقَالَ: ما لكَ؟ فقلت: أنتَ طَالِبٌ وأنا طَالِبٌ فأيْش أصنع عندَك.

وَعَنْ إبراهِيمَ بن الأشعث[2]، عَنْ فُضَيل بن عيَاض، أنه كانت له بنيّة فوجعت كفها فَعَادَهَا أَبُوهَا فقال لها: أي بنية كيفَ كفّكِ؟ فَقَالَتْ: يا أَبَةِ إنَّ الله تعالى قد بَسَطَ مِنْ ثوابِهِ مَا لاَ أؤدِي شكره عليهِ أبداً، قال: فتعجبت من حسن صَبْرِها، قَالَ: فقبلتُ: كفّها وضممتها إلى صَدْرِي، فَقَالَتْ: يا أَبَةِ سَألْتُكَ بِاللّهِ عزّ وجلّ أَتُحبني؟ فَقُلْتُ: إي وَاللّهِ إني لأحبكِ، فَقَالَتْ: سَوْأَةً لَكَ مِنَ اللّهِ عزّ وجلّ، إني ظننت أنك لا تحبُّ مَعَ تعالى غير الله، فلطَمَ الفضيل رَأْسَهُ وَقَالَ: يَا رَبُّ هذهِ بنيّتِي تهجوني في حُبّها، وعزّتكَ لاَ أحببتُ أحداً بعْدَ اليومِ حتّى ألقاكَ.

وَكَانَ سُفْيَانُ بن عُيَيْنَة يدفنُ العَبرَة فِي عَيْنَيه وَلاَ يسكبُهَا، فذكر ذلك لَهُ، فَقَالَ: إنَّ العَبرَةَ في العِبْرَة، فَإذَا سُكِبَتِ العَبرة ذهبت العِبْرَةُ.

وَقَالَ مُوَرق العجلي[3]: كُنْتُ أدْعُو اللّهَ تَعَالَى منذ عشرين سَنَةً في حَاجَةٍ وَأَنَا بَعْدُ في ذلك، فقيلَ لَهُ: مَا هِيَ؟ فَقَالَ: ترك مَا لاَ يعنيني.

وَقَالَ: قِيلَ في قَوْلِهِ عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤][4] أن المخبت مَنْ تَسْتَوِي حالُهُ مَعَ اللّهِ عزّ وجلّ، لا يكون مَرّةً عَاصِياً ومرة مطيعاً ومرةً ذاكراً ومرةً غافلاً.

وقِيلَ لابن المبارك: إلى متى أنت في طَلَبِ الحديث والعلم؟ قَالَ: لاَ أدري لعل

---

(١) أبو علي الثقفي محمد بن عبد الوهاب، كان إماماً في أكثر علوم الشرع، مقدماً في كل فن منه عطل أكثر علومه واشتغل بعلم الصوفية وتكلم فيه أحسن كلام، وكان من أحسن المشايخ كلاماً في عيوب النفس وآفات الأعمال. مات رحمه الله سنة ٣٢٨ هجرية. (طبقات السلمي ٣٦١، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، الشذرات ٢/ ٣١٥).

(٢) إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض، يروي عن عيسى بن غنجار ويروي عنه عبدة بن عبد الرحمن المروزي (ميزان الاعتدال ١/ ١١).

(٣) مورِّق العِجْلي الإمام أبو المعتمر البصري، كان ثقة عابداً توفي في ولاية عمر بن هبيرة على العراق، يروى عنه أنه قال: تعلمت الصمت في عشر سنين وما قلت شيئاً قط إذا غضبت أندم عليه إذا زال غضبي. وكان يتجر فيصيب المال فلا يأتي عليه جمعة وعنده منه شيء. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥٣، الحلية ٢/ ٢٣٤).

(٤) قوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

الكلمة التي فيها نجاتي لم أسمعها بعد. وقَالَ الحسن بنُ الربيع: كان عندنا رَجل من العلماء عليهِ دَين، فكتبَ إليهِ يعقوب بن داود يَسْئَلُهُ القُدُومَ عَلَيْهِ، فأتى محمد بن الحراثي يستشيره فَقَالَ: لولا الذي عليَّ من الدين ما أتيته، وَلعلّ الله تعالى يقضيه، فَقَالَ محمد بن النّضرِ: لأن تَلْقَى اللَّهُ تعالى وَعَلَيكَ دَيْنٌ ومعك دينك خير من أن تلقاهُ وقد قَضَيْتَ دَينَك وَذَهَبَ دِينك.

وَسُئِلَ بعضهم عن قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] . فقَالَ: هُوَ سَوق المقادير إلى المواقيت.

وَعَنِ الشعبي قال: خمس أقبح من خَمْسٍ؛ ضِيقُ ذَرْع الملوكِ، وسرعة غضب العلماء وفحش النِّساء، وكَذِبِ القُضَاة(١).

وَقَالَ: خَمْسٌ مِنْ أقبح شيء؛ الفسقُ منَ الشيخ، والحِدّة من السلطان، وَالكذِب مِنْ ذِي حَسَبٍ، والبخل مِنْ ذِي الغِنَى، والحِرْص مِنَ العالم.

وَقَالَ أبُو الحسين النورِي: لما بيع يوسف عليه السلام قَالَ إنسان مِنْ أهلِ الرفقة: استوصوا بهذا الغريب خيراً، فَقَالَ يُوسُف: مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى معَهُ فَلَيْسَ بغريب.

وخرَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السلام لقضاءِ حَاجَة، فَإِذَا بِرَجُلٍ قائم يرفع يديه يَدْعُو ويتضرع، قَالَ: فَلَمَّا قضى حَاجَتَهُ انصرَفَ وَمَكَثَ مَا شَاء الله ينظر إليه، فَرَفَعَ بصره إلى السَّمَاءِ وقَالَ: يَا رب أما استجبتَ لعبدك؟ فأُوحِي إليهِ: يا مُوسَى لَوْ أَنَّهُ بَكَىٰ حتّى تزهق نفسه، ورَفَعَ يدَيْهِ حتّى تبلغ عنان السماء، مَا استجبت لهُ. قَالَ: يَا رَبُّ لم ذاك؟ فَقَالَ: إنَّ فِي بطْنِهِ الحرام، وعلى ظهرِهِ الحرام، وفِي بيته الحرام، فَذَهَبَ مُوسَىٰ عليه السلام يفتشه فوَجدَ عنده ستة عشر دِرْهَماً مِنَ الحرام.

وَعَنْ ثَابِتٍ قال: كنتُ أطوف بالبيتِ، فَإِذَا بِجَارِية وَهيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اعصِمْنِي حتّى لا أعصِيكَ، وارزقني حتّى لا أسألَ أحداً غيرك، فقُلْتُ لها: ممَّنْ سمعتِ هذا الدعاء؟ قالَتْ: مِنْ أبي طاووس، ثمَّ إني قلتُ لها: هل لكِ في الزواج؟ قَالَتْ: لَوْ كنتَ ثابتاً مَا فعلتُ، قلتُ: فَأنَا ثَابِتٌ، قالَتْ: أَمَا كَانَ لَكَ فِي ذِكْرِ الرب شغلاً عن النساء؟! وكبَّرت وجعلت تُصَلِّي.

وعَنْ سُفْيَانَ الثوري قَالَ: كَانَ نُوحٌ عليه السلام على البحر يبني خُصّاً(٢) له، فقَالَ لَهُ

---

(١) وهذه أربعة!!.

(٢) الخُصُّ: بالضم ـ البيت من القصب، (القاموس مادة خ ص ص).

جِبْرِيل عليه السلام: مَا هَذَا يَا نُوح؟ فَقَالَ لَهُ نوح: هذا كثير لمن يموت. فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ سيجيء مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةٌ أَعْمَارَهُمْ مَا بينَ السِّتِّين إلى السَّبْعِينِ يبنون بالجص والآجر، فَقَالَ لَهُ نوح عليه السلام: مَا على هؤلاء إِذَا خَرَجَ أحدهم مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ أن يَسْتَفَّ الرماد إلى أن يموتَ.

وَوَعَظَ عُمَرُ بن عَبْدِ العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ رَجُلاً فَقَالَ: يَا عبد الله، لا يغرنك تأخير عقوبة الله تعالى عنكَ، فَإِنَّهُ إنما يعجل بالعقوبة مَنْ يخاف الفوت.

وبلغنا أنَّ أبَا حفْص النَّيسَابُورِي خَرَجَ ذَاتَ يوم في بَعْضِ الأسواقِ، فاستَقْبَلَهُ يَهُودي فغشي عليهِ، فلمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً عليهِ لِبَاسُ العدل، وَرَأَيْتُ على نَفْسِي لباسَ الفَضْلِ، فخشيتُ أنْ يَسْلُبَنِي اللَّهُ لباسَ الفضلِ فيَكْسُوهُ، ويَنزعَ عنه لباسَ العدل فيكسوني، فلذلك غشي عَلَيّ.

وَكَانَ الربيع بن خثيم إذا رَأَى من ابنِهِ شيئاً يكرهُهُ، يقولُ لَهُ: يَا بُنَي ما أشبهك بِأَبِيكَ، فكَمْ عصىَ أبُوك ربّهُ، وكذلكَ يقول لامرأتِهِ إذا عَصَتْهُ، مَا أشبَهكِ بزوجك فكم عصَى زوجك ربّهُ عزّ وجلّ.

وَعَنْ أَبي عبد الرحمٰن العمري الزاهد قَالَ: خَرَجَ رَجل مِنَ السلف في حَاجَةٍ لَهُ، فلقيَ رَجُلاً فَقَالَ لَهُ: هَل لكَ أَنْ تلم بنا، فَذَهَبَ بِهِ إلى منْزِلِهِ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ وَأَجَازَهُ بِأَرْبَعَةِ آلاف دِرْهَم، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا عرفتني، فكيف صنعتَ بِي مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: شَبهتك بِأَبِي، فَأَرَدْتُ أن أصلِ شَبِيْهَ أَبِي رحمه اللَّهُ.

وَسَأَلَ رَجُلٌ بعضَ المشايخ حَاجَةً، فصبر سَاعَةً ثمَّ قَالَ مُدَاعَبَةً: متى تَنْسَى حَاجَتِي؟ قَالَ الشيخ إذا قضيتها نسيتها.

وَحُكِيَ أَنَّ الشافعِي وَأَحْمَدَ بن حنبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما كَانَا فِي طريق، فنظرا إلى شيبان الراعي فَقَالاَ: هُؤلاء قُوم فقراء لا يفهمون شيئاً من القرآن نسأَلُهُ مسألةً، فَقَالَ الشافعي لأحمَدَ: سَلْ، فَقَالَ أحمدُ: يَا شَيْبَان، مَا تقول في رَجُلٍ صلى صلاةً فَنَسِيَ رَكَعَةً، لاَ يَدْرِي مِنْ أيِّ الصلاةِ هِيَ؟ فَقَالَ لَهُ شَيْبَان: يَا أحمد، هذا رَجُلٌ مقسَمُ القلبِ بين يدي الله عزّ وجلّ يجب عليهِ أَنْ يُعَاقِبَ قلبَهُ، فاضْطَرَبَ أحمد وَغُشِيَ عليهِ، فقالَ لَهُ الشافعي: مَا لَكَ يَا شَيْخ؟ قَالَ: خَشِيْتُ أَنْ يَفْضَحَنِي.

وَوَقَفَ مُطرف بن عبد الله بعَرَفَاتٍ مَعَ الجمع فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنّي أعلمُ أنَّ لَكَ فِي هَذَا اليوم رَحمَةً تَنشَرهَا على هذا الخلقِ فلا تحرمهم خَيْرَكَ مِنْ أَجْلِي.

وَقَالَ طيفور: لما مات أَبو يزيد وَدُفِنَ جاءت أمُّ علي امْرَأَةُ أَحْمَدَ بن خضروَيه لِزِيَارَةِ قبرِهِ، فلما زارتْهُ قَالَتْ لِي: تَدْرِي مَنْ كَانَ أَبُو يزيد قَالَ: قُلْتُ: أنتِ أعرفُ، فقَالَت: كُنتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَطُوفُ بالكَعْبَةِ فلما فرغتُ قعدتُ متفكرَةً، فذَهَبَ بِي النوم فَرَأَيْتُ كأَنِّي رُفِعْتُ إِلَى السماء وَرَأَيْتُ تحتَ العَرْشِ مفازَةً لاَ يُحْصَى طُولُهَا وَلاَ عَرْضُها، نَابِتٌ في كُلِّهَا الريحانُ، فَنَظَرْتُ إلى الريحان فرَأَيْتُ على كل ورَقَةٍ مَكْتُوباً أبو يزيد ولي الله عزّ وجلّ.

وَقَالَ أَمِيرُ المؤمنِينَ علي بن أبي طالب عليه السلام: رَأَيْتُ ثمرة الشكر المزيد، وثَمَرَة الجود كثرة الإخوان، وثَمرة غلبة الشهوةِ الداء، وثمرة الحرص الحرمانَ، وأقل الأشياء عناء مُعَاتَبَة الجاهلِ، وَأَنْفَعُ الأموالِ لِصَاحِبِهَا القنَاعَة، وَمَنْ لم يقنع اختياراً منع اضطرَاراً.

وَعَنْ جَعفر الصَّادِقِ قَالَ: مَنْ لَم يغضب مِنَ الجفوةِ لم يشكر النعمة.

وَعَن علي عليه السلام أَنَّه قال: إني لمخيّر في الإحسان إلى مَنْ أَحْسَنَ إليهِ، وَمُرْتهن بالإحسان إلى مَنْ أحسنتُ إليه، فَإِذَا لم أستَتِمه فقد أَهْدَرتُهُ، وَإِذَا أنا هدرتهُ فلم فعلتهُ؟.

وَبلغنا: أَن نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاء عليهم السلام سأَلَ رَبَّهُ عزّ وجلّ فَقَالَ لَهُ: يَا رَبِّ أسألك أن تَعصمني حتى لا أعْصِيك، فأُوحى الله إليهِ: كل عبيدي يسألنِي ذَلِكَ، فَإِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَيْنَ تَفَضلِي على عِبَادي؟؟.

وَكَانَ لإبرَاهِيم الخليل عليه السلام صديقٌ أرسل إليهِ: أن ابعث إليَّ شيئاً مِنَ الحنطةِ، قَالَ فعاتَبَ الله عزّ وجلّ إبراهيم على ذلكَ فقال: «أمَا تستَحِي أن تسألَ غيري؟ فَقَالَ إبراهيم عليه السلام: «هَذَا من أَمرِ الدُّنْيَا استحييت أن أسألك» فَقَالَ: «أمَا عَلِمْتَ أن كلّ مَا لاَ بد منه فليسَ من الدنيا».

وَعَنْ عَمْرو بن قيس[1] قال: كَانَ لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغةٍ غير لغة صَاحِبِهِ، وَكَانَ ابن الزبير يُكلم كل غلام منهم بلغتهِ، فكنتُ إذا نظرتُ إِلَيهِ في أمرِ دُنْيَاهُ قلتُ: هذا رَجُلٌ لم يُرِد الله تعالى طرفة عين، وَإِذَا نَظَرْتُ إليهِ في أَمْرِ آخِرَتِهِ قلتُ: هذَا رَجُلٌ لَمْ يُرِد الدنيا طَرْفَةَ عينٍ.

وَقَالَ ذُو النون: رَأَيْتُ في بعضِ الكتب المنزلة أن الله عزّ وجلّ يقولُ: «عبدِي أطعْنِي فِيمَا أَمَرْتك ولاَ تَسَلْنِي حَاجَتَك».

---

(١) عمرو بن قيس الملائي، أبو عبد الله الكوفي، من كبار الكوفيين، متعبد، كان يبيع الملاء، روى عنه الثوري، وورد بغداد أيام أحمد بن حنبل، وبها مات وكان الإمام أحمد يثني عليه ويقول: هو ثقة. (تاريخ بغداد ١٢/١٦٣).

وَعَن أبي عبد الله السَّعْدِي، عَنْ ابن عباسٍ رَضِي الله عنهُما قَالَ: خصال ألوم نفسِي عليها مَا لَمْ أكافيء عليها؛ كنتُ عطشان فسقانِي رَجل شربة ماءٍ، أوْ ضَاقَ بِي المجلس فوسَّعَ لي رَجل فِيهِ، أو رَجل أغبرت قدماه على بَابي فى حَاجَةٍ لي عليه، وَرَجُلٌ نزل بِهِ أمر فباتَ سَاهِراً فلما أصبح لم يجد لحاجته غيري، وإني لأكره أن أرى الرجل في مجلس لا يرى أثري عليه.

وعن ابن سيرين: أن الحسن بن علي طلّق امرأته فبعث إليها بعشرة آلاف درهم متعة لها، فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق، فبلغه قولها فراجعهَا.

وَقَالَ بعضهم: قال الله عزّ وجلّ: يَا ابنَ آدم، لم أخلقك لأربح علَيك إنما خلقتك لتربح عليّ.

وَقَالَ بعضهم: أجمع العلماءُ أن تفسيرَ العَافِيَة أنْ لاَ يَكِلَ الله تعالى العبدَ إلى نَفْسِهِ.

وَقَالَ عبدُ الواحِدِ بن زيدٍ: رَأَيْتُ عتبة الغلامَ يَوْماً وَاقفاً على بِابِهِ، ورِجل لَهُ فِي الدارِ، ورِجْلٌ في السِّكَّة فقلتُ لَهُ: وَأيش وُقُوفك؟ قَالَ: خطوتُ هذه الخطوة لاَ أَدْري ألِلهِ تعالى أو لغيرِ اللَّهِ، وَإنّي لأستحيي مِنَ اللَّهِ عزّ وجلّ أن أخطو غيرها فبعد لَمْ أُحَاسِبْ نفسِي على هذه.

وَقَالَ الحارثُ المحاسبي: مَن اجتهدَ في بَاطِنِهِ، وَرثه الله عزّ وجلّ حسن مُعَامَلَة ظاهِرِهِ، وَمَنْ حسنت مُعَامَلَتُهُ في ظَاهِرِهِ مَع جهاد بَاطِنِهِ، ورثه الله تَعَالَى الهِدَايَة إليه، لقولِهِ عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَعَنْ رُوَيْم أَنَّهُ قَالَ: إنَّ الله عزّ وجلّ غيب أشياء فِي أشياء؛ غيب مكره في حلمه، وغَيب خداعِهِ فيِ لطفِهِ، وغيب عقوباتِهِ في كرَامَاتِهِ.

وَقَالَ ذُو النون: دَارَت رَحا الإرادة على ثلاثة أشياء: الفراغ لأمرِ اللَّهِ عزّ وجلّ، والثقة بالله عزّ وجلّ، وَدَوَامِ قرعِ بَابِ اللَّهِ عَزّ وجلّ.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: علامة الولي ثلاثة أشياء؛ النظر إلى الله عز وجل في كل شيء، والغنى بالله عز وجل عن كل شيء، والافتقار إلى الله عز وجل في كل شيء.

وَعَنْ محمّد بن منصورِ الطوسي أنه قالَ: من آتاهُ الله عزّ وجلّ رزقاً مِنْ غَيْرِ سُؤال، وَلاَ اسْتِشْرَافِ نَفْسٍ، فلم يقبله ذل في عينِ اللَّهِ تعالى وَعَزّ فِي أعينِ الناس[1].

---

(١) وفي الحديث عنه ﷺ: (من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه) وفي لفظ آخر (فلا يرده) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني.

وَأَوْحَىٰ الله تعالى إلى عِيسَى عليه السلام: «إنّي إذا اطلعتُ على سرّ عَبْدٍ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ حُبَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ملأته مِنْ حُبّي وَتَوليتُهُ بحفظِي».

وَقَالَ سهل بن عبد الله التستري رَحمةُ الله عليهِ: رَأْسُ المعصيَةِ الدَّعْوَى.

وَعَنْ أبي تُرَابِ النخشبي أنَّه قَالَ: منذ عشرين سنة ما أخذتُ مِنْ أَحَدٍ شيئاً ولا أعطيتُ أحداً شيئاً. قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ؟ قال: كنت آخذ منه وَأَرُدُّ إليه جلّ جلاله.

وَعَن مالك بن دِينَار أنه كان إذا قرأ: ﴿إياكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعينُ﴾ بَكَىٰ بُكَاءً شَدِيداً ثُمَّ قَالَ: لَوْلاَ أنها في كِتَابِ اللَّهِ عزّ وجلّ ما قرأتها.

وَقَالَ بشر بن الحارثِ مَنْ أَرَادَ أن يعزّ في الدنيا وَيشرّف في الآخرة فليلزم ثلاث خِلاَلٍ؛ لاَ يَسْأَلْ أحداً شيئاً، وَلاَ يُجِبْ أحداً إلى طَعَامٍ، وَلاَ يَذْكُرْ أحداً بسوءٍ.

وَقَالَ سُفْيَانُ: الإبقاءُ على العمَلِ أشدّ مِنَ العملِ، وَإن الرجل ليَعمل في السِّرِّ فيكتبُ في ديوان السّرّ، فلا يزال الشيطان بِهِ حتى يعلنه فيكتب في دِيوَان العَلاَنِيَةِ، ثم لا يزال يفتخِرُ بِهِ فيكتب فِي دِيوان الرِّيَاء. وَعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخراز أنه قَالَ: إنِّي لأستحيي مِنْ رَبِّي عزّ وجلّ أن أحرز لرِزقِي بعد ضمانِهِ.

وَقَالَ يحيى بن مُعَاذٍ: الناس ثلاثة: رَجُلٌ مُفتتن، وَآخَرُ ممتحن، وَآخَرُ ممتن عليهِ، فالمنن لأَهْلِ الصفَاء، والمحَن لأهلِ البلاء، والفتن لأهلِ الشقاءِ.

وَسُئِلَ الجنيد: هل شيءٌ أفضَلُ مِنَ البكاءِ؟ قال: نَعَم البكاء على البكاء.

وَقَالَ رَجُلٌ لِوَهْبِ بن منبهٍ: إنّي أريد أنْ لاَ أُخالِطَ الناسَ، فقالَ: لاَ تَسْتَطِيعُ ذلكَ، لأَنَّهُ ربّمَا تبدو لَكَ إليهم حَاجَةٌ، وَلَكن احفظ عنيِّ ثلاثاً؛ كن فيهم أصم أعمى، بصيراً سكوتاً نطوقاً. وَعَنْ أَبِي بكرِ بن مجاهدٍ[1] أَنَّهُ قَالَ: تقدم يوماً أبو عمرو بن العلاء يصلي بالناس، فلما التفت وَقَالَ للناسِ: استووا رحمكم الله غشي عليهِ، فلمَّا أفاقَ، قِيلَ: مَا أَصَابَكَ؟ قَالَ: وَقَعَ بقلبي كَأَنَّهُ يقولُ لِي قائلٌ: هل استويت لي طرفة عينٍ قطُّ؟.

وَقَالَ سهلُ بن عبد الله: حُبُّ الدنيا رأس كلّ معصيةٍ.

وَقَالَ رُوَيْم: لاَ تَزَالُ الصوفية بخيرٍ ما تنافروا، فإذا تساكتوا واصطَلحوا فلا خير فيهم.

---

(١) الإمام المقريء المحدث النحوي شيخ المقرئين أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ولد سنة خمس وأربعين ومائتين، فاق سائر نظرائه مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسكه وتصدر في حياة الكسائي. توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٢ ـ تاريخ بغداد ٥/ ١٤٤).

وَقَالَ الجُنَيْد لِمَن كَانَ يكثر الثناء عليهِ فِي وجههِ وفي مجلسِهِ: مَا عليَّ مِمَّا تقولُ شي إنما تذكر الله تعالى.

وَعَنْ أَبِي ترابِ النخشبي قال: عُرِضَ عليَّ الطعام فامتنعت فأدبت بالجوع أربعةَ عشر يوماً، حتى علمت أني قد عوقبت، فاستعذتُ بِاللَّهِ مِنْ ذلكَ.

وَقَالَ ابن مُجَاهِدِ: قدمنا رَجلاً من أصحابنا يصلي بنا الظهرَ، فلما كبَّر غُشِيَ عليهِ فلم يفق إلى وقتِ الظهر من الغدِ فقلتُ لَهُ: مَا بَالُكَ؟ قالَ: كُلَّمَا قدمتموني هتف بِي هاتِفٌ مِنْ قَلْبِي: إنْ لم يعرفك هؤلاء فَأَنَا ألستُ أعرفك؟؟.

وَقَالَ ذو النون نزلت على رَجُلٍ بالسَّاحِلِ فقمتُ مِنَ اللَّيْلِ أصلِّي، فرفعت صَوْتِي بالقراءَةِ، قالَ: فجاءني فَقَالَ: يَا هذا لا تَرْفَع صوتك بالقِرَاءَةِ، لا يظُن جيراني أني أقوم باللَّيْلِ.

وَقَالَ أحمد بن أبي الحواري: رَأَيْتُ امْرَأَةً بالحجاز، فَقَالَتْ لي: يا فتى مِنْ أَيْنَ أقبلتَ؟ فقُلْتُ: مِنَ الشَّام، فَقَالَتْ: اقرأ على كل محزونٍ مني السلام.

وَقِيلَ لبعضِ الحكماءِ: فُلاَنٌ جمع مالاً كثيراً، فَقَالَ: وهل جمع مِنَ الحياةِ على قدرِ المالِ؟ قيلَ: لا، قالَ: فلم يصنع شيئاً، ما تصنع الموتى بالمالِ؟.

وَسُئِلَ سهل بن عبدِ الله: أي شيءٍ يُورث قِيَامَ اللَّيل؟ قَالَ: تَرْكُ الجناية بالنهار.

وَعَنْ عُمَرَ بن عبد العزيز: إنَّ الذي بطَّأَ بنا عَنْ علمِ ما جهلنا، تركنا العمل بما علمنا.

وعوتِب معروفُ الكرخي على أكلهِ الطيِّبَاتِ فقال: أنا ضيف، فإذا أطعموني شيئاً أكلت. وقَالَ أَبُو سعيدِ الخراز: روي عن عِيسَى ابن مريم عليه السلام أنه مرّ برَجُلٍ مبتلى فَرَقَّ لَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إني أسألك أن تعافيَهُ، فأوحَى الله إليهِ: كَيْفَ أُعَافِيهِ مِمَّا بِهِ أعاقبه».

وَقَالَ علي بن أبي طالب عليه السلام: الغريبُ من ليسَ لَهُ حبيبٌ، ثم قالَ: أَلَيسَ لكل حينٍ لبَاسُه، وَدَار فِي كلّ عصرٍ نَاسُهُ.

وَسُئِلَ الجُنَيْد عنْ حقيقة الشُّكْر، فَقَالَ: أنْ لا يُسْتَعَانَ بنعم الله سبحانَهُ عَلَى معَاصيهِ.

وَقَالَ شَقِيقُ البلخي: رَأَيْتُ مُقعداً عَلَى طريق مَكَّةَ قد زَحَفَ مِنْ سمرقَنْد إلى مَكَّةَ في أربع عَشَرَةَ سنَةً، فوقفت أنظر إليه، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا شقيق؟ قلت: أتعجب منك، فَقَالَ: أتتعجّبُ مِنْ قوي حمَلَ ضعيفاً؟!

وَقَالَ أبو علي الرُّوذبَارِي: لا يخلو العبد مِنْ أنفاسٍ أربعةٍ، إما نعمة توجب شكراً، أو مِنَّةٍ توجب ذِكراً، أو محنة توجبُ صبراً، أوْ زلة توجِبُ استغفاراً.

وَسُئِلَ جعفر الخالدي عن الحكايَاتِ، فَقَالَ: هِي أَرَقُّ على الأفئِدَةِ. وَأَجْرَى فِي المسمع، وَأخَف فِي التناول مِنَ الحديثِ، وَقَالَ: الحديثُ لاَ يَخْلُو من سنةٍ، وَهُوَ فِي حكم النبوة، وَالحكايات يخلو منها، وَهِيَ مِنْ طباعِ الخلقِ.

وَقَالَ بِنْدَار بن الحسين: مَن أَرَادَ العزّ في الدُّنْيَا ومَنازل الشهداءِ في القيامةِ، فليبغض حمدَ الناس.

وسُئِلَ سَرِي السقطي عن الشكر، فقالَ: العجز، وَمعناه أنْ تبذل مجهودك لِلّهِ عزّ وجلّ حتى تعجز، فَإذَا عجزت فقد شكرتَ.

وَقَالَ سَهْل بن عبد الله: معرفة النعمة بالقلبِ شكْرٌ. وسُئِلَ أبو يزيد: ما الفَرِيضَة؟ وَمَا السُّنَّة؟ فَقَالَ: السنةُ ترك الدُّنْيَا والفريضة الصحبة مع المولى. وَقَالَ الجنيدُ: بلغنا أَنَّ مُوسَى عليه السلام قَالَ: «يَا رَبّ، أَين أجِدُكَ؟ فَقَالَ: إِذَا قَصَدْتَنِي فقد وَصلتَ إليّ».

وَقَالَ سَرِي: بَتّ لَيْلَة في قريةٍ من قرى الشَّام، فإِذَا أنا بطائرٍ قد وَقَعَ على شجرة وَهو يصيح إلى الصباحِ: أخطأت لاَ أعود، قَالَ سَرِي: فلمَّا أصبحْتُ سَأَلْتُ أَهْلَ القريةِ: مَا يُقَالُ لهذا الطائرِ، قَالُوا: يقَالُ لَهُ: (فاقد إلفه).

وَبَكَىٰ الشبلي فقيل لَهُ: لِمَ تَبْكِي يَا أَبَا بكرٍ؟ فأنشأ يقول:

وَلَيْسَ الذي يجري مِنَ العينِ ماؤهَا ولَكِنَّهَا روحٌ تذُوبُ فتقطر

وَعَنْ زيد بن أسلم قالَ: كَانَ رَجل يتعبد فِي صَومَعَةٍ، فأَشْرَفَ ذَاتَ يوم فَرَأَى امرأة ففتنَ بها، فأخرج رِجله من الصومعةِ يُرِيدُ النُّزُول إليها، ثم فكّرَ وَأَنَابَ وَأَرَادَ أنْ يعيدَ رجله إلى الصومعة، فَقَالَ: لاَ تدخل رجل أرادت أن تعصي الله عزّ وجلّ في صَوْمَعَتِي أبداً، فتركها خارجَ الصومعة فَأَصَابتها الرِّيَاح والثلج فتقطعت.

وقَالَ ذُو النون المصري: رَكَضَتْ أرْوَاحُ الأنبياء عليهم السلام فِي ميدان المعرفة، فسبقت رُوح نبيّنَا عليه السلام إلى رَوضةِ الوِصَالِ.

وَقَالَ أحمدُ بن عاصمِ الأنطاكي: وَافقنا الصالحينَ فِي أعمال الجوارحِ، وَخَالَفْنَاهم بالهِمَمِ.

وَقَالُوا: جماع الخير في ثلاثٍ؛ إن لم تمضِ نَهَارَكَ بِمَا هُوَ لَكَ فَلاَ تمضِهِ بِمَا هُوَ عليكَ، وَإِنْ لم تصحب الأخيَارَ فتجنب الأشرار، وَإِنْ لم تنفق مَالَك فيما يحبه الله تعالى فَلاَ تنفقه فيما يكره الله عزّ وجلّ.

وقَالَ ذو النون: من طلبَ عظيماً خاطَرَ بعظيم، وَمَن عرفَ قدر مَا يَطْلُبُ هَانَ عليهِ ما يبذل.

وَأَوْحَى الله تعالى إلى دَاودَ عليه السلام: «يَا دَاودُ، احذر لاَ أفوتك فيفوتك كل شيءٍ». وَقَالَ أبُو يزيد: عزمتُ أن أجلسَ بين يدي الله عزّ وجلّ جلسَةً أكونُ شفيعاً لخلقِهِ، فلما جلستُ رَأَيْتُ الحق لهم أحسن نظَراً مني لهم.

وَعَن الأصمَعِي قَالَ: سمعتُ أعرابياً بِنَاحِيَةِ نَصِيبِينَ يقولُ: وَاللَّهِ مَا خلق الله تعالى النارَ إلاّ مِنْ كرَمِهِ، جعلها سَوْطاً يَسوق بها المؤمنين إلى جَنّتِهِ!

وَعَنْ أبي حَمْزَةَ الصُّوفِي قالَ: كنتُ في جَبَل لكَام[1]، فَإِذَا بثلاثَةِ نَفَرٍ على اثنين منهم المسوحُ، وَعَلَى وَاحِدٍ منهم قميص منْ فِضَّة، فلما رَأَوني، قَالَ: غريبٌ، فقلت لهم: مَنْ يكونُ مأواه الحق تعالى كيف يكونُ غريباً؟ فلما سمعوا كلامي أَنِسُوا بي قَالَ أحدهم: اسقوه سويقاً فقلت: لاَ أشربُهُ إلا بسكرٍ وقندٍ[2]، فسقوني كما أَرَدت، فسألتُ صَاحِبَ القميص الفضة عن القميص، فقال: شكوتُ إلى الله عزّ وجلّ القمل فألبسني هذا القميص.

وَعَن بعضِ المشايخِ قَالَ: دَخلتُ طَرْسُوسَ وبِي خصَاصةٌ، فلقيني شيخ في السُّوْقِ فَأَدْخَلَنِي دُكَانَهُ وَقدّم لي طعاماً، فأكلتُ فلما فرغتُ قالَ: منذ كَمْ كنت جَائِعاً؟ فقلتُ: منذ ثلاثة أيّام، فقَال: ذا مجاعَةُ بُخلٍ لاَ مجاعَة فقرٍ، وَأرى عليكَ ثِيَاباً تُسَاوِي دَرَاهِمَ وَجوعت نفسَك. وَقِيلَ للربيع بن خثيمٍ: مَا لكَ لا نراكَ تذكر أحداً إلاّ بخيرٍ؟ قَالَ: لم أصبح رَاضِياً عَنْ نَفْسِي فأذم الناسَ.

وَقَالَ إبراهيم بن أَدْهَم: كُنّا إذا رَأَيْنَا الشابَ يتكلم في المجلسِ أيسنا مِنْ خَيْرِهِ.

وَفِي بَعْضِ الكتب المنزلة عَن اللَّهِ عزّ وجلّ: «عبدي كيفَ صبرتَ عني بعد أن أذقتك مِنْ فُنُونِ الألطافِ وَالمواهِبِ؟؟!».

---

(١) قال في القاموس: (وجبل اللُّكام ـ كغراب ورمان ـ: يسامت حماة وشيزر وأفامية ويمتد شمالاً إلى صهيون والشُّغر وبكاس وينتهي عند أنطاكية). (مادة ل ك م).

(٢) القَنْدُ: عسل قصب السكر إذا جُمِّد (مادة ق ن د).

وَكَانَ سهل بن عبد الله يصبر عن الطَّعَامِ سبعين يوماً، فكان إذا أكل ضعف، وَإِذَا جَاعَ قَوِيَ. وَقَالَ: انتزعتُ أربع كلماتٍ من أربعة كتب: من التَّوْرَاةِ؛ مَنْ قنع شبع، وَمِنَ الإنجيل: من عفّ استغنى، ومِنَ الزَّبُور: من اعتزلَ سلم، وَمِنَ الفرقان: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧] . وعَن ذِي النون قالَ: مَا أعزّ الله عبداً بعزّ هُوَ أعزّ له مِنْ أن يدلّهُ على ذُل نفسِهِ، وَمَا أَذَلَّ الله تعالى عبداً بذلٍّ هو أذل لَهُ مِنْ أَنْ يحجبَهُ عَنْ ذُلِّ نَفْسِهِ.

وَقِيلَ: عَرَفُوهُ فِي الدنيا على حسبِ ما تَعرَّف إليهم، وتجلى لهم في الآخرَةِ على حَسبِ معرفتهم بِهِ.

وَعنْ أبي حمزةَ قالَ: كنتُ إذا أَصَابَتْنِي فاقَة قلتُ فِي نَفْسِي: إلى من أهدي هذه الهدية، ثم فكرتُ فلم أجدْ أحداً أحقَّ بها مِنِّي فطويت.

وَقِيلَ: مَا فِي الملكِ شيءٌ يقع بهِ الحريقُ إلا كَانَ لاحتراقه دُخَانٌ إلا القلب، فإِنَّهُ لو احترق في اليومِ ألفَ مرةٍ لا يَكُونُ لَهُ دخان، وذلك لمحبة صَاحِبهِ، لأنَّ الدخَان يجلب الغياث يعني: الاستغاثة.

وَسُئِلَ جعفرُ الخَالدِي عن تلْوين[1] الفقراء، فَقَالَ: تلوينهم للزيادَةِ، فإن مَنْ لا تلوينَ له لا زِيادة لَهُ.

وَقَالَ إبراهيم الخواصُ: كُنتُ بالبَادِيَةِ جَالِساً مجتمع الهمّ، وقَدْ مضت عليّ أوقاتٌ لم أتناوَلْ طَعَاماً، فبينا أنا كَذَلكَ إذا أنا بالخضِر عليه السلام يمر فِي الهَوَاء، فلما رَأَيْتُهُ طأطأت رأسي وغمضت بصري فلم أنظر إليه، فإِذا أَنَا بِهِ قَدْ جَاء وَجَلَسَ إلى جَنْبِي، فرفعتُ رَأْسِي إليهِ فقالَ: يَا إِبْرَاهِيم، لو أعرتني الطرف مَا جئتُ إليكَ.

وَعَنْ سُفْيَانَ بن عيينة أنه قالَ: يا ابن آدم، إنما جوارِحك سلاحُ الله تعالى عليك، بأي شيءٍ شاء منها قتلك.

وعَن عبد الله الخَيَّاط قَالَ: دَخَلْتُ علي بشر بن الحارث في يوم شديدِ البردِ وقدَ تعرىٰ وهو ينتفض، فقلتُ: يَا أبا نصر مَا هذا؟ فَقَالَ: ذكرتُ الفقَرَاء الذينَ لَيْسَ لهُمْ شيء، وَلَمْ يَكُنْ لِي مَالٌ أواسيهِم بهِ، فَأَحبَبْتُ أن أوَاسيهم بِنَفْسِي.

---

(١) التلوين: صفة أرباب الأحوال، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، ويخرج من مرحل ويحصل في مَرْبَع، فإذا وصل تمكن... وصاحب التلوين أبداً في الزيادة... والأولى أن يقال أن العبد ما دام في الترقي فهو صاحب تلوين، يَصُحُ في نعمة الزيادة في الأحوال والنقصان منها (الرسالة القشيرية ٤١، وانظر معجم مصطلحات الصوفية ٦٢).

وسُئِلَ محمد بن علي عَن الأبدالَ[1]، فَقَالَ: إنما سمُّوا أبدالاً لأنَّهم أبدلوا بكل خلقٍ يُبَاعِدُ عن الله عزّ وجلّ خلقاً يُوصِلُ إليهِ.

وَعَن أبي بكرِ العطَّار الجعفي قَالَ: نَزَلَتْ بالجحْفَةِ قَافِلَةٌ فلحقَهُم السَّيْلُ فتنحوا جمِيعاً إلاَّ رَجُلاً وَاحِداً محرماً في محمل، فحمله السيلُ وَهُوَ يقولُ: لبيك اللَّهم لبيك، إن كنتَ ابتليت فَطَالَ مَا عَافَيْتَ، إلى أنْ لَحِقَ بالبَحْرِ.

وَعَن إِبْرَاهِيمَ الخواص قَالَ: طلبتُ المعَاشَ لأكل الحلال، فجعلت أصْطَادُ السمَكَ، فبينا أنا جالِسٌ وَمَعِي قصبة فيها شعر فوقعت فيها سمَكة، فأخرجتها فرميتُ بهَا، ثُمَّ وَقعت أخرى فأخرجتها، فسمعتُ قائلاً يقولُ: أنتَ لَمْ تَجِد مَعَاشاً إلاَّ أَنْ تأتي فتقتل ما يذكرنا؟؟ قالَ: فكسرتُ القصَبَة ومَضَيت.

وَعَنْ مُجَاهِدِ قَالَ: تحب الناسَ على مَا تَرَى مِنْ صلاَحِهِمْ، وَتُبغِضُ الناس على مَا ترى مِنْ فَسَادِهِمْ، والحساب على الربّ عزّ وجلّ.

وَعَن زيد بن عيسى قالَ: لَيْسَ المطبوع كالمتكلف لأن المتكلف متخلف، وَالمطبوع لا حقٌ وَإِنْ سبق.

---

(١) الأبدال لفظ مشترك يطلق تارة على الجماعة الذين بدلوا الصفات الذميمة بصفات حميدة، وتارة يطلقونه على عدد معين يبلغ أربعين عند البعض ويشتركون في صفة خاصة، وسبعة عند البعض الآخر، ومن الأبدال اثنان يعرفان بالإمامين وهما وزيران للقطب الذي هو في مرتبة أخرى. والأبدال السبعة يسمون كذلك، لأنهم حين يغيب واحد منهم يخلفه في مكانه الذي يليه في المرتبة. ويذهب البعض إلى أن سبب تسميتهم بالأبدال هو أن الحق سبحانه وتعالى قد أعطاهم قوة يذهبون بها إلى المكان الذي يقصدونه. وإذا أرادوا الأمر ما أن تحل صورتهم في مكان فلا يلبث أن يتهيأ في صورتهم شخص آخر يحل بدلاً منهم في ذلك المكان، . ومثل هذا الشخص ليس من الأبدال، وكثير من الأولياء على هذا النحو (التهانوي ١/ ٢١٠).

بَاب فِي ذِكْرِ مُكَاتبَاتِهِم

أخبرنَا أبو سعدٍ، أخبرنَا أبو سَهْلٍ بشر بن أحمد بن بشرٍ التميمي، أخبرنا أبو محمدٍ عبد الله بن محمد بن ناجية، حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا أبي، عن القَاسِمِ بن معنٍ، عَنْ محمدٍ بن عجلان، عن رجَاء بن حَيْوَةَ، عَنْ كَاتِبِ المغيرة، عن المغيرَة بن شعبة، أن النبي ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دبرِ الصلاةِ، وَقَالَ مرَّةً أُخرَى عَنْ كَاتِبِ المغيرة بن شعبة أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى المغيرة بن شعبة: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول بعد الصلاة المكتوبة شيئاً؟ فكَتَبَ إليهِ كَانَ يقولُ: «لاَ إِلَهَ إلاَّ الله وَحَدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الملك، وَلَهُ الحمدُ وَهُوَ على كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، اللَّهمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أعطيت وَلاَ مُعْطِي لما منعتَ، وَلاَ ينفَعُ ذَا الجَدِّ منك الجد».

وَكَتَبَ عَامِلُ المدينةِ إلى عُمَر بن عبد العزيز رَضِي الله عنه: أنَّ سور المدينة يحتاج إلى مرمَةٍ، فَكَتَبَ إلَيهِ: إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هذا فحصنها بالعدلِ، ونَظِّف طُرُقهَا من الظُّلْم، وَالسلام.

وَكَتَبَ بعضهم إلى أخٍ لَهُ: عصمك الله يا أخِي بعصمَةِ الأبرار، وتَوَلاَّك بحسن الرعَاية آنَاء اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وَخَصّكَ بخصائص فَضْلِهِ، وَوَصلَ حَبْلَك بِحَبْلِهِ، وَوفقنا وَإِيَّاكَ لِصَالِحِ العَمَلِ، وَأعَاذَنا وإيَّاكَ مِن أملٍ ينسي الأجل ويمنع خير العملِ برأْفَتِهِ.

وَكَتَبَ ابن أبي ذئب إلى سفيان: استكثر مِنَ الأصدقاءِ تَنَجُ بِوَاحِدٍ. فكتَبَ سُفْيَان إليه: اترك الأصدقاء تنجُ بوَاحِدٍ.

وَكَتَبَ بعضُ الصَّالِحِينَ إلى أخٍ لَهُ: أمَّا بعد، فعظِ النَّاس بفعلك ولا تعظهم بقولِكَ وَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى خِلاَفِ عظتك، فاستحيي من الله تعَالَى بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ، وَخَفِ الله تعالى بِقَدْرِ قدرته عليك، والسلام.

وكتب عثمان رضي الله عنه إلى بعض إخوانه: احذر لا ينصرف بك من بين يدي الله عز وجل بسخطه فتكون منقطع الرجاء، والسلام.

وَكَتَبَ بعضهم إلى عمر بن عبد العزيز: اعتصِم بالله تعالَى يا عُمَرُ اعتصام الغرِيقِ بما ينجيه من الغرق، وَليكن دُعاؤك دُعَاءَ المضطرِ المشرف على الهلكة، فَإِنَّكَ أصبحتَ عَظيمَ الحَاجَةِ شديد الإشراف على المعَاطِبِ.

وكَتَبَ أبو خَالِدٍ الأحمر إلى الحجَاجِ بن محمد: اعلم أن الصديقين كانوا يستحيون من الله عزّ وجلّ أن يكونوا اليومَ على مثل حالهم بالأمس.

وَكَتَبَ كهمس بن المنهال إلى أخ له: إن الليل والنَّهار خزانتان، من أودعهما شيئاً أدياه، وأنهما يعملان فيك فاعمل فيهما أنت، والسلام.

وَكَتَبَ الحسنُ بن علي إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما: أما بعد، فكأن الدنيا لم تكن، وَكَأَنَّ الآخرة لَمْ تَزَلْ. فَكَتَبَ إليه عمر: أَمَا بعدُ فَكَأَنَّ آخر مَنْ كُتب عليه الموتُ قدْ مَاتَ، والسلام.

وَكَتَبَ رَجُلٌ إلى بعضِ إخوانِهِ: أَمَّا بعدُ، فاطْلُب ما يعنيك بترك مَا لاَ يَعْنيك، فَإِنَّ في تَرْكِ مَا لاَ يعنيك دَرَكاً لما يعنيك.

وَكَتَبَ عُمَرُ بن عبد العزيز إلَى بَعْضِ إخْوَانِهِ: إنَّ لِلَّهِ عَزّ وجلّ عِبَاداً سَمَتْ بِهِمْ هممهم نحو عظيم الذخائر، فاحتقروا مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الأخْطَارِ، فالحزن بيتهم، وَهجوم الظلام سُرُورُهُمُ، وَالذكْرُ وَسَائِلُهُمْ، ورَوعَاتُ قوارعِ الكتَابِ شَعَائِرُهُمْ، وَحسنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ العَظِيم مُعَوّلُهُمْ، فَإِنْ استَطَعْتَ يَا أَخِي أَنْ يكونَ لَكَ حَظ مِنَ المُنَافَسَةِ فِي أعمَالِهِمْ، لعَلّكَ تشارِكُهُمْ فِي جِوَارِ السَّيِّد في دَارِ الإقَامَةِ فَافْعَلْ، والسَّلام. فَلَمَّا قَرَأَ أخوه الكتابَ جعل يَصْرُخُ صُرَاخَ الثَّكْلَى.

وَكَتَبَ يُوسُفُ بن أَسْبَاط إلى حُذَيْفَةَ المرعشِي: مَنْ كَانَتِ الفَضَائِلُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الذُّنُوب، فهو مخدوع، وَمَنْ قرَأَ القرآن فآثر الدنيا فهو مستهزىء، وَإِنِّي أخافُ أَنْ يكونَ مَا ظهر مِنْ أَعْمَالِنَا أضرّ علينا مِنْ ذُنُوبِنَا، وَمَنْ كَانَتِ الدَّرَاهِمُ أكثر فِي قَلْبِهِ مِنْ كَثِير الآخِرَةِ، يَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعالى لَهُ في دِينه، ويصنعُ لَهُ فِي دُنْيَاهُ، والسَّلام.

وَكَتَبَ يحيى بن معاذ الرازي إلى بعضِ إخوَانِهِ كتاباً، وَكَتَبَ فِي آخِرِهِ: إني لم أطولِ الكتابَ، فطوّله بالعملِ فيهِ، يَطُلْ قَصِيرُهُ، وَيَكْثُرْ قليله، وَتَكن مِنَ الراشدين.

وَقَالَ يُوسف بن أَسْبَاطَ: كَتَبَ إليَّ حُذَيْفَةُ المرعشِي: أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ بعتَ دينَكَ بحبتين، قال: فَأَخَذْتُ حذائي ورحلتُ إليهِ، فقلت: فِي أيِّ شيءٍ كتَبتَ إليَّ؟ فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ عنباً بخمْسِ حباتٍ فقال لَكَ البائع: خذه أنتَ بثلاث حَبَّاتٍ فَسُرِرْتَ بِهِ.

وَكَتَبَ أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلَى ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عنهما بِالبَصْرَةِ: أَمَّا بعَدُ، فَإِنَّ المرء ليسره دَرَكُ مَا لَمْ يكن ليحرمه، وَيَسُوؤه فوتُ مَا لم يكن ليدرِكه، فليكن سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ أجرٍ، وليكن أَسَفُكَ فيمَا فَرَّطْتَ فيه مِنْ زللٍ، وَانْظُرْ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلاَ تُكْثِر عليه حزناً، وَمَا نلتَهُ فَلاَ تَبْغِ فِيهِ فرحاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ لِمَا بَعدَ الموتِ.

وَكَتَبَ بعضُ الصالحِينَ إلَى بعضِ إخوانِهِ: اعلم يَا أخِي أنَّك في منيةِ أهْلِ المرضِ، وَأَهْلِ البلوى، وَأَهْلِ السجون، وَأهل القُبُور، وَأَهْلِ النُشُورِ، وَأَهْل الجنان والنيران، قدْ آتاكَ الله تعَالَى مناهُمْ كُلّهُمْ، فاغْتَنِمْ يومَكَ وَبَقِيَّة عمرك، فمن أَحَبَّ شيئاً طَلَبَهُ، وَمَنْ طلبَ شيئاً وَجَدَهُ، وَمَنْ خَافَ شيئاً هربَ منه، وَمَنْ أرَادَ سَفراً اهتم لَهُ، وَمَنْ أَحَبَّ اللحوق بِقَومٍ اقتَدَى بفعالِهِمْ وَسَلَكَ سبيلَهم، وَمَنْ فَضل قوماً بالعلم فحق له أنْ يفضلهم بالعملِ، وليكن الغَالِبُ مِنْ همومِك هَم المعاد والنزول بِهِ، والغالِب مِنْ كَلاَمِكَ ذكرَ الموت وَالاستعْدَادَ لَهُ، فهو أشد شيء نزلَ بكَ فيما قبله، وَأهونُ شيء فيما بعده.

وَكَتَبَ الربيع بن خثيم إلى بعض إخوانِهِ: أنْ قَدِّمْ جِهَازَكَ، وافرَغ مِنْ زادِكَ، وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسَك وَلاَ يكُنْ أوصياؤك الرجال، والسَّلام.

وَقَالَ عبد الله بن زيادٍ: اشتكى أبي فكتَبَ إلى بكر بن عَبْد الله المزني(١) يسْأله أنْ يَدْعُو لَهُ، فَكَتَبَ إلَيْهِ: كَتَبْتَ تسَألُنِي أَن أدعُو لَكَ، وَحُق لمن عَمِلَ ذَنباً لاَ عُذْرَ لَهُ فِيهِ، وَخَافَ موتاً لا بدّ لَهُ مِنْهُ أَنْ يكونَ مُشْفقاً، وَسَأدْعُو لَكَ وَلَسْتُ أرجُو أنْ يُسْتَجَابَ لِي بِثِقَةٍ مِنْ عَمَل وَلاَ بَراءةٍ مِنْ ذَنْبٍ.

وكَتَبَ شَاهُ الكرَمَاني إلَى أَبِي عثمان: أَمَّا بَعْدُ، فَإنَّ تَرْكَ العِتَابِ وَحشة، وَطُولَ العِتَابِ فرقَةٌ.

وَكَتَبَ الوليدُ بن العمِيدِ إلى بعضهم: لاَ أذَاقَكَ الله تَعَالَى يَا أَخِي حَلاَوَةَ نَفْسِكَ، وَجَعَلَ لَكَ مِنْ نَفْسِكَ رَقِيباً عَلَى نَفْسِكَ، لِتَكُونَ نفسكَ مشغولة بنجاةِ نَفْسِكَ عَنْ مُرَادِ نَفْسِكَ، يَا أَخِي مَا لَمْ تَتَفَرَّغْ عَنْ عيب نفسكَ فلا تشتغل بِأَبْنَاءِ الجنسِ، وَإِيَّاكَ وَالغضبَ، فَإِنْ كَانَ ولاَ بُدَّ فاغضَب على النفسِ، وأَدِمِ الاستغفارَ بألسُنِ الاعتذارِ فِي العَلاَنِيَةِ وَالإِسْرَار، فَإِنَّمَا هو سِرٌ وَعَلاَنِيَة، فالسرُّ مَا ستره الله تعالى عَنْكَ، وَالعلانِيَة مَا ستره الله تعالى عليك، فَإن كشف لَكَ عَمَّا سَتَرَ عنكَ افتضحت عند الله عزّ وجلّ، وَإِن كَشَفَ مَا سَتَر عليك افتضحت عند الخلق، سترك الله وَإِيَّانَا بستره الجميلِ.

وَكَتَبَ أَبُو جعفر إلى شاه بن شُجَاعٍ الكرْمَانِي: إنِّي نظرتُ فِي نفسِي وَعَمَلِي وتَقْصِيري

---

(١) بكر بن عبد الله بن عمرو، الإمام، القدوة، الواعظ، الحجة، أبو عبد الله المزني البصري أحد الأعلام يذكر مع الحسن وابن سيرين، وكان ثقة ثبتاً، كثير الحديث، حجة، فقيهاً عن عبد الله بن بكر قال: سمعت إنساناً يحدث عن أبي ـ صاحبة الترجمة ـ أنه كان واقفاً بعرفة فرقَّ فقال: لولا أني فيهم لقلت: قد غفر لهم. وكان من دعائه: اللهم ارزقنا رزقاً يزيدنا لك شكراً وإليك فاقة وفقراً، وبك عمن سواك غنى. وكان مجاب الدعوة مات سنة ست ومائة من الهجرة. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢، الحلية ٢/ ٢٢٤).

فأيست عنها، فكتبَ إليهِ شاه: جعلتُ كتابك مرآةً لِقَلْبِي، فلو خلص يَأسِي مِنْ نَفْسِي، لصفا رجائي في ربي عزّ وجلّ. ولو صفا خوفِي مِنْ رَبِّي عزّ وجلّ لأَيِسْتُ مِنْ نَفْسِي، ولَو أَيِستُ مِنْ نَفْسِي لذكرتُ رَبِّي عزّ وجلّ، ولَو ذكَرْتُ رَبِّي عزّ وجلّ لذكرَني رَبِّي عزّ وجلّ، ولو ذكرني ربي عز وجل لنجوتُ مِنْ كُلِّ مخوفٍ إلى كل محبوب، والسلام.

وكتب رجل إلى أخ له: أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنها أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرتَ، أعاننا الله وإياك عليهَا، وأوجبَ لَنَا ولَكَ ثَوَابهَا.

وَكَتَبَ علي بن أبي طالبٍ عليه السلام إلى صَدِيق لَهُ: أَمَّا بعد، فإن الكريمَ يشكر مَا لَمْ يكن، واللئيم يكفر مَا قد كانَ والسَّلام.

وَكَتَبَ عُمَرُ بن عبدِ العزيز رَضِي الله عنه إلى بعضِ أصحابِهِ يستدعي منه مَنْ يصحبه وينصحه، فَقَالَ مجيباً لَهُ فِي كِتَابِهِ: مَنْ أَرَادَ الدنيا لا ينصحُك، وَمَنْ أَرَادَ الآخرة لا يصحبك.

وَكَتَبَ إبراهيم بن أدهَم إلى سفيان: مَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ، هَانَ عليهِ مَا يبذُلُ.

وَكَتَبَ أبو سعيدٍ الخراز إلى ابن عطاءٍ: تعرف لي رَجُلاً قد كملت طهارتُهُ، وَبَرِءَ مِنْ آثار نَفْسِهِ، وَأَقَامَهُ الحقُّ عليهِ، حيث لا لَهُ ولا عليهِ، فالحق يعالجه امتحاناً له، وامتحاناً للخلق به، فَإِذَا عرفتَ لي هذا وَقَبِلَنِي كنتُ لَهُ خَادِماً، والسلام.

وَكَتَبَ أخو أبي إسحاق القرَشِي إلى أَبِي إسحاقَ مِنْ مَكَّةَ وكان قد تخلى، وَاشتغَلَ بالعِبَادَة: يَا أخِي إن كنتَ قد تصدَّقْتَ بِمَا مَضَى مِنْ عُمْرِك على الدنيا ولذَاتِهَا، فتصدق بِمَا بَقِي مِنْ عُمْرِكَ على الآخرة، فَإِنَّهُ أَوْلَى!

وَكَتَبَ سعيد بن جبير إلى أخٍ لَهُ: أَمَّا بعد، يَا أخي فاحذَر النَّاسَ، وَاكفِهِمْ نفسَك، وَليسعْك بيتُكَ، وَابكِ على خطيئتكَ، وإذا رَأَيْتَ عَائباً فاحمد الله تعالى الذي عَافَاكَ، وَلاَ تأمَنِ الشيطان أنْ يفتنك مَا بَقِيتَ.

وَكَتَبَ يُوسُف بن أسْبَاطٍ إلى حذيْفَة المرعشي: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أوصِيكَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى، وَالعمل بما علَّمك الله (تعالى)، بالمراقبة، حيث لا يراك أحد إلاَّ الله، والاستعداد لما لا حيلة لأحدٍ في دَفْعِهِ، وَلاَ يَنْفَعُ النَدَمُ عند نزولِهِ، وَالسَّلامُ.

وَكَتَبَ بَعضُ الصَّالِحِين إلى أخٍ لَهُ: أَمَّا بعدُ، فَإِنَّهُ مَنْ شَغل نَفْسَهُ بِمَا أُمِرَ بِهِ استغنى عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، والسَّلاَم.

وَكَتَبَ حَكِيمٌ إلى أخٍ لَهُ: أَمَّا بعدُ، فاحلم عمن سفه عليكَ، وَاصفحْ عمن أساء إليك، ليسلم لَكَ أصدقاؤك، وَيستحيي منكَ أَعْدَاؤكَ.

وكَتَبَ أَبُو عَمْرو الصُّورِي إلى بعضِ إخوانِهِ: أَمَّا بعد، فَإِنَّكَ أصبحتَ تجددُ الدنيا بطول الأَمَلِ، وَتتَمَنَّى على الله سوءَ العملِ، وَإِنَّمَا تضرب في حديدٍ بَارِدٍ، والسَّلام.

وَكَتَبَ رَجُلٌ من النُّسَاك إلى ابن السماك: أَمَّا بعد، فإِنَّ الناسَ كَانُوا دَوَاءً يتداوى بِهِمْ فَأَصْبَحُوا دَاءً لاَ دَوَاءَ لَهُ، فليكن بِاللَّهِ أنسك، وَمَلكك جليسك، وَالسَّلام.

وَكَتَبَ إليه ابن السماك، أَمَّا بعدُ، فلو ثقلت الموعظة على الواعِظِينَ كَمَا ثقل العمل على العاملينَ لَقَلَّ الواعِظُون كَمَا قل العامِلون.

وَكَتَبَ ذُو النون المصري إلى بعضِ إخوانِهِ: سترنا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاك بستر الجهل، وجَعَل تحت الستر مَا يُرْضِيهِ، فرب مستُورٍ عليه وتحت الستر مَا يسخطهُ.

وَكَتَبَ أَبُو عثمان إلى محمد بن الفَضْلِ يقول: أخبِرْنِي ما عَلاَمَة الشقَاوةِ؟ فَكَتَبَ إليه جوابه: علامَةُ الشقاوة ثلاثة أشياء؛ أَحَدها: أن يرزق الإنسان العلم ويحرم العمل. وَالثاني: أن يرزق العمل ويحرم الإخلاص. والثالث: أن يرزق صحبة الصالحين وَلاَ يحتَرم لهم ولا يخدمهم.

وَكَتَبَ يُوسف بن الحسين إلَى الجُنَيْد: لاَ أَذَاقَكَ الله طعم نفسك، فَإِنَّكَ إن ذقتها لا تذوق بعدها خيراً أبداً.

وَكَتَبَ سُفْيَان إلى عُتْبة: عليكَ بِالخمُول فَإِنَّهُ زمانُ الخمُولِ، وَإِيَّاك والأمراء أَنْ تقولَ أدفَعُ مَظلمة أو أرد على مظلومٍ، فَإِنَّها خديعة من الشيطان اتخذَها فَخّاً للقُرَّاء، والسَّلام.

قَالَ أَبُو سَعْدٍ الواعِظُ: سمعتُ أبا الحسن الصوفي الهمداني بمكَّة حدّثَنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم، حدّثنا محمد بن جعفرٍ الكَاتِب، قالَ: حدّثَنِي حفص بن المغيرة، عن أبي الحسن الهمداني قال: كَتَبَ حكيم إلى حَكِيم فقال: اجمع لي نعت الدنيا، وَوَصف الآخرة فَكَتَبَ إليه: الدنيا حلم، والآخرة يقظَة، والمتوسط بينهما الموت، والسَّلام.

وَكَتَبَ أَبُو علي الوارجي إلى أبي عبد الله القُرَشِي[1] ـ رَحْمَةُ اللَّهِ عليهما ـ شعراً:

---

(١) الإمام العابد الحافظ الحجة الفقيه، مفتي دمشق أبو عبد الله محمد بن المبارك بن يعلى القرشي الصوري القلانسي، كان شيخ دمشق، ورجل الشام بعد أبي مسهر وكان ثقة، كان يقول: اتق الله تقوى لا تطلع عليه نفسك فتسلط الآفة على قلبك وقال: علامة الحب لله المراقبة للمحبوب والتحري لمرضاته. توفي سنة ٢١٥ هجرية. (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٩٠).

بـيَـانُ بـيـان الـحـق أنـت بـيـانُـه فـكـل بـيـانٍ عـنـك يـبـدو لـسـانُـهُ
أشـرتَ إلـى حـقٍّ بـحـقٍّ فـكـل مـن أَشَـارَ إلـى حـقٍّ فَـأنـت أمـانُـهُ
فـخـبِّـر بـحـق الـحـق والـحـق بـاطـن وكـل بـيـانٍ قـد آتـاك أوانُـهُ
إذا كـان نـعـت الـحـق فـي الـخـلـق بَـيِّـنَـاً فـمـا شـأنـه فـي الـخـلـقِ بـانَ مـكـانُـهُ

فَكَتَبَ إليهِ أَبُو عبد الله القرشيّ:

بَـدأتَ بِـمَـا أنـتَ الـحـقـيـق بـمـثـلِـهِ وَأعـربْـتَ عَـنْ وَصْـفٍ تـخـاف بـيـانَـهُ
فـمـهـلاً فـلـو أنَّ الـبـحـار مَـدادُه وَكَـان عـبـادُ الـلّـهِ يـحـصـون شـأنَـهُ
لأعـجـزهـا حـتـى تـضـل فـهـومُـهـا كـذلـك حـق الـحـق عَـزَّ مـكـانُـهُ

قَالَ: سمعتُ أحمد بن عبد الله الخرشي بمكَّةَ يقولُ: سمعتُ عمر بن رفيد يقولُ: كَتَبَ الحسين بن منصور إلى ابن عطاءٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما. أَطَالَ اللَّهُ تعالى في حياتك ولا أعدمني وفاءك، على أحسن ما جرى بِهِ قدرٌ، ونطق به خبرُ، مع أن لكَ في قلبي من لواعج أَسْرَار محبتكَ، ومن أفانين ذخائر مودتكَ، مَا لا يترجمه كتابٌ، ولا يحصيه حسابٌ، ولا يفنيه عتابٌ، وفي ذلك أقول:

كـتـبـتُ ولـم أكـتـبْ إلـيـك وإنـمـا كـتـبـتُ إلـى روحـي بـغـيـر كـتـابِ
وذلـك أن الـروح لا فـرق بـيـنـهـا وبـيـن مـحـبـيـهـا بـفـصـل خـطـابِ
فـكـل كـتـاب صـادر عـنـك واردٍ إلـيـك بـلا رد الـجـواب جـواب

وَكَتَبَ الوليدُ بن مسلم إلى الأوزاعِي[1]: إن تكن الدار فرقت بيننا فإن ألفة الإسلام التي ألف الله عزّ وجلّ بها بين أهلِهِ جَامِعَةٌ.

وَكَتَبَ بعض المشايخ إِلَى رَجُل: اجعل فَمك قُفْلاً وَثِيقاً، وَلِسَانكَ ميزاناً سَوِيّاً، وَلاَ تفتح فَاكَ إلاّ بِمَا يعنيكَ، وَلاَ تُطْلِق لسَانَكَ إلاَّ بما لكَ وَلَيْسَ عليكَ.

وَعَن عطاء قَالَ: كَانَ ابن عباسٍ عَامِلاً لعَلِي بن أبي طالب على البصرةِ، فَكَتَبَ إليهِ

---

(١) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمرو الأوزاعي. كان يسكن بمحلة الأوزاعي وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات، وكان مولده في حياة الصحابة سنة ثمان وثمانين. وعن مالك أنه قال: الأوزاعي إمام يقتدى به. وكان أفضل أهل زمانه، وعن الشافعي قال: ما رأيت رجلاً أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي وكان يقول: من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن عرف أن منطقه من عمله قلّ كلامه. مات رحمه الله تعالى سنة ١٥١ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧، حلية الأولياء ٦/ ١٣٥).

ابن عَبَّاسٍ: مَنْ حَاسَبَ نفسه فقد رَبِحَ، وَمَنْ غفل عنها فَقَدْ خسِرَ، وَمَنْ نظرَ غنم، وَمَنْ أبصرَ فَهِمَ، وَمَنْ خَافَ رَحِمَ.

وَكَتَبَ ابن السماكِ إِلَى صَدِيق لَهُ: إِنَّ الدَّهْرَ قد كلح فجمح، وطَمَحَ فجرح، وَأفسد ما أصلح، فَإِنْ لَمْ تُعَنْ عليهِ فضَحْ، وَالسَّلاَم.

وَكَتَبَ عليّ بن أبي طَالِبٍ عليه السلام إلَى ابنه الحسن عليه السلام كتاباً يعظه فيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم، أَمَّا بعدُ، يا بُنَي فأحيي قلبكَ بالموعِظَةِ، وذَلِّلْهُ بالموتِ، وَبصِّره بفجائع الدنيا، وَحَذِّرْهُ صَولةَ الدَّهْر، يابُنَي أصلِح مَثْوَاكَ، وَبِع بآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ، وَدَع القولَ فيما لا تعلم، وَالنظَر فيما لم تكلف، وَمُرْ بالمعروفِ تكن مِنْ أهْلِهِ، وَأنكِر المنكَر بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وبَاين فعله بجهدك، وَخضِ الغمراتِ إلى الحق وتفقه في الدين، وعوِّد نفسَك الصبر على المكْرُوه، وألج نفسك في الأمور كُلِّهَا إلى الله سبحانه، فَإِنَّكَ تلجئهَا إلى كهفٍ حَريزٍ، ومَعقلٍ عزيز، وَأخلص المسألة إلى الله عزّ وجلّ فإن بيدهِ العطاء والحرمان، يَا بُنَي تفهَّمْ كلامي وَتَدَبّر كتابِي، فقد كتبتُ إليكَ كتابَ زهدٍ وَأدَبٍ، وَأفرغْ جميع مَا كتبت بِهِ إليَك فِي صَدْرِكَ، وَاعلم أنَّهُ لا غِنَاء بِكَ عن حسنِ الإرشادْ، وَبُلْغَةٍ مِنَ الزادْ، فَإِنَّ بينَ يديك عقبة كَؤوداً، لا يجوزها إلاَّ كل ضَامِرٍ مَهْزُولٍ خفيفٍ، يا بني تيقظ مِنْ نَوْمَةِ الغفلةِ، وَانتبِه مِنْ سَكَرَةِ الدُّنْيَا فَإِنَّ لها سُكراً كسُكر الشرابِ، وَاعلم أنَّكَ غرض الأسقامِ ورمية المصائِبِ، جعلنا الله تَعَالَى وَإِيَّاكَ مِنَ الفَائِزِينَ.

وَكَتَبَ النوري إلى الخراز كِتَاباً وكَتَبَ فِيهِ هذه الأبيات:

لعمرِي مَا استودَعتُ سِرِّي وَسِره ... سِوَانا حذاراً أنْ تشيع السَّرَائِرُ
وَلاَ لاَحَظَتْهُ مُقْلَتَاي بنظرَةٍ ... فتشهد نجوانَا العيونُ النواظِرُ
وَلَكِنْ جَعَلْتُ الوهْمَ بيني وبَينَهُ ... رَسُولاً فَأدّى مَا تُكِنُّ الضمائرُ

وَكَتَبَ أبُو سعيدٍ الخراز فِي صَدْرِ كتَابٍ لَهُ إلى بعْضِ أصدقائهِ: حمَاكَ اللَّهُ عنْ نفسك بذكرِهِ، وَصَرَفك عَنْ ذُلِّكَ بِشُكْرِهِ، وَلاَ أخلاكَ فِي ذَلِكَ مِنْ إِقْبَالِهِ، وَقَسَمَ لَكَ مِنْ جَزِيلِ نَوَالِهِ، وَأعَاذَكَ مِنْ شَدِيدَ نَكَالِهِ، إنَّهُ وليُّ ذلِك.

وَكَتَبَ أبو سعيدٍ بن الأعرابي فِي كِتَابٍ لَهُ: أَمَاتَكَ اللَّهُ عنكَ وَأحْيَاكَ بِهِ، وَأَمَدَّكَ بِالفَهْمِ، وَفَرِّغْ قلبك مِنْ كُلِّ وَهْمٍ، وَأَغْنَاكَ بالقُرْبِ عَنِ المَسَافَةِ، وَبِالأُنْسِ عَنِ الوَحْشَةِ.

وَمَرِضَ رَجُل مِنْ أصحابِ ذِي النون فَكَتَبَ إليهِ: أَنِ ادعُ اللَّهَ تَعَالَىٰ لي، فَكَتَبَ إليهِ ذُو النون رَضي الله عنه: يَا أَخِي سَأَلتني أَنْ أدْعُ الله تعَالَى لَكَ أَنْ يُزِيلَ عنكَ النعَم، وَاعلم أنَّ

العِلَّة يَأنَسُ بِهَا أهْلُ الصَّفَاءِ، وَأصحابُ الهِمَمِ وَالضياء، وَمَنْ لم يَعُدَّ البلاء نعمةً فليسَ مِنَ الحكماءِ، وَمَنْ لَمْ يَأمَنِ الشفيق على نفسِهِ فهو مِنْ أهلِ التهمة علَى أمْرِهِ، فليكن معَك حَياء يمنعك مِنَ الشَّكْوَى وَالسَّلام.

وَكَتَبَ عمرو بن عثمان المكي كِتَاباً إلى مُتَصَوِّفَةِ بغداد، وَكَانَ صدرُ كتابِهِ: إنَّكُمْ لَنْ تَصِلُوا إلى حقيقة الحقِّ حتى تُجَاوِزوا تِلْكَ الطُّرُقَاتِ المنطَمِسَةِ، وَتَسْلُوا تلك المفاوز المهلكَةِ.

وَكَانَ الجُنَيْدُ وَالشبلي وَالجَريري حَاضرين عند قراءة كتابِهِ، فقال الجُنَيْد: ليتَ شِعْرِي مَنِ الداخِلِ فيها وَقَالَ الجرِيري: ليتَ شعري من الخارجُ منها. وَقَالَ الشبلي: يَا لَيتَنِي كَانَتْ لِي منها شمَّةٌ.

وَكَتَبَ أبُو علي الروذَبَارِي:

كَتَبْتُ إلَيْكُمْ بِمَاءِ الجفونِ ... وقلبي بِمَاء الهوى مُشْرَبُ
وَكَفِّي يَخُطُّ وَقَلْبِي يُملي ... وعَيْنِيَ تَمْحُو الذي أكْتُبُ

وَكَتَبَ بعضُ العَارِفينَ وَهُوَ الخراز إلَى أخٍ لَهُ: أمَّا بعدُ، فإنَّا لاَ نَدْرِي مَا نَقُولُ، إن شَكَوْنَا جفاءكمْ فَإنَّا لا نبلغ حقيقته، وَإن ذكرنا بركم فإنَّا لا ننتهي إلى كنهه، بَدَا لَنَا بَادٍ مِنْ قُربكم فأذهلنا عن حبسِكُمْ، ثُمَّ عطف علينَا عطفةً فأتْلَفَ، ومَنَعنا مِنْ وُجُودِ طَعْمِ التلف كتابي إليكُمْ، وقد احترقت الأنوارُ، وَكشفت الأستَارُ، وَظَهَر مَا بطن وبَطَنَ مَا ظَهَرَ، وَحبسَ الملك وَلَيْسَ لَهُ حبسٌ، وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ كما لم يزل، وَالسَّلاَمُ.

وَكَتَبَ بعضُ العَارِفِينَ إلى بعضِ العارِفِينَ يَسْئَلُهُ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: مَالِي حَالٌ أَرْضَاهَا وَمَا لِي حالٌ، إلاَّ وَأنَا أرْضَاهَا، وَلاَ أدْرِي أيُّهُمَا أحسَنُ: سُوءُ حَالِي في حسن حالي، أو سوءُ حَالِي فِيَّ، إذا كَانَ هُوَ المُخْتَارُ.

وَكَتَبَ يُوسف بن الحسين الرازي إلى الجنيد رَحْمَةُ اللَّهِ عليهما.

كَيفَ السَّبِيلُ إلى مَرْضَاةِ من غضبا ... من غير جرمٍ ولَم أعرف لَهُ سَبَبا

فَأَجَابَهُ الجنيدُ رَحِمَهُ اللَّه:

يَكْفِي الحكيم مِنَ التنبيه أيسَرُه ... فيعرف الكيف وَالتكوين وَالسَّبَبَا
فكن بحيث مراد الحق فيك وَلاَ ... تَزَل مع القصد في التمكين منتصباً
إن السبيل إلى مَرضَاتِهِ نظرٌ ... فيما عليكَ لَهُ يَرْضَى كما غَضِبا

وَكَتَبَ ابنُ عطاء إلى الخَراز رَحْمَةُ اللّهِ عليهما: إن الفقراء وأصحَابنا بعدك صَاروا يناقر بعضهم بعضاً، فَكَتَبَ إليهِ الخراز ذلك غيرة من الحَقِّ عليهم حتى لا يسكن بعضهم إلى بعضٍ.

قال: أنشدت في هذا الباب:

إِذَا الإخوانُ فاتَهُمُ التلاقِي ... فَإِنَّ العهد يُحْيا بِالكِتَابِ

إذا كتبَ المحبُّ إلى أخيهِ ... فحقُ كتَابِهِ رَدُّ الجوابِ

بَابُ ذِكْرِ أَحْوَالِهِمْ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الدُّنْيَا

أخبرَنَا أبو سعدٍ، أخبرنَا عَبْدُ اللَّهِ بن محمّدٍ الرازي الصُّوفِي، حدّثَنا يُوسُف بنُ عَاصِمٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا جعفر بن مهران، حدّثنا أَبُو الأعلى، حدّثنا محمد بن إسحاق، قال: حدّثني جعفر بن محمد بن الزبير، عَنْ عُرْوَةَ بن الزبير، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قَالَتْ: كَانَ آخِرُ كَلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كلمةٌ سمعتها منه، وَهُوَ أنَّه كَانَ يقولُ: «بل الرفِيق الأعلى من الجنَّةِ»[1] قُلْتُ: إذاً وَاللَّهِ لاَ يختارُنَا.

وَقِيلَ لبِشْرِ بن الحارثِ لَمَّا احتُضِرَ: يَا أَبَا نَصْرٍ كَأَنَّكَ تحبُ الحياة، قَالَ: القُدُوم على الله تعالى شديد.

وَقِيلَ لِصَالِحِ بن مسمارٍ عِنْدَ الموتِ: ألاَ تُوصِي بابنِكَ وَعيالِك، فقالَ: إني لأستحيي مِنَ اللَّهِ أن أوصِي بهم غيرَهُ.

وَلَمَّا حضرتِ الحسنَ بنَ علي الوفَاةُ بَكَىٰ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قالَ: أَخَافَ أن يبدُو لي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أحتَسِبْ.

وَقَالَ أيضاً: وأقدم على سيِّدٍ لم أرهُ، وَأسلك طريقاً لم أسلكه، أخرجُوا سَرِيرِي إلى صَحْنِ الدار انظُرُ إلى مَلَكُوتِ السَّمٰواتِ.

وَلَمَّا احتُضِرَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي أتاه أصحابُهُ فَقَالُوا لَهُ: أَبْشِر فَإِنَّكَ تقدم على رَبٍّ غفورٍ رحيمٍ، فقَالَ لهم: ألا تقولون: احذر فإِنَّكَ تقدم على ربٍّ يحاسبك بالصغير ويعاقِبك بالكبير.

ولَمَّا حضر محمد بن المنكَدر[2] الوفَاة بَكَىٰ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: ذكرتُ تفريطِي.

ولَمَّا حضرت بلالاً الموتُ بدمشق جعَلَ يقولُ: غداً نلقى الأحبَّة محمداً وحزبه، قال: فجعلت امرأته تقول وتبكي: وَاحزناهُ، قَالَ: وَبلالُ يقولُ: وَاطَرَبَاهُ.

---

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم من حديث عائشة.

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله، الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني ولد سنة بضع وثلاثين، وكان من سادة القراء لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ، وكان لا يكاد يسأله أحد عن حديث إلاّ بكىٰ يروى عنه أنه قال: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت. توفي سنة ثلاثين ومائة. (سير أعلام النبلاء ٥/٣٥٣، الحلية ٣/١٤٦، الشذرات ١/١٧٧).

قَالَ سليمان التيمي: دَخَلْتُ على رَجُلٍ مِن أصحابي وَهُوَ في الموتِ، فَرَأيْتُ مِنْ جَزعِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الجزَعُ وَقَدْ كُنتَ بحمد الله صَوَّاماً قواماً وَقد كنْتَ وَقَدْ كُنْتَ، فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ بالجزعِ منِّي، فَوَاللَّهِ لَوْ جَاءَتْنِي المغفِرَةُ مِنَ اللَّهِ تعَالَى لَهَمَّنِي الحَيَاءُ مِنْهُ فِيمَا أفضيتُ إليهِ.

وَلَمَّا بلغَ عبد الله بن المبارك النَّزْعَ فَتَحَ عَيْنَيْهِ إلى السماءِ وضَحِكَ، ثم قَالَ: لمثلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ.

وَكَانَ مَكحُول الشامِي[1] لا يُوَجَدُ إلا باكِياً، ثُمَّ دُخِلَ عليهِ فِي مرض موتهِ وَهُوَ يضحك فقيل لَهُ فِي ذَلِك، فقالَ: ولم لاَ أضحك، وقد دَنَا فراق مَنْ كنتُ أحذرهُ، وَسُرْعة القدومِ على مَنْ كنتُ أرجوهُ وأؤمله.

وَلَمَا احتُضِرَ الواسِطِي قيلَ لَهُ: أوصِنَا؟ فقالَ: احفظوا مُرَادَ الحق فيكُمْ.

وَقَالَ الدارَانِي: دَخَلتُ على عَابد وقد احتضر وَهُوَ يبكي، فقلنا لَهُ: مَا يبكيك رَحمك الله؟ فأنشأ يقولُ:

وَحُق لمثلي بالبُكَا عند مَوْتِهِ ... وَمَالِي لاَ أبكِي وَموتي قد اقترَبْ
وَلِي عَمَل فِي اللوحِ أحْصَاهُ خالِقِي ... لئن لَمْ يَجُدْ بالصفحِ صِرتُ إلى العَطَبْ

وَعَنْ رُويم قَالَ: حضرتُ وَفاة أبِي سعيدِ الخرّاز وَقَدْ مَاتَ بدنه كله وَبَقِي الرُوحُ فِي الحلقومِ وَهُوَ يقولُ:

حنينَ قلوبِ العَارِفينَ إلى الذِكْرِ ... وَتذكارُهُمْ وَقت المناجَاةِ للسِّرِ
أُدِيرتْ كؤوسٌ للْوِدادِ عَلَيْهِمُ ... فأغْفَوا عَنِ الدُنيا كإغفاءِ ذي السُكْرِ
فأجْسَادُهُمْ فِي الأرضِ تبلى بحبهِ ... وَأرواحهم فِي الحب نحو العلى تَسْرِي
همومهم جَوّالة بمعسكر ... به أهلُ ود اللّهِ كَالأنجم الزُهْرِ
فَمَا عَرَّسُوا إلا بقربِ حبيبهم ... وَمَا عَرَجُوا عَنْ مَسّ بُؤس ولا ضُرّ

وَقَالَ الجريري: كنتُ علَى رأسِ الجنيدِ وقتَ وَفاتِهِ، وَكَانَ يوم جمعَةٍ وَيَوم نَيْرُوزٍ[2]،

---

(١) عالم أهل الشام يكنى أبا عبد الله وقيل أبو أيوب الدمشقي الفقيه، عداده من أوساط التابعين من أقران الزهري، وكان أفقه أهل الشام في وقته، اختلف في وفاته فعند أبي نعيم سنة ١١٢ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٥، الحلية ٥/ ١٧٧).

(٢) النيروز أول يوم من السنة معرب نَوروز، قُدّم إلى علي شيء من الحلاوة فسأل عنه فقالوا: للنيروز. فقال: نيرزونا كل يوم. (القاموس مادة ن ر ز).

فَكَانَ يقرأ القرآن، فقلتُ لَهُ: يَا أبَا القَاسِمِ ارفق، فقالَ لِي: يَا أبَا محمدٍ مَا رَأيتُ أحداً أحوجَ إليهِ فِي هذا الوقتِ مني، وَهُوَ ذَا تطوى صحيفتي.

وَعَنِ الطلحي قَالَ: كَانَ بأرضِ اليمنِ رَجل يقالُ لَهُ ضَرْغَام بن فايد بن وَائل الحَضرمي، وَكَانَ زاهداً فِي قومِهِ، فقالَ لغلامهِ: ذاتَ يوم: أشدد كتافِي وَعَفِّرْ خدي بالثرى، ففعل فقالَ: مليكي دَنَا الرحيل وَلا بَرَاءة لِي من ذنبٍ، وَلاَ عذر فاعتذرُ، وَلاَ قوة لِي فأنتصِرُ، أنتَ لِي أنتَ لِي، قَالَ: وَصَاحَ صيحة وَخر ميتاً، قَالَ: فسمعوا صَوتاً يعني هَاتِفاً يقول: استكانَ العبد لمولاهُ فقبلَهُ.

وَقَالَ إبراهيم الخواصُ: كنتُ فِي بعضِ الطُرقِ، فرأيتُ شَاباً عليلاً فتقدمتُ إليهِ، فقلتُ: يَا هَذَا قُلْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّه، قَالَ: فحولَ وَجْهُهُ عَني، فقلتُ مرّةً أخْرَى قُل: لاَ إله إلاَّ اللَّهُ فقالَ:

أنَـا إن مُـتُّ فَـالـهَـوَى حـشـو قـلـبـي ... وَبِـدَاء الـهـوى يـمـوتُ الـكِـرَامُ

كـيـفَ أشـكُـو إلـى طـبـيـبـي مَـا بِـي ... وَالَّـذِي بِـي أصَـابـنـي مِـنْ طـبـيـبـي

فأخذتُ المروحَة لأروِّحَهُ فقالَ: كيف يجد رِيح المروَحَةِ مَنْ جَوفُه يحترقُ؟ ثم أنشأ يقول:

الـقـلـبُ مـحـتـرقٌ وَالـدمـعُ مـسـتـبِـقٌ ... وَالْـكَـرْبُ مـجـتـمـعٌ وَالـصَّـبْـرُ مُـفْـتَـرِقُ

كـيـفَ الـقـرَار عـلـى مَـنْ لا قـرارَ لَـهُ ... مِـمَّـا جـنـاهُ الـهـوى وَالـشـوقُ والـقـلـقُ

يَـا رَبِّ إنْ يـك شَـيءٌ فـيـهِ لِـي فـرجٌ ... فـامـنـن عـلـي بِـهِ مَـا دَامَ بِـي رَمَـقُ

وَحُكِي عَنْ يُوسف بن الحسين أنَهُ قَالَ عند وَفَاتِهِ: اللَّهُمَّ إنك تعلم أني نصحت خلقك قولاً، ونصحتُ نفسِي فعلاً، فهب جناية نفسي لنصيحة خلقك.

وَحُكِي أن مَلك الموتِ جَاءَ إلي رَجُلٍ مِن الصَّالحينَ ليقبض رُوحَهُ فقال: مرحباً أنَا وَاللَّهِ منذ خمسين سَنَة أتأهَّبُ لَكَ.

وَقَالَ عبد العزيز بن أبي روّادٍ: دَخلت على المغيرةِ بن حَكَمَ فِي اليومِ الَّذِي مَاتَ فيهِ، فقلتُ لَهُ: أوْصِني، فقالَ: اعمل لمثل هذا المضجع.

وَكَانَ عَامِرُ بن عَبْدِ قيس يبكي عندَ الموتِ، فقيل لَهُ: مَا يبكيك يَا عَامِرُ؟ فقال: آيَةٌ فِي كِتَابِ الله عَزَ وَجَل أبكتني، قَالُوا: أيُ آيةٍ؟ قَالَ: قوله عَزَ وَجَلّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وَكَانَ بعضهم فِي النزع فضحك، فقيلَ لَهُ: مَا أضحكك؟ قَالَ: القُدُومُ على من يرجى خيرُهُ خير من المقامِ مَعَ مَنْ لا يؤمن شَرُّهُ.

وَسُئِل ذُو النُونِ المصري فِي مرضِهِ الذِي مَاتَ فيهِ: مَا تشتهي؟ قَالَ: أن أعرفه قبل أن أموت بلحظةٍ.

ثُمَّ أنشأ يقولُ:

الخوفُ أمَرضَنِي، والشوق أحرقني، وَالحبُ أهلكَنِي، والقُربُ أحيَانِي!

ثُمَّ غشي عليهِ بعد ذلك، ثم عَاشَ يَوماً واحداً ثُمَّ مَاتَ، فأقبروهُ وَكتبُوا على قبرهِ: مَاتَ ذُو النون حبيب اللَّهِ مِن الشوقِ قتيل اللَّهِ.

وَكَانَ رَجُلٌ فِي البادِيةِ فِي النزع، فقيلَ لَهُ مِرَاراً قُلْ: لاَ إلٰه إلاَّ اللَّهُ، فقَال: إلى متى تذكِروني الله عَزَ وَجَلّ وَأنَا محترقٌ فِي اللَّهِ عَزَ وَجَلّ.

وَقَالَ بعضهم: دَخلتُ على ممشاد الدينورِي، وَكَانَ فِي النزع، فقلتُ لَهُ: كيفَ تجد العلة؟ فقالَ: سَلِ العلة عَنِي وَلاَ تَسْألني عَنِ العلةِ، ثُمَّ قِيل لَه: قُلْ: لاَ إلٰهَ إلاَّ الله، فمالَ بِوَجههِ إلَى الحائطِ وَسمعناهُ يقول:

أفنيتُ كلي بكُلِّكْ هذَا جزاءُ من يحبُّكْ
أعجزتني عَن خطابِكْ فالكُل مني جوابُكْ

وَدَخل رَجل على عبدِ اللَّهِ بن المبارك فِي يومِهِ الَّذِي تُوفِي فيهِ، فقالَ لَهُ: ادْعُ اللَّهُ لِي فقالَ عبد الله: إنَّ حُسْنَ ظنِّ الناسِ بِي زَادَا رَجائي فيك، وَمَنْ أولى بالعفو منك وَإنك تفعل مَا تشَاءُ.

وَحُكِي أيضاً أنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ مَرَضِهِ الذِي توفى فيهِ لأصحَابِهِ: لاَ تتركُوا الأمْرَ إليّ واعملوا فِي عملي عليّ.

وَحَكَى عَبْدُ اللَّهِ بنُ منازِلَ أن أبَا صَالح حمدون القصار أوصى أصحابهُ بأن لا يتركوهُ حين يقعَ فِي حَالِ الموتِ بين النسْوَانِ، وَقَالَ لأصحابِهِ: اجتمعُوا حولِي وقت تغير حَالِي.

وَقِيلَ لأبي محمدِ الدبيلي وَقَدْ حضر: قُل: لاَ إلٰهَ إلاَّ اللَّهُ، فقَالَ هَذَا شيء عرفناهُ، وَبِهِ نبقى، وَعليهِ نفنَى، ثمَّ أنشأ يقولُ:

تَسَرْبَلَ ثوبَ التِيهِ لما هَوَيْتُهُ وَصَدَّ فلا يرضَى بأني عَبْدُهُ

وَقَالَ منصور بن عبدِ اللَّهِ: دَخَلَ قوم على الشبلِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فيهِ فَقَالُوا لَهُ: كَيفَ تَجِدُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فأنشأ يقول:

إنَّ سلطانَ حُبهِ قَالَ: لاَ أقبل الرُّشا ... فَسَلُوهُ - فديتُهُ - لِمْ بقَتلي تحرَّشَا؟

وَقَالَ محمد بن الحسنِ البغدَادِي: دَخَلَ قوم مِنْ أصحابِ الشبلي عليهِ وَهُوَ فِي الموتِ فقالُوا: قُلْ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ فأنشأ يقول:

إن بيتاً أنتَ سَاكِنُهُ ... غيرُ محتاجٍ إلى السُرُجِ
وجْهُكَ المأمُولُ حجتُنَا ... يَومَ يأتي الناسُ بالحججِ
لاَ أتَاحَ اللَّهُ لِي فرجاً ... يَومَ أدعُو منك بالفرجِ

وَعَنْ فَاطِمَةَ امرأةِ أبي علي الرُوْذَبَارِي قَالَتْ: كَانَ أَبُو علي عندي فِي النزع وَرَأسُهُ فِي حجري، ففتح عينيه وَقَالَ لِي: يَا فاطمَةُ، هذهِ السماء قد فتحت أبوابُهَا، وَهَذِهِ الجنانُ قَدْ زُينَتْ، وَهَذَا ملك الموتِ يقولُ: يَا أَبَا علي قد بلغنا بك مرتبة الأكَابِرِ، وَأعطيناكَ الدَرَجَةَ القصوى وَإنْ لم تسلها، ثم أنشأ يقولُ:

وحقك لاَ نظرتُ إلى سِوَاكَا ... بعينِ مَوَدَةٍ حتى أرَاكَا

وَدَخَلَ علي بن أبي طَالبٍ على أبي بكرٍ الصديق عليهمَا السلام فِي وَقت نزعهِ فقالَ: يا خليفَةَ رَسولِ اللَّهِ، بِم بلغت مِن المدارجِ مَا أرَى؟ قَالَ: بِأربعةِ أشياء؛ أولُهَا دَخلتُ فِي الإسلامِ فوجدتُ الناسَ على ضَرْبين، طَالِبُ دُنْيَا وَطَالِبُ عقبى، فكنتَ أنا طَالِبَ المولَى.

الثاني: مَا شبعتُ منذ دَخلتُ فِي الإسلامِ لاَ أني لاَ أشتهِي، وَلَكِنْ منعتني حلاوةُ خدمتِهِ عَنْ طَعَامِ الدُنيا.

وَالثالثُ: مَا رَويت مِنَ الشَرَابِ منذ دَخلتُ فِي الإسلامِ لا أني لاَ أشتهيهِ، وَلَكِنْ منعني شَرَابُ محبتِهِ عَنْ شرابِ الدُنْيَا.

الرابع: مَا استقبلني أمران إلا اخترتُ الذِي لله تَعَالى فيهِ رَضىً!

ثُمَّ أنشأ يقول:

سَقَانِي شربةً أحيَا فؤادِي ... بكأس الحبِ مِنْ بحرِ الوْدَادِ

فَجعلَ يُرَدِدُهُ حتى خَرَجَتْ رُوحهُ رَضِي الله عَنْهُ.

وَكَانَ على أحمد بن خضرويهِ سبع مائةِ دِينارٍ ديناً، وَكَانَ فِي وَقتِ النزع وَغُرَمَاؤهُ عندهُ جلوسٌ، فنظَرَ إليهِمْ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إنك جعلت الرُهُونَ وَثيقة لأربَابِ الأموَالِ، وَأنتَ تأخذ عنهم وَثيقتهُمْ فأدِّ حقهم، قَالَ: فدق دَاقٌ البابَ وَقَالَ: هذهِ دَار أحمد بن خضرَويهِ؟ قَالُوا: نعم. قَالَ: فأين غُرَمَاؤهُ؟ قَالَ: فخرجوا فقضَى لَهُمْ ثُمَّ خَرَجَتْ رُوحه.

قَالَ أبو بكرٍ القطيعي[1]: كنتُ عند الجنيد حتى مَاتَ، فختم القرآن ثم ابتدأ فقرأ سبعين آية من سورةِ البقرةِ ثُمَّ مَاتَ.

وَحُكِيَ أنَّ أبَا العباسِ بن عَطَاء دَخَل على الجنيدِ فِي وقتِ نزعِهِ، فسلم عليهِ فلم يَرُدَ عليهِ، ثُمَّ رَدّ عليهِ بعد سَاعَةٍ وَقَالَ: اعذرني فإني كُنْتُ فِي وِرْدِي، ثُمَّ وَلَّىٰ بوجهِهِ إلَى القبلة وَكَبَّر وَمَاتَ.

وَعَنْ عبدِ اللَّهِ الرازي قَالَ: لما تغيرت الحالُ على أبي عثمانَ فِي وَقْت وَفاتِهِ، مَزَّقَ ابنهُ أبو بَكْرٍ قميصاً على نفسِهِ، ففتح أبُو عثمانَ عينه وَقَالَ: إن خلاف السنة فِي الظاهر مِنْ رياءٍ فِي بَاطِنِ القلبِ.

وَعَنْ أبِي يزيد العدلِ أنَهُ قَالَ: دَخلتُ على أبي بكرٍ الشّاشي فِي وقتِ وَفاتِهِ فَقُلْتُ: كيفَ تجِدُك يَا أبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: يَا أخِي، السفينَةُ تَدُورُ حَوْلَ الغَرقِ فإمَّا فِي الغُرفَاتِ، وإمّا فِي الدَّرَكَاتِ.

وَاعتل رَجُلٌ مِنَ المشايخ فدخل عليهِ الجنيدُ وَأصحابُهُ، وَكَانَ الرجلُ فِي النزعِ، فقال لَهُ الجنيدُ: قُلْ لاَ إلهَ إلا الله، فقالَ الرجلُ: يَا جنيد بن مُحمّدٍ تُذَكِرُني التوحيد وَأنَا منذ ثلاثين سنةً أبكي عليهِ.

وَدَخَلَ الحسَنُ عَلَى أبيهِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ عليهِ السلامَ وَهُوَ يَجُودَ بنفسِهِ فجزع، فقال لَهُ أبُوهُ: أجَزعْتَ؟ قَالَ: يَا أميرِ المؤمنين، كيف لاَ أجزعُ وَأنْتَ فِي آخِرِ يَوم مِنْ أيام الدُنْيَا، وَأولِ يَوم مِنْ أيامِ الآخرَةِ، قَالَ: أفَلاَ أعلمك أربعَ كَلِمَاتٍ إن حَفظْتَهُنَّ ففيهن غِنَاء الدهرِ، وإنْ ضَيَّعْتَهُنَّ ففيهِنَّ فقر الأبَدِ؛ يَا بنَي: لاَ غِنَاءَ مثل العَقْلِ، وَلا فقر أشدُ مِنَ الجَهْلِ، وَلاَ وَحشة أشدُّ مِنَ العُجْبِ، وَلاَ أنْسَ مثل حُسْنِ الخلقِ.

وَحُكِي عَنِ الشبلي أنَّهُ قَالَ فِي قولِ النّبِي ﷺ عند موتِهِ: «وَاكَرْباهُ» ليسَ جزعاً مِنَ

---

[1] الشيخ العالم المحدِّث، مسند الوقت أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي القطيعي الحنبلي راوي مسند الإمام أحمد وكان ثقة زاهداً، مستحاب الدعوة. مات سنة ثمان وستين وثلاثمائة. (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١٠، تاريخ بغداد ٤/ ٢٢٩).

الموتِ وَلكن لما كوشفَ قَالَ: وَاكرباهُ مِنَ السَّاعَةِ البَاقِيةِ من الدُنيا.

وَقِيل للكتاني لما حضرتْهُ الوفَاةُ: مَا كَانَ عملك؟ فقالَ: لَوْ لَمْ يقترب أجلي مَا خبرتكُمْ بِهِ، وَقفت على بَابِ قلبي أربعين سنةً، فكلما مَرّ فيهِ غير اللَّهِ حجبتهُ عَنْهُ.

وَحُكِي عَنِ المعتمر قَالَ: كنتُ فيمن حضر الحَكَمَ بن عَبْدِ الملكِ حين جَاءهُ الحَقُ، فقلتُ: اللَّهُمَّ هون عليهِ سَكراتِ الموتِ فإنَّهُ كَانَ وَكَانَ، فذكرت مَحاسنَهُ. فأَفَاقَ، فقالَ: مَن المتكلم؟ فقلتُ: أنا، فقالَ: إن ملك الموتِ عليهِ السلام يقولُ لِي: إني بِكُل سخي رَفيق ثُمَّ طُفِيءَ.

وَعَنْ حذيفةَ أنَهُ قَالَ عند الموتِ: حبيب جَاءَ على فاقَةٍ، لاَ أفلح مَنْ ندمَ.

وَلَمَا حَضرت يوسف بن أسباطِ الوفَاةُ شهده حذيفة فوجدَهُ قلقاً، فقالَ: يَا أبا محمدِ، أَهَذَا أوانُ القلقِ وَالجزعِ؟ فقالَ: يَا أبَا عبد اللَّهِ، كيف لا أقلق وَلاَ أجزع، وَاللَّهِ إني لاَ أعلم أني صدقتُ الله عَزّ وَجَلّ فِي شيء مِنْ عَمَلِي، فقالَ حذيفة: وَاعجباً لهذا الرجل الصالح الذِي يُضربُ بِهِ المثلُ، يحلف عِنْدَ موتِهِ أنَهُ لاَ يعلم أنَّهُ صدق الله تَعَالى فِي شيء مِنْ عملِهِ.

وَعَنْ حذيفةَ بن اليمانِ أنَهُ قَالَ: شُدَّ شَدّك يَأبى قلبِي إلا حُبك.

وَعَنْ عبدِ اللَّهِ الأصبهاني قَالَ: سمعت بعض أصحابِ الشبلي يقولُ: كنتُ جَالِساً عند رَأسِهِ وقتَ وفاتِهِ، ففتح عينيهِ فنظر إلينَا، فَقُلْتُ: يَا سيدي كيف تجد حَالك؟ فقالَ: قد وصلتُ إلى محبوبي! وَفَارق الدنيا، وهو آخر كلامٍ يتكلم بِهِ.

وَعَنِ المغازِلِي قَالَ: دَخلتُ على شيخٍ مِنْ أصحابِ هَذِهِ القصة وَهُوَ عليل، وَهُوَ يقولُ: يمكنك أن تعمل مَا تُرِيْدُ وارفق بي.

وَدَخَلَ بعض المشايخ على ممشاد فِي وقت وَفَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: فعل اللَّهُ تَعَالى وصنعَ - مِنْ بَابِ الدُعَاءِ - فضحكَ ثُمَّ قَالَ: منذ ثلاثين سنَةً تعرضُ عليّ الجنةِ بِمَا فيهَا فما أعرتها طَرْفِي.

وَيقال: لما حضرت وَفاتُهُ اجتمعوا حولَهُ، فقالَ لَهُ بعضهم: يَا أبَا علي، كيف تجد العلةَ؟ قال: قل للعلة كيف تجدني؟ فَقَالُوا لَهُ: أرَدْنَا قلبك، فقالَ: مُنذ ثلاثين سنةً فقدت قلبي.

وَقِيل لرُويم عند الموتِ: قُلْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّه، فقالَ: لاَ أحسنُ غَيْرَهُ.

وَدَخَلَ جمَاعَةٌ مِنَ الناسِ على الشبلي فِي وَقتِ وَفَاتِهِ وَهُوَ يقولُ: يجوزُ يجوز، فقيل لَهُ: مَا مَعْنَى قولك يجوز يجوز؟ فقَالَ: خلق الله تَعَالى النفسَ، وَأشرك بين النفسِ والرُوْحِ، فعملا واتَّجَرَا سنين كثيرةً، فتحاسبا فإذا بهما قدْ خَسِرَا وَليسَ مَعَهُمَا رِبح، وقد عزمَا على الافتراقِ، فأنا أقولُ شركة لا رِبح فيهَا يَجُوز أنْ يقعَ بين الشريكين الافتراقُ.

وَقَالَ بعضهم: دَخلنا على مالكِ بن دينارٍ فِي مَرَضِهِ الذِي مَاتَ فيهِ، وَهُوَ يفدِّيه بنفسهِ، فرَفَع رَأسَهُ إلى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إنك تعلم أني لم أحب البقاءِ فِي الدُنْيَا لبطر وَلاَ لِفَرَحٍ.

وَقَالَ مَالك بن دِينار أيضاً: لَوْلاَ أَنِي أخافُ أن أكون بدعةً، لأمَرْتُكُمْ إذْ مت أن تَشُدُوا يدي بشريطةٍ، فَإِذَا قدمتُ على الله عَزَ وَجَلّ فسألنِي - وَهُوَ أعلم - مَاذَا حملك على مَا صَنعتَ؟ قلتُ: يَا رَبِّ، لَمْ أرضَ عَنْ نفسي سَاعَةً قطُ.

وَعَنْ بشر بن الحارثِ قَالَ: دَخْلتُ على أبي يزيد القَاسِم الجرمي[1] فِي مَرَضِهِ الذِي مَاتَ فيهِ أعودُهُ، فوجدتهُ على قطعة باليةٍ خلق، وَتحت رأسِهِ لبنَة، فلما خَرَجْتُ مِنْ عندهِ سمعتُ جيرانَهُ يقولونَ: هُو جَارنا منذ عشرين سنة مَا سَألنَا حَاجَةً.

وَقِيل للجنيد وَهُوَ ينزعُ: قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، فقالَ: مَا نسيتهُ فأذكرهُ، لأنَّ الذِكْرَ عَنْ غفلةٍ، والغفلةُ عَنْ ذكرٍ، وإنَّما أنَا فيما لا غفلة وَلا ذِكرَ فِي ذَا الوقْتِ.

وَعَنْ أبي علي الرُوذبَارِي قَالَ: دخلتُ البادِيَةَ فرأيتُ حدثاً، فقالَ لِي: تَعَال يَا رَوذَبَارِي أمَا يَكفِي ربك عَزَ وَجَلّ أن شغفني بحبهِ حتى علني، فقل لَهُ يفعل مَا يَشَاء فلستُ بمعرضٍ عنهُ. قَالَ: ثم رأيتهُ وَهُوَ يجود بروحِهِ فقلتُ لَهُ: قُلْ لاَ إِلَهَ إلا اللَّهُ، فأنشأ يقول:

أيَا مَنْ لَيْسَ لِي منهُ وَإن عذبني بُدُ ... وَيَا مَنْ نال من قلبي مَنَالاً مَالَهُ حَدُّ

وَلَما حضر النوري الوفاة قيل لَهُ: قل لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، فقالَ: أليسَ إلى ثَمَّ أَمُرُّ؟؟.

وَدَخَلَ المزني على الشافعي رَحمَهُمَا الله فِي مرضِهِ الذِي تُوفِي فيهِ، فقالَ لَهُ: كَيْفَ أصبحتَ؟ فقالَ: أصبحتُ مِنَ الدنيا رَاحِلاً، وللإخوان مُفَارِقاً، وَلِسُوءِ عملي مُلاقِياً، وَبِكَأسِ المنيّةِ شارِباً وَعَلَىٰ اللَّهِ تَعَالَى وَارِداً، وَلاَ أدْرِي أرُوحي تَصْيرُ إلى الجنةِ فأهنيهَا، أمْ إلى النارِ

---

(١) الشيخ الإمام القدوة الرباني أبو يزيد القاسم بن يزيد الجرمي الموصلي، كان زاهداً ورعاً من أصحاب سفيان الثوري، وكان حافظاً للحديث متفقهاً. قال بشر بن الحارث: كان يقال إن قاسماً الجرمي من الأبدال. توفي رحمه الله سنة ١٩٤ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٨١، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٢٦).

فأعزيها، ثُمَّ أنشأ يقول:

فَلَمَّا قَسَا قلبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائي نحو عفوك سُلَّمَا
تَعَاظَمَني ذَنْبِي فلما قرنتُهُ بعفوِك رَبِي كَانَ عفوك أعظَمَا
فَما زِلْتَ ذَا عفوٍ عَنِ الذنبِ، لم تزلْ تجودُ وتعفو مِنَّةً وتَكَرُّمَا
وَلَوْلاَكَ لَمْ يُغوِ إبليسُ عَابِداً وَكَيفَ وَقَد أغوى صفيَّك آدَمَا!

بَابٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَا بلغَنِي مِنْ رُؤيَا أهْلِ الصَّفْوَةِ

أخْبَرَنَا أبُو سعدٍ، أخبرنَا أبُو عَمْرٍو محمد بن جعفر بن مُحَمَّد بن شُعيب، حَدَّثَنَا يحيى بن أيوب، حَدَّثَنَا سعيد بن عبد الرحمنِ الجمحي، عَنْ هشامِ بن عُرْوَةَ، عَنْ أبيهِ، عَنْ عَائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يبق بعدِي مِنَ النُّبُوةِ إلا المبشِرَاتَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا المبشرَاتِ؟ قَالَ: «الرؤيَا الصَّالِحَة يَرَاهَا الرجُلُ أو تُرَىٰ لَهُ»(١).

وَقَالَ بعضُ المشايخ: رَأيتُ متمم الدورَقِي فِي المنامِ، فقلتُ: يَا سيدي، مَا فَعَلَ الله تَعَالى بِكَ؟ قَالَ: دِيرَ بِي فِي الجنان، فَقِيلَ: يَا متمم، هَلْ استحسنتَ فيهَا شَيئًا؟ قلتُ: لاَ يَا سيدي، فقالَ: لو استحسنْتَ منها لَوكلتك إليهَا وَلَمْ أوصلك إليَّ.

وَكَانَ لأبي سعيدٍ الخراز ابنان، مَاتَ أحدهُمَا قبله، فرآهُ فِي المنامِ فقال لَهُ: يَا بني عظنِي، قَالَ: يَا أبةِ، لاَ تُعَامِلِ الله عَلَى الجبنِ، قَالَ: يَا بني زِدْنِي، قَالَ: لاَ تُخَالِف الله تعالى فيما يريدُ، قَالَ: يَا بني زِدْنِي قَالَ: يَا أبةَ لا تطيق قَالَ: قُل. قال: لاَ تجعل بينك وبين الله عَزَ وَجل قميصاً فما لبس قميصاً ثلاثينَ سَنَةً.

وَرُؤِيَ يُوسفُ بن الحسين بعد وَفاتِهِ فقيلَ لَهُ: مَا فعل الله بِك؟ قَالَ: غفر لِي، قيل: بِمَاذَا؟ قَالَ: مَا خلطتُ جداً بِهَزْلٍ.

وَعَنْ منصورِ بن إسماعيل(٢) أنَّهُ كَانَ يقولُ: رَأيتُ عبد الله البزار فِي المنامِ، فقلتُ: مَا فعل الله تَعَالى بِك؟ قَال: وقفني بين يديهِ فغفر لِي كل ذَنْبٍ أقررتُ بِهِ إلا ذنباً وَاحداً، فإني استحييتُ أنْ أُقِرَّ به، فوقفني فِي العرق حتى سقطَ لَحم وَجهي، فَقُلْتُ: مَا كَانَ ذلك الذنب؟ فقالَ: نظرتُ إلى غلامٍ جميل فاستحسنتُهُ فاستحييت مِنَ الله تَعَالى أن أذكرهُ.

وَقَالَ أبو جعفرِ الصيدلانِي: رَأيتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ فِي النوم وَحولهُ جماعة مِنَ الفُقراءِ، فبينا نحن كذلك إذ انشقت السماء وَنزلَ ملكَانِ أحدُهُمَا بيدِهِ طستٌ وَبيد الآخَرَ إبريقٌ، فوضعَ الطّسْتَ بين يدي رَسولِ الله ﷺ فَغسل يده، ثُمَّ أمَرَ حتى غسلوا أيديهم، ثم وَضع الطّسْتَ

---

(١) حديث: لم يبق من النبوة إلاّ المبشرات. قالوا: يا رسول الله! وما المبشرات؟ قال الرؤيا الصالحة. رواه البخاري في كتاب التعبير عن أبي هريرة، وعنه الخطيب والإمام أحمد بزيادة: (الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له) عن عائشة رضي الله عنها (الكنز ١٥/ ٣٧٠ الحديث ٤١٤١٨، ٢١٤٢، ٢١٤٢٣، ٤١٤٢٣).

(٢) منصور بن إسماعيل العلامة الفقيه فقيه مصر أبو الحسن التميمي الشافعي الضرير الشاعر كان متصرفاً في كل علم شاعراً مجوداً لم يكن في زمانه مثله، وكان فهماً حاذقاً توفي سنة ست وثلاثمائة. (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣٨، طبقات السلمي ٣/ ٤٧٨).

بين يديّ فقالَ أحدهُمَا للآخَرِ: لا تَصُبّ على يدهِ فإنَّهُ ليسَ مِنْهُمْ، فقلتُ: يَا رَسولَ الله، أَلَيْسَ قَدْ رُوي عَنك أنَّكَ قُلْتُ: «المرءُ مع مَنْ أحبّ»[1]، قال: «بلى» قلتُ: يَا رَسُول اللَّه، إني أحبك وَأحبُ هَؤلاءِ الفقراءِ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «صُبَّ على يدهِ فإنَّهُ مِنْهُمْ».

وَعَنْ بعضهم قَالَ: كَانَ عُمَرُ الجمال يقولُ: أبداً أسألك عَافية فِي عافِيةٍ أو كلمةً نحوهَا، فقلتُ لَهُ: مَا معنى هَذَا الدُّعَاءِ؟ قَالَ: كنتُ حملتُ مرةً صَدْراً مِن الدقيقِ فوضعتهُ لأستريح فكنتُ أقولُ: لَوْ أعطيتني رَغيفين مِنْ غير تعبٍ لكنتُ أكتفي بِهِمَا، فَإِذَا رجلاَنِ يختَصِمَان فتقدَّمْتُ أصلح بينَهُمَا، فضَرَبَ أحدهما رَأسي بشيء، وَكَانَ أرَادَ أن يضربَ خصمَهُ، فانشقت جلدةُ رَأسِي وَسَالَ الدم وحضر صَاحبُ الربع[2] وَفر الخصمانِ والناسُ، وَرَآني صَاحِبُ الربع ملوثاً بالدَّمِ فقبض عليَّ، فأخبرتهُ الخبر فما اكتفى بِهِ حتى أودِعتُ فِي السجنِ، فكنتُ أوتىٰ برغيفين كُل يَوم، فقلتُ: يَا رَبِّ، لو خلصتني مِنْ هَذَا، فقيل لِي، فِي المنامِ: إنك سألتنا رَغيفين وَلَمْ تشترط العَافية، فانتبهتُ، فقلتُ: العَافِية العافية، فإذا باب السجنِ يقرع ويقول قائل: أين عمر الجمال، فخلّي سبيلي.

وعن الكتاني أنه قال: كان عندنا رجل من أصحابنا، فهاجت عينه، فقيلَ ألاَ تعالجُهَا؟ فقالَ: عزمتُ أن لاَ أعالجَهَا بشيءٍ حتى تبرأ، قَالَ الكتاني: فنمتُ فرأيتُ كأن ملكاً قد سلم عليّ وهو يقولُ: لَوْ كَانَ هَذَا العزم على أهلِ النارِ كلهم لأخرجنَاهُمْ مِنَ النَّارِ.

وَعَن الجنيدِ قَالَ: رَأيتُ فِي النَّومِ أني أتكلم على الناسِ، فوقف عليّ مَلَكٌ فَقَالَ: أقربُ مَا تقربَ بِهِ المتقربُون إلى الله عَزّ وَجَلّ مَاذَا؟ فقلتُ: عمل صالحٌ خفِيٌ بميزان وَفِيٌ، قَالَ: فولّى عني الملك وَهُوَ يقولُ: كلام مُوفق وَاللَّهِ.

وَعَنْ أبي بَكْر الكتَانِي الدينوري قَالَ: رأيت فِي النوم كَأن قائلاً يقولُ لِي: كُل مَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ عَزّ وَجَل فقد هلك إلا رجل وَاحِدٌ، قلتُ: مَنِ الرجل الواحد؟ قَالَ: الَّذِي يكُون الله تَعَالى مَعَهُ.

وَقَالَ علي بن الفضيل: رَأيتُ أبِي في النومِ فقلتُ لَهُ: يَا أبَةِ مَا صُنِعَ بك فِي الغَمِ الذِي كنت فيهِ؟ فقالَ: يَا بني لَمْ أرَ للعبدِ خيراً مِنْ رَبهِ عَزّ وَجَلّ.

وَرُؤي مجمع فِي النَومِ فقِيل لَهُ: كَيْفَ رَأيتَ الأمْرَ؟ قَالَ: رَأيتُ الزاهِدِينَ فِي الدنيا ذَهَبُوا بخير الدُنْيَا والآخِرَةِ.

---

(١) أخرجه الشيخان والإمام أحمد بسندهم عن ابن مسعود (الجامع الصغير ٢/ ٥٧٤ الحديث رقم ٩١٩٠).

(٢) الربْع: الدار بعينها حيث كانت (مادة ر ب ع).

وَقَال رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الشَام للعلاء بن زِيادٍ[1]: رَأيتك فِي النَوْم كأنَكَ مِنْ أهلِ الجنةِ، قَالَ: فنزل عَنْ مجلِسِهِ وَأقبلَ عليهِ ثُمَّ قَالَ: لعل الشيطَانَ أرَادَ أمراً فعُصِمْتُ مِنْهُ فأشخَص رَجُلاً يقتلنِي.

وَقَالَ محمد بن واسعٍ: الرُؤيا تَسُرُ المؤمِنْ وَلا تَغرُهُ.

وَقَالَ صَالِحْ بن بَشِيرٍ: رَأيتُ عَطَاء السُليمى فِي النَوم، فقلتُ لَهُ: رَحِمك اللَّهُ، لَقَدْ كنتَ طويل الحزنُ فِي الدُنيَا، فقالَ: أمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أعقبني ذلك الحزن رَاحةً طَويلةً، وَفَرَحَاً دَائِماً، فقلتُ: ففِي أي الدرَجَاتِ أنتَ؟ قَالَ: مَعَ الذينِ أنعم اللَّهُ عليهم مِنَ النبيينَ وَالصديقين والشُهَدَاءِ وَالصَالحينَ وَحسن أولئك رَفِيقاً.

وَسُئِل زُرارةُ بن أوْفَى[2] فِي المنامِ أي الأعمَالِ عندكُمْ أفضَل؟ قَالَ: الرِّضَا وَقصر الأمَلِ.

وَقَالَ يزيد بن مذعُور: رَأيتُ الأوْزَاعِي فِي المنَام فقلتُ: يَا أبا عَمْرو، دُلنِي على عَمَل أتقربُ بِهِ إلَى الله عَزَ وَجَلّ، قَالَ: مَا رَأيتُ هُنَاكَ دَرَجَةً أرفَع مِنْ دَرَجةِ العلماءِ، ثُمَّ دَرَجَة المحزونين، قَالَ: وَكَانَ يزيد شيخاً كَبيْراً فَبَكَىٰ حتى أظلمت عيناهُ.

وَقَالَ مُضَرٌ القَارِىء: غلبني النَوم ليلةً فنمتُ عَنْ حِزْبي، فرأيتُ فيما يَرَى النائِمُ جَارِيَةً كَأنَ وَجْهَهَا القَمَرُ المنيرُ، وَمَعَهَا ورقٌ، فقالَتْ: إقرأ أيها الشيخُ؟ قلتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: إقرأ هذا الكِتَابَ، ففتحتُهُ فَإذَا فيهِ مَكتوبٌ هذه الأبياتِ، فَوالله مَا ذَكَرْتُهَا إلا ذَهَبَ عَنِي النَوْمُ وَهِي:

أألـهـتـك الـلـذائـذ وَالأمَـانِـي، عَـنِ الـفِـرْدَوسِ والـظُّـلَـلِ الـدَوَانِـي؟
وَلـذةُ نـومَـةٍ، عَـنْ خـيـر عـيـشٍ مَـعَ الـخَـيـرَاتِ فِـي غُـرف الـجِـنَـانِ؟
تـيـقـظْ مِـنْ مَـنَـامِـكَ إن خـيـراً مِـنَ الـنـومِ الـتَّـهَـجُـدُ بِـالْـقُـرانِ!!

وَقَالَ عَمْرٌو المَكِيُ: رَأيتُ فِي المَنَامِ كَأنَ السَّمَاء مَكتوبةٌ بِالكَواكِبِ اللَّهِ اللَّهِ.

---

(١) العلاء بن زياد بن مطر بن شريح القدوة العابد أبو نصر العدوي البصري، كان ربانياً تقياً قانتاً لله تعالى، بكاء من خشية الله، بكى حتى غشي بصره وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلم جهشه البكاء، وكان أبوه قد بكى حتى عمي. وكان يصوم حتى يخضر ويصلي حتى يسقط. توفي رضي الله عنه وعنا به سنة أربع وتسعين من الهجرة. (سير أعلام النبلاء ٤/٢٠٢، الزهد لأحمد ٢٥٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٤٢).

(٢) زرارة بن أوفى، الإمام الكبير قاضي البصرة أبو حاجب العامري البصري أحد الأعلام، سمع عمران بن حصين وأبا هريرة وابن عباس، وقد صحَّ أنه قرأ في صلاة الفجر فلما قرأ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝﴾ [المدثر: ٨] خرَّ ميتاً، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين من الهجرة. (سير أعلام النبلاء ٤/٥١٥، الحلية ٢/٢٥٨، شذرات الذهب ١/١٠٢).

وَعَن أبي عبدِ اللَّهِ النَباجِي قَالَ: قيلَ لِي في المنَامِ مَنْ وَثق بِاللَّهِ تَعَالَىٰ فِي رزقه زِيْدَ فِي حسن خلقهِ، وَسخت نفسهُ فِي نفقتِهِ، وَقلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صلاتِه.

وَقَالَ ابن عيينة: رَأيتُ أخِي فِي المنَامِ فقلتُ: يَا أخِي، مَا فَعَلَ اللَّهُ بك؟ قَالَ: كُل ذَنَبٍ استغفرتُ مِنْهُ غفر لِي، وَمَا لَمْ أستغفرهُ منهُ لَمْ يغفر لِي.

وَقَالَ الشبلي: رَأيتُ فِي النَومِ نَفْسَيْنِ يقولاَن لِي: يَا شبلي مَنْ التفت هَكَذَا وَهَكَذَا فقد غَفِل.

وَعَنْ ابن شبة الطلحي قَالَ: رَأيتُ فِي المَنَامِ امْرَأة لا تشبه نسَاءَ الدُّنيا، فقلتُ: مَنْ أنتِ؟ فقالَتْ: حوراء قلتُ: زَوجيني نفسك، قَالَتْ: اخطبني إلى سيدي وَأمهر لِي، قلتُ: فَما مَهْرُك؟ قَالَتْ: حبس نفسك عَنْ مَألوفاتِهَا!

وَكَانَ غالبُ القطان(١) يقولُ: اللَّهُمَّ الشيء الذِي لاَ يضرك وَيَنْفَعُنَا فأصبنا بِهِ، قَالَ: فرأيتُ فِي المَنَامِ قائلاً يقولُ: وأنت فالشيء الذي يضرك ولاَ يَنْفَعُكَ فدعْهُ.

قَالَ إبراهيم بن إسحق الحربي(٢): رَأيتُ زُبيدة فِي النَومِ فقلتُ لَهَا: مَا فَعل الله تَعَالى بكِ؟ قَالَتْ: غفر لِي، فقلتُ لَهَا: بِمَا انفقت فِي طريق مكةَ على البركِ والأمْيَالِ وَالآبَارِ؟ فقالَتْ أمَا النفقاتُ التي أنفقتُهَا فرجعتْ أجورُهَا إلى أرْبَابِهَا، وَغُفرَ لِي بتوبتي.

وسَمعتُ عباس بن أبي حفص القصَابَ يقولُ: عَرَضْتُ دَابةً للذبح، فنمتُ فرأيتُهَا تكلمني بلِسَانٍ طلق فصيحٍ: ويحك أمَا تستحي من الله عَزَ وَجَلّ وَمِنْ نبيهِ ﷺ؟! تبيعني للذبح وَقَدْ جَاهَدْتُ سبعَ غزواتٍ فِي سبيلِ الله عَزَ وَجَلّ، لأشكونَّك إلى النَّبِي ﷺ، قَالَ: فانتبهتُ فزعاً وقمتُ مِنْ سَاعَتِي على وَجْهِي استرجعتُها وَبقيَتْ على مِعْلفي حتى مَاتَتْ.

---

(١) هو الفقيه أبو سلمة بن أبي غيلان مولى الأمير عبد الله بن عامر بن كريز القرشي سمع الحسن وابن سيرين وبكر بن عبد الله. قال الإمام أحمد: ثقة ثقة. (سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٥، مشاهير علماء الأمصار ١٥٦، خلاصة تذهيب الكمال ٣٠٦).

(٢) الشيخ الإمام الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي الحربي، مولده سنة ثمان وتسعين ومائة. كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، . حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالآدب، جمّاعة للغة قيل إنه بلغه أن قوماً من الذين كانوا يجالسونه يفضلونه على الإمام أحمد بن حنبل، فوقفهم على ذلك فأقروا به، فقال: ظلمتموني بتفضيلكم لي على رجل لا أشبهه، ولا ألحق به في حال من أحواله، فأقسم بالله، لا أسمعكم شيئاً من العلم أبداً فلا تأتوني بعد يومكم. توفي رضي الله عنه سنة خمس وثمانين ومائتين في أيام المعتضد. (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٦، تاريخ بغداد ٦/ ٢٨).

ولما مات سفيان الثوري رأوهُ فِي المنامِ فقيل لهُ: مَا فعل بك؟ فقال: وضعت أول قدمي على الصراطِ وَالثاني فِي الجنةِ.

وَقَالَ أحمد بن أبي الحواري: رأيتُ فيما يرى النائِمُ جَارِية مَا رَأيتُ أحسن منها، وَكَانَ يَتلألأ وَجْهُهَا نُوراً، فَقلت لَهَا: ماذا ضَوَّأ وَجهك، قَالَتْ: تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها، فقلتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: أخذتُ دَمعك فمُسحت بِهِ وَجْهِي، فمن ثم وضِيء وَجهي كَمَا تَرىٰ.

وَقَالَ بعضهم: رَأيت أبا يحيى الرملي فِي المنامِ فقلتُ: مَا فَعَل الله بِك؟ قال خيراً قلتُ: فما خبر أصحابنا الصوفيةِ؟ قَالَ: الصَّادِقُ منهم مَعَ الحبيبِ، قَالَ: كَذَا والتصق بِالحَائطِ.

وَقَالَ الكتاني: رَأيتُ الجنيد فِي النَومِ فقلتُ: مَا فَعَلَ الله بك؟ قَالَ: طَاَحت الإشاراتُ وَذَهَبتَ العبارَاتُ، وَمَا خلصنَا إلا عَلَى رَكعتين كُنَا نُصَليهما بِاللَّيْلِ.

وَقَالَ العدوي: كَانَ العلاء بن زِيَادٍ يُحْيِي كُل ليلةِ جمعة، فَوَجَدَ ليلةً فترة فأتاه آتٍ فِي مَنَامِهِ فقَالَ: يَا ابن زياد، قُم فَاذكُر اللَّهَ تَعَالَى يذْكُرك وَأخذ بمقدمِ شعر رَأسِهِ، فقَامَ فزعاً فمَا زَالتْ تلك الشعرات مِنْ العَلاء قائمة حَتَّى مَاتَ.

وَقَالَ عبدُ اللَّهِ بنُ وَاقِدٍ: رَأى يزيد الرُقَاشِي النَّبِي ﷺ فِي المَنَامِ، فقرأ عليهِ سورة، فلما فرغ قال لهُ النَّبِي ﷺ: «هَذِهِ القِرَاءة، فأين البُكَاءُ»؟

وَرُؤِي بعضهم فِي المنَامِ فَقِيلَ لَهُ: مَا فَعَلَ الله تَعَالَى بِكَ؟ فقالَ: غفر لِي، قيل: بِمَاذَا؟ قَالَ لما أقامني بين يديه قلتُ: اغفر لِي، قَالَ: بِمَاذَا؟ قلت: بأني أتيتك بِمَا لَيْسَ عندك وَهُوَ الفَقْرُ.

وَقَالَ أبُو الفَضْلِ الأصبهاني: رَأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي المنامِ، فقلتُ: يَا رَسُولَ الله، سل الله عز وجل أن لا يسلبني الإسلام، فقال: «هو أمر قد فرغ الله تعالى منه».

قال الجنيد: رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء، فقال لي أحدهما: مَا الصِّدق؟ قلتُ: الوَفَاء بالعهدِ، فقالَ الآخَرُ: صدقْتَ ثم صعِدَا إلى السَّمَاءِ.

ورؤيت زُبَيْدةُ فِي المَنَامِ فقيل لَهَا: مَا فعلَ اللَّهِ بِك؟ قَالَتْ: غفر لِي بهذه الكلماتِ الأربعِ؛ لاَ إلٰهُ إلاَّ اللَّهُ أفني بِهَا عُمْرِي، لاَ إلٰه إلا الله أدْخُل بِهَا قبري، لاَ إلٰهَ إلا الله أخلو بِهَا وَحدي، لاَ إلٰهَ إلا الله ألقى بِهَا رَبِي عَزَ وَجَل.

وَرُؤِي أَبُو بَكْرِ المصري[1] فِي النَوم بعد وفاتِهِ أنه قَالَ: قُلْتُ للحق: سَلَّطْتَ عليَّ نَارَكَ فأحرَقتني، فقَالَ: لم تكن نَاراً بل كَانَ نُوراً.

وَعَن حبيب بن بلتع أنَهُ قَالَ: ضقت بالمدينةِ ضيقاً شديداً حتى ظهر سُوء حَالِي، فَأَتَيتُ سعيدَ بن المُسَيب لأشكُو إليهِ حالي، فلم أجِدْهُ فِي مسجدِهِ، فانتظَرْتُهُ فأغفيتُ إغفَاءة، فرأيتُ فِي المنَامِ كَأنَّ قائلاً يقُولُ: لَوْ يعلم الصَّابِرُ مَا يعقبهُ الصَبْرُ مِنَ السُرَورْ، مَا كَانَ بالمختار فِي الأَمُورِ سِوَى الصَّبْر على المقدورْ. قَالَ: فَانْتَبَهْتُ فقمتُ فِي الوقتِ فرحاً، فوجدتُ في الطريق كيساً فيهِ دَرَاهِمُ فأخذتُ فاستغنيتُ بِهِ.

وَعَنْ مطرفِ بن عبدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجْنَا إلى الربيعِ فِي زَمَانه، فَكُنَا ندخل يَومَ الجُمْعَةِ لشهودهَا وطريقنا على المقابر، فدخلتها فرأيت جَنَازَةً فِي المقبرة، فشهدتُهَا وَاعْتزلت فِي ناحية قريباً مِنْ قبرٍ، فركعت رَكعتين خفيفتين ثم نَعِسْتُ، فرأيتُ صَاحِبَ القبر الذي كَانَ قريباً مني يُكلمني، فَسَألني عَنْ صلاتِي، ثُمَّ قَالَ: تعملون وَلا تعلمون، ونعلم وَلاَ نستطيع أنْ نعمل، لأن أَركَعَ رَكْعَةً مِنْ رَكعتيك أحَبُ إليّ مِنَ الدُنيا بحذَافيرهَا، قَالَ: قلتُ: كَيْفَ مَن ههُنَا؟ قَالَ كُل مسلم وَكُلُ مؤمِنٍ قَد أصَابَ خيراً، قلتُ: فأي قبر هَا هُنَا أَفْضَل؟ فَأشَارَ إلى قَبْر، فقلتُ: اللَّهُمَّ أخْرِجْهُ إليّ فأعلمهُ، فإذَا هُوَ فَتىً شابٌ، فقلتُ: أنتَ أَفْضَلُ مَنْ هَاهُنَا، قَالَ: قَدْ قَالُوا ذَلِكَ؟ قلتُ: فبأي شيءٍ نلتَ ذلك؟ قَالَ: ابتليتُ بالمصَائب وَرُزقتُ الصبرَ عليهَا، فبذلك فضلتُ عليهِمْ.

وَقَالَ مَالِك بن دينار: كنتُ أَقُولُ لابنة لِي: يَا بنية اتقي الله تَعَالى وَلاَ تَشربي السَّوِيقَ بعضه على بعض فَيُوزَن شَحْمُك وَلحمك، فَمَاتَتْ فِي حياةِ مالكِ فرآهَا مالك في النوم، فإذا هي بشجرة فَدَنَا مِنْهَا وَهِيَ تُنَادِي، يَا أبَتَاه، يَا أبَتَاهُ فطرحَ كسَاءه عليها وضمها إلى صدره فقَالَتْ له: يَا أبتَاهُ كنت في الدُنيا تقولُ لِي: لاَ تشربي السويق بعضه على بعضٍ فيوزنُ لحمك وشحمَك، وقد وُزنَ اليومَ شحمي ولَحمي وحوسبتُ بِهِ.

وَعَنْ منصور الفقيه المصري قَالَ: أكلتُ مرةً طَعَامَاً للسلطانِ، فرأيتُ تلك الليلةِ فِي

---

(١) أبو بكر المصري: هو الإمام الجليل محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر، أبو بكر بن الحداد المصري، الإمام الجليل، كان كثير التعبد، يصوم يوماً ويفطر يوماً، كما كان عالماً بالحديث، والأسماء والكنى، والنحو واللغة، والاختلاف، وأيام الناس وسير الجاهلية، ولي قضاء مصر لمحمد بن طغج الإخشيد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وله كثير من المؤلفات توفي بعد عودته من الحج في شوال سنة خمس وأربعين وثلاثمائه. (طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١١٢).

النوم قائلاً يقول لِي: خَلِّ المِرَاء لمفسدٍ أو مصلحٍ، مِنْ ذاق طَعمَ طعَامِهِمْ لاَ يفلحْ.

قَالَ جعفر الخَالِدِيُ: سمعتُ أبَا سهلٍ الحافِي ـ وَكَانَ مِنْ سَادَةِ الصوفيةِ ـ يقولُ: رَأيتُ فِي المَنَامِ قائلاً يقولُ لِي: تزود مِنَ الدنيا فإنك إنما خَرَجتَ إلى الدُنيا لِكَسْبِ المكَارم.

وَعَنْ سماكِ بن حرب[1] قَالَ: كَانَ بَصَري قد ذَهَبَ، فأريت فِي مَنَامِي إبراهيمَ عليهِ السلام كَأنَهُ يقولُ لِي: أئت الفراتَ فَاغْتَمِسْ فيهِ وَافتح عينيك[2]، ففَعلْتُ فردَ الله تَعَالى إلي بَصَرِي.

وَرُؤي بشر الحَافِي فِي المنامِ فقيلَ لَهُ: مَا فَعَل الله بك؟ فقالَ: رَحمني رَبي عَزَ وَجَلّ وَقَالَ لِي: يَا بِشْرُ أمَا استحييتَ مِنِي، كنتَ تخافني هذا الخوف.

وَرُؤي أبُو سليمان فِي المنامِ فقيل لَهُ: مَا فَعَل الله بِكَ؟ قَالَ: رَحِمَنِي وَمَا كَانَ شيء أضر عليّ مِنْ إشارَاتِ القومِ إليّ.

وَعَنِ الحسَنِ الخياطِ أنَّهُ قَالَ: رَأيتُ بشرَ بنَ الحارثِ فِي النَّومِ، فقلتُ: مَا فعل الله بِك؟ فقَالَ: لَمَا رَأيتُ رَبِي عَزَ وَجَلّ قَالَ لِي مَرْحَباً يَا بشر، لَقَدْ توفيتك يَومَ توفيتك وَمَا على وَجهِ الأرضِ أحَبُ إليّ منك، وَلو سَجَدْت لِي على الجَمْرِ عُمْرَ الدُّنْيَا مَا كَافيت نعمتي التي بثثتُ ثناءك فِي الناسِ.

وَعَنْ علي بن الموفَقِ[3] قَالَ: كنتُ ذَاتَ ليلةٍ أتفكر فِي عيالي وَالفقر الذي بِهِمْ، فوجَدْتُ فِي المَنَامِ رُقعة فيها مَكتوبٌ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، يَا علي بن الموفق، أتخشى

(١) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة ـ الحافظ الإمام الكبير أبو المغيرة الذهلي البكري الكوفي. عن سفيان الثوري قال: ما سقط لسماك بن حرب حديث وقال أحمد: هو أصح حديثاً من عبد الملك بن عمير، وكان ثقة صدوقاً وكان فصيحاً مُفَوّهاً يزين الحديث منطقه وفصاحته. توفي سنة ١٢٣ هجرية. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٥، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣١، الشذرات ١/ ١٦١).

(٢) في السير (وسل أن يرد الله عليك بصرك).

(٣) علي بن الموفق أبو الحسن من الكبار، العباد، أكثر من الحج حدث عنه منصور بن عمار وابن أبي الحواري، حجّ نيفاً وخمسين حجة قال: فنظرت إلى أهل الموقف وضجيج أصواتهم فقلت: اللهم إن كان في هؤلاء أحد لم تقبل حجته، فقد وهبت حجتي له فرجعت إلى مزدلفة فبت بها، فرأيت في المنام رب العزة سبحانه بلا كيف ولا أين ولا حد بل برؤية يليق بها سبحانه ـ فقال لي: يا علي بن الموفق، تتسخى عليَّ؟ قد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم، وشفعت كل واحد منهم في أهل بيته وعشيرته وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة. مات رضي الله عنه وعنا به سنة ٢٦٥ هجرية. (طبقات ابن الملقن ٣٢٠، تاريخ بغداد ١٢/ ١١٠).

الفقر وَأنا ربك؟!، فلما كَان عِنْدَ الغلس أتاني رَجل بكيس فيهِ خمسَةُ آلاَف دِينَارٍ، فقالَ: خذها إليك يَا ضعيف اليقين.

وَقَالَ الجُنيْدُ: رَأيتُ فِي مَنَامِي كَأني وَاقف بين يدي الله عَزَ وَجَلّ، فقالَ لِي: مِنْ أين لك هذا الكلامُ الذِي تقولُهُ؟ قَالَ: فقلتُ: يَا رَبِّ مَا أقولُ إلاّ حقاً، قال: صدقت.

وَقَالَ أبُو بَكْرِ الكتانِيُ: رَأيتُ فِي النَومِ شَاباً لَمْ أرَ أحسن منه، فقلتُ: مَنْ أنتَ؟ قَالَ: التقوى، قلتُ: فأين تسكُنُ؟ قَالَ: كُل قلبٍ حزينٍ، ثم التفتُ فإذَا امرأةٌ سَوْدَاء كأوحَشِ مَا يَكُونُ، قلتُ: مَنْ أنتِ؟ قَالَتْ: أنا السَّقَمُ، قلتُ: فأين تسكنين؟ قَالَت: كُل قَلْبٍ فرحٍ مَرِحٍ!. فَانتبهْتُ وَاعتقدت أن لاَ أضحك إلا عن غَلبةٍ.

وَعَنْ أبي سعيدِ الخرَاز قَالَ: رَأيتُ فِي المَنَام كَأنَ إبليسَ وَثَبَ عليّ فأخذتُ العصَا لأضْرِبَهُ فلم يفزع منها، فهتف بِي هَاتِفٌ: إنَّ هَذَا لا يخاف مِنْ هذِهِ وإنَّما يخافُ مِنْ نُورٍ يَكونُ فِي القَلْبِ.

وَقَالَ المسوحي[1]: رَأيتُ إبليسَ فِي المَنَام فقلتُ لَهُ: أمَا تستحي مِن الناسِ؟ فَقَالَ: من أيش أستحي، فقلتُ: تَبُول على الناسِ، فقالَ: بالله هؤلاءِ ناس؟ لو كَانُوا مِنَ الناسِ مَا كنت ألْعَبُ بِهِمْ طرفي النهارِ كَمَا يتلاعَبُ الصبيان بالكرة، بل الناسُ قوم غير هؤلاءِ، فَقَدْ أسقمُوا جسمي، وَأشَارَ بيدهِ إلى أصحابِنَا الصُوْفِيَةِ!

وَقَالَ أبو سعيدِ الخرَازُ: كنتُ فِي مسجدِ دِمشق، فرأيتُ فِي المَنَام كَأنَّ النَّبِي ﷺ جَاءني مُتَكِئاً على أبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ الله عنهما، فَجَاء فوقفَ عليّ وَأنَا أقولُ شيئاً مِنَ الأصواتِ وَأدُقُ فِي صدري فقال: «شَرُ هَذَا أكثر مِنْ خَيْرِهِ».

وَقَالَ أبو عبد الله بن خفيفٍ: رَأيتُ فِي المنَام كَأنَ النَّبِي ﷺ جَاءني فأيقظني برجلِهِ فنَظَرْتُ إليهِ فقالَ: «مَنْ عرف طريقاً فَسَلَكَهُ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ عذبَهُ الله عَزَ وَجَلّ بعذابٍ لَمْ يُعَذِّبْ بِهِ أحداً مِنَ العَالَمِينَ».

---

(١) شيخ الزهاد أبو علي، الحسن بن علي البغدادي الصوفي المسوحي، كانت له حلقة في جامع بغداد وكان لا يجاوز علم الوصول والعبادات والإرادات والأحوال دون المعارف، وكان عذب العبارة، قانعاً زاهداً يأوي إلى مسجد، عن الجنيد قال: كلمت حسناً المسوحي في شيء من الأنس فقال لي: ويحك! الأنس لو مات من تحت السماء ما استوحشت. توفي رحمه الله بعد سنة ستين ومائتين. (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٠، تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٦).

وَعَنْ ابن عيينة قَالَ: رَأيتُ سفيانَ الثَوْرِيَّ فِي النَوم كَأَنَّهُ فِي الجنَةِ يَطِيْرُ مِنْ شجرة إلى شجرة يقولُ: لمثل هَذَا فليعمل العَاملون، فقلتُ لَهُ: أوصِني، فقال: أَقِلَّ مِنْ معرفَةِ الناسِ.

وَرَوى أَبُو حَاتِمِ الرَازِي، عَنْ قبيصة بن عقبة قَالَ: رَأيتُ سفيانَ الثورِي فِي المنَامِ فقلتُ: مَا فعل الله عَزَّ وَجَل بك؟ فَقَالَ:

نَظَرْتُ إلى رَبِي كِفَاحاً فقالَ لِي: هنيئاً رِضَائي عنك يَا ابن سَعِيد!
فقد كنتَ قواماً إذَا أظلم الدُجى بِعَبرَةِ مُشْتَاقٍ وَقلبِ شَهِيْدِ
فَدُونَك فَاخْتَرْ أيّ قَصْر أرَدْتَهُ وَزُرني فإني منك غَيْرُ بَعِيْدِ!

وَرُؤيَ الشبلي بعد مَوْتِهِ بثلاثَةِ أيامِ فِي المَنَامِ فقيل لَهُ: مَا فعل اللَّهُ بك؟ قَالَ: نَاقشَني حتى أيستُ، فلمَّا رَأى يَأسي تغمدني بِرَحمتِهِ.

وَقَالَ أَبُو عثمان المغربيُ: رَأيتُ فِي النَومِ قائلاً يقولُ لِي: يَا أَبَا عثمان، احفظ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي الفُقَرَاءِ وَلَو بقدرِ سمسمة.

وَعَنْ بندار بن الحسين قَالَ: رُؤي مجنونُ بني عَامِرِ فِي المَنَامِ فقيلَ لَهُ: مَا فعل الله بك؟ فقالَ: غفر لِي وجعلني حُجَةً على المحبين.

وَرُؤي أَبُو بَكْرِ الصديق رَضِي الله عَنْهُ فِي المنَامِ، فقيل لَهُ: إنك كنت تقول أبداً فِي لِسَانك: إن هَذَا أوْرَدَني الموارِدَ، فَمَا فعل الله بِك؟ قَالَ: قلتُ بِهِ: لاَ إلَهَ إلاّ اللَّهُ فَأورَدَني الجنَة.

تمّ كِتَابُ تهذيبِ الأَسْرَارِ والحَمدُ لِلّهِ رَبّ العَالمين،

وَصَلَواتُهُ على سَيّدِنَا مُحَمّدٍ النَّبِي وآلِهِ الطيبين الطاهرين وَأزواجِهِ أمهَاتِ المؤمنين

صلاةً دَائمة بَاقية إلى يَومِ الدِّين

وَافَق الفراغُ منه لثمان خلون مِنْ رَبيع الأولِ سَنَة ثمان وَسِتمَائةٍ

كتبه دَاود بن علي غفر الله له ونفعه بالعلم وَلمن نظر فيهِ،

وَدَعَا له بالتَوبةِ والمغفرةِ والتفقه فِي الدينِ ولجميعِ المسلمين

وَحَسْبنا اللّهُ ونعم الوكِيْل(١)

---

(١) وأقول وأنا العبد الفقير إلى عفو مولاه الودود بسام بن محمد بارود: فقدتم الفراغ من خدمة هذا الكتاب الجليل صباح يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤١٨ من هجرة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه الموافق ١٠/ (مارس) آذار ١٩٩٨م ونختم بما ختم حجة الإسلام إحياءه فنقول: نرجو من الله الكريم أن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة، ونستغفر الله من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم في هذا الكتاب وفي سائر ما خطت يميننا، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه ومن كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته، ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف، تزينًا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أخذناه أو استفدناه، ونرجو بعد الاستغفار في جميع ذلك كله لنا ولمن طالع هذا الكتاب. بقصد الانتفاع وحسن الاعتقاد لا الانتقاد أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً فإن الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض، ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا إليه إلاّ فضله وكرمه فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ (إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة» فنرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحق ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته وأن يحشرنا مع حبيبه المصطفى ﷺ تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلاّ ظله وكل من قال آمين آمين آمين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وكتبه بسام محمد بارود

أبو ظبي ١١ ذو القعدة ١٤١٨هـ موافق ١٠ مارس (آذار) ١٩٩٨م

فهرس الموضوعات